اول حرف النون

صفحه

صفحة

صفحة

No. ...

هذا الجزء الثاني من تاريخ وفيات الاعيان
وأنباء ابناء الزمان تأليف القاضي احمد
الشهير بابن خلكان عليه
رحمة الله تعالى

المنان

دخل هذا الكتاب في كتبخانة [illegible]

[illegible]

الجزء الثانى من تاريخ ابن خلكان

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(بقية حرف الميم)

الشريف الرضى أبو الحسن محمد بن الطاهر ذى المناقب أبى احمد الحسين بن موسى بن محمد ابن موسى بن ابراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ابن على زين العابدين ابن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم المعروف بالموسوى

موسوى

صاحب ديوان الشعر ذكره الثعالبى فى كتاب اليتيمة فقال فى ترجمته ابتدأ يقول الشعر بعد ان جاوز عشر سنين بقليل وهو اليوم ابدع ابناء الزمان وانجب سادات العراق يتحلى مع محتده الشريف ومفخره المنيف بادب ظاهر وفضل باهر وحظ من جميع المحاسن وافر ثم هو أشعر الطالبيين من مضى منهم ومن غبر على كثرة شعرائهم المفلقين ولو قلت انه اشعر قريش لم ابعد عن الصدق وسيشهد بما اخبره شاهد عدل من شعره العالى القدح الممتنع عن القدح الذى يجمع الى السلاسة متانة والى السهولة رصانة ويشتمل على معان يقرب جناها ويبعد مداها وكان أبوه يتولى قديما نقابة نقباء الطالبيين ويحكم فيهم اجمعين والنظر فى المظالم والحج بالناس ثم ردت هذه الاعمال كلها الى ولده

الرضى

الرضى المذكور فى سنة ثمان وثمانين وثلثمائة وابوه حى ومن غرر شعره ما كتبه الى الامام القادر بالله أبي العباس أحمد بن المقتدر من جملة قصيدة

عطفا امير المؤمنين فاننا * فى دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت * ابدا كلانا فى المعالى معرق
الا الخلافة ميزتك فاننى * انا عاطل منها وأنت مطوق

(ومن جيد شعره قوله أيضا)

رمت المعالى فامتنعن ولم يزل * أبدا يمانع عاشقا معشوق
وصبرت حتى نلتهن ولم أقل * ضجرا دواء الفارك التطليق

(وله من جملة أبيات)

ياصاحبى قفالى واقضيا وطرا * وحدثانى عن نجد باخبار
هل روضت قاعة الوعساء ام مطرت * خميلة الطلح ذات البان والغار
ام هل ابيت ودار دون كاظمة * دارى وسمار ذاك الحى سمارى
تضوع ارواح نجد من ثيابهم * عند القدوم لقرب العهد بالدار

وديوان شعره كبير يدخل فى اربع مجلدات وهو كثير الوجود فلا حاجة الى الاكثار من شعره وذكر أبو الفتح بن جنى المقدم ذكره فى بعض مجاميعه أن الشريف الرضى المذكور أحضر الى ابن السيرافى النحوى وهو طفل جدا لم يبلغ عمره عشر سنين فلقنه النحو وقعد معه يوما فى حلقته فذاكره بشئ من الاعراب على عادة التعليم فقال له اذا قلنا رأيت عمروا فما علامة النصب فى عمرو فقال له الرضى بغض على فعجب السيرافى والحاضرون من حدة خاطره وذكر انه تلقن القرآن بعد ان دخل فى السن فحفظه فى مدة يسيرة وصنف كتابا فى معانى القرآن الكريم يتعذر وجود مثله دل على توسعه فى علم النحو واللغة وصنف كتابا فى مجازات القرآن فجاء نادرا فى بابه وقد عنى بجمع ديوان الشريف الرضى المذكور جماعة واجود ما جمع الذى جمعه ابو حكيم الخبرى ولقد اخبرنى بعض الافاضل انه رأى فى مجموع ان بعض الادباء اجتاز بدار الشريف الرضى المذكور بسر من رأى وهو لا يعرفها وقد اخنى عليها الزمان وذهبت بهجتها وأخلقت ديباجتها وبقايا رسومها تشهد لها بالنضارة وحسن الشارة فوقف عليها متعجبا من صروف الزمان وطوارق الحدثان وتمثل بقول الشريف الرضى المذكور

ولقد وقفت على ربوعهم * وطلولها بيد البلى نهب
فبكيت حتى ضج من لغب * نضوى ولج بعذلى الركب
وتلفتت عينى فمذ خفيت * عنى الطلول تلفت القلب

فمر به شخص وسمعه وهو ينشد الابيات فقال له هل تعرف هذه الدار لمن هى فقال لا فقال هذه الدار لصاحب هذه الابيات الشريف الرضى فعجبا من حسن الاتفاق ولقد

اذكرتني هذه الواقعة حكاية هي في معناها ذكرها الحريري في كتاب درة الغواص في أوهام الخواص وهي على ما رواه ان عبيد بن شرية الجرهمي عاش ثلثمائة سنة وادرك الاسلام فأسلم ودخل على معاوية بن أبي سفيان بالشام وهو خليفة فقال له حدثني باعجب ما رأيت فقال مررت ذات يوم بقوم يدفنون ميتا لهم فلما انتهيت اليهم اغرورقت عيناي بالدموع فتمثلت بقول الشاعر

ياقلب انك من اسماء مغرور * فاذكر وهل ينفعنك اليوم تذكير
قد بحت بالحب ماتخفيه من أحد * حتى جرت لك اطلاقا محاضير
فلست تدري وما تدري اعاجلها * ادنى لرشدك أم ما فيه تأخير
فاستقدر الله خيرا وارضين به * فبينما العسر اذ دارت مياسير
وبينما المرء في الاحياء مغتبط * اذا هو الرمس تعفوه الاعاصير
يبكي الغريب عليه ليس يعرفه * وذو قرابته في الحي مسرور

قال فقال لي رجل اتعرف من يقول هذا الشعر فقلت لا فقال ان قائله هو الذي دفناه الساعة وأنت الغريب الذي تبكي عليه ولست تعرفه وهذا الذي خرج من قبره امس الناس رحما به وأسرهم بموته فقال له معاوية لقد رأيت عجبا فمن الميت قال هو عثير بن لبيد العذري ومثل هاتين القصتين ما ذكره الخطيب أبو زكريا التبريزي في كتاب شرح الحماسة وذكره غيره أيضا ان عمرو بن شاس الاسدي الشاعر المشهور كانت له امرأة من قومه وابنة من امة سوداء يقال لها عرار فكانت تعيره به أباه وتؤذيه ويؤذيها فانكر عمرو عليها اذاها له وقال

ارادت عرارا بالهوان ومن يرد * عرارا لعمري بالهوان لقد ظلم
وان عرارا ان يكن غير واضح * فاني أحب الجون ذا المنكب العمم

وهي عدة أبيات في البيت الاول من كتاب الحماسة والجون الاسود والعمم التام وكان عرار أحد فصحاء العقلا وتوجه من عند المهلب بن أبي صفرة الى الحجاج بن يوسف الثقفي رسولا في بعض أمور فلما مثل بين يدي الحجاج لم يعرفه وازدراه فلما استنطقه ابان واعرب ما شاء وبلغ الغاية والمراد في كل ما سئل عنه فانشد الحجاج متمثلا

ارادت عرارا بالهوان ومن يرد * عرارا لعمري بالهوان لقد ظلم

فقال عرار أنا ايد الله الامير عرار فاعجب به وبذلك الاتفاق وشاس المكان الغليظ وعمرو المذكور من أسد بن خزيمة وهو مخضرم ادرك الاسلام وهو شيخ كبير وعرار من قولهم عار الظليم بتشديد الراء يعار عرارا اذا صاح يقول ارادت امرأتي اهانة عرار ومن طلب ذلك من مثله فقد وضع الشيء في غير محله وهو الظلم واجتهد عمرو بن شاس ان يصلح بين امرأته وابنه فلم يمكنه فطلقها فندم وقال في ذلك شعرا تركته لعدم الحاجة وخشية الاطالة رجعنا الى ذكر الشريف قال الخطيب في تاريخ بغداد سمعت اباعبدالله محمد

ابن

ابن عبد الله الكاتب بحضرة أبي الحسين بن محفوظ وكان اوحد الرؤساء يقول سمعت
جماعة من أهل العلم بالادب يقولون ان الرضى اشعر قريش فقال ابن محفوظ هذا صحيح وقد
كان فى قريش من يجيد القول الا ان شعره قليل فاما مجيد مكثر فليس الا الشريف الرضى
وكانت ولادته سنة تسع وخمسين وثلثمائة ببغداد وتوفى بكرة يوم الاحد سادس المحرم
وقيل صفر سنة ست واربعمائة ببغداد ودفن فى داره بخط مسجد الانباريين بالكرخ وقد
خربت الدار ودرس القبر ومضى اخوه المرتضى ابو القاسم على الى مشهد موسى بن
جعفر لانه لم يستطع ان ينظر الى تابوته ودفنه وصلى عليه الوزير فخر الملك فى الدار مع
جماعة كثيرة رحمه الله تعالى وكانت ولادة والده الطاهر ذى المناقب أبي أحمد الحسين
سنة سبع وثلثمائة وتوفى فى جمادى الاولى سنة اربعمائة وقيل توفى فى سنة ثلاث واربعمائة
ببغداد ودفن فى مقابر قريش بمشهد باب التين ورثاه ولده الشريف الرضى ورثاه أيضا
أبو العلاء المعرى بقصيدته التى اولها

اودى فليت الحادثات كفاف * مال المسيف وعنبر المستاف

وهى طويلة اجاد فيها كل الاجادة وقد تقدم ذكر اخيه الشريف المرتضى أبي القاسم
على وعبيد بفتح العين المهملة وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها
وبعدها دال مهملة وشرية بفتح الشين المعجمة وسكون الراء وفتح الياء المثناة من
تحتها وبعدها هاء ساكنة والجرهمى بضم الجيم وسكون الراء وضم الهاء وبعدها
ميم هذه النسبة الى جرهم بن قحطان وهى قبيلة كبيرة مشهورة باليمن وعثير بكسر العين
المهملة وسكون الثاء المثلثة وفتح الياء المثناة من تحتها وبعدها راء وهو فى الاصل
اسم للغبار وبه سمى الرجل ولبيد اسم علم مشهور فلا حاجة الى ضبطه وقد تقدم
الكلام على العذرى والله أعلم

ابن هانى

أبو القاسم وأبو الحسن محمد بن هانى الازدى الاندلسى الشاعر المشهور وقيل انه من
ولد يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الازدى وقيل بل هو من ولد أخيه
روح بن حاتم

وقد تقدم ذكر يزيد وأخيه روح فى ترجمة روح فى حرف الراء وكان أبوه هانى من قرية
من قرى المهدية بافريقية وكان شاعرا اديبا فانتقل الى الاندلس فولد له محمد المذكور
بمدينة اشبيلية ونشأ بها واشتغل وحصل له حظ وافر من الادب وعمل الشعر ومهر فيه
وكان حافظا لاشعار العرب واخبارهم واتصل بصاحب اشبيلية وحظى عنده وكان كثير
الانهماك فى الملاذ متهما بمذهب الفلاسفة ولما اشتهر عنه ذلك نقم عليه أهل
اشبيلية وساءت المقالة فى حق الملك بسببه واتهم بمذهبه أيضا فأشار الملك عليه بالغيبة
عن البلد مدة ينسى فيها خبره فانفصل عنها وعمره يومئذ سبعة وعشرون عاما وحديثه
طويل وخلاصته انه خرج الى عدوة المغرب ولقى جوهرا القائد مولى المنصور وقد تقدم

ذكره وما جرى له عند توجهه الى مصر وقصدها للمعز فامتدحه ثم ارتحل الى جعفر ويحيى ابنى على وقد تقدم ذكر جعفر وكانا بالمسيلة وهى مدينة الزاب وكانا واليها فبالغا فى اكرامه والاحسان اليه فنمى خبره الى المعز أبى تميم معد بن المنصور العبيدى وسيأتى ذكره فى هذا الحرف ان شاء الله تعالى فطلبه منهما فلما انتهى اليه بالغ فى الانعام عليه ثم توجه المعز الى الديار المصرية كما سيأتى فى خبره فشيعه ابن هانى المذكور ورجع الى المغرب لاخذ عياله والالتحاق به فتجهز وتبعه فلما وصل الى برقة أضافه شخص من أهلها فاقام عنده اياما فى مجلس الانس فيقال انهم عربدوا عليه فقتلوه وقيل خرج من تلك الدار وهو سكران فنام فى الطريق واصبح ميتا ولم يعرف سبب موته وقيل انه وجد فى سانية من سوانى برقة مخنوقا بتكة سراويله وكان ذلك فى بكرة يوم الاربعاء لسبع ليال بقين من رجب سنة اثنين وستين وثلثمائة وعمره ست وثلاثون سنة وقيل اثنان واربعون رحمه الله تعالى هكذا قيده صاحب كتاب أخبار القيروان وأشار الى انه كان فى صحبة المعز وهو مخالف لما ذكرته اولا من تشييعه للمعز ورجوعه لاخذ عياله ولما بلغ المعز وفاته وهو بمصر تأسف عليه كثيرا وقال هذا الرجل كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق فلم يقدر لنا ذلك وله فى المعز المذكور غرر المدائح و نخب الشعر فمن ذلك قصيدته النونية التى اولها

هل من اعقة عالج يبرين * أم منهما بقر الحدوج العين
ولمن ليال ماذممنا عهدها * مذ كن الا انهن شجون
المشرقات كأنهن كواكب * والناعمات كأنهن غصون
بيض وما ضحك الصباح وانها * بالمسك من طرر الحسان لجون
ادمى لها المرجان صفحة خده * وبكى عليها اللؤلؤ المكنون
اعدى الحمام تأوهى من بعدها * فكأنه فيما سجعن رنين
بانوا سراعا للهوادج زفرة * مما رأين وللمطى حنين
فكأنما صبغوا الضحى بقبابهم * او عصفرت فيه الخدود جفون
ماذا على حلل الشقيق لوانها * عن لابسيها فى الخدود تبين
لأعطشن الروض بعدهم ولا * يرويه لى دمع عليه هتون
أأعير لحظ العين بهجة منظر * واخونهم انى اذن لخؤون
لا الجو جو مشرق ولو اكتسى * زهرا ولا الماء المعين معين
لا يبعدن اذ العبير له ثرى * والبان دوح والشموس قطين
ايام فيه العبقرى مفوف * والسابرى مضاعف موضون
والزاعبية شرع والمشرفيـ * ـة لمع والمقربات صفون
والعهد من ظمياء اذ لا قومها * خزر ولا الحرب الزبون زبون

جزتني لذاك الجو وهو أسنة * وكأس ذاك الخشف وهو عرين
هل يدنيني منه اجرد سابح * مرح وجائلة النسوع امون
ومهند فيه الفرند كأنه * درّ له خلف الغرار كمين
عضب المضارب مقفر من اعين * لكنه من انفس مسكون
قد كان رشح حديده اجلا وما * صاغت مضاربه الرقاق قيون
وكأنما يلقى الضريبة دونه * باس المعز او اسمه المخزون

ومنها في وصف الخيل

وصوا اهل لا الهضب يوم مغارها * هضب ولا البيد الحزون حزون
عرفت بساعة سبقها لا انها * علقت بها يوم الرهان عيون
وأجل علم البرق فيها انها * مرت بجانحتيه وهي ظنون
في الغيث شبه من نداك كأنما * مسحت على الانواء منك يمين

وهذه القصيدة من قصائده الطنانة ولولا طولها لاوردتها كلها في هذا الانموذج دلالة على علو درجته وحسن طريقته وديوانه كبير ولولا ما فيه من الغلو في المدح والافراط المفضي الى الكفر لكان من أحسن الدواوين وليس في المغاربة من هو في طبقته لا من متقدميهم ولا من متأخريهم بل هو أشعرهم على الاطلاق وهو عندهم كالمتنبي عند المشارقة وكانا متعاصرين وان كان في المتنبي مع أبي تمام من الاختلاف ما فيه ومازلت اطلب تاريخ وفاة ابن هانى المذكور من التواريخ والمظان التي يطلب منها فلا اجده وسألت عنه خلقا كثيرا من مشايخ هذا الشان فلم أجده حتى ظفرت به في كتاب لطيف لابي علي الحسين بن رشيق القيرواني سماه قراضة الذهب فألفيته كما هو مذكور هاهنا ونقلت مدة عمره من موضع آخر رأيت بعض الافاضل قد اعتنى باحواله فجمعها وكتبها في اول ديوانه وذكر مدة العمر ولم يذكر تاريخ الوفاة لانه ما عثر عليه ويقال ان أبا العلاء المعري كان اذا سمع شعر ابن هاني يقول ما اشبهه الا برحى تطحن قرونا لاجل القعقعة التي في الفاظه ويزعم انه لا طائل تحت تلك الالفاظ ولعمري ما انصفه في هذا المقال وما حمله على هذا الافراط تعصبه للمتنبي وبالجملة فما كان الا من المحسنين في النظم

عدة ابيات بيتا منها فارزقي عب

ذو الوزارتين

ذو الوزارتين أبو بكر محمد بن عمار المهري الاندلسي الشلبي الشاعر المشهور هو وابن زيدون القرطبي المذكور في حرف الهمزة فرسا رهان ورضيعا لبان في التصرف في فنون البيان وهما كانا شاعري ذلك الزمان فكانت ملوك الاندلس تخاف من ابن عمار المذكور لبذاءة لسانه وبراعة احسانه لاسيما حين اشتمل عليه المعتمد على الله بن عباد صاحب غرب الاندلس الآتي ذكره في هذا الحرف ان شاء الله تعالى وانهضه جليسا وسميرا وقدمه وزيرا وشيرا ثم خلع عليه خاتم الملك ووجهه اميرا وكان قد أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا فتبعته المواكب

والمضارب والجنائب والجنائب والكتائب والجنود وضربت خلفه الطبول ونشرت على رأسه الرايات والبنود فلك مدينة تدمير واصبح راقي منبر وسرير مع ما كان فيه من عدم السياسة وسوء التدبير ثم وثب على مالك رقه ومستوجب شكره ومستحقه فبادر الى عقوقه وبخس حقه فتحيل المعتمد عليه وسدد سهام المكايد اليه حتى حصل فى قبضته قنيصا واصبح لا يجد له محيصا الى ان قتله المعتمد فى قصره بيده وأمر من ازاله فى ملحده وذلك فى سنة سبع وسبعين واربعمائة بمدينة اشبيلية وكانت ولادته فى سنة اثنين وعشرين واربعمائة وقصته مشهورة ولما قتله المعتمد رثاه صاحبه أبو محمد عبد الجليل بن وهبون الاندلسي المرسي بقوله من جملة قصيدة

عجبا له ابكيه ملء مدامعي * واقول لا شلت يمين القاتل

وقال أبو نصر الفتح بن خاقان صاحب قلائد العقيان لقد رأيت عظمي ساقي ابن عمار قد اخرجا بعد سنين من حفر حفر بجانب القصر واساودهما بهما ملتفة وبليتهما مشتفه مافغرت أفواههما ولاحل التواؤهما فرمق الناس العبر وصدق المكذب الخبر يعني بالاساود القيود ومن مشاهير قصائد ابن عمار المذكور قوله

أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى * والنجم قد صرف العنان عن السرى
والصبح قد اهدى لنا كافوره * لما استرد الليل منا العنبرا

ومن مديحها وهي فى المعتمد بن عباد

ملك اذا ازدحم الملوك بمورد * ونحاه لا يردون حتى يصدرا
اندى على الاكباد من قطر الندى * وألذ فى الاجفان من سنة الكرى
قداح زند المجد لا ينفك من * نار الوغى الا الى نار القرى

وهي طويلة فائقة ومن جيد شعره أيضا القصيدة الميمية وهي أيضا فى المعتمد بن عباد واولها

علي وإلا ما بكاء الغمائم * وفي وإلا فيم نوح الحمائم

ومنها أيضا فى وصف وطنه

كساها الحيا برد الشباب فانها * بلاد بها حل الشباب تمائمي
ذكرت بها عهد الصبى فكانما * قدحت بنار الشوق بين الحيازم
ليالي لا الوي على رشد لائم * عناني ولا أثنيه عن غي هائم
انال سهادي من عيون نواعس * واجنى عذابي من غصون نواعم
وليل لنا بالسد بين معاطف * من النهر ينساب انسياب الاراقم
تمر علينا ثم عنا كانها * حواسد تمشي بيننا بالنمائم
بحيث اتخذنا الروض صار يزورنا * هداياه فى ايدي الرياح النواسم
وبتنا ولا واش يحس كانما * حللنا مكان السر من صدر كاتم

ومن مديحها

ملوك مناخ العز فى عرصاتهم * ومثوى المعالى بين تلك المعالم

هم البيت ما غير الظبى لبنائه * بأس ولا غير القنا بدعائم

اذا قصر الروع الخطى نهضت بهم * طوال العوالى فى طوال المعاصم

وأيد أبت من ان تؤوب ولم تفز * بجز النواصى أو بجز الغلاصم

ندامى الوغى يجرون بالموت كاسها * اذا رجعت اسيافهم بالجماجم

هنالك القنا مجرورة من حفائظ * وثم الظبى مهزوزة من عزائم

اذا ركبوا فانظره اول طاعن * وان نزلوا فارصده اخر طاعم

وهى أيضا طويلة طنانة ومن جملة ذنوبه عند المعتمد بن عباد ما بلغه عنه من هجائه وهجاء أبيه المعتضد فى بيتين هما كانا من اكبر اسباب قتله وهما

مما يقبح عندى ذكر اندلس * سماع معتضد فيها ومعتمد

اسماء مملكة فى غير موضعها * كالهر يحكى انتفاخا صولة الاسد

ومحاسن ابن عمار كثيرة والمهرى بفتح الميم وسكون الهاء وبعدها راء هذه النسبة الى مهرة ابن حيدان بن الحاف بن قضاعة وهى قبيلة كبيرة ينسب اليها خلق كثير والشلبى بكسر الشين المعجمة وسكون اللام وبعدها باء موحدة هذه النسبة الى شلب وهى مدينة بالاندلس على ساحل البحر وتدمير بضم التاء المثناة من فوقها وسكون الدال المهملة وكسر الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء وهى مدينة مرسية وكان المعتمد بن عباد قد سير اليها أبا بكر بن عمار المذكور نائبا عنه فعصى بها ولم يزل المعتمد يحتال عليه حتى وقع فى قبضته وقتله بيده كما تقدم اولا وشهرة هذه الواقعة تغنى عن الاطالة فى تفصيلها وذكر عماد الدين الاصفهانى الكاتب فى كتاب الخريدة فى ترجمة ابن عمار المذكور وقتله المعتمد وكان أقوى الاسباب لقتله انه هجاه بشعر ذكر فيه أم بنيه المعروفة بالرميكية وهى أبيات منها

تخيرتها من بنات الهجان * رميكية لا تساوى عقالا

فجاءت بكل قصير الذراع * لئيم التجارب عما وخالا

قلت وهذه الرميكية كانت سرية المعتمد اشتراها من رميك بن حجاج فنسبت اليه وكان قد اشتراها فى ايام أبيه المعتضد فأفرط فى الميل اليها وغلبت عليه واسمها اعتماد فاختار لنفسه لقبا يناسب اسمها وهو المعتمد وتوفيت بأغمات قبل المعتمد بايام ولم ترقأ له عبرة ولا فارقته حسرة حتى قضى نحبه أسفا وحزنا وهى التى أغرت المعتمد على قتل ابن عمار لكونه هجاها وقيل ان هذا الشعر ليس لابن عمار وانما نسبته اليه لكى توغر صدر المعتمد عليه والله أعلم

أبو بكر محمد بن باجة التجيبى الاندلسى السرقسطى المعروف بابن الصائغ الفيلسوف

ابو بكر بن

الشاعر المشهور

ذكره أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد بن خاقان القيسي صاحب قلائد العقيان في كتابه ونسبه الى التعطيل ومذهب الحكماء والفلاسفة واختلال العقيدة وقال في حقه في كتابه الذى سماه مطمح الانفس ما مثاله نظر في كتاب التعاليم وفكر في اجرام الافلاك وحدود الاقاليم ورفض كتاب الله الحكيم ونبذه وراء ظهره ثانى عطفه وأراد ابطال ما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه واقتصر على الهيئه وانكر أن يكون الى الله فيئه وحكم الكواكب بالتدبير واجترم على الله اللطيف الخبير واجترأ عند سماع النهى والايعاد واستهزأ بقوله تعالى ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد فهو يعتقد ان الزمان دور وأن الانسان نبات أو نور حمامه تمامه واختطافه قطافه قد محى الايمان من قلبه فما له فيه رسم ونسى الرحمن لسانه فما يمر عليه له اسم ولقد بالغ ابن خاقان في أمره وجاوز الحد فيما وصفه به من هذه الاعتقادات الفاسدة والله أعلم بكنه حاله واورد له مقاطيع من الشعر فمن ذلك قوله

أسكان نعمان الاراك تيقنوا * بانكم في ربع قلبى سكان
ودوموا على حفظ الوداد فطالما * بلينا باقوام اذا استؤمنوا خانوا
سلوا الليل عنى مذ تناءت دياركم * هل اكتحلت بالغمض لى فيه اجفان
وهل بردت اسياف برق سمائكم * فكانت لها الا جفونى اجفان

وكان قد انشدنى هذه الابيات بعض اشياخ المغاربة الفضلاء بمدينة حلب منسوبة الى ابن الصائغ المذكور ثم وجدتها بعد ذلك بعينها في ديوان أبى الفتيان محمد بن حيوس الآتى ذكره ان شاء الله تعالى فبقيت شاكا فيما انشدنى ذلك الشيخ وقلت لعله وهم في نسبتها الى ابن الصائغ الى ان وجدتها في كتابه مطمح الانفس أيضا منسوبة الى ابن الصائغ المذكور والله تعالى أعلم ان هى منهما وله أيضا

ضربوا القباب على اقاحة روضة * خطر النسيم بها ففاح عبيرا
وتركت قلبى سار بين حمولهم * دامى الكلوم يسوق تلك العيرا
هلا سألت اسيرهم هل عندهم * عان يفك ولو سألت غيورا
لا والذى جعل الغصون معاطفا * لهم وصاغ الاقحوان ثغورا
ما مر بى ريح الصبا من بعدهم * الا شهقت له فعاد سعيرا

ولما حضرته الوفاة كان ينشد

أقول لنفسى حين قابلها الردى * فراغت فرارا منه يسرى الى يمنى
قفى تحملى بعض الذى تكرهينه * فقد طالما اعتدت الفرار الى الاهنى

وتوفى في شهر رمضان المعظم سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة وقيل سنة خمس وعشرين وخمسمائة مسموما في باذنجانة بمدينة فاس رحمه الله تعالى وباجة بالباء الموحدة وبعد

الالف جيم مشددة ثم هاء ساكنة وهى الفضة بلغة الفرنج بالمغرب والتجيبى بضم التاء المثناة من فوقها وفتحها وكسر الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها باء موحدة هذه النسبة الى تجيب وهى ام عدى وسعد ابنى اشرس بن شبيب بن السكون نسب ولدها اليها وهى تجيب بنت ثوبان بن سليم بن مذحج والسرقسطى بفتح السين المهملة والراء وضم القاف وسكون السين الثانية وبعدها طاء مهملة هذه النسبة الى سرقسطة وهى مدينة بالاندلس خرج منها جماعة من العلماء واستولى عليها الفرنج سنة اثنتى عشرة وخمسمائة

الرفاء الرصافى

ابو عبد الله محمد بن غالب الرفاء الاندلسى الرصافى الشاعر المشهور له اشعار طريفة ومقاصد فى النظم لطيفة وشعره سائر فى الآفاق ومن اشهر شعره ابياته التى نظمها فى غلام صنعته النسج فاجاد فيها كل الاجادة وهى

قالوا وقد اكثروا فى حبه عذلى * لو لم تهم بمذال القدر مبتذل

فقلت لو كان أمرى فى الصبابة لى * لاخترت ذاك ولكن ليس ذلك لى

احببته حببى الثغر عاطره * حلو اللمى ساحر الاجفان والمقل

غزيلا لم تزل فى الغزل جائلة * بنانه جولان الفكر فى الغزل

جذلان يلعب بالمحواك انمله * على السدا لعب الايام بالدول

جذبا بكفيه او فحصا باخمصه * تخبط الظبى فى اشراك محتبل

وله غير هذا المقطوع اشياء رائقة فمن ذلك قوله فى غلام يبل عينيه بريقه ويظهر انه يبكى وليس بباك

عذيرى من جذلان يبكى كآبة * واضلعه مما يحاوله صفر

يبل مآقى زهرتيه بريقه * ويحكى البكا عمدا كما ابتسم الزهر

ويوهم أن الدمع بل جفونه * وهل عصرت يوما من النرجس الخمر

وله أيضا

ومهفهف كالغصن الا انه * تحير الالباب عند لقائه

أضحى ينام وقد تكلل خده * عرقا فقلت الورد رش بمائه

وتوفى فى شهر رمضان سنة اثنين وسبعين وخمسمائة بمدينة مالقة رحمه الله تعالى والرصافى بضم الراء وفتح الصاد المهملة وبعد الالف فاء هذه النسبة الى الرصافة وهى بليدة صغيرة بالاندلس عند بلنسية وبالاندلس أيضا بليدة أخرى صغيرة اسمها الرصافة وهى عند قرطبة انشاها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الاموى اول ملوك الاندلس من بنى امية ويعرف بالداخل لانه دخل الى الاندلس من بلاد الشام خوفا من أبى جعفر المنصور العباسى وقصته مشهورة فلما دخلها ملكها وبويع له بقرطبة يوم عيد الاضحى سنة ثمان وثلاثين ومائة وعمره يومئذ خمس وعشرون سنة وبنى هذه الرصافة وسماها

برصافة جده هشام بن عبد الملك بن مروان وهي بلدة مشهورة بالشام كذا قاله ياقوت الحموي الاتي ذكره ان شاء الله تعالى في كتابه المسمى بالمشترك وضعا المختلف صنعا وذكر ان الرصافة اسم تسع مواضع وعددها ولولا خوف التطويل لذكرتها غير انه لم يذكر رصافة بلنسية وبهذه الرصافة تكون عشرة مواضع والله تعالى أعلم

أبو بكر محمد بن أبي مروان عبد الملك بن أبي العلا زهر بن أبي مروان عبد الملك بن أبي بكر محمد بن مروان بن زهر الايادي الاندلسي الاشبيلي

كان من أهل بيت كلهم علماء رؤساء حكماء وزراء نالوا المراتب العلية وتقدموا عند الملوك ونفذت أوامرهم قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه المسمى المطرب من أشعار أهل المغرب وكان شيخنا أبو بكر يعني ابن زهر المذكور بمكان من اللغة مكين ومورد من الطب عذب معين كان يحفظ شعر ذي الرمة وهو ثلث لغة العرب مع الاشراف على جميع اقوال أهل الطب والمنزلة العليا عند أصحاب المغرب مع سمو النسب وكثرة الاموال والنشب صحبته زمانا طويلا واستفدت منه ادبا جليلا وانشدني من شعره

ومو سدين على الاكف خدودهم * قد غالهم نوم الصباح وغالني

مازلت اسقيهم واشرب فضلهم * حتى سكرت ونالهم ما نالني

والخمر تعلم حين تأخذ ثارها * اني أملت اناءها فأمالني

ثم قال سألته عن مولده فقال ولدت سنة سبع وخمسمائة وبلغني وفاته في آخر سنة خمس وتسعين وخمسمائة رحمه الله تعالى انتهى كلام ابن دحية قلت انا وقد ألم ابن زهر المذكور في هذه الابيات بقول الرئيس أبي غالب عبيد الله بن هبة الله بن صاعد وهو

عقرتهم مشمولة لو سالمت * شرابها ما سميت بعقار

ذكرت حقائدها القديمة اذ غدت * صرعى تداس بارجل العصار

لانت لهم حتى انتشوا وتمكنت * منهم وصاحت فيهم بالثار

ومن المنسوب اليه أيضا في كتاب جالينوس الحكيم المسمى حيلة البرء وهو من أجل كتبهم واكبرها قوله

حيلة البرء صنفت لعليل * يترجى الحياة اولعلة

فاذا جاءت المنية قالت * حيلة البرء ليس في البرء حيله

ومن شعر ابن زهر أيضا يتشوق الى ولد له صغير

ولي واحد مثل فرخ القطا * صغير تخلف قلبي لديه

نأت عنه داري فيا وحشتا * لذاك الشخيص وذاك الوجيه

تشوقني وتشوقته * فيبكي علي وابكي عليه

لقد تعب الشوق ما بيننا * فمنه الي ومني اليه

وله وقد شاخ وغلب عليه الشيب

اني نظرت الى المرآة اذ جليت * فانكرت مقلتاي كل مارأتا
رأيت فيها شيخا لست اعرفه * وكنت اعهده من قبل ذا الفتى
فقلت أين الذى بالامس كان هنا * متى ترحل عن هذا المكان متى
فاستضحكت ثم قالت وهي معجبة * ان الذى انكرته مقلتاك أتى
كانت سليمى تنادي يا أخي وقد * صارت سليمى تنادى اليوم يا أبتا

والبيت الاخير من هذه الابيات ينظر الى قول الاخطل الشاعر المشهور

واذا دعونك عمهن فانه * نسب يزيدك عندهن خبالا
واذا دعونك يا أخي فانه * ادنى واقرب خلة ووصالا

وأوصى انه اذا مات يكتب على قبره هذه الابيات وفيها اشارة الى طبه ومعالجته للناس وهي

تأمل بحقك يا واقفا * ولاحظ مكانا دفعنا اليه
تراب الضريح على وجنتي * كاني لم امش يوما عليه
اداوي الانام حذار المنون * وها أنا قد صرت رهنا لديه

وهذه المقاطيع انما أخذتها من افواه العلماء منسوبة الى ابن زهر المذكور والله اعلم بصحتها والعهدة عليهم فى نقلها وقال ابن دحية أيضا فى حقه والذى انفرد به شيخنا وانقادت لتخيله طباعه وصارت النبهاء فيه خوله وأتباعه الموشحات وهي زبدة الشعر ونخبته وخلاصة جوهره وصفوته وهي من الفنون التي اغربت بها اهل المغرب على أهل المشرق وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضياء المشرق واورد له موشحا حسنا وقال فى حق جده أبي العلاء زهر انه كان وزير ذلك الدهر وعظيمه وفيلسوف ذلك العصر وحكيمه وتوفي ممتحنا بعلة بين كتفيه سنة خمس وعشرين وخمسمائة بمدينة قرطبة ثم قال فى حق جد أبيه عبد الملك انه رحل الى المشرق وبه طبب زمانا طويلا وتولى رياسة الطب ببغداد ثم بمصر ثم بالقيروان ثم استوطن مدينة دانية وطار ذكره فيها الى اقطار الاندلس والمغرب واشتهر بالتقدم فى علم الطب حتى بذ أهل زمانه ومات بمدينة دانية ثم قال فى حق جد جده محمد بن مروان انه كان عالما بالرأى حافظا للادب فقيها حاذقا بالفتوى مقدما فى الشورى متفننا فى الفنون رسما فاضلا جمع الرواية والدراية وتوفى بطلبيرة سنة اثنين وعشرين واربعمائة وهو ابن ست وثمانين سنة حدث عنه جماعة من العلماء الاندلسيين ووصفوه بالدين والفضل والجود والبذل رحمه الله تعالى وقد تقدم الكلام على الايادى وعلى طلبيرة فلا حاجة الى الاعادة وزهر بضم الزاي وسكون الهاء وبعدها راء وذكر عماد الدين الكاتب فى كتاب الخريدة لابي الطيب بن البزاز فى بعض بني زهر قوله

قل للوبا انت وابن زهر * جاوزتما الحد فى النكايه
ترفقا بالورى قليلا * فواحد منكما كفايه

ثم وجدت هذين البيتين لابى بكر بن احمد بن محمد الابيض وانه توفى سنة اربع واربعين وخمسمائة وكنيته ابو زيد ولم يذكر اسمه رحمه الله تعالى والله أعلم

ابن الشاعر

أبو الفتيان محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس بن محمد بن المرتضى بن محمد بن الهيثم بن عدى بن عثمان الغنوى الملقب بصفى الدولة الشاعر المشهور

كان يدعى بالامير لان أباه كان من امراء المغرب وهو أحد الشعراء الشاميين المحسنين ومن فحولهم المجيدين له ديوان شعر كبير لقى بجماعة من الملوك والاكابر ومدحهم وأخذ جوائزهم وكان منقطعا الى بنى مرداس أصحاب حلب ذكر الجوهرى فى الصحاح فى فصل ردس المرداس حجر يرمى به فى البئر ليعلم أفيها ماء أم لا وبه سمى الرجل وله فيهم القصائد الانيقة وقصته مشهورة مع الامير جلال الدولة وصمصامها أبى المظفر نصر بن محمود بن شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس الكلابى صاحب حلب فانه كان قد مدح أباه محمود ابن نصر فاجازه الف دينار فلما مات وقام مقامه ولده نصر المذكور قصده ابن حيوس المذكور بقصيدته الرائية يمدحه بها ويعزيه عن أبيه وهى

كفى الدين عزا ما قضاه لك الدهر * فمن كان ذا نذر فقد وجب النذر

ومنها

ثمانية لم تفترق مذ جمعتها * فلا افترقت ماذب عن ناظر شفر
يقينك والتقوى وجودك والغنى * ولفظك والمعنى وعزمك والنصر

ويذكر فيها وفاة أبيه وتوليته الامر بعده بقوله

صبرنا على حكم الزمان الذى سطا * على انه لولاك لم يكن الصبر
عزانا بؤسى لا يماثلها الاسى * تقارن نعمى لا يقوم بها الشكر

ومنها

تباعدت عنكم حرفة لا زهادة * وسرت اليكم حين مسنى الضر
فلاقيت ظل الامن ماعنه حاجز * يصد وباب العز مادونه ستر
وطال مقامى فى اسار جميلكم * فدامت معاليكم ودام لى الاسر
وأنجزلى رب السموات وعده الـ * ـكريم بأن العسر يتبعه اليسر
فجاد ابن نصر لى بألف تصرمت * وانى عليم ان سيخلفها نصر
لقد كنت مأمولا ترجى لمثلها * فكيف وطوعا امرك النهى والامر
ومابى الى الالحاح والحرص حاجة * وقد عرف المبتاع وانفصل السعر
وانى بآمالى لديك مخيم * وكم فى الورى ثاو وآماله سفر
وعندك ما أبغى بقولى تصنعا * بايسر مانوليه يستعبد الحر

فلما فرغ من انشادها قال الامير نصر والله لو قال عوض قوله سيخلفها نصر سيضعفها نصر لاضعفتها له وأعطاه ألف دينار فى طبق فضة وكان قد اجتمع على باب الامير نصر المذكور جماعة من الشعراء وامتدحوه وتأخرت صلته عنهم ونزل بعد ذلك الامير نصر الى دار بولص النصرانى وكانت له عادة بغشيان منزله وعقد مجلس الانس عنده فجاءت الشعراء الذين تأخرت جوائزهم الى باب بولص وفيهم أبو الحسن أحمد بن محمد بن الدويدة المعرى الشاعر المعروف فكتبوا ورقة فيها أبيات اتفقوا على نظمها وقيل بل نظمها ابن الدويدة المذكور وسيروا الورقة اليه والابيات المذكورة هى

على بابك المحروس منا عصابة * مفاليس فانظر فى امور المفاليس

وقد قنعت منك الجماعة كلها * بعشر الذى اعطيته لابن حيوس

وما بيننا هذا التفاوت كله * ولكن سعيد لا يقاس بمنحوس

فلما وقف عليها الامير نصر أطلق لهم مائة دينار فقال والله لو قالوا بمثل الذى أعطيته لابن حيوس لأعطيتهم مثله وذكر العماد الكاتب فى الخريدة ان هذه الابيات لابى سالم عبد الله بن الحسن أحمد بن محمد بن الدويدة وانه كان يعرف بالواقى والله أعلم وكان الامير نصر سخيا واسع العطاء ملك حلب بعد وفاة أبيه محمود فى سنة سبع وستين واربعمائة ولم تطل مدته حتى ثار عليه جماعة من جنده فقتلوه فى ثانى شوال سنة ثمان وستين وأربعمائة وقد تقدم ذكر جد أبيه صالح بن مرداس فى حرف الصاد وقدم ابن حيوس حلب فى شوال سنة أربع وستين واربعمائة وداره بها هى الدار المعروفة الآن بالامير علم الدين سليمان بن حيدر ومن محاسن شعر ابن حيوس القصيدة اللامية التى مدح بها أبا الفضائل سابق بن محمود وهو أخو الامير نصر المذكور ومن مديحها قوله

طالما قلت للمسائل عنكم * واعتمادى هداية الضلال

ان ترد علم حالهم عن يقين * فالقهم فى مكارم او نزال

تلق بيض الوجوه سود مثار النـ * ـقع خضر الاكناف حمر النصال

وما أحسن هذا التقسيم الذى اتفق له وقد ألم فيه بقول أبى سعيد محمد بن محمد بن الحسين الرستمى الشاعر المشهور من جملة قصيدة يمدح بها الصاحب بن عباد المقدم ذكره فى حرف الهمزة وهى من فاخر الشعر وذلك قوله

من النفر العالين فى السلم والوغى * وأهل المعالى والعوالى وآلها

اذا نزلوا اخضر الثرى من نزولهم * وان نازلوا احمر القنا من نزالها

هذا والله الشعر الخالص الذى لا يشوبه شئ من الحشو وكان ابن حيوس المذكور قد أثرى وحصلت له نعمة ضخمة من بنى مرداس فبنى دارا بمدينة حلب وكتب على بابها من شعره

دار بنيناها وعشنا بها * فى نعمة من آل مرداس
قوم نفوا بؤسى ولم يتركوا * على للايام من باس
قل لبنى الدنيا ألا هكذا * فليصنع الناس مع الناس

وقيل ان هذه الابيات للامير الجليل أبى الفتح الحسن بن عبد الله بن عبد الجبار الحلبى المعروف بابن أبى حصينة وهو الصحيح ومن غرر قصائده السائرة قوله

هو ذا الربع المالكية فاربع * واسال مصيفا عافيا عن مربع
واستسق للدمن الخوالى بالحمى * غزر السحائب واعتذر عن ادمعى
فلقد فنين امام دان هاجر * فى قربه ووراء ناء مزمع
لو يخبر الركبان عنى حدثوا * عن مقلة عبرى وقلب موجع
ردى لنا زمن الكثيب فانه * زمن متى يرجع وصالك يرجع
لو كنت عالمة بادنى لوعتى * لرددت اقصى نيلك المسترجع
بل لو قنعت من الغرام بظاهر * عن مضمر بين الحشا والاضلع
اعتبت اثر تعتب ووصلت غب تجنب وبذلت بعد تمنع
ولو انى انصفت نفسى صنتها * عن ان اكون كطالب لم ينجع

ومنها

انى دعوت ندى الكرام فلم يجب * فلأشكرن ندى اجاب وما دعى
ومن العجائب والعجائب جمة * شكر بطىء عن ندى متسرع

ومن شعره أيضا

تفوا فى الفلا حيث انتهيتم تذمما * ولا تقتفوا من جار لما تحكما
ارى كل معوج المودة يصطفى * لديكم ويلقى حتفه من تقوما
فان كنتم لم تعدلوا اذ حكمتم * فلا تعدلوا عن مذهب قد تقدما
حنى الناس من قبل القسى لتقتنى * وثقف مياد القنا ليقوما
وما ظلم الشيب الملم بلمتى * وان بزنى حظى من الظلم واللمى
ومحجوبة عزت وعز نظيرها * وان اشبهت فى الحسن والعفة الدمى
اعنف فيها صبوة قط ما ارعوت * واسال عنها معلما ما تكلما
سلى عنه تخبر عن يقين دموعه * ولا تسألى عن قلبه اين يمما
فقد كان لى عونا على الصبر برهة * وفارقنى ايام فارقتم الحمى
فراق قضى ان لا تأسى بعد أن * مضى منجدا صبرى وأوغلت متهما
وفجعة بين مثل صرعة مالك * ويقبح بى ان لا اكون متمما
خليلى ان لم تسعدانى على الاسى * فما انتما منى ولا انا منكما
وحسنتما لى سلوة وتناسيا * ولم تذكرا كيف السبيل اليهما
سقى الله ايام الصبا كل هاطل * ملث اذا ما الغيث انجم انجما

وعيش

وعيشا سرقناه برغم رقيبنا * وقد مل من طول السهاد فهوّما

وهي طويلة (وحكى) الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق قال أنشدنا أبو القاسم علي بن ابراهيم العلوي من حفظه سنة سبع وخمسمائة قال دخل الامير أبو الفتيان بن حيوس بيتي ونحن بحلب وقال اروعني هذا البيت وهو في شرف الدولة مسلم بن قريش

انت الذي نفق الثناء بسوقه * وجرى الندى بعروقه قبل الدم

وهذا البيت في غاية المدح وقد تقدم في ترجمة أبي بكر بن الصائغ الاندلسي ذكر الابيات النونية وكونها منسوبة اليه وهي موجودة في ديوان ابن حيوس المذكور والله أعلم بجلية الحال فيها وكان أبو عبد الله أحمد بن محمد بن الخياط الشاعر المقدم ذكره قد وصل الى حلب في سنة اثنين وسبعين واربعمائة وبها يومئذ أبو الفتيان المذكور فكتب اليه ابن الخياط المذكور قوله

لم يبق عندي ما يباع بدرهم * وكفاك مني منظري عن مخبري

الا بقية ماء وجه صنتها * عن ان تباع واين اين المشتري

فقال لو قال وأنت نعم المشتري لكان أحسن وكانت ولادة ابن حيوس يوم السبت سلخ صفر سنة اربع وتسعين وثلثمائة بدمشق وتوفي في شعبان سنة ثلاث وسبعين واربعمائة بحلب وهو شيخ أبي عبد الله أحمد بن محمد المعروف بابن الخياط الشاعر المشهور وقد تقدم ذكر ذلك في ترجمته وحيوس بفتح الحاء المهملة والياء المشددة المثناة من تحتها المضمومة والواو الساكنة وبعدها سين مهملة وفي شعراء المغاربة ابن حبوس مثل الاول لكن بالباء الموحدة المخففة وانما ذكرته لئلا يتصحف على كثير من الناس بابن حيوس ورأيت خلقا كثيرا يتوهمون ان المغربي يقال له ابن حيوس أيضا وهو غلط والصواب ماذكرته والله تعالى اعلم

الابيوردي

أبو المظفر محمد بن أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي العباس أحمد بن اسحاق بن أبي العباس الامام محمد بن اسحاق وهو أبو الفتيان بن أبي الحسن بن مرفوعة بن منصور بن معاوية الاصغر ابن محمد بن أبي العباس عثمان بن عنبسة الاصغر بن عنبسة بن الاشرف ابن عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الاموي المعاوي الابيوردي الشاعر المشهور

كان من الادباء المشاهير راوية نسابة شاعرا ظريفا قسم ديوان شعره الى أقسام منها العراقيات ومنها النجديات ومنها الوجديات وغير ذلك وكان من أخبر الناس بعلم الانساب نقل عنه الحفاظ الاثبات الثقات وقد روى عنه الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي في غير موضع من كتابه الذي وضعه في الانساب وقال في حقه في ترجمة المعاوي انه كان أوحد زمانه في علوم عديدة وقد أوردنا عنه في غير موضع من هذا الكتاب اشياء وكان يكتب في نسبه المعاوي وأليق ما وصف به بيت أبي العلاء المعري

وانى وان كنت الاخير زمانه * لآت بما لم تستطعه الاوائل

انتهى كلام المقدسى بعد ان ذكر له أبياتا يفتخر بها الاضاجة بنا اليها وذكره أبو زكريا بن منده فى تاريخ اصبهان فقال فخر الرؤساء أفضل الدولة حسن الاعتقاد جميل الطريقة متصرف فى فنون جمة من العلوم عارف بانساب العرب فصيح الكلام حاذق فى تصنيف الكتب وافر العقل كامل الفضل فريد دهره وحيد عصره وكان فيه تيه وكبر وعزة نفس وكان اذا صلى يقول اللهم ملكنى مشارق الارض ومغاربها وذكره الحافظ ابن السمعانى فى كتاب الانساب فى ترجمة المعاوى وفى كتاب الذيل وقال كان ينسب الى معاوية الاصغر المتقدم ذكره فى عود نسبه واخبر عنه انه كتب رقعة الى أمير المؤمنين المستظهر بالله وعلى رأسها الخادم المعاوى فكره الخليفة مكاتبته بذلك فكشط الميم من المعاوى ورد الرقعة اليه فصار الخادم العاوى ومن محاسن شعره قوله

ملكنا اقاليم البلاد فأذعنت * لنا رغبة أو رهبة عظماؤها
فلما انتهت ايامنا علقت بنا * شدائد ايام قليل رخاؤها
وكان الينا فى السرور ابتسامها * فصار علينا فى الهموم بكاؤها
وصرنا نلاقى النائبات بأوجه * رقاق الحواشى كاد يقطر ماؤها
اذا ما هممنا ان نبوح بما جنت * علينا الليالى لم يدعنا حياؤها

وقوله أيضا

تنكر لى دهرى ولم يدر أننى * أعز وأحداث الزمان تهون
فبات يرينى الخطب كيف اعتداؤه * وبت أريه الصبر كيف يكون

ومن شعره أيضا

وهيفاء لا اصغى الى من يلومنى * عليها ويغرينى بها ان اعيبها
اميل باحدى مقلتى اذا بدت * اليها وبالاخرى اراعى رقيبها
وقد غفل الواشى ولم يدر اننى * اخذت لعينى من سليمى نصيبها

وله فى أبى النجيب عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار المراغى وكان من افراد زمانه فضلا وكان يستعمل فى شعره لزوم ما لا يلزم وكانت اقامته بثغر بحيرة وله

شعر المراغى وحرشيته * كعقله أجله أسقمه
يلزم ما ليس له لازما * لكنه يترك ما يلزمه

وله أيضا

ألميم ان لم تسمحى بزيارة * فخلا بجودى بالخيال الطارق
والله لا نمّ الوشاة ولا الثرى * بمقيلك فى ضمير العاشق

قلت ومن معنى البيت الاول أخذ سبط ابن التعاويذى الآتى ذكره قوله من جملة قصيدة

ان كنت ليلى بالسلام بخيلة * فرى الخيال يمر بى فيسلم

وعدي بوصلك في المنام لعلها * ترجو التلاقي مقلتي فتوهم

ومن نجدياته

نزلنا بنعمان الاراك وللندى * سقيط به ابتلت علينا المطارف
فبت اعاني الوجد والركب نوم * وقد أخذت مني السرى والتنائف
وأذكرخودا ان دعاني الى النوى * هواها اجابته الدموع الذوارف
لها في مغاني ذلك الشعب منزل * لئن انكرته العين فالقلب عارف
وقفت به والدمع اكثره دم * كاني من جفني بنعمان راعف

ومن معانيه البديعة قوله من جملة أبيات في وصف الخمرة

ولها من ذاتها طرب * فلهذا يرقص الحبب

وله من جملة قصيدة

فسد الزمان فكل من صاحبته * راج ينافق او مداج خاشي
واذا اختبرتهم ظفرت بباطن * متجهم وبظاهر هشاش

وهذا المعنى مأخوذ من قول أبي تمام الطاءى من جملة قصيدة أجاد فيها كل الاجادة

ان شئت ان يسود ظنك كله * فأجله في هذا السواد الاعظم
ليس الصديق بمن يعيرك ظاهرا * متبسما عن باطن متجهم

وقد خرجنا عن المقصود بالتطويل وله تصانيف كثيرة مفيدة منها تاريخ ابيورد وكتاب المختلف والمؤتلف وطبقات كل فن وما اختلف وأتلف في انساب العرب وله في اللغة مصنفات كثيرة لم يسبق الى مثلها وكان حسن السيرة جميل الاثر له معاملة صحيحة وكانت وفاة الابيوردي المذكور بين الظهر والعصر يوم الخميس لعشرين من ربيع الاول سنة سبع وخمسين وخمسمائة باصبهان مسموما وصلى عليه في الجامع العتيق بها رحمه الله تعالى والابيوردي بفتح الهمزة وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الواو وسكون الراء وبعدها دال مهملة هذه النسبة الى أبيورد ويقال لها اباورد وباورد وهي بليدة بخراسان خرج منها جماعة من العلماء وغيرهم وذكر السمعاني في كتاب الانساب في ترجمة الكوفني بضم الكاف وسكون الواو وفتح القاف وبعدها نون هذه النسبة الى كوفن وهي بليدة صغيرة على ستة فراسخ من ابيورد بخراسان بناها عبد الله بن طاهر وخرج منها جماعة من المحدثين والفضلاء منهم الاديب أبو المظفر محمد بن أحمد الكوفني المعروف بالاديب الابيوردي والله أعلم

ابن ابي الصقر

أبو الحسن محمد بن علي بن الحسن بن عمر المعروف بابن أبي الصقر الواسطي

كان فقيها شافعي المذهب تفقه على الشيخ أبي اسحاق الشيرازي رحمه الله تعالى لكنه غلب عليه الادب والشعر واشتهر به ورأيت له بدمشق ديوان شعر في الخزانة الاشرفية التي في الجامع المشهور في تربته شمال الكلاسة التي هي زيادة في الجامع الكبير والديوان مجلد

واحد وكان شديد التعصب للطائفة الشافعية وظهر ذلك فى قصائده المعروفة بالشافعية وله فى الشيخ أبى اسحاق الشيرازى مراث وكان كاملا فى البلاغة والفضل وحسن الانشاد وجودة الشعر وذكره أبو المعالى الحظيرى المقدم ذكره فى كتاب زينة الدهر واورد له عدة مقاطيع فمن ذلك قوله

كل رزق ترجوه من مخلوق * يعتريه ضرب من التعويق
وانا قائل وأستغفر الله * مقال المجاز لا التحقيق
لست أرضى من فعل ابليس شيأ * غير ترك السجود للمخلوق

وذكر له أيضا أبياتا وهى سائرة

وحرمة الود مالى عنكم عوض * لاننى ليس لى فى غيركم غرض
اشتاقكم وبودى لو يواصلنى * لكم خيال ولكن لست اغتمض
وقد شرطت على قوم صحبتهم * بأن قلبى لكم من دونهم فرضوا
ومن حديثى بكم قالوا به مرض * فقلت لا زال عنى ذلك المرض

وكان قد طعن فى السن وضعف عن المشى فصار يتوكأ على عصا فقال فى ذلك

كل أمر اذا تفكرت فيه * وتأملته رأيت ظريفا
كنت امشى على اثنتين قويا * صرت امشى على ثلاث ضعيفا

قلت ولى ابيات اشير فيها الى مثل هذا المعنى وهى

ياسائلى عن حالتى * خذ شرحها ملخصا
قد صرت بعد قوة * تنقص أصلاد الحصى
امشى على ثلاثة * اجودها فيها العصا

وله أيضا فى اعتذاره عن ترك القيام لاصدقائه

علة سميت ثمانين عاما * منعتنى للاصدقاء القياما
فاذا عمروا تمهد عذرى * عندهم بالذى ذكرت وقاما

وله فى كبره أيضا

ولما الى عشر تسعين صرت * ومالى اليها أب قبل صارا
تيقنت انى مستبدل * بدارى دارا وبالجار جارا
فتبت الى الله مما مضى * ولن يدخل الله من تاب نارا

وله أيضا وقد حضر عزاء صغير وهو يرتعش من الكبر فتغامز عليه الحاضرون كيف مات الصغير وبقى هذا الشيخ فى هذا السن فقال

اذا دخل الشيخ بين الشباب * عزاء وقد مات طفل صغير
رأيت اعتراضا على الله اذ * توفى الصغير وعاش الكبير
فقل لابن شهر وقل لابن الف * وما بين ذلك هذا المصير

وله أيضا فى ذلك

ابن أبي الصقر اسكر * وقال في حال الكبر

والله لولا بولة * تحرقني وقت السحر

لما ذكرت أن لي * ما بين فخذي ذكر

وله كل مقطوع مليح وكانت ولادته ليلة الاثنين ثالث عشر ذي القعدة سنة تسع واربعمائة وتوفي يوم الخميس رابع عشر جمادى الاولى سنة ثمان وتسعين واربعمائة بواسط رحمه الله تعالى

ابن الهبارية

الشريف أبو يعلى محمد بن محمد بن صالح بن حمزة بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن داود ابن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس المعروف بابن الهبارية الملقب نظام الدين البغدادي الشاعر المشهور

كان شاعرا مجيدا حسن المقاصد لكنه كان خبيث اللسان كثير الهجاء والوقوع في الناس لا يكاد يسلم من لسانه أحد وذكره العماد الكاتب في الخريدة فقال نظام الملك غلب على شعره الهجاء والهزل والسخف وسبك في قالب ابن الحجاج وسلك اساليبه وفاقه في الخلاعة والتلطف من شعره في غاية الحسن انتهى كلام العماد الكاتب وكان ملازما لخدمة نظام الملك أبي علي الحسن بن علي بن اسحاق وزير السلطان ألب ارسلان وولده ملك شاه وقد تقدم ذكره في حرف الحاء وله عليه الانعام التام والادرار المستمر وكان بين نظام الملك وتاج الملك أبي الغنائم بن دارست شحناء ومنافسة كما جرت العادة بمثله بين الرؤساء فقال أبو الغنائم لابن الهبارية ان هجوت نظام الملك فلك عندي كذا وأجزل له الوعد فقال كيف اهجو شخصا لا أرى في بيتي شيأ الا من نعمته فقال لا بد من هذا فعمل هذه الابيات

لا غرو ان ملك ابن اسحا * ق وساعده القدر

وصفت له الدنيا وخص * أبو الغنائم بالكدر

فالدهر كالدولاب * ليس يدور الا بالبقر

فبلغت الابيات نظام الملك فقال هو يشير الى المثل السائر على ألسنة الناس وهو قولهم أهل طوس بقر وكان نظام الملك من طوس وأغضى عنه ولم يقابله على ذلك بل زاد في افضاله عليه فكانت هذه معدودة من مكارم اخلاق نظام الملك وسعة حلمه وكان مع فرط احسان نظام الملك اليه يقاسي من غلمانه واتباعه شرمقاساة لما يعاملونه من بذاءة لسانه فلما اشتد عليه الحال منهم كتب الى نظام الملك

لذ بنظام الحضرتين الرضى * اذا بنو الدهر تحاشولك

واجل به عن ناظريك القذى * اذا لئام القوم اعشولك

واصبر على وحشة غلمانه * لا بد للورد من شوك

وذكر العماد الاصبهاني في الخريدة انه أنفذ هذه الابيات مع ولده الى نقيب النقباء على

ابن طراد الزينبي ولقب نظام الحضرتين أبو الحسن ومن شعره أيضا

وجهي يرق عن السؤا * ل وحالتي منه ارق
دقت معاني الفضل في * وحرفتي منه ادق

ومن معانيه الغريبة قوله في الرد على من يقول ان السفر به يبلغ الوطر

قالوا اقت وما رزقت وانما * بالسير يكتسب اللبيب ويرزق
فأجبتهم ما كل سير نافعا * الحظ ينفع لا الرحيل المقلق
كم سفرة نفعت واخرى مثلها * ضرت ويكتسب الحريص ويخفق
كالبدر يكتسب الكمال بسيره * وبه اذا حرم السعادة يمحق

وله أيضا

خذ جملة البلوى ودع تفصيلها * ما في البرية كلها انسان
واذا البيادق في الدسوت تفرزنت * فالراي ان يتبيدق الفرزان

وله على سبيل الخلاعة والمجون

يقول ابو سعيد اذ رآني * عفيفا منذ عام ما شربت
على يد أي شيخ تبت قل لي * فقلت على يد الافلاس تبت

وله في المعنى أيضا

رأيت في النوم عرسي وهي ممسكة * اذني وفي كفها شيء من الادم
معوج الشكل مسود به نقط * لكن اسفله في هيئة القدم
حتى تنبهت مثل القذال ولو * طال المنام على الشيخ الاديب عمي

وله أيضا

المجلس التاجي دام جماله * وجلاله وكماله بستان
والعبد فيه حمامة تغريدها * فيه المديح وطوقها الاحسان

وله أيضا

دعوه ما شاء نعل * سيان صد أو وصل
فكم رأينا قبلها * أسود من ذا ونصل

ومحاسن شعره كثيرة وله كتاب نتائج الفطنه في نظم كليلة ودمنه وقد سبق في ترجمة البارع الدباس في حرف الحاء ذكر الابيات الدالية وجوابها وما دار بينهما وسيأتي في ترجمة الوزير فخر الدولة محمد بن جهير واقعة لطيفة جرت له مع السابق الشاعر المعري ان شاء الله تعالى وديوان شعره كبير يدخل في اربع مجلدات ومن غرائب نظمه كتاب الصادح والباغم نظمه على اسلوب كليلة ودمنة وهو اراجيز وعدد بيوته ألفا بيت نظمها في عشر سنين ولقد أجاد فيه كل الاجادة وسير الكتاب على يد ولده الى الامير ابي الحسن صدقة بن منصور بن دبيس الاسدي صاحب الحلة المقدم ذكره في حرف الصاد

وختمه بهذه الابيات وهى

هذا كتاب حسن * يحار فيه الفطن
انفقت فيه مدة * عشر سنين عدده
منذ سمعت باسمكا * وضعته برسمكا
بيوته الفان * جميعها معان
لو ظل كل شاعر * وناظم وناثر
كعمر نوح التالد * فى نظم بيت واحد
من مثله لما قدر * ما كل من قال شعر
انفذته مع ولدى * بل مهجتى وكبدى
وانت عند ظنى * اهل لكل من
وقد طوى اليكا * توكلا عليكا
مشقة شديده * وشقة بعيده
ولو تركت جئت * سعيا وما ونيت
الى الفخار والعلا * ارثك من دون الملا

فأجزل عطيته وأسنى جائزته وتوفى ابن الهبارية المذكور بكرمان سنة اربع وخمسمائة هكذا قال العماد الكاتب الاصبهانى فى كتاب الخريدة بعد ان اقام مدة باصبهان وخرج الى كرمان وأقام بها الى آخر عمره وقال ابن السمعانى توفى بعد سنة تسعين واربعمائة والهبارية بفتح الهاء وتشديد الباء الموحدة وبعد الالف راء هذه النسبة الى هبار وهو جد أبى يعلى المذكور لأمه وكرمان بكسر الكاف وقيل بفتحها وسكون الراء وفتح الميم وبعد الالف نون وهى ولاية كبيرة تشتمل على مدن كبار وصغار وخرج منها جماعة من الاعيان وهى متصلة باطراف اعمال خراسان ومن جانبها الآخر البحر والله أعلم

ابن القيسرانى

ابو عبد الله محمد بن نصر بن صغير بن داغر بن محمد بن خالد بن نصر بن داغر بن عبد الرحمن بن المهاجر بن خالد بن الوليد المخزومى الخالدى الحلبى الملقب شرف الدين المعروف بابن القيسرانى هكذا أملى على نسبه بعض الاخوان الشاعر المشهور

وكان من الشعراء المجيدين والادباء المتفننين قرأ الادب على توفيق بن محمد وأبى عبد الله ابن الخياط الشاعر المقدم ذكره وكان فاضلا فى الادب وعلم الهيئة سمع بحلب من الخطيب أبى طاهر وهاشم بن احمد الحلبى وغيره وسمع منه الحافظان أبو القاسم بن عساكر وأبو سعد سفيان بن السمعانى وذكراه فى كتابيهما وكذلك أبو المعالى الحضيرى وذكره فى كتاب الملح أيضا وكان هو وابن منير المذكور فى حرف الهمزة شاعرى الشام فى ذلك العصر وجرت بينهما وقائع وماجريات وملح ونوادر وكان ابن منير ينسب الى التحامل على الصحابة رضى الله عنهم ويميل للتشيع فكتب اليه ابن القيسرانى المذكور وقد بلغه انه هجاه قوله

ابن منير هجوت منى * خيرا افاد الورى صوابه

ولم يضق بذاك صدرى * فاق لى اسوة الحجابه

ومن محاسن شعره قوله

كم ليلة بت من كاسى وريقته * نشوان أمزج سلسالا بسلسال

وبات لا يحتمى عنى مراشفه * كانما ثغره ثغر بلا وال

وظفرت بديوانه وجميعه بخطه وانا يومئذ بمدينة حلب ونقلت منه اشياء حسنة رائقة فمن ذلك قوله فى مدح خطيب

شرح المنبر صدرا * لتلقيك رحيبا

أترى ضم خطيبا * منك ام ضمخ طيبا

وهذا الجناس فى غاية الحسن ثم وجدت هذين البيتين لابى القاسم بن زيد بن أبى الفتح احمد بن عبيد بن فضل الموازينى الحلبى المعروف أبوه بالماهر وأن ابن القيسرانى المذكور انشدهما الخطيب بن هاشم لما تولى خطابة حلب فنسبا اليه ورأيت الاول على هذه الصورة وهو

قد زها المنبر عجبا * اذ رقيت خطيبا

وله فى الغزل

بالسفح من لبنان لى * قمر منازله القلوب

حلت محيته الشما * ل فردها عنى الجنوب

فرد الصفات غريبها * والحسن فى الدنيا غريب

لم انس ليلة قال لى * لما رأى جسدى يذوب

بالله قل لى يا فتى * ماتشتكى قلت الطبيب

وله أيضا

وقالوا لاح عارضه * وماولت ولايته

فقلت عذار من اهوى * امارته امارته

ومن معانيه البديعة قوله من جملة قصيدة رائقة

هذا الذى سلب العشاق نومهم * اماترى عينه ملأى من الوسن

وهذا البيت يشار الى قول المتنبى فى مدح سيف الدولة بن حمدان

نهبت من الاعمار مالوحويته * لهنئت الدنيا بانك خالد

وكان كثير الاعجاب بقوله من جملة قصيدة

وأدرى الذى اهوى له البدر ساجدا * ألست ترى فى وجهه اثر الترب

وحضر مرة فى سماع وكان المغنى حسن الغناء فلما طربت الجماعة وتواجدوا قال

والله لو انصف العشاق انفسهم * فدوك منها بما عزوا وما صانوا

ماأنت حين تغنى فى مجالسهم * الا نسيم الصبا والقوم اغصان

وانشدنى

وانشدني صاحبنا الفخر اسحاق بن المختص الاربلي لنفسه دوبيت واخبرني انه كان في مجلس وفيه جماعة من ارباب القلوب فلما طابت الجماعة كان هناك فرش منضودة على كراسي فتساقطت قال فعملت في الحال

داعي النغمات حلقة الشوق طرق * وهنا فأجابته شجون وحرق
لو اسمع صخرة لخرت طربا * من نغمته فكيف قطن وخرق

وكانت ولادة ابن القيسراني المذكور سنة ثمان وسبعين واربعمائة بعكا وتوفي ليلة الاربعاء الحادي والعشرين من شعبان سنة ثمان واربعين وخمسمائة بمدينة دمشق ودفن بمقبرة باب الفراديس رحمه الله تعالى والخالدي بفتح الخاء المعجمة وبعد الالف لام ثم دال مهملة هذه النسبة الى خالد بن الوليد المخزومي رضي الله عنه هكذا يزعم أهل بيته واكثر المؤرخين وعلماء الانساب يقولون ان خالدا رضي الله عنه لم يتصل نسبه بل انقطع منذ زمان والله أعلم والقيسراني بفتح القاف وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح السين المهملة والراء وبعد الالف نون هذه النسبة الى قيسارية وهي بليدة بالشام على ساحل البحر

ابن الكيزاني

ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ثابت بن ابراهيم بن فرج الكناني المقرى الاديب الشافعي الخامي المصري المعروف بابن الكيزاني الشاعر المشهور

كان زاهدا ورعا وبمصر طائفة ينسبون اليه و يعتقدون مقالته وله ديوان شعر أكثره في الزهد ولم أقف عليه وسمعت له بيتا واحدا أعجبني وهو

واذا لاق بالمحب غرام * فكذا الوصل بالحبيب يليق

وفي شعره اشياء حسنة وتوفي ليلة الثلاثاء التاسع من شهر ربيع الاول وقيل بل توفي في المحرم سنة اثنين وستين وخمسمائة بمصر ودفن بالقرب من قبة الامام الشافعي رضي الله عنه بالقرافة الصغرى ثم نقل الى سفح المقطم بقرب الحوض المعروف بام مودود وقبره مشهور هناك يزار وزرته مرارا رحمه الله تعالى والكيزاني بكسر الكاف وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الزاي و بعد الالف نون هذه النسبة الى عمل الكيزان و بيعها وكان بعض اجداده يصنع ذلك والله أعلم

الابله البغدادي

أبو عبد الله محمد بن بختيار بن عبد الله المولد المعروف بالابله البغدادي الشاعر المشهور احد المتأخرين المجيدين جمع في شعره بين الصناعة والرقة وله ديوان شعر بايدي الناس كثير الوجود وذكره العماد الكاتب الاصبهاني في كتابه الذي سماه الخريدة فقال هو شاب ظريف يتزيا بزي الجند رقيق اسلوب الشعر حلو الصناعة رائق البراعة عذب اللفظ ارق من النسيم السحري واحسن من الوشي التستري وكل ما ينظمه ولو انه يسير يسير والمغنون يغنون برائقات أبياته عن أصوات القدماء فهم يتهافتون على نظمه المطرب تهافت الطير الحوم على عذب المشرب ثم قال انشدني لنفسه من قصيدة سنة خمس

وخمسين وخمسمائة ببغداد

زار من أحيا بزورته * والدجى فى لون طرته
قمر يثنى معاطفه * بانة فى طى بردته
بت استجلى المدام على * غرة الواشى وغرته
يالها من زورة قصرت * فأماتت طول جفوته
آه من خصر له وعلى * رشفة من برد ريقته
يا له فى الحسن من صنم * كلنا من جاهليته

ومن ابياته السائرة قوله من جملة قصيدة أنيقة

لا يعرف الشوق الا من يكابده * ولا الصبابة الا من يعانيها

ومن رقيق شعره قوله فى الغزل من قصيدة

دعنى أكابد لوعتى وأعانى * اين الطليق من الاسير العانى
اليت لا ادع الملام بغدرتى * من بعد ما أخذ الغرام عنانى
اولا تروض العاذلات وقد أرى * روضات حسن فى خدود حسان
والبدر يلتمس السلو ولم ازل * حتى الصبابة ميت السلوان
يا برق ان تجف العقيق فطالما * اغنته عنك سحائب الاجفان
هيهات ان انسى وربك وقفة * فيها اغير بها على الغيران
ومهفهف ساجى اللحاظ حففته * فاضاعنى واطعته فعصانى
يصمى قلوب العاشقين بمقلة * طرف السنان وطرفها سيان
خنث الدلال بشعره وبثغره * يوم الوداع اضلنى وهدانى
ما قام معتدلا يهز قوامه * الا وبانت خجلة فى البان
يا اهل نعمان الى وجناتكم * تعزى الشقائق لا الى نعمان
ما يفعل المران من يد قلب * فى القلب فعل مرارة الهجران

وهى قصيدة طويلة ومديحها جيد وجميع شعره على هذا الاسلوب والنسق وتخالصه من الغزل الى المدح فى نهاية الحسن وقل من يلحقه فيها فمن ذلك قوله من قصيدة اولها

جنيت جنى الورد من ذلك الخد * وعانقت غصن البان من ذلك القد

فلما انتهى الى تخلصها قال

لئن وقرت يوما بسمعى ملامة * لهند فلا عفت الملامة فى هند
ولا وجدت عينى سبيلا الى البكا * ولا بت فى اسر الصبابة والوجد
وبعت بما القى ورحت مقابلا * سماحة مجد الدين بالكفر والجحد

وقوله من قصيدة أخرى

فلا وجد سوى وجدى بليلى * ولا مجد كمجد ابن الدوامى

وقوله فى قصيدة اخرى

فاقسم انى فى الصبابة واحد * وان كمال الدين فى الجود واحد

الى غير ذلك وكانت وفاته على ما قاله ابن الجوزى فى تاريخه فى جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وقال غيره سنة ثمانين وخمسمائة ببغداد ودفن فى باب ابرز بمحاذى الناحية رحمه الله تعالى والابله معروف فلا حاجة الى ضبطه وانما قيل له ابله لانه كان فيه طرف بله وقيل لانه كان فى غاية الذكاء وهو من أسماء الاضداد كما قيل للاسود كافور وكان له ميل الى بعض أبناء البغاددة فعبر على باب داره فوجد خلوة فكتب على الباب قال العماد الكاتب وانشدنيه

دارك يا بدر الدجى جنة * بغيرها نفسى ما تلهو

وقد روى فى خبر ان اكثر أهل الجنة البله ولابن التعاويذى المذكور بعده فيه هجاء افحش فيه فأضربت عن ذكره مع انها ابيات جيدة والله أعلم

ابو الفتح محمد بن عبيد الله بن عبد الله الكاتب المعروف بابن التعاويذى الشاعر المشهور

كان ابوه مولى لابن المظفر واسمه نشتكين فسماه ولده المذكور عبيد الله وهو سبط أبى محمد المبارك بن المبارك بن على بن نصر السراج الجوهرى الزاهد المعروف بابن التعاويذى وانما نسب الى جده المذكور لانه كفله صغيرا ونشأ فى حجره فنسب اليه وكان أبو الفتح المذكور شاعر وقته لم يكن فيه مثله جمع شعره بين جزالة الالفاظ وعذوبتها ورقة المعانى ودقتها وهو فى غاية الحسن والحلاوة وفيما أعتقده لم يكن قبله بمائتى سنة من يضاهيه ولا يؤاخذنى من يقف على هذا الفصل فان ذلك يختلف بميل الطباع ولله در القائل

* وللناس فيما يعشقون مذاهب *

وكان كاتبا بديوان المقاطعات ببغداد وعمى فى آخر عمره سنة ٥٧٩ وله فى عماه أشعار كثيرة يرثى بها عينيه ويندب زمان شبابه وتصرفه وكان قد جمع ديوانه بنفسه قبل العمى وعمل له خطبة ظريفة ورتبه اربعة فصول وكل ما جدده بعد ذلك سماه الزيادات فلهذا يوجد ديوانه فى بعض النسخ خاليا من الزيادات وفى بعضها مكملا بالزيادات ولما عمى كان باسمه راتب فى الديوان فالتمس ان ينقل باسم اولاده فلما نقل كتب الى الامام الناصر لدين الله هذه الابيات يسأله ان يجدد له راتب مدة حياته وهى

خليفة الله انت بالدين والد * نيا وامر الاسلام مطلع

انت لما سنه الائمة اعـ * ـلام الهدى مقتف ومتبع

قد عدم العدم فى زمانك * والجور معا والخلاف والبدع

فالناس فى الشرع والسياسة * والاحسان والعدل كلهم شرع

يا ملكا يردع الحوادث والايـ * ـام عن ظلمها فترتدع

ومن له انم مكررة * لنا مصيف منها ومرتبع
ارضى قد أجدبت وليس لمن * اجدب يوما سواك منتجع
ولى عيال لادر درهم * قد اكلوا دهرهم وما شبعوا
اذا رأونى ذا ثروة جلسوا * حولى ومالوا الى واجتمعوا
وطالما قطعوا حبالى * اعراضا اذا لم تكن معى قطع
يمشون حولى شتى كأنهم * عقارب كلما سعوا لسعوا
فنهم الطفل والمراهق والر * ضيع يحبو والكهل واليفع
لا فارح منهم اوتل ان * يسألنى خبزه ولا جذع
لهم حلوق تفضى الى معد * تحمل فى الاكل فوق ما تسع
من كل رحب المعى أجوفه * تارى الحشا لا يعيه الشبع
لا يحسن المضغ فهو يترك فى * فيه بلا كلفة ويبتلع
ولى حديث يلهو ويعجب من * يوسع لى خلقه فيستمع
نقلت رسمى جهلا الى ولد * لست بهم ما حييت انتفع
نظرت فى نفعهم وما انا فى اجتلاب نفع الاولاد مبتدع
وقلت هذا بعدى يكون لكم * فما اطاعوا امرى ولا سمعوا
واختلسوه منى فما تركوا * عينى عليه ولا يدى تقع
فبئس والله ما صنعت فاضررت بنفسى وبئس ما صنعوا
فان اردتم امرا يزول به * الخصام من بيننا ويرتفع
فاستأنفوا الى رسما اعود به * على ضنك معاشى به فينسع
وان زعمتم انى اتيت بها * خديعة فالكريم ينخدع
حاشا الرسم الكريم ينسخ من * نسخ دواوينكم فينقطع
فوقعوا لى بما سألت فقد * اطمعت نفسى واستحكم الطمع
ولا تطيلوا معى فلست ولو * دفعتمونى بالراح أندفع
وحلفونى ان لا تعود يدى * ترفع فى نقله ولا تضع

فما ألطف ما توصل به الى بلوغ مقصوده بهذه الابيات التى لو مرت بالجماد لاستمالته وعطفته فأنعم عليه أمير المؤمنين بالراتب فكان يصله بصلة من الخشكار الردى فكتب الى فخر الدين صاحب المخزن ابياتا يشكو من ذلك اولها

مولاى فخر الدين أنت الى الندى * عجل وغيرك محجم متباطى

ومنها

حاشاك ترضى أن تكون جرايتى * بكراية البواب والنفاط
سوداء مثل الليل سعر قفيزها * ما بين طسوج الى قيراط

اخنت على الحادثات وافرطت * فى الرداءة ايما افراط
قد كدرت جسمى المنى وغيرت * طبعى السليم وعفنت اخلاطى
فتول تدبيرى فقد انهيت ما * اشكوه من مرضى الى بقراط

وكان وزير الديوان العزيز شرف الدين أبو جعفر أحمد بن محمد بن سعيد بن ابراهيم التميمى وزير الامام المستنجد بالله المعروف بابن البلدى وقد عزل ارباب الدواوين وحبسهم وحاسبهم وصادرهم وعاقبهم ونكل بهم فعمل سبط ابن التعاويذى المذكور فى ذلك قوله

ياقاصدا بغداد حد عن بلدة * للجور فيها زخرة وعباب
ان كنت طالب حاجة فارجع فقد * سدت على الراجى بها الابواب
ليست ومابعد الزمان كعهدها * ايام يعمر ربعها الطلاب
وتحلها الرؤساء من ساداتها * والجلة الادباء والكتاب
والدهر فى اولى حداثته وللا * يام فيه نضرة وشباب
والفضل فى سوق الكرام يباع بالـ * ـغالى من الاثمان والاداب
بادت واهلوها معا فبيوتهم * ببقاء مولانا الوزير خراب
وارتهم الاجداث أحياء تها * ل جنادل من فوقهم وتراب
فهم خلود فى محابسهم يصـ * ـب عليهم بعد العذاب عذاب
لا يرتجى منها ايابهم وهل * يرجى لسكان القبور اياب
والناس قد قامت قيامتهم فلا * انساب بينهم ولا اسباب
والمرء يسلمه ابوه وعرسه * ويخونه القرباء والاحباب
لا شافعا تغنى شفاعته ولا * جان له مما جناه متاب
شهدوا معادهم فعاد مصدقا * من كان قبل بعثه يرتاب
حشر وميزان وعرض جرائد * وصحائف منشورة وحساب
وبها زبانية تبث على الورى * وسلاسل ومقامع وعذاب
مافاتهم من كل ماوعدوا به * فى الحشر الا راحم وهاب

وله فى الوزير المذكور

يارب اشكو اليك ضرا * أنت على كشفه قدير
أليس صرنا الى زمان * فيه أبو جعفر وزير

وذكر محب الدين المعروف بابن النجار فى تاريخ بغداد ان الامام المستنجد بالله توفى يوم الاثنين ثامن شهر ربيع الآخر سنة ست وخمسمائة وتولى بعده ولده المستضئ بامر الله وجلس للمبايعة يوم الثلاثا ثانى اليوم المذكور وخرج استاذ الدار عضد الدين أبو الفرج المذكور عقيب هذا ومعه ابن السبتى فقال له ان الخليفة قد تقدم

ان يستوفى القصاص من هذا واشار الى الوزير فأخذ وسحب وقطع انفه ويده ورجله ثم ضربت رقبته وجمع فى ترس والقى فى دجلة وكان هذا الوزير قد قطع انف ام البنتى المذكور ويد أخيه ورجله فى أيام ولايته فاقتص منه فى هذا اليوم نعوذ بالله من سوء العاقبة وكتب سبط ابن التعاويذى الى عضد الدين أبى الفرج محمد بن المظفر وهو من ابناء مواليه يطلب منه شعرا لقرمته وهو الذى فعل بالوزير ابن البلدى تلك الفعلة المذكورة قبل هذا

مولاى يامن له اياد * ليس الى عدها سبيل
ومن اذا قلت العطايا * بجوده وافر جزيل
اليه ان جارت الليالى * نأوى وفى ظله نقيل
ان كيتى العتيق سنا * له حديث معى يطول
كان شراءى له فضولا * فاعجب لما يجلب الفضول
ظننته حاملا رحلى * فخاب ظنى به الجميل
ولم اخل للشقاء انى * لثقل أعبائه حمول
فان اكن عالباء عليه * فهو على كاهلى ثقيل
ازحل كاليوم ليس فيه * خير كثير ولا قليل
ليس له مخبر حميد * ولا له منظر جميل
وهو حرون وفيه بطء * ولا جواد ولا ذلول
لاكفل معجب لراء * اذا رآه ولا تليل
مقصر انمشى ولكن * ان حضر الاكل مستطيل
يعجبه التبن والشعير المشغول والقت والقصيل
اذا رأى عكرشا رأيت اللعاب من شدقه يسيل
وليس فيه من المعانى * شىء سوى انه اكول
فهب له اليوم مانسنى * وهبه من بعض ماتنيل
ولاتقل ان ذا قليل * فالجل فى عينه جليل

وانما اوردت هذه المقاطيع من شعره لكونها مستعملة وأما قصائده المشتملة على النسيب والمدح فانها فى غاية الحسن وصنف كتابا سماه الحجبة والحجاب يدخل فى مقدار ثلاثة عشر كراسة واطال الكلام فيه وهو قليل الوجود وذكر العماد الاصبهانى فى كتاب الخريدة ان ابن التعاويذى المذكور كان صاحبه لما كان بالعراق فلما انتقل العماد الى الشام واتصل بخدمة السلطان صلاح الدين كتب اليه ابن التعاويذى رسالة وقصيدة يطلب منه فروة وذكر الرسالة وهى وقد كلف مكارمه وان لم يكن للعود عليها كلفة والحنة عاوجوه اليه من امله وهو لعمر الله تحفه اهدى فروة مشتبه تمرية نقية بلين

لبسها ويزين لابسها دباغتها لطيفه وخياطتها الطيفه طويلة كطوله سابغة كانعمه حالية كذكره جميلة كفعله واسعة كصدره نقية كعرضه رفيعة كقدره موشية كنظمه ونثره ظاهرها كظاهره وباطنها كباطنه يتجمل بها اللابس ويتحلى بها المجالس وهي لخادمه سربال ولاحرس الله مجده جمال يشكره عليها من لم يلبسها ويثني عليه بها من لم يتدرعها يذهب خملة وبرها ويبقى جيدة اثرها ويخلق اهابها وجلدها ويتجدد شكرها وحمدها وقد نظم ابياتا اركب في نظمها الغرر واهدى بها التمر الى هجر الا انه قد عرض الطيب على عطاره ووضع الثوب في يد بزازه وأحل الثناء في محله وجمع بين الفضل واهله وهو في حسنه وخفارة كرمه ثم ذكر القصيدة التي اولها

بأبي من ذبت في الحب له شوقا وصبوه

وهي موجودة بايدي الناس في ديوانه وكتب العماد جواب القصيدة على هذا الروي أيضا وهما طويلتان وذكر العماد الكاتب قبل ذكر الرسالة والقصيدة في حقه فقال هو شاب فيه فضل وآداب ورياسة وكياسة ومروه وابوة وفتوه جمعني واياه صدق العقيدة في عقد الصداقه وقد كانت به اسباب الظرف واللطف واللباقه ثم أتى بالرسالة والقصيدة وجوابها وهذه الرسالة لم أرمثلها في بابها سوى ماسيأتي في ترجمة بهاء الدين بن شداد في حرف الياء ان شاء الله تعالى فان ابن خروف المغربي كتب اليه رسالة بديعة يستجديه فروة مرط وكانت ولادة اعني ابن التعاويذي المذكور في العاشر من رجب يوم الجمعة سنة تسع عشرة وخمسمائة وتوفي في ثاني شوال سنة أربع وقيل ثلاث وثمانين وخمسمائة ببغداد ودفن في باب أبرز رحمه الله تعالى وقال ابن النجار في تاريخه مولده يوم الجمعة ومات يوم السبت ثامن عشر شوال والتعاويذي بفتح التاء المثناة من فوقها والعين المهملة وكسر الواو وبعد الف وبعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة ثم ذال معجمة هذه النسبة الى كتبة التعاويذ وهي الحروز واشتهر بها أبو محمد المبارك ابن المبارك بن السراج التعاويذي البغدادي الزاهد المتقدم ذكره في اول هذه الترجمة وكان صالحا ذكره ابن السمعاني في كتاب الذيل وكتاب الانساب وقال لعل أباه كان يرقي ويكتب التعاويذ وسمع منه ابن السمعاني المذكور وقال سألته عن مولده فقال ولدت في سنة ست وتسعين واربعمائة بالكرخ وتوفي في جمادى الاولى سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ودفن بمقبرة الشونيزي رحمه الله تعالى وقال السمعاني أنشدني أبو محمد المبارك المذكور لنفسه قوله

اجعل همومك واحدا * وتخل عن كل الهموم
فعساك ان تحظى بما * يغنيك عن كل العلوم

ثم قال ابن التعاويذي ماقلت من الشعر غير هذين البيتين ونشتكين بضم النون وسكون الشين المعجمة وكسر التاء المثناة من فوقها والكاف وبعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة ثم نون وهو اسم اعجمي تسمى به المماليك وقد تقدم في اول الترجمة انه كان من مماليك

احمد بن المظفر رئيس الرؤساء ولهم فيه مدائح بديعة وافرد مدائحهم فى فصل من الفصول الاربعة المرتبة فى ديوانه لكونهم مواليه وكانوا يحسنون اليه والله أعلم

ابو الغنائم محمد بن على بن فارس بن على بن عبد الله بن الحسين بن القاسم المعروف بابن المعلم الواسطى الهرثى الملقب نجم الدين الشاعر المشهور

وكان شاعرا رقيق الشعر لطيف حاشية الطبع يكاد شعره يذوب من رقته وهو أحد من سار شعره وانتشر ذكره ونبه بالشعر قدره وحسن به حاله وأمره وطال فى نظم القريض عمره وساعده على قوله زمانه ودهره واكثر القول فى الغزل والمدح وفنون المقاصد وكان سهل الالفاظ صحيح المعانى يغلب على شعره وصف الشوق والحب وذكر الصبابة والغرام فعلق بالقلوب ولطف مكانه عند اكثر الناس ومالوا اليه وحفظوه وتداولوه بينهم واستشهد به الوعاظ واستحلاه السامعون سمعت من جماعة من مشايخ البطائح يقولون ما سبب لطافة شعر ابن المعلم الا انه كان اذا نظم قصيدة حفظها الفقراء المنتسبون الى الشيخ أحمد بن الرفاعى المتقدم ذكره فى حرف الهمزة وغنوا بها فى سماعهم وطابوا عليها فعادت عليه بركة انفاسهم ورأيتهم يعتقدون ذلك اعتقاد الاشك عندهم فيه وبالجملة فشعره يشبه النوح ولا يسمعه من عنده ادنى هوى الا افتتن وهاج غرامه وكان بين ابن المعلم المذكور وبين ابن التعاويذى المذكور قبله تنافس وهجاه ابن التعاويذى بابيات جيدة لا حاجة الى ذكرها ولابن المعلم قصيدة طويلة اولها

ردوا على شوارد الاظعان * ما الدار ان لم تغن من اوطان
ولكم بذاك الجذع من متمنع * هزأت معاطفه بغصن البان
ابدى تلونه باول موعد * فمن الوفى لنا بوعد ثانى
فتى اللقاء ودونه من قومه * ابناء معركة وأسد طعان
نشلوا الرماح وما اظن اكفهم * خلقت لغير ذوابل المران
وتقلدوا بيض السيوف فمارى * فى الحى غير مهند وسنان
ولئن صددت فمن مراقبة العدا * ما الصد عن ملل ولا سلوان
ياساكنى نعمان اين زماننا * بطويلع ياساكنى نعمان

وله من اخرى

كم قلت اياك العقيق فانه * شرك جآ ذره بصيد أسوده
واردت صيد مهاالحجاز فلم يسا * عدك القضاء فرحت بعض صيوده

وله من اخرى

اجيراننا ان الدموع التى جرت * رخاصا على ايدى النوى لغوالى
اقيموا على الوادى ولو عمر ساعة * كلوث ازار أو كحل عقال
فكم ثم لى من وقفة لو شريتها * بنفسى لم اغبن فكيف بمالى

وله

وله من اخرى

قسما بما ضمت عليه شفاههم * من قرقف فى لؤلؤ مكنون

ان شارف الحادى العذيب لأقضين * نحبى ومن لى ان تبر يمينى

لولم يكن آثار ليلى والهوى * بتلاعه مارحت كالمجنون

وكان سبب عمل هذه القصيدة ان ابن المعلم المذكور والابله وابن التعاويذى المذكورين قبله لما وقفوا على قصيدة صردر المقدم ذكره فى حرف العين التى اولها

اكذا يجازى ود كل قرين * ام هذه شيم الظباء العين

وهى من نخب القصائد اعجبتهم فعمل ابن المعلم من وزنها هذه القصيدة وعمل ابن التعاويذى من وزنها قصيدة أبدع منها وأرسلها الى السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى وهو بالشام يمدحه بها واولها

ان كان دينك فى الصبابة دينى * فقف المطى برملتى يبرين

وعمل الابله قصيدة أخرى وأحسن الكل قصيدة ابن التعاويذى وحكى عن ابن المعلم المذكور انه قال كنت ببغداد فاجتزت يوما بالموضع الذى يجلس فيه أبو الفرج بن الجوزى للوعظ فرأيت الخلق مزدحمين فسألت بعضهم عن سبب الزحام فقال هذا ابن الجوزى الواعظ جالس ولم اكن علمت بجلوسه فزاحمت وتقدمت حتى شاهدته وسمعت كلامه وهو يعظ حتى قال مستشهدا على بعض اشاراته ولقد أحسن ابن المعلم حيث يقول

يزداد فى مسمعى تكرار ذكركم * طيبا ويحسن فى عينى تكرره

فعجبت من اتفاق حضورى واستشهاده بهذا البيت من شعرى ولم يعلم بحضورى لا هو ولا غيره من الحاضرين وهذا البيت من جملة قصيدة له مشهورة وفى وقعة الجمل على البصرة قبل مباشرة الحرب ارسل على بن أبى طالب رضى الله عنه ابن عمه عبد الله بن العباس رضى الله عنهما الى طلحة والزبير رضى الله عنهما برسالة يكفهما عن الشروع فى القتال ثم قال له لا تلقين طلحة فانك ان تلقه تجده كالثور عاقصا انفه يركب الصعب ويقول هو الذلول ولكن الق الزبير فانه آلين عريكة منه وقل له يقول لك ابن خالك عرفتنى بالحجاز وانكرتنى بالعراق فما عدا مما بدا وعلى رضى الله عنه اول من نطق بهذه الكلمة فاخذ ابن المعلم المذكور هذا الكلام وقال

منحوه بالجذع السلام وأعرضوا * بالغور عنه فما عدا مما بدا

وهذا البيت من جملة قصيدة طويلة ورسالة نقلها فى كتاب نهج البلاغة ولابن المعلم فى أثناء قصيدة أيضا

يوهى قوى جلدى من لا ابوح به * ويستبيح دمى من لا اسميه

قسما فما فى لسانى ما يعاتبه * ضعفا بلى فى فؤادى ما يقاسيه

ولا حاجة الى الاطالة بذكر فرائده مع شهرة ديوانه وكثرة وجوده بأيدى الناس وكانت
ولادته فى ليلة سابع عشر جمادى الآخرة سنة أحدى وخمسمائة وتوفى رابع رجب
سنة اثنين وتسعين وخمسمائة بالهرث رحمه الله تعالى والهرث بضم الهاء وسكون الراء
وبعدها ثاء مثلثة وهى قرية من أعمال نهر جعفر بينها وبين واسط نحو عشرة فراسخ
وكانت وطنه ومسكنه الى ان توفى بها رحمه الله تعالى

ابو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن قائد الملقب موفق الدين الاربلى اصلا ومنشأ
الصرانى مولدا الشاعر المشهور

كان اماما مقدما فى علم العربية مفننا فى أنواع الشعر ومن اعلم الناس
بالعروض والقوافى واحذقهم بنقد الشعر واعرفهم بجيده من رديئه وادقهم نظرا
فى اختياره واشتغل بشىء من علوم الاوائل وحل كتاب اقليدس وبدأ بنظم الشعر
وهو صبى صغير بالبحرين جريا على عادة العرب قبل ان يشتغل فى الادب وهو شيخ أبى
البركات بن المستوفى صاحب تاريخ اربل المتقدم ذكره وعليه اشتغل بعلوم الشعر وبه
تخرج وقد ذكره فى تاريخه وعدد فضائله وقال كان شيخنا أبو الحرم مكى الماكسينى
النحوى وسيأتى ذكره ان شاء الله تعالى يراجعه فى كثير من المسائل المشكلة فى النحو
وكان يرجع اليه فى اجوبة ما يورد عليه وكان قد رحل الى شهرزور وأقام بها مدة ثم
رحل الى دمشق ومدح السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى بقصيدة طويلة وله ديوان
شعر جيد ورسائل حسنة وكان فى الشعر فى طبقة معاصريه ممن تقدم ذكرهم
ومن شعره قصيدة يمدح بها زين الدين أبا المظفر يوسف بن زين الدين صاحب اربل وقد
تقدم ذكره فى ترجمة أخيه مظفر الدين فى حرف الكاف واولها

رب دار بالغضا طال بلاها * عكف الركب عليها فبكاها
درست الا بقايا اسطر * سمح الدهر بها ثم محاها
كان لى فيها زمان وانقضى * فسقى الله زمانى وسقاها
وقفت فيها الغوادى وقفة * ألصقت حر حشاها بثراها
وبكت اطلالها نائبة * عن جفونى احسن الله جزاها
قل لجيران مواثيقهم * كلما احكمتها رثت قواها
كنت مشغوفا بكم اذ كنتم * شجرا لا يبلغ الطير ذراها
لا تبيت الليل الا حولها * حرس ترشح بالموت ظباها
واذا مدت الى أغصانها * كف جان قطعت دون جناها
فتراخى الامر حتى أصبحت * هملا يطمع فيها من يراها
تخصب الارض فلا اقربها * رائدا الا اذا عز حماها
لا يرانى الله ارعى روضة * سهلة الاكناف من شاء رعاها
واذا ما طمع اغرى بكم * عرض اليأس لنفسى فثناها

فصبابات الهوى اولها * طمع النفس وهذا منتهاها
لاتظنوا لى الیکم رجعة * کشف التجریب عن عینی عماها
ان زین الدین اولانی یدا * لم تدع لی رغبة فیما سواها

وهی طویلة اجاد فی مدحها وکان أبوه من أهل اربل وصنعته التجارة وکان یتردد من اربل الى البحرین ویقیم بها مدة لتحصیل اللآلی من المغاصات اسوة امثاله من التجار فاتفق ان ولد له هنالك الموفق أبو عبد الله المذکور ثم انتقل الى اربل فنسب الى البحرین لهذا السبب وله معنى ملیح فی غلام اسمه السهم وقد التحى وهو

قالوا التحى السهم قلت حصن * حاشاك فالان لایطیش
فالسهم لاینفذ الرمایا * الااذا کان فیه ریش

وتوفی لیلة الاحد ثالث شهر ربیع الآخر سنة خمس وثمانین وخمسمائة باربل ودفن بمقبرة أهلها قبلی البست رحمه الله تعالى والبحرانی بفتح الباء الموحدة وسکون الحاء المهملة وفتح الراء وبعد الالف نون هذه النسبة الى البحرین المقدم ذکرهما وهی بلیدة بالقرب من هجر قال الازهری وانما سمیت البحرین لان فی ناحیة قراها بحیرة على باب الأحساء وقرى هجر بینها وبین البحر الاخضر عشر فراسخ وقدر البحیرة ثلاثة امیال فی مثلها ولا یغیض ماؤها وهو راکد زعاق وحدث أبو عبید عن أبی محمد الیزیدی قال سألنی المهدی وسال الکسائی عن النسبة الى البحرین وعن الحصنین لم قالوا حصنی وبحرانی فقال الکسائی کرهوا ان یقولوا حصنانی لاجتماع النونین قال وقلت انا کرهوا ان یقولوا بحری فتشبه النسبة الى البحر والبست بفتح الباء الموحدة وسکون السین المهملة وبعدها تاء مثناة من فوقها واد عریض فی وسط اربل تجری فیه میاه السیول فی الشتاء والربیع وفیه شئ کثیر من الحجارة الصغار والله أعلم

قال المطرز کلمة البست فی فم النهر (؟)

ابن الدهان

أبو شجاع محمد بن علی بن شعیب المعروف بابن الدهان الملقب فخر الدین البغدادی الفرضی الحاسب الادیب

هو من أهل بغداد وانتقل الى الموصل وصحب جمال الدین الاصبهانی الوزیر بها ثم تحول الى خدمة السلطان صلاح الدین فولاه دیوان میافارقین فلم یعش له بها حال مع والیها فدخل الى دمشق وأجرى له بها رزق ولم یکن کافیا وکان یزجی به الوقت ثم ارتحل الى مصر فی سنة ست وثمانین وخمسمائة ثم عاد منها الى دمشق وجعلها دار اقامة وله أوضاع بالجداول وغیرها من الفرائض وصنف غریب الحدیث فی ستة عشر مجلدا لطافا ورمز فیه حروفا یستدل بها على اماکن الکلمات المطلوبة منه وکان قلمه ابلغ من لسانه وجمع تاریخا وغیر ذلك وذکره أبو البرکات بن المستوفی فی تاریخ اربل وعده فی زمرة الوافدین علیها وقال فی حقه کان عالما فاضلا متفننا وله شعر جید وذکر الابیات التی مدح بها الشیخ تاج الدین أبا الیمن زید بن الحسن الکندی وقد ذکرتها فی ترجمة الکندی

وذكره أيضا العماد الكاتب فى الخريدة واثنى عليه واورد له مقاطيع أحسن فيها فن ذلك قوله فى ابن الدهان المعروف بالناصح أبى محمد سعيد بن المبارك النحوى وقد سبق ذكره وكان مخلا باحدى عينيه

لا يبعد الدهان ان ابنه * ادهن منه بطريقين
من عجب الدهر فحدث به * بفرد عين و بوجهين

ومنه ما كتبه الى بعض الرؤساء وقد عوفى من مرضه

نذر الناس يوم برئك صوما * غير انى نذرت وحدى فطرا
عالما ان يوم برئك عيد * لا أرى صومه ولو كان نذرا

وله غير ذلك اناشيد حسان وكانت له اليد الطولى فى النجوم وحل الازياج وتوفى فى صفر سنة تسعين وخمسمائة بالحلة السيفيه وكان سبب موته انه حج من دمشق وعاد على طريق العراق ولما وصل الى الحلة عثر جمله هناك فاصاب وجهه بعض خشب المحمل فمات لوقته وكان شيخا دميم الخلقة مسود الوجه مسترسل اللحية خفيفها بها بيض تعلوه صفرة رحمه الله تعالى وقيل انه كان يلقب برهان الدين والله أعلم أى ذلك كان وقد تقدم الكلام على الحلة فلا حاجة الى اعادته

أبو المحاسن محمد بن نصر الدين بن نصر بن الحسين بن عنين الانصارى الملقب شرف الدين الكوفى الاصل الدمشقى المولد الشاعر المشهور

كان خاتمة الشعراء لم يأت بعده مثله ولا كان فى أواخر عصره من يقاس به ولم يكن شعره مع جودته مقصورا على اسلوب واحد بل تفنن فيه وكان غزير المادة من الادب مطلعا على معظم اشعار العرب وبلغنى انه كان يستحضر كتاب الجمهرة لابن دريد فى اللغة وكان مولعا بالهجاء وثلب اعراض الناس وله قصيدة طويلة جمع فيها خلقا كثيرا من رؤساء دمشق سماها مقراض الاعراض وكان السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى قد نفاه من دمشق بسبب وقوعه فى الناس فلما خرج منها قال

فعلام ابعدتم اخا ثقة * لم يقترف ذنبا ولا سرقا
انفوا المؤذن من بلادكم * ان كان ينفى كل من صدقا

وطاف البلاد من الشام والعراق والجزيرة وأذربيجان وخراسان وغزنة وخوارزم وماوراء النهر ثم دخل الهند واليمن وملكها يومئذ سيف الاسلام طغتكين ابن أيوب اخو السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى المذكور فى حرف الطاء وأقام بها مدة ثم رجع على طريق الحجاز الى الديار المصرية وعاد الى دمشق وكان يتردد منها الى البلاد ويعود اليها ولقد رأيته بمدينة اربل فى سنة ثلاث وعشرين وستمائة ولم آخذ عنه شيأ وكان قد وصل اليها رسولا عن الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل صاحب دمشق وأقام بها قليلا ثم سافر وكتب من بلاد الهند الى أخيه وهو بدمشق هذين البيتين

والثانى منهما لابى العلاء المعرى استعمله مضمنا فكان أحق به وهما

ساءحت كتبك فى القطيعة عالما * ان الصحيفة لم تجد من حامل
وعذرت طيفك فى الجفاء لانه * يسرى فيصبح دوننا بمراحل

فلله دره ما أحسن ما وقع له هذا التضمين وقد كرر هذا المعنى فى مواضع من شعره فمن ذلك قوله من جملة قصيدة طويلة

الا يا نسيم الريح من تل راهط * وروض الحمى كيف اهتديت الى الهند

وقوله من أبيات وهو فى عدن اليمن

أأحبابنا الا اسال الطيف زورة * وهيهات اين الديلميات من عدن

الديلميات وتل راهط والحمى أسماء مواضع من ضواحى دمشق والبيت الذى للمعرى قبله هو

وسألت كم بين العقيق الى الحمى * فعجبت من بعد المدى المتطاول

والمعرى أخذ هذا المعنى من دعبل بن على الخزاعى الشاعر المقدم ذكره فانه كان قد هجا الخليفة المعتصم بالله بن هارون الرشيد فطلبه فهرب من العراق الى الديار المصرية وسكن فى آخر بلادها وقال فى ذلك

وان امرأ اضحت مطارح سهمه * بأسوان لم يترك من الحزم معلما
حللت محلا يقصر الطرف دونه * ويعجز عنه الطيف أن يتجشما

وقد خرجنا عن المقصود ولكن ساق الكلام بعضه بعضا ولما مات السلطان صلاح الدين وملك الملك العادل دمشق كان غائبا فى السفرة التى نفى فيها فسار متوجها الى دمشق وكتب الى الملك العادل قصيدته الرائية يستأذنه فى الدخول اليها ويصف دمشق ويذكر ما قاساه فى الغربة ولقد أحسن فيها كل الاحسان واستعطفه ابلغ استعطاف واولها

ماذا على طيف الاحبة لو سرى * وعليهم لو ساحونى فى الكرى

ووصف فى اوائلها دمشق وبساتينها وأنهارها ومواضع متنزهاتها ولما فرغ من وصف دمشق قال مشيرا الى النفى منها

فارقتها لا عن رضى وهجرتها * لا عن قلى ورحلت لا متخيرا
اسعى لرزق فى البلاد مشتت * ومن العجائب ان يكون مقترا
واصون وجه مدائحى متقنعا * وأكف ذيل مطامعى متسترا

ومنها يشكو الغربة وما قاساه فيها

اشكو اليك نوى تمادى عمرها * حتى حسبت اليوم منها اشهرا
لا عيشتى تصفو ولا رسم الهوى * يعفو ولا جفنى يصافحه الكرى
اضحى عن الاحوى المريع محولا * وأبيت عن ورد النمير منفرا

ومن العجائب أن يشل بظلكم * كل الورى ونبذت وحدى بالعرا

وهذه القصيدة من أحسن الشعر وعندى هى خير من قصيدة أبى بكر بن عمار الاندلسى التى اولها * أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى *

وقد تقدم ذكر شئ منها فى ترجمته وهى على وزنها ورويها فلما وقف عليها الملك العادل أذن له فى الدخول الى دمشق فلما دخلها قال

هجوت الاكابر فى جلق * ورعت الوضيع بسب الرفيع

وأخرجت منها ولكننى * رجعت على رغم انف الجميع

وكان له فى عمل الالغاز وحلها اليد الطولى فتى كتب اليه شئ حله فى وقته وكتب الجواب احسن من السؤال نظما ولم يكن له غرض فى جمع شعره فلذلك لم يدونه فهو يوجد مقاطيع فى أيدى الناس وقد جمع له بعض أهل دمشق ديوانا صغيرا لايبلغ عشر ماله من النظم ومع هذا فنسبه أشياء ليست له وكان من أظرف الناس واخفهم روحا وأحسنهم مجونا وله بيت عجيب من جملة قصيدة يذكر فيها اسفاره ويصف توجهه الى جهة المشرق وهو

اشقق قلب الشرق حتى كأننى * أفتش فى سودائه عن سنا الفجر

وبالجملة فمحاسن شعره كثيرة وكنت قد رأيته فى المنام فى بعض شهور سنة تسع واربعين وستمائة وانا يومئذ بالقاهرة المحروسة وفى يده ورقة حمراء وهى عريضة وفيها مقدار خمسة عشر بيتا تقريبا وهو يقول عملت هذه الابيات فى الملك المظفر صاحب حماة وكان الملك المظفر فى ذلك الوقت ميتا أيضا وكان فى المجلس جماعة حاضرون فقرأ علينا الابيات فاعجبنى منها بيت فرددته فى النوم واستيقظت من المنام وقد علق بخاطرى وهو

والبيت لايحسن انشاده * الا اذا أحسن من شاده

وهذا البيت غير موجود فى شعره وقد تقدم ذكره فى ترجمة الامام فخر الدين الرازى وأبياته الفائية وكذلك فى ترجمة سيف الاسلام وكان وافر الحرمة عند الملوك وتولى الوزارة بدمشق فى آخر دولة الملك المعظم ومدة ولاية الملك الناصر المعظم وانفصل منها لما ملكها الملك الاشرف وأقام فى بيته ولم يباشر بعدها خدمة وكانت ولادته بدمشق يوم الاثنين تاسع شعبان سنة تسع وأربعين وخمسمائة وتوفى عشية نهار الاثنين لعشرين من شهر ربيع الاول سنة ثلاثين وستمائة بدمشق أيضا ودفن من الغد بمسجده الذى انشأه بأرض المزة وهى بكسر الميم وتشديد الزاى قرية على باب دمشق رحمه الله تعالى قال ابن الدبيثى سمعته يقول ان أصلنا من الكوفة من موضع يعرف بمسجد بنى النجار ونحن من الانصار قلت هكذا انقله اولا ثم انى زرت قبر بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقابر باب الصغير ظاهر دمشق فلما خرجت من تربته وجدت على الباب قبرا كبيرا فقيل لى هذا قبر ابن عنين فوقفت وترحمت عليه وعنين بضم العين المهملة

وفتح النون وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون والله أعلم

القائم بن المهدي

أبو القاسم محمد ويدعى نزار بن المهدي أبي محمد عبيد الله القائم بالمغرب

كان أبو القاسم المذكور يلقب بالقائم وقد تقدم ذكر والده المهدي في حرف العين وذكر ولده المنصور اسماعيل في حرف الهمزة وكان أبوه المهدي قد بايع له بولاية العهد في حياته بافريقية ومامعها وكانت الكتب تكتب باسمه والمظلة تحمل على رأسه ولما توفي أبوه في التاريخ المذكور في ترجمته جددت له البيعة وكان جهزه أبوه الى مصر ليأخذها مرتين المرة الاولى في الثامن عشر من ذي الحجة سنة احدى وثلثمائة فوصل الى الاسكندرية فملكها والفيوم وصار في يده اكثر خراج مصر وضيق على اهلها والمرة الثانية وصل الى الاسكندرية في شهر ربيع الاول سنة سبع وثلثمائة في عسكر عظيم فخرج عامل الامام المقتدر عنها ودخلها القائم المذكور ثم خرج الى الجيزة في خلق عظيم فخرج عامل الامام ووردت الاخبار بذلك الى بغداد فجهز المقتدر مؤنسا الخادم الى محاربته بالرجال والاموال فجد في السير فلما وصل الى مصر كان القائم قد ملك الجيزة والاشمونين واكثر بلاد الصعيد فتلاقيا وجرت بين العسكرين حروب لا توصف ووقع في عسكر القائم الوباء والغلاء فمات الناس والخيل فرجع الى افريقية وتبعه عسكر مصر الى ان تباعد عنهم وكان وصوله الى المهدية يوم الثلاثاء ثالث يوم من رجب من السنة المذكورة وفي ايامه خرج أبو يزيد مخلد بن كنداد الخارجي وقد تقدم ذكره وما جرى له وكيف مات في الاسر في ترجمة المنصور والشرح في ذلك يطول وكانت ولادة القائم بمدينة سلمية المذكورة في ترجمة والده المهدي في المحرم سنة ثمانين وقيل سنة اثنين وثمانين وقيل سبع وسبعين ومائتين واستصحبه والده معه عند توجهه الى بلاد المغرب وتوفي يوم الاحد ثالث عشر شوال سنة اربع وثلاثين وثلثمائة بالمهدية رحمه الله تعالى وأبو يزيد الخارجي محاصر له فقام بالامر ولده المنصور اسماعيل وكتم خبر موته خوفا من الخارجي ان يطلع عليه فيطمع فيه وكان بالقرب منه على مدينة سوسة فابقى الامور على حالها واكثر من العطايا والصلات ولم يتسم بالخليفة وكانت كتبه تنفذ من الامير اسماعيل ولي عهد المسلمين والله اعلم

ابن عباد ملك

المعتمد على الله أبو القاسم محمد بن المعتضد بالله أبي عمرو عباد بن الظافر المؤيد بالله أبي القاسم محمد قاضي اشبيلية ابن أبي الوليد اسماعيل بن قريش بن عباد بن عمرو بن أسلم بن عمرو بن عطاف بن نعيم اللخمي من ولد النعمان بن المنذر اللخمي آخر ملوك الحيرة

كان المعتمد المذكور صاحب قرطبة واشبيلية وما والاهما من جزيرة الاندلس وفيه وفي ابيه المعتضد يقول بعض الشعراء

من بني المنذرين وهو انتساب * زاد في فخرهم بنو عباد

قتية لم تلدسوا ها المعالي * والمعالي قليلة الاولاد

وكان بدء أمرهم في بلاد الاندلس أن نعيما وابنه عطافا اول من دخل اليها من بلاد المشرق وهما من أهل العريش القرية القديمة الفاصلة بين الشام والديار المصرية في اول الرمل من جهة الشام واقاما بها مستوطنين بقرية بقرب تومين من أقليم طشانة من أرض اشبيلية وامتد لعطاف عمود النسب من الولد الى الظافر محمد بن اسماعيل القاضي فهو أول من نبغ منهم في تلك البلاد وتقدم باشبيلية الى ان ولى القضاء بها فأحسن السياسة مع الرعية والملاطفة بهم فرمقته القلوب وكان يحيى بن على بن حمود الحسني المنعوت بالمستعلى صاحب قرطبة وكان مذموم السيرة فتوجه الى اشبيلية محاصرا لها فلما نزل عليها اجتمع رؤساء اشبيلية واعيانها واتوا القاضي محمدا المذكور وقالوا له أما ترى ما حل بنا من هذا الظالم وما أفسد من أموال الناس فقم بنا نخرج اليه وتملك وتجعل الامر اليك ففعل ووثبوا على يحيى فركب اليهم وهو سكران فقتل وتم له الامر ثم ملك بعد ذلك قرطبة وغيرها من البلاد وقصته مشهورة مع الذى زعم انه هشام بن الحكم آخر ملوك بني أمية بالاندلس الذى كان المنصور بن أبي عامر قد استولى عليه وحجبه عن الناس وكان يصدر الامور عن اشارته ولا يمكنه من التصرف وليس له سوى الاسم والخطبة على المنابر فانه كان قد انقطع خبره مدة نيف وعشرين سنة وجرت أحوال مختلفة في هذه المدة ثم قيل للقاضي محمد المذكور بعد تملكه واستيلائه على البلاد ان هشام بن الحكم في مسجد بقلعة رباح فارسل اليه من احضره وفوض الامر اليه وجعل نفسه كالوزير بين يديه وفي هذه الواقعة يقول الحافظ أبو محمد بن حزم الظاهري في كتاب نقط العروس أخلوقة لم يقع في الدهر مثلها فانه ظهر رجل يقال له خلف الحصري بعد نيف وعشرين سنة من موت هشام بن الحكم المنعوت بالمؤيد وادعى انه هشام فبويع وخطب له على جميع منابر الاندلس في أوقات شتى وسفك الدماء وتصادمت الجيوش في أمره وأقام المدعى انه هشام نيفا وعشرين سنة والقاضي محمد بن اسماعيل في رتبة الوزير بين يديه والامر اليه ولم يزل الامر كذلك الى ان توفي المدعو وهشام فاستبد القاضي محمد بالامر بعده وكان من أهل العلم والادب والمعرفة التامة بتدبير الدول ولم يزل ملكا مستقلا الى ان توفي ليلة الاحد لليلة بقيت من جمادى الاولى سنة ثلاث وثلاثين واربعمائة وقيل انه عاش قريب الحسين واربعمائة ودفن بقصر اشبيلية واختلفوا أيضا في مبدا استيلائه فقيل سنة اربع عشرة وأربعمائة وهو الذى ذكره العماد الكاتب في الخريدة وقيل اربع وعشرين والله أعلم بالصواب في ذلك كله ولما مات محمد القاضي قام مقامه ولده المعتضد بالله أبو عمرو عباد قال أبو الحسن علي بن بسام صاحب كتاب الذخيرة في حقه ثم أفضى الامر الى عباد سنة ثلاث وثلاثين وتسمى اولا بفخر الدولة ثم بالمعتضد قطب رحى الفتنة ومنتهى غاية المحنة ناهيك من رجل لم يثبت له

قائم ولا حصيد ولا سلم منه قريب ولا بعيد جبار أبرم الامر وهو متناقض واسد فرس الطلا وهو رابض متهور تتحاماه الدهاه وجبان لا تأمنه الكماه متعسف اهتدى ومنبت قطع فما أبقى ثار والناس حرب وضبط شأنه بين قائم وقاعد حتى طالت يده واتسع بلده وكثر عديده وعدده وكان قد أوتي أيضا من جمال الصورة وتمام الخلقة وفخامة الهيئة وسباطة البنان وثقوب الذهن وحضور الخاطر وصدق الحدس ما فاق على نظرائه ونظر مع ذلك في الادب قبل ميل الهوى به الى طلب السلطان ادنى نظر بازكى طبع حصل منه لثقوب ذهنه على قطعة وافرة علقها من غير تعمد لها ولا امعان النظر في غمارها ولا اكثار من مطالعتها ولا منافسة في اقتناء صحائفها اعطته سجيته على ذلك ما شاء من تحبير الكلام وقرض قطع من الشعر ذات طلاوة في معان امدته فيها الطبيعة وبلغ فيها الارادة واكتتبها الادباء للبراعة جمع هذه الخلال الظاهرة الى جود كف بارى السحاب بها واخبار المعتضد في جميع افعاله وضروب أنحائه غريبة بديعة وكان ذا كلف بالنساء فاستوسع في اتخاذهن وخلط في اجناسهن فانتهى في ذلك الى مدى لم يبلغه أحد من نظرائه ففشا نسله لتوسعه في النكاح وقوته عليه فذكر أنه كان له من الولد نحو العشرين ذكورا ومن الاناث مثلهم وأورد له عدة مقاطيع من ذلك قوله

شربنا وجفن الليل يغسل كحله * بماء صباح والنسيم رقيق
معتقة كالتبر أما نجارها * فضخم واما جسمها فدقيق

وقد تقدم في ترجمة أبي بكر محمد بن عمار الاندلسي ذكر شيء من قصيدتيه اللتين مدح المعتضد المذكور بهما احداهما رائية والاخرى ميمية ولولده المعتمد فيه من جملة ابيات

سميدع يهب الآلاف مبتدئا * ويستقل عطاياه ويعتذر
له يد كل جبار يقبلها * لولا نداها لقلنا انها الحجر

ولم يزل في عز سلطانه واغتنام مسارّه حتى اصابته علة الذبحة فلم تطل مدتها ولما احس بدنو حمامه استدعى مغنيا يغنيه ليجعل اول ما يبدأ به فالا فأول ما غنى

نطوي الليالي علما أن ستطوينا * فشعشعيها بماء المزن واسقينا

فتطير من ذلك ولم يعش بعده سوى خمسة أيام وقيل انه ما غنى منها الا خمسة أبيات وتوفي يوم الاثنين غرة جمادى الآخرة سنة احدى وستين واربعمائة ودفن ثاني يوم بمدينة اشبيلية رحمه الله تعالى وقام بالمملكة بعده ولده المعتمد على الله أبو القاسم محمد قال أبو الحسن علي بن القطاع السعدي المقدم ذكره في كتاب لمح الملح في حق المعتمد المذكور انه أندى ملوك الاندلس راحة وارحبهم ساحة وأعظمهم عمادا وأرفعهم عمادا ولذلك كانت حضرته ملقى الرحال وموسم الشعراء وقبلة الآمال ومألف

الفضلاء حتى إنه لم يجتمع بباب أحد من ملوك عصره من أعيان الشعراء وأفاضل الأدباء ما كان يجتمع ببابه وتشتمل عليه حاشيتا جنابه وقال ابن بسام في الذخيرة كان للمعتمد ابن عباد شعر كما انشق الكمام عن الزهر لو صار مثله عن جعل الشعر صناعه واتخذه بضاعه لكان رائقا معجبا ونادرا مستغربا فمن ذلك قوله

اكثرت هجرك غير أنك ربما * عطفتك احيانا على امور

فكأنما زمن التهاجر بيننا * ليل وساعات الوصال بدور

وهذا المعنى ينظر الى قول بعضهم من جملة أبيات

اسفرضوء الصبح عن وجهه * فقام خال الخد فيه بلال

كأنما الخال على خده * ساعة هجر في زمان الوصال

وعزم المعتمد على ارسال حظاياه من قرطبة الى اشبيلية فخرج معهن يشيعهن فسايرهن من اول الليل الى الصبح فودعهن ورجع وأنشد أبياتا من جملتها

سايرتهم والليل أغفل ثوبه * حتى تبدى للنواظر معلما

فوقفت ثم مودعا وتسلمت * مني يد الاصباح تلك الانجما

وهذا المعنى في نهاية الحسن وله في وداعهن أيضا

ولما وقفنا للوداع غدية * وقد خفقت في ساحة القصر رايات

بكينا دما حتى كأن عيوننا * بجرى الدموع الحمر منها جراحات

وهذا ينظر الى قول القائل

بكيت دما حتى لقد قال عائدى * أهذا الفتى من جفن عينيه يرعف

وقد سبق في شعر الابيوردى نظيره ومن شعره أيضا

لولا عيون من الواشين ترمقنى * وما أحاذره من قول حراس

لزرتكم لا كانيكم بجفوتكم * مشيا على الوجه أوسعيا على الراس

وكتب الى ندمائه من قصره بقرطبة وقد اصطبحوا بالزهراء يدعوهم الى الاغتباق عنده

حسد القصر فيكم الزهراء * ولعمرى وعمركم ما أساء

قد طلعتم بها شموسا نهارا * فاطلعوا عندنا بدورا مساء

وهذا من بديع المعاني العجيبة والزهراء بفتح الزاى وسكون الهاء وفتح الراء وبعدها همزة ممدودة سراية وهي من عجائب ابنية الدنيا أنشاها أبو المظفر عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الملقب الناصر أحد ملوك بني أمية بالاندلس بالقرب من قرطبة في اول سنة خمس وعشرين وثلثمائة ومسافة ما بينهما أربعة أميال وثلثا ميل وطول الزهراء من الشرق الى الغرب الفان وسبعمائة ذراع وعرضها من القبلة الى الجنوب ألف وخمسمائة ذراع وعدد السوارى التي فيها أربعة آلاف سارية وثلثمائة سارية وعدد أبوابها يزيد على خمسة

عشر بابا وكان الناصر يقسم جباية البلاد أثلاثا فثلث للجند وثلث مدخر وثلث ينفقه على عمارة الزهراء وكانت جباية الاندلس يومئذ خمسة آلاف ألف دينار وأربعمائة ألف وثمانين ألف دينار ومن السوق والمستخلص سبعمائة ألف وخمسة وستون ألف دينار وهي من أهول بناء الاندلس واجله خطرا واعظمه شأنا ذكر ذلك كله ابن بشكوال المقدم ذكره في حرف الحاء في تاريخ الاندلس وكان أبو بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمي الداني الشاعر المشهور مائلا الى بني عباد بطبعه اذ كان المعتمد الذي جذب بضبعه وله فيه المدائح الانيقة فمن ذلك قصيدة يمدحه بها ويذكر أولاده الاربعة وهم الرشيد عبيد الله والراضي يزيد والمأمون والمؤتمن ومن جملتها قوله واقد أجاد فيه كل الاجادة

يغنيك في محل يعينك في ردى * يروعك في درع يروقك في برد
جمال واجمال وسبق وصولة * كشمس الضحى كالمزن كالبرق كالرعد
بمهمته شاد العلا ثم زادها * بناء بأبناء جحاجحة لد
بأربعة مثل الطباع تركبوا * لتعديل جسم المجد والشرف العد

ومع هذه المكارم والاحسان العام لم يسلموا من لسان طاعن وفيهم يقول أبو الحسن جعفر بن ابراهيم بن الحاج اللورقي

تعز عن الدنيا ومعروف أهلها * اذا عدم المعروف في آل عباد
حللت بهم ضيفا ثلاثة اشهر * بغير قرى ثم ارتحلت بلا زاد

وكان الاذفونش قد كثر عدد ملك الافرنج بالاندلس قد قوي أمره في ذلك الوقت وكانت ملوك الطوائف من المسلمين هناك يصالحونه ويؤدون اليه ضريبة ثم انه أخذ طليطلة في يوم الثلاثاء مستهل صفر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة بعد حصار شديد وكانت للقادر بالله ابن ذي النون وفي أخذها يقول أبو محمد عبد الله بن فرج بن عزنون اليحصبي يعرف بابن العسال الطليطلي وهو مذكور في الصلة لابن بشكوال

حثوا رواحلكم يا اهل اندلس * فما المقام بها الا من الغلط
السلك ينثر من اطرافه وأرى * سلك الجزيرة منثورا من الوسط
من جاور الشر لم يأمن عواقبه * كيف الحياة مع الحيات في سفط

وكان المعتمد بن عباد اكبر ملوك الطوائف واكثرهم بلادا وكان يؤدي الضريبة للاذفونش فلما ملك طليطلة لم يقبل ضريبة المعتمد طمعا في أخذ بلاده وأرسل اليه يتهدده ويقول له تنزل عن الحصون التي بيدك ويكون لك السهل فضرب المعتمد الرسول وقتل من كان معه فبلغ الخبر الاذفونش وهو متوجه لحصار قرطبة فرجع الى طليطلة لاخذ آلات الحصار فلما سمع مشايخ الاسلام وفقهاؤها بذلك اجتمعوا وقالوا هذه مدن الاسلام قد تغلب عليها الفرنج وملوكنا مشتغلون بقتال بعضهم بعضا وان استمرت الحال ملك الفرنج جميع البلاد وجاؤا الى القاضي عبد الله بن محمد بن ادهم وفاوضوه فيما نزل

بالمسلمين وتشاوروا فيما يفعلونه فقال كل واحد منهم شيأ وآخر ما اجتمع رأيهم عليه ان يكتبوا الى أبي يعقوب يوسف بن تاشفين ملك الملثمين صاحب مرّاكش يستنجدونه وسيأتي ذكره في حرف الياء ان شاء الله تعالى فاجتمع القاضي بالمعتمد وأخبره بما جرى فوافقه على انه مصلحة وقال له تمضي اليه بنفسك فامتنع فألزمه بذلك فقال أستغفر الله سبحانه وخرج من عنده وكتب للوقت كتابا الى يوسف بن تاشفين يخبره بصورة الحال وسيره اليه مع بعض عبيده فلما وصله خرج مسرعا الى مدينة سبتة وخرج القاضي ومعه جماعة الى سبتة لقائه واعلامه بحال المسلمين فأمر بعبور عسكره الى الجزيرة الخضراء وهي مدينة في برّ الاندلس وأقام بسبتة وهي في برّ مرّاكش مقابلة الجزيرة الخضراء وأرسل الى مرّاكش يستدعي من تخلف بها من جيشه فلما تكاملوا عنده أمرهم بالعبور وعبر آخرهم وهو في عشرة آلاف مقاتل واجتمع بالمعتمد وقد جمع أيضا عساكره وتسامع المسلمون بذلك فخرجوا من كل البلاد طلبا للجهاد وبلغ الاذفونش الخبر وهو بطليطلة فخرج في أربعين ألف فارس غير ما انضم اليه وكتب الاذفونش الى الامير يوسف كتابا يتهدده واطال الكتاب فكتب يوسف الجواب في ظهره الذي يكون ستراه ورده اليه فلما وقف عليه ارتاع لذلك وقال هذا رجل عازم ثم سار الجيشان والتقيا في مكان يقال له الزلاقة من بلد بطليوس وتصافا وانتصر المسلمون وهرب الاذفونش بعد استئصال عساكره ولم يسلم معه سوى نفر يسير وذلك يوم الجمعة في العشر الاول من شهر رمضان المعظم سنة تسع وسبعين وأربعمائة كذا قال بعضهم والصحيح ان هذه الواقعة كانت في منتصف رجب من السنة المذكورة وهذا العام يؤرّخ به في بلاد الاندلس كلها فيقال عام الزلاقة وهذه الوقعة من أشهر الوقائع وثبت المعتمد في ذلك اليوم ثباتا عظيما وأصابه عدة جراحات في وجهه وبدنه وشهد له بالشجاعة وغنم المسلمون دوابهم وسلاحهم ورجع الامير يوسف الى بلاده والمعتمد الى بلاده ثم ان الامير يوسف عاد الى الاندلس في العام الثاني وخرج اليه المعتمد وحاصر بعض حصون الفرنج فلم يقدر عليه فرحل عنه وعبر على غرناطه فخرج اليه صاحبها عبد الله بن بلكين ثم دخل البلد ليخرج اليه التقادم فغدر به يوسف ودخل البلد وأخرج عبد الله ودخل قصره فوجد فيه من الاموال والذخائر مالا يحد ولا يحصى ثم رجع الى مرّاكش وقد أعجبه حسن بلاد الاندلس وبهجتها وما بها من المباني والبساتين والمطاعم وسائر أصناف الاموال التي لا توجد في مرّاكش فانها بلاد بربر واجلاف العربان وجعل خواص الامير يوسف يعظمون عنده بلاد الاندلس ويحسنون له اخذها ويغرون قلبه على المعتمد باشياء نقلوها عنه فتغير عليه وقصده فلما انتهى الى سبتة جهز اليه العساكر وقدم عليها سير بن أبي بكر الاندلسي فوصل الى اشبيلية وبها المعتمد فحاصره أشد محاصرة وظهر من مصابرة المعتمد وشدة بأسه وترامية على الموت بنفسه مالم يسمع بمثله والناس بالبلد قد استولى عليهم الفزع وخامرهم الجزع

يقطعون سبلها اسباحه ويخوضون نهرها سباحه ويترامون من شرفات الاسوار فلما كان يوم الاحد لعشرين من رجب سنة اربع وثمانين وأربعمائة هجم عسكر الامير يوسف البلد وشنوا فيها الغارات ولم يتركوا لاحد شيأ وخرج الناس من منازلهم يسترون عوراتهم بايديهم وقبض على المعتمد وأهله وكان قد قتل له ولدان قبل ذلك أحدهما المأمون وكان ينوب عن والده فى قرطبة فحصروه بها الى ان أخذوه وقتلوه والثانى الراضى كان أيضا نائبا عنه فى رندة وهى من الحصون المنيعة فنازلوها وأخذوها وقتلوا الراضى ولابيهما المعتمد فيهما مراث عديدة وبعد ذلك جرى باشبيلية على المعتمد ماذكرناه ولما أخذ المعتمد قيدوه من ساعته وجعل مع أهله فى سفينة قال ابن خاقان فى قلائد العقيان فى هذا الموضع ثم جمع هو وأهله وحملتهم الجوارى المنشآت وضمتهم كأنهم أموات بعدما ضاق عنهم القصر وراق منهم العصر والناس قد حشدوا بضفتى الوادى يبكون بدموع كالغوادى فساروا والبوم يحدوهم والنوح بالوعة لا يعدوهم وفى ذلك يقول أبو بكر محمد بن عيسى اسماعيل الدانى المعروف بابن اللبانة

تبكى السماء بدمع رائح غادى * على البهاليل من ابناء عباد

ومن جملتها

يا ضيف اقفر بيت المكرمات فخذ * فى ضم رحلك واجمع فضلة الزاد

وهى قصيدة طويلة لا حاجة الى ذكرها وفى هذه الحال وصفتها يقول أبو محمد عبد الجبار ابن حمديس الصقلى الشاعر المشهور المتقدم ذكره

ولما رحلتم بالندى فى اكفكم * وقلقل رضوى منكم وثبير

رفعت لسانى بالقيامة قد دنت * فهذى الجبال الراسيات تسير

وهى أبيات كثيرة وهذا المعنى مأخوذ من قول عبد الله بن المعتز فى أبى العباس أحمد ابن محمد بن الفرات الوزير وقد مات رحمه الله تعالى

قد استوى الناس ومات الكمال * وصاح صرف الدهر اين الرجال

هذا أبو العباس فى نعشه * قوموا انظروا كيف تسير الجبال

وقيل انه أنشدها لما مات الوزير أبو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب والله أعلم بالصواب ثم وجدت القول الثانى هو الصحيح والله أعلم

وتألم المعتمد يوما من قيده وضيقه وثقله فانشد

تبدلت من ظل عز البنود * بذل الحديد وثقل القيود

وكان حديدى سنانا ذليقا * وعضبا رقيقا صقيل الحديد

وقد صار ذاك وذا ادهما * يعض بساقى عض الاسود

ثم انهم حملوا الى الامير يوسف بمراكش فأمر بارسال المعتمد الى مدينة أغمات واعتقله بها ولم يخرج منها الى الممات قال ابن خاقان ولما أجلى عن بلاده وأعرى من طارفه

وتلاده وحل في السفين واحل في العدوة محل الدفين تندبه منابره واعواده ولا يدنو منه زواره ولا عواده بقي آسفا تتصعد زفراته وتطرد اطراد المذانب عبراته لا يعلو عزائنى ولا يرى الا غريبا بدلا عن تلك المكانس ولما لم يجد سلوا ولم يؤمل دنوا ولم ير وجه مسرة مجلوا تذكر منازله فشاقته وتصور بهجتها فراقته وتخيل استيحاش أوطانه واجهاش قبره الى قطانه واظلام جوده من اقماره وخلوه من حراسه وسماره وفي اعتقاله يقول أبو بكر الداني المذكور قصيدته المشهورة التي اولها

لكل شيء من الاشياء ميقات * وللمنى من مناياهن غايات

والدهر في صبغة الحرباء منغمس * الوان حالاته فيها استحالات

ونحن من لعب الشطرنج في يده * وربما قمرت بالبيدق الشاة

قلت هذا غلط فان الشاة بالهاء الملك بالعجمي واذا كان كذلك فلم تلزم له التاء فيه لانها على حرف التاء ثم قال

انفض يديك من الدنيا وساكنها * فالارض قد اقفرت والناس قد ماتوا

وقل لعالمها الارضي قد كتمت * سريرة العالم العلوي أغمات

وهي طويلة تقارب خمسين بيتا

وله أيضا في سببه قصيدة عملها باغمات سنة ست وثمانين وأربعمائة

تنشق رياحين السلام فانما * افض بها مسكا عليك مختما

وقل لي مجازا ان عدمت حقيقة * لعلك في نعمى وقد كنت منعما

افكر في عصر مضى لك مشرقا * فيرجع ضوء الصبح عندي مظلما

واعجب من رفق الجبرة اذ رأى * كسوفك شمسا كيف اطلع انجما

لقد عظمت فيك الرزية انما * وجدناك منها في المزية اعظما

قناة سعت للطعن حتى تقصدت * وسيف اطال الضرب حتى تثلما

ومنها

بكى آل عباد ولا كمحمد * وابنائه صوب الغمامة اذ همى

حبيب الى قلبي حبيب لقوله * عسى طلل يدنو بهم ولعلما

صباحهم كنا بهم نحمد السرى * فلما عدمنا هم سرينا على عمى

وكنا رعينا العز حول حماهم * فقد أجدب المرعى وقد اقفر الحمى

وقد ألبست ايدي الليالي محلهم * مناسج سدى الغيث فيها وألحما

قصور خلت من ساكنيها فما بها * سوى الادم تمشي حول واقفة الدما

يجيب بها الهام الصدى ولطالما * اجاب القيان الطائر المترنما

كأن لم يكن فيها انيس ولا التقى * بها الوفد جمعا والخميس عرمرما

حكيت وقد فارقت ملكك مالكا * ومن ولهي احكي عليك متمما

مصاب هوي بالنيرات من العلا * ولم يبق في ارض المكارم معلما

تضيق على الارض حتى كانما * خلقت واياها سوارا ومعصما
بكيتك حتى لم يخل لى الاسى * دموعا بها ابكى عليك ولا دما
وانى على رسمى مقيم فان امت * سأجعل للباكين رسمى موسما
بكاك الحيا والريح شقت جيوبها * عليك وناح الرعد باسمك معلما
ومزق ثوب البرق واكتسب الضحى * حدادا وقامت انجم الجو مأتما

ومنها

وحار ابنك الاصباح وجدا فما اهتدى * وغاض اخوك البحر غيضا فاظما
وما حل بدر التم بعدك داره * ولا أظهرت شمس الظهيرة مبسما
قضى الله أن حطوك عن ظهر اشقر * اشم وأن امطوك اشأم ادهما

وكان قد انفكت عنه القيود فاشار لذلك بقوله منها

قيودك ذابت فانطلقت لقد غدت * قيودك منهم بالمكارم ارحما
عجبت لان لان الحديد وقد قسوا * لقد كان منهم بالسريرة اعلما
سينجيك من نجى من الجب يوسفا * ويؤويك من آوى المسيح بن مريما

وله فى البكاء على ايامهم وانتشار نظامهم عدة مقاطيع وقصائد مطولات يشتمل عليها جزء لطيف صدر عنه فى تأليف وهيئة تصنيف سماه نظم السلوك فى وعظ الملوك ووفد على المعتمد وهو باغمات وفادة وفاء لا وفادة استجداء وحكى انه لما عزم على الانفصال عنه بعث اليه المعتمد عشرين دينارا وشقة بغدادية وكتب معها

اليك النزر من كف الاسير * فان تقبل تكن عين الشكور
تقبل مايكون له حياء * وان عذرته احوال الفقير

وهى عدة أبيات قال أبو بكر المذكور فرددتها اليه لعلمى بحاله وانه لم يترك عنده شيأ وكتبت اليه بجوابها وهو

سقطت من الوفاء على خبير * فذرنى والذى لك فى ضميرى
تركت هواك وهو شقيق نفسى * لئن شقت برودى عن غدور
ولا كنت الطليق من الرزايا * لئن اصبحت اجحف بالاسير
جذيمة أنت والزباء خانت * وما أنا من يقصر عن قصير
اسير ولا اسير الى اغتنام * معاذ الله من سوء المصير
انا ادرى بفضلك منك انى * لبست الظل منه فى الحرور

ومنها أيضا قوله

تصرف فى الندى حيل المعالى * فتسمح من قليل بالكثير
واعجب منك انك فى ظلام * وترفع للعفاة منار نور
رويدك سوف توسعنى سرورا * اذا عاد ارتقاؤك للسرير

وسوف تحلى رتب المعالى * غداة تحل فى تلك القصور
تزيد على ابن مروان عطاء * بها وازيد ثم على جرير
تأهب ان تعود الى طلوع * فليس الخسف ملتزم البدور

ودخل عليه يوما بناته السجن وكان يوم عيد وكن يغزلن للناس بالاجرة فى اغمات حتى ان احداهن غزلت لبيت صاحب الشرطة الذى كان فى خدمة أبيها وهو فى سلطانه فرآهن فى اطمار رثة وحالة سيئة تصدع القلوب وأنشد

فيما مضى كنت بالاعياد مسرورا * فساءك العيد فى اغمات ماسورا
ترى بناتك فى الاطمار جائعة * يغزلن للناس لا يملكن قطميرا
برزن نحوك للتسليم خاشعة * ابصارهن حسيرات مكاسيرا
يطأن فى الطين والاقدام حافية * كأنها لم تطأ مسكا وكافورا
لا خد الا ويشكو الجدب ظاهره * وليس الا مع الانفاس ممطورا
قد كان دهرك ان تأمره ممتثلا * فردك الدهر منهيا ومأمورا
من بات بعدك فى ملك يسر به * فانما بات بالاحلام مغرورا

ودخل عليه وهو فى تلك الحال ولده ابو هاشم والقيود قد عضت بساقيه عض الاسود والتوت عليه التواء الاساود السود وهو لا يطيق اعمال قدم ولا يريق دمعا الا ممتزجا بدم بعدما عهد نفسه فوق منبر وسرير وفى وسط جنة وحرير تخفق عليه الالوية وتشرق منه الاندية فلما رآه بكى وقال

قيدى أما تعلمنى مسلما * ابيت ان تشفق او ترحما
دمى شراب لك واللحم قد * اكلته لا تهشم الاعظما
يبصرنى فيك أبو هاشم * فينثنى والقلب قد هشما
ارحم طفيلا طائشا لبه * لم يخش أن يأتيك مسترحما
وارحم أخيات له مثله * جرعتهن السم والعلقما
منهن من يفهم شيأ فقد * خفنا عليه للبكاء العمى
والغير لا يفهم شيأ فما * يفتح الا لرضاع فما

وكان قد اجتمع عليه جماعة من الشعراء وألحوا عليه فى السؤال وهو على تلك الحال فانشد

سألوا اليسير من الاسير وانه * بسؤالهم لأحق منهم فاعجب
لولا الحياء وعزة لخمية * طى الحشا لحكاهم فى المطلب

واشعار المعتمد واشعار الناس فيه كثيرة وقد جاوزنا الحد فى تطويل ترجمته وسببه ان قصته غريبة لم يعهد مثلها ودخل فيها حديث أبيه وجده فطالت وكانت ولادته فى شهر ربيع الاول سنة احدى وثلاثين وأربعمائة بمدينة باجة من بلاد الاندلس

وملك بعد وفاة أبيه فى التاريخ المذكور هنالك وخلع فى التاريخ المقدم ذكره وتوفى فى السجن باغمات لاحدى عشرة ليلة خلت من شوال وقيل فى ذى الحجة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة رحمه الله تعالى ومن النادر الغريب انه نودى فى جنازته بالصلاة على الغريب بعد عظم سلطانه وجلالة شانه فتبارك من له البقاء والعزة والكبرياء واجتمع عند قبره جماعة من الشعراء الذين كانوا يقصدونه بالمدائح و يجزل لهم المنائح فرثوه بقصائد مطولات وأنشدوها عند قبره وبكوا عليه فمنهم أبو بحر عبد الصمد شاعره المختص به رثاه بقصيدة طويلة اجاد فيها واولها

ملك الملوك أسامع فأنادى * ام قد عدتك عن السماع عوادى
لما نقلت عن القصور ولم تكن * فيها كما قد كنت فى الاعياد
أقبلت فى هذا الثرى لك خاضعا * وجعلت قبرك موضع الانشاد

ولما فرغ من انشادها قبل الثرى ومرغ جسمه وعفر خده فابكى عليه كل من حضر ويحكى ان رجلا رأى فى منامه اثر الكائنة عليه كأن رجلا صعد منبر جامع قرطبة واستقبل الناس وأنشد

رب ركب قد اناخوا عيسهم * فى ذرى مجدهم حين بسق
سكت الدهر زمانا عنهم و * ثم ابكاهم دما حين نطق

ورأى أبو بكر الدانى حفيد المعتمد وهو غلام وسيم قد اتخذ الصياغة صناعة وكان يلقب فى ايام دولتهم فخر الدولة وهو من الالقاب السلطانية عندهم فنظر اليه وهو ينفخ الفحم بقصبة الصائغ فقال من جملة قصيدة

شكاتنا فيك يا فخر العلا عظمت * والرزء يعظم فيمن قدره عظما
طوقت من نائبات الدهر مخنقة * ضاقت عليه وكم طوقتنا النعما
وعاد طوقك فى دكان قارعة * من بعد ما كنت فى قصر حكى ارما
صرفت فى آلة الصواغ انملة * لم تدر الا الندى والسيف والقلما
يد عهدتك للتقبيل تبسطها * فتستقل الثريا ان تكون فما
يا صائغا كانت العليا تصاغ له * حليا وكان عليه الحلى منتظما
للنفخ فى الصور هول ما حكاه سوى * أنى رأيتك فيه تنفخ الفحما
وددت اذ نظرت عينى عليك به * لوان عينى تشكو قبل ذاك عمى
ما حطك الدهر لما حط من شرف * ولا تحيف من اخلاقك الكرما
لح فى العلا كوكبا ان لم تلح قمرا * وقم بها ربوة ان لم تقم علما
والله لو انصفتك الشهب لا نكسفت * ولو وفى لك دمع العين لانسجما
ابكى حديثك حتى الدهر حين غدا * يحكيك رهطا والفاظا ومبتسما

ولا حاجة الى الزيادة على ما أودعناه هذه الترجمة واللورقى بضم اللام وسكون الواو

وإياه وبعدهما قاف هذه النسبة الى لورقة وهي مدينة بالاندلس وهذا الشاعر ذكره في الخريدة وقال عاش بعد المائة طويلا وأورد كثيرا من شعره وأغمات بفتح الهمزة وسكون الغين المعجمة وفتح الميم وبعد الالف تاء مثناة من فوقها وهي بليدة وراء مراكش بينهما مسافة يوم وخرج منها جماعة مشاهير وأما أبو بكر بن اللبانة المذكور فما رأيت تاريخ وفاته في شئ من الكتب ولا رأيت من يعلم ذلك لكن رأيت في كتاب الحماسة التي صنفها أبو الحجاج يوسف البياسي المذكور بعدها ان ابن اللبانة قدم ميورقة في آخر شعبان سنة تسع وثمانين وأربعمائة ومدح ملكها مبشر بن سليمان بأبيات اولها

ملك يروعك في حلى ريعانه • راقت برونقه صفات زمانه

وكنت اظن انه مات قبل المعتمد لاني ما رأيت له فيه مرثية الى ان رأيت ما قاله البياسي والله تعالى أعلم

أبو يحيى محمد بن معن بن محمد بن أحمد صمادح المنعوت بالمعتصم التجيبي صاحب المرية وبجاية والصمادحية من بلاد الاندلس

كان جده محمد بن أحمد بن صمادح صاحب مدينة وشقة واعمالها وذلك في ايام المؤيد هشام بن الحكم الاموى المذكور في ترجمة المعتمد بن عباد فغار به ابن عمه منذر بن يحيى التجيبي فاستظهر عليه وعجز عن دفعه لكثرة رجاله وترك له مدينة وشقة وفر بنفسه ولم يبق له بالبلد علقة وكان صاحب رأى ودهاء ولسان وعارضة لم يكن في أصحاب السيوف من يعدله في هذه الخلال في ذلك العصر وكان ولده معن والد المعتصم مصاهرا لعبد العزيز بن أبي عامر صاحب بلنسية فلما قتل زهير مولى أبيه وكان صاحب المرية وثب عبد العزيز على المرية فملكها لكونها كانت لمولاهم فحسده على ذلك مجاهد بن عبد الله العامري المكنى أبا الجيش صاحب دانية فخرج قاصدا بلاد عبد العزيز وهو بالمرية مشتغل في تركة زهير فلما سمع بخروج مجاهد خرج من المرية مبادرا لاستصلاحه واستخلف بها صهره ووزيره معن بن صمادح والد المعتصم فخانه في الامانة وغدر به وطرده عن الامارة فلم يبق في ملوك الطوائف بالاندلس أحد الاذمه على هذه الفعلة الا انه تم له الامر واستتب فلما مات انتقل الملك الى ولده المعتصم وتسمى بأسماء الخلفاء وكان رحب الفناء جزيل العطاء حليما عن الدماء طافت به الآمال واتسع في مدحه المقال وأعملت الى حضرته الرحال ولزمه جماعة من فحول الشعراء كأبي عبد الله بن الحداد وغيره وله أشعار حسنة فمن ذلك ما كتبه الى أبي بكر بن عمار الاندلسي المقدم ذكره يعاتبه بقوله

وزهدني في الناس معرفتي بهم • وطول اختباري صاحبا بعد صاحب

فلم ترني الايام خلا تسرني • مباديه الا ساءني في العواقب

ولا ضرت أرجوه لدفع ملمة * من الدهر الا كان احدى النوائب

فكتب اليه ابن عمار جوابها وهي أبيات كثيرة فلا حاجة الى ذكرها ومن شعره أيضا

يا من بجسمي لبعده سقم * ما منه غير الدنو يبريني

بين جفوني والنوم معترك * تصغر منه حروب صفين

ان كان صرف الزمان أبعدني * عنك فطيف الخيال يدنيني

ومن هنا أنشد بهاء الدين زهير بن محمد الكاتب المقدم ذكره قوله من جملة قصيدة

بين جفوني والكرى * مذ غبت عني معترك

وله غير ذلك مقاطيع كثيرة ولابي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن ابراهيم المعروف بالحداد القيسي من أهل المرية في مديحه قصائد بديعة فمن ذلك قصيدته التي اولها

لعلك بالوادي المقدس شاطئ * فكالعنبر الهندي ما انا واطئ

واني من رياك واجد ريحهم * فروح الهوى بين الجوانح ناشئ

ولي في السرى من نارهم ومنارهم * هداة هداة والنجوم طوافئ

لذلك ما حنت ركابي وحمحمت * عرابي وأوحى سيرها المتباطئ

فهل هاجها ما هاجني ولعلها * الى الوجد من نيران قلبي لواجئ

رويدا فهذا وادي لبني وانه * لورد لبانا تي واني لظامئ

ويا حبذا من آل لبنى مواطن * ويا حبذا من أرض لبنى مواطئ

ميادين تهيامي ومسرح خاطري * فللشوق غايات بها ومبادئ

ولا تحسبوا غيداً حوتها مقاصر * فتلك قلوب ضمنتها جآجئ

وفي الكلة الزرقاء مكلوء عزة * تحف به زرق العوالي الكوالئ

محاملة السلوان مبعث حسنه * فكل الى دين الصبابة صابئ

ومنها أيضا

تمنى بمدي قرطيه عفر توالع * وتهوى ضياعينيه عين جوازئ

وفي ملعب الصدغين أبيض ناصع * تخلله للحسن احمر قانئ

افاتكة الالحاظ ناسكة الهوى * ورعت ولكن لحظ عينك خاطئ

وآل الهوى جرحى ولكن دماؤهم * دموع هوام والجروح ماقئ

وكيف اعاني كلم طرفك في الحشا * ولكن لتمزيق المهند راقئ

ومن اين ارجو برء نفسي من الجوى * وما كل ذي سقم من السقم بارئ

ويخرج من هذا الى المدح وهذه القصيدة طنانة طويلة وقصده أيضا من شعراء الاندلس أبو القاسم الاسعد بن بليطة وهو من فحول شعرائهم ومدحه بقصيدته الطائية التي اولها

برامة ريم زارني بعد ما شطا * فقنصته في الحلم بالشط فاشتطا

وهي من اناس في الحشى غير الهوى * ولم يدع النوار فيها ولا الخطا

ومنها

وقد ذاب كحل العين في دمع نحره * الى ان تسدّى الصبح كاللمة الشمطا
كان الدجى جيش من الزنج نافر * وقد أرسل الإصباح في اثره القبطا

ومنها في صفة الديك

كأن انوشروان اعلاه تاجه * وناطت عليه كف مارية القرطا
سبى حلة الطاوس حسن لباسه * ولم يكفه حتى سبى المشية البطا

ومنها أيضا

توهم عطف الصدغ نونا بخدها * فباتت يد الخال تنقطه نقطا
غلامية جاءت وقد جعل الدجى * لخاتم فيها فص غالية خطا
غدت تتقي المسوال في برد ثغرها * وقد ضمنت مسكا غدا اثره المشطا
فقلت اجيها عاء جفونها * ومافي الشفاه اللعس من حسنها المعطا
مفترة الالحاظ من غير سكرة * متى شربت الحاظ عينك اسفنطا
ارى صفرة المسواك في حمرة اللمى * وشاربك الخضر بالمسك قد خطا
عسى قزح قبلته فاناله * على الشفة اللمياء قد جاء مختطا

ومنها في المديح قوله

كأن ابا يحيى بن معن اجادها * فعلمها من كفه الوكف والبسطا
تألف من در وشذر بحاره * فجاءت به العليا على جيدها سمطا
اذا سار سار المجد تحت لوائه * فليس يحط المجد الا اذا حطا
رفيع عماد النار في الليل للسرى * فما يخبط العشواء طارقه خبطا
اقول لركب يمموا مسقط الندى * وقد جاوز الركبان من دونك السقطا
أفي المجد تبغي لابن معن مناقضا * ومن يوقد المصباح في الشمس قد أخطا

وهي قصيدة طويلة مقدار تسعين بيتا أحسن فيها ناظمها وعورة مسلك حرف رويها وكان المعتصم المذكور قد اختص بمؤانسة الامير يوسف بن تاشفين عند عبوره الى جزيرة الاندلس حسبما شرحناه في ترجمة المعتمد بن عباد المذكور قبله واجمل عليه اكثر من بقية ملوك الطوائف فلما تغيرت نية الامير يوسف بن تاشفين على المعتمد وجاهره المعتمد بالعصيان شاركه في ذلك المعتصم ووافقه على الخروج عن طاعته وعدم الانقياد لامره فلما قصد الامير يوسف بلاد الاندلس عزم على خلعهما وقبضهما قال ابن بسام في الذخيرة وكان بينه وبين المعتصم وبين الله سريره اسلفته له عند الحمام يد مشكوره فمات وليس بينه وبين حلول الداقرة به الا ايام يسيرة في سلطانه وبلده وبين أهله وولده حدثني من لا أرد خبره عن اروى بعض حظايا أبيه قالت اني لعنده وهو يوصي بشأنه

وقد غلب على ا كثريده وسلطانه ومعسكر أمير المسلمين تعني يوسف بن تاشفين يومئذ بحيث نعد خيامهم ونسمع اختلاط أصواتهم اذ سمع وجبة من وجباتهم فقال لا اله الا الله نغص علينا كل شئ حتى الموت فقالت ازوى فدمعت عيني فلا انسى طرفا الى يرفعه وانشاده لى بصوت لا اكاد اسمعه

ترفق بدمعك لا تفنه * فبين يديك بكاء طويل

انتهى كلام ابن بسام وقال محمد بن أيوب الانصارى فى كتابه الذى صنفه للسلطان الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله تعالى فى سنة ثمان وستين وخمسمائة فى ترجمة المعتصم بن صمادح المذكور بعد ان ذكر طرفا من اخباره وشيأ من أشعاره وحكى صورة حصاره وقوله فى مرضه نغص علينا كل شئ حتى الموت ومات يعنى المعتصم فى أثر ذلك عند طلوع الشمس يوم الخميس لثمان بقين من شهر ربيع الاول سنة أربع وثمانين وأربعمائة بالمرية رحمه الله ودفن فى تربة له عند باب الخوخة وصمادح بضم الصاد المهملة وفتح الميم وبعد الالف دال مكسورة ثم حاء مهملة وهو الشديد وبليطة والد ابى القاسم الاسعد الشاعر المذكور بكسر الباء الموحدة واللام المشددة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الطاء المهملة وبعدها هاء ساكنة ولا أعرف معناه وهو بلغة اعاجم الاندلس والتجيبى قد تقدم الكلام عليه وبجاية بفتح الباء الموحدة والجيم وبعد الالف ياء ثم هاء ساكنة وهى مدينة بالاندلس والمرية قد تقدم الكلام عليها والصمادحية منسوبة الى صمادح المذكور ووشقة بفتح الواو وسكون الشين المعجمة وفتح القاف وبعدها هاء ساكنة بلدة بالاندلس أيضا والله أعلم

المهدى محمد بن

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت المنعوت بالمهدى الهرغى

صاحب دعوة عبد المؤمن بن علي بالمغرب وقد تقدم فى ترجمة عبد المؤمن طرف من خبره وكان ينتسب الى الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما وجدت فى كتاب النسب الشريف العابد بخط أهل الادب من عصرنا نسب ابن تومرت المذكور فنقلته كما وجدته وهو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن سفيان بن جابر بن يحيى بن عطا بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهما والله أعلم وهو من جبل السوس فى اقصى بلاد المغرب ونشأ هناك ثم رحل الى المشرق فى شبيبته طالبا للعلم فانتهى الى العراق واجتمع بابى حامد الغزالى والكيا الهراسى والطرطوشى وغيرهم وحج وأقام بمكة مدة مديدة وحصل طرفا صالحا من علم الشريعة والحديث النبوى واصول الفقه والدين وكان ورعا ناسكا متقشفا مخشوشنا مخلولقا كثير الاطراق بساما فى وجوه الناس مقبلا على العبادة لا يصحبه من متاع الدنيا الا عصا وركوة وكان شجاعا فصيحا فى لسان العرب والمغرب شديد الانكار على الناس فيما يخالف الشرع لا يقنع فى أمر الله بغير اظهاره

وكان مطبوعا على الالتذاذ بذلك متحملا للاذى من الناس بسببه ونالة بمكة شرفها الله تعالى شئ من المكروه من أجل ذلك فخرج منها الى مصر وبالغ فى الانكار فزادوا فى اذاه وطردته الدولة وكان اذا خاف من البطش وايقاع الفعل به خلط فى كلامه فينسب الى الجنون فخرج من مصر الى الاسكندرية وركب البحر متوجها الى بلاده وكان قد رأى فى منامه وهو فى بلاد الشرق كانه شرب ماء البحر جميعه كرتين فلما ركب فى السفينة شرع فى تغيير المنكر على أهل السفينة وألزمهم باقامة الصلوات وقراءة احزاب من القرآن العظيم ولم يزل على ذلك حتى انتهى الى المهدية احدى مدن افريقية وكان ملكها يومئذ الامير يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجى وذلك فى سنة خمس وخمسمائة هكذا وجدته فى تاريخ القيروان وقد تقدم فى ترجمة الامير تميم والديحيى المذكور أن محمد بن تومرت المذكور اجتاز فى ايام ولايته بافريقية عند عوده من المشرق وكنت وجدته كذا أيضا والله أعلم بالصواب ولم يرحل الى المشرق مرتين حتى يحمل ذلك على دفعتين فان كان عوده فى سنة خمس كما ذكرناه فهى فى ولاية الامير يحيى لان اباه الامير تميما توفى فى سنة احدى وخمسمائة كما تقدم فى ترجمته وانما نبهت عليه لئلا يتوهم الواقف عليه انه فاتنى ذلك وهو متناقض ورأيت فى تاريخ القاضى الاكرم ابن القفطى وزير حلب وهو مرتب على السنين ما صورته فى هذه السنة وكان آخر سنة احدى عشرة وخمسمائة خرج محمد بن تومرت من مصر فى زى الفقهاء بعد الطلب بها وبغيرها ووصل الى بجاية والله أعلم بالصواب ولما وصل الى المهدية نزل فى مسجد معلق وهو على الطريق وجلس فى طاق شارع الى المحجة ينظر الى المارة فلا يرى منكرا من آلة الملاهى أو أوانى الخمر الا نزل اليها وكسرها فتسامع الناس به فى البلد فجاؤا اليه وقرؤا عليه كتبا من أصول الدين فبلغ خبره الامير يحيى فاستدعاه مع جماعة من الفقهاء فلما رأى سمته وسمع كلامه اكرمه وأجله وسأله الدعاء فقال له اصلحك الله لرعيتك ولم يقم بعد ذلك بالمهدية الا اياما يسيرة ثم انتقل الى بجاية فاقام بها مدة وهو على حاله فى الانكار فاخرج منها الى بعض قراها واسمها ملالة فوجد بها عبد المؤمن بن على القيسى المتقدم ذكره ورايت فى كتاب المغرب عن سيرة ملوك المغرب ان محمد بن تومرت كان قد اطلع على كتاب يسمى الجفر من علوم أهل البيت وانه رأى فيه صفة رجل يظهر بالمغرب الاقصى بمكان يسمى السوس وهو من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الله يكون مقامه ومدفنه بموضع من المغرب يسمى باسم هجاء حروفه ت ى ن م ل ورأى فيه أيضا ان استقامة ذلك الامر واستيلاءه وتمكنه يكون على يد رجل من أصحابه هجاء اسمه ع ب د م و م ن ويجاوز وقته المائة الخامسة للهجرة فاوقع الله سبحانه وتعالى فى نفسه انه القائم باول الامر وأن أوانه قد ازف فما كان محمد يمر بموضع الا ويسأل عنه ولا يرى أحدا الا أخذ اسمه وتفقد حليته وكانت

حلية عبد المؤمن معه فبينما هو فى الطريق رأى شابا قد بلغ اشده على الصفة التى معه فقال له محمد بن تومرت وقد تجاوزه ما اسمك ياشاب فقال عبد المؤمن فرجع اليه وقال له الله أكبر أنت بغيتى ونظر فى حليته فوافقت ماعنده فقال له من أين أنت فقال من كومية قال أين مقصدك فقال الشرق فقال ماتبغى قال أطلب علما وشرفا قال وجدت علما وشرفا واذكر اصحبنى تنله فوافقه على ذلك فألقى محمد اليه أمره وأودعه سره وكان محمد بن تومرت قد صحب رجلا يسمى عبد الله الونشريشى ففاوضه فيما عزم عليه من القيام فوافقه على ذلك أتم موافقة وكان الونشريسى ممن تهذب وقرأ فقها وكان جميلا فصيحا فى لغة العرب وأهل المغرب فتحدثا يوما فى كيفية الوصول الى الامر المطلوب فقال محمد بن تومرت لعبد الله ارى ان تستر ما أنت عليه من العلم والفصاحة عن الناس وتظهر من العجز واللكن والحصر والتعرى عن الفضائل ماتشتهر به عند الناس لتتخذ الخروج عن ذلك واكتساب العلم والفصاحة دفعة واحدة ليقوم ذلك مقام المعجزة عند حاجتنا اليه فنصدق فيما نقوله ففعل عبد الله ذلك ثم ان محمدا استدنى اشخاصا من أهل الغرب جلادا فى القوى الجسمانية اغمارا وكان أميل الى الاغمار من اولى الفطن والاستبصار فاجتمع له منهم ستة سوى عبد الله الونشريسى ثم انه رحل الى أقصى المغرب واجتمع بعبد المؤمن بعد ذلك وتوجهوا جميعا الى مراكش وملكها يومئذ أبو الحسن على بن يوسف بن تاشفين وقد سبق ذكر والده فى ترجمة المعتمد بن عباد والمعتصم بن صمادح وكان ملكا عظيما حليما ورعا عادلا متواضعا وكان بحضرته رجل يقال له مالك بن وهيب الاندلسى وكان عالما صالحا فشرع محمد بن تومرت فى الانكار على جارى عادته حتى انكر على ابنة الملك وله فى ذلك قصة يطول شرحها فبلغ خبره الملك وانه يتحدث فى تغيير الدولة فتحدث مع مالك بن وهيب فى أمره وقال نخاف من فتح باب يعسر علينا سده والرأى ان تحضر هذا الشخص وأصحابه لنسمع كلامهم بحضور جماعة من علماء البلد فأجاب الملك الى ذلك وكان محمد وأصحابه مقيمين فى مسجد خراب خارج البلد فطلبوهم فلما ضمهم المجلس قال الملك لعلماء بلده سلوا هذا الرجل ما يبغى منا فانتدب له قاضى المرية واسمه محمد بن اسود فقال ماهذا الذى يذكر عنك من الاقوال فى حق الملك العادل الحليم المنقاد الى الحق المؤثر طاعة الله تعالى على هواه فقال له محمد بن تومرت اما مانقل عنى فقد قلته ولى من ورائه أقوال وأما قولك انه يؤثر طاعة الله تعالى على هواه وينقاد الى الحق فقد حضر اعتبار صحة هذا القول عنه ليعلم بتعريه عن هذه الصفة انه مغرور بما تقولون له وتطرونه به مع علمكم ان الحجة عليه متوجهة فهل بلغك ياقاضى ان الخمرة تباع جهارا وتمشى الخنازير بين المسلمين وتؤخذ أموال اليتامى وعدد من ذلك شيأ كثيرا فلما سمع الملك كلامه ذرفت عيناه وأطرق حياء ففهم الحاضرون من فحوى كلامه انه طامع فى المملكة لنفسه ولما رأوا سكوت الملك وانخداعه لكلامه لم يتكلم أحد

منهم فقال مالك بن وهيب وكان كثير الاجتراء على الملك أيها الملك ان عندى لنصيحة ان قبلتها حمدت عاقبتها وان تركتها لم تأمن غائلتها فقال الملك ماهي فقال انى خائف عليك من هذا الرجل وارى انك تعتقله واصحابه وتنفق عليهم كل يوم دينارا لتكتفي شره وان لم تفعل ذلك لتنفقن عليه خزائنك كلها ثم لا ينفعك ذلك فوافقه الملك على ذلك فقال له وزيره يقبح منك ان تبكى من موعظة هذا الرجل ثم تسيء اليه فى مجلس واحد وان يظهر منك الخوف منه على عظم ملكك وهو رجل فقير لا يملك سد جوعه فلما سمع الملك كلامه أخذته عزة النفس واستهون أمره وصرفه وسأله الدعاء (وحكى) صاحب كتاب المغرب فى اخبار أهل المغرب انه لما خرج من عند الملك لم يزل وجهه تلقاء وجههما الى ان فارقه فقيل له نراك قد تأدبت مع الملك اذلم تو له ظهرك فقال اردت ان لا يفارق وجهى الباطل حتى اغيره ما استطعت انتهى كلامه فلما خرج محمد بن تومرت وأصحابه من عند الملك قال لهم لا مقام لكم عندنا بمراكش مع وجود مالك بن وهيب فانا نأمن ان يعاود الملك فى أمرنا فينالنا منه مكروه وان لنا بمدينة اغمات اخا فى الله فنقصد المرور به فلن نعدم منه رأيا ودعاء صالحا واسم هذا الشخص عبد الحق بن ابراهيم وهو من فقهاء المصامدة فخرجوا اليه ونزلوا عليه واخبره محمد بن تومرت خبرهم واطلعه على مقصدهم وماجرى لهم عند الملك فقال عبد الحق هذا الموضع لا يحميكم وان أحصن المواضع المجاورة لهذا البلد تينمل وبيننا وبينها مسافة يوم فى هذا الجبل فانقطعوا فيه برهة ريثما يتناسى ذكركم فلما سمع محمد بهذا الاسم تجدد له ذكر اسم الموضع الذى رآه فى كتاب الجفر فقصده مع أصحابه فلما أتوه رآهم أهله على تلك الصورة فعلموا انهم طلاب العلم فقاموا اليهم واكرموهم وتلقوهم بالترحاب وأنزلوهم فى اكرم منازلهم وسأل الملك عنهم بعد خروجهم من مجلسه فقيل له انهم سافروا فسره ذلك وقال تخلصنا من الاثم بحبسهم ثم ان أهل الجبل تسامعوا بوصول محمد بن تومرت اليهم وكان قد سار فيهم ذكره فجاؤه من كل فج عميق وتبركوا بزيارته وكان كل من أتاه استدناه وعرض عليه ما فى نفسه من الخروج على الملك فان أجابه اضافه الى خواصه وان خالفه اعرض عنه وكان يستميل الاحداث وذوى الغرة وكان ذووا الحكم والعقل والحلم من أهاليهم ينهونهم ويحذرونهم من اتباعه ويخوفونهم من سطوة الملك فكان لا يتم له مع ذلك حال وطالت المدة وخاف محمد بن تومرت من مفاجأة الاجل قبل بلوغ الامل وخشى ان يطرأ على أهل الجبل من جهة الملك ما يحوجهم الى تسليمه اليه والتخلى عنه فشرع فى اعمال الحيلة فيما يشاركونه فيه ليعصوا على الملك بسببه فرأى بعض أولاد القوم شقرا زرقا وألوان آبائهم السمرة والكحل فسألهم عن سبب ذلك فلم يجيبوه فألزمهم بالاجابة فقالوا نحن من رعية هذا الملك وله علينا خراج وفى كل سنة تصعد مماليكه الينا وينزلون فى بيوتنا ويخرجوننا عنها ويخلون بمن فيها من النساء فتأتى أولادنا على هذه الصفة وما لنا قدرة على دفع ذلك عنا فقال محمد والله ان الموت خير من هذه

الحياة وكيف رضيتم بهذا وأنتم اضرب خلق الله بالسيف واطعنهم بالحربة فقالوا بالرغم لا بالرضى فقال أرأيتم لو ان ناصرا نصركم على اعدائكم ما كنتم تصنعون قالوا كنا نقدم انفسنا بين يديه للموت قالوا من هو قال ضيفكم يعني نفسه فقالوا السمع والطاعة وكانوا يغالون في تعظيمه فأخذ عليهم العهود والمواثيق واطمأن قلبه ثم قال لهم استعدوا لحضور هؤلاء بالسلاح فاذا جاؤكم فأجروهم على عاداتهم وخلوا بينهم وبين النساء وميلوا عليهم بالخمور فاذا اسكروا فآذنوني بهم فلما حضر المماليك وفعل بهم أهل الجبل ما أشار به محمد وكان ليلا فأعلموه بذلك فأمر بقتلهم بأسرهم فلم يمض من الليل ساعة حتى أتوا على آخرهم ولم يفلت منهم سوى مملوك واحد كان خارج المنازل لحاجة له فسمع التكبير عليهم والوقوع بهم فهرب من غير الطريق حتى خلص من الجبل ولحق بمراكش وأخبر الملك بما جرى فندم على فوات محمد بن تومرت من يده وعلم ان الحزم كان مع مالك بن وهيب فيما أشار به فجهز من وقته خيلا بمقدار ما يسع وادي تينمل فانه ضيق المسلك وعلم محمد بن تومرت انه لا بد من عسكر يصل اليهم فأمر أهل الجبل بالقعود على انقاب الوادي ومراصده واستنجد لهم بعض المجاورين فلما وصلت الخيل اليهم أقبلت عليهم الحجارة من جانبي الوادي مثل المطر وكان ذلك من اول النهار الى آخره وحال بينهم الليل فرجع العسكر الى الملك وأخبروه بما تم لهم فعلم انه لا طاقة له بأهل الجبل لتحصنهم فاعرض عنهم وتحقق محمد بن تومرت ذلك منه وصفت له مودة أهل الجبل فعند ذلك استدعى الونشريسي المذكور وقال له هذا أوان اظهار فضائلك دفعة واحدة ليقوم لك مقام المعجزة لنستميل بذلك قلوب من ليس يدخل في الطاعة ثم اتفقا على انه يصلي الصبح ويقول بلسان فصيح بعد استعمال العجمة واللكنة في تلك المدة اني رأيت البارحة في منامي انه قد نزل الي ملكان من السماء وشقا فؤادي وغسلاه وحشياه علما وحكمة وقرآنا فلما اصبح فعل ذلك وهو فصل يطول شرحه فانقاد له كل صعب القياد وعجبوا من حاله وحفظه القرآن في النوم فقال له محمد بن تومرت فعجل لنا بالبشرى في أنفسنا وعرفنا أسعداء نحن ام اشقياء فقال له اما أنت فانك المهدي القائم بامر الله ومن تبعك سعد ومن خالفك هلك ثم قال اعرض أصحابك علي حتى أميز أهل الجنة من أهل النار وعمل في ذلك حيلة قتل بها من خالف أمر محمد بن تومرت وأبقى من أطاعه وشرح ذلك يطول وكان غرضه ان لا يبقى في الجبل مخالف لمحمد بن تومرت فلما قتل من قتل علم محمد بن تومرت ان في الباقين من له أهل وأقارب قتلوا وانهم لا تطيب قلوبهم بذلك فجمعهم وبشرهم بانتقال ملك مراكش اليهم واغتنام أموالهم فسرهم ذلك وسلاهم عن أهلهم وبالجملة فان تفصيل هذه الواقعة طويل ولسنا بصدد ذلك وخلاصة الامر أن محمد بن تومرت لم يزل حتى جهز جيشا عدد رجاله عشرة آلاف بين فارس وراجل وفيهم عبد المؤمن والونشريسي وأصحابه كلهم وأقام هو بالجبل فنزل القوم لحصار مراكش وأقاموا عليها شهرا ثم كسروا كسرة شنيعة وهرب من سلم من القتل وكان

فمن سلم عبد المؤمن وقتل الونشريسي وبلغ محمد بن تومرت الخبر وهو بالجبل وحضرته الوفاة قبل عود أصحابه اليه فاوصى من حضر أن يبلغ الغائبين أن النصر لهم وان العاقبة حميدة فلا يضجروا وليعاودوا القتال وان الله سبحانه وتعالى سيفتح على أيديهم والحرب سجال وانكم ستقوون ويضعفون ويقلون وتكثرون وأنتم في مبدأ أمرهم في آخره ومثل هذه الوصايا واشباهها وهي وصية طويلة ثم انه توفي الى رحمة الله تعالى في سنة أربع وعشرين وخمسمائة ودفن في الجبل وقبره هنالك مشهور يزار وهذه السنة تسمى عندهم عام البحيرة وكانت ولادته يوم عاشوراء سنة خمس وثمانين وأربعمائة وأول ظهوره ودعائه الى هذا الامر سنة أربع عشرة وخمسمائة وكان رجلا ربعة قطيعا اسمر عظيم الهامة حديد النظر وقال صاحب كتاب المغرب في أخبار أهل المغرب في حقه

آثاره تنبيك عن اخباره * حتى كانك بالعيان تراه

له قدم في الثرى وهمة في الثريا ونفس ترى اراقة ماء الحياة دون اراقة ماء المحيا اغفل المرابطون حله وربطه حتى دب دبيب الفلق في الغسق وترك في الدنيا دويا انشأ دولة لو شاهدها أبو مسلم لكان لعزمه فيها غير مسلم وكان قوته من غزل أخت له في كل يوم رغيفا بقليل سمن أو زيت ولم ينتقل عن هذا حين كثرت عليه الدنيا ورأى أصحابه يوما وقد مالت نفوسهم الى كثرة ما غنموه فأمر بضم ذلك جميعه واحرقه وقال من كان يبغي للدنيا فما له عندي الا ما رأى ومن يبغي للآخرة فجزاؤه عند الله تعالى وكان على خمول زيه وبسط وجهه مهيبا منيع الحجاب الا عند مظلمة وله رجل مختص بخدمته والاذن عليه وكان له شعر فمن ذلك قوله

أخذت باعضادهم اذ نأوا * وخلفك القوم اذ ودعوا
فكم أنت تنهى ولا تنتهي * وتسمع وعظا ولا تسمع
فيا حجر السن حتى متى * تسن الحديد ولا تقطع

وكان كثيرا ما ينشد

تجرد من الدنيا فانك انما * خرجت الى الدنيا وأنت مجرد

وكان أيضا يتمثل بقول المتنبي

اذا غامرت في شرف مروم * فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير * كطعم الموت في أمر عظيم

وبقوله أيضا

ومن عرف الايام معرفتي بها * وبالناس روّى رمحه غير راحم
فليس بمرحوم اذا ظفروا به * ولا في الردى الجاري عليهم بآثم

وبقوله أيضا

وما أنا منهم بالعيش فيهم * ولكن معدن الذهب الرغام

ولم يفتح شيأ من البلاد وانما قرر القواعد ومهدها ورتب الاحوال ووطدها وكانت الفتوحات على يد عبد المؤمن كما تقدم ذكره في ترجمته والهرغي بفتح الهاء وسكون الراء وبعدها غين معجمة هذه النسبة الى هرغة وهي قبيلة كبيرة من المصامدة في جبل السوس في أقصى المغرب تنسب الى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما يقال انها نزلت في ذلك المكان عندما فتح المسلمون البلاد على يد موسى بن نصير الآتي ذكره ان شاء الله تعالى وتومرت بضم التاء المثناة من فوقها وسكون الواو وفتح الميم وسكون الراء بعدها تاء مثناة من فوقها أيضا وهو اسم بربري والونشريسي بفتح الواو وسكون النون وفتح الشين المعجمة وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها سين مهملة هذه النسبة الى ونشريس وهي بليدة بافريقية من أعمال بجاية بين باجة وقسطنطينية المغرب وتينمل بكسر التاء المثناة من فوقها وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون ثم ميم مفتوحة ولام مشددة وقد تقدم الكلام على الجفر في ترجمة عبد المؤمن فليكشف من هنالك والله أعلم

أبو بكر الاخشيد

أبو بكر محمد بن أبي محمد طغج بن جف بن يلتكين بن فوران بن فوري بن خاقان الفرغاني الاصل

صاحب سرير الذهب المنعوت بالاخشيد صاحب مصر والشام والحجاز أصله من أولاد ملوك فرغانة وكان المعتصم بالله بن هارون الرشيد قد جلبوا اليه من فرغانة جماعة كثيرة فوصفوا له جف وغيره بالشجاعة والتقدم في الحروب فوجه المعتصم من أحضرهم فلما وصلوا اليه بالغ في اكرامهم وأقطعهم قطائع بسر من رأى وقطائع جف الى الآن معروفة هنالك ولم يزل مقيما بها وجاءته الاولاد وتوفي جف ببغداد في الليلة التي قتل فيها المتوكل وكانت ليلة الاربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين فخرج أولاده الى البلاد يتصرفون ويطلبون لهم معايش فاتصل طغج بن جف بلؤلؤ غلام ابن طولون وهو اذ ذاك مقيم بديار مصر فاستخدمه على ديار مصر ثم انحاز طغج الى جملة أصحاب اسحاق بن كنداج فلم يزل معه الى ان مات أحمد بن طولون وجرى الصلح بين ولده أبي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون المقدم ذكره وبين اسحاق بن كنداج ونظر أبو الجيش الى طغج بن جف في جملة أصحاب اسحاق فأعجب به وأخذه من اسحاق وقدمه على جميع من معه وقلده دمشق وطبرية ولم يزل معه الى ان قتل أبو الجيش في تاريخه المقدم ذكره فرجع طغج الى الخليفة المكتفي بالله فخلع عليه وعرف له ذلك وكان وزير الخليفة يومئذ العباس بن الحسن فسام طغج ان يجري في التذلل له مجرى غيره فكبرت نفس طغج عن ذلك فاغرى به الملك المكتفي فقبض عليه وحبسه وابنه أبا بكر محمد بن طغج المذكور فتوفي طغج في السجن وبقي ولده أبو بكر بعده محبوسا مدة ثم أطلق وخلع عليه ولم يزل يراصد العباس بن الحسن الوزير المذكور حتى أخذ بثار أبيه هو وأخوه

عبيدالله في الوقت الذي قتل فيه الحسين بن حمدان ثم خرج أبو بكر وأخوه عبيد الله في سنة ست وتسعين ومائتين وهرب عبيد الله الى ابن أبي الساج وهرب أبو بكر الى الشام وأقام متغربا في البادية سنة ثم اتصل بابي منصور تكين الجزري فكان أكبر أركانه وبما كبر به اسمه سريته في البعث أي الجمع الذين تجمعوا على الحجاج لقطع الطريق عليهم وذلك سنة ست وثلثمائة وهو يومئذ يتقلد عمان وجبل الشراة من قبل تكين المذكور وظفر بهم ونجا الحجاج وقد فرغ من أمرهم باسر من اسره وقتل من قتله وشرد الباقين وكان قد حج في هذه السنة من دار الخليفة المقتدر بالله امرأة تعرف بعجوز فحدثت المقتدر بالله بما شاهدت منه فانفذ اليه خلعا وزاده في رزقه ولم يزل أبو بكر في صحبة تكين الى سنة ست عشرة وثلمائة ثم فارقه بسبب اقتضى ذلك ولا حاجة بنا الى التطويل في ذكره وسار الى الرملة فوردت كتب المقتدر اليه بولاية الرملة فأقام بها الى سنة ثماني عشرة فوردت كتب المقتدر اليه بولاية دمشق فسار اليها ولم يزل بها الى ان ولاه القاهر بالله ولاية مصر في شهر رمضان سنة احدى وعشرين وثلثمائة ودعى له بها مدة اثنين وثلاثين يوما ولم يدخلها ثم ولى أبو العباس أحمد بن كيلغ الولاية الثانية من قبل القاهر أيضا لتسع خلون من شوال سنة احدى وعشرين وثلثمائة ثم أعيد اليها أبو بكر محمد بن الاخشيد من جهة الخليفة الراضي بالله بن المقتدر بعد خلع عمه القاهر عن الخلافة وضم اليه البلاد الشامية والجزيرة والحرمين وغير ذلك ودخل مصر يوم الاربعا لسبع بقين من شهر رمضان المعظم سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة وقيل انه لم يزل على مصر فقط الى ان توفي الراضي بالله في سنة تسع وعشرين وثلثمائة وتولى أخوه المتقي لامر الله فضم اليه الشام والحجاز وغير ذلك والله أعلم ثم ان الراضي لقبه بالاخشيد في شهر رمضان المعظم سنة سبع وعشرين وثلثمائة وانما لقبه بذلك لانه لقب ملوك فرغانة وهو من أولادهم كما سبق ذكره في اول هذه الترجمة وتفسيره بالعربي ملك الملوك وكل من ملك تلك الناحية لقبوه بهذا اللقب كما لقبوا كل من ملك فارس كسرى وملك الترك خاقان وملك الروم قيصر وملك الشام هرقل وملك اليمن تبع وملك الحبشة النجاشي وغير ذلك وقيصر كلمة فرنجية تفسيرها بالعربية شق عنه وسببه ان امه ماتت في المخاض فشق بطنها وأخرج فسمي قيصر وكان يفتخر بذلك على غيره من الملوك لانه لم يخرج من الرحم واسمه اغسطس وهو اول ملوك الروم وقد قيل انه في السنة الثالثة والاربعين من ملكه ولد المسيح عيسى عليه السلام وقيل في السنة السابعة عشر من ملكه فسموا ملوك الروم باسمه والله أعلم ودعي للاخشيد على المنابر بهذا اللقب واشتهر به وصار كالعلم عليه وكان ملكا حازما كثير التيقظ في حروبه ومصالح دولته حسن التدبير مكرما للجند شديد القوى لا يكاد يجر قوسه غيره وذكر محمد بن عبد الملك الهمداني في تاريخه الصغير الذي سماه عيون السير أن جيشه كان يحتوي على أربعمائة ألف رجل وانه كان جبانا وكان له

ثمانية آلاف مملوك يحرسه فى كل ليلة ألفان منهم ويوكل بجانب خيمته الخدم اذا سافر ثم لا يثق حتى يمضى الى خيم الفراشين فينام فيها ولم يزل على مملكته وسعادته الى ان توفى فى الساعة الرابعة من يوم الجمعة لثمان بقين من ذى الحجة سنة أربع وثلاثين وثلثمائة بدمشق وحمل تابوته الى بيت المقدس فدفن به وقال أبو الحسين الرازى توفى فى سنة خمس وثلاثين والله أعلم وكانت ولادته يوم الاثنين منتصف شهر رجب من سنة ثمان وستين ومائتين ببغداد بشارع باب الكوفة رحمه الله تعالى وهو استاذ كافور الاخشيذى وفاتك المجنون وقد تقدم ذكر كل واحد منهما فى ترجمة مستقلة فى هذا الكتاب ثم قام كافور المذكور بتربية ابنى مخدومه أحسن قيام وهما أبو القاسم انوجور (١) وأبو الحسن على كما تقدم شرحه فى ترجمة كافور فأغنى عن اعادته ههنا وقد ذكرت هناك تاريخ مولد كل واحد منهما ومدة ولايته وتاريخ وفاته على سبيل الاختصار واستوفيت حديث كافور وما كان منه الى حين وفاته وأن الجند أقاموا بعده أبا الفوارس أحمد بن على بن الاخشيذ المذكور وأحلت بقية الكلام فى ذلك على ذكره فى هذه الترجمة وكان عمر أبى الفوارس أحمد يوم ذاك احدى عشرة سنة وجعلوا خليفته فى تدبير أموره أبا محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج بن جف وهو ابن عم أبيه وكان صاحب الرملة من بلاد الشام وهو الذى مدحه المتنبى بقصيدته التى اولها

أنا لائمى ان كنت وقت اللوائم * علمت بما بى بين تلك المعالم

وقال فى مخلصها

اذا صلت لم اترك مصالا لفاتك * وان قلت لم اترك مقالا لعالم

والا فخانتنى القوافى وعاقنى * عن ابن عبيد الله ضعف العزائم

وما أحسن قوله فيها

ارى دون ما بين الفرات وبرقة * ضرابا يمشى الخيل فوق الجماجم

وطعن غطاريف كأن اكفهم * عرفن الردينيات قبل المعاصم

حمته على الاعداء من كل جانب * سيوف بنى طغج بن جف القماقم

هم المحسنون الكر فى حومة الوغى * وأحسن منه كرهم فى المكارم

وهم يحسنون العفو عن كل مذنب * ويحتملون الغرم عن كل غارم

حييون الا انهم فى نزالهم * اقل حياء من شفار الصوارم

ولولا احتقار الاسد شبهتها بهم * ولكنها معدودة فى البهائم

ومنها

كريم نفضت الناس لما بلغته * كأنهم ما جف من زاد قادم

وكاد سرورى لا يفى بندامتى * على تركه فى عمرى المتقادم

وهى قصيدة طويلة (٢) من غرر القصائد ولما تقرر الامر على هذه القاعدة تزوج الحسن

(١) معناه ... مؤلفه فى ...

(٢) ٣٦ ...

ابن عبيد الله فاطمة ابنة عمه الاخشيذ ودعوا له على المنابر بعد أبي الفوارس أحمد بن
علي وهو بالشام واستمر الحال على ذلك الى يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان
من سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ودخل الى مصر رايات المغاربة الواصلين صحبة القائد
جوهر المغربي المقدم ذكره وانقرضت الدولة الاخشيذية وكانت مدتها أربعا وثلاثين
سنة وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يوما وكان قدم ابن عبيد الله من الشام منهزما
من القرامطة ودخل على ابنة عمه التي تزوجها وحكم وتصرف وقبض على الوزير جعفر
ابن الفرات وصادره وعذبه ثم سار الى الشام في مستهل شهر ربيع الآخر من سنة ثمان
وخمسين وثلثمائة ولما سير القائد جوهر المغربي جعفر بن فلاح الى الشام وملك البلاد
حسبما شرحته في ترجمته أسر جعفر بن فلاح أبا محمد بن عبيد الله وسيره الى مصر مع جماعة
من امراء الشام الى القائد جوهر ودخلوا مصر في جمادى الاولى سنة سبع وخمسين
وكان ابن عبيد الله قد أساء الى أهل مصر في مدة ولايته عليهم فلما وصلوا الى مصر
تركوهم وقوفا مشهورين مقدار سبع ساعات والناس ينظرون اليهم وشمت بهم من في
نفسه منهم شيء ثم انزلوا في مضرب القائد جوهر وجعلوا مع المعتقلين وفي السابع عشر من
جمادى الاولى ارسل القائد جوهر ولده جعفرا الى مولاه المعز ومعه هدايا عظيمة تجل عن
الوصف وأرسل معه المأسورين الواصلين من الشام وفيهم ابن عبيد الله وحملوا
في مركب بالنيل وجوهر واقف ينظر اليهم فانقلب المركب فصاح ابن عبيد الله
على القائد جوهر يا أبا الحسن أتريد أن تغرقنا فاعتذر اليه وأظهر التوجع له ثم نقلوا الى
مركب آخر وكانوا مقيدين فلم اقف لهم بعدها على خبر والله أعلم ثم وجدت بعدها
في تاريخ العتقي ان الحسن المذكور توفي ليلة الجمعة لعشر بقين من شهر رجب سنة
احدى وسبعين وثلثمائة وصلى عليه العزيز نزار بن المعز المذكور في القصر بالقاهرة
وذكر الفرغاني في تاريخه ان ولادة الحسن المذكور في سنة اثنتي عشرة وثلثمائة وانه توفي
في التاريخ المذكور وان أبا الفوارس أحمد بن علي المذكور توفي لثلاث عشرة ليلة
خلت من ربيع الاول سنة سبع وسبعين وثلثمائة والله أعلم والاخشيذ بكسر الهمزة
وسكون الخاء المعجمة وكسر الشين المعجمة وبعدها ياء ساكنة مثناة من تحتها ثم ذال
معجمة وقد تقدم الكلام على هذه الكلمة وطغج بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة
وبعدها جيم (١) وجف بضم الجيم وفتحها وبعدها فاء مشددة ويلتكين بفتح الياء
المثناة من تحتها وسكون اللام وكسر التاء المثناة من فوقها وبعدها كاف مكسورة
ثم ياء مثناة من تحتها ثم نون وفوران بضم الفاء وفورى بضم الفاء. وأما تكين
المذكور فانه ولي مصر ثلاث مرات وتوفي بها في المرة الثالثة يوم السبت لست
عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة احدى وعشرين وثلثمائة وتولاها بعده
أبو بكر الاخشيذ كما تقدم ذكره وأما أحمد بن كيغلغ (٢) فقد ذكره الحافظ ابن عساكر

فى تاريخ دمشق فى ترجمة مستقلة وذكر ولاية مصر قال وجرت بينه و بين محمد بن تكين الخاصة حروب الى ان خاص الامر له ثم قدم محمد بن طغج أميرا على مصر من قبل الراضى فسلم اليه مصر وكان أحمد أديبا شاعرا ومن شعره

لا يكن للكاس فى كفـك يوم الغيث لبث
اوما تعلم ان الـغيث ساق مستحث

ومن شعره أيضا

وا عطشا الى فـم * يمج خمرا من برد
ان قسم الناس فحسـبى بك من كل أحد

ثم قال ومات أخوه ابراهيم بن كيغلغ فى مستهل ذى القعدة سنة ثلاث وثلثمائة وابنه اسحاق بن ابراهيم هو الذى كان بطرابلس وعاق بها أبا الطيب المتنبى لما قدمها من الرملة يريد انطاكية ليمدحه وهجاه بقصيدة (١) اولها

(١) ٦

لهوى القلوب سريرة لا تعلم * عرضا نظرت وخلت أنى أسلم

ثم قام من غده فبلغه موته بجبلة فقال

(٢) ٢٠

قالوا لنا مات اسحاق فقلت لهم * هذا الدواء الذى يشفى من الحمق (٢)

وهذه القصيدة والتى من قبلها موجودتان فى ديوانه فلذلك تركنا ذكرهما وله فيه أيضا غيرهما من الهجاء تجاوز الله عنهم أجمعين

طغرلبك

أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق
الملقب ركن الدين طغرلبك اول ملوك السلجوقية

كان هؤلاء القوم قبل استيلائهم على الممالك يسكنون فيما وراء النهر فى موضع بينه و بين بخارى مسافة عشرين فرسخا وهم اتراك وكانوا عددا يجل عن الحصر والاحصاء وكانوا لا يدخلون تحت طاعة سلطان واذا قصدهم جمع لا طاقة لهم به دخلوا المفاوز وتحصنوا بالرمال ولا يصل اليهم أحد فلما عبر السلطان محمود بن سبكتكين الى ماوراء النهر وكان سلطان خراسان وغزنة وتلك النواحى وسيأتى ذكره ان شاء الله تعالى وجد زعيم بنى سلجوق قوى الشوكة كثير العدة يتصرف فى أمره على المخاتلة والمراوغة وينتقل من أرض الى غيرها ويغير فى اثناء ذلك على تلك البلاد فاستماله وجذبه ولم يزل يخدعه حتى اقدمه اليه فأمسكه وحمله الى بعض القلاع واعتقله وشرع فى اعمال الحيلة فى تدبير أمر أصحابه واستشار اعيان دولته فى شأنهم فمنهم من أشار باغراقهم فى نهر جيحون وأشار آخرون بقطع ابهام كل رجل منهم ليتعذر عليهم الرمى والعمل بالسلاح واختلفت الآراء فى ذلك وآخر ماوقع الاتفاق عليه ان يعبر بهم جيحون الى أرض خراسان ويفرقهم فى النواحى و يضع عليهم الخراج ففعل ذلك فدخلوا فى الطاعة واستقاموا وأقاموا على تلك الحالة مدة فطمع فيهم العمال وظلموهم وامتدت اليهم أيدى الناس وتهضموا جانبهم

وأخذوا من أموالهم ومواشيهم فانفصل منهم ألف أبيت ومضوا الى بلاد كرمان وملكها يومئذ الامير أبو الفوارس بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه فأقبل عليهم وخلع على وجوههم وعزم على استخدامهم فلم يستقروا عشرة أيام حتى مات أبو الفوارس وخافوا من الديلم وهم أهل ذلك الاقليم فبادروا الى قصد اصبهان ونزلوا بظاهرها وصاحبها علاء الدولة أبو جعفر بن كاكويه فرغب فى استخدامهم فكتب اليه السلطان محمود يأمره بالايقاع بهم وبينهم فتراقعوا وقتل من الطائفتين جماعة وقصد الباقون اذربيجان وانحاز الذين بخراسان الى جبل قريب من خوارزم فجرد السلطان محمود جيشا وأرسله فى طلبهم فتتبعوهم فى تلك المفاوز مقدار سنتين ثم قصدهم محمود بنفسه ولم يزل فى اثرهم حتى شردهم وشتتهم ثم توفى محمود عقيب ذلك فى التاريخ الآتى ذكره فى ترجمته ان شاء الله تعالى وقام بالامر بعده ولده مسعود فاحتاج الى الاستظهار بالجيوش فكتب الى الطائفة التى باذربيجان لتتوجه اليه فجاءه منهم ألف فارس فاستخدمهم ومضى بهم الى خراسان فسألوه فى أمر الباقين الذين شتتهم والده محمود فراسلهم وشرط عليهم لزوم الطاعة فاجابوه الى ذلك وأتتهم وحضروا اليه ورتبهم على ما كان والده قد رتبهم أولا ثم دخل مسعود بلاد الهند لاضطراب أحوالها عليه فخلت لهم البلاد وعادوا الى الفساد وبالجملة فان الشرح فى هذا يطول وجرى هذا كله والسلطان طغرلبك المذكور وأخوه داود ليسا معهم بل كانا فى موضعهم من نواحى ماوراء النهر وجرت بينهما وبين ملكشاه صاحب بخارى وقعة عظيمة قتل فيها خلق كثير من أصحابهما ودعت حاجتهما الى اللحوق باصحابهما الذين بخراسان فكاتبوا مسعودا وسألوه الامان والاستخدام فحبس الرسل وجرد جيوشا لمواقعة من بخراسان منهم فكانت منهم مقتلة عظيمة ثم انهم اعتذروا الى مسعود وبذلوا له الطاعة وضمنوا له أخذ خوارزم من صاحبها فطيب قلوبهم وافرج عن الرسل الواصلين من جهة ماوراء النهر وسألوه ان يفرج عن زعيمهم الذى اعتقله أبوه محمود فى اول الامر فاجابهم الى سؤالهم وأنزله من تلك القلعة وحمل الى بلخ مقيدا فاستأذن مسعودا فى مراسلة ابنى أخيه طغرلبك وداود المقدم ذكرهما فأذن له وأرسلهما وحاصل الامر انهما وصلا الى خراسان ومعهما أيضا جيش كبير فاجتمع الجميع وجرت لهم مع ولاة خراسان ونواب مسعود فى البلاد أسباب يطول شرحها وخلاصة الامر انهم استظهروا عليهم وظفروا بهم واول شئ من البلاد ملكوه طوس وقيل الرى وكان تملكهم فى سنة تسع وعشرين وأربعمائة ثم بعد ذلك بقليل ملكوا نيسابور احدى قواعد خراسان فى شهر رمضان من السنة المذكورة وكان السلطان طغرلبك المذكور كبيرهم واليه الامر والنهى فى السلطنة وأخذ أخوه داود المذكور مدينة بلخ وهو والد الب ارسلان الآتى ذكره ان شاء الله تعالى واتسع لهم الملك واقتسموا البلاد وانحاز مسعود الى غزنة وتلك النواحى وكانوا يخطبون له فى اول الامر وعظم شأنهم الى ان

راسلهم الامام القائم بامر الله وكان الرسول الذى أرسله اليهم القاضى أبا الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى مصنف الحاوى فى الفقه وقد تقدم ذكره ثم ملك بغداد والعراق فى سادس عشر شهر رمضان المعظم سنة سبع وأربعين وأربعمائة وأوصاهم بتقوى الله تعالى والعدل فى الرعية والرفق بهم وبث الاحسان الى الناس وكان طغرلبك حليما كريما محافظا على الصلوات الخمس فى أوقاتها جماعة وكان يصوم الاثنين والخميس ويكثر الصدقات ويبنى المساجد ويقول أستحيى من الله سبحانه وتعالى ان ابنى لى دارا ولا ابنى الى جانبها مسجدا ومن محاسنه المسطورة انه سير الشريف ناصر الدين بن اسماعيل رسولا الى ملكة الروم وكانت اذ ذاك امرأة كافرة فاستأذنها فى الصلوات الخمس بجامع القسطنطينية جماعة يوم الجمعة فأذنت له فى ذلك فصلى وخطب للامام القائم وكان رسول المستنصر العبيدى صاحب مصر حاضرا فانكر ذلك وكان من اكبر الاسباب فى فساد الحال بين المصريين والروم ولما تمهدت له البلاد وملك العراق وبغداد سير الى الامام القائم وخطب ابنته فشق على القائم ذلك واستعفى منه وترددت الرسل بينهما ذكر ذلك فى الشذور سنة ثلاث وخمسين واربعمائة فلم يجد من ذلك بدا فزوجه بها وعقد العقد بظاهر مدينة تبريز ثم توجه الى بغداد فى سنة خمس وخمسين واربعمائة ولما دخلها سير طلب الزفاف وحمل مائة ألف دينار برسم حمل القماش ونقله فزفت اليه ليلة الاثنين خامس عشر صفر بدار المملكة وجلست على سرير ملبس بالذهب ودخل اليها السلطان فقبل الارض بين يديها ولم يكشف البرقع عن وجهها فى ذلك الوقت وقدم لها تحفا يقصر الوصف عن ضبطها وقبل الارض وخدم وانصرف وظهر عليه سرور عظيم وبالجملة فاخبار الدولة السلجوقية كثيرة وقد اعتنى بها جماعة من المؤرخين وألفوا فيها تآليف اشتملت على تفاصيل أمرهم وما قصدت من الاتيان بهذه النبذة الا التنبيه على مبدأ أحوالهم ليكشف جلية ذلك من يروم الوقوف عليه وتوفى طغرلبك المذكور يوم الجمعة ثامن شهر رمضان سنة خمس وخمسين واربعمائة بالرى وعمره سبعون سنة ونقل الى مرو ودفن عند قبر أخيه داود وسيأتى ذكره فى ترجمة ولده البارسلان ان شاء الله تعالى وقال ابن الهمذانى فى تاريخه انه دفن بالرى فى تربة هناك وكذا قال السمعانى فى الذيل فى ترجمة السلطان سنجر المقدم ذكره وحكى وزيره محمد بن منصور الكندى المقدم ذكره عنه انه قال رأيت وأنا بخراسان فى المنام كأننى رفعت الى السماء وأنا فى ضباب لا ابصر معه شيأ غير أنى أشم رائحة طيبة واذا انا بمناد ينادى أنت قريب من البارى جلت قدرته فاسأل حاجتك لتقضى فقلت فى نفسى اسأل طول العمر فقيل لك سبعون سنة فقلت يارب لا تكفينى فقيل لك سبعون سنة فقلت لا تكفينى فقيل لك سبعون سنة ذكر هذا شيخنا ابن الاثير فى تاريخه ولما حضرته الوفاة قال انما مثلى مثل شاة تشد قوائمها لجز الصوف فتظن انها تذبح فتضطرب حتى اذا اطلقت تفرح

تأمل فى قوله الخ مع كونه قبل فتدبرها

ثم تشد للذبح فتظن انه جز الصوف فتسكن فتذبح وهذا المرض الذى أنا فيه هو شد القوائم للذبح فمات منه رحمه الله تعالى ولم تقم بنت الامام القائم فى صحبته الا مقدار ستة أشهر ولم يخلف ولدا ذكرا فانتقل ملكه الى ابن أخيه البارسلان حسبما شرح فى ترجمته وماتت زوجته بنت القائم فى سنة ست وتسعين واربعمائة فى سادس المحرم وطغرلبك بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وضم الراء وسكون اللام وفتح الباء الموحدة وبعدها كاف وهو اسم علم تركى مركب من طغرل وبك وهو اسم علم بلغة الترك لطائر معروف عندهم وبه سمى الرجل وبك معناه الامير وسلجوق بفتح السين المهملة وسكون اللام وضم الجيم وسكون الواو وبعدها قاف ودقاق بضم الدال المهملة وبين القافين ألف وجيحون بفتح الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وضم الحاء المهملة وسكون الواو وبعدها نون وهو النهر العظيم الفاصل ما بين خوارزم وبلاد خراسان وبين بخارى وسمرقند وتلك البلاد وكل ما كان من تلك الناحية فهو ماوراء النهر والمراد بالنهر هو النهر المذكور وهو أحد انهار الجنة التى جاء ذكرها فى الحديث انه يخرج منها أربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان فالظاهران النيل والفرات والباطنان سيحون وجيحون وسيحون بفتح السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وضم الحاء المهملة وسكون الواو وبعدها نون وهو وراء جيحون فيما يلى بلاد الترك وبينهما مسافة خمسة وعشرين يوما وهذان النهران مع عظمهما وسعة عرضهما يجمدان فى زمن الشتاء وتعبر القوافل عليهما بدوابهم واثقالهم ويقيمان كذلك مقدار ثلاثة اشهر وهذا كله وان كان خارجا عن مقصودنا لكنه متعلق بما نحن فيه فانتشر الكلام وما يخلو من فائدة يقف عليها من كان يتوقعها ممن بعدت بلاده ولا يعرف صورة الحال

أبو شجاع محمد بن جعفر بك داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق الملقب عضد الدولة ألبارسلان وهو ابن أخى السلطان طغرلبك المتقدم ذكره وقد تقدم فى ترجمة طغرلبك طرف من أخبار والده داود المذكور ولما مات السلطان طغرلبك فى التاريخ المذكور فى ترجمته نص على تولية الامر لسليمان بن داود أخى ألبارسلان المذكور ولم ينص عليه الالان امه كانت عنده فتبع هواها فى ولدها فتمام سليمان بالامر وثار عليه اخوه البارسلان وعمه شهاب الدولة قتلمش وجرت بينهم خطوب فلم يتم لسليمان الامر وكانت النصرة لاخيه البارسلان فاستولى على الممالك وعظمت مملكته ورهبت سطوته وفتح من البلاد مالم يكن لعمه طغرلبك مع سعة ملك عمه وقصد بلاد الشام فانتهى الى مدينة حلب وصاحبها يومئذ محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابى فحاصره مدة ثم جرت المصالحة بينهما فقال ألبارسلان لا بد له من وطء بساطى فخرج اليه محمود ليلا ومعه أمه فتلقاهما بالجميل وخلع عليهما وأعادهما الى البلد ورحل عنها وقال المأمون فى تاريخه قيل انه لم يعبر الفرات فى قديم الزمان ولا حديثه فى الاسلام

السلجوقى

ملك ترکی قبل ألبارسلان فانه أول من عبره من ملوك الترك ولما عاد عزم على قصد بلاد الترك وقد كمل عسكره مائتى ألف فارس أو يزيدون فمد على جيحون المقدم ذكره جسرا وأقام العسكر يعبر عليه شهرا وعبر هو بنفسه أيضا ومد السماط في بليدة يقال لها فربر ولتلك البلدة حصن على شاطئ جيحون في السادس من شهر ربيع الاول سنة خمس وستين واربعمائة فاحضر اليه اصحابه مستحفظ الحصن ويقال له يوسف الخوارزمى وكان قد ارتكب جريمة في أمر الحصن فحمل اليه مقيدا فلما قرب منه أمر أن تضرب أربعة أوتاد لتشد أطرافه الاربعة اليها ويعذبه ثم يقتله فقال يوسف المذكور مثلى يفعل به هذه المثلة فغضب ألبارسلان وأخذ قوسه وجعل فيها سهما وأمر بحل قيده ورماه فأخطأه وكان مدلا برميه وكان جالسا على سريره فنزل عنه فعثر ووقع على وجهه فبادره يوسف المذكور وضربه بسكين كانت معه في خاصرته فوثب عليه فراش أرمنى فضربه في رأسه بمرزبة فقتله فانتقل ألبارسلان الى خيمة اخرى مجروحا فاحضر وزيره نظام الملك أبا على الحسن المذكور في حرف الحاء وأوصى اليه وجعل ولده ملكشاه ولى عهده وسيأتى ذكره ان شاء الله تعالى ثم توفي في يوم السبت عاشر الشهر المذكور وكانت ولادته سنة أربع وعشرين واربعمائة وكانت مدة ملكه تسع سنين واشهرا ونقل الى مرو ودفن عند قبر أبيه داود وعمه طغرلبك ولم يدخل بغداد ولا رآها مع انها كانت داخلة في ممالكه وهو الذى بنى على قبر الامام أبي حنيفة مشهدا وبنى ببغداد مدرسة انفق عليها أموالا عظيمة وذكر في كتاب زبدة التواريخ أنه جرح يوم السبت سلخ شهر ربيع الاول سنة خمس وستين وعاش بعد الجراحة ثلاثة أيام والله أعلم وقد تقدم ذكر أبيه وانه كان صاحب بلخ وتوفي بها في رجب سنة احدى وخمسين وقيل سنة خمسين واربعمائة ونقل الى مرو ودفن بها وقيل انه توفي بمرو والله أعلم بالصواب وقيل توفي في صفر سنة اثنين وخمسين واربعمائة ودفن بمدرسة مرو رحمه الله تعالى وقد تقدم ذكر ولده تتش في حرف التاء وألبارسلان بفتح الهمزة وسكون اللام وبعدها باء موحدة وبقية الاسم معروفة فلا حاجة الى تفسيرها وهو اسم تركى معناه شجاع أسد فألب شجاع وارسلان أسد وأما شهاب الدولة قتلمش بن ميكائيل بن سلجوق فانه والد سليمان بن قتلمش جد الملوك أصحاب الروم الى الآن وكان له حصون وقلاع من جملتها كردكوه وغيرها من عراق العجم وعصى على ابن اخيه ألبارسلان المذكور وحاربه بالقرب من الرى فلما انجلى الامر وجد قتلمش ميتا لا يدرى كيف كان موته وذلك في المحرم سنة ست وخمسين واربعمائة وقيل انه مات من الخوف على الملك فشق ذلك على ألبارسلان والله تعالى أعلم بالصواب

أبو شجاع محمد بن ملكشاه بن ألبارسلان المذكور قبله الملقب غياث الدين وقد تقدم في ترجمة جده تتمة نسبه فلا حاجة الى الاعادة ولما توفي والده ملكشاه اقتسم مملكته أولاده الثلاثة وهم بركياروق وسنجر وقد تقدم ذكرهما ومحمد

محمد بن ملكشاه

المذكور ولم يكن لمحمد وسنجر وهما من أم واحدة مع وجود بركياروق حديث لانه كان السلطان المشار اليه وهما كالاتباع له ثم اختلف محمد وبركياروق فدخل محمد المذكور وأخوه سنجر الى بغداد وخلع عليهما الامام المستظهر بالله وكان محمد قد التمس من أمير المؤمنين أن يجلس له ولاخيه سنجر فاجيب الى ذلك وجلس لهما فى قبة التاج وحضر ارباب المناصب واتباعهم وجلس أمير المؤمنين على سدته ووقف سيف الدولة صدقة بن مزيد صاحب الحلة عن يمين السدة وعلى كتفه بردة النبي صلى الله عليه وسلم وعلى رأسه العمامة وبين يديه القضيب وأفيض على محمد الخلع السبع التى جرت عادة السلاطين بها وألبس الطوق والتاج والسوارين وعقد له الخليفة اللواء بيده وقلده سيفين واعطاه خمسة أفراس بمراكبها وخلع على اخيه سنجر خلعة أمثاله وخطب لمحمد بالسلطنة فى جامع بغداد كما جرى عادتهم فى ذلك الزمان وترك الخطبة لبركياروق لسبب اقتضى ذلك ولا حاجة الى شرحه لطوله قال محمد بن عبد الملك الهمذانى فى تاريخه وكان ذلك فى سنة خمس وتسعين واربعمائة وقال صاحب تاريخ السلجوقية اقيمت الخطبة ببغداد للسلطان محمد فى سابع عشر ذى الحجة من سنة اثنين وتسعين واربعمائة ووافقه على ذلك غيره ثم قال الهمذانى وكان من الاتفاق العجيب ان خطيب جامع القصر ببغداد لما بلغ الى الدعاء للسلطان بركياروق وأراد أن يذكره سبق لسانه للسلطان محمد ودعا له فأتى اصحاب بركياروق وشنعوا بما جرى فى الديوان العزيز فعزل الخطيب بهذا السبب ورتبوا ولده موضعه فلم تتأخر خطبة السلطان محمد عن هذه الواقعة الا أياما قلائل وكان ذلك فالا للسلطان محمد وأما بركياروق فانه كان مريضا وانحدر الى واسط ثم قوى أمره واستظهر وجرى بينه وبين أخيه محمد المصاف على الرى وانكسر محمد وبالجملة فان شرح ذلك يطول وكان السلطان محمد المذكور رجل الملوك السلجوقية وفحلهم وله الآثار الجميلة والسيرة الحسنة والمعدلة الشاملة والبر للفقراء والايتام والحرب للطائفة الملحدة والنظر فى امور الرعية وذكره أبو البركات بن المستوفى فى تاريخ اربل وذكر أنه وصل اليها فى تاسع شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين واربعمائة ورحل عنها متوجها الى الموصل فى ثانى عشر الشهر المذكور ثم قال ووجدت فى كتاب ذكره الامام أبو حامد الغزالى فى مخاطبته للسلطان محمد بن ملكشاه اعلم يا سلطان العالم ان بنى آدم طائفتان طائفة غفلاء نظروا الى شاهد حال الدنيا وتمسكوا بتأميل العمر الطويل ولم يتذكروا فى النفس الاخير وطائفة عقلاء جعلوا النفس الاخير نصب أعينهم لينظروا الى ماذا يكون مصيرهم وكيف يخرجون من الدنيا ويفارقونها وايمانهم سالم وما الذى ينزل من الدنيا فى قبورهم وما الذى يتركون لاعدائهم من بعدهم ويبقى عليهم وباله ونكاله ثم ان السلطان محمدا استقل بالملك بعد موت أخيه بركياروق فى التاريخ المذكور فى ترجمته ولم يبق له منازع وصفت له الدنيا وأقام على ذلك مدة ثم مرض زمانا طويلا وتوفى فى يوم الخميس الرابع والعشرين من ذى

الحجة سنة احدى عشرة وخمسمائة بمدينة اصبهان وعمره سبع وثلاثون سنة وأربعة أشهر وستة ايام وهو مدفون باصبهان فى مدرسة عظيمة وهى موقوفة على الطائفة الحنفية وليس باصبهان مدرسة مثلها ولما ايس من نفسه احضر ولده محمود الآتى ذكره ان شاء الله تعالى فقبله وبكى كل واحد منهما وأمره أن يخرج ويجلس على تخت السلطنة وينظر فى امور الناس فقال لوالده انه يوم غير مبارك يعنى من طريق النجوم فقال صدقت ولكن على أبيك وأما عليك فمبارك بالسلطنة فخرج وجلس على التخت بالتاج والسوارين ولم يخلف أحد من الملوك السلجوقية ما خلفه من الذخائر وأصناف الأموال والدواب وغير ذلك مما يطول شرحه رحمه الله وسيأتى ذكر والده فى هذا الحرف ان شاء الله تعالى وتزوج الامام المقتفى لامر الله فاطمة ابنة السلطان محمد المذكور وكان الوكيل فى قبول النكاح الوزير شرف الدين أبا القاسم على بن طراد الزينبى وذلك فى سنة احدى وثلاثين وخمسمائة وحضر اخوها مسعود العقد ونقلت فاطمة ابنة السلطان المذكورة الى دار الخلافة للزفاف سنة اربع وثلاثين ويقال انها كانت تقرأ وتكتب ولها التدبير الصائب وسكنت فى الموضع المعروف بدركاه خاتون وتوفيت فى عصمته يوم السبت الثانى والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة اثنين واربعين وخمسمائة ودفنت بالرصافة رحمها الله تعالى والله أعلم بالصواب

الملك العادل

أبو بكر محمد بن أبى الشكر أيوب بن شادى بن مروان الملقب بالملك العادل سيف الدين أخو السلطان صلاح الدين رحمهما الله تعالى

وقد تقدم ذكر والده فى حرف الهمزة وسيأتى ذكر اخيه صلاح الدين فى حرف الياء ان شاء الله تعالى وكان الملك العادل قد وصل الى الديار المصرية صحبة أخيه وعمه أسد الدين شيركوه المقدم ذكره وكان يقول لما عزمنا على المسير الى مصر احتجت الى حرمدان فطلبته من والدى فاعطانى وقال يا أبا بكر اذا ملكتم مصر أعطنى ملأه ذهبا فلما جاء الى مصر قال يا أبا بكر اين الحرمدان فرحت وملأته من الدراهم السود وجعلت أعلاها شيأ من الذهب واحضرته اليه فلما رآه اعتقده ذهبا فقلبه فظهرت الفضة السوداء فقال يا أبا بكر تعلمت زغل المصريين ولما ملك السلطان صلاح الدين الديار المصرية كان ينوب عنه فى حال غيبته فى الشام ويستدعى منه الاموال للانفاق فى الجند وغيرهم ورأيت فى بعض رسائل القاضى الفاضل أن الحمول تأخرت مدة فتقدم السلطان الى العماد الاصبهانى أن يكتب الى أخيه الملك العادل يستحثه على انفاذها حتى قال يسير لنا الحمل من مالنا أو من ماله فلما وصل الكتاب اليه ووقف على هذا الفصل شق عليه وكتب الى القاضى الفاضل يشكو من السلطان لاجل ذلك فكتب القاضى الفاضل جوابه وفى جملته وأما ماذكره المولى من قوله يسير لنا الحمل من مالنا أو من ماله فتلك لفظة ما المقصود بها من الملك النجعه وانما المقصود بها من الكاتب السجعه وكم من لفظة فظه وكلمة فيها اغلظه

جرت بى الاقلام فسدت خلال الكلام وعلى المملوك النعمان فى هذه النكتة وقد نال لسان القلم منها أى سكتة وكان المملوك حاضرا وقد جرت قوارع الاستحثاث وصرصر البازى وقوت نفس العماد قوة نفس البغاث والسلام ولما ملك السلطان مدينة حلب فى صفر سنة تسع وسبعين وخمسمائة كما تقدم فى ترجمة عماد الدين زنكى أعطاها لولده الملك الظاهر غازى ثم أخذها منه واعطاها للملك العادل فانتقل اليها وقصد قلعتها يوم الجمعة الثانى والعشرين من شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة ثم نزل عنها للملك الظاهر غازى بن السلطان المتقدم ذكره لمصلحة وقع الاتفاق عليها بينه وبين أخيه صلاح الدين وخرج منها فى سنة اثنين وثمانين وخمسمائة ليلة السبت الرابع والعشرين من شهر ربيع الاول ثم أعطاه السلطان قلعة الكرك وتنقل فى الممالك فى حياة السلطان وبعد وفاته وقضايا مشهورة مع الملك الافضل والملك العزيز والملك الظاهر فلا حاجة الى الاطالة بشرحها وآخر الامر انه استقل بمملكة الديار المصرية وكان دخوله الى القاهرة لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة واستقرت له القواعد وقال أبو البركات بن المستوفى فى تاريخ اربل فى ترجمة ضياء الدين أبى الفتح نصر الله المعروف بابن الاثير الوزير الجزرى ما مثاله وجدت بخطه خطب للملك العادل أبى بكر بن أيوب بالقاهرة ومصر يوم الجمعة الحادى والعشرين من شوال سنة ست وتسعين وخمسمائة وخطب له بحلب يوم الجمعة حادى عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وملك معها البلاد الشامية والشرقية وصفت له الدنيا ثم ملك بلاد اليمن فى سنة اثنتى عشرة وستمائة وسير اليها ولد ولده الملك المسعود صلاح الدين أبا المظفر يوسف المعروف بأطسيس بن الملك الكامل الآتى ذكره ان شاء الله تعالى وكان ولده الملك الاوحد نجم الدين أيوب ينوب عنه فى ميافارقين وتلك النواحى فاستولى على مدينة خلاط وبلاد ارمينيه واتسعت مملكته وذلك فى سنة أربع وستمائة ولما تمهدت له البلاد قسمها بين أولاده فأعطى الملك الكامل الديار المصرية والملك المعظم البلاد الشامية والملك الاشرف البلاد الشرقية والاوحد فى البلاد التى ذكرناها وكان ملكا عظيما ذا رأى ومعرفة تامة قد حنكته التجارب حسن السيرة جميل الطوية وافر العقل حازما فى الامور صالحا محافظا على الصلوات فى أوقاتها متبعا لارباب السنة مائلا الى العلماء حتى صنف له فخر الدين الرازى كتاب تاسيس التقديس وذكر اسمه فى خطبته وسيره اليه من بلاد خراسان وبالجملة فانه كان رجلا مسعودا ومن سعادته انه خلف أولادا لم يخلف أحد من الملوك امثالهم فى نجابتهم وبسالتهم ومعرفتهم وعلو همتهم ودانت لهم العباد وملكوا أخيار البلاد ولما مدح ابن عنين المتقدم ذكره الملك العادل بقصيدته الرائية المذكور بعضها فى ترجمته جاء منها فى مديح أولاده المذكورين قوله

وله البنون بكل أرض منهم * ملك يقود الى الاعادى عسكرا

من

من كل وضاح الجبين تخاله * بدرا وان شهد الوغى فغضنفرا
متقدم حتى اذا النقع انجلى * بالبيض عن سبي الحريم تأخرا
قوم زكوا أصلا وطابوا محتدا * وتدفقوا جودا وراقوا منظرا
وتعاف خيلهم الورود بمنهل * مالم يكن بدم الوقائع احمرا
يعشو الى نار الوغى شغفا بها * ويجل أن يعشو الى نار القرى

وكم للشعراء فيهم من القصائد المختارة لكن ذكرت هذه لكونها جامعة لجميعهم ومن جملة هذه القصيدة في مدح الملك العادل قوله ولقد أحسن فيه

العادل الملك الذى اسماؤه * فى كل ناحية تشرف منبرا
وبكل أرض جنة من عدله الصـ * ـافى أسال نداه فيها كوثرا
عدل يبيت الذئب منه على الطوى * غرثان وهو يرى الغزال الاعفرا
مافى ابى بكر لمعتقد الهدى * شك مريب أنه خير الورى
سيف صقال المجد اخلص متنه * وأبان طيب الاصل منه الجوهرا
ما مدحه بالمستعار له ولا * آيات سودده حديث يفترى
بين الملوك الغابرين وبينه * فى الفضل ما بين الثريا والثرى
نسخت خلائقه الحميدة ما أتى * فى الكتب عن كسرى الملوك وقيصرا
ملك اذا خفت حلوم ذوى النهى * فى الروع زاد رصانة وتوقرا
ثبت الجنان تراع من وثباته * وثباته يوم الوغى أسد الشرا
يقظ يكاد يقول عما فى غد * ببديهة اغنته أن يتفكرا
حلم تخف له الحلوم وراءه * رأى وعزم يحقر الاسكندرا
يعفو عن الذنب العظيم تكرما * ويصد عن قول الخنا متكبرا
لا تسمعن حديث ملك غيره * يروى فكل الصيد فى جوف الفرا

وبالجملة فانها من القصائد المختارة ولما قسم البلاد بين أولاده كان يتردد بينهم وينتقل اليهم من مملكة الى اخرى وكان بالغالب يصيف بالشام لاجل الفواكه والثلج والمياه الباردة ويشتى فى الديار المصرية لاعتدال الوقت فيها وقلة البرد وعاش فى أرغد عيش وكان يأكل كثيرا خارجا عن المعتاد حتى يقال انه كان يأكل وحده خروفا لطيفا مشويا وكان له فى النكاح نصيب وافر وحاصل الامر انه كان ممتعا فى دنياه وكانت ولادته بدمشق فى المحرم سنة أربعين وقيل ثمان وثلاثين وخمسمائة وتوفى فى سابع جمادى الاخرة سنة خمس عشرة وستمائة بعالقين ونقل الى دمشق ودفن بالقلعة ثانى يوم وفاته ثم نقل الى مدرسته المعروفة به ودفن فى التربة التى بها وقبره على الطريق براه المجتاز من الشباك المركب هناك رحمه الله تعالى وعالقين بفتح العين المهملة وبعد الالف لام مكسورة وقاف مكسورة أيضا وياء مثناة من تحتها ساكنة وبعدها

نون وهي قرية بظاهر دمشق وكان ذلك عند وصول الفرنج الى ساحل الشام وقصدوا اولا لقاء الملك العادل فتوجه قدامهم الى جهة دمشق ليتجهز ويتأهب الى لقائهم فلما وصل الى الموضع المذكور توفي به فحينئذ أعرض جميع الفرنج عن الشام وقصدوا الديار المصرية فكانت وقعة دمياط المشهورة في ذلك التاريخ وتاريخها مضبوط في ترجمة يحيى بن منصور المعروف بابن جراح في حرف الياء وأطيس بفتح الهمزة وسكون الطاء المهملة وكسر السين المهملة وبعدها ياء مثناة من تحتها ثم سين ثانية وهي كلمة تركية معناها بالعربية ماله اسم ويقال انما سمي بذلك لان الملك الكامل ما كان يعيش له ولد فلما ولد له المسعود المذكور قال بعض الحاضرين في مجلسه من الاتراك في بلادنا اذا كان الرجل لا يعيش له ولد سماه أطسيس فسماه اطسيس والناس يقولون اقسيس بالقاف وصوابه بالطاء كذا قالوا والله أعلم ثم ظفرت بتاريخ تسلم حلب محررا وهو أن عماد الدين زنكي نزل من قلعتها يوم الخميس الثاني والعشرين من صفر وصعد صلاح الدين اليها يوم الاثنين السادس والعشرين من صفر المذكور والله أعلم

أبو المعالي محمد بن الملك العادل المذكور الملقب بالملك الكامل ناصر الدين

قد سبق في ترجمة والده طرف من خبره ولما وصل الفرنج الى دمياط كما تقدم ذكره كان الملك الكامل في مبدا استقلاله بالسلطنة وكان عنده جماعة كثيرة من أكابر الامراء وفيهم عماد الدين أحمد بن المشطوب المذكور في حرف الهمزة فاتفقوا مع أخيه الملك الفائز سابق الدين ابراهيم بن الملك العادل وانضموا اليه وظهر للملك الكامل منهم امور تدل على انهم عازمون على تفويض السلطنة اليه وخلع الملك الكامل واشتهر ذلك بين الناس وكان الملك الكامل يداريهم لكونه في قبالة العدو ولا يمكنه المناظرة والمنافرة وطول روحه معهم ولم يزل على ذلك حتى وصل اليه أخوه الملك المعظم صاحب دمشق المذكور في حرف العين يوم الخميس تاسع عشر ذي القعدة سنة خمس عشرة وستمائة فأطلعه الملك الكامل في الباطن على صورة الحال وان رأس هذه الطائفة ابن المشطوب فجاءه يوما على غفلة الى خيمته واستدعاه فخرج اليه فقال له اريد أن اتحدث معك سرا في خلوة فركب فرسه وسار معه وهو جريدة وقد جرد المعظم جماعة ممن يعتمد عليهم ويثق اليهم وقال لهم اتبعونا ولم يزل المعظم يشاغله بالحديث ويخرج معه من شيء الى شيء حتى ابعده عن المخيم ثم قال له يا عماد الدين هذه البلاد لك ونشتهي أن تهبها لنا ثم أعطاه شيأ من النفقة وقال لاولئك المجردين تسلموه حتى تخرجوه من الرمل فلم يسعه الا امتثال الامر لانفراده وعدم القدرة على الممانعة في تلك الحال ثم عاد المعظم الى أخيه الكامل وعرفه صورة ما جرى ثم جهز أخاه الملك الفائز المذكور الى الموصل لاحضار النجدة منها ومن بلاد الشرق فمات بسنجار وكان ذلك

خديعة لاخراجه من البلاد فلما خرج هذان الشخصان من العسكر تحللت عزائم من بقى من الامراء الموافقين لهما ودخلوا فى طاعة الملك الكامل كرها لاطوعا وجرى فى قضية دمياط ماهو مشهور فلا حاجة الى الاطالة بذكره ولما ملك الفرنج دمياط وصارت فى قبضتهم خرجوا منها قاصدين القاهرة ومصر ونزلوا فى رأس الجزيرة التى دمياط فى برها وكان المسلمون قبالتهم فى القرية المعروفة بالمنصورة والبحر حائل بينهم وهو بحر أشموم ونصر الله سبحانه وتعالى بمنه وجميل لطفه المسلمين عليهم كما هو مشهور ورحل الفرنج عن منزلهم ليلة الجمعة سابع شهر رجب سنة ثمان عشرة وستمائة وتم الصلح بينهم وبين المسلمين فى حادى عشر الشهر المذكور ورحل الفرنج عن البلاد فى شعبان من السنة المذكورة وكانت مدة اقامتهم فى بلاد الاسلام مابين الشام والديار المصرية أربعين شهرا وأربعة عشر يوما وكفى الله شرهم والحمد لله على ذلك وقد فصلت ذلك فى ترجمة يحيى بن جراح فيكشف هناك فلما استراح خاطر الملك الكامل من جهة هذا العدو تفرغ للامراء الذين كانوا متحاملين عليه فنفاهم عن البلاد وبدد شملهم وشردهم ودخل الى القاهرة وشرع فى عمارة البلاد واستخراج الاموال من جهاتها وكان سلطانا عظيم القدر جميل الذكر محبا للعلماء متمسكا بالسنة النبوية حسن الاعتقاد معاشرا لارباب الفضائل حازما فى أموره لايضع الشئ الا فى موضعه من غير اسراف ولا اقتار وكان يبيت عنده كل ليلة جمعة جماعة من الفضلاء ويشاركهم فى مباحثاتهم ويسألهم عن المواضع المشكلة من كل فن وهو معهم كواحد منهم وكان يعجبه هذان البيتان وينشدهما كثيرا وهما

ما كنت من قبل ملك قلبى * تصدّ عن مدنف حزين
وانما قد طمعت لما * حللت فى موضع حصين

وبنى بالقاهرة دار حديث ورتب لها وقفا جيدا وكان قد بنى على ضريح الامام الشافعى رضى الله عنه قبة عظيمة ودفن أمه عنده وأجرى اليها الماء من النيل ومدده بعيد وأنفق على ذلك مالا عظيما ولما مات أخوه الملك المعظم صاحب الشام فى التاريخ المذكور فى ترجمته وقام الملك الناصر صلاح الدين داود مقامه خرج الملك الكامل من الديار المصرية قاصدا أخذ دمشق منه وجاءه أخوه الملك الاشرف مظفر الدين موسى الآتى ذكره بعد هذا ان شاء الله تعالى فاجتمعا على أخذ دمشق بعد فصول جرت يطول شرحها وملك دمشق فى اول شعبان سنة ست وعشرين وستمائة وكان يوم الاثنين فلما ملكها دفعها الى أخيه الملك الاشرف وأخذ عوضها من بلاد الشرق حران والرها وسروج والرقة ورأس عين وتوجه اليها بنفسه فى تاسع شهر رمضان المعظم من السنة واجتزت بحران فى شوال سنة ست وعشرين وستمائة والملك الكامل مقيم بها بعساكر الديار المصرية وجلال الدين خوارزم شاه يوم ذاك محاصر خلاط وكانت لاخيه الملك

الاشرف ثم رجع الى الديار المصرية ثم تجهز في جيش عظيم وقصد آمد في سنة تسع وعشرين وستمائة فأخذها مع حصن كيفا وتلك البلاد من الملك المسعود ركن الدين مودود بن الملك الصالح أبي الفتح محمد بن نور الدين محمد بن فخر الدين قرا أرسلان بن ركن الدولة داود بن نور الدولة سقمان ويقال سكمان بن ارتق وقد تقدم ذكر جده ارتق أخبرني بعض أهل آمد ممن عنده معرفة ان آمد انبرم أمرها وتسلمها الملك الكامل في تاسع عشر ذي الحجة من السنة المذكورة ودخلها ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب في العشرين من الشهر المذكور ودخلها الكامل في مستهل المحرم سنة ثلاثين وستمائة ولما مات الملك الاشرف في التاريخ الآتي ذكره ان شاء الله تعالى في ترجمته جعل ولي عهده أخاه الملك الصالح اسماعيل بن الملك العادل فقصده الملك الكامل وانتزع منه دمشق بعد مصالحة جرت بينهما وذلك في التاسع من جمادى الاولى سنة خمس وثلاثين وستمائة وأبقى له بعلبك واعمالها وبصرى وأرض السواد وتلك البلاد ولما ملك البلاد الشرقية وآمد وتلك النواحي استخلف فيها ولده الملك الصالح نجم الدين أبا المظفر أيوب واستخلف ولده الاصغر الملك العادل سيف الدين أبا بكر بالديار المصرية وقد تقدم في ترجمة الملك العادل انه سير الملك المسعود الى اليمن وكان أكبر أولاد الملك الكامل وملك الملك المسعود مكة حرسها الله تعالى وبلاد الحجاز مضافة الى اليمن وكان رحيل الملك المسعود عن الديار المصرية متوجها الى اليمن يوم الاثنين سابع عشر رمضان المعظم سنة احدى عشرة وستمائة ودخل مكة شرفها الله تعالى في الثالث من ذي القعدة من السنة وخطب له بها وحج ودخل زبيد وملكها مستهل المحرم سنة اثنتي عشرة ثم ملك مكة شرفها الله تعالى في ربيع الآخر من سنة عشرين وستمائة أخذها من الشريف حسن بن قتادة الحسني واتسعت المملكة للملك الكامل ولقد حكى لي من حضر الخطبة يوم الجمعة بمكة شرفها الله تعالى انه لما وصل الخطيب الى الدعاء للملك الكامل قال مالك مكة وعبيدها واليمن وزبيدها ومصر وصعيدها والشام وصناديدها والجزيرة ووليدها سلطان القبلتين ورب العلامتين خادم الحرمين الشريفين الملك الكامل أبو المعالي ناصر الدين محمد خليل أمير المؤمنين وبالجملة فقد خرجنا عن المقصود ولقد رأيته بدمشق في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة عند رجوعه من بلاد الشرق واستنقاذه اياها من يد علاء الدين كيقباد بن كيخسرو بن قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش بن اسرائيل بن سلجوق بن دقاق السلجوقي صاحب الروم وهي وقعة مشهورة يطول شرحها وفي خدمته يومئذ بضعة عشر ملكا منهم أخوه الملك الاشرف ولم يزل في علو شأنه وعظم سلطانه الى ان مرض بعد أخذه دمشق ولم يركب وكان ينشد في مرضه كثيرا

يا خليلي خبراني بصدق * كيف طعم الكرى فاني نسيت

ولم يزل كذلك الى ان توفي يوم الاربعاء بعد العصر ودفن في القلعة بدمشق يوم الخميس الثاني والعشرون من رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة وكنت بدمشق يومئذ وحضرت الصبحة يوم السبت في جامع دمشق لانهم أخفوا موته الى وقت صلاة الجمعة فلما حضرت الصلاة قام بعض الدعاة على العريش الذي بين يدي المنبر وترحم على الملك الكامل ودعا لولده الملك العادل صاحب مصر وكنت حاضرا في ذلك الموضع فضج الناس ضجة واحدة وكانوا قد أحسوا بذلك لكنهم لم يحققوه الا ذلك اليوم وترتب ابن أخيه الملك الجواد مظفر الدين يونس بن شمس الدين مودود بن الملك العادل في نيابة السلطنة بدمشق عن الملك العادل بن الملك الكامل صاحب مصر باتفاق الامراء الذين كانوا حاضرين ذلك الوقت بدمشق ثم بني له تربة مجاورة للجامع ولها شباك الى الجامع ونقل اليها وكانت ولادته في سنة ست وسبعين وخمسمائة في الخامس والعشرين من شهر ربيع الاول كذا وجدته بخط من يعتني بالتاريخ والله أعلم وتوفي ولده الملك المسعود بمكة شرفها الله تعالى في ثالث جمادى الاولى سنة ست وعشرين وستمائة ومولده في سنة تسع وتسعين وخمسمائة وكان بمكة رجل من المجاورين يقال له الشيخ صديق ابن بدر بن جناح من اكراد بلد اربل وكان من كبار الصالحين فلما حضرت الملك المسعود الوفاة أوصى انه اذا مات لا يجهز بشئ من ماله بل يسلم الى الشيخ صديق يجهزه من عنده بما يراه فلما مات تولى الشيخ صديق أمره وكفنه في ازار كان يحرم فيه بالحج والعمرة سنين عديدة وجهزه تجهيز الفقراء على حسب قدرته وكان أوصى انه لا يبنى عليه قبة بل يدفن في جانب المعلى جبانة مكة شرفها الله تعالى و يكتب على قبره هذا قبر الفقير الى رحمة الله تعالى اطسيس بن محمد بن أبي بكر بن أيوب ففعل به ذلك ثم ان عتيقه الصارم قايماز المسعودي الذي تولى القاهرة بعد ذلك بنى عليه قبة ولما بلغ الملك الكامل ما فعله الشيخ صديق كتب اليه وشكره فقال ما فعلت ما أستحق به الشكر فان هذا رجل سألني القيام بأمره فساعدته بما يجب على كل احد القيام به من مواراة الميت فقيل له تكتب جواب الملك الكامل فقال ليس لي اليه حاجة وكان قد سأله ان يسأله حوائجه كلها فما رد له جوابا أخبرني بذلك كله من كان حاضرا ويعرف ما يقول والله أعلم وأما ولده الملك العادل فانه أقام في المملكة الى يوم الجمعة ثامن ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وستمائة فقبض عليه امراء دولته بظاهر بلبيس وطلبوا أخاه الملك الصالح نجم الدين أيوب وكان الصالح قد صالح الملك الجواد على ان أعطاه دمشق وعوضه عنها سنجار وعانة وقدم الصالح دمشق متملكا لها في مستهل جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وستمائة ثم ان عمه الملك الصالح عماد الدين اسماعيل صاحب بعلبك اتفق مع الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه صاحب حمص على أخذ دمشق اغتيالا وكان الملك الصالح نجم الدين قد خرج منها قاصدا الديار المصرية

لما أخذها من أخيه الملك العادل فلما استقر بنابلس وأقام بها مدة جرت هذه الكائنة في سنة سبع وثلاثين وستمائة يوم الثلاثاء السابع والعشرين من صفر فهجما دمشق بعساكرهما وأخذاها وهي قضية مشهورة فلما أخذا دمشق رجع العساكر التي كانت مع الصالح نجم الدين اليهما اليهما فتركه كل واحد منهم أهله وبنيه وتركوا الملك الصالح بنابلس وحيدا في نفر قليل من غلمانه واتباعه فجاء الملك الناصر بن الملك المعظم صاحب الكرك وقبض عليه ليلة السبت الثاني والعشرين من شهر ربيع الاول من السنة وأرسله الى الكرك واعتقله بها ثم انه أفرج عنه في ليلة السبت السابع والعشرين من شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة وشرح ذلك يطول واجتمع هو والملك الناصر على نابلس فلما قبض الملك العادل في التاريخ المذكور وطلب الامراء الملك الصالح نجم الدين أيوب فجاءهم ومعه الملك الناصر صاحب الكرك ودخلا القاهرة في الساعة الثانية من يوم الاحد السابع والعشرين من ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة وكنت اذ ذاك بالقاهرة وادخل أخاه الملك العادل في محفة وحوله جماعة كثيرة من الاجناد يحفظونه وحمله من خارج البلد الى القلعة واعتقله عنده في داخل الدار السلطانية وبسط العدل في الرعية وأحسن الى الناس وأخرج الصدقات ورمم ماتهدم من المساجد وسيرته طويلة ثم انه أخذ دمشق من عمه الملك الصالح في يوم الاثنين ثامن جمادى الاولى سنة ثلاث وأربعين وستمائة وأبقى عليه بعلبك ومضى بعد ذلك الى الشام في سنة ست وأربعين بعد ان كان عاد الى مصر ودخل دمشق في أوائل شعبان من السنة وسير العساكر لحصار حمص وقد كان الملك الناصر صاحب حلب أخذها من صاحبها الاشرف ابن صاحب حمص ثم رجع في أوائل سنة سبع وأربعين وهو مريض وقصد الفرنج دمياط وهو مقيم باشموم ينتظر وصولهم وكان وصولهم اليها يوم الجمعة العشرين من صفر سنة سبع وأربعين وستمائة وملكوا برالجزيرة يوم السبت وملكوا دمياط يوم الاحد ثلاثة أيام متوالية لان العسكر وجميع أهلها تركوها وهربوا منها وانتقل الملك الصالح من أشموم الى المنصورة ونزل بها وهو في غاية المرض وأقام بها على تلك الحال الى ان توفي هنالك ليلة الاثنين نصف شعبان من السنة المذكورة وحمل الى القلعة الجديدة التي في الجزيرة وترك بها في مسجد هنالك وأخفي موته مقدار ثلاثة أشهر والخطبة باسمه الى ان وصل ولده الملك المعظم توران شاه من حصن كيفا على البرية الى المنصورة فعند ذلك أظهروا موته وخطب لولده المذكور ثم بعد ذلك بني له بالقاهرة الى جنب مدارسه تربة ونقل اليها في رجب سنة ثمان وأربعين وستمائة وكانت ولادته في الرابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وستمائة هكذا وجدته بخط ابنه مكتوبا ورأيت في مكان آخر انه ولد في ليلة الخميس الخامس عشر من جمادى الآخرة من السنة المذكورة وفي مكان آخر انه ولد

فى الرابع من المحرم سنة أربع وستمائة والله تعالى أعلم وامه جارية مولدة سمراء اسمها ورد المنى رحمه الله تعالى وكانت ولادة الملك العادل فى ذى الحجة سنة سبع عشرة وستمائة بالمنصورة ووالده فى قبالة العدو على دمياط وتوفى فى الاعتقال يوم الاثنين ثانى عشر شوال سنة خمس وأربعين وستمائة بقلعة القاهرة ودفن فى تربة شمس الدولة خارج باب النصر رحمه الله تعالى هذه الفصول ذكرت خلاصتها ولو فصلتها لطال الشرح والمقصود الاختصار وطلب الايجاز مع انى كنت حاضرا أكثر وقائعها وكان للملك العادل ولد صغير يقال له الملك المغيث مقيما بالقلعة فلما وصل ابن عمه الملك المعظم توران شاه الى المنصورة سيره من هناك ونقله الى قلعة الشوبك فلما جرت الكائنة على المعظم أحضر متسلم قلعة الكرك الملك المغيث من الشوبك وسلم اليه الكرك والشوبك وتلك النواحى وهو الآن مالكها ولم يزل مالكها الى سنة احدى وستين وستمائة فنزل ٤ الملك الظاهر ركن الدين بيبرس المذكور فى ترجمة القاضى مجلى صاحب كتاب الذخائر ٤ بالغور وراسله وبذل له من تسليم البلد بدلا وحلف له ويقال انه ورّى فى اليمين ولم يستقص فيها فنزل اليه الى منزله بالطور من الغور فقبض عليه ساعة وصوله وجهزه الى قلعة الجبل بمصر واعتقله بها وكان للمغيث ولد يدعى بالعزيز فخر الدين عثمان صغير السن فأمّره الملك الظاهر ولم يزل فى خدمته أميرا الى ان فتح انطاكية فى شهر رمضان سنة ست وستين وستمائة وتوجه من الشام بعد ذلك الى مصر فلما دخل اليها قبض عليه واعتقله وهو الآن معتقل بقلعة الجبل المذكورة وهذه قلعة الكرك هى المذكورة فى ترجمة القاضى المجلى أيضا وكان الملك الظاهر يخاف على أولاده فكان يبالغ فى تحصين القلعة المذكورة وملأها بالذخائر والاموال ولما جرى لولده السعيد ماذكرنا فى ترجمة القاضى مجلى وتوجه الى الكرك نفعته تلك الذخائر ووجدها ونالته على زمانه ولما توفى الملك السعيد بن الملك الظاهر فى الكرك كما ذكرنا فى الترجمة المذكورة ملكها بعده أخوه الملك المسعود نجم الدين خضر بن الملك الظاهر باتفاق ممن كان بها من مماليك أبيه ومن أمرائه وهو الآن متملكها مقيم بها ثم نزل منها بالامان بعد حصاره فيها فى مدة الامير حسام الدين طر بطر المنصورى كان نائب المملكة وتقدم العساكر ونزل معه أخوه العادل سلامش بعد أخيه الملك السعيد وتوجه الى الديار المصرية الى خدمة السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاون الصالحى المذكور فى ترجمة القاضى مجلى فى أوائل هذا الحرف فأحسن السلطان اليهما وجعل الملك خضرا وأخاه سلامش أميرين وأقطعهما الاقطاعات الجيدة وأسكنهما بقلعة الجبل المنصور واستمر الامر على ذلك وهما مختلطان به فى جملة أهله ملازمان للركوب مع ولديه السلطان الملك الصالح علاء الدين والملك الاشرف صلاح الدين خليل (٢) ولم يزل الامر كذلك الى سنة ثمان وثمانين وستمائة فجرى من الامر ما اقتضى الحال معه للقبض على الاميرين نجم

(٢) قوله ولم يزل الى قوله وملك الـ . . . ساقط من نسخ كلام المؤلف بل المؤرخين ٢ سنة ٦٨١ قاله

٢ مجلى لجي

الدين خنضر وبدر الدين سلامش المذكورين واعتقالهما بقلعة الجبل والملك الصالح الملك المنصور المذكور فانه كان ولى عهد أبيه وكان حازما شديد الرأى وتوفى فى حياة والده فى شهر شعبان سنة سبع وثمانين وستمائة ثم ان والده جعل ولاية العهد الى ولده الملك الاشرف المذكور وقلده الملك فى شهر شوال سنة سبع وثمانين المذكورة وهو من الملوك المشهورين بعلو الهمة والسعادة والحزم وتوفى الملك المنصور قلاون فى يوم السبت من شهر ذى القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة فى دهليزه بمسجد التبن وكان قد خرج على نية الغزاة الى عكا فعرض له مرض فقضى به نحبه وعادت العساكر الى مستقرها واستقر ولده السلطان الملك الاشرف بالمملكة بجميع المعاقل والبلاد ولم ير فى الملوك أكثر سعادة منه ولا اعلى همة ولا اكرم نفسا ولا اكثر وفاء لمن خدمه ولاذ به وفى ايام الملك المنصور فتحت طرابلس الشام يوم الثلاثا تاسع ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وستمائة وكان نازلها بنفسه وعساكره وفتحها قهرا بالسيف واستولى القتل والاسر والنهب على أهلها وملك ما جاورها من قلعة جبيل والبترون وغير ذلك ثم ان الملك الاشرف المذكور بعد استقلاله بالملك بمدة كثيرة خرج بنفسه وجمع عساكره وتوجه الى عكا فنازلها فى يوم وكان خروجه من مصر فى يوم واجتمع على عكا جميع الناس الجند والمتطوعة وغيرهم وسائر البلاد ويسر الله فتحها فى يوم الجمعة سابع عشر جمادى الاولى سنة تسعين وستمائة فى مثل الساعة من اليوم من الشهر الذى أخذت فيه من المسلمين الا أن الشهر كان الاولى وأخذت من المسلمين فى ايام صلاح الدين يوسف ابن أيوب فى الآخرة سنة ثمان وثمانين وان السلطان الملك الاشرف صلاح الدين أخرج أهلها منها وقتلهم جميعا بالسيف وكذلك عمل الفرنج بالذى كان فيها من المسلمين لما ملكوها فى ايام صلاح الدين فانظروا الى هذا الاتفاق العجيب فى أمور كثيرة كما أخذت من صلاح الدين ملكها صلاح الدين وقتل المسلمون بها ثم قتل الكافرون بها وأخذت المسلمون ثانى ساعة من يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة ثم ملكها المسلمون ثانى ساعة من يوم الجمعة سابع عشر جمادى الاولى فسبحان مقدر الامور ثم أخذت عزائم الفرنج باخذ عكا فهرب من كان ببيروت وعليت وهما حصنان عظيمان لا تطرق الاوهام اليهما وملكها المسلمون بحول الله وقوته من غير منازع وملكوا أيضا بيروت وحيفا فلم يبق للفرنج من الساحل قلعة ولا بلد ولا قرية ولا جزيرة الا وملك المسلمون ذلك جميعه وتوفى المعظم توران شاه يوم الاثنين السابع والعشرين من المحرم من سنة ثمان وأربعين وستمائة والله تعالى أعلم

أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة المعروف بابن الزيات وزير المعتصم

كان جده أبان رجلا من أهل جبل من قرية كان بها يقال لها الدسكرة يجلب الزيت من مواضعه الى بغداد فسمى محمد المذكور بهمته على ما يأتى ذكره فيه وكان

من أهل الادب الظاهر والفضل الباهر اديبا فاضلا بليغا عالما بالنحو واللغة ذكر ميمون ابن هارون الكاتب ان أبا عثمان المازني لما قدم بغداد في ايام المعتصم كان أصحابه وجلساؤه يخوضون بين يديه في علم النحو فاذا اختلفوا فيما يقع فيه الشك يقول لهم أبو عثمان ابعثوا الى هذا الفتى الكاتب يعني ابن الزيات المذكور فاسألوه واعرفوا جوابه فيفعلون ويصدر جوابه بالصواب الذي يرتضيه أبو عثمان ويوقفهم عليه وقد ذكره دعبل بن على الخزاعي المقدم ذكره في كتاب طبقات الشعراء وذكره أبو عبد الله هارون بن المنجم الآتي ذكره ان شاء الله تعالى في كتاب البارع وأورد له من شعره عدة مقاطيع وكان في اول أمره من جملة الكتاب وكان أحمد بن عمار بن شاذى البصرى وزير المعتصم فورد على المعتصم كتاب من بعض العمال فقرأه الوزير عليه وكان في الكتاب ذكر الكلأ فقال له المعتصم ما الكلأ فقال لا اعلم وكان قليل المعرفة بالادب فقال المعتصم خليفة امى ووزير عامى وكان المعتصم ضعيف الكتابة ثم قال أبصروا من بالباب من الكتاب فوجدوا محمد بن الزيات المذكور فادخلوه اليه فقال له ما الكلأ فقال الكلأ العشب على الاطلاق فان كان رطبا فهو الخلا فاذا يبس فهو الحشيش وشرع في تقسيم أنواع النبات فعلم المعتصم فضله فاستوزره وحكمه وبسط يده وقد ذكرنا ما كان بينه وبين القاضي أحمد بن أبي دواد الايادى في ترجمته وحكى أبو عبد الله البيمارستاني ان أبا جعفر الكرماني كاتب عمرو بن مسعدة كتب الى محمد ابن عبد الملك المذكور أما بعد فانك ممن اذا غرس سقى غرسه واذا أسس بنى اسه ويجتنى ثمرة غرسه وبناؤك في وَدّى قد وهى وشارف الدروس وغرسك عندى قد عطش واشفى على اليبوس فتدارك بناء ما أسست وسقى ما غرست فقال البيمارستاني فحدثت بذلك عبد الرحمن العطوى فقال في هذا المعنى يمدح محمد بن عمران بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك ثم وجدت الابيات في ديوان أبي نواس الذي جمعه الاصبهاني وهي

ان البرامكة الكرام تعلموا * فعل الجميل وعلموه الناسا
كانوا اذا غرسوا سقوا واذا بنوا * لا يهدمون لما بنوه اساسا
واذا هم صنعوا الصنائع في الورى * جعلوا لها طيب البقاء لباسا
فعلام تسقيني وأنت سقيتني * كاس المودة من جفائك كاسا
آنستني متفضلا افلا ترى * ان القطيعة توحش الايناسا

وقد تقدم في ترجمة عبد المحسن الصورى هذا المعنى أيضا ولابن الزيات المذكور اشعار رائقة فمن ذلك قوله

سماعا يا عباد الله مني * وكفوا عن ملاحظة الملاح
فان الحب آخره المنايا * وأوله يهيج بالمزاح

وقالوا دع مراقبة الثريا * ونم فالليل مسود الجناح
فقلت وهل أفاق القلب حتى * أفرق بين ليلي والصباح

وله على مانقلته من خط بعض الافاضل

ظالم ما علمته * معتد لاعدمته * مطمع فى الوصال * ممتنع حين رمته
قال اذ أفصح البكاء * بما قد كتمته * لو بكى طول عمره * بدم ما رحمته
رب هم طويت فيه * وغيظ كظمته * وحياة سئمتها * والهوى ما سئمته

وذكر الخطيب فى تاريخ بغداد ان ابن الزيات المذكور كان يعشق جارية من جوارى القيان فبيعت من رجل من أهل خراسان فأخرجها قال فذهل عقل ابن الزيات حتى غشى عليه ثم انه أنشأ يقول

ياطول ساعات ليل العاشق الدنف * وطول رعيته للنجم فى السدف
ماذا توارى ثيابى من أخى حرق * كأنما الجسم منه دقة الالف
ماقال يا أسفا يعقوب من كمد * الالطول الذى لاقى من الاسف
من سره ان يرى ميت الهوى دنفا * فليستدل على الزيات وليقف

ومن شعره ماذكره فى كتاب البارع يرثى جاريته وقد خلفت له ابن ثمان سنين وكان يبكى عليها فيتألم بسببه وهو

الا من رأى الطفل المفارق أمه * بعيد الكرى عيناه تبتدران
رأى كل أم وابنها غير أمه * يبيتان تحت الليل ينتجيان
وبات وحيدا فى الفراش تجيبه * بلابل قلب دائم الخفقان
فهبنى أطلت الصبر عنها لانني * جليد فمن للصبر بابن ثمان
ضعيف القوى لايعرف الصبر جسمه * ولا يأتسى بالناس فى الحدثان

وله ديوان رسائل جيد ومدحه البحترى بقصيدته الدالية واحسن فى وصف خطه وبلاغته وقال فى آخرها

وأرى الخلق مجمعين على فضـ * ـلك من بين سيد ومسود
عرف العاملون فضلك بالعلـ * ـم وقال الجهال بالتقليد

ولابى تمام فيه مدائح وجماعة من شعراء عصره ولابراهيم بن العباس الصولى فيه مقاطيع يعبث به فيها فمن ذلك قوله

أخ كنت آوى منه عند اذكاره * الى ظل آباء من العز شامخ
سعت نوب الايام بينى وبينه * فأقلعن منه عن ظلوم وصارخ
وانى واعدادى لدهرى محمدا * كملتمس اطفاء نار بنافخ

ومن ذلك قوله

دعوتك عن بلوى ألمت ضرورة * فأوقدت عن طمن على سعيرها

وانى اذا ادعوك عند ملمة * كداعية عند القبور نصيرها

وله أيضا فيه

أبا جعفر خف نبوة بعد دولة * وقصر قليلا عن مدى غلوائكا

فان يك هذا اليوم يوما حويته * فان رجائى فى غد كرجائكا

وله فيه أيضا

قلت لها حين أكثرت عذلى * ويحك أزرت بنا المروآت

قالت فأين السراة قلت لها * لا تسألى عنهم فقد ماتوا

قالت ولم ذاك قلت لها * هذا وزير الامام زيات

وله أيضا فيه

لئن صدرت بى زورة عن محمد * بنعم لقد فارقته ومعى قدرى

أليست يدا عندى لمثل محمد * صيانته عن مثل معروفه شكرى

وله فيه أيضا

فان تكن الدنيا انالتك ثروة * فاصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر

فقد كشف الاثراء منك خلائقا * من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر

وله فيه أيضا

من يشترى منى اخاه محمد * أم من يريد اخاه مجانا

أم من يخلص من اخاه محمد * وله مناه كائنا ما كانا

وله أشياء غير ذلك ومازالت الاشراف تهجى وتمدح وفيه يقول بعضهم ولا أستحضره الآن ثم ظفرت به بعد ذلك وهو القاضى أحمد بن أبى دواد الايادى المقدم ذكره وكان ابن الزيات المذكور قد هجاه بتسعين بيتا فعمل القاضى أحمد فيه بيتين وهما

احسن من تسعين بيتا سدا * جمعك معناهن فى بيت

ما احوج الملك الى مطرة * تغسل عنه وضر الزيت

ونسب صاحب العقد هذين البيتين الى على بن الجهم والاول حكاه فى الاغانى والله تعالى أعلم ولما مات المعتصم وقام بالامر ولده الواثق هارون أنشد ابن الزيات المذكور

قد قلت اذ غيبوك وانصرفوا * فى خير قبر لخير مدفون

لن يجبر الله امة فقدت * مثلك الا بمثل هارون

وأقره الواثق على ما كان عليه فى ايام المعتصم بعد ان كان متسخطا عليه فى ايام أبيه وحلف يمينا مغلظة انه ينكبه اذا صار الامر اليه فلما ولى أمر الكتاب ان يكتبوا ما يتعلق بأمر البيعة فكتبوا فلم يرض بما كتبوه فكتب ابن الزيات نسخة رضيها وأمر بتحرير المكاتبات عليها فكفر عن يمينه وقال عن المال والفدية عن اليمين عوض وليس عن

الملك وابن الزيات عوض فلما مات وتولى المتوكل كان فى نفسه منه شئ كثير فسخط عليه بعد ولايته بأربعين يوما فقبض عليه واستصفى أمواله وكان سبب قبضه عليه انه لما مات الواثق بالله أخو المتوكل أشار محمد المذكور بتولية ولد الواثق وأشار القاضى أحمد ابن أبى دواد المذكور بتولية المتوكل وقام فى ذلك وقعد حتى عممه بيده وألبسه البردة وقبله بين عينيه وكان المتوكل فى ايام الواثق يدخل على الوزير المذكور فيتجهمه ويغلظ عليه الكلام وكان يتقرب بذلك الى قلب الواثق فحقد المتوكل ذلك عليه فلما ولى الخلافة خشى ان نكبه عاجلا ان يستر أمواله فيفوته فاستوزره ليطمئن وجعل القاضى أحمد يغريه ويجد لذلك عنده موقعا فلما قبض عليه ومات فى التنور كما سيأتى ذكره لم يجد من جميع أملاكه وضياعه وذخائره الا ما كانت قيمته مائة ألف دينار فندم على ذلك ولم يجد عنه عوضا وقال للقاضى أحمد أطمعتنى فى باطل وحملتنى على شخص لم أجد عنه عوضا وكان ابن الزيات المذكور قد اتخذ تنورا من حديد واطراف مساميره المحددة الى داخل وهى قائمة مثل رؤس المسال فى ايام وزارته وكان يعذب فيه المصادرين وأرباب الدواوين المطلوبين بالاموال فكيفما انقلب واحد منهم أو تحرك من حرارة العقوبة تدخل المسامير فى جسمه فيجدون لذلك اشد الالم ولم يسبقه أحد الى هذه المعاقبة وكان اذا قال له أحد منهم أيها الوزير ارحمنى فيقول له الرحمة خور فى الطبيعة فلما اعتقله المتوكل أمر بادخاله فى التنور وقيده بخمسة عشر رطلا من الحديد فقال يا أمير المؤمنين ارحمنى فقال له الرحمة خور فى الطبيعة كما كان يقول للناس فطلب دواة وبطاقة فأحضرتا اليه فكتب

هى السبيل فمن يوم الى يوم * كأنه ما تريك العين فى النوم

لا تجزعن رويدا انها دول * دنيا تنقل من قوم الى قوم

وسيرها الى المتوكل فاشتغل عنها ولم يقف عليها الا فى الغد فلما قرأها المتوكل أمر باخراجه فجاؤا اليه فوجدوه ميتا وذلك فى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وكانت مدة اقامته فى التنور أربعين يوما وكان القبض عليه لثمان مضين من صفر من السنة المذكورة ولما مات وجد فى التنور مكتوب بخطه قد خطه بالفحم على جانب التنور يقول

من له عهد بنوم * يرشد الصب اليه

رحم الله رحيما * دل عينى عليه

سهرت عينى ونامت * عين من هنت لديه

وقال أحمد الاحول لما قبض على ابن الزيات تلطفت الى ان وصلت اليه فرأيته فى حديد ثقيل فقلت له يعزعلى ما أرى فقال

سل ديار الحى من غيرها * وعفاها ومحا منظرها
وهى الدنيا اذا ما اقبلت * صيرت معروفها منكرها
انما الدنيا كظل زائل * نحمد الله الذى قدرها

ولما جعل فى التنور قال له خادمه ياسيدى قد صرت الى ما صرت اليه وليس لك حامد فقال وما نفع البرامكة صنعهم فقال ذكرك اياهم هذه الساعة فقال صدقت رحمه الله تعالى

أبو الفضل محمد بن العميد أبى عبد الله الحسين بن محمد الكاتب المعروف بابن العميد والعميد لقب والده ولقبوه بذلك على عادة أهل خراسان فى اجرائه مجرى التعظيم وكان فيه فضل وأدب وله ترسل وأما ولده أبو الفضل فانه كان وزير ركن الدولة أبى على الحسن ابن بويه الديلمى والد عضد الدولة وقد تقدم ذكرهما وتولى وزارته عقيب موت وزيره ابى على بن القمى وذلك فى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة وكان متوسعا فى علوم الفلسفة والنجوم وأما الادب والترسل فلم يقاربه فيه أحد فى زمانه وكان يسمى الجاحظ الثانى وكان كامل الرياسة جليل القدر من بعض اتباعه الصاحب بن عباد المتقدم ذكره ولاجل صحبته قيل له الصاحب وكان له فى الرسائل اليد البيضاء قال الثعالبى فى كتاب اليتيمة كان يقال بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد وقد تقدم ذكر عبد الحميد وكان الصاحب بن عباد قد سافر الى بغداد فلما رجع اليه قال له كيف وجدتها فقال بغداد فى البلاد كالاستاذ فى العباد وكان يقال له الاستاذ وكان سائسا مدبرا للملك قائما بحقوقه وقصده جماعة من مشاهير الشعراء من البلاد الشاسعة ومدحوه بأحسن المدائح فمنهم أبو الطيب المتنبى ورد عليه وهو بأرجان ومدحه بقصائد احداها التى أولها

باد هواك صبرت أم لم تصبرا * وبكاك ان لم يجر دمعك أو جرى

ومنها عند مخلصها

ارجان ايتها الجياد فانه * عزمى الذى يذر الوشيج مكسرا
لو كنت افعل ما اشتهيت فعاله * ماشق كوكبك العجاج الاكدرا
أمى ابا الفضل المبر أليتى * لأيممن أجل بحر جوهرا
أفتى برؤيته الانام وحاش لى * من ان اكون مقصرا أو مقصرا
من مبلغ الاعراب انى بعدها * شاهدت رسطاليس والاسكندرا
ومللت نحر عشارها فأضافنى * من ينحر البدر النضار لمن قرى
وسمعت بطليموس دارس كتبه * متملكا متبديا متحضرا
ولقيت كل الفاضلين كانما * ردّ الاله نفوسهم والاعصرا
نسقوا لنا نسق الحساب مقدما * واتى فذلك اذ أتيت مؤخرا

هى من القصائد المختارة وقال ابن الهمذانى فى كتاب عيون السير أعطاه ثلاثة آلاف

ابو الفضل

الاعلية بفـ... وتشديد اليا...

الفذالك جـ... الحساب اهـ

دينار وقد استعمل ارجان بتخفيف الراء وهي مشددة على ماذكره الجوهري في كتاب الصحاح والحازمي في كتاب ما اتفق لفظه وافترق مسماه وابن الجواليقي في كتاب المعرب وقد سبق ذكر هذه القصيدة في ترجمة أبي الفضل جعفر بن الفرات وان المتنبي نظمها فيه وهو بمصر فلما لم يرضه لم ينشده اياها فلما توجه الى بلاد فارس صرفها الى ابن العميد وكان أبو نصر عبد العزيز بن نباتة السعدي المقدم ذكره قد ورد عليه وهو بالري وامتدحه بقصيدته التي أولها

برح اشتياق وادكار * ولهيب انفاس حرار
ومدامع عبراتها * ترفض عن نوم مطار
لله قلبي ما يجـ * ـن من الهموم وما يواري
لقد انقضى سكر الشبا * ب وما انقضى وصب الخمار
وكبرت عن وصل الصغا * ر وما سلوت عن الصغار
سقيا لشغلي الى * باب الرصافة وابتكاري
ايام اخطر في الصبا * نشوان مسحوب الازار
حجبي الى حجر الصرا * ة وفي حدائقها اعتماري
ومواطن اللذات او * طاني ودار اللهو داري
لم يبق لي عيش يلذ * سوى معاقرة العقار
حتى بألحان قمـ * ـت بين ألحان القماري
واذا استهل ابن العميـ * ـد تضاءلت ديم القطار
خرق صفت اخلاقه * صفو السبيك من النضار
فكأنما زفت مرا * هبه امواج البحار
وكأن نشر حديثه * نشر الخزامى والعرار
وكأنما تفتـ * ـق راحتاه في نثار
كلف بحفظ السر * ـب صدره ليل السرار
ان الكبار من الامو * ر تنال بالهمم الكبار
والى أبي الفضل انبعثت هواجس النفس السواري

فتأخرت صلته عنه فشفع هذه القصيدة بأخرى وأتبعها برقعة فلم يرده ابن العميد على الاهمال مع رقة حاله التي ورد عليها الى بابه فتوصل الى ان دخل عليه يوم الخميس وهو في مجلس حفل باعيان الدولة ومقدمي أرباب الديوان فوقف بين يديه وأشار اليه بيده وقال أيها الرئيس اني لزمتك لزوم الظل وذللت لك ذل النعل وأكلت النوى المحرق انتظارا لصلتك والله ما بي من الحرمان ولكن شماتة الاعداء قوم نصحوني فأغششتهم

وصدقونى فاتهمتهم فبأى وجه القاهم وبأى حجة اقاومهم ولم احصل من مديح بعد مديح ومن نثر بعد نظم الاعلى ندم مؤلم وبأس مسقم فان كان للنجاح علامة فاين هى وما هى الاان الذين نحسدهم على ما مدحوا به كانوا من طينتك وان الذين هجوا كانوا امثالك فزاحم بمنكبك أعظمهم شانا وأنورهم شعاعا وأمدهم باعا وأشرفهم بقاعا فخار رشد ابن العميد ولم يدر ما يقول فاطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال هذا وقت يضيق عن الاطالة منك فى الاستزادة وعن الاطالة منى فى المعذرة واذا تواهبنا ما دفعنا اليه استأنفنا ما نتحامد عليه فقال ابن نباته أيها الرئيس هذه نفثة مصدور منذ زمان وفضلة لسان قد خرس منذ دهر والغنى اذا مطل لئيم فاستشاط ابن العميد وقال والله ما استوجبت هذا العتب من أحد من خلق الله تعالى ولقد نافرت ابن العميد من دون ذا حتى دفعنا الى قرى عائم ولجاج قائم ولست ولى نعمتى فأحملك ولا صنيعتى فأغضى عليك وان بعض ما أقررته فى مسامعى ينغص مرة الحليم و يبدد شمل الصبر هذا وما استقدمتك بكتاب ولا استدعيتك برسول ولا سألتك مدحى ولا كلفتك تقريضى فقال ابن نباته صدقت أيها الرئيس ما استقدمتنى بكتاب ولا استدعيتنى برسول ولا سألتنى مدحك ولا كلفتنى تقريضك ولكن جلست فى صدر ديوانك بأبهتك وقلت لا يخاطبنى أحد الا بالرياسة ولا ينازعنى خلق فى أحكام السياسة فانى كاتب ركن الدولة وزعيم الاولياء والحضرة والقيم بمصالح المملكة فكأنك دعوتنى بلسان الحال ولم تدعنى بلسان المقال فثار ابن العميد مغضبا وأسرع فى صحن داره الى أن دخل حجرته وتقوض المجلس وماج الناس وسمع ابن نباته وهو فى صحن الدار مارا يقول والله ان سف التراب والمشى على الجمر أهون من هذا فلعن الله الادب اذا كان بائعه مهينا له ومشتريه مماكسا فيه فلما سكن غيظ ابن العميد وثاب اليه حلمه التمسه من الغد ليعتذر اليه و يزيل آثار ما كان منه فكأنما غاص فى سمع الارض و بصرها فكانت حسرة فى قلب ابن العميد الى ان مات ثم انى وجدت هذه القصيدة وصورة هذا المجلس منسوبين الى غير ابن نباته وكشفت ديوان ابن نباته فلم أر هذه القصيدة فيه والله أعلم بالصواب ثم وجدت فى كتاب ثلب الوزيرين تاليف أبى حيان التوحيدى هذه القصيدة لابى محمد عبد الرزاق بن الحسن المعروف بابن السياب البغدادى اللغوى المنطقى الشاعر وهذه المخاطبة لشاعر من أهل الكرخ يعرف بعوته والله أعلم وكان أبو الفرج أحمد بن محمد الكاتب مكينا عند مخدومه ركن الدولة ابن بويه وله الرتبة العالية لديه وكان ابن العميد لا يوفيه حقه من الاكرام فعاتبه مرارا فلم يفد فكتب اليه

ما لك موفور فما باله * اكسبك التيه على المعدم
ولم اذا جئت نهضنا وان * جئنا تطاولت ولم تتمم
وان خرجنا لم تقل مثل ما * نقول قدم طرفه قدم

ان كنت ذا علم فمن ذا الذى * مثل الذى تعلم لم يعلم
ولست فى الغارب من دولة * ونحن من دونك فى المنسم
وقد ولينا وعزلنا كما * أنت فلم نصغر ولم تعظم
تكافأت أحوالنا كلها * فصل على الانصاف أو فاصرم

وللصاحب بن عباد فيه مدائح كثيرة وكان ابن العميد قد قدم مرة الى أصبهان والصاحب فيها فكتب اليه

قالوا ربيعك قد قدم * قلت البشارة ان سلم
أهو الربيع أخو الشتا * أم الربيع أخو الكرم
قالوا الذى بنواله * أمن المقل من العدم
قلت الرئيس ابن العميد اذا فقالوا لى نعم

وكان ابن العميد كثير الاعجاب بقول بعضهم

وجاءت الى ستر على الباب بيننا * تخاف وقد قامت عليه الولائد
لتسمع شعرى وهو يقرع قلبها * بوحى تؤديه اليه القصائد
اذا سمعت منى لطيفا تنفست * له نفسا تنقد منه القلائد

ولابن العميد شعر وما أعجبنى الذى وقفت عليه منه حتى أثبته سوى ما ذكره ابن الصابى فى كتاب الوزراء وهو قوله

رأيت فى الوجه طاقة بقيت * سوداء عينى تحب رؤيتها
فقلت للبيض اذ تروعها * بالله الا رحمت غربتها
فقل لبث السوداء فى بلد * تكون فيه البيضاء ضرتها

وذكر الامير أبو الفضل الميكالى فى كتاب المنتحل

آخ الرجال من الابا * عد والاقارب لا تقارب
ان الاقارب كالعقا * رب بل أضر من العقارب

وتوفى ابن العميد المذكور فى صفر وقيل فى المحرم بالرى وقيل ببغداد سنة ستين وثلثمائة رحمه الله تعالى وذكر أبو الحسين هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابى فى كتاب الوزراء انه توفى فى سنة تسع وخمسين وثلثمائة وكان أبو الفضل بن العميد يعتاده القولنج تارة والنقرس أخرى تسلمه هذه الى هذه وقال لسائل سأله أيهما أصعب عليك وأشق قال اذا عارضنى النقرس فكأنى بين فكى سبع يمضغنى واذا اعترانى القولنج وددت لو استبدلت النقرس عنه ويقال انه رأى أكارا فى بستان يأكل خبزا بصلا ولبنا وقد امعن منه فقال وددت لو كنت كهذا الاكار آكل ما أشتهى قلت وهذه شيمة الدنيا قل أن تصفو من الشوائب وكذا قال جده ابراهيم الخطابى فى كتاب التاريخ والله أعلم ورأيت فى بعض المجاميع ان الصاحب بن عباد عبر على باب داره بعد وفاته

فلم ير هناك أحدا بعد ان كان الدهليز يغص من زحام الناس فأنشد

أيها الربع لم علاك اكتئاب * أين ذاك الحجاب والحجاب
أين من كان يفزع الدهر منه * فهو اليوم فى التراب تراب
قل بلا رقبة وغير احتشام * مات مولاى فاعترانى اكتئاب

ثم رأيت فى كتاب اليمنى للعتبى هذه الابيات وقد نسبها الى أبى العباس الضبى ثم قال انها لابى بكر ويقال الخوارزمى وقد اجتاز بباب الصاحب بن عباد ولا يمكن أن تكون على هذا التقدير للخوارزمى لانه مات قبل الصاحب كما تقدم ذكره ومثل هذه الحكاية ما حكاه على بن سليمان قال رأيت بالرى دار قوم لم يبق منها الا رسم بابها وعليه مكتوب

اعجب لصرف الدهر معتبرا * فهذه الدار من عجائبها
عهدى بها والملوك زاهية * قد سطع النور من جوانبها
تبدلت وحشة بساكنها * ما اوحش الدار بعد صاحبها

ولما مات رتب مخدومه ركن الدولة ولده ذا الكفايتين أبا الفتح عليا مكانه فى دست الوزارة وكان جليلا نبيلا سريا ذا فضائل وفواضل وهو الذى كتب اليه المتنبى الابيات الخمسة الدالية الموجودة فى ديوانه فى أثناء مدائح والده ولا حاجة الى ذكرها وذكره الثعالبى فى اليتيمة فى ترجمة والده وقال كتب الى صديق له يستهديه شرابا وقد اغتنمت الليلة أطال الله بقاء سيدى رقدة من عين الدهر وانتهزت فرصة من فرص العمر وانتظمت مع أصحابى فى سمط الثريا فان لم تحفظ علينا هذا النظام باهداء المدام عدنا كبنات نعش والسلام وذكر له مقاطيع من الشعر ولم يزل أبو الفتح المذكور فى وزارة ركن الدولة الى أن توفى فى التاريخ المذكور فى ترجمته فى حرف الحاء وقام بالامر ولده مؤيد الدولة فاستوزره أيضا وأقام على ذلك مدة مديدة وكانت بينه وبين الصاحب بن عباد منافرة ويقال انه اغرى قلب مؤيد الدولة عليه فظهر له منه التنكر والاعراض وقبض عليه فى بعض شهور سنة ست وستين وثلثمائة وله فى اعتقاله أبيات يشرح فيها حاله وقال الثعالبى اجتاح ماله وقطع انفه وجز لحيته وقال غيره وقطع يديه فلما ايس من نفسه وعلم انه لا مخلص له مما هو فيه ولو بذل جميع ما يحتوى عليه يده فشق جيب جبة كانت عليه واستخرج منها رقعة فيها تذكرة بجميع ما كان له ولوالده من الذخائر والدفائن وألقاها فى النار فلما علم انها قد احترقت قال للمتوكل به افعل ما أمرت به فوالله لا يصل الى صاحبك من أموالنا درهم واحد فما زال يعرضه على أنواع العذاب حتى تلف وكان القبض عليه يوم الاحد ثامن عشر ربيع الآخر سنة ست وستين وثلثمائة وكانت ولادته سنة سبع وثلثمائة ولما انصرف أهل خراسان فى سنة خمس وخمسين وثلثمائة ايام الغزاة من الرى بعد الحادثة التى جرت هناك وهى واقعة مشهورة ودفع الله شرها شرع الرئيس أبو الفضل بن العميد فى بناء حائط عظيم حول دار مخدومه

ركن الدولة فقال له عارض الجيش هذا كما يقال الشدّ بعض الضراط فقال ابن العميد فهذا أيضا جيد لئلا تنفلت أخرى فاستحسن منه هذا الجواب وفيه يقول بعض أصحابه

آل العميد وآل برمك مالكم ＊ قل المعين لكم وذل الناصر
كان الزمان يحبكم فبدا له ＊ ان الزمان هو الخؤون الغادر

وتولى موضعه الصاحب بن عباد وقد تقدم ذكره في ترجمته فينظر هناك في حرف الهمزة وكان أبو الفتح المذكور قبل ان يقتل بمدة قد لهج بانشاد هذين البيتين

دخل الدنيا اناس قبلنا ＊ رحلوا عنها وخلوها لنا
ونزلناها كما قد نزلوا ＊ ونخليها لقوم بعدنا

ومن المنسوب الى أبي الفتح بن العميد

يقولون لي الواشون كيف تحبها ＊ فقلت لهم بين المقصر والغالي
ولولا حذاري منهم لصدقتهم ＊ فقلت هوى لم يهوه قط امثالي
وكم من شفيق قال مالك واجما ＊ فقلت ترى ما بي وتسأل عن حالي

وكان أبو حيان علي بن محمد التوحيدي البغدادي قد وضع كتابا سماه مثالب الوزيرين ضمنه معايب أبي الفضل بن العميد المذكور والصاحب بن عباد وتحامل عليهما وعدد نقائصهما وسلبهما ما اشتهر عنهما من الفضائل والافضال وبالغ في التعصب عليهما وما انصفهما وهذا الكتاب من الكتب المحذورة ما ملكه أحد الا وانعكست أحواله ولقد جربت ذلك وجربه غيري على ما أخبرني من أثق به وكان أبو حيان المذكور فاضلا مصنفا له من الكتب المشهورة الامتناع والمؤانسة في مجلدين وكتاب البصائر والذخائر وكتاب الصديق والصداقة في مجلد واحد وكتاب المقابسات في مجلد أيضا ومثالب الوزيرين في مجلد أيضا وغير ذلك وكان موجودا في السنة الاربعمائة ذكر ذلك في كتاب الصديق والصداقة والتوحيدي بفتح التاء المثناة من فوقها وسكون الواو وكسر الحاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة ولم أر أحدا ممن وضع كتب الانساب تعرض الى هذه النسبة لا السمعاني ولا غيره لكن يقال ان أباه كان يبيع التوحيد ببغداد وهو نوع من التمر بالعراق وعليه حمل بعض من شرح ديوان المتنبي قوله

يترشفن من فمي رشفات ＊ هن فيه أحلى من التوحيد

والله أعلم بالصواب

أبو علي محمد بن علي بن الحسين بن مقلة الكاتب المشهور

كان في أول أمره يتولى بعض أعمال فارس ويجبي خراجها وتنقلت أحواله الى

أن استوزره الامام المقتدر بالله وخلع عليه لاربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع
الآخر سنة ست عشرة وثلثمائة وقبض عليه يوم الاربعا الاربع عشرة ليلة بقيت من جمادى
الاولى سنة ثمان عشرة وثلثمائة ثم نفاه الى بلاد فارس بعد ان صادره ثم استوزره الامام
القاهر بالله فارسل اليه الى بلاد فارس رسولا يجيء به ورتب له نائبا عنه فوصل ابن مقلة
من فارس بكرة يوم الخميس عيد الاضحى من سنة عشرين وثلثمائة وخلع عليه ولم يزل وزيره
حتى اتهمه بمعاضدة على بن بليق على الفتك به وبلغ ابن مقلة الخبر فاستترفى اول شعبان
من سنة احدى وعشرين وثلثمائة ولما ولى الراضى بالله لست خلون من جمادى الاولى
من سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة استوزره أيضا لتسع خلون من جمادى الاولى من السنة
المذكورة وكان المظفر بن ياقوت مستحوذا على أمور الراضى وكان بينه وبين أبى على
الوزير وحشة فقرر ابن ياقوت المذكور مع الغلمان الحجرية انه اذا جاء الوزير أبو على
قبضوا عليه وان الخليفة لا يخالفهم فى ذلك وربما سره هذا الامر فلما حصل الوزير
فى دهليز دار الخلافة وثب الغلمان عليه ومعهم ابن ياقوت المذكور فقبضوا عليه وأرسلوا
الى الراضى يعرفونه صورة الحال وعددوا له ذنوبا وأسبابا تقتضى ذلك فرد جوابهم
وهو يستصوب رأيهم فيما فعلوه وذلك كان فى يوم الاثنين لاربع عشرة ليلة بقيت من
جمادى الاولى سنة أربع وعشرين وثلثمائة واتفق رأيهم على تفويض الوزارة الى عبد
الرحمن بن عيسى بن داود بن الجراح فقلده الراضى الوزارة وسلم اليه أبا على بن مقلة
فضربه بالمقارع وجرى عليه من المكاره بالتعليق وغيره من العقوبة شئ كثير واخذ
خطه بألف ألف دينار ثم خلص وجلس بطالا فى داره ثم ان أبا بكر محمد بن رائق استولى
على الخلافة وخرج عن طاعتها فانفذ اليه الراضى واستماله وفوض اليه تدبير المملكة
وجعله أمير الامراء وورد عليه تدبير اعمال الخراج والضياع فى جميع النواحى وأمر أن
يخطب له على جميع المنابر فقوى أمره وعظم شأنه وتصرف على حسب اختياره واحتاط
على أملاك ابن مقلة المذكور وضياعه واملاك ولده أبى الحسين فحضر اليه ابن مقلة والى
كاتبه وتذلل لهما فى معنى الافراج عن املاكه فلم يحصل منهما الا على المواعيد فلما رأى
ابن مقلة ذلك أخذ فى السعى بابن رائق المذكور من كل جهة وكتب الى الراضى يشير
عليه بامساكه والقبض عليه وضمن له انه متى فعل ذلك وقلده الوزارة استخرج له ثلثمائة
ألف ألف دينار وكانت مكاتبته على يد على بن هارون المنجم النديم المقدم ذكره
فاطمعه الراضى بالاجابة الى ما سال وترددت الرسائل بينهما فى ذلك فلما استوثق ابن مقلة
من الراضى اتفقا على ان يحدر اليه سرا ويقيم عنده الى ان يتم التدبير فركب من داره
وقد بقى من شهر رمضان ليلة واحدة واختار هذا الطالع لان القمر يكون تحت الشعاع
وهو يصلح للامور المستورة فلما وصل الى دار الخليفة لم يمكنه من الوصول اليه واعتقله
فى حجرة ووجه الراضى من غد الى ابن رائق وأخبره بما جرى وانه احتال على ابن مقلة

حتى حصل فى أسره وترددت بينهما المراسلات فى ذلك فلما كان رابع عشر شوال سنة ست وعشرين وثلثمائة أظهر الراضى أمر ابن مقلة وأخرجه من الاعتقال وحضر حاجب بن رائق وجماعة من القواد وتقابلا وكان ابن رائق قد التمس قطع يده اليمنى التى كتب بها تلك المطالعة فلما انتهى كلامهما فى المقابلة قطعت يده اليمنى ورد الى محبسه ثم ندم الراضى على ذلك وأمر الاطباء بملازمته للمداواة فلازموه حتى برئ وكان ذلك نتيجة دعاء أبى الحسن محمد بن شنبوذ المقرى عليه بقطع اليد وقد تقدم ذكر سبب ذلك فى ترجمته وذلك من عجيب الاتفاق وقال ابو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الطبيب وكان يدخل عليه لمعالجته كنت اذا دخلت عليه فى تلك الحال يسألنى عن أحوال ولده أبى الحسن فأعرفه استتاره وسلامته فتطيب نفسه ثم ينوح على يده ويبكى ويقول خدمت بها الخلفاء وكتبت بها القرآن الكريم دفعتين تقطع كما تقطع أيدى اللصوص فأسليه وأقول له هذا انتهاء المكروه وخاتمه القطوع فينشدنى ويقول

اذا مامات بعضك فابك بعضا * فان البعض من بعض قريب

ثم عاد وأرسل للراضى من الحبس بعد قطع يده وأطمعه فى المال وطلب الوزارة وقال ان قطع اليد ليس مما يمنع الوزارة وكان يشد القلم على ساعده ويكتب به ولما قدم بجكم التركى من بغداد وكان من المتمين الى ابن رائق أمر بقطع لسانه أيضا فقطع وأقام فى الحبس مدة طويلة ثم لحقه ذرب ولم يكن له من يخدمه فكان يستقى الماء لنفسه من البئر فيجذب بيده اليسرى جذبة وبفمه اخرى وله اشعار فى شرح حاله وما انتهى أمره اليه ورثى يده والشكوى من الناحية وعدم تلبثها بالقول فى ذلك قوله

ماسئمت الحياة ولكن توثقت * بأيمانهم فبانت يمينى
بعت دينى لهم بدنياى حتى * حرمونى دنياهم بعد دينى
ولقد حطت ما استطعت بجهدى * حفظ أرواحهم فما حفظونى
ليس بعد اليمين لذة عيش * ياحياتى بانت يمينى فبينى

ومن المنسوب الى ابن مقلة أيضا

لست ذا ذلة اذا عضنى الدهـر ولا شامخا اذا واتانى
أنا نار فى مرتقى نفس الحا * سد ماء جار مع الاخوان

وفى الوزير المذكور يقول بعضهم

وقالوا العزل للوزراء حيض * لحاه الله من أمر بغيض
ولكن الوزير أبا على * من اللائى يئسن من المحيض

ومن شعره أيضا ما قاله الثعالبى فى يتيمة الدهر

واذا رأيت فتى بأعلى رتبة * فى شامخ من عزه المترفع
قالت لى النفس العروف بقدرها * ما كان أولانى بهذا الموضع

ولم

ولم يزل على هذه الحالة الى أن توفى فى موضعه يوم الاحد عاشر شوال سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ودفن فى مكانه ثم نبش بعد زمان وسلم الى أهله وكانت ولادته يوم الخميس بعد العصر لتسع بقين من شوال سنة اثنين وسبعين ومائتين ببغداد رحمه الله تعالى وقد تقدم طرف من خبره فى ترجمة ابن البواب الكاتب وانه أول من نقل هذه الطريقة من خط الكوفيين الى هذه الصورة هو أو أخوه على الخلاف المذكور فى ترجمة ابن البواب وان ابن البواب تبع طريقته ونهج اسلوبه ولابن مقلة الفاظ منقولة مستعملة فمن ذلك قوله اذا أحببت تهالكت واذا ابغضت اهلكت واذا رضيت آثرت واذا غضبت اثرت ومن كلامه أيضا يعجبنى من يقول الشعر تأدبا لا تكسبا و يتعاطى الغناء تطربا لا تطلبا وله كل معنى مليح فى النظم والنثر وكان ابن الرومى الشاعر المتقدم ذكره يمدحه فمن معانيه الغريبة فيه قوله

ان يخدم القلم السيف الذى خضعت * له الرقاب ودانت خوفه الامم

فالموت والموت لا شئ يعادله * مازال يتبع ما يجرى به القلم

كذا قضى الله للاقلام مذبريت * أن السيوف لها مذ أرهفت خدم

وكان أخوه أبو عبد الله الحسن بن على بن مقلة كاتبا أديبا بارعا والصحيح انه صاحب الخط المليح ومولده يوم الاربعاء طلوع الفجر سلخ شهر رمضان سنة ثمان وستين ومائتين وتوفى فى شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة رحمه الله تعالى وأما ابن رائق فان الحافظ ابن عساكر ذكر فى تاريخ الامام المتقى بالله انه ولاه أمر دمشق وأخرج منها بدر ابن عبد الله الاخشيذى ثم توجه الى مصر وتواقع هو وصاحبها محمد بن طغج الاخشيذى المقدم ذكره فهزمه الاخشيذى فرجع الى دمشق ثم توجه الى بغداد وقتل بالموصل سنة ثلاثين وثلثمائة وقيل ان بنى حمدان قتلوه بالموصل قتله ناصر الدولة الحسن المقدم ذكره

ابن بقية

الوزير أبو الطاهر محمد بن بقية بن على الملقب نصير الدولة وزير عز الدولة بختيار ابن معز الدولة بن بويه المقدم ذكره

كان من أجلة الرؤساء وأكابر الوزراء وأعيان الكرماء وقد تقدم فى ترجمة عز الدولة طرف من خبره فى قضية الشمع وان الشماع لما سئل عن راتب عز الدولة فى الشمع كم كان فقال كان راتب وزيره محمد بن بقية ألف من فى كل شهر فاذا كان هذا راتب الشمع خاصة مع قلة الحاجة اليه فكم يكون غيره مما تشتد الحاجة اليه وكان من أهل اوانا من عمل بغداد وكان فى اول أمره قد توصل الى ان صار صاحب مطبخ معز الدولة والد عز الدولة ثم انتقل الى غيرها من الخدم ولما مات معز الدولة وأفضى الامر الى عز الدولة حسنت حاله عنده ورعى له خدمته لابيه وكان فيه توصل وسعة صدر وتقدم الى

ان استوزره عز الدولة يوم الاثنين لسبع ليال خلون من ذى الحجة سنة اثنين وستين وثلثمائة ثم انه قبض عليه لسبب اقتضى ذلك يطول شرحه وحاصله انه حمله على محاربة ابن عمه عضد الدولة فالتقيا على الاهواز وكسر عز الدولة فنسب ذلك الى رأيه ومشورته وفى ذلك يقول ابو غسان الطبيب بالبصرة

أقام على الاهواز خمسين ليلة * يدبر أمر الملك حتى تدمرا
فدبر أمرا كان اوله عمى * وأوسطه بلوى وآخره خرا

وكان قبضه يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة سنة ست وستين وثلثمائة بمدينة واسط وسمل عينيه ولزم بيته وكان فى مدة وزارته يبلغ عضد الدولة بن بويه عنه أمور يسوءه سماعها منها انه كان يسميه أبا بكر العذرى تشبيها له برجل اشقر ازرق يسمى أبا بكر كان يبيع العذرة برسم البساتين ببغداد وكان عضد الدولة بهذه الحلية وكان الوزير يفعل ذلك تقربا الى قلب مخدومه عز الدولة لما كان بينه وبين ابن عمه عضد الدولة من العداوة فلما قتل عز الدولة كما وصفناه فى ترجمته وملك عضد الدولة بغداد ودخلها طلب ابن بقية المذكور وألقاه تحت أرجل الفيلة فلما قتل صلبه بحضرة البيمارستان العضدى ببغداد وذلك فى يوم الجمعة لست خلون من شوال سنة سبع وستين وثلثمائة رحمه الله تعالى وقال ابن الهمدانى فى كتاب عيون السير لما استوزر عز الدولة بختيار ابن بويه ابن بقية المذكور بعد أن كان يتولى أمر المطبخ قال الناس من الغضارة الى الوزارة وستر كرمه عيوبه وخلع فى عشرين يوما عشرين ألف خلعة قال أبو اسحاق الصابى رأيته وهو يشرب فى بعض الليالى وكلما لبس خلعة خلعها على أحد الحاضرين فزادت على مائتى خلعة فقالت له مغنيته يا سيدى الوزير فى هذه الثياب زنابير ما تدعها تثبت على جسمك فضحك وأمر لها بصندوق ثياب وهو اول وزير لقب بلقبين فان الامام المطيع لقبه بالناصح ولقبه والده الطائع بنصير الدولة ولما حضرت الحرب بين عز الدولة وابن عمه عضد الدولة قبض عز الدولة عليه وسمله وحمله الى عضد الدولة مسمولا فشهره عضد الدولة وعلى رأسه برنس ثم طرحه للفيلة فقتله ثم صلبه عند داره بباب الطاق وعمره نيف وخمسون سنة ولما صلب رثاه أبو الحسن محمد بن عمران بن يعقوب الانبارى أحد العدول ببغداد بقوله

علو فى الحياة وفى الممات * لحق أنت احدى المعجزات
كأن الناس حولك حين قاموا * وفود نداك أيام الصلات
كأنك قائم فيهم خطيبا * وكلهم قيام للصلاة
مددت يديك نحوهم احتفالا * كمدهما اليهم بالهبات
ولما ضاق بطن الارض عن ان * تضم علاك من بعد الممات
اصاروا الجو قبرك واستنابوا * عن الاكفان ثوب السافيات
لعظمك فى النفوس تبيت ترعى * بحفاظ وحراس ثقات

وتشعل

وتشعل عندك النيران ليلا * كذلك كنت أيام الحياة
ركبت مطية من قبل زيد * علاها في السنين الماضيات
وتلك فضيلة فيها تأس * تباعد عنك تعيير العداة
ولم أر قبل جذعك قط جذعا * تمكن من عناق المكرمات
أسأت الى النوائب فاستثارت * فأنت قتيل ثار النائبات
وكنت تجير من صرف الليالي * فعاد مطالبا لك بالترات (٣)
وصير دهرك الاحسان فيه * الينا من عظيم السيئات
وكنت لمعشر سعدا فلما * مضيت تفرقوا بالمنحسات
غليل باطن لك في فؤادي * يخفف بالدموع الجاريات
ولو اني قدرت على قيام * لفرضك والحقوق الواجبات
ملأت الارض من نظم القوافي * ونحت بها خلاف النائحات
ولكني أصبر عنك نفسي * مخافة ان اعد من الجناة
ومالك تربة فاقول تسقى * لانك نصب هطل الهاطلات
عليك تحية الرحمن تترى * برحمات غواد رائحات

ولم يزل ابن بقية مصلوبا الى ان توفي عضد الدولة في التاريخ المذكور في ترجمته في حرف الفاء فأنزل عن الخشبة ودفن في موضعه فقال فيه أبو الحسن بن الانباري صاحب المرثية المذكورة

لم يلحقوا بك عارا اذ صلبت بلى * باؤا باثمك ثم استرجعوا ندما
وأيقنوا انهم في فعلهم غلطوا * وانهم نصبوا من سودد علما
فاسترجعوك وواروا منك طود علا * بدفنه دفنوا الافضال والكرما
لئن بليت فلا يبلى نداك ولا * تنسى وكم هالك ينسى اذا قدما
تقاسم الناس حسن الذكر فيك كما * مازال مالك بين الناس منقسما

وقال الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق لما صنع أبو الحسن المرثية التائية كتبها ورماها بشوارع بغداد فتداولتها الادباء الى أن وصل الخبر الى عضد الدولة فلما انشدت بين يديه تمنى ان يكون هو المصلوب دونه فقال علي بهذا الرجل فطلب سنة كاملة واتصل الخبر بالصاحب بن عباد وهو بالري فكتب له الامان فلما سمع أبو الحسن بن الانباري بذكر الامان قصد حضرته فقال له أنت القائل هذه الابيات قال نعم قال أنشدنيها من فيك فلما أنشد

ولم أر قبل جذعك قط جذعا * تمكن من عناق المكرمات

قام اليه الصاحب وعانقه وقبل فاه وانفذه الى عضد الدولة فلما مثل بين يديه قال له ما الذي حملك على مرثية عدوي فقال حقوق سلفت وأياد مضت فجاش الحزن في قلبي

فرثيته فقال هل يحضرك شئ فى الشموع والشموع تزهر بين يديه فانشأ يقول

كأن الشموع وقد أظهرت * من النار فى كل رأس سنانا
أصابع أعدائك الخائفين * تضرع تطلب منك الامانا

فلما سمعها خلع عليه وأعطاه فرسا وبدرة انتهى كلام الخافظ قلت قوله فى الابيات

ركبت مطية من قبل زيد * علاها فى السنين الماضيات

زيد هذا هو أبو الحسين زيد بن زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وكان قد ظهر فى أيام هشام بن عبد الملك فى سنة اثنين وعشرين ومائة ودعا الى نفسه فبعث اليه يوسف بن عمر الثقفى والى العراقين يومئذ جيشا مقدمه العباس المرى فرماه رجل منهم بسهم فاصابه فمات وصلب بكناسة الكوفة ونقل رأسه الى البلاد وقال ابن قانع كان ذلك فى صفر سنة احدى وعشرين ومائة وقيل سنة اثنين وعشرين ومائة فى صفر أيضا بالكوفة ولزيد من العمر اثنان وأربعون سنة يومئذ وقال ابن الكلبى فى كتاب جمهرة النسب ان زيد بن على رضى الله عنهما أصابه سهم فى جبهته فاحتمله أصحابه وكان ذلك عند المساء ثم دعوا الحجام فانتزع النشابة وسالت نفسه وذكر أبو عمرو الكندى فى كتاب أمراء مصر أن أبا الحكم بن أبى الابيض القيسى قدم الى مصر برأس زيد بن على يوم الاحد لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة اثنين وعشرين ومائة واجتمع اليه الناس فى المسجد وهو صاحب المشهد الذى بين مصر وبركة قارون بالقرب من جامع ابن طولون يقال ان رأسه مدفون به والله أعلم بالصواب وقتل ولده يحيى بن زيد سنة خمس وعشرين ومائة وقصته مشهورة بالجوزجان قتله سالم ابن أحور المازنى وقيل جهم بن صفوان صاحب الجهمية وهذه القصيدة لم يعمل فى بابها مثلها باتفاق علماء الفن وقد ذكر أبو تمام أيضا المصلوبين فى قصيدته التى مدح بها المعتصم لما صلب الافشين خيذر بن كاوس مقدم قواده وبابك ومازيار فى سنة ست وعشرين ومائتين وقصتهم مشهورة فمنها قوله

ولقد شفى الاحشاء من برحائها * اذ صار بابك جار مازيار
ثانيه فى كبد السماء ولم يكن * كاثنين ثان اذ هما فى الغار
وكأنما انتبذا لكيما يطويا * عن ناطس خبرا من الاخبار
سود اللباس كأنما نسجت لهم * ايدى السموم مدارعا من قار
بكروا وأسروا فى متون ضوامر * قيدت لهم من مربط النجار
لا يبرحون ومن رآهم خالهم * أبدا على سفر من الاسفار

وقبل هذا فى وصف الافشين خاصة

رمقوا أعالى جذعه فكأنما * رمقوا الهلال عشية الافطار

وهى من القصائد الطنانة والافشين مشهور فلا حاجة الى ضبطه وهو بكسر الهمزة وفتحها واسمه خيذر بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الذال المعجمة

وبعدها راء واغماقيدته لانه يتصحف على كثير من الناس بحيدر بالحاء المهملة ومن شعر أبي الحسن الانباري المذكور في الباقلاء الاخضر قوله

فصوص زمرد في غلف در * باقماع حكت تقليم ظفر
وقد خلع الربيع لها ثيابا * لها لونان من بيض وخضر

وقد ذكره الخطيب في تاريخ بغداد وقال انه من المقلين في الشعر رحمه الله تعالى

أبو غالب محمد بن علي بن خلف الملقب فخر الملك وزير بهاء الدولة أبي نصر ابن عضد الدولة بن بويه

وبعد وفاته وزر لولده سلطان الدولة أبي شجاع فنا خسرو وكان فخر الملك المذكور من أعظم وزراء آل بويه على الاطلاق بعد ابي الفضل محمد بن العميد والصاحب بن عباد المقدم ذكرهما وكان أصله من واسط وأبوه صيرفيا وكان واسع النعمة فسيح مجال الهمة جم الفضائل والافضال جزيل العطايا والنوال قصده جماعة من اعيان الشعراء ومدحوه وقرضوه بنخب المدائح منهم أبو نصر عبد العزيز بن نباتة الشاعر المقدم ذكره له فيه قصائد مختارة منها قصيدته النونية التي من جملتها يقول

لكل فتى قرين حين يسمو * وفخر الملك ليس له قرين
أنخ بجنابه واحكم عليه * بما تلقيه وأنا الضمين

اخبرني بعض علماء الادب ان بعض الشعراء امتدح فخر الملك بعد هذه القصيدة فاجازه اجازة لم يرضها فجاء الشاعر الى ابن نباتة وقال له أنت غررتني وأنا مامدحته الا ثقة بضمانك فتعطيني ما يليق بمثل قصيدي فأعطاه من عنده شيأ رضي به فبلغ ذلك فخر الملك فسير لابن نباتة جملة مستكثرة لهذا السبب ويقرب من معنى هذين البيتين في شدة الوثوق بالعطاء قول المتنبي

وثقنا بان تعطي فلو لم تجد لنا * لخلناك قد أعطيت من قوة الوهم (٣)

ويحكى في هذا المعنى أيضا ان بعض الشعراء مدح بعض الاكابر بقصيدة فلما اصبح كتب اليه

كم أعاجلك بالرقاع الى ان * عاجلتني رقاع أهل الديون
علموا انني مدحتك أمسيت * مليا فاصبحوا يرفعوني

ومن جملة مداحه مهيار بن مرزويه الكاتب الشاعر المشهور وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى وفيه يقول قصيدته الرائية التي منها

أرى كبدي وقد بردت قليلا * امات الهم ام عاش السرور
ام الايام خافتني لاني * بفخر الملك منها استجير

ومدائحه كثيرة ولاجله صنف أبو بكر محمد بن الحسن الحاسب الكرخي كتاب الفخري في الجبر والمقابلة وكتاب الكافي في الحساب ورأيت في بعض المجاميع ان رجلا

فخر

(٣) تحققنا ... لظننا ... من قصيد ... حسين ... ملام النو... لعل ...

شيئا رفع الى فخر الملك المذكور قصة سعى فيها بهلاك شخص فلما وقف فخر الملك عليها قلبها وكتب فى ظهرها السعاية قبيحة وان كانت صحيحة فان كنت أجريتها مجرى النصح فخسرانك فيها أكثر من الربح ومعاذ الله ان نقبل من مهتوك فى مستور ولولا انك فى خفارة من شيبك لقابلناك بما يشبه مقالك ونردع به أمثالك فاكتم هذا العيب واتق من يعلم الغيب والسلام وذكر أبو منصور الثعالبى فى كتاب يتيمة الدهر للاشرف بن فخر الملك قوله

مربى الموكب لكننى * لم أر فيه فخر الموكب

قل لامير الجيش يا سيدى * مالامير الحسن لم يركب

ومحاسن فخر الملك كثيرة ولم يزل فى عزه وجاهه وحرمته الى ان نقم عليه مخدومه سلطان الدولة المذكور بسبب اقتضى ذلك فحبسه ثم قتله بسفح جبل قريب من الاهواز يوم السبت وقيل يوم الثلاثا لثلاث بقين من شهر ربيع الاول سنة سبع وأربعمائة ودفن هناك ولم يستقص فى دفنه فنبشت الكلاب قبره وأكلته ثم اعيد دفن رمته فتشفع فيه بعض أصحابه فنقلت عظامه الى مشهد هناك فدفنت فيه فى سنة ثمان وأربعمائة وقال أبو عبد الله أحمد بن القادسى فى اخبار الوزراء وكان الوزير فخر الملك قد أهمل بعض الواجبات فعوقب سريعا وذلك ان بعض خواصه قتل رجلا ظلما فتصدت له زوجة المقتول تستغيث فلم يلتفت اليها فاتفق انه ليلة فى مشهد باب التين وقد حضر للزيارة فقالت له يا فخر الملك القصص التى أرفعها اليك ولا تلتفت اليها صرت ارفعها الى الله وانا منتظرة خروج التوقيع من جهته فلما قبض عليه قال لاشك ان توقيعها قد خرج واستدعى الى مضرب سلطان الدولة ثم قبض عليه وعدل به الى خركاه وقد أحيط على أمواله وخزائنه وكراعه وولده وأصحابه وقتل فى التاريخ المذكور أعلاه وأخذ من ماله ستمائة ألف دينار ونيف وثلاثين ألف دينار وقيل انه وجد له ألف ألف وماتنا ألف دينار مطبعة ورثاه الشريف الرضى بابيات مااخترت منها شيأ حتى أثبته ههنا فسبحان اللطيف الخبير الفعال لما يريد ومولده بواسط يوم الخميس الثانى والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وثلثمائة وقد استوفى هلال بن الصابى أخباره فى تاريخه والله تعالى أعلم

أبو نصر محمد بن محمد بن جهير الملقب فخر الدولة مؤيد الدين الموصلى التغلبى كان ذا رأى وعقل وحزم وتدبير خرج من الموصل لامر يطول شرحه وصار ناظر الديوان بحلب ثم صرف عنه وانتقل الى آمد وأقام بها مدة بطالا ثم توصل الى ان وزر للامير نصر الدولة أحمد بن مروان الكردى صاحب ميافارقين وديار بكر وقد تقدم ذكر ذلك فى ترجمة نصر الدولة وكان نافذ الكلمة مطاع الامر ولم يزل على ذلك الى ان توفى نصر الدولة فى التاريخ المذكور فى ترجمته وقام بالامر ولده نظام الدين فأقبل

عليه وزاد فى اكرامه فرتب أمور دواته واجراها على الاوضاع التى كانت فى ايام أبيه
ثم خطر له التوجه الى بغداد فعمد على ذلك وكاتب الامام القائم بأمر الله ولم يزل
يتوصل ويبذل الاموال حتى خرج اليه نقيب النقباء ابن طراد الزينبى فقرر معه ما اراد
تقريره ثم خرج لوداعه وعم الى بغداد وارسل ابن مروان خلفه من يرده فلم يقدر عليه فلما
بلغها تولى وزارة القائم بدلا من أبى الغنائم ابن دارست فى سنة أربع وخمسين وأربعمائة
ودام فيها الى ان توفى القائم وتولى ولد ولده المقتدى بأمر الله فاقره على الوزارة مدة سنين
ثم عزله عنها يوم عرفة الامير أبو الغنائم بن دارست باشارة الوزير نظام الملك وكان
ولده عميد الدولة شرف الدين أبو منصور محمد ينوب عنه فيها فلما عزل والده خرج هو الى
نظام الملك أبى الحسن وزير ملكشاه بن ألب ارسلان السلجوقى المقدم ذكره واسترضاه
واصلح حاله معه وعاد الى بغداد وتولى الوزارة مكان أبيه وخرج أبوه فخر الدولة فى سنة
ست وسبعين الى جهة السلطان ملكشاه المذكور باستدعائه اياه فعقد له على ديار بكر
وسار معه الامير ارتق بن اكسب صاحب حلوان المقدم ذكره فى جماعة من التركمان
والاكراد والامراء فلما وصلوا الى ديار بكر فتح ولده أبو القاسم زعيم الرؤساء مدينة
آمد بعد حصار شديد ثم فتح أبوه فخر الدولة ميافارقين بعد ثلاثة أشهر من فتح آمد وكان
أخذها من ناصر الدولة أبى المظفر منصور بن نظام الدين واستولى على أموال بنى
مروان وذلك فى سنة تسع وسبعين وأربعمائة ومن عجيب الاتفاق ان منجما حضر الى
ابن مروان نصر الدولة وحكم له باشياء ثم قال له ويخرج على دولتك رجل قد احسنت اليه
فيأخذ الملك من أولادك فافكر ساعة ثم رفع رأسه الى فخر الدولة وقال ان كان هذا
القول صحيحا فهو الشيخ هذا ثم أقبل عليه وأوصاه على أولاده فكان الامر كما قال فانه
وصل الى البلاد وكان فتحها على يديه كما ذكرنا والشرح فى ذلك يطول وكان رئيسا جليلا
خرج من بيته جماعة من الوزراء والرؤساء ومدحهم اعيان الشعراء فمنهم أبو منصور على
ابن الحسن المعروف بصردر انفذ الى فخر الدولة المذكور من واسط عند تقلده الوزارة
قصيدة وهى من مشاهير القصائد واولها

لجاجة قلب ما يفيق غرورها * وحاجة نفس ليس يقضى يسيرها
وقفنا صفوفا فى الديار كأنها * صحائف ملقاة ونحن سطورها
يقول خليلى والظباء سوانح * أهذا الذى تهوى فقلت نظيرها
لئن شابهت اجيادها وعيونها * لقد خالفت اعجازها وصدورها
فيا عجبا منها يصيد انيسها * ويدنو على ذعر الينا نفورها
وما ذاك الا ان غزلان عامر * تيقن ان الزائرين صقورها
ألم يكفها ماقد جنته شموسها * على القلب حتى ساعدتها بدورها
نكصنا على الاعقاب خوف اناثها * فما بالها تدعو نزال ذكورها

ووالله ما أدرى غداة نظرتها * أتلك سهام ام كؤوس تديرها
فان كن من نبل فاين خفيفها * وان كن من خمر فاين سرورها
ايا صاحبي استأذنا لي خمارها * فقد اذنت لي في الوصول خدورها
هباها تجافت عن خليل يروعها * فهل انا الا كالخيال يزورها
وقد قلتما لي ليس في الارض جنة * اماهذه فوق الركائب نحورها
فلا تحسبا قلبي طليقا فانما * لها الصدر سجن وهو فيه اسيرها
يعز على الهيم الخوانص وردها * اذا كان ما بين الشفاه غديرها
اراك الحى قل لي بأى وسيلة * توسلت حتى قبلتك ثغورها

ومن مديحها

اعدت الى جسم الوزارة روحها * وما كان يرجى بعثها ونشورها
اقامت زمانا عند غيرك طامثا * وهذا زمان قروءها وطهورها
من الحق ان تحيى بها مستحقها * ويبترعها من دونه مستعيرها
اذا ملك الحسناء من ليس كفوها * اشار عليها بالطلاق مشيرها

وأنشده أيضا لما عاد الى الوزارة فى صفر سنة احدى وستين وأربعمائة بعد العزل وكان المقتدى بالله قد أعاده الى الوزارة بعد العزل وقبل الخروج الى السلطان ملكشاه نعمل فيه صدر هذه القصيدة

قد رجع الحق الى نصابه * وأنت من كل الورى أولى به
ما كنت الا السيف سلته يد * ثم اعادته الى قرابه
هزته حتى ابصرته صارما * رونقه يغنيه عن ضرابه
اكرم بها وزارة ما سلمت * ما استودعت الا الى أصحابه
مشرقة الملك مذ فارقتها * شوق اخى الشيب الى شبابه
مثلك محسود ولكن معجز * ان يدرك البارق فى سحابه
حاولها قوم ومن هذا الذى * يخرج ليثا خادرا من غابه
يدمى ابو الاشبال من زاحمه * فى جيشه بظافره ونابه
وهل رأيت أو سمعت لابسا * ما خلع الارقم من أهابه
تيقنوا لما رأوها صنعة * ان ليس للبرسوى عقابه
ان الهلال يرتجى طلوعه * بعد السرار ليلة احتجابه
والشمس لا يؤنس من طلوعها * وان طواها الليل فى جلبابه
ما اطيب الاوطان الا انها * للمرء اجلى اثر اغترابه
كم عودة دلت على ما بها * وانما الليل للانسان فى مآبه
لو قرب الدر على جالبه * ما لجج الغائص فى طلابه

ولو أقام لازما أصدافه * لم تكن التيجان في حسابه
ما لؤلؤ البحر ولا من صانه * الا وراء الهول من عبابه

وهي قصيدة طويلة اقتصرنا منها على هذا القدر وقد سبق في ترجمة سابور بن ازدشير ثلاثة أبيات كتبها اليه أبو اسحاق الصابي لما عاد الى الوزارة بعد العزل ولم يعمل في هذا الباب مثلها ومن مدحه أيضا القائد أبو الرضاء الفضل بن منصور الظريف الفارقي وفيه عمل الابيات الحائية المشهورة وهي

يا قالة الشعر قد نصحت لكم * ولست ادهى الا من النصح
قد ذهب الدهر بالكرام وفي * ذاك أمور طويلة الشرح
وأنتم تمدحون بالحسن والظر * ف وجوها في غاية القبح
وتطلبون السماح من رجل * قد طبعت نفسه على الشح
من أجل ذا تحرمون كدكم * لانكم تكذبون في المدح
صونوا القوافي فما أرى أحدا * يعثر فيها الرجاء بالنجح
فان شككتم فيما أقول لكم * فكذبوني بواحد سمح
سوى الوزير الذي رياسته * تعرك اذن الزمان بالملح

وكانت ولادة فخر الدولة المذكور سنة ثمان وتسعين وثلثمائة بالموصل وتوفي بها في شهر رجب وقيل في المحرم سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة ودفن في تل توبه وهو تل قبالة الموصل يفصل بينهما عرض الشط رحمه الله تعالى وكان قد عاد الى ديار ربيعة متوليا من جهة ملكشاه أيضا في سنة اثنين وثمانين وأربعمائة فاول ما ملك نصيبين في شهر رمضان من هذه السنة ثم ملك الموصل وسنجار والرحبة والخابور وديار ربيعة أجمع وخطب له على منابرها نيابة عن السلطان وأقام بالموصل الى ان توفي وأما ولده عميد الدولة المذكور فقد ذكره محمد بن عبد الملك الهمذاني في تاريخه فقال انتشر عنه الوقار والهيبة والعفة وجودة الرأي وخدم ثلاثة من الخلفاء ووزر لاثنين منهم وكان عليه رسوم كثيرة وصلات جمة وكان نظام الملك يصفه دائما باوصاف عظيمة ويشاهده بعين الكافي الشهم ويأخذ برأيه في اهم الامور ويقدمه على الكفاة والصدور ولم يكن يعاب بأشد من الكبر الزائد فان كلماته كانت محفوظة مع ضنته بها ومن كلمه بكلمة قامت عنده مقام بلوغ الامل فن جملة ذلك ما قاله لولد الشيخ الامام أبي نصر بن الصباغ اشتغل وتأدب والا كنت صباغا بغير أب انتهى كلام ابن الهمذاني وكان نظام الملك الوزير قد زوجه زبيدة ابنته وكان قد عزل من الوزارة ثم أعيد اليها بسبب المصاهرة وفي ذلك يقول الشريف أبو يعلى ابن الهبارية المقدم ذكره

قل للوزير ولا تفزعك هيبته * وان تعاظم واستولى لمنصبه
لولا ابنة الشيخ ما استوزرت ثانية * فاشكر حرا صرت مولانا الوزير به

قوله حرا با[illegible]
منونة أي فر[illegible]

ووجدت بخط اسامة بن منقذ المتقدم ذكره ان السابق بن أبى مهزول الشاعر المعرى قال دخلت العراق فوجدت ابن الهبارية فقال لى فى بعض الايام امض بنا لنخدم الوزير ابن جهير وكان قد عزل ثم استوزر قال السابق فدخلت معه حتى وقفنا بين يدى الوزير فدفع اليه رقعة صغيرة فلما قرأها تغير وجهه ورأيت فيه الشر وخرجنا من مجلسه فقلت ما كان فى الرقعة فقال خير الساعة تضرب رقبتى ورقبتك فأشفقت وقلقت وقلت انا رجل غريب صحبتك هذه الايام وسعيت فى هلاكى فقال كان ما كان فقصدنا باب الدار لنخرج فردنا البواب فقال أمرت بمنعكما فقال السابق أنا رجل غريب من أهل الشام ما يعرفنى الوزير وانما القصد هذا فقال البواب لا تطول فما الى خروجك من سبيل فايقنت بالهلاك فلما خف الناس من الدار خرج اليه غلام معه قرطاس فيه خمسون دينارا وقال قد شكرنا فاشكر فانصرفنا ودفع لى عشرة دنانير منها فقلت ما كان فى الرقعة فأنشدنى البيتين المذكورين فآليت أن لا أصحبه بعدها وله شعر ذكره فى الخريدة لكنه غير مرضى وذكره ابن السمعانى فى كتاب الذيل ومدحه خلق كثير من شعراء عصره وفيه يقول صر در المذكور قصيدته العينية التى أولها

قد بان عذرك والخليط مودع * وهوى النفوس مع الهوادج يرفع
لك حيثما سرت الركائب لفتة * أترى البدور بكل واد تطلع
فى الظاعنين من الحى ظبى له الـ * أحشاء مرعى والمآقى مكرع
ممنوع اطراف الجمال رقيبه * حذرا عليه من العيون البرقع
عهدى الحبائل صائدات شبيهه * فارتاع فهو لكل حبل يقطع
لم يدر حامى سربه انى اذا * حرم الكلام له لسانى الاصبع
واذا الطيوف الى المضاجع ارسلت * بتحية منه فعينى تسمع

وهذه القصيدة طويلة وهى من غرر الشعر وقوله فيها

عهدى الحبائل صائدات شبيهه * فارتاع فهو لكل حبل يقطع

نظير قول ابن الحمارة الاندلسى

عن النوم سل عينايه طال عهدها * وكان قليلا فى ليال قلائل
اذا ظن وكرا مقلتى طائر الكرى * رأى هدبها فارتاع خوف الحبائل

ولا أدرى أيهما أخذ من الآخر لانى لم أقف على تاريخ وفاة ابن الحمارة حتى اعرف عصره ويجوز ان يكون ذلك بطريق التوارد على هذا المعنى من غير ان يأخذ أحدهما من الآخر وعزل عميد الدولة المذكور عن الوزارة وحبس وقيد فى شهر رمضان المعظم سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة وتوفى فى شوال من السنة واليه كتب أبو الكرم بن العلاف الشاعر قوله

ولولا مداشجنا لم تبن * فعال السخى من الجبن

فهبك احتجبت عن الناظرين * فهلا احتجبت عن الالسن

وتوفيت زوجته بنت نظام الملك المذكور فى شعبان سنة سبعين وأربعمائة وكان تزوجها فى سنة اثنين وستين وأربعمائة وتوفى فى سنة ثلاث وتسعين فى حصن مقابل لتل بها ولعمرى در أيضا فى زعيم الرؤساء أبى القاسم بن فخر الدولة قصيدته القافية التى اولها

صبحها الدمع ومساها الارق * هل بين هذين بقاء للحدق

وهى بديعة مختارة مشهورة فلا حاجة الى التطويل فى الاتيان بها وتولى زعيم الرؤساء أبو القاسم بن فخر الدولة وزارة الامام المستظهر بالله فى شعبان من سنة ست وتسعين وأربعمائة ولقبه نظام الدين وجهير بفتح الجيم وكسر الهاء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء وقال السمعانى بضم الجيم وهو غلط يقال رجل جهير بين الجهارة أى ذو منظر ويقال أيضا جهير الصوت بمعنى جهورى الصوت والله تعالى أعلم

أبو شجاع محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم الملقب ظهير الدين الروذراورى الاصل الاهوازى المولد

قرأ الفقه على الشيخ أبى اسحاق الشيرازى وقرأ الادب وولى الوزارة للامام المقتدى بأمر الله بعد عزل عميد الدولة منصور بن جهير المذكور قبله فى ترجمة أبيه فخر الدولة وذلك فى سنة ست وسبعين وأربعمائة وعزل عنها يوم الخميس تاسع عشر صفر سنة أربع وثمانين وأربعمائة واعيد عميد الدولة بن جهير ولما قرأ أبو شجاع التوقيع بعزله أنشد

تولاها وليس له عدو * وفارقها وليس له صديق

وخرج بعد عزله ماشيا يوم الجمعة الى الجامع من داره وانثالت عليه العامة تصافحه وتدعو له وكان ذلك سببا لالزامه بالقعود فى داره ثم خرج الى روذراور وهى موطنه قديما فأقام هنالك مدة ثم خرج الى الحج فى الموسم سنة سبع وثمانين وأربعمائة وخرجت العرب على الركب الذى هو فيه بقرب الربذة فلم يسلم من الرفقة سواه وجاور بعد الحج بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم الى ان توفى فى النصف من جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ودفن بالبقيع عند القبة التى فيها قبر ابراهيم عليه السلام ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت ولادته سنة سبع وثلاثين وأربعمائة رحمه الله تعالى قال العماد الكاتب فى الخريدة فى حقه وكان عصره أحسن العصور وزمانه انضر الازمان ولم يكن فى الوزراء من يحفظ أمر الدين وقانون الشريعة مثله صعبا شديدا فى أمور الشرع سهلا فى أمور الدنيا لا يأخذه فى الله لومة لائم ثم قال ذكره ابن الهمدانى فى الذيل فقال كانت ايامه أوفى الايام سعادة للدولتين وأعظمها بركة على الرعية وأعمها امنا وأشملها رخصا وأكملها صحة لم يغادرها بؤس ولم تشبها مخافة وقامت للخلافة فى نظره من الحشمة والاحترام ما اعادت سالف الايام وكان أحسن الناس خطا

ولقد ذكره الحافظ ابن السمعاني في الذيل فقال كان يرجع الى فضل كامل وعقل وافر
وزانة ورأى صائب وكان له شعر رقيق مطبوع ادركته حرفة الادب وصرف عن
الوزارة وكلف لزوم البيت فانتقل من بغداد الى جوار النبي صلى الله عليه وسلم وأقام
بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام الى حين وفاته وزرت قبره غير مرة عند قبر
ابراهيم بن نبينا صلى الله عليه وسلم بالبقيع ثم قال السمعاني بعد ذلك سمعت من أثق به يقول
ان الوزير أبا شجاع وقت أن قرب أمره وحان ارتحاله من الدنيا حمل الى مسجد النبي صلى
الله عليه وسلم فوقف عند الحضرة وبكى وقال يا رسول الله قال الله سبحانه وتعالى ولو أنهم
اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما
ولقد جئتك معترفا بذنوبي وجرائمي ارجو شفاعتك وبكى ورجع وتوفي من يومه وله شعر
حسن مجموع في ديوان فمن ذلك قوله

لأعذبن العين غير مفكر * فيما بكت بالدمع أو فاضت دما
ولأهجرن من الرقاد لذيذه * حتى يعود على الجفون محرما
هي أوقعتني في حبائل فتنة * لو لم تكن نظرت لكنت مسلما
سفكت دمي فلأسفكن دموعها * وهي التي بدأت فكانت أظلما

وله أيضا

واني لأبدي في هواك تجلدا * وفي القلب مني لوعة وغليل
فلا تحسبن اني سلوت فربما * ترى صحة بالمرء وهو عليل

وله أيضا

أيذهب جل العمر بيني وبينكم * بغير لقاء ان ذا لشديد
فان سمح الدهر الخؤون بوصلكم * على فاقتي اني اذا لسعيد

وعمل ذيلا على كتاب تجارب الامم تأليف أبي علي أحمد بن محمد المعروف بمسكويه وهو
التاريخ المشهور بأيدي الناس وقال محمد بن عبد الملك الهمذاني في تاريخه وظهر
منه من التثبت في الدين والطهارة واعزاز أهله والرأفة بهم والاشتداد على أيدي الظلمة
ما أذكر به عدل العادلين وكان لا يخرج من بيته حتى يكتب شيأ من القرآن العظيم
ويقرأ من القرآن في المصحف ما تيسر وكان يؤدي زكاة أمواله الظاهرة في سائر أملاكه
وضياعه واقطاعه ويتصدق سرا وعرضت عليه رقعة فيها ان الدار الفلانية بدرب
القيار فيها امرأة معها أربعة أيتام وهم عراة جياع فاستدعى صاحبا له وقال له
اكسهم وأشبعهم وخلع ثيابه وحلف لا لبستها ولا دفئت حتى تعود الي وتخبرني انك
كسوتهم واشبعتهم ولم يزل يرعد الى ان جاء صاحبه وأخبره بذلك وكانت له مبار كثيرة
والروذراوري بضم الراء وسكون الواو والذال المعجمة وفتح الراء والواو وبينهما الف في آخرها
راء أخرى هذه النسبة الى روذراور وهي بليدة بنواحي همذان والله تعالى أعلم

ابو

العميد

أبو نصر محمد بن منصور بن محمد الملقب عميد الملك الكندرى

كان من رجال الدهر جودا وسخاء وكتابة وشهامة واستوزره السلطان طغرلبك السلجوقى المقدم ذكره ونال عنده الرتبة العالية والمنزلة الجليلة ولم يكن لاحد من أصحابه معه كلام وهو اول وزير كان لهذه الدولة ولم تكن له منقبة الا صحبة امام الحرمين أبى المعالى عبد الملك بن الشيخ أبى محمد الجوينى الفقيه الشافعى صاحب نهاية المطلب على ما ذكره السمعانى فى ترجمة أبى المعالى فى كتاب الذيل فانه قال بعد الاطناب فى وصف امام الحرمين وذكر تنقله فى البلاد ثم قال وخرج الى بغداد وصحب العميد الكندرى أبا نصر مدة يطوف معه ويلتقى فى حضرته بالاكابر من العلماء ويناظرهم ويحتك بهم حتى تهذب فى النظر وشاع ذكره وذكره شيخنا ابن الاثير فى تاريخه فى سنة ست وخمسين وأربعمائة وقال ان الوزير المذكور كان شديد التعصب على الشافعية كثير الوقيعة فى الشافعى رضى الله عنه بلغ من تعصبه انه خاطب السلطان ألب ارسلان السلجوقى فى لعن الرافضة على منابر خراسان فأذن فى ذلك فلعنهم وأضاف اليهم الاشعرية فأنف من ذلك أئمة خراسان منهم أبو القاسم القشيرى وامام الحرمين الجوينى وغيرهما ففارقوا خراسان وأقام امام الحرمين بمكة شرفها الله تعالى أربع سنين يدرس ويفتى فلهذا قيل له امام الحرمين فلما جاءت الدولة النظامية أحضر من انتزح منهم وأكرمهم وأحسن اليهم وقيل انه تاب عن الوقيعة فى الشافعى فان صح فقد أفلح وكان ممدوحا مقصدا للشعراء مدحه جماعة من اكابر شعراء عصره منهم أبو الحسن عبد الملك على بن الحسن الباخرزى المقدم ذكره والرئيس أبو منصور على بن الحسن بن الفضل الكاتب المشهور بصردر المقدم ذكره أيضا وفيه يقول قصيدته النونية وهى

اكذا يجازى ود كل قرين * ام هذه شيم الظباء العين
قصوا على حديث من قتل الهوى * ان التأسى روح كل حزين
ولئن كتمتم مشفقين لقد درى * بمصارع العذرى والمجنون
فوق الركاب ولا أطيل مشبها * بل ثم شهوة انفس وعيون
هزأت قدودهم وقالت للصبا * هزوا اعند البان مثل غصون
ووراء ذياك اللقبيل مورد * حصباؤه من لؤلؤ مكنون
اما يوت النحل بين شفاههم * منظومة او حانة الزرجون
ترمى بعينيك الفجاج مقلبا * ذات الشمال بها وذات يمين
لو كنت زرقاء اليمامة مارأت * من بارق حيا على جيرون
شكوا الك من ليل التمام وانما * أرقى بليل ذوائب وقرون
ومعنفى فى الوجد قلت له اتئد * فالدمع دمعى والحنين حنينى
ماناقتى اذ كان ليس بنافع * جاه الصبى وشفاعة العشرين

لاتطرقن تجملا للومة لائم * ما أنت اول حازم مفتون
أأتومهم وهم الاجانب طاعة * وهوای بین جوانحی یعصینی
دینی علی ظبیاتهم مایقتنی * فبأی حکم یقتضون دیونی
وخشیت من قلبی الفرار الیهم * حتی لقد طالبته بیمین
شکل النکال أطیق الاذلة * ان العزیز عذابه بالهون
یاعین مثل قذاك رؤیة معشر * عاروا علی دنیاهم بالدین
لم یشبهوا الانسان الا انهم * متکونون من الحما المسنون
تجنی العیون فان رأتهم مقلتی * طهرتها فتزحت ماء عیون
أنا ان هم حبوا الدنا ردونهم * وهم اذا عدوا الفضائل دونی
لاتنمت الحساد ان مطامعی * عادت الی بصفقة المغبون
مایستدیر البدر الابعدما * ابصرته کالتمر فی العرجون
هذا الطریق اللحب زاجر ناقتی * والیم قاذف فلکی المشحون
فاذا عبد الملك خلی ربعه * ظفرا یفال الطائر المیمون
ملك اذا ما العزل حث جیاده * مرحت بازهی شامخ العرنین
ماعز ما ابصرت نور جبینه * الاقتضانی بالسجود جبینی
تجلو النواظر فی نواحی دسته * والسرج بدر دجی ولیث عرین
عمت فضائله البریة فالتقی * شکر الغنی ودعوة المسکین
قالوا وقد شنوا علیه غارة * اصلات جود ام قضاء دیون
لو کان فی الزمن القدیم تملکت * منه الکنوز الی یدی قارون
اماخزائن ماله فباحة * فاستوهبوا من علمه المخزون
ما الرزق محتاجا بعرصته الی * طلب ولیس الایر بالممنون
اقسمت ان التی المکارم عالما * انی برؤیته أبر یمینی
ساس الامور فلیس یخلی رغبة * من رهبة وبسالة من لین
کالسیف رونق اثره فی متنه * ومضاؤه فی حده المسنون
شهدت علاه ان عنصر ذاته * مسك وعنصر غیره من طین

وکان انشاده ایاه هذه القصیدة عند وصول عبد الملك الی العراق وفوق دست وزارته وعلو منصبه وهذه القصیدة من الشعر المختار الفائق وقد أثبتها بکمالها ما خلا ثلاثة أبیات فانه لم تعجبنی فاهملتها وقد وازن هذه القصیدة جماعة من الشعراء منهم ابن التعاویذی المقدم ذکره وازنها بقصیدته التی اولها

ان کان دینك فی الصبابة دینی * فقف المطی برملتی یبرین

وهی من القصائد النادرة وأرسلها من العراق الی الشام یمتدح بها السلطان صلاح

الدین

الدين يوسف بن أيوب بن شادى رحمه الله تعالى ولولا خوف الاطالة لأثبتها ثم ذكرتها في ترجمة صلاح الدين يوسف فتطلب هنالك ووازنها أيضا ابن المعلم المقدم ذكره بقصيدته التى أولها

ماوقفة الحادى على يبرين * وهو الخلى من الظباء العين

وهى أيضا قصيدة جيدة وقد ذكرت بعضها فى ترجمته وقد وازنها الابله أيضا وبالجملة فما قاربها الا ابن التعاويذى وقد خرجنا عن المقصود وقد انتشر الكلام فلم يكن بد من استيفائه ولم يزل عميد الملك فى دولة طغرلبك عظيم الجاه والحرمة الى أن توفى طغرلبك فى التاريخ المذكور فى ترجمته وقام فى المملكة ابن أخيه ألبارسلان المقدم ذكره فأقره على حاله وزاد فى اكرامه ورتبته ثم انه سيره الى خوارزم شاه ليخطب له ابنته فارجف اعداؤه انه خطبها لنفسه وشاع ذلك بين الناس فبلغ عميد الملك الخبر فخاف تغير قلب مخدومه عليه فعمد الى لحيته فحلقها والى مذاكيره فجبها فكان ذلك سبب سلامته من ألبارسلان وقيل ان السلطان خصاه فلما عمل ذلك عمل أبو الحسن الباخرزى المذكور

قالوا محا السلطان عنه بعدكم * سمة الفحول وكان قرما صائلا
قلت اسكتوا فالآن زاد فحولة * لما اغتدى عن انثييه عاطلا
فالفحل يأنف ان يسمى بعضه * انثى لذلك جده مستأصلا

وهذا من المعانى الغريبة البديعة ثم ان ألبارسلان عزله من الوزارة فى المحرم من سنة ست وخمسين وأربعمائة لسبب يطول شرحه وفوض الوزارة الى نظام الملك أبى على الحسن بن على بن اسحاق الطوسى المقدم ذكره وحبس عميد الملك بنيسابور فى دار عميد خراسان ثم نقله الى مرو الروذ وحبسه فى دار فكان فى حجرة تلك الدار عياله وكانت له بنت واحدة لا غير فلما أحس بالقتل دخل الحجرة وأخرج كفنه وودع عياله وأغلق باب الحجرة واغتسل وصلى ركعتين واعطى الذى هم بقتله مائة دينار نيسابورية وقال حق عليك أن تكفننى فى هذا الثوب الذى غسلته بماء زمزم وقال للجلاد قل للوزير نظام الملك بئس مافعلت علمت الاتراك قتل الوزراء وأصحاب الديوان ومن حفر مهواة وقع فيها ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة ورضى بقضاء الله المحتوم وقتل يوم الاحد سادس عشر ذى الحجة سنة ست وخمسين وأربعمائة وعمره يومئذ نيف وأربعون سنة فعمل فى ذلك الباخرزى الشاعر المذكور مخاطبا للسلطان ألبارسلان قوله

وعمك أدناه وأعلى محله * وبوأه من ملكه كنفا رحبا
قضى كل مولى منكما حق عبده * فخوله الدنيا وخولته العقبى

ومن العجائب انه دفنت مذاكيره بخوارزم واريق دمه بمرو الروذ ودفن جسده بقرية كندر وجمجمته ودماغه بنيسابور وحشيت سوأته بالتبن ونقلت الى كرمان وكان نظام

الملك هناك ودفنت ثم وفي ذلك عبرة لمن اعتبر رحمه الله تعالى بعد ان كان رئيس عصره
والكندري بضم الكاف وسكون النون وضم الدال المهملة وبعدها راء هذه النسبة
الى كندر وهي قرية من قرى طريثيث بضم الطاء المهملة وفتح الراء وسكون الياء المثناة
من تحتها وكسر الثاء المثلثة وسكون الياء المثناة من تحتها أيضا وبعدها ثاء مثلثة وهي
كورة من نواحي نيسابور خرج منها جماعة من العلماء وغيرهم والله تعالى
أعلم بالصواب

أبو جعفر محمد بن علي بن أبي منصور الملقب جمال الدين المعروف بالجواد الاصفهاني وزير صاحب الموصل

الوزير

كان جده أبو منصور فهاد السلطان ملكشاه بن ألب ارسلان السلجوقي الآتي ذكره ان
شاء الله تعالى فتأدب ولده وسمت همته فاشتهر أمره وخدم في مناصب علية ومادر
الاكابر فلما ولد له جمال الدين المذكور عني بتأديبه وتهذيبه ثم ترتب في ديوان العرض
للسلطان محمود بن محمد بن ملكشاه الآتي ذكره ان شاء الله تعالى فظهرت كفايته
وحمدت طريقته فلما تولى اتابك زنكي بن آق سنقر المقدم ذكره الموصل وما والاها استخدم
جمال الدين المذكور وقربه واستصحبه معه الى ما فولاه نصيبين فظهرت كفايته واضاف
اليه الرحبة فأبان عن كفاية وعفة وكان من خواصه وأكبر ندمائه فجعله مشرف مملكته
كلها وحكمه تحكيما لا مزيد عليه وكان الوزير يومئذ ضياء الدين أبو سعيد بهرام بن
الخضر الكفرتوثي استوزره اتابك زنكي في سنة ثمان وعشرين وخمسمائة وتوفي خامس
شعبان سنة ست وثلاثين وخمسمائة وهو على وزارته وتولى الوزارة بعده أبو الرضى بن
صدقة وجمال الدين المذكور على وظائفه وكان جمال الدين دمث الاخلاق حسن
المحاضرة مقبول المفاكهة خفيفا على اتابك زنكي المذكور وأعجبه حديثه وعاشره
وجعله من ندمائه وعول عليه في آخر مدته في أشراف ديوانه وزاد ماله ولم يظهر منه
في ايام اتابك زنكي كرم ولا جود ولا تظاهر بجود فلما قتل اتابك على قلعة جعبر كما تقدم
في ترجمته اراد بعض العسكر قتل الوزير المذكور ونهب ماله فتعرضوا له ورموا خيمته
بالنشاب فحماه جماعة من الامراء وتوجه بالعسكر الى الموصل فأقره سيف الدين غازي
ابن اتابك زنكي المتقدم ذكره على وزارته وفوض الامور وتدبير أحوال الدولة اليه والى
زين الدين علي بن بكتكين والد مظفر الدين صاحب اربل وقد تقدم طرف من خبره
في ترجمة ولده في حرف الكاف فظهر حينئذ جود الوزير المذكور وانبسطت يده ولم
يزل يعطي ويبذل الاموال ويبالغ في الانفاق حتى عرف بالجواد وصار ذلك كالعلم
عليه حتى لا يقال له الا جمال الدين الجواد ومدحه جماعة من الشعراء من جملتهم محمد بن
نصر القيسراني الشاعر المتقدم ذكره فانه قصده بقصيدته المشهورة التي اولها

سقى الله بالزوراء من جانب الغربي * مها وردت عين الحياة من القلب

داثر

وأثر آثارا جميلة وأجرى الماء الى عرفات ايام الموسم من مكان بعيد وعمل الدرج من أسفل الجبل الى أعلاه وبنى سور مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وما كان خرب من مسجده وكان يحمل فى كل سنة الى مكة شرفها الله تعالى والمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام من الاموال والكسوات للفقراء والمنقطعين مايقوم بهم مدة سنة كاملة وكان له ديوان مرتب باسم أرباب الرسوم والقصاد لاغير ولقد تنوع فى فعل الخير حتى جاء فى زمنه بالموصل غلاء مفرط فواسى الناس حتى لم يبق له شيأ وكان اقطاعه عشر مغل البلاد على جارى عادة وزراء الدولة السلجوقية فاخبر بعض وكلائه انه دخل عليه يوما فناوله بقياره وقال له بع هذا واصرف ثمنه الى المحاويج فقال له الوكيل انه لم يبق عندك سوى هذا البقيار والذى على رأسك واذا بعت هذا ربما تحتاج الى تغيير البقيار فلا تجد ماتلبسه فقال له ان هذا الوقت صعب كماترى وربما لا أجد وقتا اصنع فيه الخير كهذا الوقت وأما البقيار فانى أجد عوضه كثيرا فخرج الوكيل وباع البقيار وتصدق بثمنه وله من هذه النوادر اشياء كثيرة وأقام على هذه الحالة الى ان توفى مخدومه غازى فى التاريخ المذكور فى ترجمته وقام بالامر من بعده أخوه قطب الدين مودود وسيأتى ذكره ان شاء الله تعالى فاستولى عليه مدة ثم انه استكثر اقطاعه وثقل عليه أمره فقبض عليه فى شهر رجب الفرد سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وفى اخبار زين الدين صاحب اربل طرف من خبر قبضه وحبسه فى قلعة الموصل ولم يزل مسجونا بها الى ان توفى فى العشر الاخير من شهر رمضان المعظم وقيل شعبان سنة تسع وخمسين وخمسمائة وصلى عليه وكان يوما مشهودا من ضجيج الضعفاء والارامل والايتام حول جنازته ودفن بالموصل الى بعض سنة ستين ثم نقل الى مكة حرسها الله تعالى واطيف به حول الكعبة وكان بعد ان صعدوا به ليلة الوقفة الى جبل عرفات وكانوا يطوفون به كل يوم مرارا مدة مقامهم بمكة شرفها الله تعالى وكان يوم دخوله مكة يوما مشهودا من اجتماع الخلق والبكاء عليه ويقال انه لم يعهد عندهم مثل ذلك اليوم وكان معه شخص مرتب يذكر محاسنه ويعدد مآثره اذا وصلوا به الى المزارات والمواضع المعظمة فلما أتوا به الى الكعبة وقف وأنشد

يا كعبة الاسلام هذا الذى * جاءك يسعى كعبة الجود
قصدت فى العام وهذا الذى * لم يخل يوما غير مقصود

ثم حمل الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ودفن فيها بالبقيع بعد ان دخل المدينة وطيف به حول حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم مرارا وأنشد الشخص الذى كان مرتبا معه فقال

سرى نعشه فوق الرقاب وطالما * سرى جوده فوق الركاب ونائله
يمر على الوادى فتثنى رماله * عليه وبالنادى فتبكى أرامله

قلت وهذان البيتان من جملة القصيدة المذكورة في ترجمة المقلد بن نصر بن منقذ الشيرازي وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى رحمه الله تعالى وكان ولده أبو الحسن على الملقب جلال الدين من الادباء الفضلاء البلغاء الكرماء رأيت له ديوان رسائل أجاد فيه وجمعه مجد الدين أبو السعادات المبارك المعروف بابن الاثير الجزري صاحب جامع الاصول وقد تقدم ذكره وسماه كتاب الجواهر واللآلى من املاء المولوى الوزير الجلالى وكان مجد الدين المذكور في اول أمره كاتبا بين يديه على رسائله والانشاء عليه وهو كاتب يده وقد أشار مجد الدين الى ذلك في اول هذا الكتاب وبالغ في وصف جلال الدين المذكور وتقريظه وفضله على كل من تقدم من الفصحاء وذكر انه كان بينه وبين حيص بيص الشاعر المقدم ذكره مكاتبات ولولا خوف الاطالة لذكرت بعض رسائله وفي جملة ماذكره ان حيص بيص كتب اليه على يد رجل عليه دين رسالة مختصرة فاثبت بها لقصرها وهي الكرم غابر والذكر سائر والعيون على المطلوب اكرم ناصر واغاثة الملهوف من أعظم الذخائر والسلام وكان جلال الدين المذكور وزير سيف الدين غازى بن قطب الدين وقد تقدم ذكره أيضا في حرف العين وتوفى جلال الدين المذكور سنة أربع وسبعين وخمسمائة بمدينة دنيسر وحمل الى الموصل ثم نقل الى المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ودفن في تربة والده رحمهما الله تعالى ودنيسر بضم الدال المهملة وفتح النون وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح السين المهملة وبعدها راء وهي مدينة بالجزيرة الفراتية بين نصيبين ورأس عين تطرقها التجار من جميع الجهات وهي مجمع الطرقات ولهذا قيل لها دنيسر وهي لفظ مركب عجمي وأصله دنياسر ومعناه رأس الدنيا وعادة العجم في الاسماء المضافة ان يؤخروا المضاف عن المضاف اليه وسر بالعجمي رأس والكفرتوثي الوزير المذكور بفتح الكاف وسكون الفاء وفتح الراء وضم التاء المثناة من فوقها وسكون الواو وبعدها ثاء مثلثة هذه النسبة الى كفرتوثا وهي قرية من اعمال الجزيرة الفراتية بين رأس عين ودارا والله أعلم

أبو عبد الله محمد بن صفي الدين أبي الفرج محمد بن نفيس الدين أبي الرجا حامد بن محمد بن عبد الله بن على بن محمود بن هبة الله المعروف بأله الملقب عماد الدين الكاتب الاصبهاني المعروف بابن أخي العزيز

وقد تقدم ذكر عمه العزيز في حرف الهمزة كان العماد المذكور فقيها شافعي المذهب تفقه بالمدرسة النظامية زمانا وأتقن الخلاف وفنون الادب وله من الشعر والرسائل ما يغني عن الاطالة في شرحه وكان قد نشأ باصبهان وقدم بغداد في حداثته وتفقه على الشيخ أبي منصور سعيد بن محمد ابن الرزاز مدرس النظامية وسمع بها الحديث من أبي الحسن على بن هبة الله بن عبد السلام وأبي منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون وأبي المكارم المبارك بن على السمرقندي وأبي بكر أحمد بن على بن الاشقر وغيرهم وأقام بها مدة ولما

تخرج ومهر تعلق بالوزير عون الدين يحيى بن هبيرة ببغداد فولاه النظر بالبصرة ثم بواسط ولم يزل ماشي الحال مدة حياته فلما توفي في التاريخ الآتي ذكره في ترجمته ان شاء الله تعالى تشتت شمل اتباعه والمنتسبين اليه ونال المكروه بعضهم وأقام العماد مدة في عيش منكد وجفن مسهد ثم انتقل الى مدينة دمشق فوصلها في شعبان سنة اثنين وستين وخمسمائة وسلطانها يومئذ الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن اتابك زنكي الآتي ذكره ان شاء الله تعالى وحاكمها ومتولي أمورها وتدبير دولتها القاضي كمال الدين أبو الفضل محمد بن الشهرزوري المقدم ذكره فتعرف به وحضر مجالسه وذكر لديه مسئلة في الخلاف وعرفه الامير الكبير نجم الدين أبو الشكر أيوب والد السلطان صلاح الدين رحمهما الله تعالى وكان يعرف عمه العزيز من قلعة تكريت فاحسن اليه وأكرمه وميزه عن الاعيان والاماثل وعرفه السلطان صلاح الدين من جهة والده ومدحه في ذلك الوقت بدمشق المحروسة وذكر العماد ذلك في كتابه البرق الشامي وأورد القصيدة التي مدحه بها يومئذ ثم ان القاضي كمال الدين نوه بذكره عند السلطان نور الدين وعدد عليه فضائله وأهله لكتابة الانشاء قال العماد فبقيت متحيرا في الدخول فيما ليس من شاني ولا وظيفتي ولا تقدمت لي به دراية ولقد كانت مواد هذه الصناعة عتيدة عنده لكنه لم يكن قد مارسها فجبن عنها في الابتداء فلما باشرها هانت عليه وأجاد فيها وأتى فيها بالغرائب وكان ينشئ الرسائل باللغة العجمية أيضا وحصل بينه وبين صلاح الدين في تلك المدة مودة اكيدة وامتزاج تام وعلت منزلته عند نور الدين وصار صاحب سره وسيره الى دار السلام بغداد رسولا في ايام الامام المستنجد ولما عاد فوض اليه تدريس المدرسة المعروفة به في دمشق اعني بالعماد وذلك في شهر رجب سنة سبع وستين وخمسمائة ثم رتبه في اشراف الديوان في سنة ثمان وستين ولم يزل مستقيم الحال رخي البال الى ان توفي نور الدين في التاريخ الآتي ذكره ان شاء الله تعالى وقام ولده الملك الصالح اسمعيل مقامه وكان صغيرا فاستولى عليه جماعة كانوا يكرهون العماد فضايقوه واخافوه الى ان ترك جميع ما هو فيه وسافر قاصدا بغدادا فوصل الى الموصل ومرض بها مرضا شديدا ثم بلغه خروج السلطان صلاح الدين من الديار المصرية لاخذ دمشق فانثنى عزمه عن قصد العراق وعزم على العود الى الشام وخرج من الموصل رابع جمادى الاولى سنة سبعين وخمسمائة وسلك طريق البرية فوصل الى دمشق في ثامن جمادى الآخرة وصلاح الدين يومئذ نازل على حلب ثم قصد خدمته وقد تسلم قلعة حمص في شعبان من السنة فحضر بين يديه وأنشده قصيدة أطال نفسه فيها ثم لزم الباب ينزل لنزول السلطان ويرحل لرحيله فاستمر على عطلته مديدة وهو يغشى مجالس السلطان وينشده في كل وقت مدائح ويعرض بصحبته القديمة ولم يزل على ذلك حتى نظمه في سلك جماعته واستكتبه واعتمد اليه وقرب منه فصار من جملة الصدور المعدودين والاماثل المشهورين يضاهي الوزراء ويجري

فى مضمارهم وكان القاضى الفاضل فى أكثر أوقاته ينقطع عن خدمة السلطان ويتوفر على مصالح الديار المصرية والعماد ملازم للباب بالشام وغيره وهو صاحب السر المكتوم وصنف التصانيف الفائقة من ذلك كتاب خريدة القصر وجريدة العصر جعله ذيلا على زينة الدهر تأليف أبى المعالى سعد بن على الوراق الحظيرى والحظيرى جعل كتابه ذيلا على دمية القصر وعصرة أهل العصر للباخرزى والباخرزى جعل كتابه ذيلا على يتيمة الدهر للثعالبى وقد تقدم ذكر هؤلاء الثلاثة المؤلفين والثعالبى جعل كتابه ذيلا على كتاب البارع لهارون بن على المنجم وسيأتى ذكره ان شاء الله تعالى وقد ذكر العماد فى خريدته الشعراء الذين كانوا بعد المائة الخامسة الى سنة اثنين وسبعين وخمسمائة وجمع شعراء العراق والعجم والشام والجزيرة ومصر والمغرب ولم يترك أحدا الا النادر الخامل وأحسن فى هذا الكتاب وهو فى عشر مجلدات وصنف كتاب البرق الشامى فى سبع مجلدات وهو مجموع تاريخ وبدأ فيه بذكر نفسه وصورة انتقاله من العراق الى الشام وما جرى له فى خدمة السلطان نور الدين محمود وكيفية تعلقه بخدمة السلطان صلاح الدين وذكر شيأ من الفتوحات بالشام وهو من الكتب الممتعة وانما سماه البرق الشامى لانه شبه أوقاته فى تلك الايام بالبرق الخاطف لطيبها وسرعة انقضائها وصنف كتاب الفتح القدسى فى الفتح القدسى فى مجلدين يتضمن كيفية فتح البيت المقدس وصنف كتاب السيل على الذيل جعله ذيلا على الذيل لابن السمعانى المقدم ذكره الذى ذيل به تاريخ بغداد تأليف الخطيب الحافظ هكذا كنت قد سمعت ثم انى وقفت عليه فوجدته ذيلا على كتابه خريدة القصر المذكور وصنف كتاب نصرة الفترة وعصرة الفطرة فى اخبار الدولة السلجوقية وله ديوان رسائل وديوان شعر فى أربع مجلدات ونفسه فى قصائده طويل وله ديوان صغير جميعه دوبيت وكان بينه وبين القاضى الفاضل مكاتبات ومحاورات لطاف فمن ذلك ما يحكى عنه انه لقيه يوما وهو راكب على فرس فقال له سر فلا كبا بك الفرس فقال له الفاضل دام علا العماد وهذا مما يقرأ مقلوبا وصحبا سواء واجتمعا يوما فى موكب السلطان وقد انتشر من الغبار لكثرة الفرسان ماسد الفضاء فتعجبا من ذلك فأنشد العماد فى الحال

أما الغبار فانه * مما اثارته السنابك
والجو منه مظلم * لكن انار به السنابك
يادهر لى عبد الرحيم * فلست أخشى مس نابك

وقد اتفق له الجناس فى الابيات الثلاثة وهو فى غاية الحسن وكان القاضى الفاضل قد خرج من مصر فى سنة أربع وسبعين وخمسمائة وركب البحر فى طريقه فكتب اليه العماد الكاتب طوبى للبحر والجود من ذى الجود والحجا ومبيل الهدى ومنير الدجا ولندى الكعبة من كعبة الندى وللهدايا المشعرات من مشعر الهدى وللمقام الكريم من

مقام الكريم ومن حاطم فقار الفقر العظيم ومتى رؤى هرم في الحرم وحاتم ماتح زمزم ومتى ركب البحر البحر وسلك البر البر لقد عاد قس الى عكاظه وعاد قيس لحفاظه ويا عجبا للكعبة يقصدها كعبة الفضل والافضال واقبلة يستقبلها قبلة القبول والاقبال والسلام لقد أبدع في هذه الرسالة وما أودعها من الصناعة لكن الظاهر انه غلط في قوله قيس لحفاظه فان المشهور رائس للحفاظ وهم أربعة اخوة لكل واحد منهم لقب ولولا خوف الاطالة والانتقال عما نحن بصدده لذكرت قصتهم ولما توفي الوزير عون الدين ابن هبيرة اعتقل الديوان العزيز جماعة من أصحابه وكان العماد في جملة من اعتقل لانه كان ينوب عنه في واسط تلك المدة فكتب من الحبس الى عماد الدين بن عضد الدين بن رئيس الرؤساء وكان حينئذ استاذ الدار المستجدية وذلك في شعبان سنة ستين وخمسمائة من قصيدة

قل للامام علام حبس وليكم * اولوا جميلكم جميل ولائه
أوليس اذ حبس الغمام وليه * خلي ابو لك سبيله بدعائه

فامر باطلاقه وهذا معنى مليح غريب وفيه اشارة الى قضية العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه فان الغيث قد انقطع في زمن خلافته وأمحلت الارض فخرج للاستسقاء ومعه العباس والناس فلما وقف للدعاء قال اللهم انا كنا اذا قحطنا توسلنا اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك اليوم بعم نبينا فاسقنا فسقوا وأما الولي فهو المطر الذي يأتي بعد الوسمي وسمي وليا لانه يلي الوسمي والوسمي مطر الربيع الاول وسمي بذلك لانه يسم الارض بالنبات وهو منسوب الى الوسم وقد جمعهما المتنبي في بيت واحد وهو

امنعمة بالعودة الظبية التي * بغير ولي كان نائلها الوسمي

يعني انه لم تكن زيارتها الاولى ثانية ولم يزل العماد الكاتب على مكانته ورفعة منزلته الى ان توفي السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى فاختلت أحواله وتعطلت أوصاله ولم يجد في وجهه بابا مفتوحا فلزم بيته وأقبل على الاشتغال بالتصانيف وقد ساق في أوائل البرق الشامي طرفا من ذلك وتقدم في ترجمة ابن التعاويذي ما دار بينهما في طلب الفروة والرسالة والقصيدة وجوابهما وكانت ولادته يوم الاثنين ثاني جمادى الآخرة وقيل في شعبان سنة تسع عشرة وخمسمائة باصبهان وتوفي يوم الاثنين مستهل شهر رمضان المعظم سنة سبع وتسعين وخمسمائة بدمشق ودفن في مقابر الصوفية خارج باب النصر رحمه الله تعالى أخبرني بعض الرؤساء ممن كان ملازمه مدة مرضه انه كان اذا دخل عليه بعوده أنشدهم

انا ضيف بربعكم * أين أين المضيف
أنكرتني معارفي * مات من كنت أعرف

وألْيَه بفتح الهمزة وضم اللام وسكون الهاء وهو اسم عجمي معناه بالعربي العقاب وهو الطائر المعروف وقد قيل ان العقاب لا يوجد فيه ذكر بل جميعه انثى وان الذى يسافده طائر آخر من غير جنسه وقيل ان الثعلب يسافده وهذا من العجائب ولابن عنين الشاعر المتقدم ذكره فى هجو شخص يقال له ابن سيده

ماأنت الا كالعقاب فأمه * معروفة وله أب مجهول

وهذه اشارة الى ما نحن فيه والله تعالى أعلم بالصواب

أبو نصر محمد بن طرخان بن اوزلغ الفارابى التركى الحكيم المشهور صاحب التصانيف فى المنطق والموسيقى وغيرهما من العلوم وهو أكبر فلاسفة المسلمين ولم يكن فيهم من بلغ رتبته فى فنونه والرئيس أبو على بن سينا المقدم ذكره بكتبه تخرج وبكلامه انتفع فى تصانيفه وكان رجلا تركيا ولد فى بلده ونشأ بها وسيأتى الكلام عليها فى آخر الترجمة ان شاء الله تعالى ثم خرج من بلده وانتقلت به الاسفار الى ان وصل الى بغداد وهو يعرف اللسان التركى وعدة لغات غير العربى فتعلمه وأتقنه غاية الاتقان ثم اشتغل بعلوم الحكمة ولما دخل بغداد كان بها أبو بشر متى يونس الحكيم المشهور وهو شيخ كبير وكان يقرأ الناس عليه فن المنطق وله اذ ذاك صيت عظيم وشهرة وافية ويجتمع فى حلقته كل يوم المئون من المشتغلين بالمنطق وهو يقرأ كتاب ارسطاطاليس فى المنطق ويملى على تلامذته شرحه فكتب عنه فى شرحه سبعين سفرا ولم يكن فى ذلك الوقت أحد مثله فى فنه وكان حسن العبارة فى تآليفه لطيف الاشارة وكان يستعمل فى تصانيفه البسط والتذييل حتى قال بعض علماء هذا الفن ما أرى أبا نصر الفارابى أخذ طريق تفهيم المعانى الجزلة بالالفاظ السهلة الامن أبى بشر يعنى المذكور وكان أبو نصر يحضر حلقته فى غمار تلامذته فأقام أبو نصر كذلك برهة ثم ارتحل الى مدينة حران وفيها يوحنا ابن خيلان الحكيم النصرانى فأخذ عنه طرفا من المنطق أيضا ثم انه قفل راجعا الى بغداد وقرأ بها علوم الفلسفة وتناول جميع كتب ارسطاطاليس وتمهر فى استخراج معانيها والوقوف على اغراضه فيها ويقال انه وجد كتاب النفس لارسطاطاليس وعليه مكتوب بخط أبى نصر الفارابى انى قرأت هذا الكتاب مائة مرة ونقل عنه انه كان يقول قرأت السماع الطبيعى لارسطاطاليس الحكيم أربعين مرة وأرى انى محتاج الى معاودة قراءته ويروى عنه انه سئل من أعلم الناس بهذا الشان أنت أم ارسطاطاليس فقال لو أدركته لكنت أكبر تلامذته وذكره أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن صاعد القرطبى فى كتاب طبقات الحكماء فقال الفارابى فيلسوف المسلمين بالحقيقة أخذ صناعة المنطق عن يوحنا بن خيلان المتوفى بغداد المستوفى بمدينة السلام فى ايام المقتدر فبذ جميع أهل الاسلام وأربى عليهم فى التحقيق لها وشرح غامضها وكشف سرها وقرب تناولها وجمع ما يحتاج اليها منها فى كتب صحيحة العبارة لطيفة الاشارة منبها على ما أغفله

الكندى وغيره من صناعة التحليل وأنحاء التعاليم وأوضح القول فيها عن مواد المنطق الخمسة وافاد وجوه الانتفاع بها وعرف طرق استعمالها وكيف تتصرف صورة القياس فى كل مادة منها فجاءت كتبه فى ذلك الغاية الكافية والنهاية الفاضلة ثم له بعد هذا كتاب شريف فى احصاء العلوم والتعريف باغراضها لم يسبق اليه ولاذهب أحد مذهبه فيه ولا تستغنى طلاب العلوم كلها عن الاهتداء به انتهى كلام ابن صاعد وذكر بعد ذلك شيأ من تآليفه ومقاصده فيها ولم يزل أبو نصر ببغداد مكبا على الاشتغال بهذا العلم والتحصيل له الى ان برز فيه وفاق أهل زمانه وألف بها معظم كتبه ثم سافر منها الى دمشق ولم يقم بها ثم توجه الى مصر وقد ذكر أبو نصر فى كتابه الموسوم بالسياسة المدنية انه ابتدأ بتأليفه فى بغداد واكمله بمصر ثم عاد الى دمشق وأقام بها وسلطانها يومئذ سيف الدولة ابن حمدان فأحسن اليه ورأيت فى بعض المجاميع أن ابا نصر لما ورد على سيف الدولة وكان مجلسه مجمع الفضلاء فى جميع المعارف فادخل عليه وهو بزى الاتراك وكان ذلك زيه دائما فوقف فقال له سيف الدولة اقعد فقال حيث انا أم حيث أنت فقال حيث أنت فتخطى رقاب الناس حتى انتهى الى مسند سيف الدولة وزاحمه فيه حتى أخرجه عنه وكان على رأس سيف الدولة مماليك وله معهم لسان خاص يسارهم به قل ان يعرفه أحد فقال لهم بذلك اللسان ان هذا الشيخ قد أساء الادب وانى مسائله عن أشياء ان لم يوف بها فاخرقوا به فقال له أبو نصر بذلك اللسان أيها الامير اصبر فان الامور بعواقبها فعجب سيف الدولة منه وقال له أتحسن هذا اللسان فقال نعم أحسن أكثر من سبعين لسانا فعظم عنده ثم أخذ يتكلم مع العلماء الحاضرين فى المجلس فى كل فن فلم يزل كلامه يعلو وكلامهم يسفل حتى صمت الكل وبقى يتكلم وحده ثم أخذوا يكتبون ما يقوله فصرفهم سيف الدولة وخلا به فقال له هل لك فى ان تأكل فقال لا فقال فهل تشرب فقال لا فقال فهل تسمع فقال نعم فأمر سيف الدولة باحضار القيان فحضر كل ماهر فى هذه الصناعة بأنواع الملاهى فلم يحرك أحد منهم آلته الا وعابه أبو نصر وقال له أخطأت فقال له سيف الدولة وهل تحسن فى هذه الصنعة شيأ فقال نعم ثم أخرج من وسطه خريطة ففتحها وأخرج منها عيدانا وركبها ثم لعب بها فضحك منها كل من كان فى المجلس ثم فكها وركبها تركيبا آخر ثم ضرب بها فبكى كل من كان فى المجلس ثم فكها وغير تركيبها وضرب بها ضربا آخر فنام كل من فى المجلس حتى البواب فتركهم نياما وخرج (ويحكى) ان الآلة المسماة بالقانون من وضعه وهو اول من ركبها هذا التركيب وكان منفردا بنفسه لا يجالس الناس وكان مدة مقامه بدمشق لا يكون غالبا الا عند مجتمع ماء او مشتبك رياض ويؤلف هناك كتبه ويتناوبه المشتغلون عليه وكان أكثر تصنيفه فى الرقاع ولم يصنف فى الكراريس الا القليل فلذلك جاءت أكثر تصانيفه فصولا وتعاليق ويوجد بعضها ناقصا منثورا وكان أزهد الناس فى الدنيا لا يحتفل بأمر مكسب

ولامسكن وأجرى عليه سيف الدولة كل يوم من بيت المال أربعة دراهم وهو الذى اقتصر عليها لقناعته ولم يزل على ذلك الى ان توفى فى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة بدمشق وصلى عليه سيف الدولة فى أربعة من خواصه وقد ناهز ثمانين سنة ودفن بظاهر دمشق خارج الباب الصغير رحمه الله تعالى وتوفى متى بن يونس ببغداد فى خلافة الراضى هكذا حكاه ابن صاعد القرطبى فى طبقات الأطباء وظفرت فى مجموع بأبيات منسوبة الى الفارابى ولا أعلم صحتها وهى

أخى خل حيز ذى باطل * وكن للحقائق فى حيز

فما الدار دار مقام لنا * وما المرء فى الارض بالمعجز

ينافس هذا لهذا على * أقل من الكلم الموجز

وهل نحن الا خطوط وقعـ ـن على نقطة وقع مستوفز

محيط السموات اولى بنا * فماذا التنافس فى مركز

ورأيت هذه الابيات فى الخريدة منسوبة الى الشيخ محمد بن عبد الملك الفارقى البغدادى الدار وقال العماد مؤلف الخريدة انه اجتمع به يوم الجمعة ثامن عشر شهر رجب سنة احدى وستين وخمسمائة وتوفى ببنيات بعد ذلك وطرخان بفتح الطاء المهملة وسكون الراء وفتح الخاء المعجمة وبعد الالف نون وأوزلغ بفتح الهمزة وسكون الواو وفتح الزاى واللام وبعدها غين معجمة وهما من أسماء الترك والفارابى بفتح الفاء والراء وبينهما ألف وبعد الالف الثانية باء موحدة هذه النسبة الى فاراب وتسمى فى هذا الزمان اطرار بضم الهمزة وسكون الطاء المهملة وبين الراءين ألف ساكنة وقد غلب عليها هذا الاسم وهى مدينة فوق الشاش قريبة من مدينة بلاساغون وجميع أهلها على مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه وهى قاعدة من قواعد مدن الترك ويقال لها فاراب الداخلة ولهم فاراب الخارجة وهى فى أطراف بلاد فارس وبلاساغون بفتح الباء الموحدة واللام الف والسين المهملة وبعد الالف غين معجمة ثم واو ساكنة وبعدها نون وهى بلدة فى بعض ثغور الترك وراء نهر سيحون المتقدم ذكره بالقرب من كاشغر وكاشغر بفتح الكاف وبعد الالف شين معجمة ساكنة ثم غين معجمة مفتوحة وفى آخرها راء وهى من المدن العظام فى تخوم الصين والله تعالى أعلم

أبو بكر محمد بن زكريا الرازى الطبيب المشهور

ذكر ابن جلجل فى تاريخ الاطباء انه دبر مارستان الرى ثم مارستان بغداد فى ايام المكتفى ومن اخباره انه كان فى شبيبته يضرب بالعود ويغنى فلما التحى وجهه قال كل غناء يخرج من بين شارب ولحية لا يستظرف فنزع عن ذلك وأقبل على دراسة كتب الطب والفلسفة فقرأها قراءة رجل متعقب على مؤلفيها فبلغ من معرفة غوامضها الغاية واعتقد الصحيح منها وعلل السقيم وألف فى الطب كتبا كثيرة وقال غيره كان امام وقته

في علم الطب والمشار اليه في ذلك العصر وكان متقنا لهذه الصناعة حاذقا بها عارفا بأوضاعها وقوانينها تشد اليه الرحال لأخذها عنه وصنف فيها الكتب النافعة فمن ذلك كتاب الحاوي وهو من الكتب الكبار يدخل في مقدار ثلاثين مجلدا وهو عمدة الاطباء في النقل منه والرجوع اليه عند الاختلاف ومنها كتاب الجامع وهو أيضا من الكتب الكبار النافعة وكتاب الاعصاب وهو أيضا كبير وله أيضا كتاب المنصوري المختصر المشهور وهو على صغر حجمه من الكتب المختارة جمع فيه بين العلم والعمل ويحتاج اليه كل أحد وكان قد صنفه لابي صالح منصور بن نوح بن نصر بن اسماعيل ابن أحمد بن أسد بن سامان أحد الملوك السامانية فنسب الكتاب اليه وله غير ذلك تصانيف كثيرة وكلها يحتاج اليها ومن كلامه مهما قدرت ان تعالج بالاغذية فلا تعالج بالادوية ومهما قدرت ان تعالج بدواء مفرد فلا تعالج بدواء مركب ومن كلامه اذا كان الطبيب عالما والمريض مطيعا فما أقل لبث العلة ومن كلامه عالج في اول العلة بما لا تسقط به القوة ولم يزل رئيس هذا الشان وكان اشتغاله به على كبر يقال انه لما شرع فيه كان قد جاوز أربعين سنة من العمر وطال عمره وعمي في آخر مدته وتوفي سنة احدى عشرة وثلثمائة رحمه الله تعالى وكان اشتغاله بالطب على الحكيم أبي الحسن علي بن زين الطبري صاحب التصانيف المشهورة منها فردوس الحكمة وغيره وكان مسيحيا ثم أسلم وقد تقدم الكلام على الرازي وأما الملوك السامانية فكانوا سلاطين ما وراء النهر وخراسان وكانوا أحسن الملوك سيرة ومن ولي منهم كان يقال له سلطان السلاطين لا ينعت الا به وصار كالعلم لهم وكان يغلب عليهم العدل والدين والعلم ونجح من بيتهم جماعة ولم تنقرض دولتهم الا بدولة السلطان محمود بن سبكتكين الآتي ذكره ان شاء الله تعالى وكانت مدة ولايتهم مائة سنة وستين وستة أشهر وعشرة أيام وكانت وفاة أبي صالح منصور المذكور في شوال سنة خمس وستين وثلثمائة وكان قد صنف له الرازي المذكور الكتاب المذكور في حال صغره ليشتغل به ثم رأيت نسخة كتاب المنصوري وعلى ظهره ان المنصور الذي وسم الرازي هذا الكتاب باسمه هو المنصور بن اسحاق بن أحمد بن نوح من ولد بهرام جور صاحب كرمان وخراسان وكنيته أبو صالح والله أعلم بالصواب وحكي ابن جلجل المقدم ذكره في تاريخه أيضا ان الرازي المذكور صنف لمنصور المذكور كتابا في اثبات صناعة الكيمياء وقصده به من بغداد فدفع له الكتاب فأعجبه وشكره عليه وحباه بألف دينار وقال له أردت ان تخرج هذا الذي ذكرت في الكتاب الى الفعل فقال له الرازي ان ذلك مما تمون له المؤن ويحتاج الى آلات وعقاقير صحيحة والى احكام صنعة ذلك كله وكل ذلك كلفة فقال له منصور كل ما احتجت اليه من الآلات ومما يليق بالصناعة أحضره لك كاملا حتى تخرج ما ضمنته كتابك الى العمل فلما حقق عليه ذلك كاع من مباشرة ذلك وعجز عن عمله فقال له المنصور

ما اعتقدت ان حكيما يرضى بتخليد الكذب فى كتب ينسبها الى الحكمة يشغل بها قلوب الناس ويتعبهم فيما لا يعود عليهم من ذلك منفعة ثم قال لمؤدبه كافأناك عن قصدك وتعبك بما صار اليك من الالف دينار ولا بد من معاقبتك على تخليد الكذب فحمل السوط على رأسه ثم أمر ان يضرب بالكتاب على رأسه حتى يتقطع ثم جهزه وسيره الى بغداد فكان ذلك الضرب سبب نزول الماء فى عينيه ولم يسمع بقدحهما وقال قد رأيت الدنيا وكانت وفاة والده أبى محمد نوح بن نصر فى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة وكانت وفاة جده أبى الحسن نصر بن اسماعيل فى رجب سنة احدى وثلاثين وثلثمائة وكانت وفاة جد أبيه ابراهيم بن اسماعيل بن أحمد فى صفر ليلة الثلاثاء الاربع عشرة ليلة خلت منه سنة خمس وتسعين ومائتين ببخارى ومولده سنة أربع وثلاثين ومائتين بفرغانة. وكان يكتب الحديث ويكرم العلماء. وكانت وفاة أحمد بن أسد بن سامان سنة خمسين ومائتين بفرغانة رحمهم الله تعالى وسامان بفتح السين المهملة والميم وبينهما ألف وبعد الالف الثانية نون وهذا وان كان خارجا عن المقصود لكن ساق الكلام جره وفيه فائدة لا يستغنى عنها والله تعالى أعلم بالصواب

أبو عبد الله محمد بن موسى بن شاكر

أحد الاخوة الثلاثة الذين ينسب اليهم حيل بنى موسى وهم مشهورون بها واسم أخويه أحمد والحسن وكانت لهم همم عالية فى تحصيل العلوم القديمة وكتب الاوائل وأتعبوا أنفسهم فى شأنها وأنفذوا الى بلاد الروم من أخرجها اليهم وأحضروا النقلة من الاصقاع الشاسعة والاماكن البعيدة بالبذل السنى فاظهروا عجائب الحكمة وكان الغالب عليهم من العلوم الهندسة والحيل والحركات والموسيقى والنجوم وهو الاقل ولهم فى الحيل كتاب عجيب نادر يشتمل على كل غريبة ولقد وقفت عليه فوجدته من أحسن الكتب وأمتعها وهو مجلد واحد ومما اختصوا به فى ملة الاسلام وأخرجوه من القوة الى الفعل وان كان أرباب الارصاد المتقدمون على الاسلام قد فعلوه لكنه لم ينقل ان أحدا من أهل هذه الملة تصدى له وفعله الاهم وهو ان المأمون كان مغرى بعلوم الاوائل وتحقيقها ورأى فيها ان دور كرة الارض أربعة وعشرون ألف ميل كل ثلاثة أميال فرسخ فيكون المجموع ثمانية آلاف فرسخ بحيث لو وضع طرف حبل على أى نقطة كانت من الارض وأدرنا الحبل على كرة الارض حتى انتهينا بالطرف الآخر الى ذلك الموضع من الارض والتقى طرفا الحبل فاذا مسحنا ذلك الحبل كان طوله أربعة وعشرين ألف ميل فأراد المأمون ان يقف على حقيقة ذلك فسأل بنى موسى المذكورين عنه فقالوا نعم هذا قطعى وقال أريد منكم ان تعملوا الطريق الذى ذكره المتقدمون حتى نبصر هل يتحرر ذلك أم لا فسألوا عن الاراضى المتساوية فى أى البلاد هى فقيل لهم صحراء سنجار فى غاية الاستواء وكذلك وطاآت الكوفة فأخذوا معهم جماعة ممن يثق المأمون الى أقوالهم

ويركن الى معرفتهم بهذه الصناعة وخرجوا الى سنجار وجاءوا الى الصحراء المذكورة فوقفوا فى موضع منها فأخذوا ارتفاع القطب الشمالى ببعض الالات وضربوا فى ذلك الموضع وتدا وربطوا فيه حبلا طويلا ثم مشوا الى الجهة الشمالية على استواء الارض من غير انحراف الى اليمين واليسار حسب الامكان فلما فرغ الحبل نصبوا فى الارض وتدا آخر وربطوا فيه حبلا طويلا ومشوا الى جهة الشمال أيضا كفعلهم الاول ولم يزل ذلك دأبهم حتى انتهوا الى موضع أخذوا فيه ارتفاع القطب المذكور فوجدوه قد زاد على الارتفاع الاول درجة فمسحوا ذلك القدر الذى قدروه من الارض بالحبال فبلغ ستة وستين ميلا وثلثى ميل فعلموا ان كل درجة من درج الفلك يقابلها من سطح الارض ستة وستون ميلا وثلثان ثم عادوا الى الموضع الذى ضربوا فيه الوتد الاول وشدوا فيه حبلا وتوجهوا الى جهة الجنوب ومشوا على الاستقامة وعملوا كما عملوا فى جهة الشمال من نصب الاوتاد وشد الحبال حتى فرغت الحبال التى استعملوها فى جهة الشمال ثم أخذوا الارتفاع فوجدوا القطب الشمالى قد نقص عن ارتفاعه الاول درجة فصح حسابهم وحققوا ما قصدوه من ذلك وهذا اذا وقف عليه من له يد فى علم الهيئة ظهر له حقيقة ذلك ومن المعلوم ان عدد درج الفلك ثلثمائة وستون درجة لان الفلك مقسوم باثنى عشر برجا وكل برج ثلاثون درجة فتكون الجملة ثلثمائة وستين درجة فضربوا عدد درج الفلك فى ستة وستين ميلا أى التى هى حصة كل درجة فكانت الجملة أربعة وعشرون ألف ميل وهى ثمانية آلاف فرسخ وهذا محقق لا شك فيه فلما عاد بنو موسى الى المأمون وأخبروه بما صنعوا وكان موافقا لما رآه فى الكتب القديمة من استخراج الاوائل طلب تحقيق ذلك فى موضع آخر فسيرهم الى أرض الكوفة وفعلوا كما فعلوا فى سنجار فتوافق الحسابان فعلم المأمون صحة ما حرره القدماء فى ذلك وهذا الفصل هو الذى أشرت اليه فى ترجمة أبى بكر محمد بن يحيى الصولى قلت لولا التطويل لبينت ذلك وكانت لبنى موسى المذكورين أوضاع نادرة غريبة ولولا الاطالة لذكرت شيأ منها وتوفى محمد المذكور فى شهر ربيع الاول سنة تسع وخمسين ومائتين رحمه الله تعالى والله أعلم بالصواب

أبو عبد الله محمد بن جابر بن سنان الحرانى الاصل البتانى الحاسب المنجم المشهور صاحب الزيج الصابى له الاعمال العجيبة والارصاد المتقنة واول ما ابتدأ بالرصد فى سنة أربع وستين ومائتين الى سنة ست وثلثمائة وأثبت الكواكب الثابتة فى زيجه لسنة تسع وتسعين ومائتين وكان أوحد عصره فى فنه واعماله تدل على غزارة فضله وسعة علمه وتوفى سنة سبع عشرة وثلثمائة عند رجوعه من بغداد بموضع يقال له قصر الحضر ولم أعلم انه أسلم لكن اسمه يدل على اسلامه وله من التصانيف الزيج وهى نسختان أولى وثانية والثانية أجود وكتاب معرفة مطالع البروج فيما بين أرباع الفلك ورسالة فى مقدار

الاتصالات وكتاب شرح فيه أربعة أرباع الفلك ورسالة فى تحقيق اقدار الاتصالات وشرح أربع مقالات بطليموس وغير ذلك والبتانى بفتح الباء الموحدة وقال أبو محمد هبة الله بن الاكفانى بكسرها وبتشديد التاء المثناة من فوقها وبعد الالف نون هذه النسبة الى بتان وهى ناحية من اعمال حران والحضر بفتح الحاء المهملة وسكون الضاد المعجمة وبعدها راء وهى مدينة قديمة بالقرب من الموصل ومن تكريت بين دجلة والفرات فى البرية وكان صاحبها الساطرون فحاصره ازدشير بن بابك اول ملوك الفرس وأخذ البلد وقتله وفى ذلك يقول أبو داود الإيادى واسمه حارثة بن حجاج وقيل حنظلة بن شرقى

وارى الموت قد تدلى من الحضر على رب أهله الساطرون

صرعته الايام من بعد ملك * ونعيم وجوهر مكنون

وذكره أيضا عدى بن زيد العبادى فى قوله

وأخو الحضر اذ بناه واذ * دجلة تجبى اليه والخابور

وجاء ذكره فى الشعر كثيرا وقيل ان الذى حصره سابور ذو الاكتاف وهو الذى ذكره ابن هشام فى سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم والاول أصح والساطرون بفتح السين المهملة وبعد الالف طاء مهملة مكسورة ثم راء مضمومة ثم واو ساكنة وبعدها نون وهو لفظ سريانى ومعناه الملك واسمه ضيزن بفتح الضاد المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الزاى وبعدها نون ابن معاوية وضيزن اسم صنم كان فى الجاهلية وبه يسمى الرجل وهذا قضاعى وكان من ملوك الطوائف واذا اجتمعوا لحرب غيرهم تقدم عليهم لعظمته عندهم فأقام ازدشير على حصاره أربع سنين وهو لا يقدر عليه وكان للساطرون ابنة يقال لها نضيره بفتح النون وكسر الضاد المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء وبعدها هاء ساكنة وفيها يقول الشاعر

أقفر الحضر من نضيرة فالمر * باع منها فجانب الثرثار

وكانت فى غاية الجمال وكانت عادتهم اذا حاضت المرأة أنزلوها الى الربض لحاضت نضيره فانزلت الى ربض الحضر فأشرفت ذات يوم فابصرت ازدشير وكان من أجمل الرجال فهويته فأرسلت اليه ان يتزوجها وتفتح له الحصن واشترطت ذلك عليه والتزم لها ما طلبته ثم اختلفوا فى السبب الذى دلته عليه حتى فتح الحصن والذى قاله الطبرى انها دلته على طلسم كان فى الحصن وكان فى علمهم انه لا يفتح حتى تؤخذ حمامة ورقاء وتخضب رجلاها بحيض جارية بكر زرقاء ثم ترسل الحمامة فتنزل على سور الحصن فيقع الطلسم فيفتح الحصن ففعل ازدشير ذلك واستباح الحصن وخربه وأباد أهله وسار بنضيرة وتزوجها فبينما هى نائمة على فراشها ليلا اذ جعلت تتململ لا تنام فدعا لها بالشمع ففتش فراشها فوجد عليه ورقة آس فقال لها ازدشير اهذا الذى اسهرك قالت نعم قال فما كان أبوك يصنع قالت كان يفرش لى الديباج ويلبسنى الحرير ويطعمنى المخ والزبد

وشهد ابكار النحل ويسقيني الخمر الصافي قال فكان جزاء أبيك ما صنعت به أنت الى بذلك
أسرع ثم أمر بها فربطت قرون رأسها بذنب فرس ثم ركض الفرس حتى قتلها والحصن
الى الآن آثاره باقية وفيه بقايا عمائر لكنه لم يسكن منذ ذلك الوقت وقد طال الكلام
فيه وانما هي حكاية غريبة فأحببت اثباتها ورأيت في تاريخ آخر انه دخل بغداد
وخرج منها وتوفي في الطريق بقصر الحضر في التاريخ المذكور وقال ياقوت الحموي
في كتابه المشترك قصر الحضر بقرب سامرا من ابنية المعتصم والله تعالى أعلم

أبو الوفاء محمد بن محمد بن يحيى بن اسماعيل بن العباس البوزجاني الحاسب المشهور
أحد الائمة المشاهير في علم الهندسة وله فيه استخراجات غريبة لم يسبق بها وكان شيخنا
العلامة كمال الدين أبو الفتح موسى بن يونس تغمده الله برحمته وهو القيم بهذا الفن
يبالغ في وصف كتبه ويعتمد عليها في أكثر مطالعاته ويحتج بما يقوله وكان عنده من
تآليفه عدة كتب وله في استخراج الاوتار تصنيف جيد نافع وكانت ولادته يوم الاربعا
مستهل شهر رمضان المعظم سنة ثمان وعشرين وثلثمائة بمدينة بوزجان وتوفي سنة ست
وسبعين وثلثمائة رحمه الله تعالى وبوزجان بضم الباء الموحدة وسكون الواو والزاي
وفتح الجيم وبعد الالف نون وهي بليدة بخراسان بين هراة ونيسابور وكان قد قدم العراق
سنة ثمان وأربعين وثلثمائة وكنت وقفت على تاريخ ولادته على هذه الصورة في كتاب
الفهرست تأليف أبي الفرج بن النديم ولم يذكر تاريخ وفاته فكتبت هذه الترجمة وذكرت
تاريخ الولادة وأخليت بياضا لاجل تاريخ الوفاة لعلي أظفر به فان قصدي في هذا
التاريخ انما هو ذكر الوفاة كما ذكرته في أول الكتاب ثم اني وجدت تاريخ الوفاة
في تاريخ شيخنا ابن الاثير قد ذكرها في هذه السنة المذكورة فألحقتها وكان
بين شروعي في هذا التاريخ وظفري بالوفاة أكثر من عشرين سنة والله تعالى أعلم

أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري
الامام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان
كان امام عصره من غير مدافع تشد اليه الرحال في فنونه أخذ الادب عن أبي منصور
نصر وصنف التصانيف البديعة منها الكشاف في تفسير القرآن العزيز لم يصنف قبله
مثله والمحاجاة بالمسائل النحوية والمفرد والمركب في العربية والفائق في تفسير الحديث
وأساس البلاغة في اللغة وربيع الابرار ونصوص الاخبار ومتشابه اسامي الرواة
والنصائح الكبار والنصائح الصغار وضالة الناشد والرائض في علم الفرائض والمفصل
في النحو وقد اعتنى بشرحه خلق كثير والانموذج في النحو والمفرد والمؤلف في النحو
ورؤس المسائل في الفقه وشرح أبيات سيبويه والمستقصى في امثال العرب وصميم
العربية وسوائر الامثال وديوان التمثيل وشقائق النعمان في حقائق النعمان وشافي
العي من كلام الشافعي رضي الله عنه والقسطاس في العروض ومعجم الحدود والمنهاج

فى الاصول ومقدمة الادب (١) وديوان الرسائل وديوان الشعر والرسالة الناصحة والامالى فى كل فن وغير ذلك وكان شروعه فى تأليف المفصل فى غرة شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وخمسمائة وفرغ منه فى غرة المحرم سنة خمس عشرة وخمسمائة وكان قد سافر الى مكة حرسها الله تعالى وجاور بها زمانا فصار يقال له جار الله لذلك وكان هذا الاسم علما عليه وسمعت من بعض المشايخ ان احدى رجليه كانت ساقطة وانه كان يمشى فى جاون خشب وكان سبب سقوطها انه كان فى بعض أسفاره ببلاد خوارزم أصابه ثلج كثير وبرد شديد فى الطريق فسقطت منه رجله وانه كان بيده محضر فيه شهادة خلق كثير ممن اطلعوا على حقيقة ذلك خوفا من ان يظن من لم يعلم صورة الحال انها قطعت لريبة والثلج والبرد كثيرا ما يؤثر فى الاطراف فى تلك البلاد فتسقط خصوصا خوارزم فانها فى غاية البرد ولقد شاهدت خلقا كثيرا ممن سقطت أطرافهم بهذا السبب فلا يستبعده من لا يعرفه ورأيت فى تاريخ بعض المتأخرين ان الزمخشرى لما دخل بغداد واجتمع بالفقيه الحنفى الدامغانى سأله عن سبب قطع رجله فقال دعاء الوالدة وذلك انى كنت فى صباى أمسكت عصفورا وربطته بخيط فى رجله فأفلت من يدى فادركته وقد دخل فى خرق فجذبته فانقطعت رجله فى الخيط فتألمت والدتى لذلك وقالت قطع الله رجلك الابعد كما قطعت رجله فلما وصلت الى سن الطلب رحلت الى بخارى لطلب العلم فسقطت عن الدابة فانكسرت رجلى وعملت على عملا أوجب قطعها والله أعلم بالصحة وكان الزمخشرى المذكور معتزلى الاعتقاد متظاهرا به حتى نقل عنه انه كان اذا قصد صاحبا له واستأذن عليه فى الدخول يقول لمن يأخذ له الاذن قل له أبو القاسم المعتزلى بالباب واول ما صنف كتاب الكشاف كتب استفتاح الخطبة الحمد لله الذى خلق القرآن فيقال انه قيل له متى تركته على هذه الهيئة هجره الناس ولا يرغب أحد فيه فغيره بقوله الحمد لله الذى جعل القرآن وجعل عندهم بمعنى خلق والبحث فى ذلك يطول ورأيت فى كثير من النسخ الحمد لله الذى أنزل القرآن وهذا اصلاح الناس لا اصلاح المصنف . وكان الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد السلفى المقدم ذكره رحمه الله تعالى قد كتب اليه من الاسكندرية وهو يومئذ مجاور بمكة حرسها الله تعالى يستجيزه فى مسموعاته ومصنفاته فرد جوابه بما لا يشفى الغليل فلما كان فى العام الثانى كتب اليه أيضا مع الحجاج استجازة أخرى اقترح فيها مقصوده ثم قال فى آخرها ولا يحوج ادام الله توفيقه الى المراجعة فالمسافة بعيدة وقد كاتبه فى السنة الماضية فلم يجب بما يشفى الغليل وله فى ذلك الاجر الجزيل فكتب اليه الزمخشرى جوابه ولولا خوف التطويل لكتبت الاستدعاء والجواب لكن نقتصر على بعض الجواب وهو ما مثلى مع اعلام العلماء الا كمثل السها مع مصابيح السماء والجهام الصفر من الرهام مع الغوادى الغامرة للقيعان والاكام والسكيت المخلف مع خيل السباق والبغاث مع الطير العتاق

وما التلقيب بالعلامه الا شبه الرقم بالعلامه والعلم مدينة أحد بابيها الدرايه والثانى الروايه وانا فى كلا البابين ذو بضاعة مزجاه ظلى فيه اقلص من ظل حصاه أما الرواية فحديثة الميلاد قريبة الاسناد لم تستند الى علماء نحارير ولا الى اعلام مشاهير وأما الدراية فثمد لا يبلغ افواها وبرض ما يبل شفاها ثم كتب بعد هذا ولا يغرنكم قول فلان فى ولا قول فلان وعدد جماعة من الشعراء والفضلاء مدحوه بمقاطيع من الشعر وأوردها كلها ولا حاجة الى الاتيان بها هاهنا فلما فرغ من ايرادها كتب فان ذلك اغترار منهم بالظاهر المموه وجهل بالباطن المشوه ولعل الذى غرهم منى ما رأوا من حسن النصح للمسلمين وتبليغ الشفقة على المستفيدين وقطع المطامع عنهم وافادة المبار والصنائع عليهم وعزة النفس والربء بها عن السفاسف الدنيات والاقبال على خويصتى والاعراض عما لا يعنينى فجللت فى عيونهم وغلطوا فى ونسبونى الى ما لست منه فى قبيل ولا دبير وما انا فيما أقول بهاضم لنفسى كما قال الحسن البصرى رحمه الله تعالى فى قول أبى بكر الصديق رضوان الله عليه وليتكم ولست بخيركم ان المؤمن ليهضم نفسه وانما صدقت الفاحص عنى وعن كنه روايتى ودرايتى ومن لقيت وأخذت عنه وما بلغ على وقصارى فضلى وأطلعته طلع أمرى وافضيت اليه بخبية سرى وألقيت اليه عجرى وبجرى واعلمته نجمى وشجرى وأما المولد فقرية مجهولة من قرى خوارزم تسمى زمخشر وسمعت أبى رحمه الله تعالى يقول اجتاز بها اعرابى فسأل عن اسمها واسم كبيرها فقيل له زمخشر فقال لا خير فى شر ورد ولم يلمم بها ووقت الميلاد شهر الله الاصم فى عام سبع وستين وأربعمائة والله المحمود والمصلى على محمد وآله وأصحابه هذا آخر الاجازة وقد أطال الكلام فيها ولم يصرح له بمقصوده فيها وما أعلم هل اجازه بعد ذلك أم لا وبينى وبينه فى الرواية شخص واحد فانه أجاز زينب بنت الشعرى ولى منها اجازة كما تقدم فى ترجمتها فى حرف الزاى ومن شعره السائر قوله وقد ذكره السمعانى فى الذيل قال أنشدنى أحمد بن محمود الخوارزمى املاء بسمرقند قال أنشدنا محمود بن عمر الزمخشرى لنفسه بخوارزم وذكر الابيات وهى

ألا قل لسعدى ما لنا فيك من وطر * وما تطلبين النجل من أعين البقر
فانا اقتصرنا بالذين تضايقت * عيونهم والله يجزى من اقتصر
مليح ولكن عنده كل جفوة * ولم أر فى الدنيا صفاء بلا كدر
ولم انس اذ غازلته قرب روضة * الى جنب حوض فيه للماء منحدر
فقلت له جئنى بورد وانما * أردت به ورد الخدود وما شعر
فقال انتظرنى رجع طرف أجئ به * فقلت له هيهات ما لى منتظر
فقال ولا ورد سوى الخد حاضر * فقلت له انى قنعت بما حضر

ومن شعره يرثى شيخه ابا مضر منصورا المذكور اولا (1)

(1) ابا نصر منصورا ... المرثية ... فى المعاهد ... الهوريني

وقائلة ما هذه الدرر التي * تساقط من عينيك سمطين سمطين

فقلت هو الدر الذي كان قد حشى * أبو مضر أذني تساقط من عيني

وهذا مثل قول القاضي أبي بكر الارجاني المقدم ذكره ولا اعلم ايهما أخذ من الآخر لانهما كانا متعاصرين وهو

لم يبكني الا حديث فراقكم * لما أسر به الى مودعي

هو ذلك الدر الذي أودعتم * في مسمعي أجريته من مدمعي

وهذان البيتان من جملة قصيدة طويلة بديعة ومن المنسوب الى القاضي الفاضل في هذا المعنى

لا تردني تأمرة ثانية * كفت الاولى ووفت عني

لك في قلبي حديث مودع * لا بجدت الحب ما أودعني

خذه من جفني عقودا انه * بعض ما أودعته في أذني

ومما أنشده لغيره في كتابه الكشاف عند تفسير قوله تعالى في سورة البقرة ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فانه قال أنشدت لبعضهم

يا من يرى مد البعوض جناحها * في ظلمة الليل البهيم الاليل

ويرى مناط عروقها في نحرها * والمخ في تلك العظام النحل

اغفر لعبد تاب عن فرطاته * ما كان منه في الزمان الاول

وكان بعض الفضلاء قد أنشدني هذه الابيات بمدينة حلب وقال ان الزمخشري المذكور أوصى ان تكتب على لوح قبره هذه الابيات ثم أنشدني الفاضل الرئيس بتية وذكر ان صاحبهما أوصى ان يكتبا على قبره وهما

الهي قد أصبحت ضيفك في الثرى * وللضيف حق عند كل كريم

فهب لي ذنوبي في قراي فانها * عظيم ولا يقرى بغير عظيم

وأخبرني بعض الاصحاب انه رأى بجزيرة سواكن تربة ملكها عز الدولة ريحان وعلى قبره مكتوب

يا أيها الناس كان لي أمل * قصر بي عن بلوغه الاجل

فليتق الله ربه رجل * امكنه قبل موته العمل

ما أنا وحدي نقلت حيث ترى * كل الى مثله سينتقل

وكانت ولادة الزمخشري يوم الاربعاء السابع والعشرين من شهر رجب سنة سبع وستين وأربعمائة بزمخشر وتوفي ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة بجرجانية خوارزم بعد رجوعه من مكة رحمه الله تعالى ورثاه بعضهم بأبيات ومن جملتها

فأرض مكة تذري الدمع مقلتها * حزنا لفرقة جار الله محمود

وزمخشر بفتح الزاي والميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الشين المعجمة وبعدها راء وهي

قرية كبيرة من قرى خوارزم وبجرجانية بضم الجيم الاولى وفتح الثانية وسكون الراء بينهما وبعد الالف نون مكسورة وبعدها ياء مثناة من تحتها مفتوحة مشددة ثم هاء ساكنة وهى قصبة خوارزم قال ياقوت الحموى فى كتاب البلدان يقال لها بلغتهم كركانج وقد عربت فقيل لها الجرجانية وهى على شاطئ جيحون والله تعالى أعلم بالصواب

أبو طالب محمود بن علي بن أبي طالب بن عبد الله بن أبي الرجا التميمى الاصبهانى المعروف بالقاضى

صاحب الطريقة فى الخلاف تفقه على الشهيد محمد بن يحيى المقدم ذكره وبرع فى الخلاف وصنف فيه التعليقة التى شهدت بفضله وتحقيقه وتبريزه على أكثر نظرائه وجمع فيها بين الفقه والتحقيق وكان عمدة المدرسين فى القاء الدروس عليها ومن لم يذكرها فانما كان لقصور فهمه عن ادراك دقائقها واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به وصاروا علماء مشاهير وكان له فى الوعظ اليد الطولى وكان متفننا فى العلوم خطيبا باصبهان مدة طويلة وتوفى فى شوال سنة خمس وثمانين وخمسمائة رحمه الله تعالى

أبو القاسم محمود بن ناصر الدولة أبى منصور سبكتكين الملقب اولا سيف الدولة ثم لقبه الامام القادر بالله لما سلطنه بعد موت أبيه يمين الدولة وأمين الملة واشتهر به وكان والده سبكتكين قد ورد مدينة بخارى فى ايام نوح بن منصور أحد ملوك السامانية المذكورين فى ترجمة أبى بكر محمد بن زكريا الرازى الطبيب وكان وروده فى صحبة أبى اسحاق بن بلتكين وهو حاجبه وعليه مدار أموره فعرفه اركان تلك الدولة بالشهامة والصرامة وتوسموا فيه الارتفاع الى اليفاع ولما خرج أبو اسحاق المذكور الى غزنة واليا عليها واسادا مسد أبيه انصرف الامير سبكتكين بانصرافه فى جملته فى زعامة رجاله ومراعاة ماوراء بابه فلم يلبث أبو اسحاق بعد موافاتها أن انقضى نحبه ولم يبق من ذوى قرابته من يصلح لمكانه واحتاج الناس الى من يتولى أمورهم فاختلفوا فيمن يصلح لذلك ثم وقع اتفاقهم واجتمعت كلمتهم على تأمير الامير سبكتكين فبايعوه على ذلك وانقادوا لحكمه فلما تمكن واستحكم شرع فى الغزاة والاغارة على اطراف الهند فافتتح قلاعا كثيرة منها وجرت بينه وبين الهنود حروب يقصر الشرح عن وصفها ولم يلبث ان اتسعت رقعة ولايته وعظم حجم جريدته وعمرت أرض خزانته وأشفقت النفوس من هيبته وكان من جملة فتوحاته ناحية بست وكان من جملة ما استفاده من صفاياها أبو الفتح على بن محمد البستى الشاعر المقدم ذكره فانه كان كاتبا لملك الناحية المذكورة واسمه أبو نور فلما تعلق بخدمته اعتمد عليه فى أموره وأسرار شأنه وشرح ذلك يطول وآخر الامر أن الامير سبكتكين كان قد وصل الى مدينة بلخ من طوس فى شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمائة وتحول منها الى غزنة فخرج اليها فى تلك الجبال فمات فى الطريق قبل وصوله وذلك فى شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمائة ونقل تابوته الى غزنة ورثاه جماعة من شعراء عصره

منهم كاتبه أبو الفتح البستي المذكور بقوله

قلت اذ مات ناصر الدين والد * ولة حياه ربه بالكرامه
وتداعت جموعه بافتراق * هكذا هكذا تكون القيامه

واجتاز بعض الافاضل بداره بعد موته وقد تشعثت فانشد

عليك سلام الله من منزل قفر * فقد هجت لي شوقا قديما وما تدري
عهدتك من شهر جديد اولم اخل * صروف الردى تبلي مغانيك في شهر

وكان الامير المذكور قد جعل ولي عهده من بعده ولده اسماعيل واستخلفه على الاعمال وأوصى اليه بامور أولاده وعياله وجمع وجوه حجابه وقواده على طاعته ومتابعته وجلس على سرير السلطنة وتحكم واغتصب بيوت الاموال وكان أخوه السلطان محمود بخراسان مقيما بمدينة بلخ واسماعيل بغزنة فلما بلغه نعي أبيه كتب الى أخيه اسماعيل ولاطفه في القول وقال له ان أبي لم يستخلفك دوني الا لكوني كنت عنده وانا كنت بعيدا عنه ولو أوقف الامر على حضوري لفاتت مقاصده ومن المصلحة ان نقاسم الاموال بالميراث فتكون أنت مكانك بغزنة وانا بخراسان وندبر الامور ونتفق على المصالح فلا يطمع فينا عدو ومتى ما ظهر للناس اختلاف طمعوا فينا فابى اسماعيل من موافقته على ذلك وكان فيه لين ورخاوة فطمع فيه الجند وشغبوا عليه وطالبوه بالاموال فانفق في مرضاتهم الخزائن ثم خرج محمود الى هراة وجدد مكاتبة أخيه وهو لا يزداد الا اعتياصا فدعا محمود عمه بغراجق الى موافقته فاجابه وكان أخوه أبو المظفر نصر بن سبكتكين أميرا بناحية بست فنهض اليه وعرض عليه الانقياد لمتابعته فلم يتوقف عليه فلما قوي جأشه بعمه وأخيه قصد أخاه اسماعيل بغزنة وهما معه فنازلها في جيش عظيم وجم غفير وحاصرها واشتد القتال عليها ففتحها وانحاز اسماعيل الى قلعتها متحصنا بها ثم تلطف في طلب الامان من أخيه محمود فأجابه الى سؤاله ونزل في حكم امانه وتسلم منه مفاتيح الخزائن ورتب في غزنة النواب والاكفاء وانحدر الى بلخ وكان السلطان محمود قد اجتمع بأخيه اسماعيل في مجلس الانس بعد ظفره به فسأله عما كان في نفسه انه يعمله في حقه لو ظفر به فحمله سلامة صدره ونشوة السكر على ان قال كان في عزمي ان اسيرك الى بعض القلاع موسعا عليك فيما تقترحه من دار وغلمان وجوار ورزق على قدر الكفاية فعامله بجنس ما كان قد نواه له وسيره الى بعض الحصون وأوصى عليه الوالي ان يمكنه من جميع ما يشتهي ولما انتظم الامر للسلطان محمود وكان في بعض بلاد خراسان نواب لصاحب ماوراء النهر من ملوك بني سامان بجرى بين السلطان محمود وبينهم حروب انتصر فيها عليهم وملك بلاد خراسان وانقطعت الدولة السامانية منها وذلك في سنة تسع وثمانين وثلثمائة واستتب له الملك وسيرله الامام القادر بالله خلعة السلطنة ولقبه بالالقاب المذكورة في اول ترجمته وتبوأ سرير المملكة وقام بين يديه أمراء خراسان سماطين

مقيمين برسم الخدمة وملتزمين حكم الهيبة وأجلسهم بعد الاذن العام على مجلس الانس
وأمر لكل واحد منهم ولسائر غلمانه وخاصته ووجوه أوليائه وحاشيته من الخلع
والصلات ونفائس الامتعة بما لم يسمع بمثله واتسعت الامور عن آخرها في كنف ايالته
واستوسقت الاعمال في ضمن كفالته وفرض على نفسه في كل عام غزو الهند ثم انه
ملك سجستان في سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة بدخول قوادها وولاة أمرها في طاعته من
غير قتال ولم يزل يفتح في بلاد الهند حتى انتهى الى حيث لم تبلغه في الاسلام راية ولم تتل
به قط سورة ولا آية فرحض عنها ادناس الشرك وبنى بها مساجد وجوامع وتفصيل
حاله يطول شرحه ولما فتح بلاد الهند كتب الى الديوان العزيز ببغداد كتابا يذكر فيه ما فتح
الله تعالى على يديه من بلاد الهند وأنه كسر الصنم المعروف بسومنات وذكر في كتابه
ان هذا الصنم عند الهنود يحيي ويميت ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وانه اذا شاء أبرأ من
جميع العلل وربما كان يتفق لشقوتهم ابلال عليل يقصده فيوافقه طيب الهواء
وكثرة الحركة فيزيدون به افتتانا ويقصدونه من اقاصي البلاد رجالا وركبانا ومن لم
يصادف منهم انتعاشا احتج بالذنب وقال انه لم يخلص له الطاعة ولم يستحق منه الاجابة
ويزعمون ان الارواح اذا فارقت الاجسام اجتمعت لديه على مذهب أهل التناسخ فينشيها
فيمن يشاء وأن مد البحر وجزره عبادة له على قدر طاقته وكانوا بحكم هذا الاعتقاد يحجونه
من كل صقع بعيد ويأتون من كل فج عميق ويتحفونه بكل مال نفيس ولم يبق في بلاد السند
والهند على تباعد اقطارها وتفاوت اديانها ملك ولا سوقة الا تقرب الى هذا الصنم بما
عز عليه من أمواله وذخائره حتى بلغت أوقافه عشرة الاف قرية مشهورة في تلك البقاع
وامتلأت خزائنه من أصناف الاموال وفي خدمته من البراهمة ألف رجل يخدمونه
وثلثمائة رجل يحلقون رؤس حججه ولحاهم عند الورود عليه وثلثمائة رجل وخمسمائة
امرأة يغنون ويرقصون عند بابه ويجرى من مال الاوقاف المرصدة له لكل طائفة من
هؤلاء رزق معلوم وكان بين المسلمين وبين القلعة التي فيها الصنم مسيرة شهر في مفازة
موصوفة بقلة المياه وصعوبة المسالك واستيلاء الرمل على طرقها فسار اليها السلطان
محمود في ثلاثين ألف فارس جريدة مختارة من بين عدد كثير وأنفق عليهم من الاموال
ما لا يحصى فلما وصلوا الى القلعة وجدوها حصنا منيعا وفتحوها في ثلاثة أيام ودخلوا
بيت الصنم وحوله من الاصنام الذهب المرصع باصناف الجوهر عدة كثيرة محيطة بعرشه
ويزعمون انها الملائكة وأحرق المسلمون الصنم المذكور فوجدوا في أذنه نيفا
وثلاثين حلقة فسألهم محمود عن معنى ذلك فقالوا كل حلقة عبادة ألف سنة وكانوا
يقولون بقدم العالم ويزعمون ان هذا الصنم يعبد أكثر من ثلاثين ألف سنة وكلما عبدوه
ألف سنة علقوا في أذنه حلقة وبالجملة فان شرح ذلك يطول وذكر شيخنا ابن الاثير
في تاريخه ان بعض الملوك بقلاع الهند أهدى له هدايا كثيرة من جملتها طائر على هيئة

القمري من خاصيته انه اذا احضر الطعام وفيه سم دمعت عيناه هذا الطائر وجرى منها ماء وتحجر فاذا حك ووضع على الجراحات الواسعة ألحمها ذكر ذلك في سنة أربع عشرة وأربعمائة وقد جمع سيرته أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي الفاضل في كتاب سماه اليميني وهو مشهور وذكر في اوله ان السلطان المذكور ملك الشرق بجنبيه والصدر من العالم ويديه لانتظام الاقاليم الرابع بما يليه من الثالث والخامس في حوزة ملكه وحصول ممالكها الفسيحة وولاياتها العريضة في قبضة ملكه ومصير امرائها وذوي الالقاب الملوكية من عظمائها تحت حمايته وحيايته واستذراهم من آفات الزمان بظل لوائه ورعايته واذعان ملوك الارض لعزته وارتياعهم بفائض هيبته واحتراسهم على تقاذف الديار وتحاجز الانجاد والاغوار من فاجئ ركضه واستخفاء الهند تحت جيوبها عند ذكره واقشعرارهم لهب الرياح من أرضه وقد كان من حين لفظة المهد وجفاء الرضاع وانحلت عن لسانه عقدة الكلام واستغنى عن الاشارة بالافهام مشغول اللسان بالذكر والقرآن الكريم مشغوف النفس بالسيف والسنان معدود الهمة الى معالي الامور معقود الامنية بسياسة الجمهور لعبهمع الاتراب جد وجده مستكدا لما لا يعلم حتى يفتله جبرا ويعزن لما يعزن حتى يدمثه قسرا وقهرا وذكر امام الحرمين أبو المعالي عبد الملك الجويني المتقدم ذكره في كتابه الذي سماه مغيث الخلق في اختيار الاحق ان السلطان محمودا المذكور كان على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه وكان مولعا بعلم الحديث وكانوا يسمعون الحديث من الشيوخ بين يديه وهو يسمع وكان يستفسر الاحاديث فوجد أكثرها موافقا لمذهب الشافعي رضي الله عنه فوقع في خلده حكه فجمع الفقهاء من الفريقين في مرو والتمس منهم الكلام في ترجيح أحد المذهبين على الآخر فوقع الاتفاق على ان يصلوا بين يديه ركعتين على مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه وعلى مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه لينظر فيه السلطان ويتفكر ويختار ما هو أحسنهما فصلى القفال المروزي وقد تقدم ذكره بطهارة مسبغة وشرائط معتبرة من الطهارة والسترة واستقبال القبلة وأتى بالاركان والهيآت والسنن والآداب والفرائض على وجوه الكمال والتمام وقال هذه صلاة لا يجوز الامام الشافعي دونها رضي الله تعالى عنه ثم صلى ركعتين على ما يجوز أبو حنيفة رضي الله عنه فلبس جلد كلب مدبوغا ثم لطخ ربعه بالنجاسة وتوضأ بنبيذ التمر وكان في صميم الصيف في المفازة واجتمع الذباب والبعوض وكان وضوءه منكسا منعكسا ثم استقبل القبلة وأحرم بالصلاة من غير نية في الوضوء وكبر بالفارسية ثم قرأ آية بالفارسية دو بركك سبز ثم نقر نقرتين كنقرات الديك من غير فصل ومن غير ركوع وتشهد وضرط في آخره من غير نية السلام وقال أيها السلطان هذه صلاة أبي حنيفة فقال السلطان لو لم تكن هذه الصلاة صلاة أبي حنيفة لقتلتك لان مثل هذه الصلاة لا يجوزها ذو دين فانكرت

الحنفية ان تكون هذه صلاة أبي حنيفة فأمر القفال باحضار كتب أبي حنيفة وأمر السلطان نصرانيا كاتبا يقرأ المذهبين جميعا فوجدت الصلاة على مذهب أبي حنيفة على ما حكاه القفال فأعرض السلطان عن مذهب أبي حنيفة وتمسك بمذهب الشافعي رضي الله عنه انتهى كلام امام الحرمين وكانت مناقب السلطان محمود كثيرة وسيره من أحسن السير ومولده ليلة عاشوراء سنة احدى وستين وثلثمائة وتوفي في شهر ربيع الآخر وقيل حادي عشر صفر سنة احدى وقيل اثنتين وعشرين وأربعمائة بغزنة رحمه الله تعالى وقام بالامر من بعده ولده محمد بوصية من أبيه واجتمعت عليه الكلمة وغمرهم بانفاق الاموال فيهم وكان أخوه أبو سعيد مسعود غائبا فقدم نيسابور وقد استتب أمر أخيه محمد فراسله ومال الناس اليه لقوة نفسه وتمام هيبته وزعم ان الامام القادر بالله قلده خراسان ولقبه الناصر لدين الله وخلع عليه وطوقه سوارا فقوي أمره لذلك وكان محمد هذا سيء التدبير منهمكا في ملاذه فأجمع الجند على عزل محمد وتولية الملك لمسعود ففعلوا ذلك وقبضوا على محمد وحملوه الى قلعة ووكلوا به واستقر الملك للامير مسعود وجرى له مع بني سلجوق خطوب يطول شرحها وله في ترجمة المعتمد بن عباد حكاية في المقام فلينظر هنالك وقتل سنة ثلاثين وأربعمائة واستولى على المملكة بنو سلجوق وقد تقدم في ترجمة السلطان طغرلبك السلجوقي طرف من الخبر وكيفية ما اعتمده السلطان محمود في حقهم وكيف تغلبوا على الامر وسبكتكين بضم السين المهملة والباء الموحدة وسكون الكاف وكسر التاء المثناة من فوقها والكاف الثانية وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون وتفسير دو بركات سبز ورقتان خضراوان وهو بمعنى قوله تعالى في سورة الرحمن مدهامتان والله تعالى أعلم

أبو القاسم محمود بن محمد بن ملكشاه بن ألب ارسلان السلجوقي الملقب مغيث الدين أحد الملوك السلجوقية المشاهير

وقد تقدم ذكر والده وجماعة من أهل بيته وسيأتي ذكر جده وغيره منهم ان شاء الله تعالى وتقدم طرف من خبره في ترجمة العزيز أبي نصر أحمد بن حامد الاصبهاني عم العماد الكاتب تولى أبو القاسم المذكور السلطنة بعد وفاة والده وخطب له بمدينة بغداد على جاري عادة الملوك السلجوقية يوم الجمعة الثالث والعشرين من المحرم سنة اثنتي عشرة وخمسمائة في خلافة المستظهر بالله وهو يومئذ في سن الحلم وكان متوقدا ذكاء قوي المعرفة بالعربية حافظا للاشعار والامثال عارفا بالتواريخ والسير شديد الميل الى أهل العلم والخير وكان حيص بيص الشاعر المتقدم ذكره قد قصده من العراق ومدحه بقصيدته الدالية المشهورة التي اولها

الق الحدائج ترعى النمر القود * طال السرى وتشكت وخدك البيد
ياساري الليل لا جدب ولا فرق * فالنبت اغيد والسلطان محمود

قيل تألفت الاضداد خيفته * فالمورد العذب فيه الشاء والسند

وهى طويلة من غرر القصائد واجازه عليها جائزة سنية وقد كان تزوج بنت عمه السلطان سنجر المقدم ذكره حسبما شرحناه فى ترجمة العزيز الاصبهانى واخذ بعد الاسرى وكانت السلطنة فى أواخر ايامه قد ضعفت وقلت أموالها حتى عجزوا عن اقامة وظيفة الفقاعى فدفعوا اليه يوما بعض صناديق الخزانة حتى باعها وصرف ثمنها فى حاجته وكان فى آخر مدته قد دخل بغداد ثم خرج منها فمرض فى الطريق واشتد به المرض وتوفى يوم الخميس خامس عشر شوال سنة خمس وعشرين وخمسمائة رحمه الله تعالى وذكر ابن الازرق الفارق فى تاريخه انه مات خامس عشر شوال سنة أربع وعشرين بباب أصبهان ودفن بها وولى السلطنة أخوه طغرلبك ومات سنة سبع وعشرين وتولى أخوه مسعود وسيأتى ذكره ان شاء الله تعالى وابنه محمد شاه بن محمود بن محمد هو الذى حاصر بغداد ومعه زين الدين أبو الحسن على بن بكتكين صاحب اربل فى سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة وقال شيخنا ابن الاثير فى سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة قال ذلك فى تاريخه الصغير المعروف بالاتابكى ومات محمد شاه المذكور فى ذى الحجة سنة أربع وخمسين وخمسمائة وتاريخ وفاة زين الدين المذكور مذكور فى ترجمة ولده مظفر الدين صاحب اربل فى حرف الكاف ومات محمد شاه بباب همدان ومولده فى شهر ربيع الآخر سنة اثنين وعشرين وخمسمائة

أبو القاسم محمود بن عماد الدين زنكى بن اق سنقر
الملقب الملك العادل نور الدين

قد تقدم ذكر أبيه فى حرف الزاى ولما حاصر أبوه قلعة جعبر حسبما تقدم ذكره فى ترجمته وكان والده نور الدين المذكور فى خدمته فلما قتل أبوه سار نور الدين وفى خدمته صلاح الدين محمد بن أيوب الغسانى وعساكر الشام الى مدينة حلب فملكها فى ذلك التاريخ وملك أخوه سيف الدين غازى المذكور فى حرف الغين مدينة الموصل وما والاها من تلك النواحى ثم انه نزل على دمشق يحاصرها وصاحبها يومئذ مجير الدين أبو سعيد ارتق ابن جمال الدين محمد بن تاج الملوك بورى بن ظهير الدين طغتكين وهو اتابك الملك دقاق بن تتش المقدم ذكره فى ترجمة تتش فى حرف التاء وكان نزوله عليها ثالث صفر سنة تسع وأربعين وخمسمائة وملكها يوم الاحد تاسع الشهر المذكور وعوض مجير الدين ارتق عوضا عن دمشق حمص ثم أخذها منه وعوضه عنها بالس فانتقل اليها وأقام بها مدة ثم قصد بغداد فى ايام الامام المقتفى وكان اتابكه معين الدين بن عبد الله عتيق جده ابيه ظهير الدين طغتكين هنالك أيضا ثم استولى نور الدين محمود على بقية بلاد الشام من حماة وبعلبك وهو الذى بنى سورها وما بين ذلك وافتتح من بلاد الروم عدة حصون منها مرعش وبهنسا وتلك الاطراف وكان فتحه مرعش فى ذى القعدة من سنة ثمان وستين وخمسمائة وبهنسا

فى ذى الحجة من السنة وافتتح أيضا من بلاد الفرنج حارم وكان فتحها فى أواخر شهر رمضان سنة تسع وخمسين وخمسمائة وفتح عزاز وبانياس وغير ذلك مما يزيد عدته على خمسين حصنا ثم سير الامير أسد الدين شيركوه المقدم ذكره الى مصر ثلاث دفعات وملكها السلطان صلاح الدين فى الدفعة الثالثة نيابة عنه وضرب باسمه السكة والخطبة وهى قضية مشهورة فلا حاجة الى الاطالة فى شرحها وسيأتى ذلك فى ترجمة صلاح الدين ان شاء الله تعالى وكان ملكا عادلا زاهدا عابدا ورعا متمسكا بالشريعة مائلا الى أهل الخير مجاهدا فى سبيل الله تعالى كثير الصدقات بنى المدارس بجميع بلاد الشام الكبار مثل دمشق وحلب وحماة وحمص وبعلبك ومنبج والرحبة وقد تقدم ذلك فى ترجمة الشيخ شرف الدين بن أبى عصرون وبنى بمدينة الموصل الجامع النورى ورتب له ما يكفيه وبحماة الجامع الذى على ظهر العاصى وجامع الرها وجامع منبج وبيمارستان دمشق ودار الحديث بها أيضا وله من المناقب والمآثر والمفاخر ما يستغرق الوصف وكان بينه وبين أبى الحسن سنان بن سليمان بن محمد الملقب راشد الدين صاحب قلاع الاسماعيلية ومقدم الفرقة الباطنية بالشام واليه تنسب الطائفة السنانية مكاتبات ومحاورات بسبب المجاورة فكتب اليه نور الدين فى بعض الازمنة كتابا يهدده فيه ويتوعده لسبب اقتضى ذلك فشق على سنان فكتب بجوابه أبياتا ورسالة وهما

يا ذا الذى بقراع السيف هددنا * لا قام مصرع جنبى حين تصرعه
قام الحمام الى البازى يهدده * واستيقظت لاسود البر اضبعه
اضحى يسد فم الافعى باصبعه * يكفيه ماقد تلاقى منه اصبعه

وقفنا على تفاصيله وجمله وعلمنا ماهددنا به من قوله وعمله فيالله العجب من ذبابة تطن فى أذن فيل وبعوضة تعد فى التماثيل ولقد قالها من قبلك قوم آخرون فدمرنا عليهم وما كان لهم من ناصرين اوللحق تدحضون وللباطل تنصرون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وأما ما صدر من قولك فى قطع رأسى وقلعك لقلاعى من الجبال الرواسى فتلك أمانى كاذبه وخيالات غير صائبه فان الجواهر لا تزول بالاعراض كما ان الارواح لا تضمحل بالامراض كم بين قوى وضعيف ودنى وشريف وان عدنا الى الظواهر والمحسوسات وعدلنا عن البواطن والمعقولات فلنا اسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله ما اوذى نبى ما أوذيت ولقد علمتم ما جرى على عترته وأهل بيته وشيعته والحال ما حال والامر ما زال ولله الحمد فى الاولى والآخرة اذ نحن مظلومون لا ظالمون ومغصوبون لا غاصبون واذا جاء الحق زهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ولقد علمتم ظاهر حالنا وكيفية رجالنا وما يتمنونه من الفوت ويتقربون به الى حياض الموت قل فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين وفى أمثال العامة السائرة أوللبط

تهددون بالبسط فهي للبلايا جلبابا وتدرع للرزايا أثوابا فلا ظهرن عليك منك ولا نفينم فيك عنك فتكون كالباحث عن حتفه بظلفه والجادع مارن انفه بكفه وما ذلك على الله بعزيز وهذه الرسالة نقلت من خط القاضي الفاضل على هذه الصورة ورأيت في نسخة زيادة على هذا وهي فاذا وقفت على كتابنا هذا فكن لامرنا بالمرصاد ومن حالك على اقتصاد واقرأ اول النحل وآخر صاد والصحيح انه كتبها الى السلطان صلاح الدين بن يوسف بن أيوب والله أعلم ورأيت في بعض النسخ زيادة بيت في اول الابيات الثلاثة وهو

يا للرجال لامر هال مقطعه * ما مر قط على سمعي توقعه

وكتب سنان المذكور مرة أخرى اليه وقد جرت بينهما وحشة

بنا نلت هذا الملك حتى تأثلت * بيوتك فيها واشمخر عمودها

فاصبحت ترمينا بنبل بنا استوى * مغارسها منا وفينا حديدها

وبالجملة فان محاسن نور الدين كثيرة وكانت ولادته يوم الاحد عند طلوع الشمس سابع عشر شوال سنة احدى عشرة وخمسمائة وتوفي يوم الاربعاء حادي عشر شوال سنة تسع وستين وخمسمائة بقلعة دمشق بعلة الخوانيق وأشار عليه الاطباء بالفصد فامتنع وكان مهيبا فما روجع ودفن في بيت بالقلعة كان يلازم الجلوس فيه والمبيت أيضا ثم نقل الى تربته بمدرسته التي أنشأها عند باب سوق الخواصين وسمعت من جماعة من أهل دمشق يقولون ان الدعاء عند قبره مستجاب ولقد جربت ذلك فصح رحمه الله تعالى وكان أسمر اللون طويل القامة حسن الصورة ليس بوجهه شعر سوى ذقنه وكان قد عهد بالملك الى ولده الملك الصالح عماد الدين اسماعيل وعمره يوم مات أبوه احدى عشرة سنة فقام بالامر من بعده وانتقل من دمشق الى حلب ودخل قلعتها يوم الجمعة مستهل المحرم سنة سبعين وخمسمائة وخرج السلطان صلاح الدين من مصر وملك دمشق وغيرها من بلاد الشام ولم يبق عليه سوى مدينة حلب ولم يزل الصالح بها الى ان توفي يوم الجمعة الخامس والعشرين من رجب سنة سبع وسبعين وخمسمائة ذكروا انه لم يبلغ عشرين سنة والله أعلم وكان مبدأ مرضه في تاسع شهر رجب من السنة المذكورة وحدث له قولنج في مستهل جمادى الاولى وكان لموته وقع عظيم في قلوب الناس وتاسفوا عليه لانه كان محمود السيرة ودفن في المقام الذي في القلعة ثم نقل الى رباطه المعروف به تحت القلعة وهو مشهور هنالك رحمه الله تعالى وتوفي مجير الدين ارتق المذكور في سنة أربع وستين وخمسمائة ببغداد ودفن في داره كذا وجدته في بعض المسودات التي بخطي والله أعلم ومولده يوم الجمعة ثامن شعبان سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ببعلبك والله تعالى أعلم

أبو السمط وقيل أبو الهندام مروان بن أبي حفصة سليمان بن يحيى بن أبي حفصة يزيد الشاعر المشهور

كان جده أبو حفصة مولى مروان بن الحكم بن أبي العاص الاموي فاعتقه يوم الدار لانه ابلى يومئذ فجعل عتقه جزاءه وقيل ان أبا حفصة كان يهوديا طبيبا أسلم على يد عثمان بن عفان رضي الله عنه وقيل على يد مروان بن الحكم بن أبي العاص الاموي ويزعم أهل المدينة انه كان من موالي السموأل بن عاديا اليهودي المشهور بالوفاء صاحب القصة المشهورة مع امرئ القيس بن حجر الشاعر المشهور وان أبا حفصة سبي من اصطخر وهو غلام فاشتراه عثمان رضي الله عنه ووهبه لمروان بن الحكم ومروان بن أبي حفصة الشاعر المذكور من أهل اليمامة وقدم بغداد ومدح المهدي وهارون الرشيد وكان يتقرب الى الرشيد بهجاء العلويين ومروان المذكور من الشعراء المجيدين والفحول المتقدمين ذكره أبو العباس عبد الله بن المعتز في كتاب طبقات الشعراء فقال في حقه واجود ما قاله مروان قصيدته الغراء اللامية وهي التي فضل بها على شعراء زمانه يمدح فيها معن بن زائدة الشيباني ويقال انه أخذ منه عليها مالا كثيرا لا يقدر قدره ولم ينل أحد من الشعراء الماضين ما ناله مروان بشعره فما ناله ضربة واحدة ثلثمائة ألف درهم من بعض الخلفاء بسبب بيت واحد انتهى كلام ابن المعتز والقصيدة اللامية طويلة تناهز الستين بيتا ولولا خوف الاطالة لذكرتها لكن نأتي ببعض مديحها وهو من اثنائها فنقول

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم * اسود لهم في بطن خفان اشبل
تجنب لا في القول حتى كأنه * حرام عليه قول لا حين يسأل
تشابه يوماه علينا فاشكلا * فلا نحن ندري أي يوميه أفضل
ايوم نداه الغمر ام يوم بأسه * وما منهما الا اغر محجل
بهاليل في الاسلام سادوا ولم يكن * كأولهم في الجاهلية اول
هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا * أجابوا وان أعطوا اطابوا واجزلوا
وما يستطيع الفاعلون فعالهم * وان أحسنوا في النائبات واجملوا
ثلاث بامثال الجبال حباهم * وأحلامهم منها لدى الوزن اثقل

هذا لعمري هو السحر الحلال المنقح لفظا ومعنى وحقه ان يفضل على شعراء عصره وغيرهم وله في مدائح معن ومراثيه كل معنى بديع وسيأتي شيء من ذلك في اخبار معن ان شاء الله تعالى وحكى ابن المعتز أيضا عن شراحيل بن معن بن زائدة انه قال عرضت في طريق مكة ليحيى بن خالد البرمكي وهو في قبة وعديله القاضي أبو يوسف الحنفي وهما يريدان الحج قال شراحيل فاني لأسير تحت القبة اذ عرض له رجل من بني أسد في شارة حسنة فأنشده شعرا فقال له يحيى بن خالد في بيت منها ألم انهك عن مثل هذا البيت ايها الرجل ثم قال يا أخا بني اسد اذا قلت الشعر فقل كقول الذي يقول وأنشده الابيات اللامية المقدم ذكرها فقال له القاضي أبو يوسف وقد أعجبته الابيات جدا من قائل هذه الابيات يا أبا الفضل فقال يحيى يقولها مروان بن أبي حفصة يمدح بها أبا هذا الفتى

الذى تحت القبة قال شراحيل فرمقنى أبو يوسف بعينيه وانارا كب على فرس لى عتيق وقال لى من أنت يافتى حياك الله تعالى وقربك قلت انا شراحيل بن معن بن زائدة الشيبانى قال شراحيل فوالله ماأتت على ساعة قط كانت أقر لعينى من تلك الساعة ارتياحا وسرورا (ويحكى) ان ولدا لمروان بن أبى حفصة المذكور دخل على شراحيل المذكور فانشده

أيا شراحيل بن معن بن زائدة * ياأكرم الناس من عجم ومن عرب
اعطى أبوك أبى مالا فعاش به * فاعطنى مثل ماأعطى أبوك أبى
ماحل قط أبى أرضا أبوك بها * الا وأعطاه قنطارا من الذهب

فاعطاه شراحيل بن معن بن زائدة قنطارا من الذهب ومما يقارب هذه الحكاية ماروى عن أبى مليكة جرول بن اوس المعروف بالحطيئة الشاعر المشهور لما اعتقله عمر بن الخطاب رضى الله عنه لبذاءة لسانه وكثرة هجوه الناس كتب اليه من الاعتقال

ماذا تقول لافراخ بذى مرخ * حمر الحواصل لاماء ولاشجر
القيت كاسبهم فى قعر مظلمة * فارحم عليك سلام الله ياعمر
أنت الامام الذى من بعد صاحبه * القت اليك مقاليد النهى البشر
ماآثروك بها اذقدموك لها * لكن لانفسهم قد كانت الاثر

فاطلقه وشرط عليه ان يكف لسانه عن الناس فقال له ياأمير المؤمنين اكتب لى كتابا الى علقمة بن علاثة لاقصده به فقد منعتنى التكسب بشعرى وكان علقمة مقيما بحوران وهو من الاجواد المشهورين قال ابن الكلبى فى كتاب جمهرة النسب هو علقمة بن علاثة ابن عوف بن ربيعة ويقال له الاحوص لصغر عينيه ابن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان وكان عمر رضى الله عنه استعمله على حوران فامتنع عمر رضى الله عنه من ذلك فقيل ياأمير المؤمنين وماعليك من ذلك علقمة ليس من عمالك فتخشى من ذلك ان تأثم وانما هو رجل من المسلمين تشفع بك اليه فكتب له بما أراد فمضى الحطيئة بالكتاب فصادف علقمة قدمات والناس منصرفون من قبره وابنه حاضر فوقف عليه ثم أنشد

لعمرى لنعم المرء من آل جعفر * بحوران امسى علقته الحبائل
فان تحى لاأملك حياتى وان تمت * فمافى حياتى بعد موتك طائل
وماكان بينى لولقيتك سالما * وبين الغنى الاليال قلائل

فقال له ابنه كم ظننت ان علقمة كان يعطيك لو وجدته حيا فقال مائة ناقة يتبعها مائة من اولادها فأعطاه ابنه اياها والبيتان الاخيران من هذه الثلاثة وجدتها فى ديوان النابغة الذبيانى واسمه زياد بن معاوية بن جابر من جملة قصيدة يرثى بها النعمان بن أبى شمر الغسانى واخبار ابن أبى حفصة ونوادره ومحاسنه كثيرة فلاحاجة الى الاطناب بذكرها

وكانت ولادته سنة خمس ومائة وتوفي سنة احدى وثمانين وقيل سنة اثنتين وثمانين ومائة ببغداد ودفن بمقبرة نصر بن مالك الخزاعي رحمه الله تعالى وحفيده مروان الاصغر وهو أبو السبط مروان بن أبي الجنوب بن مروان الاكبر المذكور وكان من شعراء عصره المشاهير المتقدمين وذكر المبرد في كتاب الكامل طرفا من اخبار عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الانصاري ثم قال وروي ان عبد الرحمن المذكور لدغه زنبور فجاء أباه يبكي فقال له مابك قال لسعني طائر كانه ملتف في بردي حبرة فقال أبوه قلت الشعر والله ثم قال بعد ذلك واعرف قوما كانوا في الشعر الى حسان فانهم كانوا يعدون ستة في نسق كلهم شاعر وهم سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام ويعد هؤلاء في الوقت الى أبي حفصة فانهم أهل بيت كل واحد منهم شاعر يتوارثونه كابرا عن كابر ويحيي بن أبي حفصة كنيته أبو جميل وأمه حبابنت ميمون يقال انها من ولد النابغة الجعدي وان الشعر أتى الى أبي حفصة بذلك السبب وكل واحد من هؤلاء كان يضرب بلسانه ارنبة انفه وهو دليل على الفصاحة والبلاغة والله تعالى أعلم

أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري

صاحب الصحيح أحد الائمة الحفاظ واعلام المحدثين رحل الى الحجاز والعراق والشام ومصر وسمع يحيي بن يحيي النيسابوري واحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وعبد الله ابن مسلمة القعنبي وغيرهم وقدم بغداد غير مرة فروى عنه أهلها وآخر قدومه اليها في سنة تسع وخمسين ومائتين وروى عنه الترمذي وكان من الثقات وقال محمد الماسرجسي سمعت مسلم بن الحجاج يقول صنفت هذا المسند الصحيح من ثلثمائة ألف حديث مسموعة وقال الحافظ أبو علي النيسابوري ماتحت اديم السماء أصح من كتاب مسلم في علم الحديث وقال الخطيب البغدادي كان مسلم يناضل عن البخاري حتى أوحش ما بينه وبين محمد بن يحيي الذهلي بسببه وقال أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ لما استوطن البخاري نيسابور أكثر مسلم من الاختلاف اليه فلما وقع بين محمد بن يحيي والبخاري ماوقع في مسئلة اللفظ ونادى عليه ومنع الناس من الاختلاف اليه حتى هجر وخرج من نيسابور في تلك المحنة قطعه أكثر الناس غير مسلم فانه لم يتخلف عن زيارته فانهى الى محمد بن يحيي ان مسلم بن الحجاج على مذهبه قديما وحديثا وانه عوتب على ذلك بالحجاز والعراق ولم يرجع عنه فلما كان يوم مجلس محمد بن يحيي قال في آخر مجلسه ألا من قال باللفظ فلا يحل ان يحضر مجلسنا فأخذ مسلم الرداء فوق عمامته وقام على رؤس الناس وخرج من مجلسه وجمع كل ما كتب منه وبعث به على ظهر حمال الى باب محمد بن يحيي فاستحكمت بذلك الوحشة وتخلف عنه وعن زيارته وتوفي مسلم المذكور عشية يوم الاحد ودفن بنصراباد ظاهر نيسابور يوم الاثنين لخمس وقيل لست بقين من

شهر رجب الفرد سنة احدى وستين ومائتين بنيسابور وعمره خمس وخمسون سنة هكذا وجدته فى بعض الكتب ولم أر أحدا من الحفاظ ضبط مولده ولا تقدير عمره واجمعوا على انه ولد بعد المائتين وكان شيخنا تقى الدين أبو عمرو عثمان المعروف بابن الصلاح يذكر مولده وغالب ظنى انه قال سنة اثنتين ومائتين ثم كشفت ما قاله ابن صلاح الدين فاذا هو فى سنة ست ومائتين نقل ذلك من كتاب علماء الامصار تصنيف الحاكم أبى عبد الله بن البيع النيسابورى الحافظ ووقفت على الكتاب الذى نقل منه وملكت النسخة التى نقل منها أيضا وكانت ملكه وبيعت فى تركته ووصلت الى وملكتها وصورة ما قاله بأن مسلم بن الحجاج توفى بنيسابور لخمس بقين من شهر رجب الفرد سنة احدى وستين ومائتين وهو ابن خمس وخمسين سنة فتكون ولادته فى سنة ست ومائتين والله أعلم رحمه الله تعالى وقد تقدم الكلام على القشيرى صاحب الرسالة فاغنى عن الاعادة وأما محمد بن يحيى المذكور فهو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس بن ذؤيب الذهلى النيسابورى وكان أحد الحفاظ الاعيان روى عنه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه والقزوينى وكان ثقة مأمونا وكان سبب الوحشة بينه وبين البخارى انه لما دخل البخارى مدينة نيسابور شعث عليه محمد بن يحيى فى مسئلة خلق اللفظ وكان قد سمع منه فلم يمكنه ترك الرواية عنه وروى عنه فى الصوم والطب والجنائز والعتق وغير ذلك مقدار ثلاثين موضعا ولم يصرح باسمه فيقول حدثنا محمد بن يحيى الذهلى بل يقول حدثنا محمد ولا يزيد عليه ويقول محمد بن عبد الله فينسبه الى جده وينسبه أيضا الى جد أبيه وتوفى محمد المذكور سنة اثنين وقيل سبع وقيل ثمان وخمسين ومائتين رحمه الله تعالى والله أعلم

أبو المعالى مسعود بن محمد بن مسعود النيسابورى الطريثيثى الفقيه الشافعى الملقب قطب الدين

تفقه بنيسابور ومرو على أئمتها وسمع الحديث من غير واحد ورأى الاستاذ ابا نصر القشيرى ودرس بالمدرسة النظامية بنيسابور نيابة عن ابن الجوينى وكان قد قرأ القرآن الكريم والادب على والده وقدم بغداد ووعظ بها وتكلم فى المسائل فاحسن وقدم بدمشق سنة أربعين وخمسمائة ووعظ بها وحصل له قبول ودرس بالمدرسة المجاهدية بالزاوية الغربية من جامع دمشق بعد موت الفقيه أبى الفتح نصر الله المصيصى وذكره الحافظ ابن عساكر فى تاريخ دمشق ثم خرج الى حلب وتولى التدريس فى المدرستين اللتين بناهما نور الدين محمود وأسد الدين شيركوه ثم مضى الى همدان وتولى التدريس بها ثم رجع الى دمشق ودرس بالزاوية الغربية وحدث وتفرد برياسة أصحاب الشافعى رضى الله عنه وكان عالما صالحا صنف كتاب الهادى فى الفقه وهو مختصر نافع لم يأت فيه الا بالقول الذى عليه الفتوى وجمع للسلطان صلاح الدين عقيدة تجمع جميع ما يحتاج

اليه فى أمر دينه وحفظها أولاده الصغار حتى ترسخ فى اذهانهم من الصغر قال ابن شداد فى سيرة السلطان ورأيته يعنى السلطان وهو يأخذها عليهم وهم يقرؤنها بين يديه من حفظهم وكان متواضعا قليل الصنع مطرحا للتكليف وكانت ولادته سنة خمس وخمسمائة فى الثالث عشر من شهر رجب الفرد وتوفى فى آخر يوم من شهر رمضان المعظم سنة ثمان وسبعين وخمسمائة بدمشق وصلى عليه يوم العيد وكان نهار الجمعة ودفن بالمقبرة التى أنشأها جوار مقبرة الصوفية غربى دمشق وزرت قبره غير مرة رحمه الله تعالى وكان والده من طريثيث وقد تقدم الكلام عليها فى ترجمة عبد الملك الكندرى فلا حاجة الى اعادته وهى من نواحى نيسابور فقال بعض أصحابه أنشدنا الشيخ قطب الدين لبعضهم

يقولون ان الحب كالنار فى الحشا * الا كذبوا فالنار تذكو وتخمد
وماهى الاجذوة مس عودها * ندى فهى لاتخبو ولا تتوقد

والله تعالى أعلم بالصواب

الشريف البياضى أبو جعفر مسعود بن عبد العزيز بن المحسن بن الحسن بن عبد الرزاق البياضى الشاعر المشهور

هكذا وجدته بخط بعض الحفاظ المتقنين ورأيت فى اول ديوانه انه أبو جعفر مسعود بن المحسن بن عبد الوهاب بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن على ابن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشى الهاشمى والله أعلم بالصواب وهو من الشعراء المجيدين فى المتأخرين وديوان شعره صغير وهو فى غاية الحسن والرقة وليس فيه من المدائح الا اليسير فمن أحسن شعره قصيدته القافية التى اولها

ان غاض دمعك والركاب تساق * مع مابقلبك فهو منك نفاق
لاتحبسن ماء الجفون فانه * لك يالديغ هواهم ترياق
واحذر مصاحبة العذول فانه * مغبر وظاهر عذله اشفاق
لا يبعدن زمن مضت ايامه * وعلى متون غصونها أوراق
ايام نرجسنا العيون وودنا * غض الخدود وخمرنا الارياق
ولنا بزوراء العراق مواسم * كانت تقام لطيبها اسواق
فلئن بكت عينى دما شوقا الى * ذاك الزمان فمثله يشتاق
اين الاغيلمة الألى لولاهم * ما كان طعم هوى الملاح يذاق

ومنها

وكانما أرواحهم بأكفهم * أجسامهم ونصولها الاحداق
شنوا الاغارة فى القلوب باعين * لا يرتجى لاسيرها اطلاق
واستعذبوا ماء العيون فعذبوا * الاسراء حتى درت الاماق
ونمى الحديث بأنهم نذروا دمى * اولى دم يوم الفراق يراق

وله وهو مما يغنى به

كيف يذوى عشب اشواقى * ولى طرف مطير
ان يكن فى العشق حر * فانا العبد الاسير
أو على الحسن زكاة * فانا ذاك الفقير

وله أيضا

يا ليلة بات فيها البدر معتنقى * الى الصباح بلا خوف ولا حذر
كلامه الدر يغنى عن كواكبها * ووجهه عوض فيها عن القمر
فبينما انا ارعى فى محاسنه * سمعى وطرفى اذ أذنت بالسحر
ولم يكن عيبها الا تقاصرها * وأى عيب لها اشنى من القصر
وددت لو انها طالت على ولو * أمددتها بسواد القلب والبصر

والبيت الاخير منها ينظر الى قول أبى العلاء بن سليمان المعرى وهو

يود أن ظلام الليل دام له * وزيد فيه سواد القلب والبصر

وشعره كله على هذا الاسلوب وقد تقدم له بيتان فى ترجمة صردر الشاعر وتوفى البياضى المذكور يوم الثلاثاء سادس عشر ذى القعدة سنة ثمان وستين وأربعمائة ببغداد ودفن بمقبرة باب ابرزواغا قيل له البياضى لان أحد أجداده كان فى مجلس بعض الخلفاء مع جماعة من العباسيين وكانوا قد لبسوا سوادا ما عداه فانه كان قد لبس بياضا فقال الخليفة من ذلك البياضى فثبت ذلك الاسم عليه واشتهر به وذكر ابن الجوزى فى كتاب الالقاب ان صاحب هذه الواقعة هو محمد بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن على بن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنهم أجمعين وهو الذى يقال له البياضى ورأيت بخط اسامة بن منقذ المقدم ذكره ان الذى لقبه بهذا اللقب هو الخليفة الراضى بالله والله تعالى أعلم

أبو الفتح مسعود بن محمد بن ملكشاه بن ألب ارسلان السلجوقى الملقب غياث الدين أحد ملوك السلجوقية المشاهير

سلجوقى

وقد تقدم ذكر والده وأخيه محمود وجماعة من أهل بيته كان مسعود المذكور قد سلمه والده فى سنة خمس وخمسمائة الى الامير مودود صاحب الموصل ليربيه فلما قتل مودود فى سنة سبع وخمسمائة وتولى الامير آق سنقر البرسقى المذكور فى حرف الهمزة مكان حكمه سلمه والده اليه أيضا ثم أرسله من بعده الى جوش بك صاحب الموصل أيضا فلما توفى والده وتولى موضعه ولده محمود المقدم ذكره أخذ جوش بك يحسن لمسعود المذكور الخروج على أخيه محمود وأطمعه فى السلطنة ولم يزل على ذلك حتى جمع العساكر واستكثر منها وقصد أخاه والتقيا بالقرب من همذان فى ربيع الاول سنة أربع عشرة وخمسمائة وكان النصر لمحمود وقتل فى هذه الواقعة الاستاذ أبو اسماعيل الطغراى وقد سبق شئ من خبره فى حرف الحاء ثم تنقلت الاحوال

وتقلبت بمسعود المذكور واستقل بالسلطنة سنة ثمان وعشرين وخمسمائة وقصد
بغداد واستوزر شرف الدين أنوشران بن خالد القاشانى الذى كان وزير المسترشد وقد
تقدم ذكره فى ترجمة الحريرى صاحب المقامات وكان سلطانا عادلا لين الجانب كبير
النفس فرق مملكته على أصحابه ولم يكن له من السلطنة غير الاسم وكان مع لين جانبه
ما ناواه أحد الا وظفر به وقتل من الامراء الاكابر خلقا كثيرا ومن جملة من قتل
الخليفتان المسترشد بالله والراشد لانه كان قد وقع بينه وبين الخليفة المسترشد وحشة قبل
استقلاله فى السلطنة فلما استقل استطال نوابه على العراق وعارضوا الخليفة فى املاكه
فقويت الوحشة بينهما وتجهز المسترشد وخرج لمحاربته وكان السلطان مسعود
بهمدان فجمع جيشا عظيما وخرج للقائه وتصافا بالقرب من همدان فكسر عسكر الخليفة
وأسر هو وأرباب دولته وأخذه السلطان مسعود مأسورا وطاف به بلاد اذربيجان وقتل
على باب المراغة حسبما شرحناه فى ترجمة دبيس بن صدقة ثم أقبل مسعود على الاشتغال
باللذات والانعكاف على مواصلة وجوه الراحات متكلا على السعادة يعمل له ما يؤثره
الى ان حدث له علة القيء وغلبة الغثيان واستمر به ذلك الى ان توفى فى حادى عشر جمادى
الآخرة سنة سبع وأربعين وخمسمائة وقيل يوم الاربعاء الثانى والعشرين من الشهر
المذكور بهمدان ودفن فى مدرسة بناها جمال الدين اقبال الخادم وقال ابن الازرق
الفارقى فى تاريخه رأيت السلطان المذكور ببغداد فى السنة المذكورة وسار الى همدان
ومات بباب همدان وحمل الى أصبهان رحمه الله تعالى وقد تقدم شئ من خبره فى ترجمة
دبيس بن صدقة صاحب الحلة ومولده يوم الجمعة لثلاث خلون من ذى القعدة سنة
اثنين وخمسين وخمسمائة ولما ولى السلطنة جرت بينه وبين عمه سنجر المقدم ذكره منازعة
ثم خطب له بعد عمه المذكور ببغداد يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلت من صفر سنة سبع
وعشرين وخمسمائة والله أعلم

عز الدين مسعود

أبو الفتح وأبو المظفر مسعود بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكى بن آق سنقر
اتابك صاحب الموصل الملقب عز الدين

قد تقدم خبر جده وجد أبيه وخبر ولده نور الدين ارسلان شاه وغيرهم من أهل بيته
وسيأتى ذكر أبيه فى هذا الحرف ان شاء الله تعالى ولما توفى والده قام بالملك ولده سيف
الدين غازى المقدم ذكره لانه كان أكبر الاخوة وكان قد خلف هذين الولدين
وعماد الدين زنكى صاحب سنجار المذكور عقيب ترجمة جده عماد الدين زنكى وكان
عز الدين المذكور مقدم الجيوش فى ايام أخيه غازى ولما خرج السلطان صلاح الدين
من الديار المصرية بعد وفاة الملك العادل نور الدين محمود المقدم ذكره وأخذ
دمشق وتقدم الى حلب وحاصرها انخاف غازى منه وعلم انه قد استفحل أمره وعظم
شأنه واستشعر أنه متى استحوذ على الشام تعدى الامر اليه فجهز جيشا عظيما وقدم

عليه اتابكه عز الدين مسعود المذكور وسار يريد لقاء السلطان وضرب المصاف معه ليرده عن البلاد فلما بلغ السلطان خروجه رحل عن حلب وذلك في مستهل رجب الفرد سنة سبعين وخمسمائة وسار الى حمص واخذ قلعتها وكان قد أخذ البلاد في جمادى الاولى من السنة المذكورة بعد خروجه من دمشق قاصدا حلب ووصل عز الدين مسعود الى حلب لنجدة ابن عمه الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين صاحب حلب هذا ما كان في الصورة الظاهرة وفي الباطن كان غرضهم ما ذكرناه من خوفهم على بلادهم فانضم الى عز الدين مسعود عسكر حلب وخرج في جمع كثير ولما عرف السلطان مسيرهم سار حتى وافاهم على قرون حماة وراسلهم وراسلوه واجتهد في ان يصالحوه فلم يفعلوا ورأوا ان ضرب المصاف معه ربما نالوا به الغرض الاكبر والمقصود الاوفر والقضاء يجر الى أمور لا يشعرون بها فقام المصاف بين العسكرين وقضى الله تعالى أن انكسر جيش عز الدين واسر السلطان جماعة من أمرائه ثم أطلقهم وذلك يوم الاحد التاسع عشر من شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة وهذه الواقعة من الوقائع المشهورة ثم سار السلطان عقيب الكسرة الى حلب ونزل عليها وهي الدفعة الثانية فصالحه الملك الصالح اسماعيل على أخذ المعرة وكفرطاب وبارين ثم رحل عنها وشرح ذلك يطول وتتمة هذه القضية مذكورة في ترجمة أخيه سيف الدين غازي ولما توفي أخوه سيف الدين في التاريخ المذكور في ترجمته استقل عز الدين المذكور بالملك من بعده ولم يزل الى ان حضرت الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين الوفاة في التاريخ المذكور في ترجمة أبيه نور الدين فاوصى بمملكة حلب وما معها لابن عمه عز الدين مسعود المذكور واستحلف له الامراء والاجناد فلما توفي وبلغ الخبر عز الدين مسعود بادر متوجها اليها خوفا من صلاح الدين ان يسبقه فيأخذها وكان وصوله اليها في العشرين من شعبان سنة سبع وسبعين وخمسمائة وصعد القلعة واستولى على ما بها من الخزائن والحواصل وتزوج أم الملك الصالح في خامس شوال من السنة وأقام بها الى سادس عشر شوال ثم علم انه لا يمكنه حفظ الشام والموصل وخاف من جانب صلاح الدين وألح عليه الامراء في طلب الزيادات وتبسطوا عليه في المطالب وضاق عنهم عطنه وكان المستولي على أمره مجاهد الدين قايماز الزيني المقدم ذكره في حرف القاف فرحل عن حلب وخلف بها مظفر الدين ولده ومظفر الدين بن زين الدين صاحب اربل المذكور في حرف الكاف ولما وصل الى الرقة لقيه بها أخوه عماد الدين زنكي صاحب سنجار فقرر معه مقايضة حلب بسنجار وتحالفا على ذلك وسير عماد الدين من يتسلم حلب وسير عز الدين من يتسلم سنجار وفي ثالث عشر المحرم سنة ثمان وسبعين وخمسمائة صعد عماد الدين الى قلعة حلب وكان قد تقرر الصلح بين عز الدين المذكور وابن عمه الملك الصالح وبين صلاح الدين على يد قليج ارسلان صاحب الروم وصعد السلطان صلاح الدين الى الديار المصرية واستناب بدمشق ابن

أخيه عز الدين فروخ شاه بن شاهان شاه بن أيوب فلما بلغه خبر وفاة الملك الصالح وهذه الامور المتجددة عاد الى الشام وكان وصوله الى دمشق في سابع عشر صفر سنة ثمان وسبعين وبلغه بها ان رسول عز الدين مسعود وصل الى الفرنج يحثهم على قتال السلطان ويبعثهم على قصده فعلم انه قد غدر به ونكث اليمين فعزم على قصد حلب والموصل وأخذ في اهب الحرب فبلغ عماد الدين صاحب حلب ذلك فسير الى أخيه صاحب الموصل يعلمه ذلك ويستدعي منه العساكر فسار السلطان صلاح الدين من دمشق ونزل على حلب في ثاني عشر جمادى الاولى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة وأقام عليها ثلاثة أيام ثم رحل في الحادي والعشرين من الشهر ثم جاءه مظفر الدين بن زين الدين صاحب اربل وكان يومئذ في خدمة صاحب الموصل وهو صاحب حران وكان قد استوحش من عز الدين مسعود صاحب الموصل وخاف من مجاهد الدين قايماز الزيني المذكور في حرف القاف فالتجأ الى السلطان صلاح الدين وقطع الفرات وعبر اليه وقوى عزمه على قصد بلاد الجزيرة وسهل أمرها عليه فعبر السلطان صلاح الدين الفرات وأخذ الرها والرقة ونصيبين وسروج ثم اشحن على بلاد الخابور واقطعها وتوجه الى الموصل ونزل عليها يوم الخميس حادي عشر رجب سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ليحاصرها فأقام اياما وعلم انه بلد عظيم لا يحصل منه شيء بالمحاصرة وان طريق أخذه أخذ قلاعه وبلاده واضعاف أهله على طول الزمان فرحل عنها ونزل على سنجار في سادس عشر شعبان من السنة وأخذها في شهر رمضان المعظم وأعطاها لابن أخيه الملك المظفر تقي الدين عمر المقدم ذكره وشرح ذلك يطول وخلاصة الامر انه رجع الى الشام فكان وصوله الى حران في اول ذي القعدة ثم عاد الى منازلة الموصل وكان وصوله اليها في اول شهر ربيع الاول سنة احدى وثمانين ونزلت اليه والدة عز الدين ومعها جماعة من نساء بني اتابك وابنة نور الدين ارسلان شاه بن مسعود وقد سبق ذكره في حرف الهمزة وطلبت منه المصالحة فردها خائبة ظنا منه ان عز الدين أرسلها عجزا عن حفظ الموصل واعتذر باعذار ندم عليها بعد ذلك وبذل أهل الموصل نفوسهم في القتال لكونه رد النساء والولد بالخيبة فأقام عليها الى ان أتاه خبر وفاة شاه أرمن ناصر الدين محمد بن ابراهيم بن سكمان القبطي صاحب خلاط وقيام مملوكه بكتمر بالامر من بعده وطمع فيه من جاوره من الملوك وعزموا على قصده فسير الى السلطان وأطمعه في خلاط وقرر معه تسليمها اليه وان يعوضه عنها ما يرضيه وكانت وفاة شاه أرمن يوم الخميس تاسع شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة فرحل السلطان صلاح الدين عن الموصل لهذا السبب في العشرين من الشهر المذكور وتوجه نحو خلاط وفي مقدمته مظفر الدين صاحب اربل وهو يومئذ صاحب حران وناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه وهو ابن عم صلاح الدين فنزلوا بالطوانة البليدة التي هي بالقرب من خلاط وسير الرسل الى بكتمر لتقرير القاعدة

وصلت الرسل اليه وشمس الدين بهلوان بن الدكز صاحب أذربيجان واران وعراق
العجم قد قرب من خلاط ليحاصرها فبعث اليه بكتمر يعرفه انه ان لم يرجع عنه والا سلم
البلاد الى السلطان صلاح الدين فصالحه وزوجه ابنته ورجع عنه وسير بكتمر الى
السلطان صلاح الدين يعتذر عما قاله من تسليم خلاط وكان السلطان قد نزل على
ميافارقين يحاصرها فقاتلها قتالا شديدا ثم أخذها عن صلح بالخديعة فى التاسع
والعشرين من جمادى الاولى من السنة المذكورة وكان صاحبها قطب الدين غازى بن
الى بن كرماس بن غازى بن ارتق فمات وتركها لولده حسام الدين يولق ارسلان وهو
طفل صغير فطمع فى أخذها من واليها فأخذها ولما ايس السلطان من خلاط عاد الى
الموصل وهى الدفعة الثالثة ونزل بعيدا عنها بموضع يقال له كفرزمار فأقام به مدة وكان
الحر شديدا فمرض السلطان مرضا شديدا أشفى على الموت فرحل طالبا حران فى مستهل
شوال من السنة ولما علم عز الدين مسعود المذكور بمرض السلطان وانه رقيق
القلب انتهز الفرصة وسير القاضى بهاء الدين بن شداد الآتى ذكره ان شاء الله تعالى فى
حرف الباء ومعه بهاء الدين الربيب فوصلا الى حران فى الرسالة والتماس الصلح فأجاب
الى ذلك وحلف يوم عرفة من السنة وقد تماثل الصحة ولم يتغير عن تلك اليمين الى أن مات
رحمه الله تعالى ثم رحل الى الشام فأمن حينئذ عز الدين مسعود وطابت نفسه ولم يزل
على ذلك الى أن توفى فى السابع والعشرين من شعبان سنة تسع وثمانين وخمسمائة بعلة
الاسهال وكان قد بنى بالموصل مدرسة كبيرة وقفها على الفقهاء الشافعية والحنفية
ودفن بهذه المدرسة فى تربة هى داخلها رحمه الله تعالى ورأيت المدرسة والتربة وهى
من أحسن المدارس والترب ومدرسة ولده نور الدين ارسلان شاه فى قبالتها وبينهما ساحة
كبيرة ولما مات خلف ولده نور الدين المذكور وقد تقدم ذكره فى حرف الهمزة ولما مات
نور الدين فى التاريخ المذكور فى ترجمته خلف ولدين أحدهما الملك القاهر عز الدين
مسعود والآخر المنصور عماد الدين زنكى ولما حضرته الوفاة قسم البلاد بينهما فأعطى
الملك القاهر وهو الاكبر الموصل وأعمالها واعطى عماد الدين العمادية والعقر
وتلك النواحى فأما الملك القاهر فكانت ولادته فى سنة تسعين وخمسمائة بالموصل
وتوفى بها فجاءة يوم الاثنين لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة وستمائة
وكان قد بنى مدرسة أيضا فدفن بها وأما عماد الدين فانه أخذ بعد موت أخيه الملك
القاهر قلعة العمادية ثم أخذت منه وهى من أحسن القلاع بجبل الهكارية من أعمال
الموصل وكذلك عدة قلاع مما يجاورها وانتقل الى اربل وكان زوج ابنة مظفر الدين
صاحب اربل فأقام بها زمانا وكان فى جواره وكان من أحسن الناس صورة ثم قبض عليه
مظفر الدين لامر يطول شرحه وسيره الى سنجار الى الملك الاشرف بن الملك العادل
الآتى ذكره ان شاء الله تعالى فأفرج عنه الملك الاشرف وعاد الى اربل وقابضه مظفر

الدين عن العقر بشهرزور وأعمالها فانتقل اليها وأقام بها الى أن توفى فى حدود سنة ثلاثين وستمائة وخلف ولدا اقام بعده قليلا ثم مات رحمهما الله تعالى ولما مات عز الدين مسعود بن ارسلان شاه خلف ولدين نور الدين ارسلان شاه وكان عمياء عليا فى حياة جده ارسلان شاه فلما مات جده نور الدين سموه باسمه وناصر الدين محمود فتولى بعده نور الدين المذكور وكان تقدير عمره عشر سنين وبقى بعد أبيه قليلا وتوفى فى بقية السنة وتولى أخوه بعده ناصر الدين محمود والمدبر لامر المملكة بدر الدين لؤلؤ الذى ملك الموصل فيما بعد وتوفى بهلوان بن الذكر المذكور فى سلخ ذى الحجة سنة احدى وثمانين وخمسمائة رحمه الله تعالى وتوفى والده شمس الدين الذكر الاتابك فى أواخر شهر ربيع الآخر سنة سبعين وخمسمائة بنقجوان ودفن بها رحمه الله تعالى وكان أتابك السلطان ارسلان شاه بن طغرلبك بن محمد بن ملكشاه بن محمد السلجوقى وبعد الذكر بمقدار شهر توفى ارسلان شاه المذكور بهمدان رحمه الله تعالى وقتل قزل بن الذكر المذكور فى أوائل شعبان سنة سبع وثمانين وخمسمائة وكان ملكا كبيرا وهو ابن الذكر المذكور رحمهم الله تعالى أجمعين والله تعالى أعلم بالصواب

أبو ايوب مطرف بن مازن الكنانى بالولاء وقيل القيسى بالولاء الصنعانى

ولى القضاء بصنعاء اليمن وحدث عن عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج وجماعة كثيرة وروى عنه الامام الشافعى رحمة الله تعالى عليه وخلق كثير واختلفوا فى روايته فنقل عن يحيى بن معين انه سئل عنه فقال كذاب وقال النساءى مطرف بن مازن ليس بثقة وقال السعدى مطرف بن مازن الصنعانى يتثبت فى حديثه حتى يلى ماعنده وقال أبو حاتم محمد ابن حبان البستى مطرف بن مازن الكنانى قاضى اليمن يروى عن معمر وابن جريج وروى عنه الشافعى وأهل العراق وكان يحدث بما لايسمع ويروى مالايكتب عمن لم يره ولا تجوز الرواية عنه الا عند الخواص للاعتبار فقط قال حاجب بن سليمان كان مطرف بن مازن قاضى صنعاء وكان رجلا صالحا وذكر عنه حكاية فى ابراره قسم من أقسم على أمر شنيع يفعله به وذكر أبو احمد عبد الله بن عدى الجرجانى أحاديث من روايه مطرف ابن مازن وقال لمطرف غير ماذكرت افراد يتفرد بها عمن يرويها عنه ولم أر فيما يرويه شيأ منكرا وقال أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى أخبرنا أبو سعيد قال حدثنا أبو العباس قال اخبرنا الربيع قال قال الشافعى رضى الله تعالى عنه وقد كان من حكام الآفاق من يستحلف على المصحف وذلك عندى حسن وقال واخبرنى مطرف بن مازن باسناد لا أحفظه أن ابن الزبير امر بان يحلف على المصحف قال الشافعى رضى الله عنه ورأيت مطرفا بصنعاء اليمن يحلف على المصحف وقال غيره قال الشافعى رضى الله عنه ورأيت ابن مازن وهو قاضى صنعاء يغلظ باليمين بالمصحف وتوفى مطرف المذكور بالرقة وقيل بمنبج وكانت وفاته فى اواخر خلافة هارون الرشيد وتوفى هارون الرشيد ليلة السبت لثلاث

مطرد

خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة بطوس وكانت ولايته يوم الجمعة
لاربع عشرة ليلة بقيت من ربيع الاول سنة سبعين ومائة رحمه الله تعالى وهذا مطرف
ليس من المشاهير الذين يحتاج الى ذكرهم والذى حملنى على ذكره ان الشيخ أبا اسحاق
الشيرازى رحمه الله تعالى ذكره فى كتاب المهذب فى باب اليمين فى الدعاوى وفى فصل
التغليظ فقال وان حلف بالمصحف وما فيه من القرآن فقد حكى الشافعى رضى الله عنه عن
مطرف بن مازن أن ابن الزبير رضى الله عنهما كان يحلف على المصحف قال ورأيت مطرفا
بصنعا يستحلف على المصحف قال الشافعى رضى الله عنه وهو حسن انتهى كلام صاحب
المهذب ورأيت الفقهاء يسألون عن مطرف المذكور ولا يعرفه أحد حتى غلط فيه
صاحبنا عماد الدين أبو المجد اسماعيل بن ابى البركات هبة الله بن ابى الرضى بن باطيش
الموصلى الفقيه الشافعى فى كتابه الذى وضعه على المهذب فى اسماء رجاله والكلام على
غريبه فقال مطرف بن عبد الله بن الشخير ثم قال وتوفى سنة سبع وثمانين يعنى للهجرة
فيالله العجب شخص يموت فى هذا التاريخ كيف يمكن ان يراه الشافعى رضى الله عنه
ومولد الشافعى سنة خمسين ومائة بعد موت ابن الشخير بثلاث وستين سنة وما ادرى كيف
وقع هذا الغلط فلو انه ما حكى تاريخ وفاته كان يمكن ان يقال ظن انه ادركه الشافعى
ولما انتهيت فى هذه الترجمة الى هذا الموضع رايت فى تاريخ ابى الحسن عبد الباقى
ابن قانع الذى جعله مرتبا على السنين ان مطرف بن مازن توفى سنة احدى وتسعين
ومائة وهذا يوافق ما قاله الاول من انه توفى فى اواخر خلافة هارون الرشيد والذى
افادنى هذه الترجمة على الصورة المحكية فى الاول هو الشيخ الحافظ زكى الدين ابو محمد
عبد العظيم المنذرى نفع الله به ومطرف بضم الميم وفتح الطاء المهملة وتشديد الراء
المكسورة وبعدها فاء والباقى معروف فلا حاجة الى ضبطه وتقييده واما مطرف الذى
ذكره عماد الدين فهو ابو عبد الله مطرف بن عبد الله بن الشخير بن عوف بن كعب
ابن وقدان بن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن
منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان الحرشى
كان فقيها وكان لوالده عبد الله صحبة وكان مطرف من اعبد الناس وانسكهم فذكروا
انه وقع بينه وبين رجل منازعة فرفع يديه وكان ذلك فى مسجد البصرة وقال اللهم
انى اسألك ان لا يقوم من مجلسه حتى تكفينى اياه فلم يفرغ مطرف من كلامه حتى صرع
الرجل فمات واخذ مطرف وقدموه الى القاضى فقال القاضى لم يقتله وانما دعا عليه
فاجاب الله دعاءه فكان بعد ذلك تتقى دعوته ومات فى سنة سبع وثمانين من الهجرة وقال
ابن قانع سنة خمس وتسعين والله تعالى اعلم

ابو منصور المظفر بن ابى الحسن بن اردشير بن ابى منصور العبادى
الواعظ المروزى الملقب قطب الدين المعروف بالامير

كان من اهل مرو وله اليد الطولى فى الوعظ والتذكير وحسن العبارة ومارس هذا الفن من صغره الى كبره ومهر فيه حتى صار ممن يضرب به المثل فى ذلك وصار عين ذلك العصر وشهد له الكل بالتفضل وحيازة قصب السبق وقدم بغداد فأقام بها قريبا من ثلاث سنين يعقد له فيها مجالس الوعظ ولقى من الخلق قبولا تاما وحظى عند الامام المقتفى لامر الله ثم خرج منها رسولا الى جهة السلطان سنجر بن ملكشاه السلجوقى المقدم ذكره فوصل الى خراسان ثم عاد الى بغداد وخرج منها الى خوزستان فى رسالة فمات بعسكر مكرم فى سلخ ربيع الآخر يوم الخميس وقيل الاثنين سنة سبع وأربعين وخمسمائة وحمل تابوته الى بغداد ودفن بها فى الشونيزية فى حظيرة الشيخ الجنيد بن محمد العبد الصالح رضى الله عنه ومولده فى شهر رمضان سنة احدى وتسعين واربعمائة وسمع الحديث الكثير بنيسابور من أبى على نصر الله بن أحمد بن عثمان الخشنامى وأبى عبد الله اسماعيل بن الحافظ عبد الغافر الفارسى وغيرهما وروى عنه الحافظ أبو سعيد السمعانى وقال عنه كان صحيح السماع ولم يكن موثوقا به فى دينه رأيت منه اشياء وطالعت بخطه رسالة جمعها فى اباحة شرب الخمر سامحه الله تعالى وعفا عنه وكان والده أبو الحسن يعرف بالامير أيضا وكان مليح الوعظ حسن السيرة توفى سنة نيف وتسعين واربعمائة رحمهما الله تعالى والعبادى بفتح العين المهملة وتشديد الباء الموحدة وبعد الالف دال مهملة هذه النسبة الى سنج عباد وهى قرية من قرى مرو وسنج بكسر السين المهملة وسكون النون وبعدها جيم وباعمال مرو أيضا قرية كبيرة يقال لها سنج منها الفقيه أبو على السنجى وقد تقدم ذكره فى حرف الحاء وتكلمنا على سنج هنالك فلا يظن ظان انهما موضع واحد بل هما قريتان وقد نبه على ذلك جماعة من أرباب هذا الفن وأما ازدشير فقد تقدم الكلام على ضبطه فى ترجمة الوزير سابور فلا حاجة الى اعادته والله تعالى أعلم

مظفر

أبو العز مظفر بن ابراهيم بن جماعة بن على بن شامى بن احمد بن ناهض
ابن عبد الرزاق الشاعر العيلانى الحنبلى المذهب الملقب
موفق الدين الشاعر المشهور المصرى

كان أديبا عروضيا شاعرا مجيدا صنف فى العروض مختصرا جيدا دل على حذقه فيه وله ديوان شعر رائق وكان ضريرا فمن شعره

قالوا عشقت وأنت اعمى * ظبيا كحيل الطرف المى
وحلاه ما عاينتها * فتقول قد شغلتك وهما
وخياله بك فى المنا * م فما أطاف ولا ألما
من أين ارسل للفؤا * د وانت لم تنظره سهما
وبأى جارحة وصلت * لوصفه نثرا ونظما

فاجبت انى موسوى * العشق انما نا وقيهما
أهوى بجارحة السما * ع ولا ارى ذاك المسمى

ولقد ذكرتني هذه الابيات ابياتا بالرجل ضريرا أيضا والشئ بالشئ يذكر وهى هذه

وغادة قالت لاترابها * ياقوم ما اعجب هذا الضرير
ايعشق الانسان مالا يرى * فقلت والدمع بعينى غزير
ان لم تكن عينى رأت شخصها * فانها قد مثلت فى الضمير

ومثل هذا قول المهذب عمر بن محمد المعروف بابن الشيخ الموصلى الاديب الشاعر المشهور من جملة قصيدة طويلة مدح بها السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب والبيت المقصود قوله

وانى امرؤ احببتكم لمكارم * سمعت بها والاذن كالعين تعشق

وقد أخذ هذا المعنى من قول بشار بن برد المقدم ذكره

ياقوم اذنى لبعض الحى عاشقة * والاذن تعشق قبل العين احيانا

وكان الوزير صفى الدين أبو محمد عبد الله بن على عرف بابن شكر قد عاد من الشام الى مصر فخرج أصحابه لتلقيه الى الخشبي المنزلة المجاورة للعباسة فكتب مظفر المذكور اليه هذه الابيات يعتذر من تأخره عن الخروج اليه وهى

قالوا الى الخشبي سرنا على عجل * نلقى الوزير جميعا من ذوى الرتب
ولم تسر أيها الاعمى فقلت لهم * لم اخش من تعب ألقى ولا نصب
وانما النار فى قلبى لوحشته * خفت اجمع بين النار والخشب

وهذا المعنى مطروق لكنه استعمله حسنا وأخبرنى أحد أصحابه ان شخصا قال له رأيت فى بعض تآليف أبى العلاء المعرى ماصورته اصلحك الله وأبقاك لقد كان من الواجب ان تأتينا اليوم الى منزلنا الخالى لكى نحدث عهدا بك يازين الاخلا فما مثلك من غير عهدا وغفل وسأله من أى الابحر هذا وهل هو بيت واحد أم اكثر فان كان أكثر فهل أبياته على روى واحد أم هى مختلفة الروى قال فافكر فيه ثم أجابه بجواب حسن فلما قال لى المخبر ذلك قلت له اصبر على حتى انظر فيه ولا تقل ما قاله ثم افكرت فيه فوجدته يخرج من بحر الرجز وهو الجزء منه وتشتمل هذه الكلمات على أربع أبيات على روى اللام وهى على صورة يسوغ استعمالها عند العروضيين ومن لا يكون له بهذا الفن معرفة فانه ينكرها لاجل قطع الموصول منها ولا بد من الاتيان بها لتظهر صورة ذلك وهى

أصلحك الله وابقاك لقد كان من ال * واجب ان تأتينا اليوم الى منزلنا ال
خالى لكى نحدث عهدا بك يازين الاخل * لا فما مثلك من غير عهد او غفل

وهذا التمايز كره أهل هذا الشأن للمعاياة لا لانه من الاشعار المستعملة فلما استخرجته عرضته على ذلك الشخص فقال هكذا قال مظفر الاعمى وقال الشيخ زكى الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى المحدث المصرى رحمه الله تعالى اخبرنى الاديب موفق الدين مظفر الضرير الشاعر المصرى انه دخل على القاضى السعيد بن سنا الملك قلت وسيأتى ذكره ان شاء الله تعالى واسمه هبة الله قال فقال لى يا اديب قد صنعت نصف بيت ولى ايام افكر فيه ولا يأتى لى تمامه فقلت وما هو فانشدنى

بياض عذارى من سواد عذاره * قال مظفر فقلت قد حصل تمامه وأنشدت

كما جل نارى فيه من جلناره * فاستحسنه وجعل يعمل عليه فقلت فى نفسى اقوم والا يعمل المقطوع من كيس وبالجملة فقد خرجنا عن المقصود لكن الكلام يسوق بعضه بعضا وكانت ولادة مظفر المذكور لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة بمصر وتوفى بها سحر يوم السبت التاسع من المحرم سنة ثلاث وعشرين وستمائة ودفن من الغد بسفح المقطم رحمه الله تعالى والعيلانى بفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعد اللام الف نون هذه النسبة الى قيس عيلان وقيل قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان فمن قال انه قيس عيلان فقد اختلفوا فى عيلان ماذا فمنهم من قال اسم فرس كان له هو فأضيف اليه وقيل اسم كلب كان له وقيل اسم رجل كان قد حضنه وهو صغير وانما أضيف الى عيلان لانه كان فى عصره شخص يقال له قيس كبة بضم الكاف وتشديد الباء الموحدة وهو اسم فرس كان له أيضا فكان كل واحد منهما يضاف الى ماله ليتميز عن الآخر والله أعلم وقد قيل ان قيس عيلان اسمه الناس بالنون وهو أخو الياس بالياء جد النبى صلى الله عليه وسلم

أبو مسلم معاذ بن مسلم الهرا النحوى الكوفى
من موالى محمد بن كعب القرظى

قرأ عليه الكسائى وروى عنه وحكيت عنه فى القرآآت حكايات كثيرة وصنف فى النحو كثيرا ولم يظهر له شئ من التصانيف وكان يتشيع وله شعر كشعر النحاة وكان فى عصره مشهورا بالعمر الطويل وكان له أولاد وأولاد أولاد فمات الكل وهو باق وحكى بعض كتابه قال صحبت معاذ بن مسلم زمانا فسأله رجل ذات يوم كم سنك فقال ثلاث وستون قال ثم مكث بعد ذلك سنين وسأله كم سنك فقال ثلاث وستون فقلت أنا معك منذ احدى وعشرين سنة وكلما سألك أحد كم سنك تقول ثلاث وستون فقال لو كنت معى احدى وعشرين سنة أخرى ماقلت الا هذا وقال عثمان بن أبى شيبة رأيت معاذ بن مسلم الهرى وقد شد أسنانه بالذهب من الكبر وفيه يقول أبو السرى سهل بن أبى غالب الخزرجى الشاعر المشهور

ان معاذ بن مسلم رجل * ليس لميقات عمره امد

قدشاب رأس الزمان واكتهل الـدهر واثواب عمره جدد
قيـل لمعاذ اذا مررت به * قد ضج من طول عمرك الامد
يا بكر حوا كم تعيش وكم * تسحب ذيل الحياة يالبد
قد أصبحت دار آدم خربا * وأنت فيها كانك الوتد
تسأل غربانها اذا نعبت * كيف يكون الصداع والرمد
مصحا كالظليم ترفل في * برديك مثل السعير تتقد
صاحبت نوحا ورضت بغلة ذى القرنين شيخا لولدك الولد
فارحل ودعنا لان غايتك الموت وان شد ركنك الجلد

قوله تسحب ذيل الحياة يالبد فهذا لبد آخر نسور لقمان بن عاد وكان لقمان قد سيره قومه وهم عاد الذين ذكرهم الله تعالى فى كتابه العزيز الى الحرم يستسقى لهما فلما اهلكت عاد خير لقمان بين ان يعيش عمر سبع بعرات سمر أو عمر سبعة انسر كلما هلك نسر خلف بعده نسر فاختار النسور فكان يأخذ الفرخ عند خروجه من البيضة فيربيه فيعيش ثمانين سنة وهكذا حتى هلك منها ستة وبقى السابع فسمى لبدا فلما كبر وعجز عن الطيران كان يقول له لقمان انهض لبد فلما هلك لبد مات لقمان وقد ذكرت العرب لبدا فى اشعارها كثيرا فمن ذلك قول النابغة الذبيانى

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا * اخنى عليها الذى اخنى على لبد

رجعنا الى حديث معاذ لما مات بنوه وحفدته قال

ما يرتجى فى العيش من قد طوى * من عمره الذاهب تسعينا
افنى بنيه وبنيهم فقد * جرعه الدهر الامرينا
لا بد ان يشرب من حوضهم * وان تراخى عمره حينا

وكان معاذ المذكور صديقا للكميت بن زيد الشاعر المشهور قال محمد بن سهل راوية الكميت سار الطرماح الشاعر الى خالد بن عبد الله القسرى أمير العراقين وهو بواسط فامتدحه فأمر له بثلاثين ألف درهم وخلع عليه حلتى وشى لا قيمة لهما فبلغ ذلك الكميت فعزم على قصده فقال له معاذ الهراء لا تفعل فلست كالطرماح فانه ابن عمه وبينكما بون أنت مضرى وخالد يمنى متعصب على مضر وأنت شيعى وهو أموى وأنت عراقى وهو شامى فلم يقبل اشارته وأبى الا قصد خالد فقصده فقالت اليمانية لخالد قد جاء الكميت وقد هجانا بقصيدة نونية قد فخر فيها علينا فحبسه خالد وقال فى حبسه صلاح لانه يهجو الناس ويتأكلهم فبلغ ذلك معاذا فغمه فقال

نصحتك والنصيحة ان تعدت * هوى المنصوح عز لها القبول
فخالفت الذى لك فيه رشد * فغالك دون ما أملت غول
فعاد خلاف ما تهوى خلافا * له عرض من البلوى طويل

فبلغ الكميت قوله فكتب اليه

اراك كمهدى الماء للبحر حاملا * الى الرمل من يبرين متجرا رملا

ثم كتب تحته قد جرى على القضاء فما الحيلة الآن فأشار عليه ان يحتال فى الهرب وقال له ان خالدا قاتلك لا محالة فاحتال بامرأته وكانت تأتيه بالطعام وترجع فلبس ثيابها وخرج كانه هى فلحق بمسلمة بن عبد الملك فاستجار به وقال

خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل * اليك على تلك الهزاهز والازل

على ثياب الغانيات وتحتها * عزيمة رأى أشبهت سلة النصل

فكان ذلك سبب نجاته من خالد وسأل شخص معاذا عن مولده فقال ولدت فى ايام يزيد بن عبد الملك او فى ايام عبد الملك وتوفى سنة تسعين ومائة وقيل فى السنة التى نكب فيها البرامكة وهى سنة سبع وثمانين ومائة وهو الاصح وكان يزيد بن عبد الملك قد ولى بعد موت عمر بن عبد العزيز فى شهر رجب سنة احدى ومائة وتوفى فى شعبان سنة خمس ومائة فهذه المدة هى ايامه وأما أبوه عبد الملك فانه تولى بعد أبيه مروان فى شهر رمضان المعظم سنة خمس وستين ومات سنة ست وثمانين فهذه مدته وتوفى معاذ سنة سبع وثمانين ومائة وهو الاصح رحمه الله تعالى وكان يكنى أبا مسلم فولد له ولد سماه عليا فصار يكنى به والهرا بفتح الهاء وتشديد الراء وبعدها ألف مقصورة وانما قيل له ذلك لانه كان يبيع الثياب الهروية فنسب اليها وأما أبو السرى الشاعر صاحب الابيات الدالية المذكورة فانه نشأ بسجستان وادعى رضاع الجن وانه صار اليهم ووضع كتابا ذكر فيه أمر الجن وحكمتهم وانسابهم واشعارهم وزعم انه بايعهم للامين بن هارون الرشيد بالعهد فقربه الرشيد وابنه الامين وزبيدة أم الامين وبلغ معهم وأفاد منهم وله اشعار حسان وضعها على الجن والشياطين والسعالى وقال له الرشيد ان كنت رأيت ما ذكرت فقد رأيت عجبا وان كنت ما رأيته فقد وضعت ادبا واخباره كلها غريبة عجيبة والله تعالى أعلم

القاضى أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى بن حميد بن حماد بن داود المعروف بابن طرارا الجريرى النهروانى

كان فقيها أديبا شاعرا عالما بكل فن ولى القضاء ببغداد بباب الطاق نيابة عن ابن صبر القاضى وروى عن جماعة من الائمة منهم أبو القاسم البغوى وأبو بكر بن داود ويحيى ابن صاعد وأبو سعيد العدوى وأبو حامد محمد بن هارون الحضرمى وغيرهم وأخذ الادب عن أبى عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفه المعروف بنفطويه وغيره وروى عنه جماعة من الائمة أيضا منهم أبو القاسم الازهرى والقاضى أبو الطيب الطبرى الفقيه الشافعى وأحمد بن على التورى وأحمد بن عمر بن روح وذكر أحمد بن عمر بن روح ان أبا الفرج المذكور حضر فى دار لبعض الرؤساء وكان هناك جماعة من أهل الادب فقالوا له فى أى نوع من العلوم نتذاكر فقال أبو الفرج لذلك الرئيس خزانتك قد جمعت أنواع

الا

الف

الفا

العلوم وأصناف الادب فان رأيت ان تبعث غلاما اليها تأمره ان يفتح بابها و يضرب يده الى أي كتاب منها فيحمله ثم يفتحه و ينظر في أي العلوم هو فتذاكره وتجارى فيه قال ابن روح وهذا يدل على ان أبا الفرج كان له انسة بسائر العلوم وكان أبو محمد الباجى يقول اذا حضر القاضى أبو الفرج فقد حضرت العلوم كلها وقال لو أوصى رجل بثلث ماله لاعلم الناس لوجب ان يدفع الى أبى الفرج المعافى وكان ثقة مأمونا فى روايته وله شعر حسن فمن ذلك ما رواه عنه القاضى ابو الطيب الطبرى الفقيه الشافعى وهو

الا قل لمن كان لى حاسدا * أتدرى على من أسأت الادب

اسأت على الله فى فعله * لانك لم ترض لى ما وهب

فجازاك عنه بأن زادنى * وسد عليك وجوه الطلب

وذكره الشيخ أبو اسحاق الشيرازى فى كتاب طبقات الفقهاء وأثنى عليه ثم قال وأنشدنى قاضى بلدنا أبو على الداودى قال أنشدنى أبو الفرج لنفسه

اقتبس الضياء من الضباب * وألتمس الشراب من السراب

أريد من الزمان النذل بذلا * وأربا من جنى سلع وصاب

ارجى أن ألاقى لاشتياقى * خيار الناس فى زمن الكلاب

ومن شعره أيضا

مالك العالمين ضامن رزقى * فلماذا املك الخلق رقى

قد قضى لى بما على ومالى * خالق جل ذكره قبل خلقى

صاحب البذل والندى فى يسارى * ورفيقى فى عسرتى حسن رفقى

وكما لا يرد عجزى رزقى * فكذا لا يجر رزقى حذقى

وذكر انه عملها فى معنى قول على بن الجهم

لعمرك ما كل التعطل ضائر * ولا كل شغل فيه للمرء منفعه

اذا كانت الارزاق فى القرب والنوى * عليك سواء فاغتنم راحة الدعه

ومن غريب ما اتفق له ما حكاه أبو عبد الله الحميدى صاحب الجمع بين الصحيحين المقدم ذكره قال قرأت بخط أبى الفرج المعافى بن زكريا النهروانى حججت سنة وكنت بمنى ايام التشريق فسمعت مناديا ينادى يا أبا الفرج فقلت لعله يريدنى ثم قلت فى الناس خلق كثير ممن يكنى أبا الفرج ولعله ينادى غيرى فلم أجبه فلما رأى انه لا يجيبه أحد نادى يا أبا الفرج المعافى فهممت ان أجيبه ثم قلت قد يتفق ان يكون آخر اسمه المعافى ويكنى أبا الفرج فلم أجبه فرجع فنادى يا أبا الفرج المعافى بن زكريا النهروانى فقلت لم يبق شك فى مناداته اياى اذ ذكر اسمى وكنيتى واسم أبى وبلدى الذى أنسب اليه فقلت ها أنا ذا فما تريد قال لعلك من نهروان الشرق فقلت نعم فقال نحن نريد نهروان الغرب فعجبت من

اتفاق الاسم والكنية واسم الاب وما أنتسب اليه وعلمت ان بالمغرب موضعا يسمى النهروان غير النهروان الذى بالعراق ولابى الفرج المذكور عدة تصانيف ممتعة فى الادب وغيره وكتاب الجليس الانيس تصنيفه أيضا وكانت ولادته يوم الخميس لسبع خلون من شهر رجب سنة ثلاث وقيل خمس وثلثمائة وتوفى يوم الاثنين الثامن عشر من ذى الحجة سنة تسعين وثلثمائة بالنهروان رحمه الله تعالى وطرارى بفتح الطاء المهملة والراء وبعد الالف راء ثانية مفتوحة ثم ألف مقصورة وبعضهم يكتبه بالهاء بدلا من الالف فيقول طرارة والله أعلم والجريرى بفتح الجيم وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء هذه النسبة الى الامام محمد بن جرير الطبرى المقدم ذكره وانما نسب اليه لانه كان على مذهبه مقلدا له وقد تقدم فى ترجمته انه كان مجتهدا صاحب مذهب مستقل وكان له أتباع وأخذ بمذهبه جماعة منهم أبو الفرج المذكور وقد سبق الكلام على النهروان فاغنى عن الاعادة والله تعالى أعلم

أبو تميم معد الملقب المعز لدين الله ابن المنصور بن القائم بن المهدى عبيد الله

قد تقدم ذكر والده وجده وجد أبيه وطرف من اخبارهم وكان المعز المذكور قد بويع بولاية العهد فى حياة أبيه المنصور اسماعيل ثم جددت له البيعة بعد وفاته فى التاريخ المذكور فى ترجمته ودبر الامور وساسها واجراها على أحسن احكامها الى يوم الاحد سابع ذى الحجة سنة احدى وأربعين وثلثمائة فجلس يومئذ على سرير ملكه ودخل عليه الخاصة وكثير من العامة وسلموا عليه بالخلافة وتسمى بالمعز ولم يظهر على أبيه حزنا ثم خرج الى بلاد أفريقية يطوف بها ليمهد قواعدها ويقرر أسبابها فانقاد له العصاة من أهل تلك البلاد ودخلوا فى طاعته وعقد لغلمانه واتباعه على الاعمال واستندب لكل ناحية من يعلم كفايته وشهامته وضم الى كل واحد منهم جمعا كثيرا من الجند وأرباب السلاح ثم جهز أبا الحسن جوهرا القائد المذكور فى حرف الجيم وجمع معه جيش كثيف ليفتح ما استعصى عليه من بلاد المغرب فسار الى فاس ثم منها الى سجلماسة ففتحها ثم توجه الى البحر المحيط وصاد من سمكه وجعله فى قلال الماء وأرسله الى المعز ثم رجع الى المعز ومعه صاحب سجلماسة وصاحب فاس اسيرين فى قفص حديد والشرح فى ذلك يطول وخلاصة الامر انه ما رجع القائد جوهر الى مولاه المعز الا وقد وطد له البلاد وحكم على أهل الزيغ والعناد من باب افريقيه الى البحر المحيط فى جهة المغرب وفى جهة المشرق من باب افريقية الى اعمال مصر ولم يبق بلد من هذه البلاد الا أقيمت فيه دعوته وخطب له فى جمعته وجماعته الا مدينة سبتة فانها بقيت لبنى أمية أصحاب الاندلس ولما وصل الخبر الى المعز المذكور بموت كافور الاخشيدى صاحب مصر حسبما شرحناه فى ترجمته من هذا الكتاب تقدم المعز الى القائد جوهر المذكور ليتجهز للخروج الى مصر فخرج أولا الى جهة المغرب لاصلاح أموره وكان معه

خل

فى

جيش عظيم وجمع قبائل العرب الذين يتوجه بهم الى مصر وجبى القطائع التى كانت على البربر فكانت خمسمائة ألف دينار وخرج المعز بنفسه فى الشتاء الى المهدية فأخرج من قصور آبائه خمسمائة حمل دنانير وعاد الى قصره ولما عاد جوهر بالرجال والاموال وكان قدومه على المعز يوم الاحد لثلاث بقين من المحرم سنة ثمان وخمسين وثلثمائة أمره المعز بالخروج الى مصر فخرج ومعه أنواع القبائل وقد ذكرت فى ترجمة جوهر تاريخ خروجه وتاريخ وصوله الى مصر فاغنى عن الاعادة وأنفق المعز فى العسكر المسير صحبته أموالا كثيرة حتى أعطى من ألف دينار الى عشرين دينارا وغمر الناس بالعطا وتصرفوا فى القيروان وصبروه فى شراء جميع حوائجهم ورحلوا ومعه ألف حمل من المال والسلاح ومن الخيل والعدد ما لا يوصف وكان بمصر فى تلك السنة غلاء عظيم ووباء حتى مات فى مصر وأعمالها فى تلك المدة ستمائة ألف انسان على ما قيل ولما كان منتصف شهر رمضان المعظم سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وصلت البشارة الى المعز بفتح الديار المصرية ودخول عساكره اليها ثم وصلته النجب بعد ذلك تخبره بصورة الفتح وكانت كتب جوهر تترد الى المعز باستدعائه الى مصر وتحثه كل وقت على ذلك ثم أرسل اليه يخبره بانتظام الحال بمصر والشام والحجاز واقامة الدعوة له بهذه المواضع فسر المعز بذلك سرورا عظيما . ولما تقررت قواعده بالديار المصرية استخلف على افريقية بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى المذكور فى حرف الباء وخرج المعز متوجها بأموال جليلة المقدار ورجال عظيمة الاخطار وكان خروجه من المنصورية دار ملكه يوم ذلك يوم الاثنين لثمان بقين من شوال سنة احدى وستين وثلثمائة وانتقل الى سردانية وأقام بها ليجتمع رجاله واتباعه ومن يستصحبه معه وفى هذه المنزلة عقد العهد لبلكين على أفريقية فى التاريخ المذكور فى ترجمته ورحل عنها يوم الخميس خامس صفر سنة اثنين وستين وثلثمائة ولم يزل فى طريقه يقيم بعض الاوقات فى بعض البلاد أياما ويجد السير فى بعضها وكان اجتيازه على برقة ودخل الاسكندرية يوم السبت لست بقين من شعبان من السنة المذكورة وركب فيها ودخل الحمام وقدم عليه بها قاضى مصر وهو أبو طاهر محمد بن أحمد وأعيان أهل البلاد وسلموا عليه وجلس لهم عند المنارة وخاطبهم بخطاب طويل يخبرهم فيه انه لم يرد دخول مصر لزيادة فى ملكه ولا لمال وانما أراد اقامة الحق والحج والجهاد وان يختم عمره بالاعمال الصالحة وان يأمر بعمل ما أمر به جده صلى الله عليه وسلم ووعظهم وأطال حتى بكى بعض الحاضرين وخلع على القاضى وبعض الجماعة وحملهم وودعوه وانصرفوا ثم رحل منها فى أواخر شعبان ونزل يوم السبت ثانى شهر رمضان المعظم على ميناء ساحل مصر بالجيزة فخرج اليه القائد جوهر وترجل عند لقائه وقبل الارض بين يديه وبالجيزة أيضا اجتمع به الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات المذكور فى حرف الجيم وأقام المعز بها ثلاثة أيام وأخذ العسكر فى التعدية بأثقالهم

الى ساحل مصر ولما كان يوم الثلاثاء لخمس خلون من شهر رمضان المعظم من السنة عبر المعز النيل ودخل القاهرة ولم يدخل مصر وكانت قد زينت له وظنوا انه يدخلها وأهل القاهرة لم يستعدوا للقائه لانهم بنوا الامر على دخوله مصر أولا ولما دخل القاهرة ودخل القصر ودخل مجلسا منه خر ساجدا لله تعالى ثم صلى ركعتين وانصرف الناس عنه وهذا المعز هو الذى تنسب اليه القاهرة فيقال القاهرة المعزية لانه الذى بناها له القائد جوهر وفي يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة أربع وستين عزل المعز القائد جوهرا عن دواوين مصر وجباية أموالها والنظر فى سائر أمورها وقد ذكرنا فى ترجمة الشريف عبد الله بن طباطبا ما دار بينه وبين المعز من السؤال عن نسبه وما أجابه به وما اعتمده بعد الدخول الى القصر وكان المعز عاقلا حازما سريا أديبا حسن النظر فى النجامة وينسب اليه من الشعر قوله

لله ما صنعت بنا * تلك المحاجر فى المعاجر

امضى واقضى فى النفو * س من الخناجر فى الحناجر

ولقد تعبت ببينكم * تعب المهاجر فى الهواجر

وينسب اليه أيضا

اطلع الحسن من جبينك شمسا * فوق ورد فى وجنتيك اطلا

وكأن الجمال خاف على الور * د جفافا فمد بالشعر ظلا

وهو معنى غريب بديع وقد مضى ذكر ولده تميم وشئ من شعره وسيأتى ذكر ولده العزيز نزار فى حرف النون ان شاء الله تعالى وكانت ولادته بالمهدية يوم الاثنين حادى عشر شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلثمائة وتوفى يوم الجمعة الحادى عشر من شهر ربيع الآخر وقيل الثالث عشر وقيل لسبع خلون منه سنة خمس وستين وثلثمائة بالقاهرة رحمه الله تعالى ومعد بفتح الميم والعين المهملة وتشديد الدال المهملة والله تعالى أعلم

ولم يبيض فى خطط

المستنصر

أبو تميم معد الملقب المستنصر بالله ابن الظاهر لاعزاز دين الله ابن الحاكم بن العزيز ابن المعز لدين الله المذكور قبله

وقد تقدم بقية النسب بويع بالامر بعد موت والده الظاهر وذلك يوم الاحد النصف من شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة وجرى فى ايامه ما لم يجر فى أيام أحد من أهل بيته ممن تقدمه ولا ممن تأخر منها قضية أبى الحارث ارسلان البساسيرى المقدم ذكره فى حرف الهمزة فانه لما عظم أمره وكبر شأنه ببغداد قطع خطبة الامام القائم وخطب للمستنصر المذكور وذلك فى سنة خمسين وأربعمائة ودعى له على منابرها سنة ومنها ان ثار فى ايامه على بن محمد الصليحى المقدم ذكره وملك بلاد اليمن كما شرحنا ودعى للمستنصر على منابرها بعد الخطبة وهو مشهور فلا حاجة الى الاطالة فى شرحه ومنها أنه أقام فى الامر ستين سنة وهذا أمر لم يبلغه أحد من أهل بيته ولا من بنى العباس

ومنها انه ولى وهو ابن سبع سنين ومنها ان دعوتهم لم تزل قائمة بالمغرب منذ قام بنيدهم المهدى المتقدم ذكره الى ايام المعز المذكور وقبله ولما توجه المعز الى مصر واستخلف بلكين بن زيرى حسبما شرحناه كانت الخطبة فى تلك النواحى جارية على عادتها لهذا البيت الى ان قطعها المعز بن باديس الآتى ذكره ان شاء الله تعالى فى ايام المستنصر المذكور وذلك فى سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة وقال فى تاريخ القيروان ان ذلك كان فى سنة خمس وثلاثين والله تعالى أعلم بالصواب وفى سنة تسع قطع اسمه واسم ابائه من الحرمين الشريفين وذكر اسم المقتدى خليفة بغداد والشرح فى ذلك يطول ومنها انه حدث فى ايامه الغلاء العظيم الذى ما عهد مثله منذ زمان يوسف عليه السلام وأقام سبع سنين وأكل الناس بعضهم بعضا حتى قيل انه بيع رغيف واحد بخمسين دينارا وكان المستنصر فى هذه الشدة يركب وحده وكل من معه من الخواص مترجلين ليس لهم دواب يركبونها وكانوا اذا مشوا يتساقطون فى الطرقات من الجوع وكان المستنصر يستعير من ابن هبة الله صاحب ديوان الانشاء بغلته ليركبها صاحب مظلته وآخر الامر توجهت ام المستنصر وبناته الى بغداد من فرط الجوع وذلك فى سنة اثنين وستين وأربعمائة وتفرق أهل مصر فى البلاد وتشتتوا ولم يزل هذا الامر على شدته حتى تحرك بدر الجمالى والد الأفضل أمير الجيوش من عكا وركب البحر حسبما شرحناه فى ترجمة ولده الافضل شاهنشاه وجاء الى مصر وتولى تدبير الامور فانصلحت وشرح ذلك يطول وكانت ولادة المستنصر صبيحة يوم الثلاثاء الثالث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة عشرين وأربعمائة وتوفى ليلة الخميس لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة رحمه الله تعالى قلت وهذه الليلة هى ليلة عيد الغدير اعنى ليلة الثامن عشر من ذى الحجة وهو غدير خم بضم الخاء وتشديد الميم ورأيت جماعة كثيرة يسألون عن هذه الليلة متى كانت من ذى الحجة وهذا المكان بين مكة والمدينة وفيه غدير ماء ويقال انه غيضة هناك ولما رجع النبى صلى الله عليه وسلم من مكة شرفها الله تعالى عام حجة الوداع ووصل الى هذا المكان وآخى على بن أبى طالب رضى الله عنه قال على منى كهارون من موسى اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وللشيعة به تعلق كبير وقال الحازمى هو واد بين مكة والمدينة عند الجحفة غدير عنده خطب النبى صلى الله عليه وسلم وهذا الوادى موصوف بكثرة الوخامة وشدة الحر وقد تقدم ذكر جماعة من أهل بيته وسيأتى ذكر الباقين كل واحد فى موضعه ان شاء الله تعالى والله أعلم

أبو محفوظ معروف بن فيروز وقيل الفيروزان وقيل على الكرخى الصالح المشهور

وهو من موالى على بن موسى الرضا وقد تقدم ذكره وكان أبواه نصرانيين فأسلماه الى

مؤدبهم وهو صبي وكان المؤدب يقول له قل ثالث ثلاثة فيقول معروف بل هو الواحد
فيضربه المعلم على ذلك ضربا مبرحا فهرب منه وكان أبواه يقولان ليته يرجع الينا على أي
دين شاء فنوافقه عليه ثم انه أسلم على يد علي بن موسى الرضى ورجع الى أبويه فدق الباب
فقيل له من بالباب فقال معروف فقيل له على أي دين فقال على الاسلام فأسلم أبواه
وكان مشهورا باجابة الدعوى وأهل بغداد يستسقون بقبره ويقولون قبر معروف ترياق
مجرب وكان سري السقطي المقدم ذكره تلميذه وقال له يوما اذا كانت لك حاجة الى الله
تعالى فأقسم عليه بي وقال سري السقطي رأيت معروفا الكرخي في النوم كأنه تحت
العرش والباري جلت قدرته يقول للملائكة من هذا وهم يقولون أنت تعلم يا ربنا منا
فقال هذا معروف الكرخي سكر من حبي فلا يفيق الا بلقاي وقال معروف قال لي بعض
أصحاب داود الطاءي اياك ان تترك العمل فان ذلك الذي يقربك الى رضى مولاك فقلت
وما ذاك العمل قال دوام الطاعة لمولاك وحرمة المسلمين والنصيحة لهم وقال محمد بن
الحسن سمعت أبي يقول رأيت معروفا الكرخي في النوم بعد موته فقلت له ما فعل الله
بك فقال غفر لي فقلت بزهدك وورعك فقال لا بل بقبول موعظة ابن السماك ولزومي
الفقر ومحبتي للفقراء وكانت موعظة ابن السماك ما رواه معروف قال كنت مارا
بالكوفة فوقفت على رجل يقال له ابن السماك وهو يعظ الناس فقال في خلال
كلامه من أعرض عن الله بكليته أعرض عنه الله جملة ومن أقبل على الله تعالى بقلبه
أقبل الله تعالى برحمته عليه وأقبل بوجوه الخلق اليه ومن كان مرة ومرة فالله تعالى
يرحمه وقتا ما فوقع كلامه في قلبي وأقبلت على الله تعالى وتركت جميع ما كنت عليه
الا خدمة مولاي علي بن موسى الرضى وذكرت هذا الكلام لمولاي فقال يكفيك هذه
موعظة ان اتعظت وقد تقدم ذكر ابن السماك في المحمدين وقيل لمعروف في مرض موته
أوص فقال اذا مت فتصدقوا بقميصي فاني أريد ان أخرج من الدنيا عريانا كما دخلتها
عريانا ومر معروف بسقاء وهو يقول رحم الله من يشرب فتقدم وشرب وكان صائما
فقيل له ألم تك صائما فقال بلى ولكن رجوت دعاءه واخبار معروف ومحاسنه اكثر من
ان تعد وتوفي سنة مائتين وقيل احدى ومائتين وقيل أربع ومائتين ببغداد وقبره مشهور
بها يزار رحمه الله تعالى والكرخي بفتح الكاف وسكون الراء وبعدها خاء معجمة هذه
النسبة الى الكرخ وهو اسم لتسع مواضع ذكرها ياقوت الحموي في كتابه واشهرها كرخ
بغداد والصحيح ان معروف الكرخي منه وقيل انه من كرخ جدان بضم الجيم وتشديد
الدال المهملة وبعد الالف نون وهي بليدة بالعراق تفصل بين ولاية خانقين وشهرزور
والله تعالى أعلم بالصواب

المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي
صاحب افريقية وما والاها من بلاد المغرب

وقد سبق تمام نسبه عند ذكر ولده الامير تميم وكان الحاكم صاحب مصر قد لقبه شرف الدولة وسير له تشريفا وسجلا يتضمن اللقب المذكور وذلك فى ذى الحجة سنة سبع وأربعمائة وكان ملكا جليلا عالى الهمة محبا لاهل العلم كثير العطاء وكان واسطة عقد بيته وقد تقدم ذكر أبيه وجده وجد أبيه ومدحه الشعراء وانتجعه الادباء وكانت حضرته محط بنى الآمال وكان مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه بافريقية أظهر المذاهب فحمل المعز المذكور جميع أهل المغرب على التمسك بمذهب الامام مالك بن أنس رضى الله عنه وحسم مادة الخلاف فى المذاهب واستمر الحال من ذلك الوقت الى الان وقد تقدم فى خبر المستنصر بالله العبيدى ان المعز المذكور قطع خطبته وخلع طاعته فلما فعل ذلك خاطب للامام القائم بأمر الله خليفة بغداد فكتب اليه المستنصر يتهدده ويقول له هلا اقتفيت آثار آبائك فى الطاعة والولاء فى كلام طويل فأجابه المعز ان آبائى واجدادى كانوا ملوك المغرب قبل ان تملكه اسلافك ولهم عليهم من الخدم أعظم من التقديم ولو أخروهم لتقدموا باسيافهم واستمر على قطع الخطبة ولم يخطب فى افريقية بعد ذلك لاحد من المصريين الى اليوم واخبار المعز كثيرة وسيرته مشهورة فلا حاجة الى الاطالة وله شعر قليل لم أقف منه على شئ وكان المعز يوما جالسا فى مجلسه وعنده جماعة من الادباء وبين يديه أترجة ذات أصابع فأمرهم المعز أن يعملوا فيها شيأ فعمل أبو على الحسن بن رشيق القيروانى الشاعر المقدم ذكره قوله

اترجة سبطة الاطراف ناعمة * تلقى العيون بحسن غير محروس

كأنما بسطت كفا لخالقها * تدعو بطول بقاء لابن باديس

فاستحسن ذلك منه وفضله على من حضر من الجماعة الادباء وكانت ولادته بالمنصورية ويقال لها صبرة من أعمال أفريقيه يوم الخميس لخمس مضين من جمادى الاولى سنة ثمان وتسعين وثلثمائة وذلك بعد أبيه باديس فى التاريخ المذكور فى ترجمته وبويع بالمحدية من أعمال افريقية أيضا يوم السبت لثلاث مضين من ذى الحجة سنة ست وأربعمائة وتوفى رابع شعبان سنة أربع وخمسين وأربعمائة بالقيروان من مرض أصابه وهو ضعف الكبد ولم تطل مدة أحد من أهل بيته فى الولاية كذته ورثاه أبو على الحسن بن رشيق المتقدم ذكره بابيات على روى الكاف اضربت عن ذكرها خوف الاطالة وهذا المعز لا يعرف له اسم سوى المعز مع انى كشفت عنه كشفا تاما من الكتب وافواه العلماء وأهل المغرب فلم يذكر أحد سوى المعز ولا تعرف كنيته أيضا والظاهر ان هذا اسمه فان أهل بيته لم يكن فيهم من تلقب حتى يقال هذا لقب فأثبته على قدر ما وجدته والله تعالى أعلم بالصواب

أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى بالولاء تيم قريش البصرى النحوى العلامة قال الجاحظ فى حقه لم يكن فى الارض خارجى ولا جماعى أعلم بجميع العلوم منه وقال

ابن قتيبة فى كتاب المعارف كان شعار الغريب اغلب عليه واخبار العرب وايامها وكان مع معرفته لم يقم البيت اذا أنشده حتى يكسره وكان يخطئ اذا قرأ القرآن الكريم نظرا وكان يبغض العرب وألف فى مثالبها كتبا وكان يرى رأى الخوارج وقال غيره ان هارون الرشيد اقدمه من البصرة الى بغداد سنة ثمان وثمانين ومائة وقرأ عليه بها أشياء من كتبه وأسند الحديث الى هشام بن عروة وغيره وروى عنه على بن المغيرة الاثرم وأبو عبيد القاسم بن سلام المقدم ذكره وأبو عثمان المازنى وأبو حاتم السجستانى وعمر بن شبة النميرى وغيرهم وقد تقدم ذكر هؤلاء جميعهم وقال أبو عبيدة أرسل الى الفضل بن الربيع الى البصرة فى الخروج اليه فقدمت عليه وكنت اخبر بتجبره فأذن لى فدخلت عليه وهو فى مجلس طويل عريض فيه بساط واحد قد ملأه وفى صدره فرش عالية لا يرتقى عليها الا بكرسى وهو جالس على الفراش فسلمت عليه بالوزارة فرد وضحك الى واستدنانى حتى جلست معه على فراشه ثم سألنى وبسطنى وتلطف بى وقال أنشدنى فأنشدته من عيون الاشعار التى أحفظها جاهلية فقال لى قد عرفت أكثر هذا وأريد من ملح الشعر فأنشدته فطرب وضحك وزاد نشاطا ثم دخل رجل فى زى الكتاب وله هيئة حسنة فأجلسه الى جانبى وقال له أتعرف هذا فقال لا فقال هذا أبو عبيدة علامة أهل البصرة أقدمناه لنستفيد من علمه فدعا له الرجل وقرضه لفعله هذا ثم التفت الى وقال كنت اليك مشتاقا وقد سئلت عن مسئلة أفتأذن لى ان أعرفك قلت هات فقال قال الله تعالى طلعها كانه رؤس الشياطين وانما يقع الوعد والايعاد بما قد عرف مثله وهذا لم يعرف قال فقلت انما كلم الله العرب على قدر كلامهم أما سمعت قول امرئ القيس

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى * ومسنونة زرق كأنياب اغوال

وهم لم يروا الغول قط ولما كان امر الغول يهولهم اوعدوا به فاستحسن الفضل ذلك واستحسنه السائل وازمعت عند ذلك اليوم ان اضع كتابا فى القرآن لمثل هذا وأشباهه ولما يحتاج اليه من علمه ولما رجعت الى البصرة عملت كتابى الذى سميته المجاز وسألت عن الرجل فقيل لى هو من كتاب الوزير وجلسائه وقال أبو عثمان المازنى سمعت أبا عبيدة يقول دخلت على هارون الرشيد فقال لى يا معمر بلغنى ان عندك كتابا حسنا فى صفة الخيل احب ان أسمعه منك فقال الاصمعى وما تصنع بالكتب يحضر فرس فأحضر فقام الاصمعى فجعل يضع يده على عضو عضو منه ويقول هذا كذا قال فيه الشاعر كذا حتى انقضى قوله فقال لى الرشيد ما تقول فيما قال فقلت أصاب فى بعض وأخطأ فى بعض والذى أصاب فيه منى تعلمه والذى أخطأ فيه ما أدرى من أين أتى به وبلغ أبا عبيدة ان الاصمعى يعيب عليه كتاب المجاز فقال يتكلم فى كتاب الله تعالى برأيه فسئل عن مجلس الاصمعى فى أى يوم هو فركب حماره فى ذلك اليوم ومر بحلقته فنزل عن حماره وسلم عليه

وجلس عنده وحادثه ثم قال له يا أبا عبيدة ما تقول في الخبز أي شئ هو فقال الذي تخبزه وتأكله فقال أبو عبيدة قد فسرت كتاب الله تعالى برأيك فان الله تعالى قال وقال الآخر اني أراني أحمل فوق رأسي خبزا فقال الاصمعي هذا شئ بان لي فقلته ولم أفسره برأيي فقال أبو عبيدة والذي تعيب علينا كله شئ بان لنا فقلناه ولم نفسره برأينا وقام فركب حماره وانصرف وزعم الباهلي صاحب كتاب المعاني ان طلبة العلم كانوا اذا أتوا مجلس الاصمعي اشتروا البعر في سوق الدر واذا أتوا مجلس أبي عبيدة اشتروا الدر في سوق البعر لان الاصمعي كان حسن الانشاد والزخرفة لردي الاخبار والاشعار حتى يحسن عنده القبيح وان الفائدة مع ذلك عنده قليلة وان أبا عبيدة كان معه سوء عبارة مع فوائد كثيرة وعلوم جمة ولم يكن أبو عبيدة يفسر الشعر وقال المبرد كان أبو زيد الانصاري أعلم من الاصمعي وأبي عبيدة بالنحو وكانا بعده يتقاربان وكان أبو عبيدة أكمل القوم وكان علي بن المديني يحسن ذكر أبي عبيدة ويصحح روايته وقال كان لا يحكي عن العرب الا الشئ الصحيح وحمل أبو عبيدة والاصمعي الى هارون الرشيد للمنادمة فاختار الاصمعي لانه كان أصلح للمنادمة وكان أبو نواس يتعلم من أبي عبيدة ويصفه ويذم الاصمعي ويهجوه فقيل له ما تقول في الاصمعي فقال بلبل في قفص قيل له فما تقول في خلف الاحمر فقال جمع علوم الناس وفهمها قيل فما تقول في أبي عبيدة فقال ذاك أديم طوي على علم وقال اسحاق بن ابراهيم النديم الموصلي يخاطب الفضل بن الربيع يمدح أبا عبيدة ويذم الاصمعي بقوله

عليك أبا عبيدة فاصطنعه * فان العلم عند أبي عبيده
وقدمه وآثره عليه * ودع عنك القريد بن القريده

وكان أبو عبيدة اذا أنشد بيتا لا يقيم وزنه واذا تحدث أو قرأ لحن اعتمادا منه لذلك ويقول النحو محدود ولم يزل يصنف حتى مات وتصانيفه تقارب مائتي مصنف منها كتاب مجاز القرآن الكريم وكتاب غريب القرآن وكتاب معاني القرآن وكتاب غريب الحديث وكتاب الديباج وكتاب التاج وكتاب الحدود وكتاب خراسان وكتاب خوارج البحرين واليمامة وكتاب الموالي وكتاب البلد وكتاب الضيفان وكتاب مرج راهط وكتاب المنافرات وكتاب القبائل وكتاب شعر البراذين وكتاب القرائن وكتاب البازي وكتاب الحمام وكتاب الحيات وكتاب العقارب وكتاب النواكح وكتاب النواشر وكتاب مضر الخيل وكتاب الاعيان وكتاب بيان باهلة وكتاب أيادي الازد وكتاب الخيل وكتاب الابل وكتاب الانسان وكتاب الزرع وكتاب الرحل وكتاب الدلو وكتاب البكرة وكتاب السرج وكتاب اللجام وكتاب الفرس وكتاب السيف وكتاب الشوارد وكتاب الاحتلام وكتاب مقاتل الفرسان وكتاب مقاتل الاشراف وكتاب الشعر والشعراء وكتاب فعل وأفعل

وكتاب المثالب وكتاب خلق الانسان وكتاب الفرق وكتاب الخف وكتاب مكة والحرم وكتاب الجمل وصفين وكتاب بيوتات العرب وكتاب اللغات وكتاب الغارات وكتاب المعاتبات وكتاب الملاومات وكتاب الاضداد وكتاب مآثر العرب وكتاب مآثر غطفان وكتاب ادعية العرب وكتاب مقتل عثمان رضي الله عنه وكتاب أسماء الخيل وكتاب العقفة وكتاب قضاة البصرة وكتاب فتوح الاهواز وكتاب فتوح ارمينية وكتاب اصوص العرب وكتاب اخبار الحجاج وكتاب قصة الكعبة وكتاب الخمس من قريش وكتاب فضائل الفرس وكتاب ما تلحن فيه العامة وكتاب السواد وفتحه وكتاب من شكر من العمال وحمد وكتاب الجمع والتثنية وكتاب الاوس والخزرج وكتاب محمد وابراهيم ابني عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين وكتاب الايام الصغير خمسة وسبعون يوما وكتاب الايام الكبير ألف ومائتا يوم وكتاب أيام بني مازن واخبارهم وغير ذلك من الكتب النافعة ولولا خوف الاطالة لذكرت جميعها وقال أبو عبيدة لما قدمت على الفضل بن الربيع قال لي من أشعر الناس فقلت الراعي قال وكيف فضلته على غيره فقلت لانه ورد على سعيد بن عبد الرحمن الاموي فوصله في يومه الذي لقيه فيه وصرفه فقال يصف حاله معه

وانضاء تحن الى سعيد * طروقا ثم عجلن ابتكارا
حمدن مناخه وأصبن منه * عطاء لم يكن عدة ضمارا

فقال الفضل فما أحسن ما اقتضيتنا يا أبا عبيدة ثم غدا الى هارون الرشيد فاخرج لي صلة وأمر لي بشيء من ماله وصرفني وكان أبو عبيدة معمر من موالي بني عبيد الله بن معمر التيمي وقال له بعض الاجلاء تقع في الناس فمن ابوك فقال أخبرني أبي عن أبيه انه كان يهوديا من أهل باجروان فنفى الرجل فتركه وكان أبو عبيدة جبا ها لم يكن بالبصرة أحد الا وهو يداجيه ويتقيه على عرضه وخرج الى بلاد فارس قاصدا موسى بن عبد الرحمن الهلالي فلما قدم عليه قال لغلمانه احترزوا من أبي عبيدة فان كلامه كله دق ثم حضر الطعام فصب بعض الغلمان على ذيله مرقة فقال له موسى قد أصاب ثوبك مرق وأنا أعطيك عوضه عشر ثياب فقال أبو عبيدة لا عليك فان مرقك لا يؤذي أي ما فيه دهن ففطن لها موسى وسكت وكان الاصمعي اذا أراد الدخول الى المسجد قال انظروا لا يكون فيه ذاك يعني أبا عبيدة خوفا من لسانه فلما مات لم يحضر جنازته أحد لانه لم يكن يسلم من لسانه أحد لا شريف ولا غيره وكان وسخا ألثغ مدخول النسب مدخول الدين يميل الى مذهب الخوارج قال أبو حاتم السجستاني كان أبو عبيدة يكرمني على انني من خوارج سجستان وقال الثوري دخلت المسجد على أبي عبيدة وهو ينكث الارض جالسا وحده وقال لي من القائل

اقول لها وقد جشأت وجاشت * مكانك تحمدى أو تستريحى

فقال له قطرى بن الفجاءة فقال فض الله فاك هلا قلت هو لامير المؤمنين أبى نعامة ثم قال لى اجلس واكتم على ما سمعت منى قال فاذ كرته حتى مات قال انا وهذه الحكاية فيها نظر لان هذا البيت من جملة أبيات لعروة ابن الاطنابة الانصارى الخزرجى والاطنابة امه واسم أبيه زيد بن مناة لا يكاد يخالف فيه أحد من أهل الادب فانها أبيات مشهورة للشاعر المذكور وذكر المبرد فى كتاب الكامل ان معاوية بن أبى سفيان الاموى قال اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر آدابكم فان فيه مآثر اسلافكم ومواضع ارشادكم فلقد رأيتنى يوم الهزيمة وقد عزمت على الفرار فما ردنى الا قول ابن الاطنابة الانصارى

أبت لى عفتى وأبى بلائى * واخذى الحمد بالثمن الربيح
واجشامى على المكروه نفسى * وضربى هامة البطل المشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدى أو تستريحى
لادفع عن مآثر صالحات * واحمى بعد عن عرض صريح

رجعنا الى حديث أبى عبيدة وكان لا يقبل شهادته أحد من الحكام لانه كان يتهم بالميل الى الغلمان قال الاصمعى دخلت انا وأبو عبيدة يوما المسجد فاذا على الاسطوانة التى يجلس اليها أبو عبيدة مكتوب على نحو من سبعة اذرع

صلى الاله على لوط وشيعته * أبا عبيدة قل بالله آمينا

فقال لى يا اصمعى امح هذا فركبت على ظهره ومحوته بعد ان اثقلته الى ان قال اثقلتنى وقطعت ظهرى فقلت له قد بقيت الطاء فقال هى شر حروف هذا البيت وقيل انه لما ركب ظهره واثقله قال له عجل فقال قد بقى لوط فقال من هذا نفر وكان الذى كتب البيت أبو نواس الحسن بن هانى المقدم ذكره وقيل وجدت رقاع فى مجلس أبى عبيدة هذا البيت فيها وبعده

فانت عندى بلا شك بقيتهم * منذ احتلمت وقد جاوزت سبعينا

وقال الزمخشرى فى كتاب ربيع الابرار فى باب الاسماء والكنى والالقاب سأل رجل أبا عبيدة عن اسم رجل فما عرفه فقال كيسان انا اعرف الناس به هو خداش أو خراش اورياش أو شئ آخر فقال أبو عبيدة ما احسن ما عرفته فقال اى والله وهو قرشى أيضا قال فما يدريك قال اما ترى كيف احتوشته الشينات من كل جانب واخبار أبى عبيدة كثيرة وكانت ولادته فى شهر رجب الفرد سنة عشر ومائة فى الليلة التى توفى فيها الحسن البصرى رضى الله عنه وقد تقدم ذكره وقيل فى سنة احدى عشرة ومائة وقيل اربع عشرة وقيل ثمان وقيل تسع والاول اصح والذى يدل عليه ان الامير جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه سأله عن مولده فقال

قد سبقني الى الجواب عن مثل هذا عمر بن أبي ربيعة المخزومي وقد قيل له متى ولدت فقال في الليلة التي مات فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاي خير رفع وأي شر وضع وانا ولدت في ليلة مات فيها الحسن البصري رضي الله عنه فلينظر هنالك وتوفي سنة تسع ومائتين بالبصرة وقيل سنة احدى عشرة وقيل سنة عشر وقيل سنة ثلاث عشرة ومائتين وكان سبب موته رحمه الله تعالى ان محمد بن القاسم بن سهل النوشجاني اطعمه موزا فمات منه ثم أتاه أبو العتاهية فقدم اليه موزا فقال له ماهذا يا أبا جعفر قتلت أبا عبيدة بالموز وتريد ان تقتلني به لقد استحليت قتل العلماء وأبو عبيدة بضم العين المهملة واثبات الهاء في آخره بخلاف القاسم بن سلام المقدم ذكره فانه أبو عبيد بغير هاء ومعمر بفتح الميمين بينهما عين مهملة وفي آخره الراء والمثنى بضم الميم وفتح الثاء المثلثة وتشديد النون المفتوحة وفي آخره ياء مثناة من تحتها وباجروان التي والده منها بفتح الباء الموحدة وبعد الالف جيم مفتوحة ثم راء ساكنة وبعدها واو مفتوحة وبعد الالف نون وهو اسم لقرية من بلاد البلخ من اعمال الرقة واسم لمدينة بنواحي أرمينيه من اعمال شروان عندها كما قيل عين الحياة التي وجدها الخضر عليه السلام وغالب ظني ان أبا عبيدة من هذه المدينة وقيل ان باجروان اسم للقرية التي استطعم أهلها موسى والخضر عليهما السلام والنوشجاني بضم النون وسكون الواو والشين المعجمة وفتح الجيم وبعد الالف نون هذه النسبة الى نوشجان وهي بلدة من بلاد فارس والله تعالى أعلم بالصواب

أبو الوليد معن بن زائدة بن عبد الله بن زائدة بن مطر بن شريك بن الصلب بضم الصاد المهملة وسكون اللام وآخره الباء الموحدة واسمه عمرو بن قيس بن شراحيل بن همام ابن مرة بن ذهل بن شيبان الشيباني وبقية النسب معروف

وقال ابن الكلبي في كتاب جمهرة النسب هو معن بن زائدة بن مطر بن شريك بن عمرو بن قيس بن شراحيل بن مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب ابن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أقصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة ابن نزار بن معد بن عدنان كان جوادا شجاعا جزيل العطاء كثير المعروف ممدوحا مقصودا وقد سبق في ترجمة مروان بن أبي حفصة الشاعر طرف من اخباره وكان مروان خصيصا به وأكثر مدائحه فيه وكان معن في ايام بني أمية متنقلا في الولايات ومنقطعا الى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري أمير العراقين فلما انتقلت الدولة الى بني العباس وجرى بين أبي جعفر المنصور وبين يزيد بن عمر المذكور من محاصرته بمدينة واسط ما هو مشهور وسيأتي في ترجمة يزيد المذكور طرف من هذه الواقعة ان شاء الله تعالى أبلى يومئذ معن مع يزيد بلاء حسنا فلما قتل يزيد خاف معن من أبي جعفر المنصور فاستتر عنه مدة وجرى له مدة استتاره غرائب فمن ذلك ما حكاه مروان بن أبي حفصة الشاعر

المذكور قال أخبرني معن بن زائدة وهو يومئذ متولي بلاد اليمن ان المنصور جد في طلبي وجعل لمن يحملني اليه مالا قال فاضطررت لشدة الطلب الى ان تعرضت للشمس حتى لوحت وجهي وخففت عارضي ولبست جبة صوف وركبت جملا وخرجت متوجها الى البادية لاقيم بها قال فلما خرجت من باب حرب وهو أحد أبواب بغداد تبعني اسود متقلد بسيف حتى اذا غبت عن الحرس قبض على خطام الجمل فأناخه وقبض على يدي فقلت له ومابك فقال أنت طلبة أمير المؤمنين فقلت ومن انا حتى أطلب فقال أنت معن بن زائدة فقلت له ياهذا اتق الله عز وجل وأين أنا من معن فقال دع هذا فاني والله لأعرف بك منك فلما رأيت منه الجد قلت له هذا عقد جوهر قد حملته معي باضعاف ماجعله المنصور لمن يجيئه بي فخذه ولا تكن سببا لسفك دمي قال هاته فأخرجته اليه فنظر فيه ساعة وقال صدقت في قيمته ولست قابله حتى اسألك عن شئ فان أصدقتني أطلقتك فقلت قل قال ان الناس قد وصفوك بالجود فأخبرني هل وهبت مالك كله قط قلت لا قال فنصفه قلت لا قال فثلثه قلت لا حتى بلغ العشر فاستحييت وقلت أظن أني قد فعلت هذا قال ماذاك بعظيم أنا والله راجل ورزقي من أبي جعفر المنصور كل شهر عشرون درهما وهذا الجوهر قيمته الوف دنانير وقد وهبته لك ووهبتك لنفسك ولجودك المأثور بين الناس ولتعلم ان في هذه الدنيا من هو اجود منك فلا تعجبك نفسك ولتحقر بعد هذا كل جود فعلته ولا تتوقف عن مكرمة ثم رمى العقد في حجري وترك خطام الجمل وولى منصرفا فقلت ياهذا والله قد فضحتني ولسفك دمي علي أهون مما فعلت فخذ مادفعته لك فاني غني عنه فضحك وقال اردت ان تكذبني في مقالي هذا والله لا اخذته ولا آخذ لمعروف ثمنا ابدا ومضى لسبيله فوالله لقد طلبته بعد ان أمنت وبذلت لمن يجيء به ماشاء فما عرفت له خبرا وكأن الارض ابتلعته ولم يزل معن مستترا حتى كان يوم الهاشمية وهو يوم مشهور ثار فيه جماعة من أهل خراسان على المنصور ووثبوا عليه وجرت مقتلة عظيمة بينهم وبين أصحاب المنصور بالهاشمية وهي مدينة بناها السفاح بالقرب من الكوفة * ذكر غرس النعمة ابن الصابي في كتاب الهفوات ما مثاله لما فرغ السفاح من بناء مدينته بالانبار وذلك في ذي القعدة سنة أربع وثلاثين ومائة وكان معن متواريا بالقرب منهم فخرج متنكرا معتما متلثما وتقدم الى القوم وقاتل قدام المنصور قتالا أبان فيه عن نجدة وشهامة وفرقهم فلما افرج عن المنصور قال له من أنت ويحك فكشف لثامه فقال انا طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة فأمنه المنصور واكرمه وحباه وكساه ورتبه وصار من خواصه ثم دخل عليه بعد ذلك في الايام فلما نظر اليه قال هيه يا معن تعطي مروان ابن أبي حفصة مائة ألف درهم على قوله

معن بن زائدة الذي زيدت به * شرفا على شرف بنو شيبان

فقال كلا يا أمير المؤمنين انما أعطيته على قوله في هذه القصيدة

مازلت يوم الهاشمية معلنا * بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاءه * من وقع كل مهند وسنان

فقال أحسنت يامعن وقال له يوما يامعن ما أكثر وقوع الناس فى قومك فقال ياأمير المؤمنين

ان العرانين تلقاها محسدة * ولاترى للئام الناس حسادا

ودخل عليه يوما وقد أسن فقال له كبرت يامعن فقال فى طاعتك ياأمير المؤمنين فقال وانك لجلد فقال على أعدائك ياأمير المؤمنين فقال وفيك بقية فقال لك ياأمير المؤمنين وعرض هذا الكلام على عبد الرحمن بن زيد زاهد اهل البصرة فقال ويح هذا ماترك لربه شيأ واشهر قصائد مروان فيه واحسنها القصيدة اللامية التى ذكرت بعضها فى ترجمة مروان وهى طويلة تزيد على خمسين بيتا ولولا خوف الاطالة لذكرتها وله فيه من قصيدة

قد آمن الله من خوف ومن عدم * من كان جاراله من جور ذا الزمن
معن بن زائدة الموفى بذمته * والمشترى المجد بالغالى من الثمن
بز العطايا التى تبقى محامدها * غنما اذا عدها المعطى من الغبن
بنى لشيبان مجدا لازوال له * حتى تزول ذووا الاركان من حضن

حضن بفتح الحاء المهملة والضاد المعجمة وبعدها نون اسم جبل عظيم بين نجد وتهامة بينه وبين تهامة مرحلة يقال فى المثل انجد من رأى حضنا وله ذكر كثير فى الاشعار والاخبار ودخل على معن بعض الفصحاء يوما فقال له انى لو أردت ان استشفع اليك ببعض من يثقل عليك لوجدت ذلك سهلا ولكنى استشفعت اليك بقدرك واستغنيت بفضلك فان رأيت ان تضعنى من كرمك بحيث وضعت نفسى من رجائك فافعل وانى لم اكرم نفسى عن مسألتك فأكرم وجهى عن ردك ولمعن اشعار جيدة أكثرها فى الشجاعة وقد ذكرها أبو عبد الله بن المنجم فى كتاب البارع وأورد له عدة مقاطيع فمن ذلك قوله فى خطاب ابن أخى عبد الجبار بن عبد الرحمن وقد رآه يتبختر بين السماطين وكان قبل ذلك لقى الخوارج ففر منهم

هلا مشيت كذا غداة لقيتهم * وصبرت عند الموت ياخطاب
نجا مخوار العنان كأنه * تحت العجاج اذا استحث عقاب
وتركت صحبك والرماح تنوشهم * وكذاك من قعدت به الاحساب

وقال أبو عثمان المازنى النحوى حدثنى صاحب شرطة معن قال بينما أنا على رأس معن اذا هو براكب يوضع فقال معن ما أحسب الرجل يريد غيرى ثم قال لحاجبه لاتحجبه قال فجاء حتى مثل بين يديه وأنشد

أصلحك الله قل مابيدى * فما أطيق العيال اذ كثروا

أخ دهر بي بكلكله ٭ فأرسلوني اليك وانتظروا

قال فقال معن وأخذته الاريحية لايم والله لاعجلن اوبتك ثم قال يا غلام ناقتي الفلانية وألف دينار فادفعها اليه فدفعها اليه وهو لا يعرفه هكذا روى هذا الخطيب في تاريخه واخباره ومحاسنه كثيرة وكان قد ولي سجستان في أواخر أمره وانتقل اليها وله فيها آثار ومآثر يات وقصده الشعراء بها فلما كان سنة احدى وخمسين وقيل اثنين وخمسين وقيل ثمان وخمسين ومائة كان في داره صناع يعملون له شغلا فاندس بينهم قوم من الخوارج فقتلوه بسجستان وهو يحتجم ثم تبعهم ابن أخيه يزيد بن مزيد بن زائدة الآتي ذكره ان شاء الله تعالى فقتلهم باسرهم وكان قتله بمدينة بست ولما قتل معن رثاه الشعراء باحسن المراثي فمن ذلك قول مروان بن أبي حفصة شاعره المذكور وهي قصيدة من أفخر الشعر واحسنه واولها

مضى لسبيله معن وابقى ٭ مكارم لن تبيد ولن تنالا
كأن الشمس يوم اصيب معن ٭ من الاظلام ملبسة جلالا
هو الجبل الذي كانت نزار ٭ تهد من العدو به الجبالا
وعطلت الثغور لفقد معن ٭ وقد يروى بها الاسل النهالا
واظلمت العراق واورثتها ٭ مصيبته المجللة اختلالا
وظل الشام يرجف جانباه ٭ لركن العز حين وهى فمالا
وكادت من تهامة كل أرض ٭ ومن نجد تزول غداة زالا
فان يعلو البلاد له خشوع ٭ فقد كانت تطول به اختيالا
اصاب الموت يوم اصاب معنا ٭ من الاحياء اكرمهم فعالا
وكان الناس كلهم لمعن ٭ الى ان زار حفرته عيالا
ولم يك طالب للعرف ينوي ٭ الى غير ابن زائدة ارتحالا
مضى من كان يحمل كل ثقل ٭ ويسبق فضل نائله السؤالا
وما عمد الوفود لمثل معن ٭ ولا حطوا بساحته الرحالا
ولا بلغت اكف ذوي العطايا ٭ يمينا مثل يديه ولا شمالا
وما كانت تجف له حياض ٭ من المعروف مترعة سجالا
لابيض لا يعد المال حتى ٭ يعم به بغاة الخير مالا
فليت الشامتين به فدوه ٭ وليت العمر مد له فطالا
ولم يك كنزه ذهبا ولكن ٭ سيوف الهند والحلق المذالا
وماذية من الحلق سمر ٭ ترى فيهن لينا واعتدالا
وذخرا من محامد باقيات ٭ وفضل تقى به التفضيل نالا

ومن القصيدة أيضا

مضى لسبيله من كنت ترجو * به عثرات دهرك ان تقالا
فلست بمالك عبرات عين * ابت بدموعها الا انهمالا
وفى الاحشاء منك غليل حزن * كحر النار يشتعل اشتعالا
وقائلة رأت جسمى ولونى * معا عن عهدها قلبا فحالا
أرى مروان عاد كذى نحول * من الهندى قد فقد الصقالا
رأت رجلا براه الحزن حتى * اضر به وأورثه خبالا
فقلت لها الذى انكرت منى * لفجع مصيبة انكى رعالا
وايام المنون لها صروف * تقلب بالفتى حالا فحالا

ومن القصيدة أيضا

كأن الليل واصل بعد معن * ليالى قد قرن به فطالا
فلهف ابى عليك اذا العطايا * جعلن منى كواذب واعتلالا
ولهف ابى عليك اذا اليتامى * غدوا شعثا كأنهم سلالا
ولهف ابى عليك اذا القوافى * لممتدح بها ذهبت ضلالا
ولهف ابى عليك لكل هيجا * لها تلقى حواملها السخالا
اقمنا باليمامة اذ يئسنا * مقاما لا نريد به زيالا
وقلنا اين نرحل بعد معن * وقد ذهب النوال فلا نوالا
وما شهد الوقائع منك امضى * واكرم محتدا واشد بالا
سيذكرك الخليفة غير قال * اذا هو فى الامور بلا الرجالا
ولا ينسى وقائعك اللواتى * على اعدائه جعلت وبالا
ومعترك شهدت به حفاظا * وقد كرهت فوارسه النزالا
حباك اخو أمية بالمراثى * مع المدح الذى قد كان قالا
اقام وكان نحوك كل عام * يطيل بواسط الرحل اعتقالا
والقى رحله اسفا وآلى * يمينا لا يشد له حبالا

وهذه المرثية من أحسن المراثى وقال عبد الله بن المعتز فى كتاب طبقات الشعراء دخل مروان بن أبى حفصة على جعفر البرمكى فقال له ويحك أنشدنى من مرثيتك فى معن بن زائدة فقال بل أنشدك من مدحى فيك فقال جعفر أنشدنى من مرثيتك فى معن فأنشأ يقول

وكان الناس كلهم لمعن * الى ان زار حفرته عيالا

حتى فرغ من القصيدة وجعل جعفر يرسل دموعه على خديه فلما فرغ قال له جعفر هل اثابك على هذه المرثية أحد من أولاده وأهله شيأ قال لا قال جعفر فلو كان معن حيا ثم سمعها منك كم كان يثيبك عليها قال اصلح الله الوزير أربعمائة دينار قال جعفر

فانا نقلي انه كان لا يرضى لك بذلك قد أمر نالك عن معن رحمه الله تعالى بالضعف مما ظننت وزدناك نحن مثل ذلك فاقبض من الخازن ألفا وستمائة دينار قبل ان تنصرف الى رحلك فقال مروان يذكر كرمه فرما سمح به عن معن

نفحت مكافئا عن قبر معن * لنا مما تجود به سجالا
فعجلت العطية يا ابن يحيى * لنادبه ولم ترد المطالا
فكافى عن صدى معن جواد * بأجود راحة بذل النوالا
بنى لك خالد وابوك يحيى * بناء في المكارم ان ينالا
كأن البرمكى بكل مال * تجود به يداه يفيد مالا

ثم قبض المال وانصرف وحكى أبو الفرج الاصبهانى فى كتاب الاغانى عن محمد البيدق النديم انه دخل على هارون الرشيد فقال له أنشدنى مرثية مروان بن أبى حفصة فى معن ابن زائدة فانشده بعض هذه القصيدة فبكى الرشيد قال وكان بين يديه مكرجة فلأها من دموعه ويقال ان مروان بعد هذه القصيدة المرثية لم ينتفع بشعره فانه كان اذا مدح خليفة أومن دونه قال له أنت قلت فى مرثيتك

وقلنا أين نرحل بعد معن * وقد ذهب النوال فلا نوالا

فلا يعطيه الممدوح شيأ ولا يسمع قصيدته حدث الفضل بن الربيع قال رأيت مروان بن أبى حفصة وقد دخل على المهدى بعد موت معن بن زائدة فى جماعة من الشعراء فيهم سلم الخاسر وغيره فانشده مديحا فقال له من أنت فقال شاعرك مروان بن أبى حفصة فقال له المهدى الست القائل وقلنا أين نرحل بعد معن وأنشده البيت المذكور وقد جئت تطلب نوالنا وقد ذهب النوال لاشئ لك عندنا جروا برجله قال فجروا برجله حتى أخرجوه فلما كان فى العام المقبل تلطف حتى دخل مع الشعراء وانما كانت الشعراء تدخل على الخلفاء فى ذلك الحين فى كل عام مرة قال فمثل بين يديه وأنشده قصيدته التى اولها * طرقتك زائرة فحى خيالها * وقد تقدم ذكر بعضها فى ترجمة مروان قال فأنصت لها المهدى ولم يزل يزحف كلما سمع شيأ فشيأ منها حتى صار على البساط اعجابا بما سمع ثم قال له كم بيت هى فقال مائة بيت فأمر له بمائة ألف درهم وهذا يخالف ماذكرناه فى ترجمته لكنه يختلف باختلاف الروايات ويقال انها اول مائة ألف أعطيها شاعر فى خلافة بنى العباس قال الفضل بن الربيع فلم يلبث الايام ان افضت الخلافة الى هارون الرشيد ولقد رأيت مروان ماثلا مع الشعراء بين يديه وقد أنشده شعرا فقال له من أنت فقال شاعرك مروان بن أبى حفصة فقال له ألست القائل فى معن كذا وأنشده البيت ثم قال خذوا بيده فأخرجوه فانه لاشئ له عندنا ثم تلطف حتى دخل عليه بعد ذلك فأنشده فأحسن جائزته ومن المراثى النادرة أيضا أبيات الحسين بن مطير بن الاشيم الاسدى فى معن بن زائدة أيضا وهى من أبيات الحماسه

ألما على معن وقولا لقبره * سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا
فيا قبر معن كيف واريت جوده * وقد كان منه البر والبحر مترعا
ويا قبر معن أنت اول حفرة * من الارض خطت للمكارم مضجعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت * ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا
فتى عيش في معروفه بعد موته * كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
ولما مضى معن مضى الجود وانقضى * واصبح عرنين المكارم اجدعا

وقد سبق لمعن في ترجمة الصاحب بن عباد نادرة مستظرفة فلا حاجة الى اعادتها هنا ولولا خوف الاطالة لاتيت من محاسنه بكل نادرة بديعة والحوفزان بن شريك الشيباني الموصوف بالكرم والشجاعة اخو جده مطر بن شريك وانما قيل له الحوفزان لان قيس ابن عاصم المنقري حفزه بالرمح حين خاف ان يفوته ومعنى حفزه أي دفعه من خلفه واسم الحوفزان الحرث بن شريك وقيل ان الذى حفزه بسطام بن قيس الشيباني والاول اصح والله تعالى أعلم

مقاتل

أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الازدي بالولاء الخراساني المروزي أصله من بلخ وانتقل الى البصرة ودخل بغداد وحدث بها وكان مشهورا بتفسير كتاب الله العزيز وله التفسير المشهور وأخذ الحديث عن مجاهد بن جبير وعطا بن أبي رباح المقدم ذكره وأبي اسحاق السبيعي وقد تقدم ذكره أيضا والضحاك بن مزاحم ومحمد بن مسلم الزهري وغيرهم وروى عنه بقية بن الوليد الحمصي وعبد الرزاق بن همام الصنعاني المقدم ذكره وحرمي بن عمارة وعلى بن الجعد وغيرهم وكان من العلماء الاجلاء حكى عن الامام الشافعي رضي الله عنه انه قال الناس كلهم عيال على ثلاثة على مقاتل بن سليمان في التفسير وعلى زهير بن أبي سلمى في الشعر وعلى أبي حنيفة في الكلام وروى ان أبا جعفر المنصور كان جالسا فسقط عليه الذباب فطيره فعاد اليه وألح عليه وجعل يقع على وجهه واكثر من السقوط عليه مرارا حتى أضجره فقال المنصور انظروا من بالباب فقيل له مقاتل بن سليمان فقال على به فاذن له فلما دخل عليه قال له هل تعلم لماذا خلق الله تعالى الذباب قال نعم ليذل الله عز وجل به الجبابرة فسكت المنصور وقال ابراهيم الحربي قعد مقاتل بن سليمان فقال سلوني عما دون العرش فقال له رجل آدم صلى الله عليه حين حج من حلق رأسه قال مقاتل ليس هذا من علمكم ولكن الله تعالى أراد ان يبليني لما أعجبتني نفسي وقال سفيان بن عيينة قال مقاتل بن سليمان يوما سلوني عما دون العرش فقال له انسان يا أبا الحسن أرأيت الذرة والنملة معاؤها في مقدمها أم في مؤخرها قال فبقي الشيخ لا يدري ما يقول له قال سفيان فظننت انها عقوبة عوقب بها وقد اختلف العلماء في أمره فمنهم من وثقه في الرواية ومنهم من نسبه الى الكذب قال بقية بن الوليد كنت كثيرا اسمع شعبة بن الحجاج وهو يسأل عن مقاتل فما سمعته

فلا ذكره الابخير وسئل عبد الله بن المبارك عنه فقال رحمه الله لقد ذكرلنا عنه عبادة وروى عن عبد الله بن المبارك أيضا انه ترك حديثه وسئل ابراهيم الحربي عن مقاتل هل سمع من الضحاك بن مزاحم فقال لا مات الضحاك قبل ان يولد مقاتل بأربع سنين وقال مقاتل اغلق على وعلى الضحاك باب أربع سنين قال ابراهيم وأراد بقوله باب يعنى باب المدينة وذلك فى المقابر وقال ابراهيم أيضا ولم يسمع مقاتل عن مجاهد شيئا ولم يلقه وقال أحمد بن سيار مقاتل بن سليمان كان من أهل بلخ وتحول الى مرو وخرج الى العراق وهو متهم متروك الحديث مهجور القول وكان يتكلم فى الصفات بما لا تحل الرواية عنه وقال ابراهيم بن يعقوب الجوزجانى مقاتل بن سليمان كان دجالا جسورا وقال أبو عبد الرحمن النسائى الكذابون المعروفون بوضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة ابن أبى يحيى بالمدينة والواقدى ببغداد ومقاتل بن سليمان بخراسان ومحمد بن سعيد ويعرف بالمصلوب بالشام وذكر وكيع يوما مقاتل بن سليمان فقال كان كذابا وقال أبو بكر الآجرى سألت أبا داود سليمان بن الاشعث عن مقاتل ابن سليمان فقال تركوا حديثه وقال عمرو بن على الفلاس مقاتل بن سليمان كذاب متروك الحديث وقال البخارى مقاتل بن سليمان سكتوا عنه وقال فى موضع آخر لاشئ البتة وقال يحيى بن معين مقاتل بن سليمان ليس حديثه بشئ وقال أحمد بن حنبل مقاتل بن سليمان صاحب التفسير ما يعجبنى ان اروى عنه شيأ وقال أبو حاتم الرازى هو متروك الحديث وقال زكريا بن يحيى الساجى مقاتل بن سليمان من أهل خراسان قالوا كان كذابا متروك الحديث وقال أبو حاتم محمد بن حبان البستى مقاتل بن سليمان كان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن العزيز الذى يوافق كتبهم وكان مشبها يشبه الرب بالمخلوقين وكان يكذب مع ذلك فى الحديث وبالجملة فان الكلام فى حقه كثير وقد خرجنا عن المقصود لكن أردت ذكر اختلاف أقاويل العلماء فى شأنه وتوفى سنة خمسين ومائة بالبصرة رحمه الله تعالى وقد تقدم الكلام على الازدى والمروزى فاغنى عن الاعادة والله تعالى أعلم بالصواب

أبو الهيجاء مقاتل بن عطية بن مقاتل البكرى الحجازى الملقب شبل الدولة كان من أولاد أمراء العرب فوقعت بينه وبين اخوته وحشة أوجبت رحلته عنهم ففارقهم ووصل الى بغداد ثم خرج الى خراسان وانتهى الى غزنة وعاد الى خراسان فاختص بالوزير نظام الملك وصاهره ولما قتل نظام الملك رثاه أبو الهيجاء المذكور بيتين تقدم ذكرهما فى ترجمته ثم عاد الى بغداد وأقام بها مدة وعزم على قصد كرمان مسترفدا وزيرها ناصر الدين مكرم بن العلاء وكان من الأجواد المشاهير فكتب الى الامام المستظهر بالله قصة يلتمس فيها الانعام عليه بكتاب الى الوزير المذكور متضمنه الاحسان اليه فوقع المستظهر على رأس قصته يا أبا الهيجاء ابعدت النجعه اسرع الله بك الرجعه

وفى ابن العلاء مقنع وطريقته فى الخير مهيع وما يسديه اليك يستحلى ثمرة شكره ويستعذب مياه بره والسلام فاكتفى أبو الهيجاء بهذه الاسطر واستغنى عن الكتاب وتوجه الى كرمان فلما وصلها قصد حضرة الوزير واستأذن فى الدخول فأذن له فدخل عليه وعرض على رأيه القصة فلما رآها قام وخرج عن دسته اجلالا لها وتعظيما لكاتبها وأطلق لأبى الهيجاء ألف دينار فى ساعته ثم عاد الى دسته فعرفه أبو الهيجاء ان معه قصيدة يمدحه بها فاستنشده فانشده

دع العيس تذرع عرض الفلا * الى ابن العلاء والافلا

فلما سمع الوزير هذا البيت أطلق له ألف دينار أخرى ولما كمل انشاده القصيدة أطلق له ألف دينار أخرى وخلع عليه وقاد اليه جوادا بركبه وقال له دعاء أمير المؤمنين مسموع مرفوع وقد دعا لك بسرعة الرجوع وجهزه بجميع ما يحتاج اليه فرجع الى بغداد وأقام بها قليلا ثم سافر الى ماوراء النهر وعاد الى خراسان ونزل الى مدينة هراة وهوى بها امرأة وأكثر من التشبيب فيها ثم رحل الى مرو واستوطنها ومرض فى آخر عمره وتسودن وحمل الى البيمارستان وتوفى به فى حدود سنة خمس وخمسمائة رحمه الله تعالى وكان من الادباء الظرفاء وله النظم البديع الرائق وبينه وبين العلامة أبى القاسم الزمخشرى المقدم ذكره مكاتبات ومداعبات وكتب اليه قبل الاجتماع به

هذا اديب كامل * مثل الدرارى درره * زمخشرى فاضل * إنجبه زمخشره
كالبحر ان لم أره * فقد اتانى خبره

فكتب اليه الزمخشرى

شعره امطر شعرى شرفا * فاعتلى منه بباب الحسد
كيف لا يستأسد النبت اذا * بات مستسقيا بنوء الاسد

وله كل مقطوع لطيف رحمه الله تعالى والوزير المذكور هو الذى تقدم ذكره فى ترجمة أبى اسحاق ابراهيم الغزى الشاعر المشهور فانه قصده بكرمان وامتدحه بقصيدة بائية طنانة ذكرت منها فى ترجمة الغزى بيتين هما من الشعر العجيب وضمنهما المعنى الغريب واول هذه القصيدة

وورود ركايا الدمع تكفى الركائبا * وشم تراب الربع يشفى الترائبا
اذا شمت من برق العقيق عقيقته * فلا تنجع دون الجفون السحائبا

ومنها عند الخروج الى المديح

وعيس لها برهان عيسى بن مريم * اذا أقبل الفج العميق المطالبا
ترقصهن الآل اما طوافيا * تراهن فى اودية أو رواسبا
سوانح كالنينان تحسب انى * سحبت المطايا اذ سحبت السباسبا
تنسمن من كرمان عرفا عرفنه * فهن يلاعبن النشاط لواعبا

يرين وراء الخافقين من المنى * مشارق لم يؤبه لها ومغاربا
الى ماجد لم يقبل المجد وارثا * ولكن سعى حتى حوى المجد كاسبا
تبسم ثغر الدهر منه بصاحب * اذا جد لم يصحب سوى العزم صاحبا

ومنها أيضا

تصيخ له الاسماع مادام قائلا * وتعنو له الابصار مادام كاتبا
ولم ار ليثا خادرا قبل مكرم * ينافس في العليا ويعطي الرغائبا
ولولم يكن لينابع الجود لم يكن * اذا صال بالاقلام صارت مخالبا

ومنها ايضا

اذا زان قوما بالمناقب واصف * ذكرناله فضلا يزين المناقبا
له الشيم الشم التي لو تجسمت * لكانت لوجه الدهر عينا وحاجبا
ثنى نحو شمطاء الوزارة طرفه * فصارت بادنى لحظة منه كاعبا
تناول اولاها ومامتساعدا * وأحرز اخراها وما قام واثبا

وهي من غرر القصايد وفي هذا الانموذج منها دلالة على الباقي والله اعلم

ابو حسان المقلد بن المسيب بن رافع بن المقلد بن جعفر بن عمرو بن المهنى عبد الرحمن بن يزيد بالتصغير ابن عبد الله بن زيد بن قيس بن حوثة بن طهفة بن حزن بن عقيل ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن العقيلي الملقب حسام الدولة

صاحب الموصل كان أخوه أبو الذواد محمد بن المسيب اول من تغلب على الموصل وملكها من اهل هذا البيت وذلك في سنة ثمانين وثلثمائة وتزوج بهاء الدولة أبو نصر ابن عضد الدولة بن بويه الديلمي ابنته فلما مات أبو الذواد في سنة سبع وثمانين قام أخوه المقلد المذكور بالملك من بعده وكان أعور وذكر شيخنا ابن الاثير في تاريخه ان ذلك في سنة ست وثمانين وان أبا الذواد لما توفي طمع المقلد في الملك فلم يساعده بنو عقيل وقدموا أخاه عليا الكبر سنه ثم توصل بالخديعة حتى ملك وأطال القول في ذلك فاختصرته وهذا حاصله وقال غير ابن الاثير انه كان فيه عقل وسياسة وحسن تدبير فغلب على بني الفرات واتسعت مملكته ولقبه الامام القادر بالله وكانوا انفذوا اليه باللواء والخلع فلبسها بالانبار واستخدم من الديلم والاتراك ثلاثة آلاف رجل واطاعته خفاجة وكان فيه فضل ومحبة لاهل الادب وينظم الشعر حكى أبو الهيجاء ابن عمران بن شاهين قال كنت اساير معتمد الدولة أبا المنيع قرواش بن المقلد المذكور ما بين سنجار ونصيبين فنزلنا ثم استدعاني بعد الزوال وقد نزل بقصر هناك يعرف بقصر العباس بن عمرو الغنوي وكان مطلا على بساتين ومياه كثيرة فدخلت عليه فوجدته قائما يتأمل كتابة على الحائط فقرأتها فاذا هي

يا قصر عباس بن عمرو * كيف فارقك ابن عمرك
قد كنت تغتال الدهو * رفكيف غالك ريب دهرك
واها لعزك بل لجو * دك بل لمجدك بل لفخرك

وتحتها مكتوب وكتبه علي بن عبد الله بن حمدان بخطه في سنة احدى وثلاثين وثلثمائة قلت وهذا الكاتب هو سيف الدولة بن حمدان ممدوح المتنبي وقد تقدم ذكره قال الراوي وكان تحت ذلك مكتوب

يا قصر ضعضعك الزما * ن وحط من علياء فخرك
ومحا محاسن أسطر * شرفت بهن متون جدرك
واها لكاتبها الكريـ * ـم وقدره الموفي لقدرك

وتحت الابيات مكتوب وكتبه الغضنفر بن الحسن بن علي بن حمدان بخطه في سنة اثنين وستين وثلثمائة قلت وهذا الكاتب هو عدة الدولة بن ناصر الدولة الحسن ابن عبد الله بن حمدان ابن أخي سيف الدولة وقد سبق ذكر والده أيضا في حرف الحاء وتحت ذلك مكتوب

يا قصر ما فعل الالى * ضربت قبابهم بقعرك
أخنى الزمان عليهم * وطواهم بطويل نشرك
واها لقاصر عمر من * يختال فيك وطول عمرك

وتحته مكتوب وكتبه المقلد بن المسيب بن رافع بخطه في سنة ثمان وثمانين وثلثمائة قلت وهذا الكاتب هو المقلد المذكور صاحب هذه الترجمة وتحت ذلك مكتوب

يا قصر ما صنع الكرا * م السا كنون قديم عصرك
عاصرتهم فبددتهم * سناورتهم طرا بصبرك
ولقد اثار تفجعي * يا ابن المسيب رقم سطرك
وعلمت اني لاحق * بك ذاتيا في قفو اثرك

وتحته مكتوب وكتبه قرواش بن المقلد بن المسيب بخطه في سنة احدى واربعمائة قال الراوي فعجبت من ذلك وقلت لقرواش الساعة كتبت هذا فقال نعم وقد هممت بهدم القصر فانه مشؤم قد دفن الجماعة فدعوت له بالسلامة وانصرفت ورحلت بعد ثلاثة أيام ولم يهدم القصر وهذا العباس بن عمرو الغنوي من أهل تل بني سيار الذي بين الرقة ورأس عين بالقرب من حصن مسلمة بن عبد الملك بن مروان الحكمي وكان يتولى اليمامة والبحرين وسيره المعتضد بالله لحرب القرامطة في اول أمرهم فقاتلوه وكسروه واسروه ثم أطلقوه فرجع الى المعتضد ودخل بغداد ليلة الاحد لاحدى عشرة ليلة مضت من شهر رمضان سنة سبع وثمانين ومائتين وقال أبو عبد الله العظيمي الحلبي في تاريخه الصغير مات العباس بن عمرو الغنوي في سنة خمسين وثلثمائة ومن العجائب انه

قوله
قوله
في ا

توجه اليهم في عشرة آلاف فقتل الجميع وسلم وحده وعمرو بن الليث الصفار حارب اسماعيل بن أحمد صاحب خراسان وهو في ستين ألفا فاخذوه وبقي الباقون وكان بين ما كتبه سيف الدولة وبين ما كتبه قرواش سبعون سنة وقد سبق تقرير هذه الحكاية في ترجمة عبد الملك بن عمير وما جرى له مع عبد الملك بن مروان فلينظر هنالك وبينما المقلد المذكور في مجلس انسه وهو بالانبار اذ وثب عليه غلام تركي فقتله وذلك في صفر سنة احدى وتسعين وثلثمائة ويقال انه مدفون على الفرات بمكان يقال له شقيا بين الانبار وهيت وحكي ان هذا التركي سمعه وهو يقول لرجل ودعه وهو يريد الحج اذا جئت ضريح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقف عنده وقل له عني لولا صاحباك لزرتك وللمامات رثاه الشريف الرضي بقصيدتين ورثاه جماعة من الشعراء وكان ولده معتمد الدولة أبو المنيع قرواش غائبا عنه ثم تقلد الامر من بعده وكان له عمان ينازعانه في الامر أحدهما أبو الحسن بن المسيب والآخر أبو مرخ مصعب بن المسيب فتوفي أبو الحسن بن المسيب سنة اثنين وتسعين وتوفي أبو مرخ سنة سبع وتسعين فتفرد قرواش بالملك واستراح خاطره منهما وكانت له بلاد الموصل والكوفة والمداين وسقي الفرات وخطب في بلاده للحاكم صاحب مصر المقدم ذكره في سنة احدى وأربعمائة ثم رجع عن ذلك ووصلت الغز الى الموصل ونهبوا دار قرواش وأخذوا منها ما يزيد على مائتي ألف دينار فاستنجد بنور الدولة أبي الأغر دبيس بن صدقة المقدم ذكره فانجده واجتمعا على محاربة الغز فنصروا عليهم وقتل الكثير منهم ومدحه أبو علي بن الشبل البغدادي الشاعر المشهور بقصيدة ذكر فيها هذه الواقعة منها قوله

نزهت أرضك عن قبور جسومهم * فغدت قبورهم بطون الانسر
من بعد ما وطئوا البلاد وظفروا * من هذه الدنيا بكل مظفر
فضوا رتاج السد عن يأجوجه * ولقوا بيأسك سطوة الاسكندر

وكان قرواش المذكور أديبا شاعرا ظريفا وله أشعار سائرة فمن ذلك ما أورده له أبو الحسن الباخرزي في اول كتاب دمية القصر وهو قوله

لله در النائبات فانها * صدأ اللئام وصيقل الاحرار
ما كنت الا زبرة فطبعتني * سيفا واطلق طرفهن غراري

وأورد له أيضا

من كان يحمد او يذم مورثا * للمال من آبائه وجدوده
فأنا امرؤ لله أشكر وحده * شكرا كثيرا جالبا لمزيده
لي اشقر ملء العنان مغاور * يعطيك ما رضيك من مجهوده
ومهند عضب اذا جردته * خلت البروق تموج في تجريده
ومثقف لدن السنان كانما * أم المنايا ركبت في عوده

وبذا حويت المال الاتى * سلطت جوديدى على تبديده

ما أحسن هذا الشعر وامتنه ومن المنسوب اليه أيضا

والفة للطيب ليست تغبه * منعمة الإطراف لينة اللامس
اذا مادخان الند من جيبها علا * على وجهها ابصرت غيما على شمس

وذكر الباخرزى المذكور فى دمية القصر أيضا لابى حويه ابن عم الامير قرواش المذكور

قوم اذا اقتحموا العجاج رأيتهم * شمسا وخلت وجوههم اقمارا
لا يعدلون برفدهم عن سائل * عدل الزمان عليهم اوجارا
واذا الصريخ دعاهم و لملمة * بذلوا النفوس وفارقوا الاعمارا
واذا زناد الحرب أخمد نارها * قدحوا باطراف الاسنة نارا

ومن جملة شعراء دمية القصر أيضا الطاهر الجزرى وقد مدح قرواشا المذكور بقوله وهو فى نهاية الحسن فى باب الاستطراد

وليل كوجه البرقعيدى ظلمة * وبرد أغانيه وطول قرونه
سريت ونومى فيه نوم مشرد * كعقل سليمان بن فهد ودينه
على اولق فيه مضاء كانه * أبو جابر فى طيشه وجنونه
الى أن بدا ضوء الصباح كانه * سنا وجه قرواش وضوء جبينه

واشرف الدين بن عنين الشاعر المقدم ذكره على هذا الاسلوب فى فقيهين كانا بدمشق ينبز أحدهما بالبغل والآخر بالجاموس

البغل والجاموس فى جدليهما * قد اصبحا عظة لكل مناظر
برزا عشية ليلة فتباحثا * هذا بقرنيه وذا بالحافر
ما اتقنا غير الصياح كأنما * لقيا جدال المرتضى بن عساكر
لفظ طويل تحت معنى قاصر * كالعقل فى عبد اللطيف الناظر
اثنان ما لهما وحقك ثالث * الا رقاعة مدلويه الشاعر

ولقد حكى بعض الاصحاب انه سأل ابن عنين عن أبيات الطاهر الجزرى فاستحسن بناءه عليها فحلف انه ما كان سمعها والله أعلم ومدلويه المذكور لقب كان ينبز به الرشيد عبد الرحمن بن محمد بن بدر بن الحسن بن الفرج بن بكار الشاعر المعروف بابن النابلسى وكان مقيما بدمشق ولابن عنين فيه عدة مقاطيع هجو وتوفى فى منتصف صفر سنة تسع عشرة وستمائة بدمشق المحروسة ودفن بباب الصغير رحمه الله تعالى وذكر فى كتاب الدمية أيضا للطاهر الجزرى المذكور أبياتا لطيفة احببت ذكرها وهى

انظر الى خط ابن شبل فى الهوى * اذ لا يزال لكل قلب شائقا
شغل النساء عن الرجال وطالما * شغل الرجال عن النساء مراهقا

عشقوه أمر دفالتي عشقته ‌ ‌ الله أكبر ليس يعدم عاشقا

ثم وجدت في كتاب الخريدة في ترجمة أبي نصر بن الصاحب الحلبي البيتين الاخيرين من
هذه الابيات الثلاثة وقال أورده أبو الصلت في الخريدة له يعني لابن الصاحب والله أعلم
رجعنا الى حديث الامير قرواش وكان كريما وهابا نهابا جاريا على سنن العرب
نقل انه جمع بين أختين في النكاح فلامته العرب على ذلك فقال خبروني ما الذي
نستعمله مما تبيحه الشريعة وكان يقول ما في رقبتي غير خمسة أو ستة من أهل البادية
قتلتهم فاما الحاضرة فما يعبأ الله بهم ودامت امارة قرواش مدة خمسين سنة فوقع بينه
وبين أخيه بركة بن المقلد وكان خارج البلد فقبض بركة عليه في سنة احدى وأربعين
وأربعمائة وقيده وحبسه في الجراحية احدى قلاع الموصل وتولى مكانه ولقب بركة
بزعيم الدولة وأقام في الامارة سنتين وتوفي في ذي الحجة سنة ثلاث وأربعين فقام مقامه
ابن أخيه أبو المعالي قريش بن أبي الفضل بدران بن المقلد وكان بدران المذكور
صاحب نصيبين وتوفي في رجب سنة خمس وعشرين وأربعمائة فاول ما فعل قريش انه
قتل عمه قرواشا المذكور في مجلسه في مستهل رجب سنة أربع وأربعين وأربعمائة
ودفن بتل توبة شرقي الموصل وكان فصيحا شاعرا كريما شجاعا وقرواش بكسر
القاف وسكون الراء وفتح الواو وبعد الالف شين معجمة وهو فعوال من القرش وهو
في اللغة الكسب والجمع وبه سميت قريش أيضا لانها كانت تعانى التجارة واجتمع
قريش مع ارسلان البساسيري المقدم ذكره على نهب دار الخلافة ثم ان الامام القائم
بأمر الله جرى على سجيته في الحلم وكتب الى السلطان طغرلبك المقدم ذكره في المهدين
ليرضى عنه وورد الخبر بعد ذلك بموته اعني قريش بن بدران في سنة ثلاث وخمسين
وأربعمائة في أوائلها بالطاعون بمدينة نصيبين وكان عمره احدى وخمسين سنة وولي
بعده امارة بني عقيل ولده أبو المكارم مسلم بن قريش الملقب شرف الدولة وكان قد طمع
في الاستيلاء على بغداد بعد وفاة السلطان طغرلبك السلجوقي المقدم ذكره ثم رجع عن
ذلك واستولى على ديار ربيعة ومضر وملك حلب وأخذ الاتاوة من بلاد الروم وقصد
دمشق وحاصرها وكاد يأخذها فبلغه ان حران عصى عليه اهلها فرحل اليهم وحاربوه
ففتحها وقتل خلقا كثيرا من أهلها وذلك في سنة ست وسبعين وأربعمائة واتسعت
له المملكة ولم يكن في أهل بيته من ملك مثله وكانت سيرته من أحسن السير وأعدلها
وكانت الطرقات في بلاده آمنة ومن جملة ما نقل عنه ان ابن حيوس الشاعر المقدم ذكره
مات عنده وخلف اكثر من عشرة آلاف دينار فحمل ذلك الى خزانته فرده وقال
لا يتحدث عني أحد أني أعطيت شاعرا مالا ثم شرهت فيه فأخذته وانه دخل خزانتي مال
جمع من أوساخ الناس وكان يصرف الجزية في جميع بلاده الى الطالبيين ولا يأخذ منها
شيأ وهو الذي عمر سور الموصل وكان ابتداء عمارته يوم الاحد ثالث شوال سنة أربع

وسبعين وفرغ من عمارته فى ستة أشهر واخباره كثيرة وجرى بينه و بين سليمان بن قتلمش السلجوقى صاحب الروم مصاف فقتل على باب انطاكية فى خامس عشر صفر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة يوم الجمعة وعمره خمس وأربعون سنة وشهور هكذا قاله محمد بن عبد الملك الهمدانى فى كتابه الذى سماه المعارف المتأخرة وذكر أيضا ابن الصابى فى تاريخه ان مولد مسلم بن قريش يوم الجمعة الثالث والعشرين من رجب سنة اثنين وثلاثين وأربعمائة والله أعلم وذكر المأمونى فى تاريخه انه وثب عليه خادم من خواصه فخنقه فى الحمام وذكر له واقعة فى ذلك وذلك فى سنة اربع وسبعين والله أعلم بالصواب ورتب السلطان ملكشاه السلجوقى المتقدم ذكره ولده أبا عبد الله محمد فى الرحبة وحران وسروج و بلد الخابور وزوجه أخته زليخا بنت السلطان ألب ارسلان وكان والده مسلم ابن قريش اعتقل أخاه أبا سالم ابراهيم بن قريش بقلعة سنجار مدة أربع عشرة سنة فلما هلك مسلم وتقرر أمر ولده محمد فى الامارة اجتمع أهله على ابراهيم المذكور فأخرجوه وقدموه عليهم ثم اعتقله ملكشاه وولى ابن أخيه محمد المذكور فلما مات ملكشاه اطلق وجمع ابراهيم العرب وحارب تاج الدولة تتش السلجوقى المذكور فى حرف التاء بمكان يعرف بالمضيع فقتله تاج الدولة تتش صبرا فى سنة ست وثمانين وأربعمائة ومن أمراء بنى عقيل أيضا أبو الحرث مهارش بن المجلى بن عليب بن قيان بن شعيب بن المقلد الاكبر ابن جعفر بن عمرو بن المهنا المذكور فى اول هذه الترجمة ومهارش المذكور هو صاحب الحديثة وهو الذى نزل عليه الامام القائم فى قصة البساسيرى لما خرج من بغداد و بالغ فى اكرامه واجلاله والاحسان اليه فأقام عنده سنة وهى واقعة مشهورة فلا حاجة الى شرحها وكان مهارش المذكور كثير الصدقة والصلوات ملازم الجمع والجماعات وتوفى فى صفر سنة تسع وتسعين وأربعمائة وعمره ثمانون سنة والله تعالى أعلم

مخلص الد

أبو المتوج مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى الملقب مخلص الدولة والد الامير سديد الدولة أبى الحسن على صاحب قلعة شيزر المقدم ذكره

كان رجلا نبيل القدر سائر الذكر رزق السعادة فى بنيه وحفدته وقد تقدم فى ترجمة ولده المذكور طارف من بدء أمرهم وكيف ملك القلعة المذكورة وكان والده مقلد المذكور فى جماعة كثيرة من أهل بيته مقيمين بالقرب من قلعة شيزر عند جسر بنى منقذ المنسوب اليهم وكانوا يترددون الى حماة وحلب وتلك النواحى ولهم بها الدور النفيسة والاملاك المثمنة وذلك كله قبل ان يملكوا قلعة شيزر وكان ملوك الشام يكرمونهم ويجلون اقدارهم وشعراء عصرهم يقصدونهم ويمدحونهم وكان فيهم جماعة أعيان رؤساء كرماء اجلاء علماء وقد سبق ذكر اسامة بن منقذ وهو من احفاده ولم يزل مخلص الدولة فى رياسته وجلالته الى ان توفى فى ذى الحجة سنة خمسين وأربعمائة بحلب وحمل الى

كفرطاب ورأيت في ديوان ابن سنان الخفاجي الشاعر عقيب اشعاره في المذكور يقول ما صورته وقال يرثيه وقد توفي في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وأربعمائة والله أعلم بالصواب رحمه الله تعالى ورثاه القاضي أبو يعلى حمزة بن عبد الرزاق بن أبي حصين بهذه القصيدة وهي من فائق الشعر وأنشدها لولده أبي الحسين على المذكور وسأذكرها كلها ان شاء الله تعالى وان كانت طويلة لكنها غريبة قليلة الوجود بايدي الناس وما رأيت أحدا قط يحفظ منها الا أبياتا يسيرة فاحببت ذكرها لذلك وهي هذه القصيدة

إلا كل حي مقصدات مقاتله * وآجل ما يخشى من الدهر عاجله
وهل يفرح الناجي السليم وهذه * خيول الردى قدامه وحبائله
لعمر الفتى ان السلامة سلم * الى الحين والمغرور بالعيش آمله
فيسلب أثواب الحياة معارها * ويقضى غريم الدين من هو ماطله
مضى قيصر لم تغن عنه قصوره * وجندل كسرى ما حمته مجادله
وما صد هلكا عن سليمان ملكه * ولا منعت منه اباه سرابله
ولم يبق الامن يروح ويغتدى * على سفر ينأى عن الاهل قافله
وما نفس الانسان الا خزامة * بايدي المنايا والليالي مراحله
فهل غال بدء المخلص الدولة الردى * وهل تزوى عن شواء غوائله
ولكنه حوض الحمام فارط * اليه وتال مسرعات رواحله
لقد دفن الاقوام اروع لم تكن * بمدفونة طول الزمان فضائله
سقى جدثا حالت عليه ترابه * اكفهم طل الغمام ووابله
فقيه سحاب يرفع المحل هديه * وبحر ندى يستغرق البر ساحله
كأن ابن نصر سائرا في سريره * حياء من الوسمي اقشع هاطله
يمر على الوادي فتثني رماله * عليه وبالنادي فتبكي ارامله
سرى نعشه فوق الرقاب وطالما * سرى جوده فوق الركاب ونائله
أناعيه ان النفوس منوطة * بقولك فانظر ما الذي أنت قائله
بفيك الثرى لم تدر من حل بالثرى * جهلت وقد يستصغر المرء جاهله
هو السيد المهتز للحمد بدره * وللجود عطفاه وللطعن عامله
افاض عيون الناس حتى كأنما * عيونهم مما تفيض انامله
فيا عين حي لا تشح بسائل * على ماجد لم يعرف الشح سائله
يميني ما لوه المال تندو بنانه * وان سألوه الضيم تندو عوامله
وكم عاد عنه بالنضار مقنع * وكم نال منه قانع ما يحاوله
له القلب القاسي على كل آمل * يجالده او كل خصم يجادله

مجالسه في روضة طلها الندى * ولكنه في المجد مات مساجله
فيا عمره انى قصرت ولم تطل * منازله بل كفه بل حمائله
جرت تحته العلياء مل ءفروجها * الى غاية طالت على من يطاوله
فيا مات حتى نال اقصى مراده * كما يستسر البدر تمت منازله
فتى طالما يعتاده الجيش عافيا * فينزله او عاديا فينازله
صفوح عن الجانى وصفحة سيفه * اذا هى لم تقتله فالصفح قاتله
واذى عيب الطرف بعدك هلبة * وعادته ان يقذف الدم كاهله
فما طرفه ما كان عجزك حاملا * اذا صارم لو أن ظهرك حامله
لقد كثر الملبوس بعد مروع * جرت ببيان المشكلات شواكله
اذا ظن لا يخطى كأن ظنونه * على ما يظن الناس عنه دلائله
فلا رحلت عنه نوازل رحمة * ضحاه بها موصولة واصائله
وروى ثراه منهل العفو فى غد * فقد روت العافين أمس مناهله
قضى الله ان يردى الامير وهذه * صوافنه موقورة ومناصله
وكل فتى كالبرق ابريق غمده * اذا شامه اوكالذبالة ذابله
فليت ظباه صلبت اليوم خلفه * فظلت على غير الصيام صواهله
بنى منقذ صبرا فان مصابكم * يصاب به جانى الانام وناعله
لقد جل حتى كل واجد لوعة * اذا لج فيها ليس يوجد عاذله
اذا صوحت ايدى الرجال فانتم * بنى منقذ روض الندى وخمائله
وان فر من وزر الزمان مفرح * فانكم أوزاره ومعاقله
وصاحب عل الصبر عنه فاغوى * مصاحب صبر عن حبيب يزائله
وما نام حتى قام منك وراءه * اخو يقظات وافر العزم كامله
كأنكما نومان فى فلك العلى * فطالعه هذا وذلك آفله
وما كفلوك الامر الا لعلمهم * قيامك بالامر الذى أنت كافله
سعيت الى نيل المكارم سعيه * ولو كنت لا تسعى كفتك فواضله
ولم تر ان ترقى بما كان فاعلا * اجل انما المرفوع بالفعل فاعله
لعمرك انى فى الذى عن كاه * شريك عنان ناصح الود ناهله
وكيف خلو القلب من ذلك الهوى * وقد خلدت بين الشغاف دواخله

تجزت القصيدة بتمامها وكمالها وقد تقدم فى ترجمة الصالح طلائع بن رزيك وزير مصر مرثية رثاه بها الفقيه عمارة اليمنى وهى على وزن هذه المرثية ورويها ولم أذكر منها هنالك سوى أبيات قلائل لكثرة وجود ديوان عمارة بايدى الناس وهذه لا تكاد توجد بكمالها فلهذا اثبتها هنا وقد تقدم منها ذكر بيتين فى ترجمة الوزير جمال الدين أبى جعفر محمد

المعروف بالجواد الاصبهانى وزير الموصل وتوفى أخوه أبو الغيث منقذ بن نصر بن منقذ سنة تسع وثلاثين وأربعمائة ورثاه الشيخ الاديب أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد ابن يحيى بن الحسين بن محمد بن الربيع بن سنان بن الربيع الخفاجى الحلبى الشاعر المشهور صاحب الديوان الشعر بقوله وهو من شعره القديم زمن الصبا

غربت خلائقك الحسان غريبة * وورى الزمان دنوها بعباد
ذهبت كما ذهب الربيع وخلفت * فيض الدموع حرارة الاكباد

والخفاجى المذكور رثى مخلص الدولة المذكور أيضا بقصيدة طويلة رائية ومدحه بأخرى حائية أجاد فيهما والله تعالى أعلم

أبو محمد مكى بن أبى طالب حموش بن محمد بن مختار القيسى المقرى

أصله من قيروان وانتقل الى الاندلس وسكن قرطبة وهو من أهل التبحر فى علوم القرآن والعربية حسن الفهم والخلق جيد الدين والعقل كثير التآليف فى علم القرآن محسنا لذلك مجودا للقراآت السبع عالما بمعانيها ولد بالقيروان عند طلوع الشمس أو قبل طلوعها بقليل لسبع بقين من شعبان سنة خمس وخمسين وثلثمائة قال أبو عمرو المقرى الدانى انه ولد سنة أربع وخمسين ونشأ بالقيروان وترعرع وسافر الى مصر وهو ابن ثلاث عشرة سنة فاختلف بها الى المؤدبين والعارفين بعلوم الحساب ثم رجع الى القيروان وكان اكماله لاستظهار القرآن بعد فراغه من الحساب وغيره من الآداب وذلك فى سنة اربع وسبعين وثلثمائة ثم عاد الى مصر ثانية بعد استكماله القراآت بالقيروان وحج فى سنة سبع وسبعين ثم ابتدأ بالقراآت على أبى الطيب عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون الحلبى المقرى نزيل مصر فى اول سنة ثمان وسبعين فقرأ عليه بقية السنة وبعض سنة تسع ورجع الى القيروان وقد بقى عليه بعض القراآت ثم عاد الى مصر مرة ثالثة فى سنة اثنتين وثمانين فاستكمل ما بقى له ثم عاد الى القيروان فى سنة ثلاث وثمانين وأقام بها يقرأ الى سنة سبع وثمانين ثم خرج الى مكة وأقام بها الى آخر سنة تسعين وحج أربع حجج متوالية ثم رجع من مكة فى سنة احدى وتسعين فوصل الى مصر ثم رحل منها الى القيروان فى سنة اثنين وتسعين ثم ارتحل الى الاندلس وقدمها فى رجب سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة فجلس للاقراء بجامع قرطبة وانتفع به خلق كثير وجودوا عليه القرآن وعظم اسمه فى البلدة وجل فيها قدره ونزل عند دخوله قرطبة فى مسجد النخيلة الذى بالرواقين عند باب العطارين فأقرأ به ثم نقله المظفر عبد الملك بن أبى عامر الى جامع الزاهرة وأقرأ فيه حتى انصرمت دولة آل عامر فنقله محمد بن هشام المهدى الى المسجد الخارج بقرطبة واقرأ فيه مدة الفتنة كلها الى ان قلده الحسن بن جهور الصلاة والخطبة بالمسجد الجامع بعد وفاة يونس بن عبد الله وكان ضعيفا عنها على ادبه وفهمه فأقام فى الخطابة الى ان مات رحمه الله تعالى وكان خيرا فاضلا متواضعا متدينا مشهورا باجابة

الدعاء وله فى ذلك اخبار فمن ذلك ما حكاه أبو عبد الله الطرفى المقرى قال كان عندنا بقرطبة رجل فيه بعض الحدة وكان له على الشيخ أبى محمد تسلط وكان يدنو منه اذا خطب فيغمزه ويحصى عليه سقطاته وكان الشيخ كثيرا ما يتلعثم ويتوقف فحضر ذلك الرجل فى بعض الجمع وجعل يحد النظر الى الشيخ ويغمزه فلما خرج معنا ونزل فى الموضع الذى كان يقرأ فيه قال لنا أمنوا على دعاءى ثم رفع يديه وقال اللهم اكفنيه اللهم اكفنيه فأمنا قال فاقعد ذلك الرجل وما دخل الجامع بعد ذلك اليوم وله تصانيف كثيرة نافعة فمنها الهداية الى بلوغ النهاية فى معانى القرآن الكريم وتفسيره وأنواع علومه وهو سبعون جزءا ومنتخب الحجة لابى على الفارسى ثلاثون جزءا وكتاب التبصرة فى القرا آت فى خمسة اجزاء وهو من أشهر تآليفه والموجز فى القرا آت جزآن وكتاب المأثور عن مالك فى احكام القرآن وتفسيره عشرة أجزاء وكتاب الرعاية لتجويد القرآن أربعة اجزاء وكتاب اختصار احكام القرآن أربعة اجزاء وكتاب الكشف عن وجوه القرآآت وعللها عشرون جزءا وكتاب الايضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ثلاثة اجزاء وكتاب الايجاز فى ناسخ القرآن ومنسوخه جزء وكتاب الزاهى فى اللمع الدالة على مستعملات الاعراب أربعة اجزاء وكتاب التنبيه على اصول قراءة نافع وذكر الاختلاف عنه جزآن وكتاب الانتصاف فيما رده على أبى بكر الادفوى وزعم انه غلط فيه فى كتاب الامالة ثلاثة اجزاء وكتاب الرسالة الى أصحاب الانطاكى فى تصحيح المد لورش ثلاثة اجزاء وكتاب الابانة عن معانى القراءة جزء وكتاب الوقف على كلا وبلى فى القرآن جزآن وكتاب الاختلاف فى عدد الاعشار جزء وكتاب الادغام الكبير فى المخارج جزء وكتاب بيان الصغائر والكبائر جزء وكتاب الاختلاف فى الذبيح من هو جزء وكتاب دخول حروف الجر بعضها مكان بعض جزء وكتاب تنزيه الملائكة عن الذنوب وفضلهم على بنى آدم جزء وكتاب الياآت المشددة فى القرآن والكلام جزء وكتاب اختلاف العلماء فى النفس والروح جزء وكتاب ايجاب الجزاء على قاتل الصيد فى الحرم خطأ على مذهب الامام مالك والحجة فى ذلك جزء وكتاب مشكل غريب القرآن ثلاثة أجزاء وكتاب بيان العمل فى الحج اول الاحرام الى زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم جزء وكتاب فرض الحج على من استطاع اليه سبيلا جزء وكتاب التذكرة لاختلاف القراء جزء وكتاب تسمية الاحزاب وكتاب منتخب كتاب الاخوان لابن وكيع جزآن وكتاب الحروف المدغمة جزآن وكتاب شرح التمام والوقف أربعة أجزاء وكتاب مشكل المعانى والتفسير خمسة عشر جزءا وكتاب هجاء المصاحف جزآن وكتاب الرياض مجموع خمسة اجزاء وكان المنتقى فى الاخبار أربعة اجزاء وله فى القرا آت واختلاف القراء وعلوم القرآن تصانيف كثيرة ولولا خوف التطويل لاستوعبت ذكرها وتوفى فى يوم السبت عند صلاة الفجر ودفن يوم الاحد ضحوة

للبلتين خلتا من المحرم سنة سبع والاثين وأربعمائة بقرطبة ودفن بالربض وصلى عليه ولده أبو طالب محمد رحمه الله تعالى وحموش بفتح الحاء المهملة وتشديد الميم المضمومة وسكون الواو بعدها شين معجمة وقد تقدم الكلام على القيسي والقيروان وقرطبة فاغنى عن الاعادة وأبو الطيب عبد المنعم بن غلبون المقرى المصرى المذكور فى هذه الترجمة ذكره الثعالبي فى كتاب اليتيمة فقال وكان على دينه وفضله وعلمه بالقرآن ومعانيه واعرابه متفننا فى سائر علوم الادب أنشدت له قصيدة منها قوله

عليك باقلال الزيارة انها * اذا كثرت كانت الى الهجر مسلكا

ألم تر ان الغيث يسأم دائما * و يطلب بالايدى اذا هو أمسكا

وقال غير الثعالبي ولد أبو الطيب المذكور فى رجب سنة تسع وثلثمائة وتوفى بمصر يوم الجمعة لسبع خلون من جمادى الاولى سنة تسع وثلثمائة رحمه الله تعالى

أبو الحزم مكى بن ريان بن شبة بن صالح الماكسينى المولد الموصلى الدار المقرى النحوى الضرير الملقب صائن الدين

كان والده يصنع الانطاع بماكسين ومات فقيرا لم يخلف شيأ وترك ولده أبا الحزم المذكور وامه وبتاقلم تقدر أمه على القيام بمصالحه بسبب الفقر وتضجرت منه ففارقها وخرج من بلده وقصد الموصل واشتغل بها بعلم القرآن والادب ثم رحل الى بغداد واجتمع بائمة الادب وقرأ على أبي محمد بن الخشاب وابن الصفار وابن الانبارى وأبي محمد سعيد ابن الدهان وقد تقدم ذكرهم ثم عاد الى الموصل وتصدر بها للافادة وأخذ الناس عنه وانتشر ذكره فى البلاد وبعد صيته وانتفع به خلق كثير وذكره أبو البركات بن المستوفى فى تاريخ اربل فقال هو جامع فنون الادب وحجة كلام العرب المجمع على دينه وعقله والمتفق على علمه وفضله رحل الى بغداد ولقى بها مشايخ النحو واللغة والحديث وكان واسع الرواية قد نصب نفسه للانتفاع عليه بالقرآن العزيز وجميع ضروب الادب ثم قال وأنشدنى من شعره وكان قد اشتغل عليه بالموصل اخى ابن المستوفى المذكور

سئمت من الحياة فلم اردها * تسالمنى وتشجينى بريق

عدوى لا يقصر فى اذاى * و يفعل مثل ذلك بى صديقى

وقد أضحت لى الحدباء دارا * وأهل مودتى بلوى العقيق

والحدباء كنية الموصل ومن شعره أيضا

اذا احتاج النوال الى شفيع * فلا تقبله تضح قرير عين

اذا عيف النوال لفرد من * فاولى ان يعاف لمنتين

وله أيضا

على الباب عبد يسأل الاذن طالبا * له أذنا لا ان نعماك تحجب

فان كان اذن فهو كالغير داخل * عليك والا فهو كالغير يذهب

وهذا مأخوذ من قول بعضهم

على الباب عبد من عبيدك واقف * بنعماك مغمور بشكرك معترف
أيدخل كالاقبال لازلت مقبلا * مدى الدهر ام مثل الحوادث ينصرف

ثم قال ابن المستوفي وكان قد اضر وهو ابن ثمان أو تسع سنين وكان ابدا يتعصب لابي العلاء المعري ويطرب اذا قرئ عليه شعره للجامع بينهما من العمى والادب فسلك مسلكه في النظم انتهى كلام ابن المستوفي قلت وحكى لي بعض من أخذ عنه انه لما كان ببلده كان جيرانهم ومعارفهم يسمونه مكيك تصغير مكي فلما ارتحل واشتغل وحصل اشتاقت نفسه الى وطنه فعاد اليه فتسامع به من بقي ممن كان يعرفه فزاروه وفرحوا به لكونه فاضلا من أهل بلدهم وبات ثلاث الليالي فلما كان السحر خرج الى الحمام فسمع امرأة في غرفتها تقول لاخرى ما تدرين من جاء فقالت لا فقالت مكيك بن فلانة فقال والله لا أقمت في بلد ادعى فيها مكيك وسافر من غير ريث بعد ان كان قد نوى الاقامة بها مدة وعاد الى الموصل ثم خرج الى الشام في أواخر عمره لزيارة بيت المقدس فانتهى اليه وقضى منه وطره ورجع الى الموصل من حلب وكان دخوله الى الموصل في شهر رمضان وتوفي ليلة السبت السادس من شوال سنة ثلاث وستمائة بالموصل وخلف له ولدا صغيرا ودفن بصحراء باب الميدان في مقبرة المعافى بن عمران بجوار أبي بكر القرطبي وابن الدهان النحوي رحمهم الله تعالى ويقال انه مات مسموما من جهة صاحب الموصل نور الدين ارسلان شاه المقدم ذكره في حرف الهمزة لسبب اقتضى ذلك والله أعلم وريان بفتح الراء وتشديد الياء المثناة من تحتها وبعد الالف نون وشبة بفتح الشين المعجمة وتشديد الباء الموحدة وبعدها هاء ساكنة والماكسيني بفتح الميم وبعد الالف كاف مكسورة وسين مهملة مكسورة أيضا ثم ياء ساكنة مثناة من تحتها وبعدها نون هذه النسبة الى ماكسين وهي بلدة من اعمال الجزيرة على نهر الخابور وهي على صغرها تشابه المدن في حسن بنائها ومنازلها

قوله

أبو عبد الله مكحول بن عبد الله الشامي من سبي كابل

مكحول

قال ابن عائشة كان مولى لامرأة من قيس وكان سنديا لا يفصح وقال الواقدي كان مولى لامرأة من هذيل وقيل هو مولى سعيد بن العاص وقيل مولى لبني ليث قال الخطيب كان جده شاول من أهل هراة فتزوج ابنة ملك من ملوك كابل ثم هلك عنها وهي حامل فانصرفت الى أهلها فولدت سهراب فلم تزل في اخواله بكابل حتى ولد له مكحول فلما ترعرع سبي ثم وقع الى سعيد بن العاص فوهبه لامرأة من هذيل فأعتقته وكان معلم الاوزاعي المقدم ذكره في حرف الهمزة وسعيد بن عبد العزيز قال الزهري العلماء أربعة سعيد بن المسيب بالمدينة والشعبي بالكوفة والحسن البصري بالبصرة ومكحول بالشام ولم يكن في زمنه ابصر منه بالفتيا وكان لا يفتي حتى يقول لا حول ولا قوة الا بالله

العلى العظيم هذا رأى والراى يخطئ ويصيب وسمع أنس بن مالك وواثلة بن الاسقع وأبا هند الرازى وغيرهم وكان مقامه بدمشق وكان فى لسانه عجمة ظاهرة ويبدل بعض الحروف بغيره قال نوح بن قيس سأله بعض الامراء عن القدر فقال اسا هزأ ماريد أيناهر أناوكان يقول بالقدر ورجع عنه وقال معقل بن عبد الاعلى القرشى سمعته يقول لرجل ماقضيت تلك الهاجة يريد الحاجة وهذه العجمة تغلب على أهل السند يحكى عن ابى عطاء السندى الشاعر المشهور وراجمه مرزوق وهو من موالى أسد بن خزيمة انه كان فى لسانه هذه العجمة فاجتمع حماد الراوية وحماد عجرد الشاعر المقدم ذكرهما وحماد بن الزبرقان النحوى وبكر بن مصعب المزنى فى بعض الليالى ليتذاكروا فقالوا مابقى شئ الا وقد تهيأ لنا فى مجلسنا هذا فلو بعثنا الى ابى عطاء السندى ليحضر عندنا ويتكمل به المجلس فارسلوا اليه فقال حماد بن الزبرقان أيكم يحتال لابى عطاء حتى يقول جرادة وزج وشيطان واتى اختاره هذه الالفاظ لانه كان يبدل من الجيم زايا ومن الشين سينا فقال الراوية انا أحتال له فى ذلك فلم يلبثوا ان جاءهم أبو عطاء فقال اهم هيا كم الله يريد حياكم فقالوا له مرحبا مرحبا يريدون مرحبا مرحبا على لغته فقالوا له ألا تتعشى فقال تعشيت فهل عندكم نبيذ فقالوا نعم فأتى اليه بنبيذ فشرب حتى استرخى فقال الراوية يا أبا عطاء كيف معرفتك باللغز فقال هسن يريد حسن فقال له ملغزا فى جرادة

فما صفراء تكنى أم عوف * كأن سويقتيها منجلان

فقال زرادة فقال صدقت ثم قال ملغزا فى زج

فما اسم حديدة فى الرمح ترسى * دوين الصدر ليست بالسنان

فقال أبو عطاء زز فقال حماد أصبت ثم قال ملغزا فى مسجد بجوار بنى شيطان وهو بالبصرة

أتعرف مسجدا لبنى تميم * فويق الميل دون بنى أبان

فقال هو فى بنى سيطان فقال أحسنت ثم تنادموا وتفاكهوا الى حين افترقوا عن مجلسهم وهذا أبو عطاء من الشعراء المجيدين وكان عبدا أسود أخرب والاخرب المثقوب الاذن وله فى كتاب الحماسة مقاطيع نادرة ولولا خشية الاطالة والخروج عن المقصود لذكرت جملة من شعره وتوفى مكحول المذكور سنة ثمانى عشرة وقيل ثلاث عشرة وقيل ست عشرة وقيل اثنتى عشرة وقيل أربع عشرة ومائة رضى الله عنه وكابل بفتح الكاف وبعد الالف باء موحدة مضمومة ثم لام وهى ناحية معروفة ببلاد السند

أبو الفتح ملكشاه بن ألب ارسلان بن محمد بن داود بن ميكال بن سلجوق بن دقاق الملقب جلال الدولة

وقد تقدم ذكر أبيه وجماعة من أهل بيته ولما توفى أبوه فى التاريخ المذكور فى ترجمته كان ملكشاه فى صحبته ولم يصحبه قبلها فى سفر غير هذه المرة فولى الامر من بعده بوصية والده وتحليف الامراء والاجناد على طاعته ووصى وزيره نظام الملك أبا على الحسن

المتقدم ذكره في حرف الحاء على تفرقة البلاد بين أولاده ويكون مرجعهم الى ملكشاه
المذكور ففعل ذلك وعبر بهم نهر جيحون راجعا الى البلاد وقد شرحت الواقعة
في ترجمة والده فلا حاجة الى الاعادة فلما وصل الى البلاد وجد بعض اعمامه قد خرج
عليه فعاجله وتصافا بالقرب من همذان فنصره الله عليه وانهزم عمه فتبعه بعض جند
ملكشاه فاسروه وحملوه الى ملكشاه فبذل التوبة ورضي بالاعتقال وان
لا يقتل فلم يجبه ملكشاه الى ذلك فأنفذ له خريطة مملوءة من كتب أمرائه وانهم حملوه
على الخروج عن طاعته وحسنوا له ذلك فدعا السلطان الوزير نظام الملك فأعطاه
الخريطة ليفتحها ويقرأ ما فيها فلم يفتحها وكان هنالك كانون نار فرمى الخريطة
فيه فاحترقت الكتب فسكنت قلوب العساكر وأمنوا ووطنوا أنفسهم على الخدمة
بعد ان كانوا قد خافوا من الخريطة لان أكثرهم كان قد كاتبه وكان سبب ثبات
قدم ملكشاه في السلطنة وكانت هذه معدودة من جميل آراء نظام الملك ثم ان ملكشاه
أمر بقتل عمه فخنق بوتر قوسه واستقرت القواعد للسلطان وفتح البلاد واتسعت عليه
المملكة وملك ما لم يملكه أحد من ملوك الاسلام بعد الخلفاء المتقدمين فانه ملك من
كاشغر وهي مدينة في أقصى بلاد الترك الى بيت المقدس طولا ومن القسطنطينية الى
بلاد الخزر عرضا وكان قد قررها لكه ملك الدنيا وكان أحسن الملوك سيرة حتى
كان يلقب بالسلطان العادل وكان منصورا في الحروب ومغرما بالعمائر فحفر كثيرا من
الانهار وعمر على كثير من البلدان الاسوار وأنشأ في المفاوز رباطات وقناطر وهو الذي
عمر جامع السلطان ببغداد في سنة خمس وثمانين وأربعمائة وزاد في دار السلطنة بها
وصنع بطريق مكة مصانع وغرم عليها أموالا كثيرة خارجة عن الحصر وابطل المكوس
والخفارات في جميع البلدان وكان لهجا بالصيد حتى قيل انه ضبط ما اصطاده
بيده فكان عشرة آلاف فتصدق بعشرة آلاف دينار بعد ان نسي كثيرا منه وقال
انى خائف من الله سبحانه وتعالى في ازهاق الارواح لغير مأكلة وصار بعد ذلك
كلما قتل صيدا تصدق بدينار وخرج من الكوفة لتوديع الحاج فجاوز العذيب
وشيعهم بالقرب من الواقصة وصاد في طريقه وحشا كثيرا فبنى هنالك منارة من
حوافر الحمر الوحشية وقرون الظباء التي صادها في ذلك الطريق والمنارة باقية الى الآن
وتعرف بمنارة القرون وذلك في سنة ثمانين وأربعمائة وكانت السبل في ايامه
ساكنة والمخاوف آمنة تسير القوافل مما وراء النهر الى أقصى الشام وليس معها خفير
ويسافر الواحد والاثنان من غير خوف ولا رهب وحكى محمد بن عبد الملك
الهمداني في تاريخه ان السلطان ملكشاه المذكور توجه لحرب أخيه تكش فاجتاز
بمشهد علي بن موسى الرضى رضي الله عنهما بطوس ودخل مع نظام الملك الوزير فصليا
فيه واطالا الدعاء ثم قال لنظام الملك بأي شيء دعوت قال دعوت الله تعالى ان

ينصرك ويظفرك بأخيك فقال أما أنا فلم أدع بهذا بل قلت اللهم انصر أصلحنا للمسلمين وأنفعنا للرعية ثم قال الهمذاني أيضا عقيب هذا وحكى ان واعظا دخل عليه ووعظه فكان في جملة ما حكى له ان بعض الأكاسرة اجتاز منفردا من عسكره على باب بستان فتقدم الى الباب وطلب ماء يشربه فأخرجت له صبية اناء فيه ماء السكر والثلج فشربه واستطابه فقال لها هذا كيف يعمل فقالت ان قصب السكر يزكو عندنا حتى نعصره بايدينا فيخرج منه هذا الماء فقال ارجعي وأحضري منه شيأ آخر وكانت الصبية غير عارفة به ففعلت فقال في نفسه الصواب ان أعوضهم عن هذا المكان واصطفيه لنفسي فما كان بأسرع من خروجها باكية وقالت ان نية سلطاننا قد تغيرت فقال ومن أين علمت ذلك قالت كنت آخذ من هذا ما أريد من غير تعسف والآن قد اجتهدت في عصر القصب فلم يدمع بعض ما كان يأتي فعلم صدقها فرجع عن تلك النية ثم قال لها ارجعي الآن فانك تبلغين الغرض وعقد على نفسه ان لا يفعل ما نوى فخرجت الصبية ومعها شماماة من قصب السكر وهي مستبشرة فقال للواعظ فلم لا تذكر للرعية ان كسرى اجتاز على بستان فقال للناطور ناولني عنقودا من الحصرم فقال له ما يمكنني ذلك فان السلطان لم يأخذ حقه ولا يجوز لي خيانته فعجب الحاضرون من مقابلته الحكاية بمثلها ومعارضته بما أوجب الحق له ما أوجب الحق عليه وحكى الهمذاني أيضا ان سواديا لقيه وهو يبكي فسأله السلطان عن سبب بكائه فقال ابتعت بطيخا بدريهمات لا أملك غيرها فلقيني ثلاثة اغلمة أتراك فأخذوه مني ومالي حيلة سواه فقال امسك واستدعى فراشا وكان عند باكورة البطيخ وقال له ان نفسي اشتاقت الى البطيخ فطف في العسكر وابصر من عنده شيء منه فأحضره فعاد ومعه بطيخ فقال عند من رأيته قال عند الامير فلان فأحضره فقال له من أين لك هذا البطيخ فقال جاء به الغلمان فقال أريدهم الساعة فمضى وقد عرف نية السلطان فيهم فهربهم وعاد فقال لم أجدهم فالتفت الى السوادي وقال هذا مملوك وقد وهبته لك حيث لم يحضر القوم الذين اخذوا مالك والله لئن خليته لأضربن رقبتك فأخذه السوادي بيده وأخرجه من بين يدي السلطان فاشترى الامير منه نفسه بثلثمائة دينار وعاد السوادي وقال يا سلطان قد بعت المملوك بثلثمائة دينار فقال أو قد رضيت قال نعم قال امض مصاحبا وكانت البركة واليمن مقرونين بناصيته فكان اذا دخل أصبهان أو بغداد أو أي بلد كان دخل معه عدد لا يحصى كثرة فيرخص السعر وتحط أثمان الاشياء عما كانت عليه ويكتسب المتعيشون من عسكره الكسب الكثير وحكى الهمذاني أيضا انه أحضرت اليه مغنية وهو بالري فأعجب بها واستطاب غناءها فهم بها فقالت يا سلطان اني أغار على هذا الوجه الجميل ان يعذب بالنار وان الحلال ايسر وبينه وبين الحرام كلمة فقال صدقت واستدعى بالقاضي فتزوجها منه وابتنى بها وتوفي عنها وعون محاسنه أكثر

من ان تحصى وحكى الهمدانى أيضا ان نظام الملك الوزير وقع للملاحين الذين عبروا بالسلطان والعسكر بنهر جيحون على العامل بانطاكية وذلك لسعة المملكة وكانت أجرة المعابر احد عشر ألف دينار وتزوج الامام المقتدى بالله أمير المؤمنين ابنة السلطان وكان السفير فى الخطبة الشيخ أبو اسحاق الشيرازى صاحب المهذب والتنبيه رحمه الله تعالى وأنفذه الخليفة الى نيسابور لهذا السبب فان السلطان كان هناك فلما وصل اليه ادى الرسالة ونجز الشغل قال الهمدانى أيضا وعاد الشيخ أبو اسحاق الى بغداد فى أقل من أربعة أشهر وناظر امام الحرمين هناك فلما أراد الانصراف من نيسابور خرج امام الحرمين للوداع وأخذ بركابه حتى ركب أبو اسحاق فظهر له فى خراسان منزلة عظيمة وكانوا يأخذون التراب الذى وطئته بغلته ويتبركون به وكان زفاف ابنة السلطان الى الخليفة فى سنة ثمانين وأربعمائة وفى صبيحة دخولها عليه أحضر الخليفة المقتدى عسكر السلطان على سماط صنعه لهم كان فيه أربعون الف منا سكرا وفى بقية هذه السنة رزق الخليفة ولدا من ابنة السلطان سماه أبا الفضل جعفرا وزينت بغداد لاجله وكان السلطان قد دخل الى بغداد دفعتين وهى من جملة بلاده التى تحتوى عليها مملكته وليس للخليفة فيها سوى الاسم فلما عاد اليها فى الدفعة الثالثة دخلها فى أوائل شوال سنة خمس وثمانين وأربعمائة وخرج من فوره الى ناحية دجيل لاجل الصيد فاصطاد وحشا وأكل من لحمه فابتدأت به العلة وافتصد فلم يكثر من اخراج الدم فعاد الى بغداد مريضا ولم يصل اليه أحد من خاصته فلما دخلها توفى ثانى يوم دخوله وهو السادس عشر من شوال سنة خمس وثمانين وأربعمائة رحمه الله تعالى وكانت ولادته فى التاسع من جمادى الاولى سنة سبع وأربعين وأربعمائة ولما مات لم يشهد له احد جنازة ولا صلى عليه احد فى الصورة الظاهرة ولا جلس للعزاء ولا حذف عليه ذنب فرس كعادة امثاله بل كأنه اختلس من العالم وحمل تابوته الى أصبهان ودفن بها فى مدرسة عظيمة موقوفة على طائفة الشافعية والحنفية ومن عجيب الاتفاق انه لما دخل بغداد فى هذه المرة وكان للخليفة ولدان أحدهما المستظهر بالله والآخر أبو الفضل جعفر ابن بنت السلطان وقد تقدم ذكر ولادته وكان الخليفة قد بايع لولده المستظهر بولاية العهد من بعده لانه كان الاكبر فالزم السلطان الخليفة ان يخلعه ويجعل ابن بنته جعفرا ولى عهده ويسلم بغداد اليه ويخرج الخليفة الى البصرة فشق ذلك على الخليفة وبالغ فى استنزال السلطان عن هذا الرأى فلم يفعل وطلب المهلة عشرة أيام ليتجهز فامهله فقيل ان الخليفة فى تلك الايام جعل يصوم ويطوى واذا أفطر جلس على الرماد للافطار وهو يدعو الله سبحانه وتعالى على السلطان فمرض السلطان فى تلك الايام ومات وكفى الخليفة أمره وتزوج الامام المستظهر بالله ابنته خاتون العصمة فى سنة اثنين وخمسمائة وقد تقدم ذكر أولاده الثلاثة الملوك وهم بركياروق وسنجر ومحمد كل واحد له ترجمة فى حرفه رحمهم الله

تعالى أجمعين وكاشغر بفتح الكاف وبعد الالف شين معجمة ساكنة وغين معجمة مفتوحة وبعدها راء وقد ذكرت أين هي فلا حاجة الى اعادته والواقصة بفتح الواو وبعد الالف قاف مكسورة وبعدها صاد مهملة مفتوحة ثم هاء ساكنة وهي منزلة معروفة بطريق مكة يقال لها واقصة الحزون والباقي معروف فلا حاجة الى تفسيره

أبو الحسن منصور بن اسماعيل بن عمر التميمي المصري الفقيه الشافعي الضرير

أصله من رأس عين البلد المشهورة بالجزيرة وأخذ الفقه عن أصحاب الشافعي رضي الله عنه وعن أصحابه وله مصنفات في المذهب مليحة منها الواجب والمستعمل والمسافر والهداية وغير ذلك من الكتب وله شعر جيد سائر وذكره الشيخ أبو اسحاق الشيرازي رحمه الله تعالى في طبقات الفقهاء وأنشد له

عاب التفقه قوم لا عقول لهم * وما عليه اذا عابوه من ضرر
ما ضر شمس الضحى والشمس طالعة * ان لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

ومن هنا أخذ أبو العلاء المعري قوله من قصيدته المشهورة

والنجم يستصغر الابصار رؤيته * والذنب للطرف لا للنجم في الصغر

ومن شعره أيضا

لي حيلة فيمن ينم * وليس في الكذاب حيله
من كان يخلق ما يقو * ل فحيلتي فيه قليله

وله أيضا

الكلب احسن عشرة * وهو النهاية في الخساسه
ممن ينازع في الريا * سة قبل أوقات الرياسه

وحكي انه أصابته مسغبة في سنة شديدة القحط فرقي سطح داره ونادى بأعلى صوته في الليل

الغياث الغياث يا احرار * نحن خلفاؤكم وأنتم بحار
انما تحسن المواساة في الشدة لا حين ترخص الاسعار

فسمعه جيرانه فأصبح على بابه مائة حمل بر واحكاياته واخباره مشهورة وتوفي في جمادى الاولى سنة ست وثلثمائة بمصر وقال الشيخ أبو اسحاق في الطبقات انه مات قبل العشرين والثلثمائة رحمه الله تعالى وذكره القاضي أبو عبد الله في كتاب خطط مصر فقال أصله من رأس عين والرملة وقدم الى مصر وسكنها وتوفي سنة ست وثلثمائة وكان فقيها جليل القدر متصرفا في كل علم شاعرا مجيدا لم يكن في زمانه مثله بمصر وكان من أكرم الناس على أبي عبيد القاضي حتى كان منهما ما كان بسبب المسألة وكان لابي عبيد في كل عشية مجلس يذاكر فيه رجلا من أهل العلم ويخلو به ثلاث عشية الجمعة فانه كان يخلو

بنفسه فيها فكان من العشايا عشية يخلو فيها بمنصور وعشية يخلو فيها بابى جعفر الطحاوى وعشية يخلو فيها بمحمد بن الربيع الجيزى وعشية يخلو فيها بعفان بن سليمان وعشية يخلو فيها بابا السجستانى وعشية يخلو فيها للنظر مع الفقهاء وربما حدث تجرى بينه و بين منصور فى بعض العشايا ذكر الحامل المطلقة ثلاثا ووجوب نفقتها فقال أبو عبيد زعم قوم ان لا نفقة لها فى الثلاث وان نفقتها فى الطلاق غير الثلاث فانكر ذلك منصور وقال قائل هذا ليس من أهل القبلة ثم انصرف منصور فحدث بذلك أبا جعفر الطحاوى فحكاه أبو جعفر لابى عبيد فانكره وبلغ ذلك منصورا فقال انا اكذبه واجتمع الناس عند القاضى وتواعدوا الحضور لذلك فلما حضر والم يتكلم أحد فابتدأ أبو عبيد وقال ما أريد أحدا يدخل على ما أريد منصورا ولا نصارا ولا منتصرا قوم عميت قلوبهم كما عميت أبصارهم يحكون عنا ما لم نقله فقال له منصور قد علم الله الكاذب ونهض فلم يأخذ أحد بيده غير أبى بكر بن الحداد فانه أخذ بيده وخرج معه حتى ركب وزاد الامر فيما بينهما وتعصب الامير ذكا وجماعة من الجند وغيرهم لمنصور وتعصب للقاضى جماعة وشهد على منصور محمد بن الربيع الجيزى بكلام سمعه منه يقال ان منصورا حكاه عن النظام فقال القاضى ان شهد عليه آخر مثل ما شهد به عليه محمد بن الربيع ضربت عنقه فخاف على نفسه ومات فى جمادى الاولى من السنة المذكورة وخاف أبو عبيد ان يصلى عليه لاجل الجند الذين تعصبوا للمنصور فتأخر عن جنازته لهذا السبب وحضرها الامير ذكا وابن بسطام صاحب الخراج واوعب الناس ولم يتخلف أحد وذكر أبو عبيد ان منصورا قال عند موته

قضيت نحبى فسر قوم * حمقى بهم غفلة ونوم
كان يومى على حتم * وليس للشامتين يوم

فاطرق أبو عبيد ساعة ثم قال

تموت قبلى ولو بيوم * ونحن يوم النشور قوم
فقد فرحنا وقد شمتنا * وليس للشامتين لوم

الحاكم بأمر الله

أبو على المنصور الملقب الحاكم بأمر الله بن العزيز بن المعز بن المنصور ابن القاسم بن المهدى صاحب مصر

وقد تقدم ذكر أجداده وجماعة من احفاده وسيأتى ذكر أبيه فى حرف النون ان شاء الله تعالى وكلهم كانوا يتسمون بالخلفاء وولى الحاكم المذكور عهد أبيه فى حياته وذلك فى شعبان سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة ثم استقل بالامر يوم وفاة والده على ما سيأتى فى تاريخه ان شاء الله تعالى وكان جوادا بالمال سفاكا للدماء قتل عددا كثيرا من أماثل أهل دولته وغيرهم صبرا وكانت سيرته من أعجب السير يخترع كل وقت احكاما يحمل الناس على العمل بها منها انه أمر الناس فى سنة خمس وتسعين وثلثمائة بكتب

سب الصحابة رضوان الله عليهم فى حيطان المساجد والمقابر والشوارع وكتب الى سائر عمال الديار المصرية يأمرهم بالسب . ثم أمر بقلع ذلك ونهى عنه وعن فعله سنة سبع وتسعين ثم تقدم بعد ذلك بمدة يسيرة بضرب من يسب الصحابة وتأديبه ثم يشهر ومنها انه أمر بقتل الكلاب فى سنة ثمن وتسعين وثلثمائة فلم ير كلب فى الاسواق والازقة والشوارع الاقتل ومنها انه نهى عن بيع الفقاع والملوخيا والترمس والجرجير والسمك الذى لاقشر له وأمر بالتشديد فى ذلك والمبالغة فى تأديب من يتعرض لشئ منه وظهر على جماعة انهم باعوا أشياء منه فضربهم بالسياط وطيف بهم ثم ضربت أعناقهم ومنها انه فى سنة اثنين وأربعمائة نهى عن بيع الزبيب قليله وكثيره على اختلاف أنواعه ونهى التجار عن حمله الى مصر ثم جمع بعد ذلك منه جملة كثيرة واحرق جميعها ويقال ان مقدار النفقة التى غرموها على احراقه كانت خمسمائة دينار وفى هذه السنة منع من بيع العنب وانفذ الشهود الى الجيزة حتى قطعوا كثيرا من كرومها ورموها فى الارض وداسوها بالبقر وجمع ما كان فى مخازنها من جرار العسل فكانت خمسة آلاف جرة وحملت الى شاطئ النيل وكسرت وقلبت فى بحر النيل وفى هذه السنة أمر النصارى واليهود الا الخيابرة بلبس العمائم السود وان تعمل النصارى فى أعناقهم الصلبان ما يكون طوله ذراعا ووزنه خمسة أرطال وان تحمل اليهود فى أعناقهم قرامى الخشب على وزن صلبان النصارى ولا يركبوا شيأ من المراكب المحلاة وان تكون ركبهم من الخشب ولا يستخدموا أحدا من المسلمين ولا يركبوا حمارا لمكار مسلم ولا سفينة نوتيها مسلم وان يكون فى اعناق النصارى اذا دخلوا الحمام الصلبان وفى اعناق اليهود الجلاجل ليتميزوا عن المسلمين . ثم أفرد حمامات اليهود والنصارى من حمامات المسلمين وحط على حمامات النصارى الصلبان وعلى حمامات اليهود صور القرامى وذلك فى سنة ثمان وأربعمائة وفيها أمر بهدم الكنيسة المعروفة بقمامة وجميع الكنائس بالديار المصرية ووهب جميع ما فيها من الآلات وجميع مالها من الارباع والاحباس لجماعة من المسلمين وتتابع اسلام جماعة من النصارى وفى هذه السنة نهى عن تقبيل الارض له وعن الدعاء والصلاة عليه فى الخطب وان يجعل عوض ذلك السلام على أمير المؤمنين وفى سنة أربع وأربعمائة أمر ان لاينجم أحد ولا يتكلم فى صناعة النجوم وان ينفى المنجمون من البلاد فحضر جميعهم الى القاضى مالك بن سعيد الحاكم بمصر وعقد عليهم توبة وأعفوا من النفى وكذلك أصحاب الغناء وفى شعبان من هذه السنة منع النساء من الخروج الى الطرقات ليلا ونهارا ومنع الاساكفة من عمل الخفاف للنساء ومحيت صورهن من الحمامات ولم تزل النساء ممنوعات عن الخروج الى أيام ولده الظاهر المقدم ذكره وكانت مدة منعهن سبع سنين وسبعة أشهر وفى شعبان سنة احدى عشرة وأربعمائة تنصر جماعة ممن كان أسلم من النصارى فأمر ببناء ما كان

قد

قد هدم من كنائسهم وردّ ما كان قد اخذ من احباسها وبالجملة فهذه نبذة من أحواله وان كان شرحها يطول وكان أبو الحسن على المعروف بابن يونس المنجم قد صنع له الزيج المعروف بالحاكمي وهو زيج كبير مبسوط ونقلت من خط الحافظ أبي طاهر بن أحمد بن محمد السلفي رحمه الله تعالى ان الحاكم المذكور كان جالسا في مجلسه العام وهو حفل باعيان دولته فقرأ بعض الحاضرين قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما والقارئ في اثناء ذلك يشير الى الحاكم فلما فرغ من القراءة قرأ شخص اخر يعرف بابن المشجر وكان رجلا صالحا يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز فلما انتهت قراءته تغير وجه الحاكم ثم أمر لابن المشجر المذكور بمائة دينار ولم يطلق للآخر شيأ ثم ان بعض أصحاب ابن المشجر قال له أنت تعرف خلق الحاكم وكثرة استحالاته وما تأمن ان يحقد عليك وانه لا يؤاخذك في هذا الوقت ثم يؤاخذك بعد هذا فتتأذى منه ومن المصلحة عندي ان تغيب عنه فتجهز ابن المشجر للحج وركب في البحر وغرق فرآه صاحبه في النوم فسأله عن حاله فقال ما قصر الديان معنا أرسى بنا على باب الجنة رحمه الله تعالى وذلك ببركة جميل نيته وحسن قصده والحاكم المذكور هو الذي بنى الجامع الكبير بالقاهرة بعد ان كان قد شرع فيه والده العزيز بالله كما سيأتي ذكره في ترجمته ان شاء الله تعالى واكمله ولده وبنى جامع راشدة بظاهر مصر وكان شروعه في عمارته يوم الاثنين سابع عشر شهر ربيع الاول سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وكان متولي بنائه الحافظ أبا محمد عبد الغني بن سعيد والمصحح لمحرابه أبا الحسن علي بن يونس المنجم وقد تقدم ذكرهما وانشأ عدة مساجد بالقاهرة وغيرها وحمل الى الجوامع من المصاحف والآلات الفضية والستور والحصر السامانية ماله قيمة طائلة وكان يفعل الشيء وينقضه وكانت ولادته بالقاهرة ليلة الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الاول سنة خمس وسبعين وثلثمائة وكان يحب الانفراد والركوب على بهيمة وحده فاتفق انه خرج ليلة الاثنين السابع والعشرين من شوال سنة احدى عشرة وأربعمائة الى ظاهر مصر وطاف ليلته كلها وأصبح عند قبر الفقاعي ثم توجه الى شرقي حلوان ومعه ركابيان فاعاد أحدهما مع تسعة من العرب السويديين ثم أعاد الركابي الآخر وذكر هذا الركابي انه خلفه عند القبر والمقصبة وبقي الناس على رسمهم يخرجون يلتمسون رجوعه ومعهم دواب الموكب الى يوم الخميس سلخ الشهر المذكور ثم خرج يوم الاحد ثاني ذي القعدة مظفر صاحب المظلة ونخطليا الصقلبي ونسيم متولي الستر وابن تشتكين التركي صاحب الرمح وجماعة من الاولياء الكتاميين والاتراك فبلغوا دير القصير والموضع المعروف بحلوان ثم

معنوا في الدخول في الجبل فبينما هم كذلك اذ أبصروا حماره الاشهب الذي كان راكبا عليه المدعو بالقمر وهو على قرنة الجبل وقد ضربت يداه بسيف فأثر فيهما وعليه سرجه ولجامه فتتبعوا اثر الحمار في الارض وأثر راجل خلفه وراجل قدامه فلم يزالوا يقصون هذا الاثر حتى انتهوا الى الجب البركة التي في شرقي حلوان فنزل اليها بعض الرجالة فوجد فيها ثيابه وهي سبع جباب ووجدت مزرورة لم تحل ازرارها وفيها آثار السكاكين فأخذت وحملت الى القصر بالقاهرة ولم يشك في قتله مع ان جماعة من المغالين في حبه السخيفي العقول يظنون حياته وانه لابد ان يظهر ... تلك خيالات هذيانية ويقال ان أخته دست عليه من يقتله لامر يطول شرحه والله أعلم وابن المنجر بضم الميم وفتح الشين المعجمة والجيم المشددة وبعدها راء وحلوان بضم الحاء المهملة وسكون اللام وفتح الواو وبعد الالف نون وهي قرية مليحة ... فوق مصر بمقدار خمسة اميال وكان يسكنها عبد العزيز بن مروان بن الحكم الاموي لما كان والياً بمصر نيابة عن أخيه عبد الملك أيام خلافته وبها توفي وبها ولد ... عبد العزيز رضي الله عنه

أبو علي المنصور الملقب الآمر باحكام الله ابن المستعلي بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم العبيدي المذكور قبله

وقد تقدم بقية نسبه وسبق ذكر والده في الاحمدين في حرف الهمزة وبويع الآمر بالولاية يوم مات أبوه في التاريخ المذكور في ترجمته وأقام بتدبير دولته الافضل ... ابن أمير الجيوش المذكور في حرف الشين وكان وزير والده وقد ذكرنا في ترجمته طرفاً من أخبار الامير المذكور ولما اشتد الآمر وفطن لنفسه قتل الافضل ... شرحه واستوزر المأمون أبا عبد الله محمد بن أبي شجاع فاتك البطائحي فاستولى هذا الوزير عليه وقبح سمعته واساء سيرته ولما كثر ذلك منه قبض عليه الآمر أيضا ليلة السبت رابع شهر رمضان سنة تسع عشرة وخمسمائة واستصفى جميع أمواله ثم قتله في رجب سنة احدى وعشرين وصلب بظاهر القاهرة وقتل معه خمسة من ... أحدهم يقال له المؤتمن وكان متكبرا متجبرا خارجا عن طوره وله اخبار مشهورة وكان الآمر سيئ الراي جائر السيرة مستهترا متظاهرا باللهو واللعب وفي ايامه أخذ الفرنج مدينة عكا في شعبان سنة سبع وتسعين وأربعمائة وأخذوا طرابلس الشام بالسيف يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة اثنين وخمسمائة وكان أخذهم لها بالسيف ونهبوا ما فيها واسروا رجالها وسبوا نساءها واطفالها وحصل في أيديهم من أمتعتها وذخائرها وكتب دار علمها وما كان في خزائن أربابها ما لا يحد ... وعوقب من بقي من أهلها واستصفيت أموالهم ثم وصلتها نجدة المصريين بعد فوات

الامر فيها وفى هذه السنة ملكوا اعرقة وكان نزولهم عليها اول شعبان من السنة المذكورة وفيها ملكوا بانياس وفيها تسلموا جبيل بالامان وتسلموا قلعة تبنين يوم الجمعة لثمان بقين من ذى الحجة سنة احدى عشرة وخمسمائة ثم تسلموا مدينة صور يوم الاثنين لسبع بقين من جمادى الاولى سنة ثمان عشرة وخمسمائة وكان الوالى بها من جهة الاتابك ظهير الدين طغتكين المذكور فى حرف التاء فى ترجمة تتش بن ألبارسلان وكان يومئذ صاحب دمشق وما والاها ولما ملكوا صور ضربوا السكة باسم الآمر المذكور مدة ثلاث سنين ثم قطعوا ذلك وأخذوا بيروت يوم الجمعة الحادى والعشرين من شوال سنة ثلاث وخمسمائة بالسيف وأخذوا صيدا لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسمائة وفى أيام الآمر أيضا سنة أربع وخمسمائة وقيل سنة احدى عشرة والله أعلم قصد بردويل الفرنجى الديار المصرية ليأخذها وانتهى الى الفرما ودخلها وأحرقها وأحرق جامعها ومساجدها ورحل عنها وهو مريض فهلك فى الطريق قبل وصوله الى العريش فشق أصحابه بطنه ورموا حشوته هنالك فهى ترجم الى اليوم ورحلوا بجثته فدفنوها بقمامة وسبخة بردويل التى فى وسط الرمل على طريق الشام منسوبة الى بردويل المذكور والحجارة الملقاة هنالك والناس يقولون هذا قبر بردويل انما هى هذه الحشوة وكان بردويل صاحب بيت المقدس وعكا ويافا وعدة بلاد من ساحل الشام وهو الذى أخذ هذه البلاد المذكورة من المسلمين وفى هذه السنة أيضا خرج المهدى محمد بن تومرت المقدم ذكره من مصر وصاحبها الآمر المذكور الى بلاد المغرب فى زى الفقهاء وجرى له هنالك ما سبق شرحه فى ترجمته وكانت ولادة الآمر يوم الثلاثاء ثالث عشر محرم سنة تسعين وأربعمائة بالقاهرة وولى وعمره خمس سنين ولما انقضت ايامه خرج من القاهرة صبيحة يوم الثلاثاء ثالث ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة ونزل الى مصر وعدى على الجسر الى الجزيرة التى قبالة مصر فكمن له قوم بالاسلحة وتواعدوا على قتله فى السكة التى يمر فيها الى فرن هنالك فلما مر بهم وثبوا عليه فلعبوا عليه باسيافهم وكان قد جاوز الجسر وحده مع عدة قليلة من غلمانه وبطانته وخاصته وشيعته فحمل فى النيل فى زورق ولم يمت وادخل القاهرة وهو حى وجىء به الى القصر فمات من ليلته ولم يعقب وهو العاشر من أولاد المهدى عبيد الله القائم بسجلماسة المقدم ذكره وانتقل الامر الى ابن عمه الحافظ عبد المجيد المقدم ذكره رحمهم الله تعالى وكان قبيح السيرة ظلم الناس باخذ أموالهم وسفك دمائهم وارتكب المحظورات واستحسن القبائح فابتهج الناس بقتله وكان ربعة شديد الادمة جاحظ العينين حسن الخط والمعرفة والعقل وأما المأمون بن البطائحى الوزير المذكور فهو الذى بنى الجامع الاقمر بالقاهرة سنة خمس عشرة وخمسمائة وكان الافضل ابن أمير الجيوش قد شرع فى عمارة جامع النيل بظاهر مصر عند الرصد المطل على بركة الحبش فى سنة ثمان وتسعين

وأربعمائة ولم يكمله فأكمله المأمون بعده في مدة وزارته والله أعلم

قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر المعروف بالأعرج صاحب الموصل

وقد تقدم ذكر طرف من خبره في ترجمة أخيه نور الدين محمود صاحب الشام وذكر أولاده الثلاثة وهم سيف الدين غازي الذي تولى السلطنة بعده وعز الدين مسعود وعماد الدين زنكي صاحب سنجار واستوعبت في ترجمة غازي ما جرى من نور الدين عقيب موت قطب الدين وانه قصد الموصل ثم قرر أمر غازي المذكور فيها ورتب أحوال أولاد أخيه كلهم وفي تلك السفرة بنى نور الدين الجامع النوري داخل الموصل وهو مشهور وهنالك يقام فيه الجمعة وكان سبب عمارته ما حكاه العماد الاصبهاني في البرق الشامي عند ذكره لوصول نور الدين الى الموصل انه كان بالموصل خربة متوسطة البلد واسعة وقد أشاعوا عنها ما ينفر القلوب منها وقالوا انما شرع في عمارتها الا من ذهب عمره ولم يتم على مراده أمره فأشار عليه الشيخ الزاهد معين الدولة عمر الملا وكان من كبار الصالحين بابتناء الخربة وبنى بها جامعا وانفق فيها أموالا جزيلة ووقف على الجامع ضيعة من ضياع الموصل وكان قطب الدين قد تولى السلطنة بالموصل وتلك البلاد عقيب موت أخيه سيف الدين غازي الاكبر المتقدم ذكره أيضا وكان حسن السيرة عادلا في حكمه وفي دولته عظم شأن جمال الدين محمد الوزير الاصبهاني المعروف بالجواد المقدم ذكره وهو الذي قبض عليه حسبما سبق شرحه وكان مدبر دولته وصاحب رأيه الأمير زين الدين علي كجك والد مظفر الدين صاحب اربل وكان نعم المدبر والمشير لصلاحه وخيره وحسن مقاصده مع شجاعة تامة وفروسية مشهورة وقد تقدم أيضا ذكره في ترجمة ولده مظفر الدين في حرف الكاف ولم يزل قطب الدين المذكور على سلطنته ونفاذ كلمته الى ان توفي في شوال سنة خمس وستين وخمسمائة وقيل في الثاني والعشرين من ذي الحجة من السنة المذكورة وذكر اسامة بن منقذ في كتاب له صغير ذكر فيه من أدركه في عمره من ملوك البلاد ان قطب الدين المذكور توفي سلخ شهر ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسمائة وليس بصحيح فان أخاه نور الدين كان بالموصل في شهر ربيع الآخر وجاءته رسل الخليفة وهو مخيم على الموصل في الشهر المذكور ولم يتوجه نور الدين اليها الا بعد وفاة أخيه قطب الدين وكانت وفاته بالموصل ومدة عمره أكثر من أربعين سنة بقليل وخلف عدة أولاد وأكثرهم ملك البلاد وقد تقدم ذكر أبيه وجده وجماعة من أهل بيته رحمهم الله تعالى

أبو فيد مؤرج بن عمرو بن الحرث بن ثور بن سعد بن حرملة بن علقمة ابن عمرو بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة السدوسي النحوي البصري

أخذ العربية عن الخليل بن أحمد وروى الحديث عن شعبة بن الحجاج وأبي عمرو بن العلاء وغيرهما وكان يقول قدمت من البادية ولا معرفة لي بالقياس في العربية وانما كانت معرفتي قريحة واول ما تعلمت القياس في حلقة أبي زيد الانصاري بالبصرة ودخل الاخفش سعيد بن مسعدة على محمد بن المهاب فقال له محمد من أين جئت فقال الاخفش من عند القاضي يحيى بن اكثم قال فما جرى عنده قال سألني عن الثقة المأمون المقدم من اصحاب الخليل بن أحمد من هو ومن الذي كان يوثق بعلمه فقلت النضر بن شميل وسيبويه ومورّج السدوسي وكان الغالب على مورّج المذكور اللغة والشعر وله تصانيف منها كتاب الانواء وهو كتاب حسن وكتاب غريب القرآن وكتاب جماهير القبائل وكتاب المعاني وغير ذلك واختصر نسب قريش في مجلد لطيف سماه حذق نسب قريش وكان قد رحل مع المأمون من العراق الى خراسان وسكن مدينة مرو وقدم نيسابور وأقام بها وكتب عنه مشايخها وكان له شعر فمن ذلك ما أنشده هارون ابن علي بن يحيى المنجم في كتابه المسمى بالبارع وهو قوله

روعت بالبين حتى ما اراع له * وبالمصائب من أهلي وجيراني

لم يترك الدهر لي علقا اضن به * الا اصطفاه بنأى أو بهجران

ثم قال ابن المنجم المذكور وهذان البيتان من املح ما قيل في معناهما ومثلهما في معناهما لبعض المحدثين وهو قوله

وفارقت حتى ما اراع من النوى * وان غاب جيران علي كرام

فقد جعلت نفسي على النأى تنطوي * وعيني على فقد الحبيب تنام

ومن ههنا أخذ ابن التعاويذي المقدم ذكره قوله

وها انا لا قلبي يراع لفائت * فيأسى ولا يلهيه حظ فيفرح

وهذا البيت من جملة قصيدة يذكر فيها ما توجعه لذهاب بصره فمنها قوله مشيرا الى زوجته

وباكية لم تشك فقدا ولا رمى * بجيرتها الادنين نأى مطوح

رمتها يد الايام في ليث غابها * بفادح خطب والحوادث تفدح

رأت جللا لا الصبر يجمل بالفتى * على مثله يوما ولا الحزن يقبح

عزيز عليها ان تراني جاثما * لها كان يسعى في البلاد ويكدح

وان لا اقود العيس تنفخ في البرى * ومالي في الارض البسيطة مسرح

وبرد المذاكي في الاعنة تمرح * اظل حبيسا في قرارة منزل

رهين اسى امسي عليه واصبح * مقامي منه مظلم الجو قاتم

ومسعاي ضنك وهو صحان افيح * اقاد به قود الجنيبة مسمحا

وما كنت لولا غدرة الدهر اسمح

كأني ميت لا ضريح بجنبه * وما كل ميت لا أبالك يضرح
وها أنا لا قلبي يراع لفائت * فيأسى ولا يلهيه حظ فيفرح
فلله تسآل علي من غرارة * وعود شباب عاد وهو مصوح
وسقيا لأيام ركبت بها الهوى * بخوطا وغلي في هوى الغي يجمح
وماضي صبى قضيت منه لباتي * مخالسا وعين الدهر زرقاء تلمح
ليالي لي عند الغواني مكانة * فألحاظها ترنو إلي وتطمح
وليلي بها أضعاف ما بي من الهوى * أعرض بالشكوى لها فتصرح

وهي طويلة طنانة مدح بها الإمام الناصر لدين الله خليفة بغداد. وقال المرزباني وجدت بخط محمد بن العباس اليزيدي ما مثاله أهدى أبو فيد مؤرج السدوسي إلى محمد بن أبي محمد كساء فقال جدي فيه يمدحه

سأشكر ما أولى ابن عمرو مؤرج * وأمنحه حسن الثناء مع الود
أغر سدوسي نماه إلى العلا * أب كان صبا بالمكارم والمجد
أتينا أبا فيد لنوصل بيته * ونقدح زندا غير كاب ولا صلد
فأصدرنا بالري والبذل والهوى * وما زال محمود المصادر والورد
كساني ولم أستكسه متبرعا * وذلك أهنى ما يكون من الرفد
كساني به فضفاضا إذا ما لبسته * تروحت مختالا وجرت عن القصد
كساء جمال إن أردت جمالة * وثوب شتاء إن خشيت من البرد
ترى حبكه كأن اطرادها * فريد شديد صقله سل من غمد
سأشكر ما عشت السدوسي بره * وأوصي بشكر للسدوسي من بعدي

وأخبار مؤرج كثيرة وقال ابن النديم وجدت بخط عبد الله بن المعتز أن مؤرج السدوسي كان من أصحاب الخليل بن أحمد وتوفي سنة خمس وتسعين ومائة في اليوم الذي توفي فيه أبو نواس وهذا إنما يستقيم على قول من ذهب إلى أن أبا نواس توفي سنة خمس وتسعين ومائة وقد سبق الخلاف فيه وأما مؤرج فلا خلاف أنه مات في هذه السنة وقد ذكره ابن قتيبة في كتاب المعارف وغيره وأبو فيد بفتح الفاء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة وهو في الأصل ورد الزعفران وقيل هو الزعفران بعينه ومؤرج بضم الميم وفتح الواو المهموزة وكسر الراء المشددة وبعدها جيم وهو اسم فاعل من أرجت بين القوم إذا أغريت بينهم وقد تقدم الكلام على السدوسي في تر[جمة قتادة] في حرف القاف وقيل إن اسمه مرثد ومؤرج لقب له ومرثد بفتح الميم ر[اء] ساكنة وفي الآخر دال مهملة قال الجوهري في كتاب الصحاح يقال رثدت المتاع نضدته ووضعت بعضه على بعض أو إلى جنب ثم قال بعد ذلك تركت بني فلان مرتثدين ما احتملوا بعد أي ناضدين متاعهم قال ابن السكيت ومنه اشتق مرثد وهو اسم رجل

والمرثد من أسماء الاسد وكان مؤرج المذكور يقول اسمي وكنيتي غريبان اسمي مؤرج والعرب تقول أرجت بين القوم وأرشت وأنا أبو فيد والفيد ورد الزعفران ويقال فاد الرجل يفيد فيدا اذا مات

أبو الحسن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أحد الائمة الاثنى عشر رضي الله عنهم أجمعين

قال الخطيب في تاريخ بغداد كان موسى يدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده روى انه دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسجد سجدة في أول الليل وسمع وهو يقول في سجوده عظم الذنب عندي فليحسن العفو من عندك يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة فجعل يرددها حتى أصبح وكان سخيا كريما وكان يبلغه عن الرجل انه يؤذيه فيبعث اليه بصرة فيها ألف دينار وكان يصر الصرر ثلثمائة دينار وأربعمائة دينار ومائتي دينار ثم يقسمها بالمدينة وكان يسكن المدينة فاقدمه المهدي بغداد فحبسه فرأى في النوم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يقول يا محمد فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم قال الربيع فارسل الي ليلا فراعني ذلك فجئته فاذا هو يقرأ هذه الآية وكان أحسن الناس صوتا وقال علي بموسى بن جعفر فجئته به فعانقه وأجلسه الى جانبه وقال يا أبا الحسن اني رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في النوم يقرأ علي كذا فتؤمنني ان تخرج علي أو على أحد من أولادي فقال والله لا فعلت ذلك ولا هو من شأني قال صدقت أعطه ثلاثة آلاف دينار ورده الى أهله الى المدينة قال الربيع فاحكمت أمره ليلا فما أصبح الا وهو في الطريق خوف العوائق وأقام بالمدينة الى أيام هارون الرشيد فقدم هارون من عمرة شهر رمضان سنة تسع وسبعين ومائة فحمل موسى معه الى بغداد وحبسه بها الى ان توفي في محبسه * وذكر أيضا ان هارون الرشيد حج فأتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم زائرا وحوله قريش وأفناء القبائل ومعه موسى بن جعفر فقال السلام عليك يا رسول الله يا ابن عم افتخارا على من حوله فقال موسى السلام عليك يا أبت فتغير وجه هارون الرشيد وقال هذا هو الفخر يا أبا الحسن حقا انتهى كلام الخطيب وقال أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي في كتاب مروج الذهب في اخبار هارون الرشيد ان عبد الله بن مالك الخزاعي كان على دار هارون الرشيد وشرطته فقال أتاني رسول الرشيد وقتا ما جاءني فيه قط فانتزعني من موضعي ومنعني من تغيير ثيابي فراعني ذلك فلما صرت الى الدار سبقني الخادم فعرف الرشيد خبري فاذن لي في الدخول عليه فوجدته قاعدا على فرشه فسلمت عليه فسكت ساعة فطار عقلي وتضاعف الجزع علي ثم قال يا عبد الله أتدري لم طلبتك في هذا الوقت قلت لا والله يا أمير المؤمنين قال اني رأيت الساعة في منامي كان حبشيا قد أتاني ومعه

حربة فقال ان خليت عن موسى بن جعفر الساعة والا نحرتك فى هذه الساعة بهذه الحربة فاذهب فخل عنه قال فقلت يا أمير المؤمنين أطلق موسى بن جعفر ثلاثا قال نعم امض الساعة حتى تطلق موسى بن جعفر وأعطه ثلاثين ألف درهم وقل له ان أحببت المقام قبلنا فلك عندى ما تحب وان أحببت المضى الى المدينة فالاذن فى ذلك لك قال فمضيت الى الحبس لاخرجه فلما رآنى موسى وثب الى قائما وظن انى قد أمرت فيه بمكروه فقلت لا تخف فقد أمرنى باطلاقك وان ادفع لك ثلاثين ألف درهم وهو يقول لك ان أحببت المقام قبلنا فلك ذلك ولك كل ما تحب وان أحببت الانصراف الى المدينة فالامر فى ذلك مطلق لك واعطيته ثلاثين ألف درهم وخليت سبيله وقلت له لقد رأيت من أمرك عجبا قال فانى أخبرك بينما أنا نائم اذ أتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا موسى حبست مظلوما فقل هذه الكلمات فانك لا تبيت هذه الليلة فى الحبس فقلت بأبى وأمى ما أقول قال قل يا سامع كل صوت ويا سابق الفوت ويا كاسى العظام لحما ومنشرها بعد الموت أسألك باسمائك الحسنى وباسمك الاعظم الاكبر المخزون المكنون الذى لم يطلع عليه أحد من المخلوقين يا حليما ذا أناة لا يقوى على أناته يا ذا المعروف الذى لا ينقطع أبدا ولا يحصى عددا فرج عنى فكان ما ترى وله اخبار ونوادر كثيرة وكانت ولادته يوم الثلاثا قبل طلوع الفجر سنة تسع وعشرين ومائة وقال الخطيب سنة ثمان وعشرين بالمدينة وتوفى لخمس بقين من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة وقيل سنة ست وثمانين ببغداد وقيل انه توفى مسموما وقال الخطيب توفى فى الحبس ودفن فى مقابر الشونيزية خارج القبة وقبره هناك مشهور يزار وعليه مشهد عظيم فيه قناديل الذهب والفضة وأنواع الآلات والفرش ما لا يحد وهو فى الجانب الغربى وقد سبق ذكر ابنه وأجداده وجماعة من احفاده رضى الله عنهم وارضاهم وكان الموكل به مدة حبسه السندى بن شاهك جد كشاجم الشاعر المشهور

أبو الفتح موسى بن أبى الفضل يونس بن محمد بن منعة بن مالك بن محمد الملقب كمال الدين الفقيه الشافعى

تفقه بالموصل على والده ثم توجه الى بغداد سنة احدى وسبعين وخمسمائة وأقام بالمدرسة النظامية يشتغل على المعيد بها السديد السلمانى المقدم ذكره وكان المدرس بها يومئذ الشيخ رضى الشيرازى اباالخير أحمد بن اسماعيل بن يوسف بن محمد بن العباس القزوينى فقرأ الخلاف والاصول وبحث الادب على الكمال أبى البركات عبد الرحمن بن محمد الانبارى المقدم ذكره وكان قد قرأ أولا على الشيخ أبى بكر يحيى بن سعدون القرطبى الآتى ذكره ان شاء الله تعالى فميزوه وهر ثم أصعد الى الموصل وعكف على الاشتغال ودرس بعد وفاة والده فى التاريخ الآتى ذكره فى ترجمته ان شاء الله تعالى فى موضعه بالمسجد المعروف بالامير زين الدين صاحب اربل وهذا المسجد رأيته وهو على وضع المدينة

وتعرف بالمدرسة الكمالية لانه نسب الى كمال الدين المذكور لطول اقامته به ولما اشتهر فضله انثال عليه الفقهاء وتبحر في جميع الفنون وجمع من العلوم مالم يجمعه أحد وتفرد بعلم الرياضة ولقد رأيته بالموصل في شهر رمضان سنة ست وعشرين وستمائة وترددت اليه دفعات عديدة لما كان بينه و بين الوالد رحمه الله من المؤانسة والمودة الاكيدة ولم يتفق لي الاخذ عنه لعدم الاقامة وسرعة الحركة الى الشام وكان الفقهاء يقولون انه يدرى أربعة وعشرين فنا دراية متقنة فمن ذلك المذهب فكان فيه اوحد الزمان وكان جماعة من الطائفة الحنفية يشتغلون عليه بمذهبهم و يحل لهم مسائل الجامع الكبير أحسن حل مع ماهى عليه من الاشكال المشهور وكان يتقن فن الخلاف العراقي والبخاري وأصول الفقه وأصول الدين ولما وصلت كتب فخر الدين الرازي الى الموصل وكان بها اذذاك جماعة من الفضلاء لم يفهم أحد منهم اصطلاحه فيها سواه وكذلك الارشاد للعميدى لما وقف عليه حلها في ليلة واحدة واقرأها على ماقالوه وكان يدرى في الحكمة والمنطق والطبيعي والالهى وكذلك الطب و يعرف فنون الرياضة من اقليدس والهيئة والمخروطات والمتوسطات والمجسطي وأنواع الحساب المفتوح منه والجبر والمقابلة والارثماطيقي وطريق الخطايين والموسيقى والمساحة معرفة لايشاركه فيها غيره الا في ظواهر هذه العلوم دون دقائقها والوقوف على حقائقها واستخرج في علم الاوفاق طرقا لم يهتد اليها أحد وكان يبحث في العربية والتصريف بحثا تاما مستوفيا حتى انه كان يقرأ كتاب سيبويه والايضاح والتكملة لابي على الفارسي والمفصل للزمخشري وكان له في التفسير والحديث وما يتعلق به وأسماء الرجال يد جيدة وكان يحفظ من التواريخ وايام العرب ووقائعهم والاشعار والمحاضرات شيأ كثيرا وكان أهل الذمة يقرؤون عليه التوراة والانجيل وشرح لهما هذين الكتابين شرحا يعترفون انهم لايجدون من يوضحهما لهم مثله وكان في كل فن من هذه الفنون كانه لايعرف سواه لقوته فيه وبالجملة فان مجموع ما كان يعلمه من الفنون لم يسمع عن أحد ممن تقدمه انه قد جمعه ولقد جاءنا الشيخ أثير الدين المفضل أبو عمر بن المفضل الابهرى صاحب التعليقة في الخلاف والزيج والتصانيف المشهورة من الموصل الى اربل في سنة خمس وعشرين وستمائة ونزل بدار الحديث وكنت أشتغل عليه بشيء من الخلاف فبينما أنا يوما عنده اذ دخل عليه بعض فقهاء بغداد وكان فاضلا فتجاريا في الحديث زمانا وجرى ذكر الشيخ كمال الدين في اثناء الحديث فقال له الاثير لما حج الشيخ كمال الدين ودخل بغداد كنت هناك فقال نعم فقال كيف كان اقبال الديوان العزيز فقال له ذلك الفقيه ما انصفوه على قدر استحقاقه فقال الاثير ما هذا الا عجب والله ما دخل بغداد مثل الشيخ فاستعظمت منه هذا الكلام وقلت له ياسيدنا كيف تقول كذا فقال ياولدى ما دخل بغداد مثل أبي حامد الغزالي ووالله ما بينه و بين الشيخ نسبة وكان الاثير على جلالة قدره في العلوم يأخذ الكتاب ويجلس بين يديه و يقرأ عليه والناس يومئذ يشتغلون

في تصانيف الاثير ولقد شاهدت هذا يعني وهو يقرأ عليه كتاب المجسطي ولقد حكى لي
بعض الفقهاء انه سأل الشيخ كمال الدين عن الاثير ومنزلته في العلوم فقال ما؟
وكيف هذا يا مولانا وهو في خدمتك منذ سنين عديدة ويشتغل عليك فقال لاني مهما
قلت له تلقاه بالقبول وقال نعم يا مولانا وما حادثني في بحث قط حتى أعلم حقيقة فضله ولا
شك انه كان يعتمد هذا القدر مع الشيخ تادبا وكان معتقدا عنده بالمدرسة البدرية وكان
يقول ما تركت بلادي وقصدت الموصل الا للاشتغال على الشيخ ومن يقف على هذه
الترجمة فقد ينسبني الى المغالاة في حق الشيخ ومن كان من أهل تلك البلاد وعرف ما كان
عليه الشيخ يعلم أني ما اعرته وصفا ونعوذ بالله من الغلو والتساهل في النقل ولقد ذكره أبو
البركات المبارك بن المستوفي المقدم ذكره في تاريخ اربل فقال هو عالم مقدم ضرب في
كل علم وهو في علم الاوائل كالهندسة والمنطق وغيرهما ممن يشار اليه حل اقليدس
والمجسطي على الشيخ شرف الدين المظفر بن محمد بن المظفر الطوسي القاري يعني صاحب
الاصطرلاب الخطي المعروف بالعصا ثم قال ابن المستوفي وردت عليه مسائل من بغداد
في مشكلات هذا العلم فحلها واستصغرها ونبه على براهينها بعد ان احتقرها وهو في
العلوم الاسلامية نسيج وحده ودرس في عدة مدارس بالموصل وتخرج
خلق كثير في كل فن ثم قال أنشدني لنفسه وانفذها الى صاحب الموصل
يشفع عنده

لئن شرفت أرض بمالك رقها * فمملكة الدنيا بكم تتشرف
بقيت بقاء الدهر أمرك نافذ * وسعيك مشكور وحكمك منصف
ومكنت في حفظ البسيطة مثل ما * تمكن في أمصار فرعون يوسف

قلت انا ولقد أنشدني هذه الابيات عنه أحد أصحابنا بمدينة حلب وكنت بدمشق سنة
ثلاث وثلاثين وستمائة وبها رجل فاضل في علوم الرياضة فأشكل عليه مواضع في مسائل
الحساب والجبر والمقابلة والمساحة واقليدس فكتب جميعها في درج وسيرها الى
الموصل ثم بعد أشهر عاد جوابه وقد كشف عن خفيها وأوضح غامضها وذكر ما يعجز
الانسان عن وصفه ثم كتب في آخر الجواب فليمهد العذر في التقصير في الاجوبة فان
القريحة جامدة والفطنة خامدة قد استولى عليها كثرة النسيان وشغلتها حوادث
الزمان وكثير مما استخرجناه وعرفناه نسيناه بحيث صرنا كأنا ما عرفناه وقال لي صاحب
المسائل المذكورة ما سمعت هذا الكلام الا للاوائل المتقنين لهذه العلوم ما هذا من
كلام أبناء زماننا وقد اطلت الشرح في نشر علومه ولعمري لقد اختصرت ولما توفي
الشيخ عماد الدين محمد المقدم ذكره تولى الشيخ المدرسة العلائية موضع أخيه ولما انه
المدرسة القاهرية تولاها ثم تولى المدرسة البدرية في ذي الحجة سنة عشرين وستمائة وكان
مواظبا على القاء الدروس والافادة وحضر في بعض الايام دروسه جماعة من المدرسين

أرباب الطيالس وكان العماد أبو علي عمر بن عبد النور بن ماخوخ بن يوسف الصنهاجي اللزني النحوي البجاءي حاضرا فانشد على البديهة قوله

كمال كمال الدين للعلم والعلى * فهيهات ساع في مساعيك يطمع
اذا اجتمع النظار في كل موطن * فغاية كل ان تقول ويسمعوا
فلا تحسبوهم من عناد تطيلسوا * ولكن حياء واعترافا تقنعوا

وللعماد المذكور فيه أيضا

تجر الموصل الاذيال فخرا * على كل المنازل والرسوم
بدجلة والكمال هما شفاء * لهيم اولذي فهم سقيم
فذا بحر تدفق وهو عذب * وذا بحر ولكن من علوم

وكان الشيخ سامحه الله تعالى يتهم في دينه لكون العلوم العقلية غالبة عليه وكانت تعتريه غفلة في بعض الاحيان لاستيلاء الفكرة عليه بسبب هذه العلوم فعمل فيه العماد المذكور

أجدك ان قد جاد بعد التعبس * غزال بوصل لي واصبح مؤنسي
وعاطيته صهباء من فيه مزجها * كرقة شعري اوكدين ابن يونس

وقد خرجنا عن المقصود بما لا حاجة بنا اليه وكانت ولادته يوم الخميس خامس صفر سنة احدى وخمسين وخمسمائة بالموصل وتوفي بها رابع عشر شعبان سنة تسع وثلاثين وستمائة ودفن في تربتهم المعروفة بهم عند تربة غسان خارج باب العراق وقد سبق ذكر ولده شرف الدين أحمد في حرف الهمزة وأخيه عماد الدين في حرف الميم وسيأتي ذكر والده في حرف الياء ان شاء الله تعالى رحمهم الله أجمعين وتوفي الشيخ رضي الدين القزويني مدرس المدرسة النظامية المذكور في اول هذه الترجمة في الثالث والعشرين من المحرم سنة تسعين وخمسمائة وكانت ولادته في شهر رمضان سنة اثنتي عشرة وخمسمائة بقزوين وموته بها أيضا ولولا خوف الاطالة لذكرت من مناقب الشيخ كمال الدين ما يستغرق الوصف وقد تقدم الكلام على الصنهاجي وأما اللزني فهو بفتح اللام وسكون الزاي وبعدها نون هذه النسبة الى لزنة وهي قبيلة من البربر تسكن بالقرب من بجاية من عمل افريقية وتوفي العماد ابن يوسف المذكور يوم الاحد ثالث عشر رجب من سنة تسع وأربعين وستمائة بدمشق ودفن بالباب الشرقي ثم نقل الى باب الصغير ومولده في سنة أربع وسبعين وخمسمائة باصفون من شرقي صعيد مصر رحمه الله تعالى والله أعلم

أبو عبد الرحمن موسى بن نصير اللخمي بالولاء صاحب فتح الاندلس

كان من التابعين رضي الله عنهم وروى عن تميم الداري رضي الله عنه وكان عاقلا كريما شجاعا ورعا تقيا لله تعالى رضي الله عنه لم يهزم له جيش قط وكان والده نصير

على حرس معاوية بن أبي سفيان ومنزلته عنده مكينة ولما خرج معاوية لقتال علي بن أبي
طالب رضي الله عنه لم يخرج معه فقال له معاوية ما منعك من الخروج معي ولي عندك
يد لم تكافئني عليها فقال لم يمكني ان اشكرك بكفر من هو اولى بشكري فقال ومن هو
قال الله عز وجل فقال وكيف لا أم لك قال وكيف لا أعاتك هذا فاغض وامض قال
فاطرق معاوية مليا ثم قال أستغفر الله ورضي عنه وكان عبد الله بن مروان أخو عبد
الملك بن مروان واليا على مصر وافريقية فبعث اليه ابن أخيه الوليد بن عبد الملك
أيام خلافته يقول له أرسل موسى بن نصير الى افريقية وذلك في سنة تسع وثمانين للهجرة
وقال الحافظ أبو عبد الله الحميدي في كتاب جذوة المقتبس ان موسى بن نصير ولي
افريقية والمغرب سنة سبع وسبعين فارسله اليها فلما قدمها ومعه جماعة من الجند
بلغه ان باطراف البلاد جماعة خارجين عن الطاعة فوجه ولده عبد الله فأتاه بمائة
ألف رأس من السبايا ثم وجه ولده مروان الى جهة أخرى فأتاه بمائة ألف فارس قال
الليث بن سعد فبلغ الخمس ستين ألف رأس وقال أبو شبيب الصدفي لم يسمع في الاسلام
بمثل سبايا موسى بن نصير ووجد اكثر مدن افريقية خالية لاختلاف ايدي البربر عليها
فكانت البلاد في قحط شديد فأمر الناس بالصوم والصلاة واصلاح ذات البين وخرج
بهم الى الصحراء ومعه سائر الحيوانات وفرق بينها وبين أولادها فوقع البكاء والصراخ
والضجيج وأقام على ذلك الى منتصف النهار ثم صلى وخطب بالناس ولم يذكر الوليد بن
عبد الملك فقيل له ألا تدعو لامير المؤمنين فقال هذا مقام لا يدعى فيه غير الله عز وجل
فسقوا حتى رووا ثم خرج موسى غازيا وتتبع البربر وقتل منهم قتلا ذريعا وسبى سبيا عظيما
وسار حتى انتهى الى السوس الادنى لا يدافعه أحد فلما رأى بقية البربر ما نزل بهم
استأمنوا وبذلوا له الطاعة فقبل منهم وولى عليهم واليا واستعمل على طنجة واعمالها
مولاه طارق بن زياد البربري ويقال انه من الصدف وترك عنده تسعة عشر ألف
فارس من البربر بالاسلحة والعدد الكاملة وكانوا قد أسلموا وحسن اسلامهم وترك موسى
عندهم خلقا يسيرا من العرب لتعليم البربر القرآن وفرائض الاسلام ورجع الى افريقية
ولم يبق بالبلاد من ينازعه من البربر ولا من الروم فلما استقرت له القواعد كتب الى طارق
وهو بطنجة يأمره بغزو بلاد الاندلس في جيش من البربر ليس فيه من العرب الا قليل
يسير فامتثل طارق أمره وركب البحر من سبتة الى الجزيرة الخضراء من بر الاندلس
وصعد الى جبل يعرف اليوم بجبل طارق لانه نسب اليه لما حصل عليه وكان صعوده
اليه يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة اثنتين وتسعين للهجرة في اثني عشر ألف
فارس من البربر خلا اثني عشر رجلا وذكر عن طارق انه كان نائما في المركب وقت
التعدية وانه رأى النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الاربعة رضي الله عنهم يمشون على
الماء حتى مروا به فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفتح وأمره بالرفق بالمسلمين

والوفاء

والوفاء بالعهد ذكر ذلك ابن بشكوال المقدم ذكره فى حرف الحاء فى تاريخ الاندلس وكان صاحب طليطلة ومعظم بلاد الاندلس ملك يقال له لزريق ولما اتصل طارق بالجبل المذكور كتب الى موسى بن نصير انى فعلت ما أمرتنى به وسهل الله سبحانه وتعالى بالدخول فلما وصل كتابه الى موسى ندم على تأخره وعلم انه ان فتح نسب الفتح اليه دونه فاخذ فى جمع العساكر وولى على القيروان ولده عبد الله وتبعه فلم يدركه الا بعد الفتح وكان لزريق المذكور قد قصد عدوا له واستخلف فى المملكة شخصا يقال له تدمير والى هذا الشخص تنسب بلاد تدمير بالاندلس فلما نزل طارق من الجبل بالجيش الذى معه كتب تدمير الى لزريق الملك انه قد وقع بارضنا قوم لا ندرى من السماء هم أم من الارض فلما بلغ ذلك لزريق رجع عن مقصده فى سبعين ألف فارس ومعه العجل يحمل الاموال والمتاع وهو على سرير بين دابتين عليه قبة مكللة بالدر والياقوت والزبرجد فلما بلغ طارقا دنوه قام فى أصحابه فحمد الله سبحانه وتعالى وأثنى عليه بما هو أهله ثم حث المسلمين على الجهاد ورغبهم فى الشهادة ثم قال أيها الناس اين المفر والبحر من ورائكم والعدو امامكم فليس لكم والله الا الصدق والصبر واعلموا انكم فى هذه الجزيرة أضيع من الايتام فى مأدب اللئام وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته واقواته موفورة وأنتم لا وزر لكم غير سيوفكم ولا اقوات لكم الا ما تستخلصونه من أيدى أعدائكم وان امتدت بكم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمرا ذهبت ريحكم وتعوضت القلوب برعبها منكم الجراءة عليكم فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذه الطاغية فقد ألقت به اليكم مدينته المحصنة وان انتهاز الفرصة فيه لممكن لكم ان سمحتم بأنفسكم للموت وانى لم أحذركم أمرا أنا عنه بنجوة ولا حملتكم على خطة ارخص متاع فيها النفوس ابدأ فيها بنفسى واعلموا انكم ان صبرتم على الاشق قليلا استمتعتم بالارفه الالذ طويلا فلا ترغبوا بانفسكم عن نفسى فما حظكم فيه أوفر من حظى وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان الرافلات فى الدر والمرجان والحلل المنسوجة بالعقيان المقصورات فى قصور الملوك ذوى التيجان وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك من الابطال عربانا ورضيكم لملوك هذه الجزيرة اصهارا واختانا ثقة منه بارتياحكم للطعان واستماحكم لمجالدة الابطال والفرسان ليكون حظه معكم ثواب الله على اعلاء كلمته واظهار دينه بهذه الجزيرة ويكون مغنمها خالصا لكم من دونه ومن دون المسلمين سواكم والله تعالى ولى انجادكم على ما يكون لكم ذكرا فى الدارين واعلموا انى أول مجيب الى ما دعوتكم اليه وانى عند ملتقى الجمعين حامل بنفسى على طاغية القوم لزريق فقاتله ان شاء الله فاحملوا معى فان هلكت بعده فقد كفيتكم أمره ولن يعوزكم بطل عاقل تسندون أمركم اليه وان هلكت قبل وصولى اليه فاخلفونى فى عزيمتى هذه واحملوا بانفسكم عليه واكتفوا الهم من فتح هذه الجزيرة بقتله فانهم

بعد ما يخذلون فلما فرغ طارق من تحريض أصحابه على الصبر في مقاتلة لزريق وأصحابه وما
وعدهم من النيل الجزيل انبسطت نفوسهم وتحققت آمالهم وهبت ريح النصر عليهم
وقالوا له قد قطعنا الآمال مما يخالف ما عزمت عليه فاحضر اليه فانا معك وبين يديك
فركب طارق وركبوا وقصدوا مناخ لزريق وكان قد نزل بمتسع من الارض فلما تراأى
الجمعان نزل طارق وأصحابه فباتوا ليلتهم في حرس الى الصبح فلما أصبح الفريقان تلببوا
وعبوا كتائبهم وحمل لزريق على سريره وقد رفع على رأسه رواق ديباج يظله وهو مقبل
في غاية من البنود والاعلام وبين يديه المقاتلة بالسلاح وأقبل طارق وأصحابه عليهم الزرد
ومن فوق رؤسهم العمائم البيض وبأيديهم القسي العربية وقد تقلدوا السيوف
واعتقلوا الرماح فلما نظر اليهم لزريق قال أما والله ان هذه الصور التي رأيناها ببيت
الحكمة ببلدنا فداخله منهم رعب وتكلم ها هنا على بيت الحكمة ما هو ثم تكلم على
حديث الوقعة وأصل خبر بيت الحكمة ان اليونان وهم الطائفة المشهورة بالحكمة
كانوا يسكنون بلاد المشرق قبل عهد الاسكندر فلما ظهرت الفرس واستولت على
البلاد وزاحمت اليونان على ما كان بأيديهم من الملك انتقل اليونان الى جزيرة الاندلس
لكونها طرفا في آخر العمارة ولم يكن لها ذكر يومئذ ولا ملكها أحد من الملوك
المعتبرة ولا كانت عامرة وكان اول من عمر فيها واختطها اندلس بن يافث بن نوح عليه
السلام فسميت باسمه ولما عمرت الارض بعد الطوفان كان صورة المعمور منها عندهم
شكل طائر رأسه المشرق والجنوب والشمال رجلاه وما بينهما بطنه والمغرب ذنبه
فكانوا يزدرون المغرب لنسبته الى أخس الطائر وكانت اليونان لا ترى فناء الامم بالحروب
لما ترى فيه من الاضرار والاشتغال عن العلوم التي كان أمرها عندهم أهم الامور
فلذلك انحازوا بين يدي الفرس الى الاندلس فلما صاروا اليها أقبلوا على عمارتها بانتزا
الانهار وبنوا المعاقل وغرسوا الكروم والجنان وشيدوا الامصار وملؤا حرثا ونسلا
وبنيانا فعظمت وطابت حتى قال قائلهم لما رأى بهجتها ان الطائر الذي صورت العمارة
على شكله وكان المغرب ذنبه كان طاوسا معظم جماله في ذنبه فاغتبطوا بها أتم اغتباط
واتخذوا دار الملك والحكمة بها مدينة طليطلة لانها وسط البلاد وكان اهم الامور
عندهم تحصينها عمن يتصل به خبرها من الامم فنظروا فاذا ليس ثم من يحسدهم على رغد
العيش الا أرباب الشظف والشقاء وهم يومئذ طائفتان العرب والبربر فخافوهم على
جزيرتهم المعمورة فعزموا ان يتخذوا لدفع هذين الجنسين من الناس طلسما فرصدوا لذلك
ارصادا ولما كان البربر بالقرب منهم وليس بينهم سوى تعدية البحر ويرد عليهم منهم
طوائف خرقة الطباع خارجة عن الاوضاع فازدادوا منهم نفورا وكثر تحذيرهم من
مخالطتهم في نسل أو مجاورة حتى ثبت ذلك في طباعهم وصار بغضهم مركبا في غرائزهم
فلما علم البربر عداوة أهل الاندلس وبغضهم أبغضوهم وحسدوهم فلا تجد اندلسيا

الا

الاسبغضابر بر يا ولا بربر يا الاسبغضا أندلسيا الآن البر براحوج الى أهل الاندلس من أهل الاندلس الى البربر لكثرة وجود الاشياء بالاندلس وعدمها بالبربر وكان بنواحى غرب جزيرة الاندلس ملك يونانى بجزيرة يقال لها قادس وكانت له ابنة فى غاية الحسن والجمال فتسامع بها ملوك الاندلس وكانت جزيرة الاندلس كثيرة الملوك لكل بلدة أو بلدتين ملك تناصفا منهم فى ذلك فخطبها كل واحد منهم وكان أبوها يخشى من تزويجها لواحد منهم واسخاط الباقين فتحير فى أمره وأحضر ابنته المذكورة وكانت الحكمة مركبة فى طباع القوم ذكورهم واناثهم ولذلك قيل ان الحكمة نزلت من السماء على ثلاثة أعضاء من أهل الارض على ادمغة اليونان وايدى أهل الصين والسنة العرب فلما حضرت بين يديه قال لها يا بنية انى قد أصبحت فى حيرة من أمرى قالت وما حيرك قال قد خطبك جميع ملوك الاندلس ومتى ارضيت واحدا أسخطت الباقين فقالت اجعل الامر الى تخلص من اللوم قال وما تصنعين قالت اقترح لنفسى أمرا من فعله كنت زوجته ومن عجز عنه لم يحسن به السخط قال وما الذى تقترحين قالت اقترح ان يكون ملكا حكيما قال نعم ما اخترت لنفسك وكتب فى اجوبة الملوك الخطاب انى جعلت الامر اليها فاختارت من الازواج الملك الحكيم فلما وقفوا على الاجوبة سكت عنها كل من لم يكن حكيما وكان فى الملوك رجلان حكيمان فكتب كل واحد منهما اليه انا الرجل الحكيم فلما وقف على كتابيهما قال يا بنية بقى الامر على اشكاله وهذان ملكان حكيمان أيهما أرضيته أسخطت الآخر قالت سأقترح على كل واحد منهما أمرا يأتى به فايهما سبق الى الفراغ مما ألتمسه تزوجت به قال وما الذى تقترحين عليهما قالت انا ساكنون بهذه الجزيرة ونحن محتاجون الى رحى تدور بها وانى مقترحة على أحدهما ادارتها بالماء العذب الجارى اليها من ذلك البر ومقترحة على الآخر طلسما يحصن به جزيرة الاندلس من البربر فاستظرف أبوها اقتراحها وكتب الى الملكين بما قالته بنته فاجابا الى ذلك وتقاسماه على ما اختارا وشرع كل واحد فى عمل ما ندب اليه من ذلك فاما صاحب الرحى فانه عمد الى خرز عظام اتخذها من الحجارة ونضد بعضها فى بعض فى البحر المالح الذى بين جزيرة الاندلس والبر الكبير فى الموضع المعروف بزقاق سبتة وسد الفروج التى بين الحجارة بما اقتضته حكمته واوصل تلك الحجارة من البر الى الجزيرة وآثارها باقية الى اليوم فى الزقاق الذى بين سبتة والجزيرة الخضراء وأهل الاندلس يزعمون ان ذلك أثر قنطرة كان الاسكندر قد عملها ليعبر عليها الناس من سبتة الى الجزيرة والله أعلم أى ذلك أصح فلما تم تنضيد الحجارة للملك الحكيم جلب اليها الماء العذب من موضع عال فى الجبل بالبر الكبير وسلطه على ساقية محكمة البناء وبنى بجزيرة الاندلس رحى على هذه الساقية وأما صاحب الطلسم فانه أبطأ عمله بسبب انتظار الرصد الموافق لعمله غير انه عمل أمره وأحكمه وابتنى بنيانا مربعا من حجر أبيض على

ساحل البحر فى رمل حفر أساسه الى ان جعله تحت الارض بقدر ارتفاعه فى الارض ليثبت فلما انتهى البناء المربع الى حيث اختار صور من النحاس الاصفر والحديد المصفى المخلوطين باحكم الخلط صورة رجل بربرى له لحية وفى رأسه ذؤابة من شعر جعد قائم فى رأسه لجعودها متأبط بصورة كساء قد جمع طرفيه على يده اليسرى بأزر نصوير وأحكمه فى رجليه نعل وهو قائم فى رأس البناء على مستدق بقدر . . . وهو شاهق فى الهواء طوله نيف عن ستين ذراعا أو سبعين وهو محدد الاعلى الى ان ينتهى الى ما سعته قدر الذراع وقد مد يده اليمنى بمفتاح قفل قابضا عليه مشيرا الى البحر كانه يقول لاعبور وكان من تأثير هذا الطلسم فى البحر الذى تجاهه انه لم يرقط ما . . . ولا كانت تجرى فيه قط سفينة بربرى حتى سقط المفتاح من يده وكان الملكان العاملان للطلسم والرحى يتسابقان الى التمام من عملهما اذ كان بالسبق يستحق التزويج وكان صاحب الرحى قد فرغ لكنه يخفى أمره عن صاحب الطلسم حتى لا يعلم به فيبطل عما الطلسم وكان يود عمل الطلسم حتى يحظى بالمرأة والرحى والطلسم فلما علم اليوم الذى يفرغ صاحب الطلسم فى آخره أجرى الماء بالجزيرة من اوله وادار الرحى واشتهر ذلك واتصل الخبر بصاحب الطلسم وهو فى اعلاه يصقل وجهه وكان الطلسم مذهبا فلما تحقق انه مسبوق ضعفت نفسه فسقط من أعلى البناء ميتا وحصل صاحب الرحى على الرحى والمرأة والطلسم وكان من تقدم من ملوك اليونان يخشى على جزيرة الاندلس من البربر الذى قدمنا ذكره فاتفقوا وعملوا الطلسمات فى أوقات اختاروا ارصادها . . . الطلسمات تابوتا من الرخام وتركوه فى بيت بمدينة طليطلة وركبوا على ذلك البيت بابا وأقفلوه وتقدموا الى كل من ملك منهم بعد صاحبه ان يلقى على ذلك الباب قفلا تأكيدا لحفظ ذلك البيت فاستمر أمرهم على ذلك ولما جاء وقت انقراض دولة اليونان ودخول العرب والبربر الى جزيرة الاندلس وذلك بعد مضى ستة وعشرين ملكا من ملوك البر . . . من يوم عملهم الطلسمات بمدينة طليطلة وكان الملك لزريق المذكور . . . من ملوكهم فلما جلس فى ملكه قال لوزرائه وأهل الرأى من دولته قد وقع فى نفسى من أمر هذا البيت الذى عليه ستة وعشرون قفلا شئ وأريد ان افتحه لا . . . يعمل عبثا فقالوا ايها الملك صدقت لم يعمل عبثا ولا اقفل سدى بل المصلحة ان تلقى عليه قفلا كما فعل من تقدمك من الملوك وكان اباؤك واجدادك لم يهملوا هذا فلا تهمله وسر سيرهم فقال ان نفسى تنازعنى الى فتحه فلا بد لى منه فقالوا ان كنت تظن فيه مالا فقدره ونحن نجمع لك من أموالنا نظيره ولا تحدث علينا بفتحه حدثا لا نعرف عاقبته فأصر على ذلك وكان رجلا مهابا فلم يقدروا على مراجعته وأمر بفتح الاقفال وكان على كل قفل مفتاحه معلقا فلما فتح الباب لم ير فى البيت شيأ الا مائدة عظيمة من ذهب وفضة بالجواهر وعليها مكتوب هذه مائدة سليمان بن داود عليهما السلام ورأى فى البيت ذلك

التابوت وعليه قفل ومفتاحه معلق ففتحه فلم يجد فيه سوى رق وفى جوانب التابوت صور فرسان مصورة باصباغ محكمة التصوير على أشكال العرب وعليهم الفراء وهم معممون على ذوائب جعد ومن تحتهم الخيل العربية وبأيديهم القسي العربية وهم مقلدون بالسيوف المحلاة معتقلون بالرماح فأمر بنشر ذلك الرق فاذا فيه متى فتح هذا البيت وهذا التابوت المقفلان بالحكمة دخل القوم الذين صورهم فى التابوت الى جزيرة الاندلس وذهب ملك اليونان من أيديهم ودرست حكمتهم فهذا هو بيت الحكمة المقدم ذكره. فلما سمع لزريق ما فى الرق ندم على ما فعل وتحقق انقراض دولتهم فلم يلبث الا قليلا حتى سمع ان جيشا وصل من المشرق جهزه ملك العرب يستفتح بلاد الاندلس انتهى الكلام على بيت الحكمة ونعود الآن الى تتمة حديث لزريق وجيش طارق بن زياد فلما رأى طارق لزريق قال لاصحابه هذا طاغية القوم فحمل وحمل أصحابه معه فتفرقت المقاتلة من بين يدى لزريق فخلص اليه طارق وضربه بالسيف على رأسه فقتله على سريره فلما رأى أصحابه مصرعه اقتحم الجيشان وكان النصر للمسلمين ولم تقف هزيمة اليونان على موضع بل كانوا يسلمون بلدا بلدا ومعقلا معقلا فلما سمع بذلك موسى بن نصير المذكور ركب وعبر الجزيرة بمن معه ولحق بمولاه طارق فقال له يا طارق انه لن يجازيك الوليد بن عبد الملك على بلائك باكثر من أن يبيحك جزيرة الاندلس فاستبحه هنيئا مريئا فقال طارق أيها الامير والله لا أرجع عن قصدى هذا مالم انته الى البحر المحيط واخوض فيه بفرسى يعنى البحر الشمالى الذى تحت بنات نعش فلم يزل طارق يفتح وموسى معه الى ان بلغ جليقية وهى على ساحل البحر المحيط ثم رجع. قال الحميدى فى جذوة المقتبس ان موسى بن نصير نقم على طارق اذ غزا بغير اذنه وسجنه وهم بقتله ثم ورد عليه كتاب الوليد باطلاقه فاطلقه وخرج معه الى الشام وكان خروج موسى من الاندلس وافدا على الوليد يخبره بما فتح الله سبحانه على يديه وما معه من الاموال فى سنة أربع وتسعين للهجرة وكان معه مائدة سليمان بن داود عليهما السلام التى وجدت فى طليطلة على ما حكاه بعض المؤرخين فقال كانت مصنوعة من الذهب والفضة وكان عليها طوق لؤلؤ وطوق ياقوت وطوق زمرد وكانت عظيمة بحيث انها حملت على بغل قوى فما سار قليلا حتى تفسخت قوائمه وكان معه تيجان الملوك الذين تقدموا من اليونان وكلها مكللة بالجواهر واستصحب ثلاثين ألف رأس من الرقيق ويقال ان الوليد كان قد نقم عليه أمرا فلما وصل اليه وهو بدمشق اقامه فى الشمس يوما كاملا فى يوم صائف حتى خر مغشيا عليه وقد اطلنا هذه الترجمة كثيرا لكن الكلام انتشر فلم يمكن قطعه مع انى تركت الاكثر واتيت بالمقصود ولما وصل موسى الى الشام ومات الوليد بن عبد الملك وقام من بعده سليمان أخوه وحج فى سنة سبع وتسعين للهجرة وقيل سنة تسع وتسعين فحج معه موسى بن نصير ومات فى الطريق بوادى القرى

وقيل بتر الناهران على اختلاف فيه وكانت ولادته فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه
فى سنة تسع عشرة للهجرة رحمه الله تعالى

أبو الفتح موسى بن الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب
الملقب الملك الاشرف مظفر الدين

أول شئ ملكه من البلاد مدينة الرها سيره اليها والده من الديار المصرية فى سنة ثمان
وتسعين وخمسمائة ثم أضيفت اليه حران وكان محبوبا الى الناس مسعودا مؤيدا
فى الحروب من يومه لقى نور الدين ارسلان شاه صاحب الموصل المذكور فى حرف
الهمزة وكان يومئذ من الملوك المشاهير الكبار وتواقعا فى مصاف فكسره وذلك
فى سنة ستمائة وهى وقعة مشهورة فلا حاجة الى تفصيلها ولما توفى أخوه الملك الاوحد
نجم الدين أيوب صاحب خلاط وميافارقين وتلك النواحى اخذ الملك الاشرف مملكته
مضافة الى ملكه وذلك فى سنة تسع وستمائة . وكان الملك الاوحد قد ملك خلاط
فى سنة أربع وستمائة فانتشرت حينئذ مملكته وبسط العدل على الناس واحسن اليهم
احسانا لم يعهدوه ممن كان قبله وعظم وقعه فى قلوب الناس وبعد صيته وكان قد ملك
نصيبين الشرق فى سنة ست وستمائة وأخذ سنجار سنة سبع وكذلك الخابور وملك معظم
بلاد الجزيرة وكان يتنقل فيها وأكثر اقامته بالرقة لكونها على الفرات ولما مات
ابن عمه الملك الظاهر صاحب حلب فى التاريخ المذكور فى ترجمته فى حرف الغين عزم
عز الدين كيكاوس صاحب الروم على قصد حلب فسير اتابك الامر يطلب الى الملك
الاشرف وسألوه الوصول اليهم لحفظ البلد فاجابهم الى سؤالهم وتوجه اليهم وأقام
بالباروقية بظاهر حلب مدة ثلاث سنين وجرت له مع صاحب الروم وابن عمه الملك
الافضل صاحب سميساط وقائع مشهورة لا حاجة الى الاطالة فى شرحها ولما اخذت
الفرنج دمياط فى سنة ست عشرة وستمائة حسبما شرحناه فى ترجمة الملك الكامل
توجهت جماعة من ملوك الشام الى الديار المصرية لانجاد الملك الكامل وتأخر عنه
الملك الاشرف لمنافرة كانت بينهما فجاءه أخوه الملك المعظم المقدم ذكره فى حرف العين
بنفسه وارضاه ولم يزل يلاطفه حتى استصحبه معه فصادف عقيب وصوله اليها انتصار
المسلمين على الفرنج وانتزاع دمياط من أيديهم وكانوا يرون ذلك بسبب من غرته ولما مات
الملك المعظم فى التاريخ المذكور فى ترجمته قام بالامر من بعده ولده الملك الناصر
صلاح الدين داود فقصده عمه الملك الكامل من الديار المصرية ليأخذ دمشق منه
فاستنجد بعمه الملك الاشرف وكان يومئذ ببلاد المشرق فوصل اليه واجتمع به بدمشق
ثم خرج منها وتوجه الى أخيه الملك الكامل واجتمع به وجرى الاتفاق بينهما على أخذ
دمشق من الملك الناصر وتسليمها الى الملك الاشرف ويبقى للملك الناصر الكرك
والشوبك ونابلس وبيسان وتلك النواحى وينزل الملك الاشرف عن حران والرها

وسروج والرقة ورأس عين ويسلمها الى الملك الكامل فاستتب الحال على ذلك وتسلم
الملك الاشرف دمشق لاستقبال رجب سنة ست وعشرين وستمائة وانتقل الملك الكامل
الى بلاده التي تسلمها بالشرق ليكشف أحوالها ويرتب أمورها واجتزت في التاريخ
المذكور بحران وهو بها وانتقل الاشرف الى دمشق واتخذها دار اقامة
واعرض عن بقية البلاد ونزل جلال الدين خوارزم شاه على خلاط وحاصرها
وضايقها أشد مضايقة وأخذها في سنة ست وعشرين من نواب الملك الاشرف وهو مقيم
بدمشق ولم يمكنه في ذلك الوقت قصدها للدفع عنها لاعذار كانت له ثم عقيب ذلك دخل
الى بلاد الروم بالاتفاق مع سلطانها علاء الدين كيقباذ اخي عز الدين كيكاوس
المذكور وتظافرا على قصد خوارزم شاه وضرب المصاف معه فان صاحب الروم أيضا
كان يخاف على بلاده منه لكونه مجاوره فتوجها نحوه في جيش عظيم من جهة الشام
والشرق في خدمة الملك الاشرف وعسكر صاحب الروم والتقوا بين خلاط وارزنكان
بموضع يقال له ياسي سماره في يوم الجمعة ثاني عشر شهر رمضان سنة سبع وعشرين
وستمائة وانكسر خوارزم شاه وهي وقعة مشهورة وعادت خلاط الى الملك الاشرف
وقد خربت ثم رجع الى الشام وتوجه الى الديار المصرية وأقام عند أخيه الملك الكامل
مدة ثم خرج في خدمته قاصدين آمد ونزلوا عليها وفتحوها في مدة يسيرة وذلك في سنة
تسع وعشرين وستمائة واضافها الملك الكامل الى مملكته ببلاد الشرق ورتب فيها ولده
الملك الصالح نجم الدين أيوب المذكور في ترجمة والده وفي خدمته الطواشي شمس الدين
صواب الخادم العادلي ثم عاد كل واحد الى بلاده ثم كانت واقعة ببلاد
الروم وهي مشهورة ورجع الكامل والاشرف ومن معهما من الملوك بغير حصول
مقصود فلما رجعا خرج عسكر صاحب الروم على بلاد الكامل بالشرق فأخذها
وأخربها ثم عاد الكامل والاشرف واتباعهما ومن معهما من الملوك الى بلاد الشرق
واستنقذوها من نواب صاحب الروم ثم رجعوا الى دمشق في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة
وكنت يومئذ بدمشق في تلك السفرة ورأيت الكامل والاشرف وكانا يركبان معا ويلعبان
بالكرة بالميدان الاخضر الكبير كل يوم وكان شهر رمضان وكانا يقصدان بذلك
تعبير النهار لاجل الصوم ولقد كنت أرى من تأدب كل واحد منهما مع الآخر شيأ
كثيرا ثم وقعت بينهما وحشة وخرج الاشرف عن طاعة الكامل ووافقته الملوك
باسرها وتعاهد هو وصاحب الروم وصاحب حلب وصاحب حماة وصاحب حمص
وأصحاب الشرق على الخروج على الملك الكامل ولم يبق مع الملك الكامل سوى ابن
أخيه الملك الناصر صاحب الكرك فانه توجه الى خدمته بالديار المصرية
فلما تحالفوا وتحزبوا واتفقوا على الخروج على الملك الكامل مرض الملك
الاشرف مرضا شديدا وتوفي يوم الخميس رابع المحرم سنة خمس وثلاثين وستمائة

دمشق ودفن بقلعتها ثم نقل الى التربة التي أنشئت له بالكلاسة في الجانب الشمالي
من جامع دمشق وكانت ولادته سنة ثمان وسبعين وخمسمائة بالديار المصرية
القاهرة وقيل بقلعة الكرك رحمه الله تعالى هذه خلاصة أحواله وكان سلطانا كريما
حليما واسع الصدر كريم الاخلاق كثير العطاء لا يوجد في خزائنه شيء من المال مع
اتساع مملكته ولا تزال عليه الديون للتجار وغيرهم واقد رأى يوما في دواة كاتبه وشاحا
لكمال أبي الحسن علي بن محمد المعروف بابن النبيه المصري قبا واحدا فانكر عليه ذلك
فانشده في الحال دو بيت

قال الملك الاشرف قولا رشدا * اقلامك يا كمال قلت عددا
جاوبت لعظم كتب ما تطلقه * تحفى فتقط فهي تفنى أبدا

طرب ليلة في مجلس انسه على بعض الملاهي فقال لصاحب الملهى تمن علي فقال تمليك
مدينة خلاط فاعطاه اياه وكان نائبه بها الامير حسام الدين المعروف بابي
بن حماد الموصلي فتوجه ذلك الشخص اليه ليتسلمها منه فعوضه الحاجب عنها بجملة
كثيرة من المال وصالحه عنها وكان له في ذلك غرائب وكان يميل الى أهل الخير
والصلاح ويحسن الاعتقاد فيهم وبنى بدمشق دار حديث وفوض تدريسها الى
تقي الدين عثمان المعروف بابن الصلاح المتقدم ذكره وكان بالعقيقة ظاهر دمشق خان
يعرف بابن الزنجاري تجتمع أنواع أسباب الملاذ ويجري فيه من الفسوق والفجور
ما لا يحد ولا يوصف فقيل له عنه ان مثل هذا لا يليق ان يكون في بلاد المسلمين
فهدمه وعمره مسجدا جامعا غرم عليه جملة مستكثرة وسماه الناس جامع التوبة كأنه تاب الى
الله تعالى واناب عما كان فيه وجرت في خطابته نكتة لطيفة أحببت ذكرها وهي
كان بمدرسة ست الشام التي خارج البلد امام يعرف بالجمال السبتي اعرفه شيخا
ويقال كان في صباه يلعب بشيء من الملاهي وهي التي تسمى الجغانة ولما كبر حسنت
طريقته وعاشر العلماء وأهل الصلاح حتى صار معدودا في الاخيار فلما احتاج الجامع
المذكور الى خطيب ذكر للملك الاشرف جماعة وشكر الجمال المذكور فتولى
خطابته فلما توفي تولى موضعه العماد الواسطي الواعظ وكان يتهم باستعمال الشراب
وكان صاحب دمشق يومئذ الصالح عماد الدين اسماعيل بن الملك العادل بن أيوب
فكتب اليه الجمال عبد الرحيم المعروف بابن زوتينة الرحبي أبياتا وهي

يا مليكا أوضح الحق لدينا وابانه
جامع التوبة قد قلدني منه امانه
قال قل للملك الصالح اعلى الله شانه
يا عماد الدين يا من حمد الناس زمانه
كم الى كم انا في ضر وبؤس واهانه

لى خطيب واسطى يعشق الشرب ديانه
والذى قد كان من قبل يغنى بجغانه
فكما نحن فما زلنا ولا ابرح حانه
ردنى للنمط الاول واستبق ضمانه

وهذه الابيات فى بابها فى غاية الظرف وكان الرحبى المذكور قد وصل الى الديار المصرية فى رسالة من عند صاحب حمص وأنشدنى هذه الابيات وحكى السبب الحامل عليها وذلك فى بعض شهور سنة سبع وأربعين وستمائة ومدح الملك الاشرف اعيان شعراء عصره وخلد وامدائحه فى دواوينهم فنهم شرف الدين محمد بن عنين وقد سبق ذكره والبهاء أسعد السنجارى وقد سبق ذكره أيضا والشرف راجح الحلى وقد ذكرته فى ترجمة الملك الظاهر والكمال بن النبيه المذكور وكانت وفاته سنة تسع عشر وستمائة بمدينة نصيبين الشرق وعمره تقديرا مقدار ستين سنة كذا أخبرنى صهره بالقاهرة والمهذب محمد بن أبى الحسين بن يمن بن على بن أحمد بن محمد بن عثمان بن عبد الحميد الانصارى المعروف بابن الاردخل الموصلى الشاعر المشهور ومولده سنة سبع وسبعين وخمسمائة بالموصل وتوفى فى شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وستمائة بميافارقين رحمه الله تعالى

أبو عمران موسى بن عبد الملك الاصبهانى صاحب ديوان الخراج

كان من جلة الرؤساء وفضلاء الكتاب واعيانهم تنقل فى الخدم فى ايام جماعة من الخلفاء وكان اليه ديوان السواد وغيره فى ايام المتوكل وكان مترسلا وله ديوان رسائل وقد سبق طرف من خبره مع أبى العينا فى ترجمته وما دار بينهما من المجاورة فى قضية نجاح بن سلمة وله شعر رقيق حسن فمن ذلك قوله

لما وردنا القادسيه * حيث مجتمع الرفاق
وشممت من أرض الحجاز * نسيم أنفاس العراق
أيقنت لى ولمن أحب * بجمع شمل واتفاق
وضحكت من فرح اللقا * كما بكيت من الفراق
لم يبق لى الا تجشم * هذه السبع البواقى
حتى يطول حديثنا * بصفات ما كنا نلاقى

ولهذه الابيات حكاية مستطرفة أحببت ذكرها هاهنا وقد سردها الحافظ أبو عبد الله الحميدى فى كتاب جذوة المقتبس وغيره من أرباب تواريخ المغاربة وهو ان أبا على الحسن بن الاشكرى المصرى قال كنت رجلا من جلاس الامير تميم بن أبى تميم وممن يخف عليه جدا وهذا تميم هو أبو المعز بن باديس المذكور فى حرف التاء قال فارسلنى الى بغداد فابتعت له جارية رائعة فائقة الغناء فلما وصلت اليه دعا جلساءه قال وكنت فيهم

ثم مدت الستارة وأمرها بالغناء فغنت

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى * برق تألق موهنا لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه * صعب الذرى متمنع أركانه
فدنى لينظر كيف لاح فلم يطق * نظرا اليه وصده سجانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ما سمحت به أجفانه

وهذه الابيات ذكرها صاحب الاغاني للشريف أبي عبد الله محمد بن صالح الحسني قال ابن الاشكري فأحسنت الجارية ما شاءت فطرب الامير تميم ومن حضر ثم غنت

سيلقاك عما فات دولة مفضل * أوائله محمودة وأواخره
ثنى الله عطفيه والف شخصه * على البر مذ شدت عليه مآزره

قال فطرب الامير تميم ومن حضر طربا شديدا ثم غنت

أستودع الله في بغداد لي قمرا * بالكرخ من فلك الأزرار مطلعه

وهذا البيت لمحمد بن رزيق الكاتب البغدادي من جملة قصيدة طويلة قال الراوي فاشتد طرب الامير تميم وافرط جدا ثم قال لها تمني ما شئتي فقالت أتمنى عافية الامير وسلامته فقال والله لابد ان تتمني فقالت على الوفاء أيها الامير بما أتمنى قال نعم فقالت أتمنى ان أغني بهذه النوبة ببغداد قال فانتقع لون الامير تميم وتغير وجهه وتكدر المجلس وقام وقمنا قال ابن الاشكري فلقيني بعض خدمه وقال لي ارجع فالامير يدعوك فرجعت فوجدته جالسا ينتظرني فسلمت وقمت بين يديه فقال لي ويحك رأيت ما امتحنا به فقلت نعم أيها الامير فقال لابد من الوفاء لها ولا أثق في هذا بغيرك فتأهب لتحملها الى بغداد فاذا غنت هناك فاصرفها فقلت سمعا وطاعة قال ثم قمت وتأهبت وأمرها بالتأهب واصحبها جارية له سوداء تعادلها وتخدمها وأمر بناقة ومحمل فادخلت فيه وجعلتها معي وصرت الى مكة مع القافلة وقضينا حجنا ثم دخلنا في قافلة العراق وسرنا فلما وردنا القادسية اتتني السوداء وقالت تقول لك سيدتي أين نحن فقلت نزول بالقادسية فانصرفت اليها واخبرتها فلم ألبث ان سمعت صوتها قد ارتفع بالغناء وغنت الابيات المذكورة فتصايح الناس من اقطار القافلة اعيدي بالله قال فما سمع لها كلمة قال ثم نزلنا الياسرية وبينها وبين بغداد نحو خمسة أميال في بساتين متصلة ينزل الناس بها فيبيتون ليلتهم ثم يبكرون لدخول بغداد فلما كان وقت الصباح واذا بالسوداء قد اتتني مذعورة فقلت مالك قالت ان سيدتي ليست بحاضرة فقلت ويلك وأين هي قالت والله ما أدري قال فلم أحس لها أثرا بعد ذلك ودخلت بغداد وقضيت حوائجي وانصرفت الى الامير تميم فاخبرته بخبرها فعظم ذلك عليه واغتم له غما شديدا ثم ما زال بعد ذلك ذاكرا لها واجما عليها والقادسية بفتح القاف وبعد الالف دال مهملة مكسورة

وسين مهملة مكسورة أيضا وبعدها ياء مثناة من تحتها مشددة ثم هاء ساكنة وهى قرية فوق الكوفة وعندها كانت الوقعة المشهورة فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه والياسرية بفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الالف سين مهملة مكسورة وراء مكسورة أيضا وبعدها ياء مثناة من تحتها مشددة ثم هاء ساكنة وقد ذكرنا أين هى فلا حاجة الى الاعادة وحكى اسحاق بن ابراهيم أخو زيد بن ابراهيم انه كان يتقلد السيروان نيابة عن موسى بن عبد الملك المذكور فاجتاز به ابراهيم بن العباس الصولى الشاعر المقدم ذكره وهو يريد خراسان والمأمون يومئذ بها وقد بايع بالعهد على بن موسى الرضا وهى قضية مشهورة وقد امتدحه ابراهيم المذكور بقصيدة ذكر فيها فضل آل على وانهم أحق بالخلافة من غيرهم قال اسحاق بن ابراهيم المذكور فاستحسنت القصيدة وسألت ابراهيم ابن العباس ان ينسخها فنعل ووهبته ألف درهم وحملته على دابة وتوجه الى خراسان ثم تراخت الايام الى زمن المتوكل فتولى ابراهيم المذكور موضع موسى بن عبد الملك المذكور وكان يحب ان يكشف أسباب موسى فعزلنى وأمر ان تعمل مؤامرة فعملت وحضرت للمناظرة عنها فجعلت احتج بما لا يدفع فلا يقبله ويحتكم الى الكتاب فلا يلتفت الى حكمهم ويسمعنى فى خلال ذلك غليظ الكلام الى ان أوجب على الكتاب اليمين على باب من الابواب فحلفت فقال ليست يمين السلطان عندك يمينا لانك رافضى فقلت له تاذن لى فى الدنو منك فأذن لى فقلت له ليس لى مع تعريضك مهجتى للقتل صبر وهذا المتوكل ان كتبت اليه بما سمعته منك لم آمنه على نفسى وقد احتملت كل ما جرى سوى الرفض والرافضى من زعم أن على بن أبى طالب أفضل من العباس وان ولده أحق من ولد العباس بالخلافة قال ومن ذلك قلت أنت وخطك عندى به فاخبرته بالشعر الذى عمله فى المأمون وذكر فيه على بن موسى فوالله ماهو الا أن قلت له ذلك حتى سقط فى يده ثم قال لى أحضر الدفتر الذى بخطى فقلت له هيهات لا والله او توثق لى بما أسكن اليه انك لا تطالبنى بشئ مما جرى على يدى وتحرق هذه المؤامرة ولا تنظر لى فى حساب فحلف لى على ذلك بما سكنت اليه وحرق العمل المعمول واحضرت له الدفتر فوضعه فى كفه وانصرفت وقد زالت عنى المطالبة ولموسى المذكور اخبار كثيرة اضربت عن ذكرها طلبا للاختصار وتوفى فى شوال سنة ست وأربعين ومائتين رحمه الله تعالى والسيروان بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء والواو وبعد الالف نون وهى كورة ماسبذان بفتح الميم وبعد الالف سين مهملة وباء موحدة وذال معجمة والجيم مفتوح وبعد الالف نون وهى قرية كان يسكنها المهدى بن المنصور أبى جعفر والد هارون الرشيد وبها توفى وفى ذلك يقول مروان بن أبى حفصة الشاعر المقدم ذكره

واكرم قبر بعد قبر محمد * نبى الهدى قبر بماسبذان
عجبت لايدهالت الترب فوقه * ضحى كيف لم ترجع بغير بنان

والبيروان اسم لاربعة مواضع هذا أحدها وبلاد الجبل عبارة عن عراق العجم الفاصل بين عراق العرب وخراسان وبلاده المشهورة أصبهان وهمدان والري وزنجان والله أعلم

أبو منصور موهوب بن أبي طاهر أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي البغدادي
الاديب اللغوي

كان اماما في فنون الادب وهو من مفاخر بغداد قرأ الادب على الخطيب أبي زكريا التبريزي الآتي ذكره في حرف الياء ان شاء الله تعالى ولازمه وتتلمذ له حتى برع في فنه وهو متدين ثقة غزير الفضل وافر العقل مليح الخط كثير الضبط صنف التصانيف المفيدة وانتشرت عنه مثل شرح ادب الكاتب والمعرب ولم يعمل في جنسه أكبر منه وتتمة درة الغواص تأليف الحريري صاحب المقامات سماه التكملة فيما يلحن فيه العامة الى غير ذلك وكان يختار في مسائل النحو مذاهب غريبة وكان في اللغة أمثل منه في النحو وخطه مرغوب فيه يتنافس الناس في تحصيله والمغالاة فيه وكان اماما للامام المقتفي بالله يصلي به الصلوات الخمس وألف له كتابا لطيفا في علم العروض وجرت له مع الطبيب هبة الله بن صاعد المعروف بابن التلميذ النصراني الآتي ذكره ان شاء الله تعالى واقعة عنده وهي انه لما حضر اليه للصلاة به ودخل عليه اول دخلة فما زاده على ان قال السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله تعالى فقال له ابن التلميذ وكان حاضرا قائما بين يدي المقتفي وله ادلال الخدمة والصحبة ما هكذا يسلم على أمير المؤمنين يا شيخ فلم يلتفت ابن الجواليقي اليه وقال للمقتفي يا أمير المؤمنين سلامي هو ما جاءت به السنة النبوية وروى له خبرا في صورة السلام ثم قال يا أمير المؤمنين لو حلف حالف ان نصرانيا أو يهوديا لم يصل الى قلبه نوع من أنواع العلم على الوجه المرضي لما لزمته كفارة الحنث لان الله تعالى ختم على قلوبهم ولن يفك ختم الله الا بالايمان فقال له صدقت وأحسنت فيما فعلت وكأنما ألجم ابن التلميذ بحجر مع فضله وغزارة ادبه وسمع ابن الجواليقي من شيوخ زمانه وأكثر وأخذ الناس عنه علما جما وينسب اليه من الشعر شيء قليل فمن ذلك ما رأيته منسوبا اليه في بعض المجاميع ولم أتحققه له وهو

ورد الورى سلسال جودك فارتووا * ووقفت خلف الورد وقفة حائم
حيران أطلب غفلة من وارد * والورد لا يزداد غير تزاحم

ثم وجدت هذين البيتين لابن الخشاب من جملة أبيات وحكى ولده أبو محمد اسماعيل وكان أنجب أولاده قال كنت في حلقة والدي يوم الجمعة بعد الصلاة بجامع القصر والناس يقرؤن عليه فوقف عليه شاب وقال يا سيدي قد سمعت بيتين من الشعر ولم أفهم معناهما وأريد أن تسمعهما مني وتعرفني معناهما فقال قل فأنشده

وصل الحبيب جنان الخلد أسكنها * وهجره النار يصليني به النارا

فالشمس بالقوس أمست وهي نازلة * ان لم يزرني وبالجوزاء ان زارا

قال اسماعيل فلما سمعهما والدى قال يابني هذا شئ من معرفة علم النجوم وسيرها لامن صنعة أهل الادب فانصرف الشاب من غير حصول فائدة واستحيا والدى من ان يسأل عن شئ ليس عنده منه علم وقام وآلى على نفسه ان لا يجلس في حلقته حتى ينظر في علم النجوم ويعرف تسيير الشمس والقمر فنظر في ذلك وحصل معرفته ثم جلس ومعنى البيت المسئول عنه ان الشمس اذا كانت في آخر القوس كان الليل في غاية الطول لانه يكون آخر فصل الخريف واذا كانت في آخر الجوزا كان الليل في غاية القصر لانه آخر فصل الربيع فكانه يقول اذا لم يزرني فالليل عندى في غاية الطول وان زارني كان الليل عندى في غاية القصر والله أعلم ولبعض شعراء عصره فيه وفي المغربي مفسر المنامات وذكرها في الخريدة لحيص بيص هكذا وجدتها في مختصر الخريدة للحافظ

كل الذنوب ببلدتي مغفورة * الا اللذين تعاظما ان يغفرا
كون الجواليقي فيها ملقيا * ادبا وكون المغربي معبرا
فأسير لكنته يمل فصاحة * وغدول فطنته تعبر عن كرا

ونوادره كثيرة وكانت ولادته سنة ست وستين وأربعمائة وتوفي يوم الاحد منتصف المحرم سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ببغداد ودفن بباب حرب رحمه الله تعالى بعد ان صلى عليه قاضي القضاة الزينبي بجامع القصر والجواليقي نسبة الى عمل الجوالق وبيعها وهي نسبة شاذة لان الجموع لا ينسب اليها بل ينسب الى آحادها الا ماجاء شاذا مسموعا في كلمات محفوظة مثل قولهم رجل انصاري في النسبة الى الانصار والجواليق في جمع جوالق شاذ أيضا لان الياء لم تكن موجودة في مفرده والمسموع فيه جوالق بضم الجيم وجمعه جوالق بفتحها وهو باب مطرد قالوا رجل حلاحل اذا كان وقورا والجمع حلاحل وشمع عذامل اذا كان قديما وجمعه عذامل ورجل عراعر وهو السيد وجمعه عراعر ورجل علاكد اذا كان شديدا وجمعه علاكد وله نظائر كثيرة وهو اسم أعجمي معرب والجيم والقاف لا يجتمعان في كلمة واحدة عربية البتة

أبو الحسن المؤيد بن محمد بن علي الطوسي الاصل النيسابوري الدار المحدث

كان اعلى المتأخرين اسنادا لقي جماعة من الاعيان وأخذ عنهم وسمع صحيح مسلم من الفقيه أبي عبد الله محمد بن الفضل الفراوي المقدم ذكره وهو آخر من بقي من أصحابه وسمع صحيح البخاري من أبي بكر وجيه بن طاهر بن محمد الشحامي وأبي الفتوح عبد الوهاب ابن شاه بن أحمد الشاذياخي وسمع الموطا رواية أبي مصعب الاما يستثنى منه من أبي محمد هبة الله بن سهل بن عمر البسطامي المعروف بالسيدي وسمع تفسير القرآن الكريم تصنيف أبي اسحاق الثعلبي من أبي العباس محمد بن محمد الطوسي المعروف بعباسة وسمع أيضا من جماعة من شيوخ نيسابور منهم الفقيه أبو محمد عبد الجبار بن محمد الخواري وأم الخير

فاطمة بنت أبي الحسن علي بن المظفر بن زعبل وحدث بالكثير ورحل اليه من الاقطار ولنا منه اجازة كتبها من خراسان باستدعاء الوالد رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة عشرة وستمائة واغا ذكرته لشهرته وتفرده في آخر عصره وكانت ولادته سنة أربع وعشرين وخمسمائة ظنا وتوفي ليلة العشرين من شوال سنة سبع عشرة وستمائة بنيسابور ودفن من الغد رحمه الله تعالى ثم بعد اثبات هذه الترجمة على هذه الصورة بسنين رأيت بخط الشيخ المؤيد المذكور في اجازة وقد رفع نسبه فقال كتبه المؤيد محمد بن علي بن الحسن بن محمد بن أبي صالح الطوسي رحمه الله تعالى

أبو سعيد المؤيد بن محمد بن علي بن محمد الالوسي الشاعر المشهور

كان من أعيان شعراء عصره كثير الغزل والهجاء ومدح جماعة من رؤساء العراق وله ديوان شعر وكان منقطعا الى الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة وله فيه مدائح جيدة ذكره محب الدين بن النجار في تاريخ بغداد فقال هو عطاف بن محمد بن علي بن أبي سعيد الشاعر المعروف بالمؤيد ولد بألوس قرية بقرب الحديثة ونشأ بدجيل ودخل بغداد وصار جاويشا في أيام المسترشد بالله وهجاه ابن الفضل الشاعر بأبيات وكان قد لجأ الى خدمة السلطان مسعود بن محمد ملكشاه وقد تقدم ذكره قال وتقدم في ذكر الامام المقتفي وأصحابه بالاينبغي فقبض عليه وسجن وذكره العماد الكاتب في كتاب الخريدة فقال ترفع قدره وازرى حاله ونفق شعره وكان له قبول حسن واقتنى املاكا وعقارا وكثر رياشه وحسن معاشه ثم عثر به الدهر عثرة صعب منها انتعاشه وبقي في حبس الامام المقتفي أكثر من عشر سنين الى ان خرج في أول خلافة الامام المستنجد سنة خمس وخمسين وخمسمائة ولقيته حينئذ وقد غشي بصره من ظلمة المطمورة التي كان فيها محبوسا وكان زيه زي الاجناد وسافر الى الموصل وله غزل حسن واسلوب مطرب بنظم معجب وقد يقع له من المعاني المبتكرة ما يندر فمن ذلك قوله في صفة القلم

ومثقف يغني ويفني دائما * في طوري الميعاد والايعاد
قلم يفل الجيش وهو عرمرم * والبيض ماسلت من الاغماد
وهبت له الآجام حين نشابها * كرم السيول وهيبة الآساد

قلت انا ولقد رأيت هذه الابيات منسوبة الى غيره والله أعلم ولم يقل في القلم أحسن من هذا المعنى ولبعضهم في القلم أيضا وهو من هذا المعنى

وارقش مرهوب الشباة مهفهف * يشتت شمل الخطب وهو جميع
تدين له الآفاق شرقا ومغربا * وتعنو له املاكها وتطيع
حمى الملك مفطوما كما كان يحتمي * به الاسد في الآجام وهو رضيع

ولبعضهم في المعنى أيضا

وعود له نوعان من لذة المنى * فبورك جان يجتنيه وغارس
تغنت عليه وهو رطب حمامة * وغنت عليه قينة وهو يابس

ومعنى البيت الثالث مأخوذ من قول بعضهم فى وصف طنبور

وطنبور مليح الشكل يحكى * بنغمته الفصيحة عندليبا
روى لما روى نغما فصاحا * حواها فى تقلبه قضيبا
كذا من عاشر العلماء طفلا * يكون اذا انشا شيخا أديبا

وهذا معنى مطروق أكثر الشعراء استعماله فمن ذلك قول بعضهم

جاءت بعود يناغيها ويسعدها * انظر بدائع ما يأتى به الشجر
غنت عليه ضروب الطير ساجعة * حينا فلما ذوى غنى به البشر
فلا يزال عليه الدهر مصطحبا * يحبه الاعجمان الطير والوتر

ولولا خوف التطويل والخروج عما نحن بصدده لذكرت عدة مقاطيع فى هذا المعنى وابهاء الدين زهير المتقدم ذكره من قصيدة يمدح بها أقسيس بن الملك الكامل

وتهتز اعواد المنابر باسمه * فهل ذكرت ايامها وهى اغصان

ثم قال العماد فى بقية الترجمة وكان ولده محمد ذكيا له شعر حسن هاجر الى الملك العادل نور الدين بالشام سنة أربع وستين وكان يومئذ بمصر فمرض فانفذه الى دمشق فمات فى الطريق بقرية يقال لها رشيده انتهى كلام العماد ومن شعر المؤيد المذكور من جملة قصيدة له رحمه الله تعالى

فيا بردها من نفحة حاجرية * على حر صدر ليس تخبو سمائمه
ويا حسنه طيفا وشى نور وجهه * بطيفى فغطانى من الشعر فاحمه
يجول وشاحاه على غصن بانة * سقاها الحيا فاخضر واهتز ناعمه
فلما رمى فى شملنا الصبح بالنوى * ولم يبق منها غير معنى الازمه
وقفت بحزوى وهى منها معالم * قواء وجسمى قد تعفت معالمه
وقوف يمانى فى عينى ولم أقف * وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتمه
ولم يبق لى رسما بجسمى صدودها * فيشجى بدمعى كلما انهل طاسمه
ولا مقلة ابقت فتغرم نظرة * بمائية والمتلف الشئ غارمه
فلله وجدى فى الركاب كانه * دموعى وقد حنت بليل روازمه
وقد مد من كف الثريا هلالها * فقبلته حتى تهاوت مناظمه

وهى قصيدة طويلة اجاد فيها وقد وازن بها قصيدة المتنبى فى سيف الدولة بن حمدان التى اولها

وفاؤكما كالربع اشجاه طاسمه * بان تسعدا والدمع اشفاه ساجمه

وقد استعمل فى قصيدته انصاف أبيات من قصيدة المتنبي على وجه التضمين وأكثر شعره جيد وله أيضا من جملة أبيات قوله

رحلوا فلا خبت الدموع لبعدهم * من بعدهم وعجبت اذ أنا باق
وعلت ابن العود يقطر ماؤه بره * عند الوقود لفرقة الاوراق
ورأيت مأسورا وفرحة ذكركم * عندى تعادل فرحة الاطلاق
لاتنكر السلوى سواد مفارقى * فالحرق يحكم صنعة الحراق

وكانت ولادته سنة أربع وتسعين وأربعمائة بألوس ونشأ بها وتوفى فى يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر رمضان سنة سبع وخمسين وخمسمائة بالموصل وكان خروجه من بغداد سنة خمس وخمسين وخمسمائة ولما ذكرت تاريخ ولاية المستنجد ذكرت نكتة غريبة احببت ذكرها وهو ما أخبرنى به بعض مشايخ العراق الفضلاء ان المستنجد رأى فى منامه فى حياة والده المقتفى كأن ملكا نزل من السماء فكتب فى كفه اربع خاآت فلما استيقظ طلب معبر الرؤيا فقص عليه ما رآه فقال له تلى الخلافة فى سنة خمس وخمسين وخمسمائة فكان الامر كذلك وكان ذلك قبل وفاة والده بمدة والآلوسى بضم الهمزة واللام وبعدها واو ساكنة ثم سين مهملة هذه النسبة الى ألوس وهى ناحية عند حديثة عانة على الفرات هكذا ذكره عز الدين بن الاثير المقدم ذكره فيما استدركه على الحافظ ابن السمعانى لانه قال ألوس موضع بالشام فى الساحل عند طرسوس وهو بغدادى الدار والمنشا لانه دخل بغداد فى صباه وقيدها ابن النجار الآلسى بمد الهمزة وضم اللام والله أعلم

أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سراق بن صبح بن كندى بن عمرو بن عدى
ابن وائل بن الحرث بن العتيك بن الازد ويقال الاسد بالسين الساكنة
ابن عمران بن عمرو مزيقيا ابن عامر ماء السما ابن حارثة
ابن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الازد
الازدى العتكى البصرى

قال الواقدى كان أهل دبا أسلموا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتدوا بعده ومنعوا الصدقة فوجه اليهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه عكرمة بن أبى جهل المخزومى رضى الله عنه فقاتلهم وهزمهم وأثخن فيهم القتل وتحصن كلهم فى حصن لهم وحصرهم المسلمون ثم نزلوا على حكم حذيفة بن اليمان فقتل مائة من أشرافهم وسبى ذراريهم وبعثهم الى ابى بكر الصديق رضى الله عنه وفيهم أبو صفرة غلام لم يبلغ فاعتقهم أبو بكر رضى الله عنه وقال اذهبوا حيث شئتم فتفرقوا فكان أبو صفرة ممن نزل البصرة وقال ابن قتيبة فى كتاب المعارف هذا الحديث باطل أخطأ فيه الواقدى لان أبا صفرة لم يكن فى هؤلاء ولا رآه أبو بكر قط وانما وفد على عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو شيخ

أبيض الرأس واللحية فأمره ان يخضب فكيف يكون غلاما في زمن أبي بكر وقد ولد المهلب وهو من أصاغر من ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين وقد كان في ولده من ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثين سنة وأكثر وكان المهلب المذكور من أشجع الناس وحمى البصرة من الخوارج وله معهم وقائع مشهورة بالاهواز استقصى أبو العباس المبرد في كتابه الكامل أكثرها فهي تسمى بصرة المهلب لذلك ولولا طولها وانتشار وقائعها لذكرت طرفا منها وكان سيدا جليلا نبيلا روى انه قدم على عبد الله بن الزبير أيام خلافته بالحجاز والعراق وتلك النواحي وهو يومئذ بمكة فخلا به عبد الله يشاوره فدخل عليه عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف بن وهب القرشي الجمحي فقال من هذا الذي قد شغلك يا أمير المؤمنين يومك هذا قال أما تعرفه قال لا قال هذا سيد أهل العراق قال فهو المهلب بن أبي صفرة قال نعم فقال المهلب من هذا يا أمير المؤمنين قال هذا سيد قريش قال فهو عبد الله بن صفوان قال نعم قال ابن قتيبة في المعارف ولم يكن يعاب بشيء الا بالكذب ثم قال ابن قتيبة بعد هذا وانا أقول كان المهلب اتقى الناس لله عز وجل واشرف وانبل من ان يكذب ولكنه كان محربا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة وكان يعارض الخوارج بالكلمة فيورّي بها عن غيرها رهب بها الخوارج وكانوا يسمونه الكذاب ويقولون راح يكذب وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أراد حربا ورّى بغيرها وقال أبو العباس المبرد في الكامل في شرح أبيات رمى فيها المهلب بالكذب ما صورته وقوله الكذاب لان المهلب كان فقيها وكان يعلم ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله كل كذب يكتب كذبا الا ثلاثة الكذب في الصلح بين الرجلين وكذب الرجل لامرأته يعدها وكذب الرجل في الحرب يتوعد ويتهدد وكان المهلب ربما صنع الحديث ليشد به أمر المسلمين ويضعف به أمر الخوارج وكان حي من الازد يقال لهم الندب اذا رأوا المهلب رائحا اليهم قالوا قد راح المهلب يكذب وفيه يقول رجل منهم

أنت الفتى كل الفتى * لو كنت تصدق ما تقول

وذكر المبرد في كتاب الكامل في أواخره في فصل قتال الخوارج وما جرى بين المهلب والازارقة وكانت ركب الناس قديما من الخشب فكان الرجل يضرب بركابه فينقطع فاذا أراد الضرب والطعن لم يكن له معتمد أو معتمد فامر المهلب فضربت الركب من الحديد فهو اول من أمر بطبعها واخبار المهلب كثيرة وتقلبت به الاحوال وآخر ما ولي خراسان من جهة الحجاج بن يوسف الثقفي المقدم ذكره فانه كان أمير العراقين وضم اليه عبد الملك بن مروان خراسان وسجستان فاستعمل على خراسان المهلب المذكور وعلى سجستان عبد الله بن أبي بكرة فورد المهلب خراسان واليا عليها سنة تسع وسبعين للهجرة وكان قد أصيب بعينه على سمرقند لما فتحها سعيد بن عثمان بن عفان رضي الله

في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فانه كان معه في تلك الغزوة وقلعت
ما عين طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي المعروف بطلحة الطلحات المشهور بالكرم
لود وفي ذلك يقول المهلب

لئن ذهبت عيني لقد بقيت نفسي * وفيها بحمد الله عن تلك ما يغني
اذا جاء أمر الله أعيا خيولنا * ولا بد ان تعمى العيون لدى الرسن

ل ان المهلب قلعت عينه على الطالقان ولم يزل المهلب واليا بخراسان حتى أدركته
اة هنالك ولما حضره الاجل عهد الى ولده يزيد الآتي ذكره ان شاء الله تعالى وأوصاه
ايا وأسباب ومن جملة ما قال له يا بني استعقل الحاجب واستظرف الكاتب فان
ب الرجل وجهه وكاتبه لسانه ثم توفي في ذي الحجة سنة ثلاث وثمانين للهجرة بقرية
ل لها زاغول من أعمال مرو الروذ من ولاية خراسان رحمه الله تعالى وله كلمات
ة واشارات مليحة تدل على مكارمه ورغبته في حسن السمعة والثناء الجميل فمن ذلك
الحياة خير من الموت والثناء الحسن خير من الحياة ولو أعطيت ما لم يعطه أحد
بيت ان تكون لي أذن أسمع بها ما يقال في غدا اذا مت وقد قيل ان هذا الكلام
يزيد والله أعلم وكان المهلب يقول لبنيه يا بني أحسن ثيابكم ما كان على غيركم وقد
ر الى هذا أبو تمام الطائي فيما كتبه الى من طلب منه كسوة

أنت العليم الطب أي وصية * بها كان اوصى في الثياب المهلب

ذكر الطبري في تاريخه انه توفي سنة اثنتين وثمانين والله أعلم والكلام على وفاته
كور في ترجمة ابنه يزيد فلينظر هنالك فانه مستوفى ولما حضرته الوفاة دعا بسهام
بت ثم قال أترونكم كاسريها مجتمعة قالوا لا قال أفترونكم كاسريها متفرقة قالوا نعم
هكذا الجماعة ثم مات ولما مات رثاه الشعراء وأكثروا وفي ذلك يقول نهار بن
عة الشاعر المشهور

ألا ذهب الغزو المقرب للغنى * ومات الندى والجود بعد المهلب
اقاما بمرو الروذ لا يبرحانها * وقد فقدا من كل شرق ومغرب

لف المهلب عدة أولاد نجباء كرماء أجوادا أمجادا وقال ابن قتيبة في كتاب المعارف
ال انه وقع الى الارض من صلب المهلب ثلثمائة ولد وقد تقدم في حرف الراء ذكر
سده روح بن يزيد بن أبي حاتم بن قبيصة بن المهلب وسيأتي ذكر يزيد في حرف الياء ان
الله تعالى ومن سراة أولاده المغيرة وكان أبوه يقدمه في قتال الخوارج وكان له
م وقائع مأثورة تضمنتها التواريخ أبلى فيها بلاء أبان عن نجدته وشهامته وصرامته
جه صحبة أبيه الى خراسان واستنابه عنه بمرو الشاهجان وتوفي بها في حياة أبيه
ة اثنتين وثمانين ورثاه أبو أمامة زياد الاعجم وهو زياد بن سليمان ويقال ابن جابر
وابن عبد القيس الشاعر المشهور بقصيدته الحائية السائرة التي اولها

قل للقوافل والغزاة اذا غزوا * للباكرين وللمجد الرائح
ان السماحة والمروءة ضمنا * قبرا بمرو على الطريق الواضح
فاذا عبرت بقبره فاعقر به * كوم الهجان وكل طرف سابح
وانضح جوانب قبره بدمائها * فلقد يكون أخادم وذبائح
واظهر ببزته وعقد لوائه * واهتف بدعوة مصلتين شرائح
اب الجنود معاقلا أو كافلا * وأقام رهن حفيرة وضرائح
وأرى المكارم يوم زيل بنعشه * زالت بفضل فواضل ومدائح
رجفت لمصرعه البلاد واصبحت * منا القلوب لذاك غير صحائح
الآن لما كنت اكرم من مشى * وافتر نابك عن سناه القادح
وتكاملت فيك المروءة كلها * أعقبت ذلك بالفعال الصالح
وكفى لنا حزنا ببيت حله * احرى المنون فليس عنه بنازح
فعفت منابره وحط سروجه * عن كل طامحة وطرف طامح
واذا يناح على امرء فليعلمن * ان المغيرة فوق نوح النائح
تبكى المغيرة خيلنا ورماحنا * والباكيات برنة وتصايح
مات المغيرة بعد طول تعرض * للقتل بين اسنة وصفائح
واذا الامور على الرجال تشابهت * وتوعرت بمغالق ومفاتح
فتل السحيل بمبرم ذى مرة * دون الرجال بفضل عقل راجح
وارى الصعالك للمغيرة أصبحت * تبكى على طلق اليدين مسامح
كان الربيع لهم اذا انتجعوا الندى * وخبت لوامع كل برق لائح
كان المهلب بالمغيرة كالذى * القى الدلاء الى قليب الماتح
فاصاب جمة ما استقى فسقى له * فى حوضه بنوازع ومواتح
ايام لو يحتل وسط مفازة * فاضت معاطنها بشرب سائح
ان المهلب لن يزال لها فتى * يمرى قوادم كل حرب لاقح
بالمقربات لواحقا آطالها * يجتاب سهل سباسب وصحاصح
متلهفا تهفو الكتائب حوله * لمح المنون من النصيح الراسح
ملك اغر متوج يسمو له * طرف الصديق بغض طرف الكاشح
رفاع الوية الحروب الى العدى * بسعود طير سوانح وبوارح

وهذه القصيدة من غرر القصائد ونخبها ولولا خوف الاطالة لاثبتها كلها وهى طويلة تزيد على خمسين بيتا وقد ذكرها أبو على القالى المقدم ذكره فى حرف الهمزة فى كتابه الذى جعله ذيلا على اماليه وتكلم على بعض أبياتها وقال انها قد تنسب الى الصلتان العبدى الشاعر المشهور لكن الاصح انها لزياد الاعجم والبيت الثانى منها تستشهد به

النحاة في كتبهم على جواز تذكير المؤنث اذا لم يكن له فرج حقيقي وهو أشهر بيت في هذه القصيدة لكثرة استعمالهم له وقد أخذ بعض الشعراء معنى البيت الثالث والرابع فقال

اجعلاني ان لم يكن لكما * عقر الى جنب قبره فاعقراني

وانضحا من دمي عليه فقد كا * ن دمي من نداه لو تعلمان

وصاحب هذين البيتين هو الشريف أبو محمد الحسن بن محمد بن علي بن أبي الضوء العلوي الحسيني نقيب مشهد باب التين ببغداد وهما من جملة قصيدة يرثي بها النقيب الطاهر والد عبد الله ذكر ذلك العماد الكاتب في كتاب الخريدة وقال أيضا ان الشريف أبا محمد المذكور توفي في سنة سبع وثلاثين وخمسمائة ببغداد رحمه الله تعالى ثم بعد وقوفي على ما ذكره العماد في الخريدة وجدت هذين البيتين في كتاب معجم الشعراء تأليف المرزباني لاحمد بن محمد الخثعمي وكنيته أبو عبد الله ويقال أبو العباس ويقال انه الحسن وكان يتشيع ويهاجي البحتري وكان المغيرة بن المهلب قد مزق ديباجا كان على زياد الاعجم فقال زياد في ذلك

لعمرك ما الديباج مزقت وحده * ولكنما مزقت عرض المهلب

فبلغ ذلك المهلب فارضاه واستعطفه وذكر أبو الحسين علي بن أحمد السلامي في كتاب تاريخ ولاة خراسان ان رجلا سمع من زياد الاعجم هذه القصيدة قبل ان يسمعها المهلب فانشده اياها فاعطاه مائة ألف درهم ثم أتاه زياد الاعجم فأنشده اياها فقال له قد أنشدنيها رجل قبلك فقال انما سمعها مني فاعطاه مائة ألف درهم وللمهلب عقب كثير بخراسان يقال لهم المهالبة وفيهم يقول بعض شعراء الحماسة

نزلت على آل المهلب شاتيا * بعيدا عن الاوطان في الزمن المحل

فما زال بي معروفهم وافتقادهم * وبرهم حتى حسبتهم أهلي

والوزير أبو محمد المهلبي المتقدم ذكره في حرف الحاء من نسله أيضا رحمهم الله أجمعين وفي أوائل هذه الترجمة اسماء تحتاج الى الضبط والكلام عليها فاما العتيك والازد فقد تقدم الكلام عليهما وأما مزيقياء فهو بضم الميم وفتح الزاي وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر القاف وفتح الياء الثانية وبعدها همزة ممدودة وهو لقب عمرو المذكور وكان من ملوك اليمن وانما لقب بذلك لانه كان يلبس كل يوم حلتين منسوجتين بالذهب فاذا أمسى مزقهما وخلعهما وكان يكره ان يعود فيهما ويأنف أن يلبسهما أحد غيره وهو الذي انتقل من اليمن الى الشام لقصة يطول شرحها والانصار من ولده وهم الاوس والخزرج وحكى أبو عمر بن عبد البر صاحب كتاب الاستيعاب في كتابه الذي سماه القصد والامم في أنساب العرب والعجم وهو كتاب لطيف الحجم أن الاكراد من نسل عمرو مزيقياء المذكور وانهم وقعوا الى أرض العجم فتناسلوا بها وكثر ولدهم

فسموا

فسموا الكرد وقال بعض الشعراء في ذلك وهو يعضد ما قاله عمر بن عبد البر

لعمرك ما الاكراد ابناء فارس * ولكنه كرد بن عمرو بن عامر

وأما أبوه عامر فانما لقب بماء السماء لجوده وكثرة نفعه فشبه بالغيث وأما المنذر بن ماء السماء اللخمي أحد ملوك الحيرة فان أباه امرؤ القيس عمرو بن عدي وماء السماء أمه وهي بنت عوف بن جشم ابن النمر بن قاسط وانما قيل لها ماء السماء لحسنها وجمالها وأما دبا بفتح الدال المهملة والباء الموحدة وبعدها ألف مقصورة وهو اسم موضع بين عمان والبحرين أضيفت جماعة من الازد اليه لما نزلوه وكان للازد عند تفرقهم حسبما ذكرناه في اول هذه الترجمة أضيفت كل طائفة الى شيء يميزها عن غيرها فقيل أزد دبا وازد شنوءة وازد عمان وازد الشراة ومرجع الكل الى الازد المذكور فلا يظن ظان أن الازد مختلف باختلاف المضافين اليه وقد قال الشاعر وهو النجاشي واسمه قيس ابن عمرو بن مالك بن حرب بن الحرث بن كعب بن الحرث الحارثي

وكنت كذي رجلين رجل صحيحة * ورجل بها ريب من الحدثان

فاما التي صحت فأزد شنوءة * واما التي شلت فازد عمان

ولما هزم المهلب قطري بن الفجاءة المقدم ذكره بعث الى مالك بن بشير فقال اني موفدك الى الحجاج فسر فانما هو رجل مثلك وبعث اليه بجائزة فردها وقال انما الجائزة بعد الاستحقاق وتوجه فلما دخل على الحجاج قال ما اسمك قال مالك بن بشير قال ملك وبشارة ثم قال كيف تركت المهلب قال ادرك ما امل وامن ما خاف قال فكيف هو بجنده قال والد روف قال كيف رضاهم عنه قال وسعهم بالفضل واقنعهم بالعدل قال كيف تصنعون اذا لقيتم عدوكم قال نلقاهم بجدنا فنطمع فيهم ويلقونا بجدهم فيطمعون فينا قال فما حال قطري بن الفجاءة قال كادنا ببعض ما كدناه به قال فما منعكم من اتباعه قال رأينا المقام من ورائه خيرا من اتباعه قال فاخبرني عن ولد المهلب قال رعاة البيات حتى يأمنوه وحماة السرح حتى يردوه قال أيهم أفضل قال ذلك الى أبيهم قال لتقولن قال هم كالحلقة المفرغة لا يعلم طرفاها قال أقسمت عليك هل رويت في هذا الكلام قال ما أطلع الله أحدا على غيبه فقال الحجاج لجلسائه هذا والله الكلام المطبوع لا الكلام المصنوع قلت كان حق هذا الفصل ان يكون متقدما لكنه كذا وقع

مهيار

أبو الحسين مهيار بن مرزويه الكاتب الفارسي الديلمي الشاعر المشهور

كان مجوسيا فاسلم ويقال ان اسلامه كان على يد الشريف الرضي أبي الحسن محمد الموسوي المقدم ذكره وهو شيخه وعليه تخرج في نظم الشعر وقد وازن كثيرا من قصائده وكان شاعرا جزل القول مقدما على أهل وقته وله ديوان شعر كبير يدخل في اربع مجلدات وهو رقيق الحاشية طويل النفس في قصائده ذكره الحافظ أبو بكر الخطيب

فى تاريخ بغداد وابنى عليه وقال كنت اراه يحضر بجامع المنصور فى ايام الجمعات بغدى
يقرأ عليه ديوان شعره ولم يقدر لى ان اسمع منه شيأ وذكره ابو الحسن الباخرزى
المقدم ذكره فى كتاب دمية القصر فقال فى حقه هو شاعر له فى مناسك الفضل مشاعر
وكانت تحت كل كلمة من كلماته كاعب وما فى قصيدة من قصائده بيت يحكم عليه بلو وليت
وهى مصبوبة فى قوالب القلوب وبمثلها يعتذر الزمان المذنب عن الذنوب ثم عقب هذا
الكلام بذكر مقاطيع من شعره وابيات من جملة قصائده وذكره ابو الحسن على بن بسام
فى كتاب الذخيرة فى محاسن اهل الجزيرة وبالغ فى الثناء عليه وذكر شيأ من شعره
ومن نظمه المشهور قصيدته التى اولها

سقى دارها بالرقمتين وحياها * ملث يحيل الترب فى الدار امواها
وكيف بوصل الحبل من ام مالك * وبين بلاد ينا زرود ولبناها
يراها بعين الشوق قلبى على النوى * فيحظى ولكن من لعينى برؤياها
فلله ما اصفى وأكدر حبها * وابعدها منى الغداة وادناها
اذا استوحشت عينى أنست بان ارى * نظائر تصبينى اليها واشباها
واعتنق الغصن الرطيب لقدها * وارشف ثغر الكاس احسبه فاها
ويوم الكثيب استشرفت لى ظبية * مولهة قد ضل بالقاع خشفاها
بذلة خوف الثكل حبة قلبها * فتزداد حسنا مقلتاها وليتاها
فما ارتاب طرفى فيك يا أم مالك * على صحة التشبيه انك اياها
فان لم تكونى خدها وجبينها * فانك انت الجيد او انت عيناها
الوامة فى حب دار عزيزة * يشق على رجم المطامع مرماها
دعوه ويجد انه ما شان قلبه * فلو ان نجدا بلغة ما تعداها
وهبكم منعتم ان يراها بعينه * فهل تمنعون القلب ان يتمناها
وليل بذات الاثل قصر طوله * سرى طيفها آها الذكرته آها
تخطت اليه الهول مشيا على الهوى * واخطاره لا يبعد الله ممشاها
وقد كاد اسداف الدجى ان يضلها * فما دلها الاوميض ثناياها

ومن شعره ايضا

ان التى علقت قلبك حبها * راحت بقلب منك غير علوق
عقدت ضمان وفائها من خصرها * فوهى كلا العقدين غير وثيق

ومن سائر شعره ايضا قوله رحمه الله تعالى

بكر العوارض تحدوه النعامى * فسقاك الرى يا دار اماما
وتجرعاه الحى قلبى فعج * بالحمى واقرا على قلبى السلاما
وترحل فتحدث عجبا * ان قلبا سار عن جسم اقاما

قل لجيران الغضا آها على * طيب عيش بالغضا لو كان داما
يصل العام ولا ينسا كم * وقصار الوجد أن نسلو عاما
سملوا ريح الصبا من نشركم * قبل ان تحمل شيحا وخزاما
وابعثوا اشباحكم لى فى الكرى * ان اذنتم بجفونى ان تناما

وهى قصيدة طويلة نقتصر من أطايبها على هذا القدر طلبا للاختصار ومن شعره قصيدته التى منها

ارقت فهل لها جعة بسلع * على الارقين افئدة ترق
نشدتك بالمودة يا ابن ودى * فانك بى من ابن أبى أحق
اسل بالجزع دمعك ان عينى * اذا استبررتها دمعا تعق
وان شق البكاء على المعافى * فلم اسئلك الا ما يشق

وله فى القناعة وقد أحسن رحمه الله تعالى

يلحى على البخل الشحيح بماله * افلا تكون بماء وجهك ابخلا
اكرم يديك عن السؤال فانما * قدر الحياة اقل من ان تسألا
ولقد أضم الى فضل قناعتى * وأبيت مشتملا بها متزملا
وأرى العدو على الخصاصة شارة * تصف الغنى فيخالنى متمولا
واذا امرؤ أفنى الليالى حسرة * وأمانيا أفنيتهن توكلا

ومن بديع مدائحه قوله من جملة قصيدة

واذا رأولك تفرقت أرواحهم * فكأنما عرفتك قبل الاعين
واذا أردت بأن تفل كتيبة * لاقيتها فتسم فيها واكتن

وله من جملة قصيدة أبيات تتضمن العتب وهى

اذا صوروا الاشفاق لى كيف أنتم * وكيف اذا ما عن ذكرى صبرتم
تنفست عن عتب فؤادى مفصح * به ولسانى للحفاظ يجمجم
وفى فى ماء من بقايا ودادكم * كثيرا به من ماء وجهى ارقتم
ارقت فاضنا عليه وبينه * وبين انسكاب ربما اتكلم

وديوانه مشهور فلا حاجة الى الاطالة فى اثبات محاسنه ويعجبنى كثيرا قوله من جملة قصيدة طويلة بيت واحد وهو

منا أنتم من ظاعنين وخلفوا * قلوبا أبت ان تعرف الصبر عنهم

وتوفى ليلة الاحد لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة ثمان وعشرين وأربعمائة وفى تلك السنة توفى الرئيس أبو على بن سينا الحكيم المشهور حسبما تقدم ذكره فى ترجمته رحمه الله تعالى ورأيت فى بعض التواريخ انه توفى سنة ست وعشرين والاول أصح وذكر الباخرزى المذكور فى كتابه الدمية أيضا ولده الحسين بن مهيار ونسب اليه

القصيدة الحائية التي من جملتها

يا نسيم الريح من كاظمة • شد ما هجت البكا والبرحا

وهي قصيدة طويلة وهي من مشاهير قصائد مهيار ولا اعلم من أين وقع له هذا الغلط ومهيار بكسر الميم وسكون الهاء وفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الالف راء ومرزويه بفتح الميم وسكون الراء وفتح الزاي والواو وبعدها ياء مثناة من تحتها ثم هاء ساكنة وهما اسمان فارسيان لا أعرف معناهما والله تعالى أعلم

(حرف النون)

أبو عبد الله نافع مولى عبد الله بن عمر رضي الله عنهم

كان ديلميا وأصابه مولاه عبد الله بن عمر في غزاته وهو من كبار التابعين سمع مولاه وأبا سعيد الخدري وروى عنه الزهري وايوب السختياني ومالك بن أنس رضي الله عنهم وهو من المشهورين بالحديث ومن الثقات الذين يؤخذ عنهم ويجمع حديثهم ويعمل به ومعظم حديث ابن عمر عليه دار وقال مالك كنت اذا سمعت حديث نافع عن ابن عمر لا أبالي ان لا اسمعه من أحد غيره وأهل الحديث يقولون رواية الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر سلسلة الذهب لجلالة كل واحد من هؤلاء الرواة وحكى الشيخ أبو اسحاق الشيرازي رحمه الله تعالى في كتاب المهذب في باب الوليمة والنثر عن نافع قال كنت أسير مع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فسمع زمارة راع فوضع اصبعيه في أذنيه ثم عدل عن الطريق فلم يزل يقول يا نافع اتسمع حتى قلت لا فأخرج اصبعيه عن أذنيه ثم رجع الى الطريق ثم قال هكذا رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي هذا الاثر اشكال تسال عنه الفقهاء وهو ان ابن عمر كيف سد أذنيه عن استماع صوت الزمارة ولم يأمر مولاه نافعا بفعل ذلك بل مكنه منه وكان يسأله كل وقت هل انقطع الصوت أم لا وقد أجابوا عن الاشكال بان نافعا حينئذ كان صبيا فلم يكن مكلفا حتى يمنعه عن الاستماع ويرد على هذا الجواب سؤال آخر وهو ان الصحيح ان اخبار الصبي غير مقبول فكيف ركن ابن عمر الى اخباره في انقطاع الصوت وهذا الاثر بعضد حجة من قال ان رواية الصبي مقبولة وفي ذلك خلاف مشهور وليس هذا موضع الكلام عليه وأخبار نافع كثيرة وتوفي سنة سبع عشرة وقيل سنة عشرين ومائة رضي الله عنه

أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم مولى جعونة بن شعوب الشجعي المقري المدني أحد القراء

كان امام أهل المدينة والذي صاروا الى قراءته ورجعوا الى اختياره وهو من الطبقة الثالثة بعد الصحابة رضوان الله عليهم وكان محتسبا فيه دعابة وكان اسود شديد

السواد قال ابن أبي أويس قال لي مالك رضي الله عنه قرأت على نافع وقال الاصمعي قال لي نافع اصلي من أصبهان هكذا قاله الحافظ أبو نعيم في تاريخ أصبهان وكان قرأ على أبي ميمونة مولى ام سلمة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له راويان ورش وقالون وقد سبق ذكرهما في حرف العين وتوفي نافع المذكور سنة تسع وستين ومائة وقيل سنة تسع وخمسين وقيل غير ذلك بالمدينة والاول اصح وقيل ان كنيته أبو الحسن وقيل أبو عبد الله وقيل أبو عبد الرحمن وقيل أبو نعيم والله أعلم بالصواب وجعونة بفتح الجيم وسكون العين المهملة وفتح الواو والنون وبعدها هاء ساكنة وهو في الاصل الرجل القصير ثم سمي به الرجل وان لم يكن قصيرا وجعل عليه علما وكان جعونة حليف حمزة بن عبد المطلب وقيل حليف العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما وقيل حليف بني هاشم وشعوب بفتح الشين المعجمة وضم العين المهملة وسكون الواو وبعدها باء موحدة وهو في الاصل اسم المنية والشجعي بكسر الشين المعجمة وسكون الجيم وبعدها عين مهملة هذه النسبة الى بني شجع وهم من بني عامر بن ليث ولم يتعرض ابن السمعاني الى ذكر هذه النسبة

أبو الفتح ناصر بن أبي المكارم عبد السيد بن علي المطرزي الفقيه الحنفي النحوي الاديب الخوارزمي

كانت له معرفة تامة بالنحو واللغة والشعر وأنواع الادب قرأ ببلده على أبيه وعلى أبي المؤيد الموفق بن أحمد بن محمد المكي خطيب خوارزم وغيرها وسمع الحديث من أبي عبد الله محمد بن علي بن أبي سعيد التاجر وغيره وكان تام المعرفة بفنه رأسا في الاعتزال داعيا اليه ينتحل مذهب الامام أبي حنيفة رضي الله عنه في الفروع فصيحا وكان في الفقه فاضلا وله عدة تصانيف نافعة منها شرح المقامات للحريري وهو على وجازته مفيد محصل للمقصود وله كتاب المغرب تكلم فيه على الالفاظ التي يستعملها الفقهاء من الغريب وهو للحنفية بمثابة كتاب الازهري للشافعية وما أقصر فيه فانه أتى جامعا للمقاصد وله غير ذلك وانتفع الناس به وبكتبه ودخل بغداد حاجا سنة احدى وستمائة وكان معتزلي الاعتقاد وجرى له هناك مباحث مع جماعة من الفقهاء وأخذ أهل الادب عنه وكان سائر الذكر مشهور السمعة بعيد الصيت وله شعر فمن ذلك وفيه صناعة قوله

وزند ندى فواضله ورى * ورند ربى فضائله نضير
ودر جلاله أبدا ثمين * ودر نواله أبدا غزير

وله

واني لاستحيي من المجد أن أرى * حليف غوان او أليف اغاني

وله

تعامى زماني عن حقوقي وانه * قبيح على الزرقاء تبدي تعاميا
فان تنكروا فضلي فان رغاءه * كفى لذوي الاسماع منكم مناديا

وله اشعار كثيرة يستعمل فيها التجانس وكانت ولادته في رجب سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة بخوارزم وهو كما يقال خليفة الزمخشري فانه توفي في تلك السنة بتلك البلدة كما سبق في ترجمته وتوفي المطرزي يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من جمادى الاولى سنة عشر وستمائة بخوارزم أيضا رحمه الله تعالى ورثي باكثر من ثلثمائة قصيدة والمطرزي بضم الميم وفتح الطاء المهملة وتشديد الراء وكسرها وبعدها زاي هذه النسبة الى من يطرز الثياب ويرقمها ولا اعلم هل كان يتعاطى ذلك بنفسه أم كان في ابائه من يتعاطى ذلك فنسب له والله أعلم

أبو منصور نزار الملقب العزيز بالله ابن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي العبيدي صاحب مصر وبلاد المغرب

قد تقدم ذكر والده واجداده وولد وهو ولي العهد بمصر يوم الخميس رابع شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلثمائة واستقل بالامر يوم وفاة أبيه وكان يوم الجمعة حادي عشر الشهر المذكور وفيه الخلاف المذكور في ترجمة وسيرة أبيه وسلم عليه بالخلافة وكان كريما شجاعا حسن العفو عند القدرة وقصته مع افتكين التركي غلام معز الدولة مشهورة وعفا عنه لما ظفر به وكان قد عزم في محاربته مالا جزيلا ولم يؤاخذه بما صدر منه وقد سبق في ترجمة عضد الدولة بن بويه المتقدم ذكره في حرف الفاء طرف من خبره فلا حاجة الى اعادته وهي قصة تدل على حلمه وحسن عفوه وذكر الامير المختار المعروف بالمسبحي انه الذي اختط اساس الجامع بالقاهرة مما يلي باب الفتوح وحفره وبدا بعمارته سنة ثمانين وثلثمائة في شهر رمضان ثم قال المسبحي أيضا وفي ايامه بني قصر البحر بالقاهرة الذي لم يبن مثله في شرق ولا غرب وقصر الذهب وجامع القرافة والقصور بعين شمس وكان أسمر اصهب الشعر اعين اشهل العين عريض المنكبين حسن الخلق قريبا من الناس لا يؤثر سفك الدماء يقصد بالخيل والجارح من الطير محبا للصيد مغرى به ويقصد السباع ويعرف الجوهر والبز وكان أديبا فاضلا ذكره أبو منصور الثعالبي في كتاب يتيمة الدهر وأورد له شعرا قاله في بعض الاعياد وقد وافق موت بعض أولاده وعقد عليه المأتم وهو

نحن بنو المصطفى ذوو محن * يجرعها في الحياة كاظمنا
عجيبة في الانام محنتنا * اولنا مبتلى وخاتمنا
يفرح هذا الورى بعيدهم * طرا واعيادنا ماتمنا

ثم قال بعد فصل طويل وسمعت الشيخ أبا الطيب يحكي ان المرواني صاحب الاندلس كتب اليه نزار صاحب مصر كتابا يسبه فيه ويهجوه فكتب اليه أما بعد فانك قد عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لاجبناك والسلام فاشتد على نزار وأفحمه عن الجواب وذكر أبو الحسن الروحي في كتاب تحفة الظرفاء في تاريخ الخلفاء ان هذه الواقعة لجاكم

المستنصر

المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله وهو المرواني صاحب الاندلس وبين العزيز المذكور وان المستنصر كتب الى العزيز يسبه ويهجوه فكتب اليه العزيز هذه الكلمات والله أعلم بالصواب وقد تقدم في ترجمة جده المهدي عبيد الله طرف من اخبار نسبهم والطعن فيه وأكثر أهل العلم بالنسب لا يصححونه وقد تقدم في ترجمة الشريف أبي محمد عبد الله بن طباطبا ما دار بينه وبين المعز والد هذا العزيز في أمر النسب وما أجاب به المعز وصار هذا كالمستفيض بين الناس وفي مبادي ولاية العزيز المذكور صعد المنبر يوم الجمعة فوجد هنالك ورقة فيها مكتوب

انا سمعنا نسبا منكرا * يتلى على المنبر في الجامع
ان كنت فيما تدعي صادقا * فاذكر ابا بعد الاب الرابع
وان ترد تحقيق ما قلته * فانسب لنا نفسك كالطائع
اولا دع الانساب مستورة * وادخل بنا في النسب الواسع
فان انساب بني هاشم * يقصر عنها طمع الطامع

وانما قال فانسب لنا نفسك كالطائع لان هذه القصيدة جرت في خلافة الطائع لله خليفة بغداد وصعد العزيز يوما آخر المنبر فرأى فيه ورقة مكتوب فيها

بالظلم والجور قد رضينا * وليس بالكفر والحماقه
ان كنت أعطيت علم غيب * فقل لنا كاتب البطاقه

وانما كتب هذا لانهم كانوا يدعون علم المغيبات واخبارهم في ذلك مشهورة وقد تقدم لابي الرقعمق أحمد بن محمد الانطاكي المقدم ذكره قصيدة رائية يمدح بها العزيز المذكور واجود مدائحه فيه وزادت مملكته على مملكة أبيه وفتحت له حمص وحماة وشيزر وحلب وخطب له المقلد بن المسيب العقيلي صاحب الموصل بالموصل واعمالها في المحرم سنة اثنين وثمانين وثلثمائة وضرب اسمه على السكة والبنود وخطب له باليمن ولم يزل في سلطانه وعظم شأنه الى ان خرج الى بلبيس متوجها الى الشام فابتدأت به العلة في العشر الاخير من رجب سنة ست وثمانين وثلثمائة ولم يزل مرضه يزيد وينقص حتى ركب يوم الاحد لخمس بقين من شهر رمضان من السنة المذكورة الى الحمام بمدينة بلبيس وخرج منها الى منزل الاستاذ أبي الفتوح برجوان المقدم ذكره وكان صاحب خزائنه بالقصر فاقام عنده واصبح يوم الاثنين فاشتد به الوجع يومه ذلك وصبيحة نهار الثلاثا وكان مرضه من حصاة وقولنج فاستدعى القاضي محمد بن النعمان وأبا محمد الحسن بن عمار الكتامي الملقب أمين الدولة وهو أول من تلقب من المغاربة وكان شيخ كتامة وسيدها وخاطبهما بما يحتاج اليه في أمر ولده الملقب بالحاكم المقدم ذكره ثم استدعى ولده المذكور وخاطبه أيضا بذلك ولم يزل العزيز في الحمام والامر يشتد به الى بين الصلاتين في ذلك اليوم وهو نهار الثلاثا الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ست وثمانين

وثلثمائة توفى فى سلخ الحمام هكذا قال المسبحى وقال صاحب تاريخ القيروان ان الطبيب وصف له دواء يشربه فى حوض الحمام وغلط فيه فشربه فمات من ساعته ولم يكتم موته ساعة واحدة وترتب موضعه ولده الحاكم أبو على المنصور المقدم ذكره وبلغ الخبر أهل القاهرة فخرج الناس غداة الاربعاء لتلقى الحاكم فدخل البلد وبين يديه البنود والرايات وعلى رأسه المظلة يحملها زيدان الصقلبى المذكور فى ترجمة برجوان فدخل القصر بالقاهرة عند اصفرار الشمس ووالده العزيز بين يديه فى عمارية وقد خرجت قدماه منها وادخلت العمارية القصر وتولى غسله القاضى محمد بن النعمان ودفن عند أبيه المعز فى حجرة من القصر وكان دفنه عند العشاء الاخيرة واصبح الناس يوم الخميس سلخ الشهر والاحوال مستقيمة وقد نودى فى البلدان لامؤنة ولا كلفة وقد امنكم الله تعالى على أموالكم وأرواحكم فن عارضكم أونازعكم فقد حل ماله ودمه وكانت ولادة العزيز المذكور يوم الخميس رابع عشر المحرم سنة أربع وأربعين وثلثمائة بالمهدية من أرض افريقية وقال المختار المسبحى صاحب التاريخ المشهور قال لى الحاكم وقد جرى ذكر والده العزيز يامختار استدعانى والدى قبل موته وهو عارى الجسم وعليه الخرق والضماد فاستدنانى وقبلنى وضمنى اليه وقال واغمى عليك ياحبيب قلبى ودمعت عيناه ثم قال امض ياسيدى والعب فأنا فى عافية قال فمضيت والتهيت بما يتلهى به الصبيان من اللعب الى ان نقل الله سبحانه وتعالى العزيز اليه قال فبادر الى برجوان وانا فى اعلى جميزة كانت فى الدار فقال انزل ويحك الله الله فينا وفيك قال فنزلت فوضع العمامة بالجوهر على رأسى وقبل لى الارض وقال السلام عليك ياأمير المؤمنين ورحمة الله تعالى وبركاته قال وأخرجنى حينئذ الى الناس على تلك الهيئة فقبل جميعهم لى الارض وسلموا على بالخلافة واخباره كثيرة والاختصار أولى

أبو القاسم نصر بن أحمد بن نصر بن مأمون البصرى المعروف بالخبزأرزى الشاعر المشهور

كان أميا لايتهجى ولا يكتب وكان يخبز خبز الارز بمربد البصرة فى دكان وكان ينشد أشعاره المقصورة على الغزل والناس يزدحمون عليه ويتطرفون باستماع شعره ويتعجبون من حاله وأمره وكان أبو الحسين محمد بن محمد المعروف بابن لنكك البصرى الشاعر المشهور مع علو قدره عندهم ينتاب دكانه ليسمع شعره واعتنى به وجمع له ديوانا وكان نصر المذكور قد وصل الى بغداد وأقام بها دهرا طويلا وذكره الخطيب فى تاريخه وقال قرأ عليه ديوانه وروى عنه مقطعات من شعره المعافى بن زكريا الحريرى واحمد بن منصور بن محمد بن حاتم النوشرى وعد جماعة رووا عنه وذكره الثعالبى فى كتاب اليتيمة وأورد له مقاطيع فن ذلك قوله

خليلى هل ابصرتما أوسمعتما * باكرم من مولى تمشى الى عبد

أتى زائرا من غير وعد وقال لى * أجلك عن تعليق قلبك بالوجد
فما زال نجم الوصل بينى وبينه * يدور بأفلاك السعادة والسعد
فطورا على تقبيل نرجس ناظر * وطورا على تعضيض تفاحة الخد

وأورد له أيضا

ألم يكفنى ما نالنى من هواكم * الى ان طفقتم بين لاه وضاحك
شماتتكم بى فوق ما قد أصابنى * ومابى دخول النار فى طى مالك

وله أيضا

كم اناس وفوا الناخسين غابوا * واناس جفوا وهم حضار
عرضوا ثم اعرضوا واستمالوا * ثم مالوا وجاوروا ثم جاروا
لا تلمهم على التجنى فلولم * يتجنوا لم يحسن الاعتذار

ومن شعره أيضا

وكان الصديق يزور الصديق * لشرب المدام وعزف القيان
فصار الصديق يزور الصديق * لبث الهموم وشكوى الزمان

وقال أحمد بن منصور بن محمد بن حاتم النوشرى أنشدنا أبو القاسم نصر بن أحمد الخبزأرزى لنفسه

بات الحبيب منادمى * والسكر يصبغ وجنتيه
ثم اغتدى وقد ابتدا * صبغ الخمار بمقلتيه
وهبت له عينى الكرى * وتعوضت نظرا اليه
شكرا لاحسان الزمان * كما يساعدنى عليه

ومن شعره أيضا

كم اقاسى لديك قالا وقيلا * وعدات تترى ومطلا طويلا
جمعة تنقضى وشهر يولى * وامانيك بكرة وأصيلا
ان يفتنى منك الجميل من الفعل تعاطيت عنك صبرا جميلا
والهوى يستزيد حالا فحالا * وكذا ينسلى قليلا قليلا
ويك لا تأمنن صروف الليالى * انها تترك العزيز ذليلا
فكأنى بحسن وجهك قد صا * ح به اللحية الرحيل الرحيلا
فتبدلت حين بدلت بالنو * ر ظلاما وساء ذاك بديلا
فكأن لم تكن قضيبا رطيبا * وكأن لم تكن كثيبا مهيلا
عندها يشمت الذى لم تصله * ويكون الذى وصلت خليلا

وله أيضا

رأيت الهلال ووجه الحبيب * فكانا هلالين عند النظر

فلم ادر من حيرتي فيهما * هلال الدجى من هلال البشر
ولولا التورد في الوجنتين * وما راعني من سواد الشعر
لكنت أظن الهلال الحبيب * وكنت أظن الحبيب القمر

وذكر الخطيب في تاريخ بغداد ما مثاله حكى أبو محمد عبد الله بن محمد الأكفاني البصري قال خرجت مع عمي أبي عبد الله الأكفاني الشاعر وأبي الحسين بن لنكك وأبي عبد الله المفجع وأبي الحسن السماك في بطالة عيد وانا يومئذ صبي اصحبهم فمشوا حتى انتهوا الى نصر بن أحمد الخبزأرزي وهو جالس يخبز على طابقه فجلست الجماعة عنده يهنونه بالعيد ويتعرفون خبره وهو يوقد السعف تحت الطابق فزاد في الوقود فدخنهم فنهضت الجماعة عند تزايد الدخان فقال نصر بن أحمد لابي الحسين بن لنكك متى أراك يا أبا الحسين فقال له أبو الحسين اذا اتسخت ثيابي وكانت ثيابه يومئذ جددا على أنقى ما يكون من البياض للتجمل بها في العيد فمشينا في سكة بني سمرة حتى انتهينا الى دار أبي أحمد بن المثنى فجلس أبو الحسين بن لنكك وقال يا أصحابنا ان نصرا لا يخلي هذا المجلس الذي مضى لنا معه من شيء يقوله فيه ويجب ان نبدأه قبل ان يبدأنا واستدعى دواة وكتب

لنصر في فؤادي فرط حب * أنيف به على كل الصحاب
أتيناه فبخرنا بخورا * من السعف المدخن للثياب
فقمت مبادرا وظننت نصرا * أراد بذاك طردي أو ذهابي
فقال متى أراك أبا حسين * فقلت له اذا اتسخت ثيابي

وأنفذ الابيات الى نصر فأملى جوابها فقرأناه فاذا هو قد أجاب

منحت أبا الحسين صميم ودي * فداعبني بالفاظ عذاب
أتى وثيابه كقتير شيب * فعدن له كريعان الشباب
ظننت جلوسه عندي لعرس * فجدت له بتمسيك الثياب
فقلت متى أراك أبا حسين * فجاوبني اذا اتسخت ثيابي
فان كان التفرد فيه خير * فلم يكنى الوصي أبا تراب

وحكى الخالديان الشاعران المشهوران في كتاب الهدايا والتحف ان الخبزأرزي أهدى الى ابن بزداد والي البصرة قصا وكتب معه

أهديت مالو ان أضعافه * مطرح عندك ما بانا
كمثل بلقيس التي لم يبن * اهداؤها عند سليمانا
هذا امتحان لك ان ترضه * بان لنا انك ترضانا

والشيء بالشيء يذكر وجدت في هذا الكتاب نادرة طريفة فأحببت ذكرها وهي أنه كان باصبهان رجل حسن النعمة واسع النفس كامل المروءة يقال له سمانة بن النعمان وكان يهوى مغنية من أهل أصبهان لها قدر ومغنى تعرف بام عمرو فلافراط حبه اياها

وصبابته بها وخبها عدة من ضياعه وكتب عليه بذلك كتبا وحمل الكتب اليها على بغل فشاع الخبر بذلك وتحدث الناس به واستعظموه وكان باصبهان رجل متخلف بين الركاكة يهوى مغنية أخرى فلما اتصل به ذلك ظن بجهله وقلة عقله ان سماكا انما اهدى الى أم عمرو جلودا بيضا لا كتابة فيها وان هذا من الهدايا التى تستحسن ويجل موقعها عند من تهدى اليه فابتاع جلودا كثيرة وحملها على بغلين لتكون هديته ضعف هدية سماك وانفذها الى التى يحب فلما وصلت الجلود اليها ووقفت على الخبر فيها تغيظت عليه وكتبت اليه رقعة تشتمه وتحلف انها لا تكلمه أبدا وسألت بعض الشعراء ان يعمل أبياتا فى هذا المعنى لتودعها الرقعة ففعل وكانت الابيات

لا عاد طوعك من عصاكا * وحرمت من وصلى مناكا

فلقد فضحت العاشقين * بقبح ما فعلت يداكا

أرأيت من يهدى الجلو * د الى عشيقته سواكا

واظن انك رمت ان * تحكى بفعلك ذا سماكا

ذاك الذى اهدى الضيا * ع لام عمرو والصكاكا

فبعثت منتنة كأنك * قد صبحت بهن فاكا

من لى بقربك يا رقيع * ولست أهوى ان أراكا

لكن لعلى ان اقطع * ما بعثت على قفاكا

ونقلت من هذا الكتاب أيضا ان البادى الشاعر خرج من بعض مدن اذربيجان يريد أخرى وتحته مهر له رائع وكانت السنة مجدبة فصحبه الطريق وغلام احدثا على حمار له قال فحادثته فرأيته أديبا راوية للشعر خفيف الروح حاضر الجواب جيد الحجة فسر نا بقية يومنا فانتهينا الى خان على ظهر الطريق فطلبت من صاحبه شيئا آكله فامتنع ان يكون عنده شئ فرفقت به الى ان جاءنى برغيفين فاخذت واحدا ودفعت الى ذلك الغلام الآخر وكان غمى على المهر ان يبيت بغير علف أعظم من غمى على نفسى فسألت صاحب الخان عن الشعير فقال ما اقدر منه على حبة واحدة فقلت فاطلب لى وجعلت له جعلا على ذلك فمضى وجاءنى بعد طويل وقال قد وجدت مكوكين عند رجل حلف بالطلاق انه لا ينقصهما عن مائة درهم فقلت ما بعد يمين الطلاق كلام فدفعت اليه خمسين درهما فجاءنى بمكوك فعلقته على دابتى وجلست أحادث الفتى وحماره واقف بغير علف فاطرق مليا ثم قال تسمع أيدك الله أبياتا حضرت الساعة فقلت هاتها فانشد

ياسيدى شعرى نهاية شعركا * فلذاك نظمى ما يقوم بنثركا

وقد انبسطت اليك فى انشاد ما * هو فى الحقيقة قطرة من بحركا

آنستنى وسررتنى وبررتنى * وجعلت أمرى من مقدم أمركا

وأريد اذ كرحاجة ان تقضها * بالدعبد حث ما حييت وشكركا
اما في ضيافتك العشية هاهنا * فاسمع لي جاري في ضيافة مهركا

فضحكت واعتذرت اليه من اغفالي أمر حماره وابتعت المكوك الآخر بخمسين درهما ودفعته اليه وبالجملة فقد خرجنا عن المقصود واخبار نصر المذكور ونوادره كثيرة وتوفي سنة سبع عشرة وثلثمائة رحمه الله تعالى وتاريخ وفاته فيه نظر لان الخطيب ذكر في تاريخه ان أحمد بن منصور النوشري المذكور سمع منه سنة خمس وعشرين وثلثمائة والخبزأرزي بضم الخاء المعجمة وسكون الباء الموحدة وفتح الزاي وبعدها همزة ثم راء ثم زاي وفتح الهمزة وضمها وتشديد الزاي وتخفيفها في الارز يختلف باختلاف اللغات في هذه الكلمة وفيها ست لغات الواحدة بضم الهمزة والراء وتشديد الزاي والاخرى بفتح الهمزة والباقي مثل الاولى والثالثة ارز بضم الهمزة وسكون الراء وتخفيف الزاي والرابعة مثل الثالثة لكن الراء مضمومة والخامسة رز بضم الراء وتشديد الزاي والسادسة رنز بضم الراء وسكون النون وتخفيف الزاي وانما نسب نصر المذكور هذه النسبة لانه كان يتعاطى هذه الحرفة كما تقدم ذكره في اول هذه الترجمة وابن لنكك بفتح اللام وسكون النون وكافين مفتوحتين وهو لفظ أعجمي معناه بالعربي اعيرج تصغير اعرج لان كلمة لنك معناها اعرج وعادة العجم اذا صغروا اسما ألحقوا في آخره كافا ومربد البصرة بكسر الميم وسكون الراء وفتح الباء الموحدة وبعدها دال مهملة وهو اسم موضع بالبصرة مشهور وهو في الاصل اسم لكل مكان يحبس فيه الابل وغيرها ثم صار علما على الموضع المذكور

أبو المرهف نصر بن منصور بن الحسن بن جوشن بن حميد بن اثال بن ورد بن عثلاف بن بشر بن جندل بن عبيد الراعي بن الحصين بن معاوية بن جندل بن قطن بن ربيعة بن عبد الله بن الحرث بن نمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية ابن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة ابن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان النميري الضرير الشاعر المشهور

قدم بغداد في صباه وسكنها الى حين وفاته وحفظ القرآن المجيد وتفقه على مذهب الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وسمع الحديث من القاضي أبي بكر محمد بن عبد الباقي الانصاري وأبي البركات عبد الوهاب بن المبارك الانماطي وأبي الفضل محمد بن ناصر وغيرهم وقرأ الادب على أبي منصور بن الجواليقي وقال الشعر ومدح الخلفاء والوزراء والاكابر وحدث وكان زاهدا ورعا حسن المقاصد في الشعر له ديوان شعر وذكره العماد الاصبهاني في كتاب الخريدة وذكر شيأ من شعره وأورد نسبه على هذه الصورة وقال هو الذي املاه علي وعبيد الراعي المذكور في عمود نسبه هو الشاعر

المشهور

المشهور صاحب الديوان الشعر وكان بينه وبين جرير مهاجاة وكان أبو المرهف المذكور قد كف بصره بالجدري وعمره أربع عشرة سنة وذكره العماد في الخريدة هذا المقطوع من شعره وهو

ترى يتألف الشمل الصديغ * وآمن من زمان ما يروع
وتأنس بعد وحشتنا بنجد * منازلنا القديمة والربوع
ذكرت بأيمن العلمين عصرا * مضى والشمل ملتئم جميع
فلم املك لدمعي رد غرب * وعند الشوق تعصيك الدموع
ينازعني الى خنساء قلبي * ودون لقائها بلد شسوع
واخوف ما اخاف على فؤادي * اذا ما انجد البرق اللموع
اقد جاءت من طول التنائي * عن الاحباب ما لا استطيع

وشعره فيه رقة وجزالة وكان ببغداد كثير الانقطاع الى الوزير عون الدين بن هبيرة الآتي ذكره ان شاء الله تعالى وله فيه مدائح وكانت ولادته يوم الثلاثا بعد العصر ثالث عشر جمادى الآخرة سنة احدى وخمسمائة بالرقة وتوفي يوم الثلاثا الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ببغداد ودفن بباب حرب رحمه الله تعالى والنميري بضم النون وفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء هذه النسبة الى نمير بن عامر المذكور في عمود النسب في أول الترجمة والباقي معروف

أبو الفتوح نصر الله بن عبد الله بن مخلوف بن علي بن عبد القوي بن قلاقس اللخمي الازهري الاسكندري الملقب القاضي الاعز الشاعر المشهور

وكان شاعرا مجيدا وفاضلا نبيلا صحب الشيخ الحافظ أبا طاهر أحمد بن محمد السلفي المقدم ذكره وانتفع بصحبته وله فيه غرر المدائح وقد تضمنها ديوانه وكان الحافظ المذكور كثيرا ما يثني عليه ويتقاضاه بمديحه وقصد القاضي الفاضل عبد الرحيم المقدم ذكره بقصيدة موسومة أحسن فيها كل الاحسان واولها

ما ضر ذاك الريم ان لا يريم * لو كان يرثي لسليم سليم
وما على من وصله جنة * الا أرى من صده في جحيم
اغيد ما همت به روضة * اعل جسمي لا كون النسيم
رقيم خد نام عن ساهر * ما اجدر النوم بأهل الرقيم
وكيف لا يصرم ظبي وقد * سمعت في النسبة ظبي الصريم
وعاذل دام ودام الدجى * بهيمة نادمتها في بهيم
يغيظني وهو على رسله * والمرء في غيظ سواه حليم
قلت له لما عدا طوره * والقلب مني في العذاب الاليم

اعتذرفؤادى انه شاعر * من حبه فى كل واد يهيم
يارب خمر فيه كاسها * لم اقتنع من شربها بالشميم
اسمعت رشفا قبلا عندها * وقلت هذا زمزم والحطيم
فانستر اما عن اقاح الربا * يضحك اودر العقود النظيم
أو كان قد قبل مستحسنا * ما قيل الفاضل عبد الرحيم

وكان كثير الحركات والاشعار وفى ذلك يقول

والناس كثر ولكن لا يقدر لى * الا مرافقة الملاح والحادى

وفى آخر وقته دخل بلاد اليمن وامتدح بمدينة عدن أبا الفرج ياسر بن أبى الندى بلال بن جرير المحمدى وزير محمد وأبى السعود ولدى عمران بن محمد الداعى سبا بن أبى السعود بن زريع بن العباس اليامى صاحب بلاد اليمن فأحسن اليه وأجزل صلته وفارقه وقد اثرى من جهته فركب البحر فانكسر المركب به وغرق جميع ما كان معه بجزيرة الناموس بالقرب من دهلك وذلك يوم الجمعة خامس ذى القعدة سنة ثلاث وستين وخمسمائة فعاد اليه وهو عريان فلما دخل عليه أنشده قصيدته التى أولها

صدرنا وقد نادى السماح بنا ردوا * فعدنا الى مغناك والعود أحمد

وهذه القصيدة من القصائد المختارة ولو لم يكن فيها سوى هذا البيت لكفاه ثم أنشده بعد ذلك قصيدة يصف فيها غرقه وأولها

سافر اذا حاولت قدرا * سار الهلال فصار بدرا
والماء يكسب ما جرى * طيبا ويخبث ما استقرا
وبنقلة الدرر النفيسة بدلت بالبحر نحرا
ياراويا عن ياسر * خبرا ولم يعرفه خبرا
اقرأ بغرة وجهه * صحف المنى ان كنت تقرا
والثم بنان يمينه * وقل السلام عليك بحرا
وغلطت فى تشبيهه * بالبحر اللهم غفرا
أوليس نلت بذا غنى * جما ونلت بذاك فقرا
وعهدت هذا الزل * مدا وذاك يعود جزرا

وهى قصيدة طويلة أحسن فيها كل الاحسان ومعنى البيت الثانى منها ماخوذ من قول بديع الزمان صاحب المقامات المتقدم ذكره فى حرف الهمزة فى أول رسالة قد ذكرتها فى ترجمته وهى الماء اذا طال مكثه ظهر خبثه والبيت الثالث من هذه القصيدة أيضا ماخوذ من قول سردر الشاعر المتقدم ذكره فى حرف العين وهو

قلقل ركابك فى الفلا * ودع الغوانى للخدور

فحالفو أوطانهم * امثال سكان القبور
لولا التنقل ما ارتقت * درر البحور الى النحور

وله فى جارية سوداء وهو معنى غريب

رب سوداء وهى بيضاء معنى * نافس المسك عندها الكافور
مثل حب العيون يحسبه النا * س سوادا وانما هو نور

ومحاسن ابن قلاقس نادرة وكانت ولادته بثغر الاسكندرية يوم الاربعاء رابع شهر ربيع الآخر سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة وتوفى ثالث شوال سنة سبع وستين وخمسمائة بعيذاب رحمه الله تعالى ودخل صقلية فى شعبان سنة ثلاث وستين وكان وصوله الى اليمن سنة خمس وستين وكان بصقلية بعض القواد يقال له القائد أبو القاسم ابن الحجر فاتصل به واحسن اليه وصنف له كتابا سماه الزهر الباسم فى اوصاف أبى القاسم واجاد فيه ولما فارق صقلية راجعا الى الديار المصرية وكان فى زمن الشتاء ردته الريح الى صقلية فكتب الى أبى القاسم المذكور قوله

منع الشتاء من الوصو * ل مع الرسول الى ديارى
فاعادنى وعلى اختيا * رى جاء من غير اختيارى
ولربما وقع الجبا * ر وكان من غرض المكارى

وقلاقس بقافين الاولى مفتوحة والثانية مكسورة وبينهما لام ألف وفى آخره سين مهملة وهو جمع قلقاس وهو معروف واللخمى تقدم الكلام عليه وكذلك الازهرى وعيذاب بفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الذال المعجمة وبعد الالف باء موحدة وهى بليدة على شاطئ بحر جدة يعدى منها الركب المصرى المتوجه الى الحجاز على طريق قوص فى ليلة واحدة فى أغلب الاوقات فيصل الى جدة ومنها الى مكة حرسها الله تعالى مسافة يوم وبجدة قبر أم البشر حواء رضى الله عنها على ما يقال وقبرها هنالك ظاهر يزار وياسر المذكور قتله شمس الدولة توران شاه المقدم ذكره عند دخوله اليمن

أبو الفتح نصر الله بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الاثير الجزرى الملقب ضياء الدين

كان مولده بجزيرة ابن عمر ونشأ بها وانتقل مع والده الى الموصل وبها اشتغل وحصل العلوم وحفظ كتاب الله الكريم وكثيرا من الاحاديث النبوية وطرفا صالحا من النحو واللغة وعلم البيان وشيأ كثيرا من الاشعار حتى قال فى أول كتابه الذى سماه الوشى المرقوم ما مثاله وكنت حفظت من الاشعار القديمة والمحدثة ما لا احصيه كثرة ثم اقتصرت بعد ذلك على شعر الطائيين حبيب بن أوس يعنى أبا تمام وأبى عبادة البحترى وشعر أبى الطيب المتنبى فحفظت هذه الدواوين الثلاثة وكنت اكرر عليها

بالدرس مدة سنين حتى تمكنت من صوغ المعاني وصار الادمان لي خلقا وطبعا
وانما ذكرت هذا الفصل في معرض ان المنشئ ينبغي ان يجعل دأبه في الترسل حل
المنظوم ويعتمد عليه في هذه الصناعة ولما كملت لضياء الدين المذكور الادوات قصد
جناب الملك الناصر صلاح الدين تغمده الله برحمته في شهر ربيع الاول سنة سبع
وثمانين وخمسمائة فوصله القاضي الفاضل بخدمة صلاح الدين في جمادى الآخرة من
السنة وأقام عنده الى شوال من السنة ثم طلبه ولده الملك الافضل نور الدين من والده
فخيره صلاح الدين بين الاقامة في خدمته والانتقال الى ولده ويبقى المعلوم الذي قرره له
باقيا عليه فاختار ولده فمضى اليه وكان يومئذ شابا فاستوزره ولده الملك الافضل نور
الدين علي المقدم ذكره رحمه الله تعالى وحسنت حاله عنده ولما توفي السلطان
صلاح الدين واستقل ولده الملك الافضل بمملكة دمشق استقل ضياء الدين المذكور
بالوزارة وردت أمور الناس اليه وصار الاعتماد في جميع الاحوال عليه ولما أخذت
دمشق من الملك الافضل وانتقل الى صرخد حسبما شرحناه في ترجمته وكان ضيا الدين
قد اساء العشرة مع أهلها فهموا بقتله فاخرجه الحاجب محاسن بن عجم مستخفيا
في صندوق مقفل عليه ثم صار اليه وصحبه الى مصر لما استدعي لنيابة ابن أخيه الملك
المنصور وقد تقدم ذكر ذلك كله في ترجمة الملك الافضل فاغنى عن الاعادة ولما قصد
الملك العادل الديار المصرية وأخذها من ابن أخيه كما ذكرناه هناك وتعوض الملك
الافضل البلاد الشرقية وخرج من مصر لم يخرج ضياء الدين في خدمته لانه خاف على
نفسه من جماعة كانوا يقصدونه فخرج منها مستترا وله في كيفية خروجه مستخفيا
رسالة طويلة شرح فيها حاله وهي موجودة في ديوان رسائله وغاب عن مخدومه الملك
الافضل مدة مديدة ولما استقر الافضل في سميساط عاد الى خدمته وأقام عنده مدة ثم فارقه
في ذي القعدة من سنة سبع وستمائة واتصل بخدمة أخيه الملك الظاهر غازي صاحب
حلب المتقدم ذكره فلم يطل مقامه عنده ولا انتظم أمره وخرج مغاضبا وعاد الى الموصل
فلم يستقم حاله فورد اربل فلم يستقم حاله فسافر الى سنجار ثم عاد الى الموصل واتخذها
دار اقامته واستقر وكتب الانشاء لصاحبها ناصر الدين محمود بن الملك القاهر
عز الدين مسعود بن نور الدين ارسلان شاه المقدم ذكره في حرف الهمزة واتابك يومئذ
الامير بدر الدين أبو الفضائل النوري وذلك في سنة ثماني عشر وستمائة ولقد ترددت
الى الموصل من اربل اكثر من عشر مرات وهو مقيم بها وكنت اود الاجتماع به لآخذ
عنه شيأ ولما كان بينه وبين الوالد رحمه الله تعالى من المودة الاكيدة فلم
يتفق ذلك ثم فارقت بلاد المشرق وانتقلت الى الشام واقمت به مقدار عشر سنين
ثم انتقلت الى الديار المصرية وهو في قيد الحياة ثم بلغني بعد ذلك خبر وفاته وأنا بالقاهرة
وسيأتي تاريخه في أواخر الترجمة ان شاء الله تعالى ولضياء الدين من التصانيف الدالة

على غزارة فضله وتحقيق نبله كتابه الذى سماه المثل السائر فى أدب الكاتب الشاعر وهو فى مجلدين جمع فيه فأوعى ولم يترك شيأ يتعلق بفن الكتابة الا ذكره ولما فرغ من تصنيفه كتبه الناس عنه فوصل الى بغداد منه نسخة فانتدب له الفقيه الاديب عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن حسين بن أبي الحديد المدايني وتصدى لمؤاخذته والرد عليه وعنته وجمع هذه المؤاخذات فى كتاب سماه الفلك الدائر على المثل السائر فلما أكمله وقف عليه أخوه موفق الدين أبو المعالى أحمد ويدعى القسم أيضا فكتب الى أخيه المذكور قوله

المثل الدائر ياسيدى * صنفت فيه الفلك الدائرا

لكن هذا فلك دائر * تصير فيه المثل السائرا

وكانت ولادة عز الدين المذكور بالمدائن يوم السبت مستهل ذى الحجة سنة ست وثمانين وخمسمائة وتوفى فى بغداد سنة خمس وخمسين وستمائة وتوفى أخوه موفق الدين المذكور ببغداد فى سنة ست وخمسين وستمائة بعد ان أخذها التتر بقليل وكانا فقيهين أديبين فاضلين لهما اشعار مليحة ومولد الموفق المذكور فى جمادى الآخرة وقيل فى شهر ربيع الاول سنة تسعين وخمسمائة بالمداين وله كتاب الوشى المرقوم فى حل المنظوم وهو مع وجازته فى غاية الحسن والافادة وله كتاب المعانى المخترعة فى صناعة الانشاء وهو أيضا نهاية فى بابه وله مجموع اختار فيه شعر أبى تمام والبحترى وديك الجن والمتنبي وهو فى مجلد واحد كبير وحفظه مفيد وقال أبو البركات بن المستوفى فى تاريخ اربل نقلت من خطه فى آخر هذا الكتاب المختار ما مثاله

تمتع به علقا نفيسا فانه * اختيار بصير بالامور حكيم

اطاعته أنواع البلاغة فاهتدى * الى الشعر من نهج اليه قويم

وله أيضا ديوان ترسل فى عدة مجلدات والمختار منه فى مجلد واحد ومن جملة رسائله ما كتبه الى مخدومه وقد سافر فى زمن الشتاء والبرد الشديد وينهى انه سار عن الخدمة وقد ضرب الدجن فيه مضاربه واسبل عليه ذوائبه وجعل كل قرارة حفيرا وكل ربوة غديرا وخط كل أرض خطا وغادر كل جانب شطا كانه يوازى يد مولانا فى شيمة كرمها والتثات صوب ديمها والمملوك يستغفر الله من هذا التمثيل العارى عن فائدة التحصيل وفرق بين ما يملأ الوادى بمائه ومن يملأ النادى بنعمائه وليس ما ينبت زهرا يذهبه المصيف أو عرايا كله الخريف كمن ينبت ثروة تفوت الاعطاف ويأكل المرتبع والمصطاف ثم استمر على مسير يقاسى الارض ووحلها والسماء ووبلها ولقد جاد حتى أكثر وواصل حتى أضجر واسرف حتى اتصل برها بالعقوق وما خاف المملوك لمع البوارق كما خاف لمع البروق ولم يزل من مواقع قطره فى حرب ومن شدة برده فى كرب والسلام ولما سمع صاحبنا الحسام عيسى بن سنجر بن بهرام

المعروف بالحاجرى الاربلى المتقدم ذكره هذا المعنى وهو قوله ومن شدة برده فى كرب أعجبه وتظم أبياتا ومن جملتها بيت اودعه هذا المعنى وهو

ويلاه من برد رضابه له * اشكو الى العذال منه الحريق

ومن وقف على هذا البيت ربما يتشوق الى الوقوف على بقية الابيات وهى قليلة فلا باس بذكرها وهى

بين لوى الجزع ووادى العقيق * من لا الى السلوان عنه طريق

جان جنى النحل من ريقه * حلو التثنى والثنايا رشيق

لو لم تكن وجنته جنة * ما انبتت ذلك العذار الانيق

ويلاه من برد رضابه له * اشكو الى العذال منه الحريق

واعجبا يفعل بى فى الهوى * ما تفعل الاعداء وهو الصديق

روحى فدى الظبى الذى قده * يفعل فعل السمهرى الدقيق

وقد سبق فى ترجمة النفيس القطرسى فى حرف الهمزة بيت من جملة أبياته الكافية يتضمن هذا المعنى وهو قوله

احرقت بالثغر الحبيث حشاى لما ذقت برده

وأصل هذا المعنى لابن التعاويذى المتقدم ذكره فى بيت من جملة قصيدته النونية المشهورة وهو

يذكى الجوى بارد من ثغره شبم * ويوقظ الوجد طرف منه وسنان

ومن رسائل ضياء الدين ما كتبه عن مخدومه الى الديوان العزيز من جملة رسالة وهى ودولته هى الضاحكة وان كان نسبها الى العباس فهى خير دولة أخرجت للزمن كان رعاياها خير أمة أخرجت للناس ولم يجعل شعارها من لون الشباب الا تفاؤلا بانها لا تهرم وانها لا تزال محبوة من ابكار السعادة بالحب الذى لا يبلى والوصل الذى لا يصرم وهذا معنى اخترعه الخادم للدولة وشعارها وهو مما خطه الاقلام فى صحفها ولا اجالته الخواطر فى افكارها أقول لعمرى ما انصف ضياء الدين فى دعواه الاختراع لهذا المعنى وقد سبقه اليه ابن التعاويذى أيضا فى قصيدته السينية التى مدح بها الامام الناصر لدين الله أبا العباس أحمد اول يوم جلس فى دست الخلافة وهو يوم الاحد مستهل ذى القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة واول القصيدة

طاف يسعى بها على الجلاس * كقضيب الاراكة المياس

ومنها عند الخلاص وهو المقصود بالذكر هنا

يا انهاز المشيب من لى وهيها * ت بليل الشبيبة الدعماس

حال بينى وبين لهوى واطرا * بى شر دهر أحال صبغة راسى

ورأى الغانيات شيبى فاعرضن وقلن السواد خير لباس

كيف لا يفضل السواد وقد * اضحى شعاراً على بني العباس

ولا شك ان ضياء الدين زاد على هذا المعنى لكن ابن التعاويذي هو الذي فتح الباب وأوضح السبيل فسهل على ضياء الدين سلوكه وله من جملة رسائله في ذكر العصا التي يتوكأ عليها الشيخ الكبير وهو معنى غريب وهذا لمبتدا ضعفي خبر والقوس ظهري وتر وان كان القاؤها اقامة فان حملها دليل على السفر وله في وصف المسلوبين من جملة كتاب يتضمن البشرى بهزيمة الكفار وهو

فسلبوا وعارضتهم الدماء عن اللباس * فهم في صورة عار وزيهم زي كاس

وما أسرع ما خيط لهم لباسها المحمر غير انه لم يجيب عليهم ولم يزر وما لبسوه حتى البس الاسلام شعار النصر الباقي على الدهر وهو شعار نسجه السنان الخارق لا الصنع الحاذق ولم يغب عن لابسه الا ريثما غابت البيض في الطلى والهام والف الطعن بين الف الخط واللام واول هذا الفصل مأخوذ من قول البحتري

سلبوا واشرقت الدماء عليهم * محمرة فكأنهم لم يسلبوا

وله رسالة يصف فيها الديار المصرية وهي طويلة ومن جملتها فصل في صفة نيلها وقت زيادته وهو معنى بديع غريب لم أقف لغيره على اسلوبه وهو قوله وعذب رضابه فضاهى جنى النحل واحمر صفيحة فعلمت انه قد قتل المحل وهذا المعنى نهاية في الحسن ثم اني وجدت هذا المعنى لبعض العرب وقد أخذ ضياء الدين منه وهو قوله

لله قلب ما يزال يروعه * برق الغمامة منجدا ومغورا

ما احمر في الليل البهيم صفيحة * متحيرا الا وقد قتل الكرى

ولقد أحسن في أخذه وتلطف في نقله الى هذا المعنى ومثله قول عبد الله بن المعتز المقدم ذكره في غلام ارمد

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم * من كثرة القتل مسها الوصب

حمرتها من دماء من قتلت * والدم في النصل شاهد عجب

وله كل معنى مليح في الترسل وكان يعارض القاضي الفاضل في رسائله فاذا أنشا رسالة أنشأ مثلها وكان بينهما مكاتبات ومجاوبات ولم يكن له في النظم شيء حسن وساذكر منه انموذجا وهو

ثلاثة تعطى الفرح * كاس وكوب وقدح

ما ذبح الزق لها * الا وللهم ذبح

وكان كثيرا ما ينشد

قلب كفاه من الصبابة انه * لبى دعاء الظاعنين وما دعي

ومن الظنون الفاسدات توهمي * بعد اليقين بقاؤه في أضلعي

وهذان البيتان من جملة أبيات للفقيه عمارة اليمني المقدم ذكره ومحاسنه كثيرة وقد طال

الشرح وذكره أبو البركات بن المستوفى فى تاريخ اربل وبالغ فى الثناء عليه وقال ورد اربل فى شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة وستمائة وكانت ولادته بجزيرة ابن عمر فى يوم الخميس العشرين من شعبان سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وتوفى فى احدى الجماديين سنة سبع وثلاثين وستمائة ببغداد وقد توجه اليها رسولا من جهة صاحب الموصل وصلى عليه من الغد بجامع القصر ودفن بمقابر قريش فى الجانب الغربى بمشهد موسى ابن جعفر رضى الله عنهما قال أبو عبد الله محمد بن النجار البغدادى فى تاريخ بغداد توفى يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر ربيع الآخر من السنة وهو أخبر لانه صاحب هذا الفن وقد مات عندهم وقد تقدم ذكر أخويه مجد الدين أبى السعادات المبارك وأبى الحسن على الملقب عز الدين وكان الاخوة الثلاثة فضلاء نجباء رؤساء لكل واحد منهم تصانيف نافعة رحمهم الله تعالى وكان لضياء الدين المذكور ولد نسبه له النظم والنثر الحسن وصنف عدة تصانيف نافعة من مجاميع وغيرها ورأيت له مجموعا جمعه الملك الاشرف بن الملك العادل بن أيوب وأحسن فيه وذكر فيه جملة من نظمه ونثره ورسائل أبيه ومولده بالموصل فى شهر رمضان سنة خمس وثمانين وخمسمائة وتوفى بكرة نهار الاثنين ثانى جمادى سنة اثنتين وعشرين وستمائة واسمه محمد ولقبه الشرف رحمه الله تعالى

أبو الحسن النضر بن شميل بن خرشه بن يزيد بن كلثوم بن عبده بن زهير السكب
الشاعر ابن عروة بن حليمه بن حجر بن خزاعى بن مازن بن مالك بن عمرو
ابن تميم التميمى المازنى النحوى البصرى

كان عالما بفنون من العلم صدوقا ثقة صاحب غريب وفقه وشعر ومعرفة بايام العرب ورواية الحديث وهو من أصحاب الخليل بن أحمد ذكره أبو عبيدة فى كتاب مثالب أهل البصرة فقال ضاقت المعيشة على النضر بن شميل البصرى بالبصرة فخرج يريد خراسان فشيعه من أهل البصرة نحو من ثلاثة آلاف رجل مافيهم الا محدث أو نحوى أو لغوى أو عروضى أو اخبارى فلما صار بالمربد جلس وقال يا أهل البصرة يعز على فراقكم والله لو وجدت كل يوم كيلجة باقلى ما فارقتكم قال فلم يكن أحد فيهم يتكلف له ذلك فسار حتى وصل خراسان فافاد بها مالا عظيما وكانت اقامته بمرو وقد سبق فى اخبار القاضى عبد الوهاب المالكى نظير هذه الحكاية لما خرج من بغداد وسمع من هشام بن عروة واسماعيل بن أبى خالد وحميد الطويل وعبد الله بن عون وهشام بن حسان وغيرهم من التابعين وروى عنه يحيى بن معين وعلى بن المدينى وكل من أدركه من أئمة عصره ودخل نيسابور غير مرة وأقام بها زمانا وسمع منه أهلها وله مع المأمون بن هارون الرشيد لما كان مقيما بمرو حكايات ونوادر لانه كان يجالسه فمن ذلك ما حكاه الحريرى فى كتاب درة الغواص فى أوهام الخواص فى قوله ويقولون هو سداد من عوز

فيلحنون فى فتح السين والصواب ان يقال بالكسر وقد جاء فى اخبار النحويين ان النضر بن شميل المازنى استفاد بافادة هذا الحرف ثمانين ألف درهم وساق خبره وذكر اسنادا انتهى فيه الى محمد بن ناصح الاهوازى قال حدثنى النضر بن شميل قال كنت ادخل على المأمون فى سمره فدخلت ذات ليلة وعلى ثوب مرقوع فقال يا نضر ما هذا التقشف حتى تدخل على أمير المؤمنين فى هذه الخلقان قلت يا أمير المؤمنين أنا شيخ ضعيف وحر مرو شديد فأتبرد بهذه الخلقان قال لا ولكنك قشف ثم أجرينا الحديث فاجرى هو ذكر النساء فقال حدثنا هشيم عن خالد عن الشعبى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز فاورده بفتح السين قال فقلت صدق يا أمير المؤمنين هشيم حدثنا عوف بن أبى جميلة عن الحسن عن على بن أبى طالب رضوان الله عليه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز قال وكان المأمون متكئا فاستوى جالسا وقال يا نضر كيف قلت سداد قلت لان السداد هنا لحن قال أو تلحننى قلت انما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه قال فما الفرق بينهما قلت السداد بالفتح القصد فى الدين والسبيل والسداد بالكسر البلغة وكل ما سددت به شيأ فهو سداد قال أو تعرف العرب ذلك قلت نعم هذا العرجى يقول

أضاعونى وأى فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

فقال المأمون قبح الله من لا ادب له وأطرق مليا ثم قال ما مالك يا نضر قلت اريضة لى بمرو أتصابها وأتمززها قال أفلا نفيدك مالا معها قلت انى الى ذلك لمحتاج قال فأخذ القرطاس وأنا لا أدرى ما يكتب ثم قال كيف تقول اذا امرت ان يترب قلت أتربه قال فهو ماذا قلت مترب قال فمن الطين قلت طنه قال فهو ماذا قلت مطين قال هذه أحسن من الاولى ثم قال يا غلام أتربه وطنه ثم صلى بنا العشاء وقال لخادمه تبلغ معه الى الفضل بن سهل قال فلما قرأ الفضل القرطاس قال يا نضر ان أمير المؤمنين قد أمر لك بخمسين ألف درهم فما كان السبب فيه فاخبرته ولم اكذبه فقال لحنت أمير المؤمنين فقلت كلا انما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه وقد تتبع الفاظ الفقهاء ورواة الآثار ثم أمر لى بثلاثين ألف درهم فأخذت ثمانين ألف درهم بحرف استفيد منى والبيت الذى استشهد به هو لعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الاموى العرجى الشاعر المشهور وهو من جملة أبيات له وهى هذه الابيات

اضاعونى وأى فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر
وصبرا عند معترك المنايا * وقد شرعت أسنتها بنحرى
اجرر فى الجوامع كل يوم * فيا لله مظلمتى وقسرى

كأني لم أكن فيهم وسيطا * ولم تك نسبتي في آل عمرو
عسى الملك المجيب لمن دعاه * سينجيني فيعلم كيف شكري
فأجزي بالكرامة أهل ودي * وأجزي بالضغائن أهل وتري

وكان سبب عمله هذه الابيات ان محمد بن هشام بن اسماعيل المخزومي خال هشام بن
عبد الملك لما كان والي مكة حبس العرجي المذكور لانه كان يشبب بامه جيدا وهي من
بني الحارث بن كعب ولم يكن ذلك لمحبته اياها بل ليفضح ولدها المذكور وأقام
في حبسه تسع سنين ثم مات فيه بعد ان ضربه بالسياط وشهره بالاسواق فعمل هذه
الابيات في السجن وقد خرجنا عن المقصود ونرجع الآن الى تتمة اخبار النضر فمن ذلك
ما حكاه الحريري في درة الغواص أيضا في أوائل الكتاب في قوله ويقولون للمريض
مسح الله ما بك بالسين والصواب فيه مصح بالصاد ويحكى ان النضر بن شميل المازني
مرض فدخل عليه قوم يعودونه فقال له رجل منهم يكنى أبا صالح مسح الله ما بك فقال
لا تقل مسح بالسين ولكن قل مصح بالصاد أي اذهبه وفرقه أما سمعت قول الاعشى

وإذا ما الخمر فيها أزبدت * أفل الازباد فيها ومصح

فقال له الرجل ان السين قد تبدل من الصاد كما يقال الصراط والسراط وصقر وسقر فقال
له النضر فاذاً أنت أبو سالح وتشبه هذه النادرة ما حكي أيضا ان بعض الادباء جوز بحضرة
الوزير أبي الحسن بن الفرات ان تقام السين مقام الصاد في كل موضع فقال له
الوزير أتقرأ جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم أم من سلح فخجل الرجل وانقطع
انتهى كلام الحريري قلت انا والذي ذكره أرباب اللغة في جواز ابدال الصاد من السين
ان كل كلمة كان فيها سين وجاء بعدها أحد الحروف الاربعة وهي الطاء والخاء
والغين والقاف فيجوز ابدال السين بالصاد فتقول في السراط الصراط وفي سخر لكم
صخر وفي مسغبة مصغبة وفي سيقل صيقل وقس على هذا كله ولم أر في كتب اللغة من
ذكر هذا وحكى فيه خلافا سوى الجوهري في كتاب الصحاح في لفظة صدغ فانه قال وربما
قالوا السدغ بالسين قال قطرب محمد بن المستنير ان قوما من بني تميم يقال لهم بلعنبر يقلبون
السين صادا عند أربعة أحرف عند الطاء والقاف والغين والخاء اذا كن بعد السين
ولا يبالي أثانية كانت أم ثالثة أم رابعة ان يكن بعدها يقولون سراط وصراط وبسطة
وبصطة وسيقل وصيقل وسرقت وصرقت ومسغبة ومصغبة ومسدغة ومصدغة
وسخر لكم وصخر لكم والسخب والصخب انتهى كلامه في هذا الفصل واخبار النضر
كثيرة والاختصار اولى وله تصانيف كثيرة فمن ذلك كتاب في الاجناس على مثال الغريب
وسماه كتاب الصفات قال علي بن الكوفي الجزء الاول منه يحتوي على خلق الانسان
والجود والكرم وصفات النساء والجزء الثاني يحتوي على الاخبية والبيوت وصفات
الجبال والشعاب والجزء الثالث يحتوي على الابل فقط والجزء الرابع يحتوي على الغنم

والطير والشمس والقمر والليل والنهار والالبان والكمأة والابار والحياض والارشية
والدلاء وصفة الخمر والجزء الخامس يحتوي على الزرع والكرم والعنب وأسماء البقول
والاشجار والرياح والسحاب والامطار وله كتاب السلاح وكتاب خلق الفرس وكتاب
الانواء وكتاب المعاني وكتاب غريب الحديث وكتاب المصادر وكتاب المدخل الى كتاب
العين للخليل بن أحمد وغير ذلك من التصانيف وتوفي في سلخ ذي الحجة سنة أربع ومائتين
وقيل في اولها وقيل سنة ثلاث ومائتين بمدينة مرو من بلاد خراسان وبها ولد ونشأ
بالبصرة فلذلك نسب اليها رحمه الله تعالى والنضر بفتح النون وسكون الضاد المعجمة
وبعدها راء وشميل بضم الشين المعجمة وفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها
لام وخرشة بفتح الخاء المعجمة والراء والشين المعجمة وكلثوم بضم الكاف والثاء المثلثة
وبينهما لام ساكنة وعبدة بفتح العين والدال المهملة وبينهما باء موحدة وهاء ساكنة
والسكب بفتح السين المهملة وسكون الكاف وبعدها باء موحدة وانما قيل له سكب
لقوله برق يضيء خلال البيت اسكوب وحليمة بفتح الحاء المهملة وكسر اللام وسكون
الياء المثناة من تحتها وقال ابن الجوزي في كتاب الالقاب في ترجمة السكب هو زهير بن
عروة بن جلهمة والله أعلم بالصواب وجلهمة بضم الجيم والهاء وبينهما لام ساكنة
وهو في الاصل اسم لجنب الوادي يقال له جلهمة وجلهة بفتح الجيم والهاء بغير ميم
وبه سمي الرجل وحجر بضم الحاء المهملة وبعدها جيم ساكنة ثم راء وخزاعي بضم
الخاء المعجمة وفتح الزاي وبعد الالف عين مهملة مكسورة ثم ياء مشددة تشبه ياء النسب
والباقي معروف فلا حاجة الى ضبطه

الامام

الامام أبو حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه ابن زوطي بن ماه الامام الفقيه الكوفي مولى تيم الله بن ثعلبة وهو من رهط حمزة الزيات

كان خزازا يبيع الخز وجده زوطي من أهل كابل وقيل من أهل بابل وقيل من
أهل الانبار وقيل من أهل نسا وقيل من أهل ترمذ وهو الذي مسه الرق فاعتق وولد
ثابت على الاسلام وقال اسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة أنا اسماعيل بن حماد بن
النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان من أبناء فارس من الاحرار والله ما وقع علينا رق
قط ولد جدي سنة ثمانين وذهب ثابت الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو صغير فدعا
له بالبركة فيه وفي ذريته ونحن نرجو ان يكون الله تعالى قد استجاب ذلك لعلي فينا
والنعمان بن المرزبان أبو ثابت هو الذي أهدى لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه
الفالوذج في يوم مهرجان فقال مهرجونا كل يوم هكذا قال الخطيب في تاريخه والله
تعالى أعلم وأدرك أبو حنيفة أربعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وهم أنس بن
مالك وعبد الله بن أبي أوفى بالكوفة وسهل بن سعد الساعدي بالمدينة وأبو الطفيل عامر
ابن واثلة بمكة ولم يلق أحدا منهم ولا أخذ عنه وأصحابه يقولون لقي جماعة من الصحابة

وروى عنهم ولم يثبت ذلك عند أهل النقل وذكر الخطيب فى تاريخ بغداد انه رأى أنس ابن مالك رضى الله عنه وأخذ الفقه عن حماد بن أبى سليمان وسمع عطاء بن أبى رباح وأبى اسحاق السبيعى ومحارب بن دثار والهيثم بن حبيب الصراف ومحمد بن المنكدر ونافعا مولى عبد الله بن عمر رضى الله عنهم وهشام بن عروة وسماك بن حرب وروى عنه عبد الله بن المبارك ووكيع بن الجراح والقاضى أبو يوسف ومحمد بن الحسن الشيبانى وغيرهم وكان عالما عاملا زاهدا عابدا ورعا تقيا كثير الخشوع دائم التضرع الى الله تعالى ونقله أبو جعفر المنصور من الكوفة الى بغداد فأراده على ان يوليه القضاء فأبى فحلف عليه ليفعلن فحلف أبو حنيفة ان لا يفعل فحلف المنصور ليفعلن فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل وقال انى لن أصلح الى قضاء فقال الربيع بن يونس الحاجب الاترى أمير المؤمنين يحلف فقال أبو حنيفة أمير المؤمنين على كفارة ايمانه اقدر منى على كفارة ايمانى فأمر به الى الحبس فى الوقت والعوام يدعون انه تولى عدد اللبن أياما ليكفر بذلك عن يمينه ولم يصح هذا من جهة النقل وقال الربيع رأيت المنصور ينازل أبا حنيفة فى أمر القضاء وهو يقول اتق الله ولا ترع فى امانتك الامن يخاف الله والله ما انا مأمون الرضا فكيف أكون مأمون الغضب ولو اتجه الحكم عليك ثم تهددتنى ان تغرقنى فى الفرات أو تلى الحكم لاخترت ان اغرق ولك حاشية يحتاجون الى من يكرمهم لك ولا أصلح لذلك فقال له كذبت أنت تصلح فقال له قد حكمت لى على نفسك كيف يحل لك ان تولى قاضيا على امانتك وهو كذاب وحكى الخطيب أيضا فى بعض الروايات ان المنصور لما بنى مدينته ونزلها ونزل المهدى فى الجانب الشرقى وبنى مسجد الرصافة أرسل الى أبى حنيفة فجئ به فاعرض عليه قضاء الرصافة فأبى فقال له ان لم تفعل ضربتك بالسياط قال أوتفعل قال نعم فقعد فى القضاء يومين لم يأته أحد فلما كان فى اليوم الثالث أتاه رجل صفار ومعه آخر فقال الصفار لى على هذا درهمان وأربعة دوانق ثمن تور صفر فقال أبو حنيفة اتق الله وانظر فيما يقول الصفار قال ليس له على شئ فقال أبو حنيفة للصفار ما تقول فقال استحلفه لى فقال أبو حنيفة للرجل قل والله الذى لا اله الا هو فجعل يقول فلما رآه أبو حنيفة معتمدا على ان يقول قطع عليه وضرب بيده الى كمه فحل صرة وأخرج درهمين ثقيلين وقال للصفار هذان الدرهمان عوض عن باقى تورك فنظر الصفار اليهما وقال نعم فأخذ الدرهمين فلما كان بعد يومين اشتكى أبو حنيفة فمرض ستة أيام ثم مات وكان يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى أمير العراقين أراده ان يلى القضاء بالكوفة أيام مروان بن محمد آخر ملوك بنى أمية فأبى عليه فضربه مائة سوط وعشرة أسواط كل يوم عشرة أسواط وهو على الامتناع فلما رأى ذلك خلى سبيله وكان أحمد بن حنبل رضى الله عنه اذا ذكر ذلك بكى وترحم على أبى حنيفة وذلك بعد ان ضرب أحمد على القول بخلق القرآن وقال اسماعيل بن

حماد بن أبي حنيفة مررت مع أبي بالكناسة فبكى فقلت له يا أبت ما يبكيك فقال يا بني في هذا الموضع ضرب ابن هبيرة أبي عشرة ايام في كل يوم عشرة أسواط على ان يلي القضاء فلم يفعل والكناسة بضم الكاف موضع بالكوفة وكان أبو حنيفة حسن الوجه حسن المجلس شديد الكرم حسن المواساة لاخوانه وكان ربعة من الرجال وقيل كان طوالا تعلوه سمرة أحسن الناس منطقا وأحلاهم نغمة وذكر الخطيب في تاريخه ان أبا حنيفة رأى في المنام كأنه ينبش قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث من سأل ابن سيرين فقال ابن سيرين صاحب هذه الرؤيا يثور علما لم يسبقه اليه أحد قبله قال الشافعي رضي الله عنه قيل لمالك هل رأيت أبا حنيفة فقال نعم رأيت رجلا لو كلمته في هذه السارية ان يجعلها ذهبا لقام بحجته وروى حرملة بن يحيى عن الشافعي رضي الله عنه انه قال الناس عيال على هؤلاء الخمسة من أراد ان يتبحر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة وكان أبو حنيفة ممن وفق له الفقه ومن أراد ان يتبحر في الشعر فهو عيال على زهير بن أبي سلمى ومن أراد ان يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن اسحاق ومن أراد ان يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي ومن أراد ان يتبحر في التفسير فهو عيال على مقاتل بن سليمان هكذا نقله الخطيب في تاريخه وقال يحيى بن معين القراءة عندي قراءة حمزة والفقه فقه أبي حنيفة على هذا ادركت الناس وقال جعفر بن ربيع أقمت على أبي حنيفة خمس سنين فما رأيت أطول صمتا منه فاذا سئل عن الفقه تفتح وسال كالوادي وسمعت له دويا وجهارة في الكلام وكان اماما في القياس وقال علي بن عاصم دخلت على أبي حنيفة وعنده حجام يأخذ من شعره فقال للحجام تتبع مواضع البياض فقال الحجام ولا تزد فقال ولم قال لانه يكثر قال فتتبع مواضع السواد لعله يكثر وحكيت لشريك هذه الحكاية فضحك وقال لو ترك أبو حنيفة قياسه لتركه مع الحجام وقال عبد الله بن رجاء كان لابي حنيفة جار بالكوفة اسكاف يعمل نهاره اجمع حتى اذا جنه الليل رجع الى منزله وقد حمل لحما فطبخه أو سمكة فيشويها ثم لا يزال يشرب حتى اذا دب الشراب فيه غرد بصوت وهو يقول

اضاعوني وأي فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

فلا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم وكان أبو حنيفة يسمع جلبته كل ليلة وأبو حنيفة كان يصلي الليل كله ففقد أبو حنيفة صوته فسأل عنه فقيل أخذه العسس منذ ليال وهو محبوس فصلى أبو حنيفة صلاة الفجر من الغد وركب بغلته واستأذن على الامير فقال الامير ائذنوا له وأقبلوا به راكبا ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط ببغلته ففعل ولم يزل الامير يوسع له في مجلسه وقال ما حاجتك فقال لي جار اسكاف أخذه العسس منذ ليال يأمر الامير بتخليته فقال نعم وكل من أخذ في تلك الليلة الى يومنا هذا فأمر بتخليتهم أجمعين فركب أبو حنيفة والاسكاف يمشي وراءه فلما نزل أبو حنيفة مضى اليه وقال يا فتى

أضعافك فقال لا بل حفظت ورعيت جزاك الله خيراً عن حرمة الجوار ورعاية الحق وتاب الرجل ولم يعد الى ما كان عليه وقال ابن المبارك رأيت أبا حنيفة في طريق مكة وقد شوى لهم فصيل سمين فاشتهوا ان يأكلوه بخل فلم يجدوا شيئاً يصبون فيه الخل فتحيروا فرأيت أبا حنيفة وقد حفر في الرمل حفرة وبسط عليها السفرة وسكب الخل على ذلك الموضع فأكلوا الشواء بالخل فقالوا تحسن كل شيء فقال عليكم بالشكر فان هذا شيء ألهمته لكم فضلاً من الله عليكم وقال ابن المبارك أيضاً قلت لسفيان الثوري يا عبد الله ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة ما سمعته يغتاب عدواً له قط فقال هو أعقل من ان يسلط على حسناته ما يذهبها وقال أبو يوسف دعا أبو جعفر المنصور أبا حنيفة فقال الربيع صاحب المنصور وكان يعادي أبا حنيفة يا أمير المؤمنين هذا أبو حنيفة يخالف جدك كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول اذا حلف على اليمين ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو بيومين جاز الاستثناء وقال أبو حنيفة لا يجوز الاستثناء الا متصلاً باليمين فقال أبو حنيفة يا أمير المؤمنين ان الربيع يزعم انه ليس لك في رقاب جندك بيعة قال وكيف قال يحلفون لك ثم يرجعون الى منازلهم فيستثنون فتبطل ايمانهم فضحك المنصور وقال يا ربيع لا تتعرض لابي حنيفة فلما خرج أبو حنيفة قال له الربيع أردت ان تشيط بدمي قال لا ولكنك أردت ان تشيط بدمي فخلصتك وخلصت نفسي وكان أبو العباس الطوسي سيء الرأي في أبي حنيفة وكان أبو حنيفة يعرف ذلك فدخل أبو حنيفة على المنصور وكثر الناس فقال الطوسي اليوم أقتل أبا حنيفة فأقبل عليه فقال يا أبا حنيفة ان أمير المؤمنين يدعو الرجل فيأمره بضرب عنق الرجل لا يدري ما هو أيسعه ان يضرب عنقه فقال يا أبا العباس أمير المؤمنين يأمر بالحق أم بالباطل فقال بالحق قال أنفذ الحق حيث كان ولا تسأل عنه ثم قال أبو حنيفة لمن قرب منه ان هذا أراد ان يوثقني فربطته وقال يزيد بن الكميت كان أبو حنيفة شديد الخوف من الله تعالى فقرأ بنا علي بن الحسين المؤذن ليلة في العشاء الآخرة سورة اذا زلزلت وأبو حنيفة خلفه فلما قضى الصلاة وخرج الناس نظرت الى أبي حنيفة وهو جالس يتفكر ويتنفس فقلت أقوم لا يشتغل قلبه بي فلما خرجت تركت القنديل ولم يكن فيه الا زيت قليل فجئت وقد طلع الفجر وهو قائم وقد أخذ بلحية نفسه وهو يقول يا من يجزي بمثقال ذرة خير خيراً ويا من يجزي بمثقال ذرة شر شراً أجر النعمان عبدك من النار ومما يقرب منها من السوء وادخله في سعة رحمتك قال فأذنت واذا القنديل يزهر وهو قائم فلما دخلت قال لي تريد ان تأخذ القنديل قلت قد أذنت لصلاة الغداة فقال اكتم علي ما رأيت وركع ركعتين وجلس حتى أقمت الصلاة وصلى معنا الغداة على وضوء أول الليل وقال أسد بن عمرو صلى أبو حنيفة فيما حفظ عليه صلاة الفجر بوضوء العشاء اربعين سنة وكان عامة ليله يقرأ جميع القرآن في ركعة واحدة

وكان يسمع بكاؤه في الليل حتى يرحمه جيرانه وحفظ عليه انه ختم القرآن في الموضع الذى توفى فيه سبعة آلاف ختمة وقال اسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة عن أبيه لما مات أبي سألنا الحسن بن عمارة ان يتولى غسله ففعل فلما غسله قال رحمك الله وغفر لك لم تفطر منذ ثلاثين سنة ولم تتوسد يمينك في الليل منذ أربعين سنة وقد أتعبت من بعدك وفضحت القراء ومناقبه وفضائله كثيرة وقد ذكر الخطيب في تاريخه منها شيأ كثيرا ثم اعقب ذلك بذكر ما كان الاليق تركه والاضراب عنه فمثل هذا الامام لا يشك في دينه ولا في ورعه وتحفظه ولم يكن يعاب بشئ سوى قلة العربية فمن ذلك ما روى ان أبا عمرو بن العلاء المقرى النحوى المقدم ذكره سأله عن القتل بالمثقل هل يوجب القود ام لا فقال لا كما هو قاعدة مذهبه خلافا للامام الشافعي رضي الله عنه فقال له أبو عمرو ولو قتله بحجر المنجنيق فقال ولو قتله بأبا قبيس يعني الجبل المطل على مكة حرسها الله تعالى وقد اعتذروا عن أبي حنيفة بانه قال ذلك على لغة من يقول ان الكلمات الست المعربة بالحروف وهي أبوه وأخوه وحموه وهنوه وفوه وذومال اعرابها يكون في الاحوال الثلاث بالالف وانشدوا في ذلك

ان أباها وأبا أباها * قد بلغا في المجد غايتاها

وهي لغة الكوفيين وأبو حنيفة من أهل الكوفة فهي لغته والله أعلم وهذا وان كان خروجا عن المقصود لكن الكلام ارتبط بعضه ببعض فانتشر وكانت ولادة أبي حنيفة سنة ثمانين للهجرة وقيل سنة احدى وستين والاول اصح وتوفي في رجب وقيل في شعبان سنة خمسين ومائة وقيل ثلاث وخمسين والاول أصح وكانت وفاته ببغداد في السجن ليلي القضا فلم يفعل هذا هو الصحيح وقيل انه لم يمت في السجن وقيل توفي في اليوم الذى ولد فيه الامام الشافعي رضي الله عنهما ودفن في مقبرة الخيزران وقبره هنالك مشهور بزاروزوطى بضم الزاي وسكون الواو وفتح الطاء المهملة وبعدها ألف مقصورة وهو اسم نبطى وكابل بفتح الكاف وضم الباء الموحدة بعد الالف وبعدها لام وهي ناحية معروفة من بلاد الهند ينسب اليها جماعة من العلماء وغيرهم وأما بابل والانبار فهما معروفان فلا حاجة الى الكلام عليهما وبنى شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور الخوارزمي مستوفى مملكة السلطان ملكشاه السلجوقي على قبر الامام أبي حنيفة مشهدا وقبة وبنى عنده مدرسة كبيرة للحنفية ولما فرغ من عمارة ذلك ركب اليها في جماعة من الاعيان ليشاهدوها فبيناهم هنالك اذ دخل عليهم الشريف أبو جعفر مسعود المعروف بالبياضي الشاعر المقدم ذكره وأنشد

ألم تر ان العلم كان مبددا * فجمعه هذا المغيب في اللحد

كذلك كانت هذه الارض ميتة * فأنشرها فعل العميد أبي سعد

فاجازه أبو سعد بجائزة سنية ولهذا أبي سعد مدرسة بمدينة مرو وله عدة ربط وخانات

فى المفاوز وكان كثير الخير وعمل المعروف واقتلع آخر عمره عن الخدمة ولزم بيته وكانوا يراجعونه فى الامور وتوفى فى المحرم سنة أربع وستين وأربعمائة باصبهان رحمه الله تعالى وكان بناء المشهد والقبة فى سنة تسع وخمسين وأربعمائة وقد تقدم فى ترجمة ألب ارسلان محمد والد السلطان ملكشاه انه بنى مشهدا على قبر الامام أبى حنيفة وكذلك وجدته فى بعض التواريخ وقد غاب عنى الآن من أين نقلته ثم وجدت بعد ذلك ان الذى بنى المشهد والقبة أبو سعد المذكور والظاهر ان أبا سعد بناهما نيابة عن ألب ارسلان المذكور وهو كان المباشر كما جرت عادة النواب مع ملوكهم فنسبت العمارة اليه بهذه الطريق ويدل على ذلك ان تاريخ العمارة فى ايام ألب ارسلان وأبو سعد كان مستوفيا فى ايامه ثم استمر على وظيفته فى ايام ولده ملكشاه وهذا الذى ذكرته للجمع بين القولين والله أعلم

أبو حنيفة النعمان بن أبى عبد الله محمد بن منصور بن أحمد بن حيون أحد الائمة الفضلاء المشار اليهم

غربى

ذكره الامير المختار المسبحى فى تاريخه فقال كان من أهل العلم والفقه والدين والنبل على ما لا مزيد عليه وله عدة تصانيف منها كتاب اختلاف أصول المذاهب وغيره انتهى كلام المسبحى فى هذا الموضع وكان مالكى المذهب ثم انتقل الى مذهب الامامية وصنف كتاب ابتداء الدعوة للعبيديين وكتاب الاخبار فى الفقه وكتاب الاقتصار فى الفقه أيضا وقال ابن زولاق فى كتاب اخبار قضاة مصر فى ترجمة أبى الحسن على بن النعمان المذكور ما مثاله وكان أبوه النعمان بن محمد القاضى فى غاية الفضل من أهل القرآن والعلم بمعانيه وعالما بوجوه الفقه وعلم اختلاف الفقهاء واللغة والشعر الفحل والمعرفة بايام الناس مع عقل وانصاف والف لاهل البيت من الكتب آلاف اوراق باحسن تأليف واملح سجع وعمل فى المناقب والمثالب كتابا حسنا وله ردود على المخالفين له رد على أبى حنيفة وعلى مالك والشافعى وعلى ابن سريج وكتاب اختلاف الفقهاء ينتصر فيه لاهل البيت رضى الله عنهم وله القصيدة الفقهية لقبها بالمنتخبة وكان أبو حنيفة المذكور ملازما صحبة المعز أبى تميم معد بن المنصور المتقدم ذكره ولما وصل من افريقية الى الديار المصرية كان معه ولم تطل مدته ومات فى مستهل رجب سنة ثلاث وستين وثلثمائة بمصر وذكر أحمد بن محمد بن عبد الله الفرغانى فى سيرة القائد جوهر انه توفى فى ليلة الجمعة سلخ جمادى الآخرة من السنة وصلى عليه المعز وذكر ابن زولاق فى تاريخه بعد ذكر وفاة المعز وذكر أولاده وقضاة المعز فقال قاضيه الواصل معه من المغرب أبو حنيفة النعمان بن محمد الداعى ولما وصل الى مصر وجد جوهرا قد استخلف على القضاء أبا طاهر الذهلى البغدادى فاقره انتهى كلام ابن زولاق وكان والده أبو عبد الله محمد قد عمر ويحكى اخبارا كثيرة نفيسة حفظها وعمره مائة وأربع سنين وتوفى

فى رجب سنة احدى وخمسين وثلثمائة وصلى عليه ولده أبو حنيفة المذكور ودفن فى باب سلم وهو أحد أبواب القيروان وكان عمره مائة وأربع سنين وكان لابى حنيفة أولاد نجباء سراة فمنهم أبو الحسن على بن النعمان اشرك المعز المذكور بينه وبين أبى طاهر محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن بجير بن صالح بن اسامة الذهلى قاضى مصر فى الحكم ولم يزالا مشتركين فيه الى ان توفى المعز وأقام بالامر ولده العزيز نزار وقد تقدم ذكره أيضا فرد الى القاضى أبى الحسن المذكور أمر الجامعين ودار الضرب وهما على الاشتراك فى الحكم واستمر على ذلك الى ان لحقت القاضى أباطاهر المذكور رطوبة عطلت شقه ومنعته من الحركة والسعى الا محمولا فركب العزيز المذكور الى الجزيرة التى بين مصر والجيزة فى مستهل صفر سنة ست وستين وثلثمائة فحمل أبو طاهر اليه فلقيه والشهود معه عند باب الصناعة فرآه نحيلا وسأله استخلاف ولده أبى العلاء بسبب ما يجده من الضعف فحكى عن العزيز انه قال مابقى الاان تقلدوه ثم قلد العزيز ثالث هذا اليوم القاضى أبا الحسن على بن النعمان المذكور القضاء مستقلا فركب الى جامع القاهرة وقرأ سجله ثم عاد الى الجامع العتيق بمصر وقرأ سجله وكان القارئ أخاه أباعبد الله محمد بن النعمان وكان فى سجله القضاء بالديار المصرية والشام والحرمين والمغرب وجميع مملكة العزيز والخطابة والامامة والعيار فى الذهب والفضة والموازين والمكاييل ثم انصرف الى داره فى جمع عظيم ولم يتأخر عنه أحد وأقام القاضى أبو طاهر المذكور منقطعا فى بيته عليلا وأصحاب الحديث يترددون اليه ويسمعون عليه الى ان توفى سلخ ذى القعدة سنة سبع وستين وثلثمائة وسنه ثمان وثمانون سنة ومدة ولايته ست عشرة سنة وسبعة عشر يوما وأذن له العزيز أيضا ان ينظر فى الاحكام فى هذه المدة فلم يكن فيه فضل وكان قد حكم فى الجانب الغربى ببغداد أيضا ثم انتقل الى مصر ثم ان القاضى أبا الحسن استخلف فى الحكم أخاه أباعبد الله محمدا وفوض اليه الحكم بدمياط وتنيس والفرما والجفار فخرج اليها واستخلف بها ثم عاد ثم سافر العزيز الى الشام فى سنة سبع وستين وسافر معه القاضى أبو الحسن المذكور وجلس أخوه محمد مكانه للحكم بين الناس وكان القاضى أبو الحسن المذكور مفننا فى عدة فنون منها علم القضاء والقيام به بوقار وسكينة وعلم الفقه والعربية والادب والشعر وايام الناس وكان شاعرا مجيدا فى الطبقة العليا ومن شعره مارواه أبو منصور الثعالبى فى كتاب يتيمة الدهر وهو قوله

ولى صديق ما مسنى عدم * مذ وقعت عينه على عدم
اغنى واقنى ومايكلفنى * تقبيل كف له ولا قدم
قام بامرى لما قعدت به * ونمت عن حاجتى ولم ينم

وأورد له الثعالبى أيضا فى المعنى

صديق لى له أدب * صداقة مثله نسب

يرى لى فوق مايرى * وأوجب فوق مايجب
فلو نقدت خلائقه * لبهرج عندها الذهب

وأورد له أبو الحسن الباخرزى المتقدم ذكره فى كتابه دمية القصر وأوردها أيضا أبو محمد بن زولاق فى كتاب اخبار قضاة مصر فى ترجمة أبى الحسن المذكور أبياتا أحسن فيها كل الاحسان وهى

رب خود عرفت فى عرفات * سلبتنى بحسنها حسناتى
حرمت حين احرمت نوم عينى * واستباحت حماى باللحظات
وافاضت مع الحجيج ففاضت * من جفونى سوابق العبرات
ولقد اضرمت على القلب جمرا * محرقا اذ مشت الى الجمرات
لم انل من منى منى النفس حتى * خفت بالخيف ان تكون وفاتى

ولم يزل أبو الحسن المذكور مستمرا على احكامه وافر الحرمة عند العزيز حتى اصابته الحمى وهو بالجامع ينظر فى الاحكام فقام من وقته ومضى الى داره وأقام عليلا أربع عشرة يوما وتوفى فى يوم الاثنين لست خلون من رجب سنة أربع وسبعين وثلثمائة وأخرج تابوته من الغد الى العزيز وهو معسكر بسطح الجب عند الموضع المعروف الآن بالبركة فوضع التابوت فى المسجد المعروف بالبئر والجميزة وسار العزيز اليه من مخيمه حتى صلى عليه فى المسجد وردت الجنازة الى داره بالحمراء فدفن فيها والحمراء محلة بمصر وهى ثلاث حمراوات واغا قيل لها الحمراء لنزول الروم بها وأرسل العزيز الى أخيه أبى عبد الله محمد المذكور فى هذه الترجمة وكان ينوب عن أخيه أبى الحسن كما ذكرنا فقال له ان القضاء لك من بعد أخيك ولا نخرجه عن هذا البيت وكانت مدة ولاية أبى الحسن تسع سنين وخمسة أشهر وأربعة أيام وكانت ولادته بالمغرب فى شهر ربيع الاول سنة تسع وعشرين وثلثمائة رحمه الله تعالى واقامت مصر بغير قاض ينظر فيها ثمانية عشر يوما لان أبا عبد الله كان مريضا ثم خف عنه المرض فركب فى وقته الى معسكر العزيز يوم الخميس لثمان بقين من رجب ثم عاد من عنده الى الجامع العتيق بمصر فى يوم الجمعة وقد قلده العزيز القضاء وخلع عليه وقلده سيفا فلم يقدر على النزول فى الجامع لضعفه من العلة فسار الى داره ونزل ولده وجماعة من أهل بيته الى الجامع العتيق بمصر وقرئ سجله بعد صلاة الجمعة وكان مثل سجل أخيه أبى الحسن فى جميع ولايته وفى ذى القعدة سنة أربع وسبعين وثلثمائة استخلف ولده أبا القاسم عبد العزيز على القضاء بالاسكندرية بأمر العزيز وخلع عليه العزيز وفى يوم الجمعة مستهل جمادى الاولى سنة خمس وسبعين عقد القاضى محمد بن النعمان المذكور نكاح ولده أبى القاسم عبد العزيز المذكور على ابنة القائد أبى الحسن جوهر المتقدم ذكره فى حرف الجيم وكان العقد فى مجلس العزيز ولم يحضره الا خواصه وكان الصداق ثلاثة آلاف دينار والكتاب ثوبا مصمتا

وكان

وكان المعز أبو تميم معد والد العزيز المذكور قد تقدم وهو بالمغرب الى القاضي أبي حنيفة النعمان المذكور في اول الترجمة بعمل اسطرلاب فضة وان يجلس مع الصائغ أحد ثقاته فاجلس أبو حنيفة ولده المذكور محمدا فلما فرغ الاسطرلاب حمله أبو حنيفة الى المعز فقال له من اجلست معه فقال ولدي محمدا فقال هو قاضي مصر فكان كما قال لان المعز كانت تحدثه نفسه أبدا بأخذ مصر فلهذا تلفظ بهذا الكلام ووافقته السعادة مع المقادير وقال القاضي محمد المذكور كان المعز اذا رآني وأنا صبي بالمغرب يقول لولده العزيز هذا قاضيك وكان محمد جيد المعرفة بالاحكام متفننا في علوم كثيرة حسن الادب والدراية بالاخبار والشعر وايام الناس وله شعر فمن ذلك قوله

اياما مشبه البدر بدر السماء * لسبع وخمس مضت واثنتين
ويا كامل الحسن في نعته * شغلت فؤادي واسهرت عيني
فهل لي من مطمع ارتجيـ * ـه والا انصرفت بخفي حنين
ويشمت بي شامت في هوا * ك ويفصح لي ظلت صفر اليدين
فاما مننت واما قتلت * فأنت القدير على الحالتين

وكتب اليه عبد الله بن الحسن الجعفري السمرقندي

تعادلت القضاة على قاما * ابو عبد الاله فلا عديل
وسيد في قضاياه غريب * خطير في مفاخره جليل
تألق بهجة ومضى اعتزاما * كما يتألق السيف الصقيل
فيقضي والسداد له حليف * ويعطي والغمام له رسيل
لو اختبرت قضاياه لقالوا * يؤيده عليها جبرئيل
اذا رقي المنابر فهو قس * وان حضر المشاهد فالخليل

فكتب اليه القاضي محمد المذكور

قرأنا من قريضك ما يروق * بدائع حاكها طبع رقيق
كأن سطورها روض انيق * تضوع بينها مسك فتيق
اذا ما انشدت اريحت وطابت * منازلها بها حتى الطريق
وانا تائقون اليك فاعلم * وأنت الى زيارتنا تتوق
فواصلنا بها في كل يوم * فانت بكل مكرمة حقيق

وقال ابن زولاق في اخبار قضاة مصر ولم نشاهد بمصر لقاض من القضاة من الرياسة ما شاهدناه لمحمد بن النعمان ولا بلغنا ذلك عن قاض بالعراق ووافق ذلك استحقاقا لما فيه من العلم والصيانة والتحفظ واقامة الحق والهيبة وفي المحرم سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة استخلف ولده ابا القاسم عبد العزيز المذكور في الاحكام بالقاهرة ومصر على الدوام بعد ان كان ينظر فيها يوم الاثنين والخميس لا غير فصار يسمع البينات ويحكم ويسجل

وكان يعلمه أولا وله أخيه وهو أبو عبد الله الحسين بن علي بن النعمان فصرفه لعشر
خلون من جمادي الاولى سنة سبع وسبعين واستخلف ولده أبا القاسم عبد العزيز
المذكور في الاثنين والخميس خاصة وارتفعت رتبة القاضي محمد عند العزيز حتى اصعده
معه الى المنبر يوم عيد النحر سنة خمس وثمانين ولما توفي العزيز في التاريخ المذكور
في ترجمته تولى غسله القاضي محمد المذكور وقام بالامر من بعده ولده الحاكم المقدم
ذكره فأقر القاضي محمدا على اشغاله وزادت منزلته عنده رفعة وبسط يده ولما حصلت له
المنزلة عنده والمكانة من الدولة كثرت علله ولازمه النقرس والقولنج فكان اكثر اوقاته
عليلا والاستاذ أبو الفتوح برجوان المقدم ذكره في جلالته وعظم شأنه يعوده كل وقت
ثم تزايدت علته وتوفي ليلة الثلاثاء بعد العشاء الآخرة رابع صفر سنة تسع وثمانين
وثلثمائة وركب الحاكم الى داره بالقاهرة وصلى عليه فيها ووقف على دفنه ثم انصرف
الى قصره وكانت ولادته يوم الاحد لثلاث خلون من صفر سنة أربعين وثلثمائة بالمغرب
ووهب الحاكم داره لبعض أصحابه فنقل القاضي محمد المذكور الى داره التي بمصر يوم
الاربعاء لتسع خلون من شهر رمضان من السنة ثم نقل عشية الجمعة لعشر خلون من شهر
رمضان المذكور الى مقبرة أخيه وأبيه بالقرافة رحمهم الله تعالى ولما مات القاضي
محمد أبو عبد الله المذكور اقامت مصر بغير قاض أكثر من شهر ثم قلد الحاكم صاحب
مصر القضاء أبا عبد الله الحسين بن علي بن النعمان الذي كان ينوب عن عمه القاضي محمد
أبي عبد الله المذكور وصرفه واستخلف ولده أبا القاسم عبد العزيز وقد تقدم ذكر
ذلك في هذه الترجمة وكانت ولاية الحسين المذكور لست خلون من شهر ربيع الاول
سنة تسع وثمانين وثلثمائة واستمر في الحكم الى يوم الخميس سادس عشر رمضان
سنة أربع وتسعين فصرف بابن عمه أبي القاسم عبد العزيز بن محمد المقدم ذكره
ثم ضربت عنق الحسين بن علي بن النعمان المذكور يوم الاحد سادس المحرم سنة خمس
وتسعين في حجرته واحرقت جثته وذلك بأمر الحاكم لقصة يطول شرحها واستقل
أبو القاسم في الاحكام وضم اليه الحاكم المظالم ولم يجتمعا قبله لاحد من
أهله وعلت رتبته عند الحاكم واصعده معه على المنبر يوم عيد الفطر بعد قائد القواد
وكذلك في عيد النحر وتصلب في الاحكام وتشدد على من عانده من رؤساء الدولة ورسم
على جماعة من وجب عليه حق فامتنع من الخروج منه ولم يزل قاضيا في جميع ما فوضه
اليه الحاكم الى ان صرفه عن ذلك جميعه يوم الجمعة سادس عشر رجب سنة ثمان
وتسعين وثلثمائة وفوض القضاء الى أبي الحسن مالك بن سعيد بن مالك الفارقي وأخرجه
عن أهل بيت النعمان ثم ان الحاكم أمر الاتراك بقتل القاضي أبي القسم عبد العزيز
المذكور والقائد أبي عبد الله الحسين بن جوهر وأبي علي اسماعيل أخي القائد فضل
ابن صالح فقتلوهم ضربا بالسيوف في ساعة واحدة لامر يطول شرحه وذلك يوم الجمعة

الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة احدى وأربعمائة رحمهم الله تعالى وكانت ولادة أبي القاسم عبد العزيز المذكور يوم الاثنين مستهل ربيع الاول سنة أربع وخمسين وثلثمائة وأما القاضي أبو طاهر المذكور فقال أبو منصور أحمد بن عبد الله ابن أحمد الفرغاني المصري في تاريخه انه كان كثير الرواية حسن المجالسة شيخ مع الشيوخ كهل مع الكهول شاب مع الشباب وتوفي لليلة بقيت من ذي القعدة سنة سبع وستين وثلثمائة رحمهم الله تعالى

السيدة نفيسة ابنة أبي محمد الحسن بن زيد بن الحسن بن علي
ابن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين

دخلت مصر مع زوجها اسحاق بن جعفر الصادق رضي الله عنه وقيل دخلت مع أبيها الحسن وان قبره بمصر لكنه غير مشهور وانه كان واليا على المدينة من قبل أبي جعفر المنصور وأقام بالولاية مدة خمس سنين ثم غضب عليه فعزله واستصفى كل شيء له وحبسه ببغداد فلم يزل محبوسا حتى مات المنصور وولي المهدي فأخرجه من محبسه ورد عليه كل شيء ذهب له ولم يزل معه فلما حج المهدي كان في جملته فلما انتهى الى الحاجر مات هنالك وذلك في سنة ثمان وستين ومائة وهو ابن خمس وثمانين سنة وصلى عليه علي بن المهدي والحاجر على خمسة أميال من المدينة وقيل انه توفي ببغداد ودفن في مقبرة الخيزران والصحيح انه مات بالحاجر هكذا قاله الخطيب في تاريخه والله أعلم وكانت نفيسة من النساء الصالحات التقيات ويروى أن الامام الشافعي رضي الله عنه لما دخل مصر في التاريخ المذكور في ترجمته حضر اليها وسمع عليها الحديث وكان للمصريين فيها اعتقاد عظيم وهو الى الآن باق كما كان ولما توفي الامام الشافعي رضي الله عنه أدخلت جنازته اليها وصلت عليه في دارها وكانت في موضع مشهدها اليوم ولم تزل به الى ان توفيت في شهر رمضان سنة ثمان ومائتين ولما ماتت عزم زوجها المؤتمن اسحاق بن جعفر الصادق على حملها الى المدينة ليدفنها هنالك فسأله المصريون بقاءها عندهم فدفنت في الموضع المعروف بها الآن بين القاهرة ومصر عند المشاهد وهذا الموضع يعرف يومئذ بدرب السباع بخرب الدرب ولم يبق هنالك سوى المشهد وقبرها معروف باجابة الدعاء عنده وهو مجرب رضي الله عنها

(حرف الواو)

أبو حذيفة واصل بن عطاء المعتزلي المعروف بالغزال مولى بني ضبة
وقيل مولى بني مخزوم

كان أحد الائمة البلغاء المتكلمين في علوم الكلام وغيره وكان يلثغ بالراء فيجعلها

عينا قال أبو العباس المبرد في حقه في كتاب الكامل كان واصل بن عطا أحد الاعاجيب وذلك انه كان ألثغ قبيح اللثغة في الراء فكان يخلص كلامه من الراء ولا يفطن لذلك لاقتداره على الكلام وسهولة ألفاظه ففي ذلك يقول شاعر من المعتزلة وهو أبو الطروق الضبي يمدحه باطالة الخطب واجتنابه الراء على كثرة ترددها في الكلام حتى كأنها ليست فيه

علیم بابدال الحروف وقامع • لكل خطيب يغلب الحق باطله

وقال آخر

ويجعل البر قمحا في تصرفه • وخالف الراء حتى احتال للشعر

ولم يطق مطرا والقول يعجله • فعاد بالغيث اشفاقا من المطر

ومما يحكى عنه وقد ذكر بشار بن برد فقال أما لهذا الاعمى المكتني بأبي معاذ من يقتله أما والله لولا ان الغيلة خلق من اخلاق الغالية لبعثت اليه من يبعج بطنه على مضجعه ثم لا يكون الا سدوسيا ولا عقيليا فقال هذا الاعمى ولم يقل بشار ولا ابن برد ولا الضرير وقال من اخلاق الغالية ولم يقل المغيرية ولا المنصورية وقال لبعثت ولم يقل لارسلت وقال على مضجعه ولم يقل على مرقده ولا على فراشه وقال يبعج ولم يقل يبقر وذكر بني عقيل لان بشارا كان يتوالى اليهم وذكر بني سدوس لانه كان نازلا فيهم وذكر السمعاني في كتاب الانساب في ترجمة المعتزلي ان واصل بن عطاء كان يجلس الى الحسن البصري رضي الله عنه فلما ظهر الاختلاف وقالت الخوارج بتكفير مرتكب الكبائر وقالت الجماعة بانهم مؤمنون وان فسقوا بالكبائر فخرج واصل بن عطاء عن الفريقين وقال ان الفاسق من هذه الامة لا مؤمن ولا كافر منزلة بين منزلتين فطرده الحسن عن مجلسه فاعتزل عنه وجلس اليه عمرو بن عبيد فقيل لهما ولاتباعهما معتزلون وقد احلت في ترجمة عمرو بن عبيد على هذا الموضع في تبيين الاعتزال ولاي معنى سموا بهذا الاسم وقد ذكرت في ترجمة قتادة بن دعامة السدوسي انه الذي سماهم بذلك فكان واصل بن عطاء المذكور يضرب به المثل في اسقاطه حرف الراء من كلامه واستعمل الشعراء ذلك في اشعارهم كثيرا فمنه قول أبي محمد الخازن من جملة قصيدة طنانة طويلة يمدح بها الصاحب أبا القاسم اسماعيل بن عباد المقدم ذكره وهو

نعم تجنب لا يوم العطاء كما • تجنب ابن عطاء لثغة الراء

وقال آخر في محبوب له اللثغ

أعد لثغة لو ان واصل حاضر • ليسمعها ما اسقط الراء واصل

وقال آخر

اجعلت وصلي الراء لم تنطق به • وقطعتني حتى كأنك واصل

لله دره ما أحسن قوله وقطعتني حتى كأنك واصل

وقال آخر

فلا تجعلني مثل همزة واصل * فيلحقني حذف ولا راء واصل

وقال أبو عمر يوسف بن هارون الكندي الاندلسي القرطبي الرمادي الشاعر المشهور الا انه لم يتعرض الى ذكر واصل وكانت وفاته سنة ثلاث وأربعمائة

لا الراء تطمع في الوصال ولا أنا * الهجر يجمعنا فنحن سواء

فاذا خلوت كتبتها في راحتي * وقعدت منتحبا انا والراء

وهذا الباب متسع فلا حاجة الى الاطالة فيه ويكفي منه هذا الانموذج وقد عمل الشعراء في اللثغة التي هي ابدال الثاء من السين شعرا كثيرا فمن ذلك ما يعزى لابي نواس ولم أجدها في ديوانه والله أعلم الا ان تكون في رواية علي بن حمزة الاصبهاني فانها أكثر الروايات ولم أكشف هذه الابيات منها وهي أبيات حلوة ظريفة

وشادن سألته عن اسمه * فقال لي باللثغ عباث

بات يعاطيني سحاميه * وقال لي قد هجع الناث

اما ترى حسنا كاليلنا * زينها النثرين والآث

فعدت من لثغته ألثغا * فقلت أين الطاث والكاث

ولو شرعت في ذكر ما قيل على هذا النمط لطال الشرح ولم أجد في لثغة الراء الا قليلا فمن ذلك قول بعضهم

اما وبياض الثغر ممن احبه * ونقطة خال الخد في عطفة الصدغ

لقد فتنتني لثغة موصلية * رمتني في تيار بحر هوى اللثغ

ومستعجم الالفاظ عقرب صدغه * مسلطة دون الانام على لدغي

يكاد أصم الصم عند حديثه * الى اللثغة الغناء من لفظه يصغي

يقول وقد قبلت واضح ثغره * وكان الذي أهوى ونلت الذي أبغي

وقد نفضت كاس الحيا واظهرت * على خده من لونها احسن الصبغ

تغفق فشغب الخغ من كثغ غيقتي * يزيدك عند الشغب شكغا على شكغ

ولقد أجاد هذا الشاعر وجمع في البيت الاخير راءات كثيرة وابدلها بالغين وللخبزارزي الشاعر المقدم ذكره في غلام يلثغ بالراء ايضا لكنه لم يستعمل اللثغة الا في آخر البيت الاخير من الاربعة أبيات

وشادن بالكرخ ذي لثغة * وانما شرطي في اللثغ

ما اشبه الزنبور في خصره * حتى حكى العقرب في الصدغ

في فمه درياق لدغ اذا * احرق قلبي شدة اللدغ

ان قلت في ضمي له اين هو * تفديك روحي قال لا ادغي

وقد تسلسل الكلام وخرجنا عن المقصود من اخبار واصل بن عطاء وكان

طويل العنق جدا بحيث كان يعاب به وفيه يقول بشار بن برد الشاعر المشهور المقدم ذكره

ماذا منيت بغزال له عنق * كعنق الدو ان ولى وان مثلا
عنق الزرافة ما بالى وبالكم * تكفرون رجالا اكفروا رجلا

وكانت بينهما منافسات وأحقاد وقد تقدم كلام واصل فى حق بشار وقال المبرد فى كتاب الكامل لم يكن واصل بن عطاء غزالا ولكنه كان يلقب بذلك لانه كان يلازم الغزالين ليعرف المتعففات من النساء فيجعل صدقته لهن ثم قال وكان طويل العنق ويروى عن عمرو بن عبيد أنه نظر اليه من قبل ان يكلمه فقال لا يصلح هذا ما دامت له هذه العنق وله من التصانيف كتاب أصناف المرجئة وكتاب فى التوبة وكتاب المنزلة بين المنزلتين وكتاب خطبته التى أخرج منها الراء وكتاب معانى القرآن وكتاب الخطب فى التوحيد والعدل وكتاب ما جرى بينه وبين عمرو بن عبيد وكتاب السبيل الى معرفة الحق وكتاب فى الدعوة وكتاب طبقات أهل العلم والجهل وغير ذلك واخباره كثيرة وكانت ولادته سنة ثمانين للهجرة بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وتوفى سنة احدى وثمانين ومائة

أبو يزيد وثيمة بن موسى بن الفرات الوشاء الفارسى الفسوى

وكان قد خرج من بلده الى البصرة ثم سافر الى مصر وارتحل منها الى الاندلس تاجرا وكان يتجر فى الوشى وصنف كتابا فى اخبار الردة وذكر فيه القبائل التى ارتدت بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم والسرايا التى سيرها اليهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه وصورة مقاتلتهم وما جرى بينهم وبين المسلمين فى ذلك ومن عاد منهم الى الاسلام وقتال مانعى الزكاة وما جرى لخالد بن الوليد المخزومى رضى الله عنه مع مالك بن نويرة اليربوعى اخى متمم بن نويرة الشاعر المشهور صاحب المراثى المشهورة فى أخيه مالك وصورة قتله وما قاله متمم من الشعر فى ذلك وما قاله غيره وهو كتاب جيد يشتمل على فوائد كثيرة وقد تقدم فى ترجمة أبى عبد الله محمد الواقدى انه صنف فى الردة كتابا أيضا أجاد فيه ولم اعرف لوثيمة المذكور من التصانيف سوى هذا الكتاب وهو رجل مشهور ذكره أبو الوليد بن الفرضى صاحب تاريخ الاندلس فى كتابه وذكره الحافظ أبو عبد الله الحميدى فى كتاب جذوة المقتبس وأبو سعيد بن يونس فى تاريخ مصر وأبو سعيد السمعانى فى كتاب الانساب فى ترجمة الوشاء فقال كان يتجر فى الوشى وهو نوع من الثياب المعمولة من الابريسم يعرف به جماعة منهم وثيمة المذكور ثم ان وثيمة عاد من الاندلس الى مصر ومات بها يوم الاثنين لعشر خلون من جمادى الاولى سنة سبع وثلاثين ومائتين رحمه الله تعالى وقال أبو سعيد بن يونس المصرى فى تاريخه كان لوثيمة ولد يقال له أبو رفاعة عمارة بن وثيمة حدث عن أبى صالح الكاتب الليث بن سعد وعن أبيه وثيمة وغيرهما وصنف تاريخا على السنين

وحدث به ومولده بمصر وتوفي ليلة الخميس لست بقين من جمادى الآخرة سنة تسع وثمانين ومائتين ووثيمة بفتح الواو وكسر الثاء المثلثة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الميم وبعدها هاء ساكنة والوثيمة في الاصل الجماعة من الحشيش والطعام والوثيمة الصخرة وبها سمي الرجل والله أعلم بالصواب والوثيمة أيضا الحجر الذي يقدح النار تقول العرب في ايمانها والذي أخرج العذق من الجريمة والنار من الوثيمة العذق بفتح العين المهملة النخلة والجريمة النواة وأما الفارسي والفسوي فقد تقدم الكلام عليهما في ترجمة الشيخ أبي علي الفارسي النحوي وأرسلان البساسيري فاغنى عن الاعادة واذ ذكرنا متمم بن نويرة واخاه مالكا فلا بد من ذكر طرف من اخبارهما فانها مستملحة كان مالك بن نويرة المذكور رجلا سريا نبيلا يردف الملوك وللردافة موضعان أحدهما ان يردفه الملك على دابته في صيد او غيره من مواضع الانس والموضع الثاني انبل وهو ان يخلف الملك اذا قام عن مجلس الحكم فينظر بين الناس بعده وهو الذي يضرب به المثل فيقال مرعى ولا كالسعدان وماء ولا كصداء وفتى ولا كمالك وكان فارسا شاعرا مطاعا في قومه وكان فيه خيلاء وتقدم وكان ذا لمة كبيرة وكان يقال له الجفول وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم فيمن قدم من العرب فأسلم فولاه النبي صلى الله عليه وسلم صدقة قومه ولما ارتدت العرب بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بمنع الزكاة كان مالك المذكور من جملتهم ولما خرج خالد بن الوليد رضي الله عنه لقتالهم في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه نزل على مالك وهو مقدم قومه بني يربوع وقد أخذ زكاتهم وتصرف فيها فكلمه خالد في معناها فقال مالك اني آتي بالصلاة دون الزكاة فقال له خالد اما علمت ان الصلاة والزكاة معا لا تقبل واحدة دون أخرى فقال مالك قد كان صاحبك يقول ذلك قال خالد وما تراه لك صاحبا والله لقد هممت ان أضرب عنقك ثم تجاولا بالكلام طويلا فقال له خالد اني قاتلك قال أو بذلك أمرك صاحبك قال وهذه بعد تلك والله لأقتلنك وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وأبو قتادة الانصاري رضي الله عنه حاضرين فكلما خالدا في أمره فكره كلامهما فقال مالك يا خالد ابعثنا الى أبي بكر فيكون هو الذي يحكم فينا فقد بعثت اليه غيرنا ممن جرمه أكبر من جرمنا فقال خالد لا أقالني الله ان لم اقتلك وتقدم الى ضرار بن الازور الاسدي بضرب عنقه فالتفت مالك الى زوجته أم متمم وقال لخالد هذه التي قتلتني وكانت في غاية الجمال فقال له خالد بل الله قتلك برجوعك عن الاسلام فقال مالك انا على الاسلام فقال خالد يا ضرار اضرب عنقه فضرب عنقه وجعل رأسه أثفية لقدر وكان من أكثر الناس شعرا كما تقدم ذكره فكانت القدر على رأسه حتى نضج الطعام وما خلصت النار الى شواه من كثرة شعره قال ابن الكلبي في جمهرة النسب قتل مالك يوم البطاح وجاء أخوه متمم فكان يرثيه وقبض خالد امرأته فقيل انه اشتراها من الفيء وتزوج بها وقيل انها اعتدت بثلاث

حفص ثم خطبها الى نفسه فأجابته فقال لابن عمر وأبي قتادة رضي الله عنهما يحضران النكاح فأبيا وقال له ابن عمر رضي الله عنه تكتب الى أبي بكر رضي الله عنه وتذكر له أمرها فأبى وتزوجها فقال في ذلك أبو زهير السعدي

الا قل لحي اوطؤا بالسنابك * تطاول هذا الليل من بعد مالك
قضى خالد بغيا عليه لعرسه * وكان له فيها هوى قبل ذلك
فأمضى هواه خالد غير عاطف * عنان الهوى عنها ولا متمالك
وأصبح ذا أهل وأصبح مالك * الى غير شئ هالكا في الهوالك
فمن لليتامى والارامل بعده * ومن للرجال المعدمين الصعالك
اصيبت تميم غثها وسمينها * بفارسها المرجو سحب الحوالك

ولما بلغ الخبر أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قال عمر لابي بكر رضي الله عنه ان خالدا قد زنى فارجمه قال ما كنت لأرجمه فانه تأول فأخطأ قال انه قتل مسلما فاقتله به قال ما كنت لأقتله به فانه تأول فأخطأ قال فاعزله قال ما كنت لأشيم سيفا سله الله عليهم أبدا هكذا سرد هذه الواقعة وثيمة المذكور والواقدي في كتابيهما والعهدة عليهما وكان أخوه متمم ابن نويرة وكنيته أبو نهشل الشاعر المشهور كثير الاضطلاع في بيته قليل التصرف في أمر نفسه اكتفاء بأخيه مالك وكان أعور دميما ولما بلغه مقتل أخيه حضر الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى الصبح خلف أبي بكر الصديق فلما فرغ من صلاته واستقل في محرابه قام متمم فوقف بحذائه واتكأ على سية قوسه ثم أنشد

نعم القتيل اذا الرياح تناوحت * خلف البيوت قتلت يا ابن الازور
ادعوته بالله ثم غدرته * لو هو دعاك بذمة لم يغدر

وأومأ الى أبي بكر رضي الله عنه فقال والله ما دعوته ولا غدرته ثم أنشد

ولنعم حشو الدرع كان وحاسرا * ولنعم مأوى الطارق المتنور
لا يمسك الفحشاء تحت ثيابه * حلو شمائله عفيف المئزر

ثم بكى وانحط عن سية قوسه فما زال يبكي حتى دمعت عينه العوراء فقام اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لوددت انك رثيت زيدا أخي بمثل ما رثيت به مالكا أخاك فقال يا أبا حفص والله لو علمت أن أخي صار بحيث صار أخوك ما رثيته فقال عمر رضي الله عنه ما عزاني أحد عن أخي بمثل تعزيته وكان زيد بن الخطاب رضي الله عنه قتل شهيدا يوم اليمامة وكان عمر رضي الله عنه يقول اني لأهش للصبا لانها تأتيني من ناحية أخي زيد ويروى عن عمر رضي الله عنه أنه قال لو كنت أقول الشعر كما تقول لرثيت أخي كما رثيت أخاك ويروى أن متمما رثى زيدا فلم يجد فقال له عمر رضي الله عنه لم ترث زيدا كما رثيت مالكا فقال انه والله ليحركني لمالك ما لا يحركني لزيد وقال له عمر رضي الله عنه يوما انك لجزل فأين كان أخوك منك فقال كان والله أخي في الليلة ذات الازيز والصراد

يركب الجمل الثفال ويجنب الفرس الجرور وفى يده الرمح الثقيل وعليه الشملة الفلوت وهو بين المزادتين حتى يصبح وهو متبسم والازيز بفتح الهمزة وزايين الاولى منهما مكسورة وبينهما ياء مثناة من تحتها صوت الرعد والصرّاد بضم الصاد المهملة وتشديد الراء وفتحها وبعد الالف دال مهملة غيم رقيق لاماء فيه والثفال بفتح الثاء المثلثة والفاء وهو الجمل البطىء فى سيره ولا يكاد يمشى من ثقله والجرور بفتح الجيم على وزن فعول الفرس الذى يمنع القياد والشملة الفلوت التى لا تكاد تثبت على لابسها والمزادة الراوية وهى معروفة وقال له عمر رضى الله عنه يوما أخبرنا عن أخيك قال ياأمير المؤمنين لقد اسرت مرة فى حى من احياء العرب فاخبر أخى فأقبل فلما اطلع على الحاضر بن ما كان أحد قاعدا الا قام على رجليه وما بقيت امرأة الا وتطلعت من خلال البيوت فما نزل عن جمله حتى لقوه بى برمتى فخانى هو فقال عمر رضى الله عنه ان هذا لهو الشرف والرمة بضم الراء المهملة الحبل البالى ومنه قولهم دفع اليه الشئ برمته وأصله ان رجلا دفع الى رجل بعيرا بحبل فى عنقه فقيل ذلك لكل من دفع شيأ بجملته وقال متمم أيضا لعمر رضى الله عنه اغار حى من احياء العرب على حى أخى مالك وهو غائب فجاء الصريخ فخرج فى آثارهم على جمل يسوقه مرة ويركبه أخرى حتى أدركهم على مسيرة ثلاث وهم آمنون فلما رأوه فارسلوا ما فى أيديهم من الاسرى والنعم وهربوا فادركهم اخى فاستسلموا جميعا حتى كتفهم وصدر بهم الى بلاده مكتوفين فقال عمر رضى الله عنه قد كنا نعلم سخاءه وشجاعته ولم نعلم كل ما تذكره وله فيه المراثى النادرة فمن ذلك أبياته الكافية وهى فى كتاب الحماسة فى باب المراثى

لقد لامنى عند القبور على البكا * رفيقى لتذراف الدموع السوافك
فقال أتبكى كل قبر رأيته * لقبر ثوى بين اللوى والدكادك
فقلت له ان الشجا يبعث الشجا * فدعنى فهذا كله قبر مالك

وله فيه قصيدته العينية وهى طويلة بديعة ومن جملتها قوله

وكنا كندمانى جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
وعشنا بخير فى الحياة وقبلنا * اصاب المنايا رهط كسرى وتبعا
فلما تفرقنا كأنى ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وقد يتشوف الواقف على هذا الكتاب الى الوقوف على شئ من اخبار جذيمة المذكور ونديميه وهو بفتح الجيم وكسر الذال المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الميم وبعدها هاء ساكنة وكنيته أبو مالك جذيمة بن مالك بن فهم بن دوس بن الازد الازدى صاحب الحيرة وما والاها وهو الابرش والوضاح وانما قيل له ذلك لانه كان ابرص فكانت العرب تهابه ان تنسبه الى البرص فعرفته بأحد هذين الوصفين وهو من ملوك الطوائف وكان بعد عيسى عليه السلام بثلاثين سنة وكان من تيهه لا ينادم الا الفرقدين وكان

له ابن أخت يقال له عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة بن الحرث بن مالك اللخمي ويقال له عمرو لانه اول من اعتم كان من لخم وبقية النسب معروف واسم الاخت المذكورة رقاش وكان جذيمة شديد المحبة له فاستهوته الجن وأقام زمانا يتطلبه فلم يجده فاقبل رجلان من بني القين يقال لاحدهما مالك والآخر عقيل ابنا فارح فصادفا عمرا في البرية وهو اشعث الرأس طويل الاظفار سيئ الحال فعرفاه وحملاه الى خاله جذيمة بعد ان اصلحا شعثه وأصلحا حاله فقال لهما جذيمة من فرط سروره به احتكما على فقالا منادمتك مابقيت وبقينا فقال ذلك لكما فهما نديما اللذان يضرب بهما المثل ويقال انهما نادماه أربعين سنة لم يعيدا عليه حديثا حدثاه به واياهما عنى أبو خراش الهذلي بقوله في مرثية أخيه عروة

يقول اراه بعد عروة لاهيا * وذلك رزء لو علمت جليل

ولا تحسبي أني تناسيت عهده * ولكن صبري يا اميم جميل

ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا * نديما صفاء مالك وعقيل

هذه خلاصة حديثهم وان كان فيه طول واعا قصدت الايجاز وذكر أبو علي القالي في كتابه الذي جعله ذيلا على أماليه أن متمما المذكور قدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان به معجبا فقال يا متمم ما يمنعك من الزواج لعل الله تعالى ان ينشر منك ولدا فانكم أهل بيت قد درجتم فتزوج امرأة من أهل المدينة فلم تحظ عنده ولم يحظ عندها فطلقها ثم قال

أقول لهند حين لم أرض عقلها * أهذا دلال العشق أم أنت فارك

أم الصرم تهوين فكل مفارق * على يسير بعد ما مات مالك

فقال له عمر رضي الله عنه ما تنفك تذكر مالكا على كل حال فلم يمض على هذا الامر الاقليل حتى طعن عمر رضي الله عنه ومتمم بالمدينة فرثى عمر رضي الله عنه وبالجملة فانه لم ينقل عن أحد من العرب ولا غيرهم أنه بكى على ميته ما بكى متمم على أخيه مالك حكى الواقدي في كتاب الردة ان عمر رضي الله عنه قال لمتمم ما بلغ من حزنك على أخيك فقال له لقد مكثت سنة لا انام بليل حتى أصبح ولا أرى نارا رفعت بليل الاظننت نفسي ستخرج اذكر بها نارا اخي كان يأمر بالنار فتوقد حتى يصبح مخافة ان يبيت ضيفه قريبا منه حتى يرى النار يأوي الى الرحل وهو بالضيف يأتي مجتهدا اسر من القوم يقدم عليهم القادم لهم من السفر البعيد فقال عمر رضي الله عنه اكرم به (وحكى الواقدي) أيضا انه قال له ما لقيت على أخيك من الحزن والبكاء قال كانت عيني هذه قد ذهبت وأشار اليها فبكيت بالصحيحة وا كثرت البكاء حتى اسعدتها العين الذاهبة وجرت بالدموع فقال عمر رضي الله عنه ان هذا لحزن شديد ما يحزن هكذا أحد على هالكه وقد ضربت الشعراء الامثال بمالك وأخيه متمم في اشعارهم فمن ذلك قول ابن خيوس الشاعر المتقدم ذكره من جملة قصيدة

وفجعة بين مثل صرعة مالك * ويقبح بي أن لا أكون متمما

ومنه قول أبي بكر محمد بن عيسى الداني المعروف بابن اللبانه في قصيدته التي يرثي بها المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية لما قبض عليه يوسف بن تاشفين حسبما شرحناه في ترجمة المعتمد وهو قوله

بكيت وقد فارقت ملكك مالكا * ومن ولهي أحكي عليك متمما

ومن ذلك ايضا قول بعضهم وأظنه ابن منير المذكور في حرف الهمزة وهو أيضا من جملة أبيات ثم حققت قائله وهو نجم الدين أبو الفتح يوسف بن الحسين بن محمد عرف بابن المجاور الدمشقي

أيا مالكي في القلب منك نويرة * وانسان عيني في هواك متمم

ومنه قول أبي الغنائم بن المعلم الشاعر المتقدم ذكره من جملة أبيات يصف فيها منزلا ويدعو له بالسقيا فقال

سقاه الحيا قبلي وجئت متمما * فلو مالك فيه دعيت متمما

ومنه قول القاضي السعيد بن سنا الملك

بكيت بكا نامقلتي كأنني * اتمم ما قد فات عيني متمما

وهذا باب يطول شرحه وقد جاوزنا الحد بالخروج عما نحن بصدده ومتمم بضم الميم وفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها ميمان الاولى منهما مشددة مكسورة وصدا في قولهم ماء ولا كصدا فيه ثلاث لغات صدا بضم الصاد المهملة وتشديد الدال المهملة وألف مقصورة وصداء مثل الاول لكن الصاد مفتوحة والالف ممدودة فمن ضم قصر ومن فتح مد واللغة الثالثة صدآء بتخفيف الدال وهمزتين متوا ليتين والصاد مفتوحة وهي بئر معروفة مشهورة ماؤها عذب نمير والله تعالى أعلم

أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيي بن عبيد بن شملال بن جابر بن سلمة بن مسهر بن الحرث بن جشم بن أبي حارثة بن جدي بن بدول بن بحتر بن عتود بن عنين ابن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن جلهمة وهو طيء بن ادد بن زيد ابن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان الطائي البحتري الشاعر المشهور

ولد بمنبج وقيل بزردفنة وهي قرية من قراها ونشأ وتخرج بها ثم خرج الى العراق ومدح جماعة من الخلفاء أولهم المتوكل على الله وخلقا كثيرا من الاكابر والرؤساء وأقام ببغداد دهرا طويلا ثم عاد الى الشام وله أشعار كثيرة فيها ذكر حلب ونواحيها وكان يتغزل بها وقد روى عنه أشياء من شعره أبو العباس المبرد ومحمد بن خلف بن المرزبان والقاضي أبو عبد الله المحاملي ومحمد بن أحمد الحكيمي وأبو بكر الصولي وغيرهم قال صالح بن الاصبغ التنوخي المنبجي رأيت البحتري ههنا عندنا قبل ان يخرج الى العراق

يجتاز بنا في الجامع من هذا الباب وأومأ الى جنبتي المسجد يمدح أصحاب البصل والباذنجان وينشد الشعر في ذهابه ومجيئه ثم كان منه ما كان في علوة التي شبب بها في كثير من أشعاره وهي بنت زريقة الحلبية وزريقة أمها (وحكى أبو بكر) الصولي في كتابه الذي وضعه في اخبار أبي تمام الطائي أن البحتري كان يقول أول أمري في الشعر ونباهتي فيه اني صرت الى أبي تمام وهو بحمص فعرضت عليه شعري وكان يجلس ولا يبقى شاعر الا قصده وعرض عليه شعره فلما سمع شعري أقبل علي وترك سائر الناس فلما تفرقوا قال لي أنت اشعر من أنشدني فكيف حالك فشكوت خلة فكتب الى أهل معرة النعمان وشهد لي بالحذق وشفع لي اليهم وقال امتدحهم فصرت اليهم فاكرموني بكتابه ووظفوا الى أربعة آلاف درهم فكانت أول مال اصبته وقال أبو عبادة المذكور أول ما رأيت أبا تمام وما كنت رأيته قبلها اني دخلت الى أبي سعيد محمد ابن يوسف فامتدحته بقصيدتي التي اولها

أأفاق صب من هوى فأفيقا * ام خان عهدا أم اطاع شفيقا

فأنشدته اياها فلما اتممتها سر بها وقال لي أحسنت الله يا فتى فقال له رجل في المجلس هذا اعزك الله شعري علقه هذا الفتى فسبقني به اليك فتغير أبو سعيد وقال لي يا فتى قد كان في نسبك وقرابتك ما يكفيك ان تمت به الينا ولا تحمل نفسك على هذا فقلت هذا شعري اعزك الله فقال الرجل سبحان الله يا فتى لا تقل هذا ثم ابتدأ فأنشد من القصيدة أبياتا فقال لي أبو سعيد نحن نبلغك ما تريد ولا تحمل نفسك على هذا فخرجت متحيرا لا أدري ما أقول ونويت ان أسأل عن الرجل من هو فما بعدت حتى ردني أبو سعيد ثم قال لي جنيت عليك فاحتمل أندري من هذا فقلت لا قال هذا ابن عمك حبيب بن اوس الطائي أبو تمام فقم اليه فقمت اليه فعانقته ثم أقبل علي يقرظني ويصف شعري وقال انما مزحت معك فلزمته بعد ذلك وكثر عجبي من سرعة حفظه وروى الصولي أيضا في كتابه المذكور ان أبا تمام راسل ام البحتري في التزوج بها فأبت وقالت له اجمع الناس للاملاك فقال الله أجل من أن يذكر بيننا ولكن نتصافح ونتسامح وقيل للبحتري ايما اشعر أنت ام أبو تمام فقال جيده خير من جيدي ورديئي خير من رديئه وكان يقال لشعر البحتري سلاسل الذهب وهو في الطبقة العليا ويقال انه قيل لابي العلاء المعري أي الثلاثة اشعر أبو تمام ام البحتري أم المتنبي فقال المتنبي وأبو تمام حكيمان وانما الشاعر البحتري ولعمري ما انصفه ابن الرومي في قوله

والفتى البحتري يسرق ما قا * ل ابن اوس في المدح والتشبيب
كل بيت له يجود معنا * فمعناه لابن اوس حبيب

وقال البحتري أنشدت أبا تمام شيأ من شعري فانشدني بيت اوس بن حجر

اذا مقرم منا ذرى حد نابه * تخمط فينا ناب آخر مقرم

وقال نعيت الى نفسي فقلت أعيذك بالله من هذا فقال ان عمري ليس يطول وقد نشأ لبني مثلك اما علمت ان خالد بن صفوان المنقري رأى شبيب بن شبة وهو من رهطه وهو يتكلم فقال يابني نعي نفسي الى احسانك في كلامك لانا أهل بيت ما نشأ فينا خطيب الا مات من قبله قال فمات أبو تمام بعد سنة من هذا وقال البحتري أنشدت أبا تمام شعرا لي في بعض بني حميد وصلت به الى مال له خطر فقال لي أحسنت أنت أمير الشعراء بعدي فكان قوله هذا أحب الي من جميع ما حويته وقال ميمون بن هارون رأيت أبا جعفر أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري المؤرخ وحاله متماسكة فسألته فقال كنت من جلساء المستعين فقصده الشعراء فقال لست اقبل الا ممن قال مثل قول البحتري في المتوكل

فلو ان مشتاقا تكلف فوق ما * في وسعه لمشى اليك المنبر

فرجعت الى داري واتيته وقلت قد قلت فيك أحسن مما قاله البحتري في المتوكل فقال هاته فأنشدته

ولو ان برد المصطفى اذ لبسته * يظن لظن البرد أنك صاحبه
وقال وقد أعطيته ولبسته * نعم هذه أعطافه ومناكبه

فقال ارجع الى منزلك وافعل ما آمرك به فرجعت فبعث الي سبعة آلاف دينار وقال ادخر هذه للحوادث من بعدي ولك علي الجراية والكفاية مادمت حيا وللمتنبي في هذا المعنى

لو تعقل الشجر التي قابلتها * مدت محيية اليك الاغصنا

وسبقهما أبو تمام بقوله

لو سعت بقعة لاعظام نعمى * لسعى نحوها المكان الحديث

والبيت الذي للبحتري من جملة قصيدة طويلة أحسن فيها كل الاحسان يمدح بها أبا الفضل جعفر المتوكل على الله ويذكر خروجه لصلاة عيد الفطر وأولها

اخفي هوى لك في الضلوع وأظهر * وألام من كمد عليك واعذر

والابيات التي يرتبط بها البيت المقدم ذكره هي

بالبر صمت وأنت أفضل صائم * وبسنة الله الرضية تفطر
فانعم بيوم الفطر عينا انه * يوم اغر من الزمان مشهر
أظهرت عز الملك فيه بجحفل * لجب يحاط الدين فيه وينصر
خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت * عددا يسير بها العديد الاكثر
فالخيل تصهل والفوارس تدعي * والبيض تلمع والاسنة تزهر
والارض خاشعة تميد بثقلها * والجو معتكر الجوانب اغبر
والشمس طالعة توقد في الضحى * طورا ويطفئها العجاج الاكدر

حتى طلعت بنور وجهك فانجلى * ذاك الدجى وانجاب ذاك العثير
فافتن فيك الناظرون فاصبع * يومى اليك بها وعين تنظر
يجدون رؤيتك التى فازوا بها * من انعم الله التى لا تكفر
ذكروا بطلعتك النبى فهللوا * لما طلعت من الصفوف وكبروا
حتى انتهيت الى المصلى لابسا * نور الهدى يبدو عليك ويظهر
ومشيت مشية خاشع متواضع * لله لا يزهى ولا يتكبر
فلو ان مشتاقا تكلف فوق ما * فى وسعه لمشى اليك المنبر
أبديت من فصل الخطاب بحكمة * تنبى عن الحق المبين وتخبر
ووقفت فى بردالنبى مذكرا * بالله تنذر تارة وتبشر

هذا القدر هو المقصود مما نحن فيه وهذا الشعر هو السحر الحلال على الحقيقة والسهل الممتنع فلله دره ما اسلس قياده واعذب الفاظه واحسن سبكه والطف مقاصده وليس فيه من الحشو شئ بل جميعه نخب وديوانه موجود وشعره سائر فلا حاجة الى الاكثار منه ههنا لكن نذكر من وقائعه ما يستطرف فمن ذلك انه كان له غلام اسمه نسيم فباعه فاشتراه أبو الفضل الحسن بن وهب الكاتب وقد سبق ذكر أخيه سليمان فى حرف السين ثم ان البحترى ندم على بيعه وتبعته نفسه فكان يعمل فيه الشعر ويذكر انه خدع وان بيعه لم يكن من مراده فمن ذلك قوله

انسيم هل للدهر وعد صادق * فيما يؤمله المحب الوامق
مالى فقدتك فى المنام ولم تزل * عون المشوق اذا جفاه الشائق
امنعت أنت من الزيارة رقبة * منهم فهل منع الخيال الطارق
اليوم جاز بى الهوى مقداره * فى أهله وعلمت أنى عاشق
فلئن أ الحسن بن وهب انه * يلقى الاحبة وهى تفارق

وله فيه أشعار كثيرة ومن أخباره انه كان بحلب شخص يقال له طاهر بن محمد الهاشمى مات أبوه وخلف له مقدار مائة ألف دينار فانفقها على الشعراء والزوار فى سبيل الله فقصده البحترى من العراق فلما وصل الى حلب قيل له انه قد قعد فى بيته لديون ركبته فاغتم البحترى لذلك غما شديدا وبعث المدحة اليه مع بعض مواليه فلما وصلته ووقف عليها بكى ودعا بغلام له وقال له بع دارى فقال له أتبيع دارك وتبقى على رؤس الناس فقال لا بدمن بيعها فباعها بثلثمائة دينار فاخذ صرة وربط فيها مائة دينار وأنفذها الى البحترى وكتب اليه معها رقعة فيها هذه الابيات

لو يكون الحباء حسب الذى * أنت لدينا به محل وأهل
لحثيت اللجين والدر واليا * قوت حثوا وكان ذاك يقل
والاديب الاريب يسمح بالعذ * ر اذا قصر الصديق المقل

فلما وصلت الرقعة الى البحترى رد الدنانير وكتب اليه

بأبي أنت والله للبر أهـل * والمساعى بعد وسعيك قبل

والنوال القليل يكثر ان شا * ء مرجيك والكثير يقل

غير انى رددت برك اذ كا * ن ربا منك والربا لا يحـل

واذا ما جزيت شعرا بشعر * قضى الحق والدنانير فضـل

فلما عادت الدنانير اليه حل الصرة وضم اليها خمسين دينارا أخرى وحلف انه لا يردها عليه وسيرها فلما وصلت الى البحترى أنشأ يقول

شكرتك ان الشكر للعبد نعمة * ومن يشكر المعروف فالله زائده

لكل زمان واحد يقتدى به * وهـذا زمان أنت لا شك واحده

وكان البحترى كثيرا ما ينشد هذا الشعر ويعجبه وهو

حمام الاراك الا فاخبرينا * لمن تندبين ومن تعولينا

فقد شققت بالنوح منى القلو * ب وابكيت بالندب منا العيونا

تعالى نقيم مأتما للهمو * م ونعول اخواننا الظاعنينا

ونسعدكن وتسعدننا * فان الحزين يواسى الحزينا

ثم انى وجدت هذه الابيات لنبهان الفقعسى من العرب وكان البحترى قد اجتاز بالموصل وقيل برأس عين ومرض بها مرضا شديدا وكان الطبيب يختلف اليه ويداويه فوصف له يوما مزورة ولم يكن عنده من يخدمه سوى غلامه فقال للغلام اصنع هذه المزورة وكان بعض رؤساء البلد عنده حاضرا وقد جاء يعوده فقال ذلك الرئيس هذا الغلام ما يحسن طبخها وعندى طباخ من نعته وصنعته وبالغ فى حسن صنعته فترك الغلام عملها اعتمادا على ذلك الرئيس وقعد البحترى ينتظرها واشتغل الرئيس عنها ونسى أمرها فلما ابطات عنه وفات وقت وصولها اليه فكتب الى الرئيس

وجدت وعدك زورا فى مزورة * حلفت مجتهدا احكام طاهيها

فلا شفى الله من يرجو الشفاء بها * ولا علت كف ملق كفه فيها

فاحبس رسولك عنى ان يجئ بها * فقد حبست رسولى عن تقاضيها

واخباره ومحاسنه كثيرة فلا حاجة الى الاطالة ولم يزل شعره غير مرتب حتى جمعه أبو بكر الصولى ورتبه على الحروف وجمعه أيضا على بن حمزة الاصبهانى ولم يرتبه على الحروف بل على الانواع كما صنع بشعر أبى تمام وللبحترى أيضا كتاب حماسة على مثال حماسة أبى تمام وله كتاب معانى الشعر وكانت ولادته سنة ست وقيل خمس ومائتين وتوفى سنة أربع وثمانين وقيل خمس وثمانين وقيل ثلاث وثمانين ومائتين والاول أصح والله أعلم وقال ابن الجوزى فى كتاب أعمار الاعيان توفى البحترى وهو ابن ثمانين سنة والله أعلم بالصواب وكان موته بمنبج وقيل بحلب والاول أصح

وقال الخطيب فى تاريخ بغداد انه كان يكنى أبا الحسن وأبا عبادة فأشير عليه فى أيام المتوكل ان يقتصر على أبى عبادة فانها اشهر فعمل وأهل الادب كثيرا ما يسألون عن قول أبى العلاء المعرى

وقال الوليد النبع ليس بمثمر * وأخطا سرب الوحش من ثمر النبع

فيقولون من هو الوليد المذكور واين من قال النبع ليس بمثمر ولقد سألنى عنه جماعة كبيرة والمراد بالوليد هو البحترى المذكور وله قصيدة طويلة يقول فيها

وعيرتنى سجال العدم جاهلة * والنبع عريان ما فى فرعه ثمر

وهذا البيت هو المشار اليه فى بيت المعرى واعادة ذكر هذا الامر فائدة تستفاد وعبد الله وأخوه أبو عبادة ابنا يحيى بن الوليد البحترى اللذان مدحهما المتنبى فى قصائده هما حفيدا البحترى الشاعر المذكور وكانا نبيلين فى زمانهما والبحترى بضم الباء الموحدة وسكون الحاء المهملة وضم التاء المثناة من فوقها وبعدها راء هذه النسبة الى بحتر وهو أحد أجداده كما تقدم ذكره فى عمود نسبه وزدمة بفتح الزاى وسكون الراء وفتح الدال المهملة وسكون الميم وفتح النون وبعدها هاء ساكنة وهى قرية من قرى منبج بالقرب منها ومنبج بفتح الميم وسكون النون وكسر الباء الموحدة وبعدها جيم وهى بلدة بالشام بين حلب والفرات بناها كسرى لما غلب على الشام وسماها منبه وعربت فقيل منبج ولكونها وطن البحترى كان يذكرها فى شعره كثيرا من ذلك قوله فى آخر قصيدة طويلة يخاطب بها الممدوح وهو أبو جعفر محمد بن حميد بن عبد الحميد الطوسى

لا انسين زمنا لديك مهذبا * وظلال عيش كان عندك سجسج

فى نعمة أوطنتها وأقمت فى * افيائها فكأننى فى منبج

وكان البحترى مقيما بالعراق فى خدمة المتوكل والفتح بن خاقان وله الحرمة التامة الى ان قتلا كما هو مشهور فى أمرهما رجع الى منبج وكان يحتاج للتردد الى الوالى بسبب مصالح املاكه ويخاطبه بالامير لحاجته اليه ولا تطاوعه نفسه الى ذلك فقال قصيدة منها

مضى جعفر والفتح بين مرمل * وبين صبيغ بالدماء مضرج

أأطلب أنصارا على الدهر بعدما * ثوى منهما فى الترب اوسى وخزرجى

اولئك ساداتى الذين بفضلهم * حلبت أفاويق الربيع المثجج

مضوا امما قصدا وخلفت بعدهم * اخاطب بالتأمير والى منبج

وذكر المسعودى فى مروج الذهب ان هارون الرشيد اجتاز ببلاد منبج ومعه عبد الملك ابن صالح وكان أفصح ولد العباس فى عصره فنظر الى قصر مشيد وبستان معمر بالاشجار كثير الثمار فقال لمن هذا فقال هو لك ولى بك يا أمير المؤمنين قال وكيف بناء هذا القصر قال دون منازل أهلى وفوق منازل الناس قال فكيف مدينتك قال

عذبة الماء باردة الهواء صلبة المؤطأ قليلة الادواء قال فكيف ليلها قال سحر كله انتهى كلام المسعودى وعبد الملك المذكور هو أبو عبد الرحمن عبد الملك بن صالح بن على ابن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه وكانت منبج اقطاعا له وكان مقيما بها وتوفى سنة تسع وتسعين ومائة بالرقة رحمه الله تعالى وله بلاغة وفصاحة اضربت عن ذكرها خوف الاطالة وذكر ياقوت الحموى فى كتابه المشترك باب السقيا خمسة مواضع ثم قال فى آخر هذا الباب والخامس قرية على باب منبج ذات بساتين وهى وقف على ولد البحترى الشاعر وقد ذكرها أبو فراس بن حمدان فى شعره

الوليد بن طريف بن الصلت بن طارق بن سيحان بن عمر بن مالك الشيبانى الشارى

هكذا ذكره أبو سعيد السمعانى فى كتاب الانساب فى موضعين أحدهما فى ترجمة الاراقم والآخر فى ترجمة السيحان بكسر السين المهملة الشارى أحد الشجعان الطغاة الابطال كان رأس الخوارج وكان مقيما بنصيبين والخابور وتلك النواحى وخرج فى خلافة هارون الرشيد وبغى وحشد جموعا كثيرة فارسل اليه هارون جيشا كثيفا مقدمه أبو خالد يزيد بن مزيد بن زائدة الشيبانى وسيأتى ذكره فى حرف الياء ان شاء الله تعالى فجعل يخاتله ويماكره وكانت البرامكة منحرفة عن يزيد فأغروا به الرشيد وقالوا انه يراعيه لاجل الرحم والا فشوكة الوليد يسيرة وهو يواعده وينتظر ما يكون من أمره فوجه اليه الرشيد كتاب مغضب وقال لو وجهت أحد الخدم لقام بأكثر مما تقوم به ولكنك مداهن متعصب وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن أخرت مناجزة الوليد ليبعثن اليك من يحمل رأسك الى أمير المؤمنين فلقى الوليد فظهر عليه فقتله وذلك فى سنة تسع وسبعين ومائة عشية اول خميس فى شهر رمضان وهى واقعة مشهورة تضمنتها التواريخ وكان للوليد المذكور أخت تسمى الفارعة وقيل فاطمة تجيد الشعر وتسلك سبيل الخنساء فى مراثيها لاخيها صخر فرثت الفارعة أخاها الوليد بقصيدة أجادت فيها وهى قليلة الوجود ولم أجد فى مجاميع كتب الادب الا بعضها حتى ان أبا على القالى لم يذكر منها فى اماليه سوى أربعة أبيات فاتفق انى ظفرت بها كاملة فأثبتها لغرابتها مع حسنها وهى هذه

بتل نهاكى رسم قبر كأنه * على جبل فوق الجبال منيف
تضمن مجدا عدمليا وسوددا * وهمة مقدام ورأى حصيف
فيا شجر الخابور مالك مورقا * كأنك لم تحزن على ابن طريف
فتى لا يحب الزاد الا من التقى * ولا المال الا من قنا وسيوف
ولا الذخر الا كل جرداء صلدم * معاودة للكر بين صفوف

كأنك لم تشهد هناك ولم تقم * مقاما على الاعداء غير خفيف
ولم تستلم يوما لورد كريهة * من السرد فى خضراء ذات رفيف
ولم تسع يوم الحرب والحرب لاقح * وسمر القنا ينكزنها بانوف
حليف الندى ما عاش يرضى به الندى * فان مات لا يرضى الندى بحليف
فقدناك فقدان الشباب وليتنا * فديناك من فتياننا بالوف
ومازال حتى ازهق الموت نفسه * شجا لعدو او نجا لضعيف
الا يالقومى للحمام وللبلى * وللارض همت بعده برجوف
الا يالقومى للنوائب والردى * ودهر ملح بالكرام عنيف
وللبدر من بين الكواكب اذ هوى * وللشمس لما ازمعت بكسوف
ولليث كل الليث اذ يحملونه * الى حفرة ملحودة وسقيف
الا قاتل الله الحشى حيث اضمرت * فتى كان للمعروف غير عيوف
فان يك ارداه يزيد بن مزيد * فرب زحوف لفها بزحوف
عليه سلام الله وقفا فاننى * أرى الموت وقاعا بكل شريف

ولها فيه مراث كثيرة فمن ذلك قولها فيه أيضا

ذكرت الوليد وايامه * اذ الارض من شخصه بلقع
فاقبلت اطلبه فى السما * كما يبتغى انفه الاجدع
أضاعك قومك فليطلبوا * افادة مثل الذى ضيعوا
لو ان السيوف التى حدها * يصيبك تعلم ما تصنع
نبت عنك اذ جعلت هيبة * وخوفا لصولك لا تقطع

وكان الوليد يوم المصاف ينشد

انا الوليد بن طريف الشارى * قسورة لا يصطلى بنار
جوركم أخرجنى من دارى

و يقال انه لما انكسر جيش الوليد وانهزم تبعه يزيد بنفسه حتى لحقه على مسافة بعيدة فقتله وأخذ رأسه ولما قتله وعلمت بذلك أخته المذكورة لبست عدة حربها وحملت على جيش يزيد فقال يزيد دعوها ثم خرج فضرب بالرمح فرسها وقال اعزبى عزب الله عينك فقد فضحت العشيرة فاستحيت وانصرفت وطريف بفتح الطاء المهملة وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحتها و بعدها فاء وتل نهاكى اظنه فى بلد نصيبين وهو موضع الواقعة المذكورة والخابور نهر معروف أوله من رأس عين وآخره عند قرقيسيا يصب فى الفرات وعلى هذا النهر مدن صغار تشبه الكبار فى عمارة بلادها وأسواقها وكثرة خيراتها وهو مشهور فلا حاجة الى ضبطه والشارى بفتح الشين المعجمة وبعد الالف راء وهو واحد الشراة وهم الخوارج وانما سموا بذلك لقولهم انا شرينا أنفسنا فى طاعة الله أى بعناها

يا جنة حين فارقنا الائمة الجائرة والخنساء اسمها تماضر بضم التاء المثناة من فوقها وف
الميم وبعد الالف ضاد مكسورة معجمة وبعدها راء وهى ابنة عمرو بن الشريد السلمى
والخنس تاخر الانف عن الوجه مع ارتفاع الارنبة ولذلك قيل لها الخنساء لانها كانت
على هذه الصفة واخبارها مع أخيها مشهورة فى مراثيها وغيرها وقد سبق طرف من
أخبار أخيها صخر فى ترجمة أبى أحمد العسكرى فى حرف الحاء وقد اختلف فى موض
قبره فقيل انه مدفون عند عسيب وهو جبل مشهور ببلاد الروم وان القبر الذى هنالك
ينسب الى امرئ القيس بن حجر الكندى الشاعر المشهور ليس لامرئ القيس وانما
هو لصخر المذكور وقيل ان كل واحد من امرئ القيس وصخر مدفون هنالك
وقال الحافظ أبو بكر الحازمى المقدم ذكره فى كتاب ما اتفق لفظه وافترق مسما
ان عسيبا جبل حجازى ودفن عنده صخر اخو الخنساء فعلى هذا يكون عسيب
اسما لجبلين أحدهما بالروم وهو الاشهر والآخر بالحجاز وكان من لوازم ياقوت
الحموى ان يذكره فى كتابه الذى وضعه فى البلاد المشتركة الاسماء ولم أجد ذكر
فيه والله تعالى أعلم

أبو عبد الله وهب بن منبه اليمانى صاحب الاخبار والقصص

وكانت له معرفة بأخبار الاوائل وقيام الدنيا وأحوال الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم
وسير الملوك وذكر عنه ابن قتيبة فى كتاب المعارف انه كان يقول قرأت من كتب الله تعالى
اثنين وسبعين كتابا ورأيت له تصنيفا ترجمه بذكر الملوك المتوجة من حمير واخبارهم
وقصصهم وقبورهم واشعارهم فى مجلد واحد وهو من الكتب المفيدة وكان له اخوة منهم
همام بن منبه كان أكبر من وهب وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه وهو معدود من جملة
الابناء ومعنى قولهم فلان من الابناء ان أبا مرة سيف بن ذى يزن الحميرى صاحب اليمن
لما استولت الحبشة على ملكه توجه الى كسرى أنوشروان ملك الفرس يستنجده عليهم
وقصته فى ذلك مشهورة وخبره طويل وخلاصة الامر انه سير معه سبعة آلاف وخمسمائة
فارس من الفرس وجعل مقدمهم وهرز هكذا قاله ابن قتيبة وقال محمد بن اسحاق
لم يسير معه سوى ثمانمائة فارس فغرق منهم فى البحر مائتان وسلم ستمائة قال أبو القسم
السهيلى والقول الاول اشبه بالصواب اذ يبعد مقاومة الحبشة بستمائة فارس فلما وصل
الجيش الى اليمن جرت الواقعة بينهم وبين الحبشة فاستظهرت الفرس عليهم وأخرجوهم
من البلاد وملك سيف بن ذى يزن ووهرز وأقاموا أربع سنين وكان سيف بن
ذى يزن قد اتخذ من اولئك الحبشة خدما فخلوا به يوما وهو فى متصيد له فزرقوه
بحرابهم فقتلوه وهربوا فى رؤس الجبال وطلبهم أصحابه فقتلوهم جميعا وانتشر الامر
باليمن ولم يملكوا عليهم أحدا غير أن اهل كل ناحية ملكوا عليهم رجلا من حمير فكانوا

كملوك الطوائف حتى أتى الله بالاسلام ويقال انهم ابقيت فى أيدى الفرس ونواب كسرى فيها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وباليمن من قواد ابرويز رجلان أحدهما فيروز الديلمى والآخر زاذويه واسلما وهما اللذان دخلا على الاسود العنسى مع قيس بن المكشوح لما ادعى الاسود النبوة باليمن وقتلوه والقصة فى ذلك مشهورة ولا حاجة الى ذكرها والمقصود من هذا كله ان جيش الفرس لما استوطن اليمن تأهلوا ورزقوا الاولاد فصار أولادهم وأولاد أولادهم يدعون الابناء لانهم من أبناء اولئك الفرس وكان طاوس العالم المتقدم ذكره منهم أيضا وقد اومأت الى ذلك فى ترجمته ولم اشرحه كما فعلت ههنا واخبار وهب شهيرة فلا حاجة الى ذكر شئ منها ويكفى فى هذا الموضع ذكر هذه الفائدة وتوفى وهب المذكور فى المحرم سنة عشر وقيل أربع عشرة وقيل ست عشرة ومائة بصنعاء اليمن وعمره تسعون سنة رضى الله عنه وقد تقدم الكلام على صنعاء فى ترجمة عبد الرزاق الصنعانى وفى هذه الترجمة أسماء أعجمية لو قيدتها لطال الشرح وهى مشهورة فتركتها

أبو البخترى وهب بن وهب بن وهب بن كثير بن عبد الله بن زمعة بن الاسود بن المطلب ابن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب القرشى الاسدى المدنى

حدث عن عبيد الله بن عمر العمرى وهشام بن عروة بن الزبير وجعفر بن محمد الصادق وغيرهم وروى عنه رجاء بن سهل الصاغانى وأبو القسم بن سعيد بن المسيب وغيرهما وكان متروك الحديث مشهورا بوضعه انتقل من المدينة الى بغداد فى خلافة هارون الرشيد فولاه القضاء بعسكر المهدى فى شرقى بغداد وقد تقدم الكلام على هذا الموضع فى ترجمة الواقدى فى حرف الميم ثم عزله وولاه القضاء بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد بكار بن عبد الله الزبيرى وجعل اليه ولاية حربها مع القضاء ثم عزله فقدم بغداد وأقام بها الى ان توفى وذكر الخطيب فى تاريخ بغداد فى ترجمة القاضى أبى يوسف يعقوب بن ابراهيم الحنفى انه كان قاضى القضاة فى بغداد فلما مات ولى الرشيد مكانه أبا البخترى وهب بن وهب القرشى وكان فقيها اخباريا نسابا جوادا مريا سمحا يحب المديح ويثيب عليه العطاء الجزيل وكان اذا أعطى قليلا أو كثيرا أتبعه عذرا الى صاحبه وكان يتذلل عند طلب الحاجة اليه حتى لو رآه من لا يعرفه لقال هذا الذى قضيت حاجته وكان جعفر الصادق ابن محمد الباقر المقدم ذكره قد تزوج بأمه بالمدينة وله عنه روايات واسانيد واسم أمه عبدة بنت على بن يزيد بن ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف وأمها بنت عقيل بن أبى طالب وقد ذكره الخطيب فى تاريخ بغداد وبالغ فى تقريظه والثناء عليه وقال دخل عليه شاعر فأنشده

اذا البخترى وهب خلته برق عارض * تبعق فى الارضين أسعده السكب

وماضر وهباذم من خالف الملا * كما لايضر البدر ينبحه الكلب
لكل اناس من أبيهم ذخيرة * وذخر بنى فهر عقيد الندى وهب

قال فاستهل أبو البحترى ضاحكا وسر سرورا شديدا ثم دعا غلاما له فأسر اليه شيأ فأتاه بصرة فيها خمسمائة دينار فدفعها اليه (وحكى) أبو الفرج الاصبهانى فى كتاب الاغانى فى ترجمة أبى دلف العجلى قال اخبرنى أحمد بن عبد الله بن عمار قال كنا عند أبى العباس المبرد يوما وعنده فتى من ولد أبى البحترى وهب بن وهب القاضى أمرد حسن الوجه وفتى من ولد أبى دلف العجلى شبيه به فى الجمال فقال المبرد لابن أبى البحترى أعرف لجدك قصة ظريفة من الكرم حسنة لم يسبق اليها فقال وماهى قال دعى رجل من أهل الادب الى بعض المواضع فسقوه نبيذا غير الذى كانوا يشربون منه فقال فيهم

نبيذان فى مجلس واحد * لايثار مثر على مقتر
فلو كان فعلك ذا فى الطعا * م لزمت قياسك فى المسكر
ولو كنت تطلب شأو الكرا * م صنعت صنيع أبى البحترى
تتبع اخوانه فى البلا * د فأغنى المقل عن المكثر

فبلغت الابيات أبا البحترى فبعث اليه بثلثمائة دينار قال ابن عمار فقلت له قد فعل جد هذا الفتى فى مثل هذا المعنى ماهو أحسن من هذا قال وما فعل قلت بلغه ان رجلا افتقر بعد ثروة فقالت له امرأته اقترض فى الجند فقال

اليك عنى فقد كلفتنى شططا * حمل السلاح وقول الدارعين قف
أمن رجال المنايا خلتنى رجلا * امسى واصبح مشتاقا الى التلف
تمشى المنايا الى غيرى فاكرهها * فكيف امشى اليها بارز الكتف
حسبت أن نزال القرن من خلق * او ان قلبى فى جنبى أبى دلف

فاحضره أبو دلف ثم قال كم املت امرأتك ان يكون رزقك قال مائة دينار وقال وكم املت ان تعيش قال عشرين سنة قال فكذلك ما املت به امرأتك فى مالنا دون مال السلطان وأمر باعطائه اياه قال فرأيت وجه ولد أبى دلف يتهلل وانكسر ابن أبى البحترى انكسارا شديدا انتهى كلام صاحب الاغانى فى هذا الفصل وقد سبق فى ترجمة أبى دلف القسم بن عيسى العجلى ذكر هذه الابيات وقائلها وصورة الحال وبينها وبين هذه الرواية اختلاف يسير وأما الابيات الاولى التى فى أبى البحترى فهى لابى عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن عطية العطوى الشاعر المشهور ونسبته بالعطوى الى جده عطية المذكور وهو من البصرة من موالى بنى ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وكان معتزليا وله ديوان شعر وروى الخطيب أيضا فى تاريخه ان أبا البحترى قال لأن أكون فى قوم أعلم منى احب الى من ان أكون فى قوم انا أعلم منهم وروى أيضا فى تاريخه ان هارون الرشيد لما قدم المدينة أعظم ان يرقى منبر رسول الله صلى الله

عليه وسلم في قباء ومنطقة فقال أبو البختري حدثني جعفر بن محمد الصادق عن أبيه قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم وعليه قباء ومنطقة مخنجرا فيها بخنجر فقال المعافى التيمي.

ويل وعول لابي البختري * اذا توافى الناس للمحشر
من قوله الزور واعلانه * بالكذب في الناس على جعفر
والله ما جالسه ساعة * للفقه في بدو ولا محضر
ولا رآه الناس في دهره * يمر بين القبر والمنبر
يا قاتل الله ابن وهب لقد * اعلن بالزور وبالمنكر
يزعم ان المصطفى أحمدا * أتاه جبريل التقي البري
عليه خف وقبا اسود * مخنجرا في الحقو بالخنجر

(وحكى) جعفر الطيالسي ان يحيى بن معين وقف على حلقته وهو يحدث بهذا الحديث عن جعفر الصادق فقال له كذبت يا عدو الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاخذني الشرط فقلت لهم هذا يزعم ان رسول رب العالمين جبريل نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه قباء قال فقالوا لي هذا والله قاص كذاب وأفرجوا عني وقال ابن قتيبة في كتاب المعارف وكان أبو البختري ضعيفا في الحديث وقال الخطيب في تاريخه قال ابراهيم الحربي قيل لاحمد بن حنبل تعلم احدا روى لاسبق الا في خف أو حافر أو جناح فقال ما روى هذا الا ذاك الكذاب أبو البختري وله من التصانيف كتاب الروايات وكتاب طسم وجديس وكتاب صفة النبي صلى الله عليه وسلم وكتاب فضائل الانصار وكتاب الفضائل الكبير ويحتوي على جميع الفضائل وكتاب نسب ولد اسماعيل عليه السلام ويحتوي على قطعة من الاحاديث والقصص واخباره ومحاسنه كثيرة وتوفي سنة مائتين للهجرة ببغداد في خلافة المأمون رحمه الله تعالى وقد ذكره ابن قتيبة في كتاب المعارف في موضعين عقد له اولا ترجمة وتكلم على حاله ثم ذكره في ثلاثة أسماء في نسق أبو البختري وهب بن وهب وعدّ معه في ملوك الفرس بهرام بن بهرام بن بهرام وفي الطالبيين حسن بن حسن بن حسن وفي غسان الحرث الاصغر بن الحرث الاعرج بن الحرث الاكبر وهؤلاء الذين ذكرهم ابن قتيبة وقد جاء في المتأخرين أبو حامد الغزالي وهو محمد بن محمد بن محمد وقد سبق ذكره في المحمدين وأبو البختري بفتح الباء الموحدة وسكون الخاء المعجمة وفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها راء وهو مأخوذ من البخترة التي هي الخيلاء وهو يتصحف على كثير من الناس بالبحتري الشاعر المقدم ذكره وزمعة بفتح الزاي والميم والعين المهملة وبعدها هاء ساكنة وهي في الاصل اسم للهنة الزائدة من وراء الظلف وبها سمي الرجل وقد تقدم الكلام على الأسدي والمدني قلت وبعد الفراغ من هذه الترجمة ظفرت

بنكتة ينبغي الحاقها بها وهي ان أبا البحتري المذكور قال كنت أدخل على هارون الرشيد وابنه القاسم الملقب بالمؤتمن بين يديه فكنت ادمن النظر اليه عند دخولي وخروجي فقال له بعض ندمائه ما أرى أبا البحتري الايحب رؤس الجلان ففطن له الرشيد فلما دخلت عليه قال أراك تدمن النظر الى أبي القاسم تريدان تجعل انقطاعه اليك قلت اعيذك بالله يا أمير المؤمنين ان ترميني بما ليس في وأما ادماني النظر اليه فلان جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه روى باسناده عن آبائه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث يزدن في قوة النظر النظر الى الخضرة والى الماء الجاري والى الوجه الحسن نقلتها من خط القاضي كمال الدين بن العديم من مسودة تاريخه والله تعالى أعلم بالصواب

(حرف الهاء)

الشريف أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني المعروف بابن الشجري البغدادي

كان اماما في النحو واللغة واشعار العرب وايامها واحوالها كامل الفضائل متضلعا من الادب صنف فيه عدة تصانيف فمن ذلك كتاب الامالي وهو أكبر تآليفه وأكثرها افادة أملاه في أربعة وثمانين مجلسا وهو يشتمل على فوائد جمة من فنون الادب وختمه بمجلس قصره على أبيات من شعر أبي الطيب المتنبي تكلم عليها وذكر ما قاله الشراح فيها وزاد من عنده ما سنح له وهو من الكتب الممتعة ولما فرغ من املائه حضر اليه أبو محمد عبد الله المعروف بابن الخشاب المقدم ذكره والتمس منه سماعه عليه فلم يجبه الى ذلك فعاداه ورد عليه في مواضع من الكتاب ونسبه فيها الى الخطأ فوقف أبو السعادات المذكور على ذلك الرد فرد عليه في رده وبين وجوه غلطه وجمعه كتابا وسماه الانتصار وهو على صغر حجمه مفيد جدا وسمعه عليه الناس وجمع أيضا كتابا سماه الحماسة ضاهى به حماسة أبي تمام الطائي وهو كتاب غريب مليح أحسن فيه وله في النحو عدة تصانيف ما اتفق لفظه واختلف معناه وشرح اللمع لابن جني وشرح التصريف الملوكي وكان حسن الكلام حلو الالفاظ فصيحا جيد البيان والتفهيم وقرأ الحديث بنفسه على جماعة من الشيوخ المتأخرين مثل أبي الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد بن القسم الصيرفي وأبي علي محمد بن سعيد بن شهاب الكاتب وغيرهما وذكره الحافظ أبو سعيد بن السمعاني في كتاب الذيل وقال اجتمعنا في دار الوزير أبي القسم علي بن طراد الزينبي وقت قراءتي عليه الحديث وعلقت عنه شيأ من الشعر في المدرسة ثم مضيت اليه وقرأت عليه جزءا من امالي أبي العباس ثعلب النحوي (وحكى) أبو البركات عبد الرحمن

ابن الانباري النحوي المتقدم ذكره في كتابه الذي سماه مناقب الادباء ان العلامة أبا القسم محمود الزمخشري المتقدم ذكره لما قدم بغداد قاصدا الحج في بعض أسفاره مضى الى زيارة شيخنا أبي السعادات بن الشجري مضينا معه اليه فلما اجتمع به أنشده قول المتنبي

واستكبر الاخبار قبل لقائه * فلما التقينا صغر الخبر الخبر

ثم أنشده بعد ذلك

كانت مساءلة الركبان تخبرنا * عن جعفر بن فلاح أحسن الخبر
ثم التقينا فلا والله ما سمعت * اذني باحسن مما قد رأى بصري

وهذان البيتان قد تقدم ذكرهما في ترجمة جعفر بن فلاح وهما منسوبان الى أبي القسم محمد بن هانئ الاندلسي وقد تقدم ذكره أيضا وينسبان الى غيره أيضا والله تعالى أعلم قال ابن الانباري فقال العلامة الزمخشري روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما قدم عليه زيد الخيل قال له يا زيد ما وصف لي أحد في الجاهلية فرأيته في الاسلام الا رأيته دون ما وصف لي غيرك قال ابن الانباري فخرجنا من عنده ونحن نعجب كيف يستشهد الشريف بالشعر والزمخشري بالحديث وهو رجل اعجمي وهذا الكلام وان لم يكن عين كلام ابن الانباري فهو في معناه لاني لم انقله من الكتاب بل وقفت عليه منذ زمان وعلق معناه بخاطري وانما ذكرت هذا لان الناظر فيه قد يقف على كتاب ابن الانباري فيجد بين الكلامين اختلافا فيظن اني تسامحت في النقل وكان أبو السعادات المذكور نقيب الطالبيين بالكرخ نيابة عن والده الطاهر وله شعر حسن فمن ذلك قصيدة يمدح بها الوزير نظام الدين أبا نصر المظفر بن علي بن محمد بن جهير وأولها

هذي السديرة والغدير الطافح * فاحفظ فؤادك انني لك ناصح
يا سدرة الوادي الذي ان ضله السـ * ـاري هداه نشره المتفاوح
هل عائد قبل الممات لمغرم * عيش تقضى في ظلالك صالح
ما انصف الرشا الضنين بنظرة * لما دعى مصغي الصبابة طامح
شط المزار به وبوئ منزلا * بصميم قلبك فهو دان نازح
غصن يعطفه النسيم وفوقه * قمر يحف به ظلام جانح
واذا العيون تساهمته لحاظها * لم يروّ منه الناظر المتراوح
ولقد مررنا بالعقيق فشاقنا * فيه مراتع للمها ومسارح
ظللنا به نبكي فكم من مضمر * وجدا اذاع هواه دمع سافح
برت السنون رسومها فكأنها * تلك العراض المقفرات نواضح
يا صاحبي تأملا حييتما * وسقى دياركما الملث الرائح
ادمى بدت لعيوننا أم ربرب * أم خرد أكنانهن رواح
أم هذه مقل الصوار ارتنا * خلل البراقع أم قنا وصفائح

لم يبق جارحة وقد واجهتنا * الا وهنّ لها بهن جوارح
كيف ارتجاع القلب من أسر الهوى * ومن الشقاوة ان يراض القارح
لو بله من ماء ضارج شربة * ما اثرت للوجد فيه لواقح

ومن ههنا يخرج الى المديح فاضربت عنه خوف الاطالة ولم يكن المقصود الا اثبات شئ من ثلمه ليستدل به على طريقته فيه ومن شعره أيضا

هل الوجد خاف والدموع شهود * وهل مكذب قول الوشاة جحود
وحتى متى تفنى شؤنك بالبكا * وقد حد خد البكاء لبيد
واني وان خفت قناتي كبرة * لذو مرة في النائبات جليد

وفيه اشارة الى أبيات لبيد بن ربيعة العامري وهي

تمنى ابنتاى ان يعيش اباهما * وهل انا الا من ربيعة أو مضر
فقوما فنوحا بالذى تعلمانه * ولا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذى لا صديقه * اضاع ولا خان العهود ولا غدر
الى الحول ثم اسم السلام عليكما * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

والى هذا اشار أبو تمام الطاى بقوله

ظعنوا فكان بكاء حول بعدهم * ثم ارعويت وذاك حكم لبيد

وقال الشريف أبو السعادات المذكور أنشدنى أبو اسماعيل الحسين الطغراى قلت قد تقدم ذكره لنفسه

اذا لم تكن ملكا مطاعا * فكن عبدا لمالكه مطيعا
وان لم تملك الدنيا جميعا * كما تهواه فاتركه جميعا
هما سببان من ملك ينيلا * ن الفتى الشرف الرفيعا
فمن يقنع من الدنيا بشئ * سوى هذين عاش بها وضيعا

وكان بين أبي السعادات المذكور وبين أبي محمد الحسن بن أحمد بن محمد بن حكينا البغدادى الحريمى الشاعر المشهور وهو المذكور فى ترجمة أبي محمد القاسم بن على الحريرى صاحب المقامات تنافس جرت العادة بمثله بين أهل الفضائل فلما وقف على شعره عمل فيه قوله

ياسيدى والذى يعيذك من * نظم قريض يصدا به الفكر
مالك من جدك النبى سوى * انك ما ينبغى لك الشعر

وشعره وماجرياته كثيرة والاختصار أولى وكانت ولادته فى شهر رمضان سنة خمسين وأربعمائة وتوفى يوم الخميس السادس والعشرين من شهر رمضان سنة اثنين وأربعين وخمسمائة ودفن من الغد فى داره بالكرخ من بغداد رحمه الله تعالى والشجرى بفتح الشين المعجمة والجيم وبعدها راء هذه النسبة الى شجرة وهى قرية من اعمال

المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وشجرة أيضا اسم رجل وقد سمت به العرب ومن بعدها وقد انتسب اليه خلق كثير من العلماء وغيرهم ولا أدرى الى من ينتسب الشريف المذكور منهما هل هو نسبة الى القرية أم الى أحد أجداده كان اسمه شجرة والله أعلم وقد تقدم الكلام على الكرخى رضى الله عنه فأغنى عن الاعادة

أبو القسم هبة الله بن الحسين بن يوسف وقيل أحمد المعروف بالبديع الاسطرلابى الشاعر المشهور أحد الادباء الفضلاء

كان وحيد زمانه فى عمل الآلات الفلكية متقنا لهذه الصناعة وحصل له من جهة عملها مال جزيل فى خلافة الامام المسترشد ولما مات لم يخلفه فى شغله مثله وقد ذكره أبو المعالى الحظيرى فى كتابه الذى سماه زينة الدهر وذكره العماد الكاتب الاصبهانى فى كتاب الخريدة وكل منهما اثنى عليه وأورد عدة مقاطيع من شعره فمن ذلك قوله

اهدى لمجلسه الكريم وانما * اهدى له ما حزت من نعمائه

كالبحر يمطره السحاب وماله * فضل عليه لانه من مائه

وهذان البيتان من أحسن شعره وقد قيل انهما لغيره وله أيضا

أذاقنى حمرة المنايا * لما اكتسى خضرة العذار

وقد تبدى السواد فيه * وكارتى بعد فى العيار

هكذا وجدت هذين البيتين فى زينة الدهر تأليف أبى المعالى الحظيرى منسوبين الى البديع المذكور ورأيت فى موضع آخر انهما لابى محمد بن حكينا المذكور فى ترجمة الشريف أبى السعادات بن الشجرى والله أعلم وهذه العبارة من اصطلاح البغادذة فانهم يقولون وكارتى بعد فى العيار يعنى انه ناشب معه لم يتخلص منه والكارة عندهم فى الدقيق بمثابة الجملة فى ديار مصر ومن شعره أيضا

قال قوم عشقته أمرد الخد * وقد قيل انه نكريش

قلت فرخ الطاوس أحسن ما كا * ن اذا ما علا عليه الريش

قوله نكريش لفظة أعجمية والاصل فيها نيك ريش معناها لحية جيدة وهو على ما تقرر من اصطلاح العجم انهم يقدمون ويؤخرون فى الفاظهم المركبة فنيك جيد وريش لحية وكان كثير الخلاعة يستعمل المجون فى اشعاره حتى يفضى به الى الفحش فى الفاظه فلهذا اقتصرت له على هذه النبذة مع كثرة شعره وكان قد جمع ديوان ابن حجاج ورتبه على مائة واحد وأربعين بابا وجعل كل باب فى فن من فنون شعره وقفاه وسماه درة التاج من شعر ابن حجاج وكان ظريفا فى حركاته وتوفى سنة أربع وثلاثين وخمسمائة بعلة الفالج ودفن بمقبرة الوردية بالجانب الشرقى من بغداد رحمه الله تعالى

والاسطرلابى بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وضم الطاء المهملة وبعدها راء ثم لام ألف ثم باء موحدة هذه النسبة الى الاسطرلاب وهو الآلة المعروفة قال كوشيار

لبان بن باشهرى الجيلى صاحب كتاب الزيج فى رسالته التى وضعها فى علم الاسطرلاب ان الاسطرلاب كلمة يونانية معناها ميزان الشمس وسمعت بعض المشايخ يقول ان لاب اسم الشمس بلسان اليونان فكانه قال اسطر الشمس اشارة الى الخطوط التى فيه وقيل ان اول من وضعه بطليموس صاحب المجسطى وكان سبب وضعه له انه كان معه كرة فلكية وهو راكب فسقطت منه فداستها دابته فخسفتها فبقيت على هيئة الاسطرلاب وكان أرباب علم الرياضة يعتقدون ان هذه الصورة لا ترسم الا فى جسم كرى على هيئة الافلاك فلما رآه بطليموس على تلك الصورة علم انه يرتسم فى السطح و يكون نصف دائرة و يحصل منه ما يحصل من الكرة فوضع الاسطرلاب ولم يسبق اليه وما اهتدى أحد من المتقدمين الى أن هذا القدر يتاتى فى الخط ولم يزل الامر مستمرا على استعمال الكرة والاسطرلاب الى أن استنبط الشيخ شرف الدين الطوسى المذكور فى ترجمة الشيخ كمال الدين بن يونس رحمهما الله تعالى وهو شيخه فى فن الرياضة ان يضع المقصود من الكرة والاسطرلاب فى خط فوضعه وسماه العصا وعمل له رسالة بديعة وكان قد أخطأ فى بعض هذا الوضع فاصلحه الشيخ كمال الدين المذكور وهذبه والطوسى اول من أظهر هذا فى الوجود ولم يكن أحد من القدماء يعرفه فصارت الهيئة توجد فى الكرة التى هى جسم لانها تشتمل على الطول والعرض والعمق وتوجد فى السطح الذى هو مركب من الطول والعرض بغير عمق وتوجد فى الخط الذى هو عبارة عن الطول فقط بغير عرض ولا عمق ولم يبق سوى النقطة ولا يتصور ان يعمل فيها شئ لانها ليست جسما ولا سطحا ولا خطا بل هى طرف الخط كما ان الخط طرف السطح والسطح طرف الجسم والنقطة لا تتجزى فلا يتصور ان يرتسم فيها شئ وهذا وان كان خروجا عما نحن بصدده لكنه أيضا فائدة والاطلاع عليه أولى من اهماله وسياق الكلام جره والله تعالى أعلم

أبو القسم هبة الله بن الفضل بن القطان عبد العزيز بن محمد بن الحسين بن على بن أحمد ابن الفضل بن يعقوب بن يوسف بن سالم المعروف بابن القطان الشاعر المشهور البغدادى

ابن القطان

قد سبق شئ من شعره وطرف من خبره فى ترجمة حيص بيص فى حرف السين وفى ترجمة ابن السوادى فى أواخر حرف العين وكان أبو القاسم المذكور قد سمع الحديث من جماعة من المشايخ وسمع عليه وكان غاية فى الخلاعة والمجون كثير المزاح والمداعبات مغرى بالولوع بالمتجرفين والهجاء لهم وله فى ذلك نوادر ووقائع وحكايات ظريفة وله ديوان شعر وقد ذكره أبو سعد السمعانى فى كتاب الذيل فقال شاعر مجود مليح الشعر رقيق الطبع الا ان الغالب عليه الهجاء وهو ممن يتقى لسانه ثم قال كتبت عنه حديثين لا غير وعلقت عنه مقطعات من شعره وذكر الحافظ السلفى أباه أبا عبد الله الفضل بن عبد العزيز وقال ان بعض أولاد المحدثين سأله عن مولده فقال سنة ثمانى عشرة

وأربعمائة ليلة الجمعة رابع عشر رجب وقال أبو غالب شجاع بن فارس الذهلي مات يوم الاربعاء ودفن من الغد لست بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وأربعمائة بمقبرة معروف الكرخي رضي الله عنه وذكر العماد الكاتب الاصبهاني في كتاب الخريدة أبا القسم المذكور فقال وكان مجماعاً في ظرفه ولطفه وله ديوان شعر أكثره جيد وعبث فيه بجماعة من الاعيان وثلبهم ولم يسلم منه أحد لا الخليفة ولا غيره وأخبرني بعض المشايخ انه رآه وقال كنت يومئذ صبيا لم آخذ عنه شيأ لكنني رأيته قاعدا على طرف دكان عطار ببغداد والناس يقولون هذا ابن الفضل الهجاء وسمع الحديث من جماعة منهم أبوه وأبو طاهر محمد بن الحسن الباقلاني وأبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون الامين وأبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن طلحة بن محمد بن عثمان الكرخي وغيرهم وله مع حيص بيص ماجريات فمن ذلك ان الحيص بيص خرج ليلة من دار الوزير شرف الدين أبي الحسن علي بن طراد الزينبي فسمع عليه جرو كلب وكان متقلدا سيفا فوكزه بعقب السيف فمات فبلغ ذلك ابن الفضل المذكور فنظم أبياتا وضمنها بيتين لبعض العرب قتل أخوه ابناله فقدم اليه ليقتاد منه فالقى السيف من يده وأنشدهما والبيتان المذكوران يوجدان في الباب الاول من كتاب الحماسة ثم ان ابن الفضل المذكور عمل الابيات في ورقة وعلقها في عنق كلبة لها أجرور تب معها من يطردها وأولادها الى باب دار الوزير كالمستغيثة فاخذت الورقة من عنقها وعرضت على الوزير فاذا فيها

يا أهل بغداد ان الحيص بيص أتى * بفعلة أكسبته الخزي في البلد
هو الجبان الذي أبدى تشاجعه * على جري ضعيف البطش والجلد
وليس في يده مال يديه به * ولم يكن بيواء عنه في القود
فانشدت جعدة من بعد ما احتسبت * دم الابيلق عند الواحد الصمد
أقول للنفس تأساء وتعزية * احدى يدي اصابتني ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه * هذا أخي حين ادعوه وذا ولدي

والبيت الثالث مأخوذ من قول بعضهم

قوم اذا ما جنى جانيهم أمنوا * من لوم احسابهم ان يقبلوا قودا

وهو من جملة أبيات في الكراس الذي اوله لقي بشار وسثار في الحماسة وهذا التضمين في غاية الحسن ولم اسمع مثله مع كثرة ما يستعمل الشعراء التضمين في اشعارهم الا ما أنشدني الشيخ مهذب الدين أبو طالب محمد المعروف بابن الخيمي المذكور في ترجمة الشيخ تاج الدين الكندي في حرف الراء لنفسه واخبرني انه كان بدمشق وقد رسم السلطان بحلق لحية شخص له وجاهة بين الناس فحلق نصفها وحصلت فيه شفاعة فعفي عنه في الباقي فعمل فيه ولم يصرح باسمه بل رمزه وستره وهو

زرت ابن ادم لما قيل قد حلقوا * جميع لحيته من بعد ما شربا

فلم أر النصف يحلو قاقعدت له * مهنيا بالذى منها له وهبا
فقام ينشدنى والدمع يخنقه * بيتين ما نظما مينا ولا كذبا
اذا اتتك لحاق الذقن طائفة * فاخلع ثيابك منها ممعنا هربا
وان أتوك وقالوا انها نصف * فان أطيب نصفيها الذى ذهبا

والبيتان الاخيران منها فى كتاب الحماسة أيضا فى باب مذمة النساء لكن الاول منهما فيه تغير فان بيت الحماسة

لا تنكحن عجوزا ان أتيت بها * واخلع ثيابك منها ممعنا هربا

وحضر ليلة الحيص بيص وابن الفضل المذكور على السماط عند الوزير فى شهر رمضان فاخذ ابن الفضل قطاة مشوية وقدمها الى الحيص بيص فقال الحيص بيص للوزير يا مولانا هذا الرجل يؤذينى فقال الوزير كيف ذلك قال لانه يشير الى قول الشاعر

تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا * ولو سلكت سبل المكارم ضلت

وكان الحيص بيص تميميا كما تقدم فى ترجمته وهذا البيت للطرماح بن حكيم الشاعر وهو من جملة أبيات وبعد هذا البيت

أرى الليل يجلوه النهار ولا أرى * خلال المخازى عن تميم تجلت
ولو ان برغوثا على ظهر قملة * يكر على صفى تميم لولت

ودخل ابن الفضل المذكور يوما على الوزير المذكور الزينبى وعنده الحيص بيص فقال قد عملت بيتين ولا يمكن ان يعمل لهما ثالث لانى قد استوفيت المعنى فيهما فقال له الوزير هاتهما فانشده

زار الخيال نحيلا مثل مرسله * فما شفانى منه الضم والقبل
ما زارنى قط الا كى يوافقنى * على الرقاد فينفيه ويرتحل

فالتفت الوزير الى الحيص بيص وقال له ما تقول فى دعواه فقال ان اعادهما سمع الوزير لهما ثالثا فقال له الوزير أعدهما فأعادهما فوقف الحيص بيص لحظة ثم أنشد

وما درى ان نومى حيلة نصبت * لطيفه حين اعيا اليقظة الحيل

فاستحسن الوزير ذلك منه وسمعت لبعض المعاصرين ولم أتحقق أنها له حتى اعينه وقد أخذ هذا المعنى ونظمه وأحسن فيه وهو

يا ضرة القمرين من لمتيم * اردية وأحلت ذاك على القضا
وحياة حبك لم ينم عن سلوة * بل كان ذلك للخيال تعرضا
لا تأسفن ان زار طيفك فى الكرى * ما كان الا مثل شخصك معرضا

ثم وجدت هذه الابيات لابى العلاء بن أبى الندى المعروف ولما هجا قاضى القضاة جلال الدين الزينبى بالقصيدة الكافية المقدم ذكرها فى ترجمة ابن السوادى ولولا طولها لذكرتها سير اليه أحد الغلمان فاحضره وصفعه وحبسه فلما طال حبسه كتب الى مجد

الدين بن الصاحب استاذدار الخليفة أبياتا يقول فيها

الملك الملك مجد الدين اشكو * بلاء حل لست له مطيقا
وقوما بلغوا عنى محالا * الى قاضى القضاة الدبسيقا
فاحضرنى بباب الحكم خصم * غليظ جرى حكما دزيقا
واخفق نعله بالصفع راسى * الى ان اوجس القلب الخفوقا
على الخصم الاداء وقد صفعنا * الى ان ما اهتدينا الطريقا
فيا مولاى هب ذا الافك حقا * أيحبس بعدما استوفى الحقوقا

ولما خرج من السجن أنشد

عندى الذى طرف بى انه * قد غض من قدرى واذانى
فالحبس ما غير لى خاطرا * والصفع مالين آذانى

وقد سبق فى ترجمة الحيص بيص أبياته الجيدة فى هجوه وجواب الحيص عنها ولما ولى الربيبى المذكور الوزارة دخل عليه ابن الفضل المذكور والمجلس محتفل باعيان الرؤساء وقد اجتمعوا للهناء فوقف بين يديه ودعا له وأظهر السرور والفرح ورقص فقال الوزير لبعض من يفضى اليه بسره قبح الله هذا الشيخ فانه يشير برقصه الى ما تقول العامة فى امثالها ارقص للقرد فى زمانه وقد نظم هذا المعنى فى أبيات وكتبها الى بعض الرؤساء وهى

يا كمال الدين الذى * هو شخص مشخص
والرئيس الذى به * ذنب دهرى يمحص
خذ حديثى فانه * بنا سوف يرخص
كلما قلت قد تنغـ * ـص قومى تخصصوا
ليس الا ستر بنا * ل وباب مجصص
وغواش على الرؤ * س عليها المقرنص
والرواشين والما * طر والخيل ترقص
واما القرد كل يو * م لكلب ايصبص
كل من صفق الزما * ن له قمت أرقص
حتى لا يفيد ذا اللو * ن منها التمرص
حتى أسمع الندا * ء وقد جاء مخلص

ومثل هذا قول بعضهم

اذا رأيت امرأ وضيعا * قد رفع الدهر من مكانه
فكن له سامعا مطيعا * معظما من عظيم شانه
فقد سمعنا بأن كسرى * قد قال يوما لترجمانه

اذا زمان السباع ولى * ارقص الى القرد فى زمانه

(وحكى) انه دخل مرة على بعض أهل بغداد وقد تولى ولاية كبيرة ولم يكن من أهلها فسلم عليه ودعا له وهناه بالولاية وأظهر الفرح والسرور ثم خرج فقال بعض الحاضرين هذا يشير الى قول الناس فى أمثالهم ارقص للقرد فى زمانه وله القصيدة الرائية المشهورة التى جمع فيها خلقا من الاكابر ونبز كل واحد منهم بشئ وفيها يقول

تكريت تعجزنا ونحن بجهلنا * نمضى لنأخذ ترمذا من سنجر

ومنها البيت السائر وهو

نسب الى العباس ليس شبيهه * فى الضعف غير الباقلاء الاخضر

وأنشدنى له بعض أصحابنا المتأدبين قوله

سعى احسانه بينى وبين الدهر بالصلح * ايادملات يتى على بيت من المدح

ودخل يوما على الوزير ابن هبيرة وعنده نقيب الاشراف وكان ينسب الى البخل وكان فى شهر رمضان والحر شديد فقال له الوزير أين كنت فقال فى مطبخ سيدى النقيب فقال له ويحك ايش عملت فى شهر رمضان فى المطبخ فقال وحياة مولانا كسرت الحر فيه فتبسم الوزير وضحك الحاضرون وخجل النقيب وهذا الكلام على اصطلاح أهل تلك البلاد فانهم يقولون كسرت الحر فى الموضع الفلانى اذا اختاره موضعا باردا يقيل فيه وقصد دار بعض الاكابر فى بعض الايام فلم يؤذن له فى الدخول فعز عليه فاخرجوا من الدار طعاما واطعموه كلاب الصيد وهو يبصره فقال مولانا يعمل بقول الناس لعن الله شجرة لاتظل أهلها وقعد يوما مع زوجته يأكل طعاما فقال لها اكشفى راسك ففعلت وقرأ قل هو الله أحد فقالت له ما الخبر فقال ان المرأة اذا كشفت رأسها لم تحضر الملائكة عليهم السلام واذا قرأ قل هو الله أحد هربت الشياطين وأنا أكره الزحمة على المائدة وأخباره كثيرة وكانت ولادته سنة سبع وسبعين وأربعمائة وقال السمعانى سألته عن مولده فقال ولدت ضحى نهار الجمعة السابع من ذى الحجة سنة ثمان وسبعين وتوفى يوم السبت الثامن والعشرين من رمضان وقيل يوم عيد الفطر سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ببغداد ودفن بمقبرة معروف الكرخى رحمه الله تعالى وقال السمعانى توفى يوم عيد الفطر والله أعلم ولولا ايثار الاختصار لذكرت من احواله ومضحكاته شيأ كثيرا فانه كان آية فى هذا الباب وقوله فى الابيات الدالية ولم يكن بواء عنه فى القود فالبواء بفتح الباء الموحدة وبعدها الواو وهمزة ممدودة ومعناه السواء يقال دم فلان بواء لدم فلان اذا كان مكافئا له وجعدة المذكورة فى هذه الابيات أيضا بفتح الجيم والدال المهملة وبينهما عين مهملة ساكنة وهو اسم من أسماء الكلبة هكذا سمعته ولم اره فى شئ من كتب اللغة بل الذى قاله أرباب اللغة ان أبا جعدة كنية الذئب وجعدة اسم النعجة كنى الذئب بها لمحبته اياها والله أعلم

القاضي السعيد بن سناء الملك هبة الله بن القاضي الرشيد أبي الفضل جعفر
ابن المعتمد سناء الملك أبي عبد الله محمد بن هبة الله بن محمد السعدي
الشاعر المشهور المصري

صاحب الديوان الشعر البديع والنظم الرائق أحد الفضلاء الرؤساء النبلاء وكان كثير الحصص والتنعم وافر السعادة محظوظا من الدنيا أخذ الحديث عن الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي الاصبهاني رحمه الله تعالى واختصر كتاب الحيوان للجاحظ وسمى المختصر روح الحيوان وهي تسمية لطيفة وله ديوان جميعه موشحات سماه دار الطراز وجمع شيأ من الرسائل الدائرة بينه و بين القاضي الفاضل وفيه كل معنى مليح واتفق في عصره بمصر جماعة من الشعراء المجيدين وكان لهم مجالس يجري بينهم فيها ماسما كهات ومحاورات يروق سماعها ودخل في ذلك الوقت الى مصر شرف الدين بن عنين المتقدم ذكره في المحمدين فاحتفلوا به وعملوا له دعوات وكانوا يجتمعون على ارغد عيش وكانوا يقولون هذا شاعر الشام وجرت لهم محافل سطرت عنهم ولولا خشية الاطالة لذكرت بعضها ومن محاسن شعره بيتان من جملة قصيدة يمدح بها القاضي الفاضل رحمه الله تعالى وهما

لو ابصر النظام جوهر ثغرها * لما شك فيه انه الجوهر الفرد
ومن قال ان الخيزرانة قدها * فقولوا له اياك ان يسمع القد

ومن شعره أيضا

لا الغصن يحكيك ولا الجؤذر * حسنك مما كثروا أكثر
يا باسما أبدى لنا ثغره * عقدا ولكن كله جوهر
قال لي اللاحي أما تستمع * فقلت يا لاحي أما تبصر

وله يتغزل بجارية عمياء

شمسي بغير الشعر لم تحتجب * وفي سوى العينين لم تكسف
مغمدة المرهف لكنها * تجرح بالجفن بلا مرهف
رأيت منها الحادي جؤذر * ومقلتي يعقوب في يوسف

وله في غلام شرب ثم حبس

بنفسي من لم يشرب لريبة * ولكن ليبدو الورد في سائر الغصن
ولم يودعوه السجن الا مخافة * من العين ان تعدو على ذلك الحسن
وقالوا له شاركت في الحسن يوسفا * فشاركه أيضا في الدخول الى السجن

وله من جملة أبيات

وما كان تركي حبه عن ملالة * ولكن لامر يوجب القول بالترك
أراد شريكا في الذي كان بيننا * وايمان قلبي قد نهاني عن الشرك

وله أيضا

ياعاطل الجيد الامن محاسنه * عطلت فيك الحشا الامن الحزن

فى سلك جفنى در الدمع منتظم * فهل لجيدك فى عقد بلا ثمن

لاتخش منى فانى كالنسيم ضنى * وما النسيم بمخشى على الغصن

وهذا البيت ماخوذ من قول ابن قلاقس وقد تقدم ذكره فى ترجمته وهو

اغيد ماهمت به روضة * اعل جسمى لا كون النسيم

ومن نثره فى وصف النيل فى سنة كان ناقصا ولم يوف الزيادة التى جرت بها العادة و يقال انه كتبه من جملة رسالة الى القاضى الفاضل وهو وأما امر الماء فانه نضبت مشارعه وتقطعت اصابعه وتيمم العمود لصلاة الاستسقاء وهم المقياس من الضعف بالاستلقاء وهذا من أحسن مايوصف به نقصان النيل وكان بمصر شاعر يقال له أبو المكارم هبة الله بن وزير بن مقلد الكاتب فبلغ القاضى السعيد المذكور عنه انه هجاه فاحضره اليه وادبه وشتمه وكتب اليه نشو الملك أبو الحسن على بن مفرج المغربى الاصل المصرى الدار والوفاة المعروف بابن المنجم الشاعر المعروف

قل للسعيد أدام الله نعمته * صديقنا ابن وزير كيف تظلمه

صفعته اذغدا يهجوك منتقما * فكيف من بعد هذا ظلت تشتمه

هجو بهجو وهذا الصفع فيه ربا * والشرع مايقتضيه بل يحرمه

فان تقل مالهجو عنده ألم * فالصفع والله أيضا ليس يؤلمه

ولما مدح السعيد المذكور شمس الدولة توران شاه أخا السلطان صلاح الدين المقدم ذكره فى حرف التاء بقصيدته التى أولها

تقنعت لكن بالحبيب المعمم * وفارقت لكن كل عيش مذمم

تعصب عليه جماعة من شعراء مصر وعابوا هذا الاستفتاح وهجوه فكتب اليه ابن الدروى الشاعر المذكور فى ترجمة سيف الدولة المبارك بن منقذ

قل للسعيد مقال من هو معجب * منه بكل بديعة ماأعجبا

لقصيدك الفضل المبين وانما * شعراؤنا جهلوا به المستغربا

عابوا التقنع بالحبيب ولو رأى * الطاءى ماقد حكته لتعصبا

ونوادر القاضى السعيد كثيرة وتوفى فى العشر الاول من شهر رمضان سنة ثمان وستمائة بالقاهرة وذكر صاحب الكمال فى عقود الجمان انه توفى يوم الاربعاء رابع الشهر المذكور رحمه الله تعالى وذكره العماد الكاتب فى كتاب الخريدة فقال كنت عند القاضى الفاضل فى خيمته بمرج الدلهمية ثامن عشر ذى القعدة سنة سبعين وخمسمائة فاطلعنى على قصيدة له كتبها اليه من مصر وذكر ان سنه لم يبلغ العشرين سنة فاعجبت بنظمه ثم ذكر القصيدة العينية التى اولها

فراق قضى للهم والقلب بالجمع • وهجر تولى صلح عيني مع الدمع

وعلى هذا التقدير يكون مولده في حدود سنة خمسين وخمسمائة وقيل انه توفى سنة ثمان وأربعين والله أعلم ثم قال العماد بعد الفراغ من ذكر هذه القصيدة ثم وصل بعني القاضي السعيد المذكور الى الشام في شهر رمضان سنة احدى وسبعين وخمسمائة في الخدمة الفاضلية فوجدته في الذكاء آيه قد احرز في صناعة النظم والنثر غايه تلقى عرابة العربية له باليمين رايه وقد الحقه الاقبال الفاضل في الفضل قبولا وجعل طبع خاطره على الفطنة مجبولا وانا ارجو ان ترقى في الصناعة رتبته وتغزر عند تمادي ايامه في العلم بغيته ونصفو من الصبا منقبته وتروى بماء الدراية رويته وتستكثر فوائده وتؤثر قلائده وتوفي والده بجعفر في منتصف شهر رمضان سنة ثمانين وخمسمائة ثم رأيت بخط بعض أصحابنا ممن له عناية بهذا الفن انه توفي يوم الثلاثاء خامس ذي الحجة سنة اثنين وتسعين ومولده منتصف شوال سنة خمس وعشرين وخمسمائة والله أعلم وأبو المكارم هبة الله بن وزير بن مقلد الشاعر المصري المذكور في هذه الترجمة فان العماد الاصبهاني ذكره في كتاب الخريدة وقال مررت الى مصر في سنة ست وتسعين وخمسمائة فسألت عنه فاخبرت بوفاته رحمه الله تعالى

أبو القسم وأبو الكرم هبة الله بن علي بن مسعود بن ثابت بن هاشم بن غالب ابن ثابت الانصاري الخزرجي المنستيري الاصل المصري المولد والدار المعروف بالبوصيري

كان أديبا كاتبا له سماعات عالية وروايات تفرد بها وألحق الاصاغر بالاكابر في علو الاسناد ولم يكن في آخر عمره في درجته مثله وسمع بقراءة الحافظ أبي طاهر السلفي وابراهيم بن حاتم الاسدي على أبي صادق مرشد بن يحيى بن القسم المديني امام الجامع العتيق بمصر رحمهم الله تعالى والبوصيري المذكور آخر من روى في الدنيا كلها عن أبي صادق مرشد بن يحيى بن القسم المديني المذكور وأبي الحسين علي بن الحسين ابن عمر الفراء الموصلي وأبي عبد الله محمد بن بركات هلال السعدي النحوي سماعا وروى أيضا عن أبي الفتح سلطان بن ابراهيم بن المسلم المقدسي وهو آخر من روى عنهم سماعا في الارض كلها وسمع عليه الناس واكثروا ورحلوا اليه من البلاد وكان جده مسعود قدم من المنستير الى بوصير فاقام بها الى ان عرف فضله في دولة المصريين فطلب الى مصر وكتب في ديوان الانشاء وولده علي والد أبي القسم المذكور بمصر واستقروا بها وشهروا وكان أبو القسم يسمى سيد الاهل أيضا لكن هبة الله أشهر وكانت ولادته سنة ست وخمسمائة بمصر وقيل بل ولد يوم الخميس خامس ذي القعدة سنة خمسمائة وتوفي الليلة الثانية من صفر سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ودفن بسفح المقطم وقال ياقوت الحموي في كتاب البلدان المشترك الاسماء انه مات في شوال رحمه الله تعالى والخزرجي بفتح الخاء

المعجمة

المعجمة وسكون الزاى وفتح الراء وبعدها جيم هذه النسبة الى الخزرج وهو اخو الاوس بفتح الهمزة وسكون الواو وبعدها سين مهملة وهما ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزيقيا ابن عامر ماء السماء وتمام النسب معروف وهما ابنا قيلة بفتح القاف وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح اللام وبعدها هاء ساكنة ومن ذريتهما انصار النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة والمستنير بضم الميم وفتح النون وسكون السين المهملة وكسر التاء المثناة من فوقها وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء وهي بليدة بافريقية بناها هرثمة بن اعين الهاشمي في سنة ثمانين ومائة وكان هارون الرشيد قد ولاه افريقية وقدم اليها يوم الخميس لثلاث خلون من شهر ربيع الآخر سنة تسع وسبعين ومائة وقد تقدمت احواله على هذا الموضع في ترجمة الامير تميم بن المعز بن باديس وبوصير بضم الباء الموحدة وسكون الواو وكسر الصاد المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء وتعرف بوصير قوريدس ويقال كوريدس وهي بليدة باعمال البهنسا من صعيد مصر وقد تقدم الكلام في ترجمة عبد الحميد الكاتب على بوصير الفيوم وبالجيزة أيضا بليدة يقال لها بوصير السدر وبكورة السمنودية أيضا بليدة يقال لها بوصير فهذا الاسم يشترك فيه أربعة بلاد والكل بالديار المصرية والمستنير معبد بين المهدية وسوسه يأوى اليه الصالحون المنقطعون للعبادة فيه قصور شبيهة بالخانقاهات وعلى تلك القصور سور واحد ذكره ياقوت في كتابه

ابن التلميذ الخ

أبو الحسن هبة الله بن أبي الغنائم بن التلميذ الطبيب صاعد بن هبة الله ابن ابراهيم بن علي المعروف بابن التلميذ النصراني الطبيب الملقب أمين الدولة البغدادي

ذكره العماد الاصبهاني في كتاب الخريدة فقال سلطان الحكماء وبالغ في الثناء عليه وقال هو مقصد العالم في علم الطب بقراط عصره وجالينوس زمانه ختم به هذا العلم ولم يكن في الماضين من بلغ مداه في الطب عمر طويلا وعاش نبيلا جليلا ورأيته وهو شيخ بهي المنظر حسن الرواء عذب المجتلى والمجتنى لطيف الروح ظريف الشخص بعيد الهم عالي الهمة ذكي الخاطر مصيب الفكر حازم الرأي شيخ النصارى وقسيسهم ورأسهم ورئيسهم وله في النظم كلمات رائقة وحلاوة جنية وغزارة بهية ومن شعره لغزا في الميزان

ما واحد مختلف الاسماء * يعدل في الارض وفي السماء
يحكم بالقسط بلا رياء * أعمى يرى الارشاد كل راء
اخرس لا من علة وداء * يغنى عن التصريح بالايماء
يجيب ان ناداه ذو امتراء * بالرفع والخفض عن النداء
يفصح ان علق في الهواء

فقوله مختلف الاسماء يعني ميزان الشمس وهو الاصطرلاب وسائر آلات الرصد وهو معنى قوله يحكم في الارض وفي السماء وميزان الكلام النحو وميزان الشعر العروض وميزان المعاني المنطق وهذه الميزان والمكيال والذراع وغير ذلك ثم ذكر بعد ذلك جملة من مقاطيع شعره نأتي بذكر بعضها ان شاء الله تعالى وذكر في ترجمة الحكيم معتمد الملك أبي الفرج يحيى بن التلميذ النصراني الطبيب ما مثاله وكان أبو الحسن بن صاعد حين توفي معتمد الملك أبو الفرج قام مقامه وهو ابن بنته فنسب اليه وعرف به وذكر في كتاب انموذج الاعيان من شعراء الزمان فمن أدرك بالسماع أو بالعيان ان ابن التلميذ المذكور كان متفننا في العلوم ذا رأي رصين وعقل متين طالت خدمته للخلفاء والملوك وكانت منادمته أحسن من التبر المسبوك والدر في السلوك اجتمعت به مرارا في اخر عمره وكنت اعجب في أمره كيف حرم الاسلام مع كمال فهمه وغزارة عقله وعلمه والله يهدي من يشاء بفضله ويضل من يريد بحكمه وكان اذا ترسل استطال وسطا واذا نظم وقع بين أرباب النظم وسطا وأورد شيأ من شعره أيضا وذكره أبو المعالي الحظيري المتقدم ذكره في حرف الشين في كتابه زينة الدهر وأورد له مقاطيع فمن ذلك قوله

يامن رماني عن قوس فرقته • بسهم هجر على تلافيه

ارض لمن غاب عنك غيبته • فذاك ذنب عقابه فيه

وذكر العماد في الخريدة البيت الثاني منسوبا الى محمد بن حكينا البغدادي وضم اليه بعد هذا قوله

لولم يكن له من العقاب سوى • بعدك عنه لكان يكفيه

وذكر له الحظيري أيضا

عاتبت اذ لم يزر خيالك • والنوم بشوقي اليك مسلوب

فزارني منعما وعاتبني • كما يقال المنام مقلوب

ومما ذكره العماد في الخريدة فقال وأنشدني أبو المعالي هبة الله بن الحسن بن محمد بن عبد المطلب فقال أنشدني أبو الحسن بن التلميذ لنفسه

كانت بلهنية الشبيبة سكرة • فصحوت واستأنفت سيرة مجمل

وقعدت ارتقب الفناء كراكب • عرف المحل فبات دون المنزل

والثاني منهما ذكره ابن المنجم في كتاب البارع لمسلم بن الوليد الانصاري وذكر أن محمد بن حكينا المذكور مرض فقصده ليعالجه فعالجه فلما عوفي أعطاه دراهم فعمل فيه شعرا

لما تيممته وبي مرض • الى التداوي والبر محتاج

اسى وواسى فعدت اشكره • فعل امرئ للهموم فراج

فقلت اذ برني وأبرأني • هذا طبيب عليه زرباج

وعمل فيه أيضا في المعنى

جاد واستنقذ المريض وقد كا * د ضنى ان يلف سا قابساق
والذى يدفع المنون عن النفـ * ـس جدير بقسمه الارزاق

وقصد مرة ان يعبر اليه دجلة ليداويه فكتب اليه شعرا

ان امرأ القيس الذى * هام بذات المحمل
كانت شفاه عبرة * وعبرة تسلح لى

وكان ابن حكينا المذكور قد عمى فى آخر عمره وجرت بينهما منافرة فى أمر واشتهى مصالحته فكتب اليه

واذا شئت ان تصالح بشار * بن برد فاطرح عليه اباه

فسر اليه ما طلب واسترضاه وكانت له معه وقائع كثيرة وانما كتب اليه هذا البيت لان بشار بن برد كان أعمى كما تقدم ذكره فى ترجمته فلما عمى شبه نفسه به وكان مطلوبه بردا ومعنى قوله فاطرح عليه أباه لان عادة أهل بغداد اذا أراد الانسان ان يصالح من خاصمه والخصم ممتنع يقال له اطرح عليه فلانا يعنى ادخل عليه به ليشفع له وقد حصلت له التورية فى هذا البيت ومن الشعر المنسوب اليه وهو مشهور قوله ثم وجدتهما للناصح بن الدهان النحوى الموصلى

تعس الزمان فللغرام قضية * ليست على نهج الحجى تنقاد
منها بقاء الشوق وهو بزعمهم * عرض وتفنى دونه الاجساد

وله أيضا وذكر العماد فى الخريدة ان هذين البيتين لابى على المهندس المصرى وهما

تقسم قلبى فى محبة معشر * بكل فتى منهم هواى منوط
كأن فؤادى مركز وهم له * محيط وأهوائى اليه خطوط

وله أيضا

جودة كالطبيب فيها يداوى * سوء أحوالنا بحسن الصنيع
فهو كالموميا اذا انكسر العظـ * ـم ومثل الترياق للملسوع

ثم وجدت هذين البيتين فى ديوان ابن الحجاج الشاعر وقوله فى ولده سعيد

حبى سعيدا جوهر ثابت * وحبه لى عرض زائل
به جهاتى الست مشغولة * وهو الى غيرى بها مائل

وكان أبو القسم على بن أفلح الشاعر المقدم ذكره قد نقه من المرض وهو يعالجه فكتب اليه يشكو جوعه وقد نهاه عن استعمال الغذاء الا بأمره والذى كتبه

أنا جوعان فانقذنى * من هذى المجاعه
فرجى فى الكسرة الخبز * ولو كانت قطاعه
لا تقل لى ساعة * تصبر مالى صبر ساعه
فحواى اليوم لا يقـ * ـبل فى الخبز شفاعه

فوقف ابن التلميذ على هذه الابيات وكتب اليه جوابها

هكذا اصحاب مثلى * يتشاكون الجماعه
غير انى لست أعطيك لمصر ابشفاعه
فتعال بسويق * فهو خير من قطاعه
بحياتى قل لما * ترمه سمعا وطاعه

فلما وصلت الابيات الى ابن اثلج كتب اليه الجواب

ان مرسومك عندى * قد توخيت اتباعه
غير انى لم أقل * من نبتى سمعا وطاعه
ودعتنى الجوع والله * فلم استطع دفاعه
فاكمى كلمة الا * ن وجنبنى صداعه

وكتب اليه ابن التلميذ

أيا فى الشعر ضعيف الطبع * مرور البضاعه
ولك الخاطر قد * أورى طبعا وصناعه
ومتى لم تكف شر الجو * ع لم تكف صداعه
فعلى اسم الله قدم * أخذه من بعد ساعه

وكان بين ابن التلميذ المذكور وبين اوحد الزمان أبى البركات هبة الله بن على بن ملكان الحكيم المشهور صاحب كتاب المعتبر فى الحكمة تنافر وتنافس كما جرت العادة بمثله بين أهل كل فضيلة وصنعة ولهما فى ذلك أمور ومجالس مشهورة وكان يهوديا ثم أسلم فى آخر عمره وأصابه الجذام فعالج نفسه بتسليط الافاعى على جسده بعد ان جوعها فبالغت فى نهشه فبرئ من الجذام وعمى وقصته فى ذلك مشهورة فعمل فيه ابن التلميذ المذكور

لنا صديق يهودى حماقته * اذا تكلم تبدو فيه من فيه
يتيه والكلب أعلى منه منزلة * كانه بعد لم يخرج من التيه

وكان ابن التلميذ كثير التواضع وأوحد الزمان متكبرا فعمل فيهما البديع الاسطرلاب المقدم ذكره

أبو الحسن الطبيب ومقتفيه * أبو البركات فى طرفى نقيض
فهذا بالتواضع فى الثريا * وهذا بالتكبر فى الحضيض

ولابن التلميذ فى الطب تصانيف مليحة فمن ذلك كتاب أقراباذين وهو نافع فى بابه وبه عمل اطباء هذا الزمان وله كتاب وحواش على كليات ابن سينا وغير ذلك وكان شيخه فى الطب أبا الحسن هبة الله بن سعيد صاحب التصانيف المشهورة منها كتاب المغنى والملخص فى الطب وهو جزء واحد وكتاب الاقناع وهو أربعة أجزاء وقد انتقدوا عليه هذه التسمية

وقالوا كان ينبغي ان يكون الامر بالعكس لان المغني هو الذي يغني عن غيره فكان الكتاب الاكبر أولى بهذا الاسم والاقناع هو الذي تقع القناعة به فالمختصر أولى بهذا الاسم وله كل شيء مليح من تصنيف في طب أو أدب وكان حسن السمت كثير الوقار حتى قيل انه لم يسمع منه بدار الخلافة مدة تردداده اليها شيء من المجون سوى مرة واحدة بحضرة المقتفي الخليفة وذلك انه كان له راتب بدار القوارير ببغداد فقطع ولم يعلم الخليفة بذلك فاتفق انه كان عنده يوما فلما عزم على القيام لم يقدر عليه الا بكلفة ومشقة من الكبر فقال له المقتفي كبرت يا حكيم فقال نعم يامولانا وتكسرت قواريري وهذا في اصطلاح أهل بغداد ان الانسان اذا كبر يقال تكسرت قواريره فلما قال الحكيم هذه اللفظة قال الخليفة هذا الحكيم لم أسمع منه هزلا منذ خدمنا فاكشفوا قضيته فكشفوها فوجدوا راتبه بدار القوارير قد انقطع فطالعوا الخليفة بذلك فتقدم برده عليه وكان الذي قد قطعه الوزير عون الدين بن هبيرة وزاده أقطاعا أخر واخباره كثيرة وتوفي في صفر سنة ستين وخمسمائة ببغداد وقد ناهز المائة من عمره وقال ابن الازرق الفارقي في تاريخه مات ابن التلميذ في عيد النصارى وكان قد جمع من سائر العلوم مالم يجتمع في غيره ولم يبق ببغداد من الجانبين من لم يحضر البيعة وشهد جنازته وليس في هذه الترجمة ما يحتاج الى التقييد سوى ملكان جد أوحد الزمان وهو بفتح الميم والكاف وبينهما لام ساكنة وبعد الالف نون وقد تقدم في ترجمة ابن الجواليقي ما دار بينهما بحضرة الامام المقتفي قلت وبعد فراغي من ترجمة أمين الدولة بن التلميذ المذكور وقفت على كتاب جمعه شيخنا موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف البغدادي وجعله سيرة لنفسه وجميعه بخطه وذكر في أوائله ابن التلميذ ووصفه بالعلم في صناعة الطب واصابته ثم قال ومنها انه أحضرت اليه امرأة محمولة لايعرف أهلها في الحياة هي أم في الممات وكان الزمان شتاء فأمر بتجريدها وصب عليها الماء المبرد صبا متتابعا كثيرا ثم أمر بنقلها الى مجلس دفيء قد بخر بالعود والند ودثرت باصناف الفراء ساعة فعطست وتحركت وقعدت وخرجت ماشية مع أهلها الى منزلها ومنها انه أتى مرة بمريض يعرق دما في زمن الصيف فسأل تلاميذه وقد يرخمسين نفسا فلم يعرفوا المرض فامره با كل خبز شعير مع باذنجان مشوي ففعل ذلك ثلاثة أيام فبرئ فساله أصحابه عن العلة قال ان دمه قد رق ومسامه قد انفتحت وهذا الغذاء من شانه تغليظ الدم وتكثيف المسام ومن مروءته ان ظهر داره كان يلي المدرسة النظامية فاذا مرض فقيه نقله اليه وقام في مرضه عليه فاذا أبل صرفه وذكر شيخنا موفق الدين قبل أن هذا ولد أمين الدولة المذكور وكان شيخه قد انتفع به وكان شيخنا قد ناهز ثمانين سنة ولديه تجربة فاضلة وغوص على أسرار الطبيعة يرى الامراض كانها وراء زجاج لايعتريه فيها ولا في مداواتها شك وكان أكثر ما يصف المفردات أو ما يقل تركيبه ولم أر من يستحق الطب غيره وكان يقول

ينبغى للعاقل ان يختار من الثياب مالا تحسده عليه العامة ولا تحتقره فيه الخاصة وكان
لباسه الابيض الرفيع ثم قال وخنق فى دهليز داره الثلث الاول من الليل وكان قد
أسلم قبل موته وفى نفسى عليه حسرات رحمه الله تعالى نقلته ملخصا

أبو عبد الله هارون بن على بن يحيى بن أبى منصور المنجم البغدادى الاديب الفاضل
وقد تقدم ذكر والده على فى حرف العين وكان هارون المذكور حافظا راوية
للاشعار حسن المنادمة لطيف المجالسة صنف كتاب البارع فى اخبار الشعراء
المولدين وجمع فيه مائة وأحدا وستين شاعرا وافتتحه بذكر بشار بن برد العقيلى
وختمه بمحمد بن عبد الملك بن صالح واختار فيه من شعر كل واحد عيونه وقال
فى أوله انى لما عملت كتابى فى اخبار شعراء المولدين ذكرت ما اخترته من اشعارهم
وتحريت فى ذلك الاختيار أقصى ما بلغته معرفتى وانتهى اليه علمى والعلماء يقولون
دل على عاقل اختياره وقالوا اختيار الرجل من وفور عقله وقال بعضهم شعر الرجل
قطعة من كلامه وظنه قطعة من عقله واختياره قطعة من علمه وطوّل الكلام فى
هذا وذكر ان هذا الكتاب مختصر من كتاب ألفه قبل هذا فى هذا الفن وانه كان
طويلا فحذف منه أشياء فاقتصر على هذا القدر وبالجملة فانه من الكتب النفيسة فانه
يغنى عن دواوين الجماعة الذين ذكرهم فانه اختصر اشعارهم وأثبت منها زبدتها
وترك زبدها وهذا الكتاب هو الذى ذكرته فى ترجمة العماد الكاتب الاصبهانى
وقلت ان كتاب الخريدة وكتاب الحظيرى والباخرزى والثعالبى فروع عليه وهو الاصل
الذى نسجوا على منواله وله كتاب النساء وما جاء فيهن من الخبر ومحاسن ما قيل فيهن
من الشعر والكلام الحسن ولم اظفر له بشئ من الشعر حتى أورده وذكر فى كتابه
البارع المذكور أباه أبا الحسن على بن يحيى بن أبى منصور وسرد له مقاطيع وقد
ذكرته فى ترجمة مفردة فى حرف العين فلينظر هناك ثم اردفه بذكر أخيه يحيى بن على بن
يحيى وعدله جملة مقاطيع أوردها ولا حاجة بنا الى ذكرها فى هذا الموضع بل نذكرها
فى ترجمته ان شاء الله تعالى وتوفى أبو عبد الله المذكور سنة ثمان وثمانين ومائتين وهو
حدث السن رحمه الله تعالى وسيأتى ذكر أخيه يحيى بن على فى حرف الياء ان شاء الله
تعالى وكان أبو منصور جد أبيه منجم أبى جعفر المنصور أمير المؤمنين وكان
مجوسيا وكان ابنه يحيى متصلا بذى الرياستين الفضل بن سهل المقدم ذكره وكان
الفضل يعمل برأيه فى احكام النجوم فلما حدثت الكائنة على الفضل حسبما ذكرناها
فى ترجمته صار يحيى المذكور منجم المأمون ونديمه فاجتباه واختص به ورغبه
فى الاسلام فاسلم على يده فصار بذلك مولاه وهم أهل بيت فيهم جماعة من الفضلاء
والادباء والشعراء وجالسوا الخلفاء ونادموهم وقد عقد لهم الثعالبى فى كتاب اليتيمة
بابا مستقلا وذكر فيه جماعة منهم رحمهم الله تعالى وتوفى يحيى المذكور بحلب عند

خروج المامون الى طرسوس ودفن بها فى مقابر قريش وقبره هنالك مكتوب عليه اسمه

أبو المنذر هشام بن عروة بن الزبير بن العوام القرشى الاسدى

وقد تقدم ذكر أبيه فى حرف العين وكان هشام أحد تابعى المدينة المشهورين المكثرين فى الحديث المعدودين من أكابر العلماء وجلة التابعين وهو معدود فى الطبقة الرابعة من أهل المدينة رضى الله عنهم وسمع من عمه عبد الله بن الزبير وابن عمر رضى الله عنهما ورأى جابر بن عبد الله الانصارى وأنس بن مالك وسهل بن سعيد وقيل انه رأى ابن عمر ولم يسمع منه وروى عن يحيى بن سعيد الانصارى وسفيان الثورى ومالك بن أنس وأيوب السختيانى وابن جريج وعبيد الله بن عبد الله بن عمر والليث بن سعد وسفيان بن عيينة ويحيى بن سعيد القطان ووكيع وغيرهم وقدم الكوفة ايام أبى جعفر المنصور فسمع منه الكوفيون وكانت ولادته سنة احدى وستين للهجرة وقال أبو اسحاق ابراهيم ابن على بن محمد الذهلى ولد عمر بن عبد العزيز وهشام بن عروة والزهرى وقتادة والاعمش ليالى قتل الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما وكان قتله يوم عاشوراء سنة احدى وستين للهجرة وقدم بغداد على المنصور وتوفى بها سنة ست وأربعين ومائة وقيل خمس وأربعين وقيل سنة سبع رضى الله عنه وصلى عليه المنصور ودفن بمقبرة الخيزران بالجانب الشرقى وقيل قبره بالجانب الغربى بخارج السوق نحو باب قطر بل وراء الخندق على مقابر باب حرب وهو ظاهر وهنالك معروف وعليه لوح منقوش انه قبر هشام بن عروة ومن قال انه بالجانب الشرقى قال ان القبر الذى بالجانب الغربى هو قبر هشام بن عروة المروزى صاحب عبد الله بن المبارك والله أعلم بالصواب وله عقب بالمدينة وبالبصرة وذكر الخطيب فى تاريخ بغداد أن المنصور قال له يوما يا أبا المنذر تذكر يوم دخلت عليك أنا واخوتى الخلائف وأنت تشرب سويقا بقصبة يراع فلما خرجنا من عندك قال لنا ابونا اعرفوا لهذا الشيخ حقه فانه لا يزال فى قومكم بقية ما بقى قال لا أذكر ذلك يا أمير المؤمنين فلما خرج هشام قيل له يذكرك أمير المؤمنين ما تمت به اليه فتقول لا أذكره فقال لم أكن أذكر ذلك ولم يعودنى الله فى الصدق الا خيرا وروى عنه انه دخل على المنصور فقال يا أمير المؤمنين اقض عنى دينى فقال وكم دينك قال مائة ألف قال وأنت فى فقهك وفضلك تأخذ دينا مائة ألف ليس عندك قضاؤها فقال يا أمير المؤمنين شب فتيان من فتياننا فاحببت ان أبوئهم وخشيت ان ينتشر على من أمرهم ما أكره فبوأتهم واتخذت لهم منازل وأولمت عنهم ثقة بالله وبأمير المؤمنين قال فردد عليه مائة ألف استعظاما لها ثم قال قد أمرنا لك بعشرة آلاف فقال يا أمير المؤمنين أعطنى ما أعطيت وأنت طيب النفس فانى سمعت أبى يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من أعطى عطية وهو بها طيب النفس بورك للمعطى والمعطى له قال فانى طيب النفس بها وأهوى الى يد المنصور يقبلها فمنعه وقال

يا ابن عروة امانكرمك عنها ونكرمها عن غيرك واخباره كثيرة رضي الله عنه

أبو المنذر هشام بن أبي النضر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو الكلبي النسابة الكوفي

قد تقدم ذكر أبيه في المحمدين وما جرى له مع الفرزدق الشاعر وحدث هشام عن أبيه وروى عنه ابنه العباس وخليفة بن خياط ومحمد بن سعد كاتب الواقدي ومحمد بن أبي السري البغدادي وأبو الاشعث أحمد بن المقدام وغيرهم وكان هشام من أعلم الناس بعلم الانساب وله كتاب الجمهرة في النسب وهو من محاسن الكتب في هذا الفن وكان من الحفاظ المشاهير وذكر الخطيب في تاريخ بغداد عنه انه دخل بغداد وحدث بها وانه قال حفظت مالم يحفظه أحد ونسيت مالم ينسه أحد كان لي عم يعاتبني على حفظ القرآن فدخلت بيتا وحلفت ان لا أخرج منه حتى أحفظ القرآن فحفظته في ثلاثة أيام ونظرت يوما في المرآة فقبضت على لحيتي لآخذ مادون القبضة فأخذت مافوق القبضة وله من التصانيف شيء كثير فمن ذلك كتاب حلف عبد المطلب وخزاعة وكتاب حلف الفضول وكتاب حلف تيم وكلب وكتاب المنافرات وكتاب بيوتات قريش وكتاب فضائل قيس ابن عيلان وكتاب الموردات وكتاب بيوتات ربيعة وكتاب الكنى وكتاب شرف قصي وولده في الجاهلية والاسلام وكتاب القاب قريش وكتاب القاب اليمن وكتاب المثالب وكتاب النوافل وكتاب ادعاء معاوية زيادا وكتاب اخبار زياد بن أبيه وكتاب صنائع قريش وكتاب المشاجرات وكتاب المعاتبات وكتاب ملوك الطوائف وكتاب ملوك كندة وكتاب افتراق ولد نزار وكتاب تفريق الازد وكتاب طسم وجديس وتصانيفه تزيد على مائة وخمسين تصنيفا واحسنها وانفعها كتابه المعروف بالجمهرة في معرفة الانساب ولم يصنف في بابه مثله وكتابه الذي سماه المنزل في النسب أيضا وهو أكبر من الجمهرة وكتاب الموجز في النسب وكتاب الفريد صنفه للمأمون في الانساب وكتابه الملوكي صنفه لجعفر بن يحيى البرمكي في النسب أيضا وكان واسع الرواية لايام الناس واخبارهم ومن روايته انه قال اجتمعت بنو أمية عند معاوية بن أبي سفيان فعاتبوه في تفضيل عمرو بن العاص وادعاء زياد بن أبيه فتكلم معاوية ثم حرك عمرا على الكلام فقال في بعض كلامه انا الذي أقول في يوم صفين

اذا تخازرت ومابي من خزر * ثم كسرت العين من غير عور
الفيتني ألوى بعيد المستمر * احمل ماحملت من خير وشر
كالحية الصماء في أصل الشجر

أما والله ما أنا بالواني ولا العاني واني أنا الحية الصماء التي لا يسلم سليمها ولا ينام كليمها واني أنا المرء ان حمزت كسرت وان كويت أنضجت فيما شئتم وروى شاء فليشأ ومع ذلك والله لو عاينوا مني يوم الهرير ماعاينت اولولوا اماوليت لضاق عليهم المخرج ولتمام

يوم المنهج اذ شدّ علينا أبو الحسن وعن يمينه وشماله المباشرون من أهل البصائر وكرام العشائر فهنالك والله شخصت الابصار وارتفع الشرار وتقلصت الخصى الى مواضع الكلى وفارعت الامهات عن ثكلها وذهلت عن حملها واحمرّ الحدق واغبرّ الافق وألجم العرق وسال العلق وثار القتام وصبر الكرام وحام اللئام وذهب الكلام وأزبدت الاشداق وكثر العناق وقامت الحرب على ساق وحضر الفراق وتضاربت الرجال باغماد سيوفها بعد فناء نبلها وتقصفت رماحها فلا يسمع يومئذ الا التغمغم من الرجال والتحمحم من الخيل الجياد ووقع السيوف على الهام كانه دق غاسل بخشبته على منصته فدأب ذلك يوما حتى طعن الليل بغسقه وأقبل الصبح بفلقه ثم لم يبق من القتال الا الهرير والزئير لعلمهم انى أحسن بلاء وأعظم عناء وأصبر على اللأواء وانى واياكم كما قال الشاعر

واغضى على أشياء لو شئت قلتها * ولو قلتها لم أبق للصلح موضعا
وان كان عودى من نضار فاننى * لاكرمه من ان اخاطر خروعا

والمأثور عنه كثير وتوفى سنة أربع ومائتين وقيل سنة ست والاول أصح والله تعالى أعلم بالصواب

هشام الضـ

أبو عبد الله هشام بن معاوية الضرير النحوى الكوفى

صاحب أبى الحسن على بن حمزة الكسائى أخذ عنه كثيرا من النحو وله فيه مقالة تعزى اليه وله فيه تصانيف عديدة فمن ذلك كتاب الحدود وهو صغير وكتاب المختصر وكتاب القياس وغير ذلك وكان اسحاق بن ابراهيم بن مصعب قد كلم المأمون يوما فلحن فى بعض كلامه فنظر اليه المأمون ففطن لما أراد فخرج من عنده وجاء الى هشام المذكور فتعلم عليه النحو قال أبو مالك الكندى توفى هشام بن معاوية الضرير النحوى سنة تسع ومائتين رحمه الله تعالى

الفرزدق الشـ

أبو فراس همام الفرزدق

وقال ابن قتيبة فى طبقات الشعراء هميم بالتصغير ابن غالب وكنيته أبو الاخطل ابن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم واسمه بحر بن عوف سمى بذلك لجوده ابن حنظلة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مرّ التميمى المعروف بالفرزدق الشاعر المشهور صاحب جرير كان أبوه غالب من جلة قومه وسرواتهم وأمه ليلى بنت حابس أخت الاقرع بن حابس ولابيه مناقب مشهورة ومحامد مأثورة فمن ذلك انه أصاب أهل الكوفة مجاعة وهو بها فخرج أكثر الناس الى البوادى فكان هو رئيس قومه وكان سحيم بن وثيل الرياحى رئيس قومه واجتمعوا بمكان يقال له صوأر فى اطراف السماوة من بلاد كلب على مسيرة يوم من الكوفة وهو بفتح الصاد المهملة وسكون الواو وفتح الهمزة وبعدها راء فعقر غالب لاهله

ناقة وصنع منها طعاما وأهدى الى قوم من بنى تميم لهم جلالة جفلما من تريد ووجه الى سحيم جفنة فكفأها وضرب الذى أتاه بها وقال انا مفتقر الى طعام غالب اذا نحر هو ناقة نحرت انا اخرى فوقعت المنافرة بينهما وعقر سحيم لاهله ناقة فلما كان من الغد عقر لهم غالب ناقتين فعقر سحيم لاهله ناقتين فلما كان اليوم الثالث عقر غالب ثلاثا فعقر سحيم ثلاثا فلما كان اليوم الرابع عقر غالب مائة ناقة فلم يكن عند سحيم هذا القدر فلم يعقر شيأ وأسرها فى نفسه فلما انقضت المجاعة ودخل الناس الكوفة قال بنو رياح لسحيم جررت علينا عار الدهر هلا نحرت مثل ما نحر وكنا نعطيك مكان كل ناقة ناقتين فاعتذر أن ابله كانت غائبة وعقر ثلثمائة ناقة وقال للناس شأنكم والاكل وكان ذلك فى خلافة على بن أبى طالب رضى الله عنه فاستفتى فى حل الاكل منها فقضى بحرمتها وقال هذه ذبحت لغير مأكلة ولم يكن المقصود منها الا المفاخرة والمباهاة فالقيت لحومها على كناسة الكوفة فأكلتها الكلاب والعقبان والرخم وهى قصة مشهورة وعمل فيها الشعراء اشعارا كثيرة فمن ذلك قول جرير يهجو الفرزدق وهو بيت تستشهد به النحاة فى كتبهم وهو من جملة قصيدة

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم • بنى ضوطرى لولا الكمى المقنعا

ومن ذلك قول الجلى أخى بنى قطن بن نهشل

وقد سرنى ان لا تعد مجاشع • من المجد الا عقر ناب بصوأر

وكان غالب المذكور أعور وسحيم المذكور هو ابن وثيل عمرو بن جوين بن وهب ابن حمير الشاعر الذى يقول

انا ابن جلا وطلاع الثنايا • متى اضع العمامة تعرفونى

وهذا البيت من جملة أبيات وله ديوان شعر صغير والوثيل الرشاء الضعيف وقيل الليف وكان الفرزدق كثير التعظيم لقبر أبيه فما جاءه أحد واستجار به الا نهض معه وساعده على بلوغ غرضه فمن ذلك ما حكاه المبرد فى كتاب الكامل ان الحجاج بن يوسف الثقفى لما ولى تميم بن زيد القينى بلاد السند دخل البصرة فجعل يخرج من أهلها من شاء فجاءت عجوز الى الفرزدق فقالت انى استجرت بقبر أبيك وأتت منه بحصيات فقال ما شأنك قالت ان تميم بن زيد خرج بابن لى معه ولا قرة لعينى ولا كاسب على غيره فقال لها وما اسم ابنك فقالت خنيس فكتب الى تميم مع بعض من شخص

تميم بن زيد لا تكونن حاجتى • بظهر فلا يعيا على جوابها

فهب لى خنيسا واحتسب فيه منة • لعبرة أم ما يسوغ شرابها

اتتنى فعاذت يا تميم بغالب • وبالحفرة السافى عليها ترابها

وقد علم الاقوام انك ماجد • وليث اذا ما الحرب شبت شهابها

فلما ورد الكتاب على تميم تشكك فى الاسم فلم يعرف أخنيس ام حبيش ثم قال انظروا

من له مثل هذا الاسم فى عسكرنا فاصيب ستة ما بين خنيس وحبيش فوجه بهم اليه
وحضر يوما الفرزدق ونصيب الشاعر المشهور عند سليمان بن عبد الملك الاموى وهو
يومئذ خليفة فقال سليمان للفرزدق أنشدنى شيأ وانما أراد سليمان ان ينشده مدحاله
فانشده فى مدح أبيه

وركب كأن الريح تطلب عندهم * لها ترة من جذبها بالعصائب
سروا يخبطون الريح وهى تلفهم * الى شعب الاكوار ذات الحقائب
اذا آنسوا نارا يقولون انها * وقد حضرت أيديهم نار غالب

فاعرض سليمان عنه كالمغضب فقال نصيب يا أمير المؤمنين ألا أنشدك فى رويها مالعله
لا يتضع عنها قال هات فانشده

أقول لركب صادرين لقيتهم * قفا ذات أوشال ومولاك قارب
قفوا خبرونى عن سليمان اننى * لمعروفه من أهل ودان طالب
فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

فقال سليمان للفرزدق كيف تراه فقال هو أشعر أهل جلدته ثم قام وهو يقول

وخير الشعر اشرفه رجالا * وشر الشعر ما قال العبيد

وكان نصيب عبدا اسود لرجل من أهل وادى القرى فكاتب على نفسه ومدح
عبد العزيز بن مروان فاشترى ولاءه وكنيته أبو الحجنا وقيل أبو محجن وللفرزدق
فى مفاخر أبيه اشياء كثيرة وأما جده صعصعة بن ناجية فانه كان عظيم القدر فى الجاهلية
واشترى ثلاثين موءودة منهن بنت لقيس بن عاصم المنقرى وفى ذلك يقول الفرزدق
يفتخر به

وجدى الذى منع الوائدات * وأحيا الوئيد فلم يوأد

وهو أول من أسلم من أجداد الفرزدق وقد ذكره فى كتاب الاستيعاب فى جملة الصحابة
رضوان الله عليهم أجمعين وقد اختلف أهل المعرفة بالشعر فى الفرزدق وجرير والمفاضلة
بينهما والاكثرون على ان جريرا أشعر منه وكان بينهما من المهاجاة والمعاداة ماهو
مشهور وقد جمع لهما كتاب يسمى النقائص وهو من الكتب المشهورة وكان جرير قد
هجاه بقصيدته الرائية التى من جملتها

وكنت اذا حللت بدار قوم * ظعنت بخزية وتركت عارا

فاتفق بعد ذلك ان الفرزدق نزل بامرأة من أهل المدينة وجرى له معها قضية يطول
شرحها وخلاصة الامر انه راودها عن نفسها بعد ان كانت قد اضافته وأحسنت اليه
فامتنعت عليه فبلغ الخبر عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وهو يومئذ والى المدينة فامر
باخراجه من المدينة فلما اخرج واركبوه ناقته لينفوه قال قاتل الله ابن المراغة يعنى
جريرا كانه شاهد هذا الحال حيث قال * وكنت اذا حللت بدار قوم * وأنشد

البيت المذكور وشهد الفرزدق عند بعض القضاة شهادة فقال له قد اجزنا شهادتك ثم قال لاصحاب القصة زيدونا في الشهود فقيل للفرزدق حين انفصل عن مجلس القاضي انه لم يجز شهادتك فقال وما يمنعه من ذلك وقد قذفت الف محصنة ومن شعره المشهور قوله وهو مقيم بالمدينة

هما دلياني من ثمانين قامة * كما انقض باز أقتم الريش كاسره

فلما استوت رجلاي في الارض قالتا * أحي فيرجى أم قتيل نحاذره

فقلت ارفعا الاسباب لا يشعروا بنا * وأقبلت في أعجاز ليل أبادره

أحاذر بوابين قد وكلا بنا * وأسود من ساج تصر مسامره

فلما بلغت جريرا الابيات عمل من جملة قصيدة طويلة

لقد ولدت أم الفرزدق فاجرا * فجاءت بوزوار قصير القوادم

يوصل حبليه اذاجن ليله * ليرقى الى جاراته بالسلالم

تدليت تزني من ثمانين قامة * وقصرت عن باع العلا والمكارم

هو الرجس يا أهل المدينة فاحذروا * مداخل رجس بالخبيثات عالم

لقد كان اخراج الفرزدق عنكم * طهورا لما بين المصلى وواقم

فلما وقف الفرزدق على هذه القصيدة جاوبه بقصيدة طويلة يقول في جملتها

وان حراما ان أسب مقاعسا * بآباءي الشم الكرام الخضارم

ولكن نصفا لو سببت وسبني * بنو عبد شمس من مناف وهاشم

اولئك آباءى فجئني بمثلهم * وأعتد أن أهجو كليبا بدارم

ولما سمع أهل المدينة أبيات الفرزدق المذكورة أولا اجتمعوا وجاؤا الى مروان بن الحكم الاموي وكان يومئذ والي المدينة من قبل معاوية بن أبي سفيان الاموي فقالوا له ما يصلح ان يقال مثل هذا الشعر بين أرواح رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أوجب على نفسه الحد فقال مروان لست احده انا ولكن اكتب الى من يحده ثم أمره بالخروج من المدينة وأجله ثلاثة أيام وفي ذلك يقول الفرزدق

توعدني وأجلني ثلاثا * كما وعدت لمهلكها ثمود

ثم كتب مروان الى عامله يأمره فيه ان يحده ويسجنه واوهمه انه قد كتب له بجائزة ثم ندم مروان على ما فعل فوجه عنه سفيرا وقال اني قلت شعرا فاسمعه ثم أنشد

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها * ان كنت تارك ما أمرتك فاجلس

ودع المدينة انها مرهوبة * واقصد لمكة أو لبيت المقدس

واذا اجتنيت من الامور عظيمة * فخذن لنفسك بالدفاع الاكيس

قوله فاجلس أي اقصد الجلساء وهي نجد وسميت بذلك لارتفاعها لان الجلوس في اللغة هو الارتفاع ولما وقف الفرزدق على الابيات فطن لما أراد مروان فرمى الصحيفة وقال

يأمرو ان مطيتي محبوسة * ترجوا الحباء وربها لم ييأس
وحبوتني بصحيفة مختومة * يخشى على بها حباء النقرس
ألق الصحيفة يا فرزدق لا تكن * نكدا كمثل صحيفة المتلمس

واذ ذكرنا صحيفة المتلمس فقد يتشوف الواقف على هذا الكتاب ان يعلم قصتها ومن خبرها ان المتلمس واسمه جرير بن عبد المسيح بن عبد الله بن زيد بن دوقل بن حرب بن وهب بن جلى بن احمس بن ضبيعة الاضجم بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وانما لقب بالمتلمس لقوله من جملة قصيدة

فهذا أوان العرض طن ذبابه * زنابيره والازرق المتلمس

وهو بضم الميم وفتح التاء المثناة من فوقها واللام وكسر الميم الثانية وتشديدها وبعدها سين مهملة كان قد هجا عمرو بن هند اللخمى ملك الحيرة وهجاه أيضا طرفة بن العبد البكرى الشاعر المشهور وهو ابن أخت المتلمس المذكور فاتصل هجوهما بعمرو بن هند المذكور فلم يظهر لهما شيأ من التغير ثم مدحاه بعد ذلك فكتب لكل واحد منهما كتابا الى عامله بالحيرة وأمره بقتلهما اذا وصلا اليه واوهمهما انه قد كتب لهما بصلة فلما وصلا الى الحيرة قال المتلمس لطرفة كل واحد منا قد هجا الملك ولو أراد ان يعطينا لاعطانا ولم يكتب لنا الى الحيرة فهلم ندفع كتبنا الى من يقرأها فان كان فيها خير ادخلنا الحيرة وان كان فيها شرا فررنا قبل ان يعلم بمكاننا فقال طرفة بن العبد ما كنت لافتح كتاب الملك فقال المتلمس والله لافتحن كتابى ولاعلمن ما فيه ولا أكون كمن يحمل حتفه بيده فنظر المتلمس فاذا غلام قد خرج من الحيرة فقال له أتقرأ يا غلام فقال نعم فقال هلم فاقرأ هذا الكتاب فلما نظر اليه الغلام قال ثكلت المتلمس أمه فقال لطرفة افتح كتابك فما فيه الا مثل ما فى كتابى فقال ان كان اجترأ عليك فلم يكن ليجترئ على ويوغر صدور قومى بقتلى فالقى المتلمس صحيفته فى نهر الحيرة وفر الى الشام ودخل طرفة الحيرة فقتل وقصته فى ذلك مشهورة فصار يضرب المثل بصحيفة المتلمس لكل من قرأ صحيفة فيها قتله والى هذا أشار الحريرى فى المقامة العاشرة بقوله ففضضتها فعل المتلمس من مثل صحيفة المتلمس وللابله الشاعر المقدم ذكره فى المحمدين قصيدة يقول فيها

يقرا المتيم من صحيفة خده * فى الهجر مثل صحيفة المتلمس

(رجعنا الى تتمة خبر الفرزدق)

ثم خرج هاربا حتى أتى سعيد بن العاص الاموى وعنده الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضى الله عنهم فاخبره الخبر فامر له كل واحد منهم بمائة دينار وراحلة وتوجه الى البصرة وقيل لمروان أخطأت فيما فعلت فانك عرضت عرضك لشاعر مضر فوجه وراءه رسولا ومعه مائة دينار وراحلة خوفا من هجائه ومن اخبار الفرزدق ما حكى انه نزل فى بعض اسفاره فى بادية وأوقد نارا فرآها ذئب فاتاه فاطعمه من زاده وأنشده

واطلس عسال وما كان صاحبا * دعوت بناري موهنا فاتاني
فلما أتى قلت ادن دونك انني * واياك في زادي لمشتركان
فبت اقد الزاد بيني وبينه * على ضوء نار مرة ودخان
وقلت له لما تكشر ضاحكا * وقائم سيفي في يدي بمكان
تعش فان عاهدتني لا تخونني * نكن مثل من ياذئب يصطحبان
وأنت امرؤ ياذئب والغدر كنتما * اخيين كانا ارضعا بلبان
ولو غيرنا نبهت تلتمس القرى * رماك بسهم اوشباة سنان

وكان قد أنشد سليمان بن عبد الملك الاموى قصيدة ميمية فلما انتهى منها الى قوله

ثلاث واثنتان فهن خمس * وسادسة تميل الى شمام
فبتن بجانبي مصرعات * وبت افض اغلاق الختام
كأن مغالق الرمان فيه * وجمر غضى قعدن عليه حام

فقال له سليمان قد اقررت عندي بالزنا وانا الامام ولا بد من اقامة الحد عليك فقال الفرزدق ومن أين أوجبت على يا أمير المؤمنين فقال يقول الله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة فقال الفرزدق ان كتاب الله يدرأ عنى بقوله والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون مالا يفعلون فانا قلت مالم أفعل فتبسم سليمان وقال أولى لك وتنسب اليه مكرمة يرجى له بها الجنة وهى انه لما حج هشام بن عبد الملك فى أيام أبيه فطاف وجهد أن يصل الى الحجر ليستلمه فلم يقدر عليه لكثرة الزحام فنصب له منبر وجلس عليه ينظر الى الناس ومعه جماعة من أعيان أهل الشام فبينما هو كذلك اذ أقبل زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم وقد تقدم ذكره وكان من أحسن الناس وجها وأطيبهم ارجا فطاف بالبيت فلما انتهى الى الحجر تنحى له الناس حتى استلم فقال رجل من أهل الشام من هذا الذى قد هابه الناس هذه الهيبة فقال هشام لا أعرفه مخافة ان يرغب فيه أهل الشام فيملكون وكان الفرزدق حاضرا فقال انا اعرفه فقال الشامى من هو يا أبا فراس فقال

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا التقى النقى الطاهر العلم
اذا رأته قريش قال قائلها * الى مكارم هذا ينتهى الكرم
ينمى الى ذروة العز التى قصرت * عن نيلها عرب الاسلام والعجم
يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
فى كفه خيزران ريحه عبق * من كف اروع فى عرنينه شمم
يغضى حياء ويغضى من مهابته * فما يكلم الا حين يبتسم

بنشق

ينشق نور الهدى عن نور غرته * كالشمس ينجاب عن اشراقها الظلم
منشقة من رسول الله نبعته * طابت عناصره والخيم والشيم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله * بجده انبياء الله قد ختموا
الله شرفه قدما وعظمه * جرى بذاك له فى لوحه القلم
فليس قولك من هذا بضائره * العرب تعرف من انكرت والعجم
كلتا يديه غياث عم نفعهما * تستوكفان ولا يعروهما عدم
سهل الخليقة لا تخشى بوادره * يزينه اثنان حسن الخلق والشيم
حمال اثقال أقوام اذا فدحوا * حلو الشمايل تحلو عنده نعم
ماقال لا قط الا فى تشهده * لولا التشهد كانت لاؤه نعم
لا يخلف الوعد مأمون نقيبته * رحب الفناء اريب حين يعتزم
عم البرية بالاحسان فانقشعت * عنها الغياية والاملاق والعدم
من معشر حبهم دين وبغضهم * كفر وقربهم منجى ومعتصم
ان عد اهل التقى كانوا أئمتهم * أو قيل من خير أهل الارض قيل هم
لا يستطيع جواد بعد غايتهم * ولا يدانيهم قوم وان كرموا
هم الغيوث اذا ما ازمة ازمت * والاسد أسد الشرى والباس محتدم
لا ينقص العسر بسطا من اكفهم * سيان ذلك ان اثروا وان عدموا
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم * فى كل بدء ومختوم به الكلم
يأبى لهم ان يحل الذم ساحتهم * خيم كريم وأيد بالندى ديم
أى الخلائق ليست فى رقابهم * لاولية هذا اوله نعم
من يعرف الله يعرف اوليته * والدين من بيت هذا ناله الامم

ولما سمع هشام هذه القصيدة غضب وحبس الفرزدق وأنفذ له زين العابدين اثنى عشر ألف درهم فردها وقال مدحته لله تعالى لا للعطاء فقال انا أهل بيت اذا وهبنا شيئا لا نستعيده فقبلها وقال محمد بن حبيب المقدم ذكره صعد الوليد بن عبد الملك المنبر فسمع صوت ناقوس فقال ماهذا فقيل البيعة فامر بهدمها وتولى بعض ذلك بيده فتتابع الناس يهدمون فكتب اليه الاخزم ملك الروم ان هذه البيعة قد أقرها من كان قبلك فان يكونوا اصابوا فقد أخطأت وان تكن أصبت فقد اخطأوا فقال من يجيبه فقالوا الفرزدق فكتب اليه وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما الآية واخبار الفرزدق كثيرة والاختصار أولى وتوفى بالبصرة سنة عشر ومائة قبل جرير باربعين يوما وقيل بثمانين يوما وقال أبو الفرج بن الجوزى فى كتاب شذور العقود انهما توفيا سنة احدى عشرة ومائة وقال العسكرى ان الفرزدق اتى على بن أبى طالب رضى الله عنه وتوفى سنة عشرة وقيل اثنى عشر وقيل أربع عشر ومائة وقال ابن قتيبة فى طبقات

الشعراء إن الفرزدق أصابته الدبيلة فقدم البصرة وأتى بطبيب سقاه قارا
فجعل يقول أتعجلون لي القار وأنا في الدنيا ومات وقد قارب المائة والله تعالى أعلم
وقد سبق في ترجمة جرير ما قاله جرير لما بلغه وفاة الفرزدق فأغنى عن الإعادة رحمهما الله
تعالى وذكر المبرد في كتاب الكامل قال التقى الحسن البصري والفرزدق في جنازة
فقال الفرزدق للحسن أتدري ما يقول الناس يا أبا سعيد يقولون اجتمع في هذه
الجنازة خير الناس وشر الناس قال الحسن كلا لست بخيرهم ولست بشرهم ولكن
ما أعددت لهذا اليوم قال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله منذ ستين سنة
وتزعم بعض التميمية أن الفرزدق رؤي في المنام فقيل له ما صنع بك ربك فقال غفر لي فقيل
بأي شيء فقال بالكلمة التي نازعنيها الحسن وهمام بفتح الهاء وتشديد الميم الأولى وناجية
بالنون والجيم المكسورة وبعدها ياء مثناة من تحتها وعقال بكسر العين المهملة وفتح
القاف ومحمد بن سفيان هو أحد الثلاثة الذين سموا بمحمد في الجاهلية وذكرهم ابن
قتيبة في كتاب المعارف وقال السهيلي في كتاب الروض الأنف لا يعرف في العرب من
تسمى بهذا الاسم قبله صلى الله عليه وسلم إلا ثلاثة طمع آباؤهم حين سمعوا بذكر محمد صلى
الله عليه وسلم وبقرب زمانه وأنه يبعث في الحجاز أن يكون ولدا لهم ذكرهم ابن فورك
في كتاب الفصول وهم محمد بن سفيان بن مجاشع جد جد الفرزدق الشاعر والآخر محمد
ابن أحيحة بن الجلاح وهو أخو عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمه
والآخر محمد بن حمران بن ربيعة وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا على بعض
الملوك وكان عنده علم بالكتاب الأول فأخبرهم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
وباسمه وكان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملا فنذر كل واحد منهم إن ولد له
ذكر أن يسميه محمدا ففعلوا ذلك وأما مجاشع فهو بضم الميم وفتح الجيم وبعد الألف شين
معجمة مكسورة ثم عين مهملة ودارم بفتح الدال المهملة وبعد الألف راء مكسورة وبعدها
ميم وبقية النسب معروف والفرزدق بفتح الفاء والراء وسكون الزاي وفتح الدال
المهملة وبعدها قاف وهو لقب عليه واختلف كلام ابن قتيبة في تلقيبه به فقال
في أدب الكاتب الفرزدق قطع العجين واحدتها فرزدقة وإنما لقب به لأنه كان جهم
الوجه وقال في كتاب طبقات الشعراء إنما لقب بالفرزدق لغلظه وقصره شبه بالفتيتة
التي تشربها النساء وهي الفرزدقة والقول الأول أصح لأنه كان أصابه جدري
في وجهه ثم برأ منه فبقي وجهه جهما مستغثنا وروي أن رجلا قال له يا أبا فراس كأن
وجهك أحراح مجموعة فقال له تأمل هل ترى فيها حر أمك والأحراح بحاءين مهملتين جمع
حرح وهو الفرج فحذفت في المفرد حاؤه الثانية فبقي حر ومتى جمع عادت الحاء الثانية
فقالوا أحراح لأن الجموع ترد الأشياء إلى أصولها وكانت زوجة الفرزدق ابنة عمه وهي
النوار بفتح النون ابنة أعين بن ضبيعة بن عقال المجاشعي وجدها ضبيعة هو الذي عقر

الجمل الذى كانت عليه عائشة أم المؤمنين يوم وقعة الجمل رضى الله عنها . وكان قد خطبها يعنى النوار رجل من قريش فبعثت الى الفرزدق تسأله ان يكون وليها اذ كان ابن عمها فقال ان بالشام من هو أقرب اليك منى وما آمن أن يقدم قادم منهم فينكر ذلك على فاشهدى انك قد جعلت أمرك الى ففعلت فخرج بالشهود وقال لهم قد أشهدتكم انها جعلت أمرها الى وانا أشهدكم انى قد تزوجتها على مائة ناقة حمراء سود الحدق فغضبت من ذلك واستعدت عليه وخرجت الى عبد الله بن الزبير وأمير الحجاز والعراق يومئذ اليه وخرج الفرزدق أيضا اليه فاما النوار فنزلت على خولة بنت منظور بن زبان الفزارى امرأة عبد الله بن الزبير فرفعتها وسألتها الشفاعة لها وأما الفرزدق فنزل على حمزة بن عبد الله بن الزبير وهو ابن خولة المذكورة ومدحه فوعده الشفاعة فتكلمت خولة فى النوار وتكلم حمزة فى الفرزدق فأنجحت خولة وأمر عبد الله بن الزبير ان لا يقربها حتى يصيرا الى البصرة فيحتكما الى عاملها عليها فخرجا وقال الفرزدق فى ذلك

اما بنوه فلم تنجح شفاعتهم * وشفعت بنت منظور بن زبانا

ليس الشفيع الذى يأتيك متزرا * مثل الشفيع الذى يأتيك عريانا

ثم ان الفرزدق اتفق معها وبقى زمانا لا يولد له ولد ثم ولد له بعد ذلك عدة اولاد وهم لبطه وسبطه وحبطه وركضه وزمعه وكلهم من النوار وليس لواحد من ولده عقب الا من النساء وقال ابن خالويه ومن اولاد الفرزدق كاطه وجلطه والله أعلم ثم ان الفرزدق طلق النوار لامر يطول شرحه وندم على ذلك وله فيها أشعار منها قوله

ندمت ندامة الكسعى لما * غدت منى مطلقة نوار

وكانت جنتى فخرجت منها * كآدم حين أخرجه الضرار

وله فى ذلك اخبار ونوادر يطول شرحها وليس هذا موضع استيفائه ومات للفرزدق ابن صغير فصلى عليه ثم التفت الى الناس فقال

وما نحن الا مثلهم غير اننا * أقمنا قليلا بعدهم ثم نرحل

فمات بعد ذلك بأيام قلائل رحمه الله تعالى

هلال الصابى

أبو الحسن هلال بن المحسن بن أبى اسحاق ابراهيم بن هلال بن ابراهيم بن زهرون ابن حبون الصابى الحرانى الكاتب

هو حفيد أبى اسحاق الصابى صاحب الرسائل المشهورة وقد سبق ذكر جده فى حرف الهمزة سمع هلال المذكور أبا على الفارسى النحوى المتقدم ذكره وعلى بن عيسى الرمانى المتقدم ذكره أيضا وأبا بكر أحمد بن محمد بن الجراح الخراز وغيرهم وذكره الخطيب فى تاريخ بغداد وقال كتبنا عنه وكان صدوقا وكان أبو الحسن صابيا على دين جده ابراهيم فاسلم هلال المذكور فى آخر عمره وسمع من العلماء فى حال كفره لانه كان يطلب الادب ورأيت له تصنيفا جمع فيه حكايات مستملحة وأخبارا نادرة وسماه كتاب

الامائل والاعيان ومنتدى العواطف والاحسان وهو مجاد واسود ولا أعلم هل صنف سواء أم لا . وكان ولده غرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال المذكور ذا فضائل جمة وتآليف نافعة منها التاريخ الكبير المشهور ومنها الكتاب الذى سماه الهفوات النادرة من المغفلين المحظوظين والسقطات البارزة من المغفلين المحرومين جمع فيه كثيرا من الحكايات التى تتعلق بهذا الباب فمما نقلته منه ان عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس رضى الله عنه وهو عم السفاح وأبى جعفر المنصور انفذ الى ابن أخيه السفاح فى أول ولايتهم مشيخة من أهل الشام يطرفه بعقولهم واعتقادهم وانهم حلفوا انهم ماعلموا للرسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة يرثونه غير بنى أمية حتى وليتم أنتم ونقلت منه أيضا حكاية وان كانت خفيفة لكنها طريفة ولابد فى المجاميع من الاحماض ومزج الهزل بالجد والحكاية المذكورة هى ان أباسعيد ماهك بن بندار المجوسى الرازى كان من كبار الديلم المشهور بجلفهم الشائعة فيه اخبارهم وكان يكتب لعلى بن سامان أحد قواد الديلم فاراد الوزير أبو محمد المهلبى ان ينفذ ماهك فى بعض الخدم فقال له وقد أراد الخروج من عنده ياأباسعيد لاتبرح من الدار حتى أوقعك على شئ أريده معك فقال السمع والطاعة لامر سيدنا الوزير ونهض من بين يديه فقال الوزير هذا رجل مجنون وربما طال بى الشغل وضاق صدره فانصرف فتقدموا الى البواب ان لايدعه يخرج من الباب فخرج ماهك طويلا وأراد دخول الخلاء فقام يطلب ذلك فرأى الاخلية مقفلة وكان قد تقدم الوزير بذلك وقال كانت دار أبى جعفر الصيمرى ستة الراشحة لاجل خلاء كان بها العامة الناس فوجد ماهك الخلاء الخاص غير مقفل وعليه مترسبل فرفع الستر ليدخل فجاء الفراش فمنعه ودفعه فقال ياهذا أليس هذا خلاء فقال بلى فقال أريد أن أعمل فيه حاجتى فلم تمنعنى قال هذا خلاء خاص لايدخله غير الوزير قال فبقية الاخلية مقفلة فكيف اعمل وقد جئت أخرج فمنعنى البواب ماترى فى ثيابى فقال الفراش استاذن فى دخول الخلاء ليتقدم لك بذلك ويفتح لك أحد الاخلية فتقضى حاجتك فاشتد به الامر فكتب الى الوزير رقعة وقال فيها قد احتاج عبد سيدنا الوزير ماهك الى بعض مايحتاج اليه الناس ولايحسن ذكره والفراش يقول لاتدخل والبواب يقول لاتخرج وقد تحير العبد فى البين والامر فى الشدة فان رأى سيدنا الوزير ان يفسح لعبده بان يعمل مايحتاج اليه فى خلائه فعل ان شاء الله تعالى والسلام ودفع الرقعة الى بعض الحجاب فاوصلها الى الوزير فلم يعلم ماأراد بالرقعة فاستعلم ماالصورة فعرف بها فضحك واستلقى على ظهره ووقع على ظهر الرقعة يجرى أبو سعيد اعزه الله بحيث يختار ان شاء الله تعالى فجاء الحاجب بها فاخذها ودفعها الى الفراش وقال هذا ماطلبت وهو توقيع سيدنا الوزير فقال الفراش التوقيعات يقرأها أبو العلاء بن ماهويه كاتب ديوان الدار وانا لاأحسن ان أكتب ولاأقرأ فصاح

ماهك في الدارهات من يقرأ في الدار صك الخرافضحك فراش آخر وأخذه بيده وحمله الى بعض الحجر حتى قضى حاجته ونقلت من هذا الكتاب أيضا ان ارطاة بن سمية دخل على عبد الملك بن مروان وكان قد أدرك الجاهلية والاسلام فرآه عبد الملك شيخا كبيرا فاستنشده ما قاله في طول عمره فانشده

رأيت المرء تأكله الليالي * كأكل الارض ساقطة الحديد
وما تبغي المنية حين تأتي * على نفس ابن آدم من مزيد
وأعلم انها ستكر حتى * توفى نذرها بابي الوليد

فارتاع عبد الملك وظن انه عناه لانه كان يكنى بأبي الوليد وعلم ارطاة بشهوه وزلته فقال يا أمير المؤمنين اني اكنى بأبي الوليد وصدقه الحاضرون فسري عن عبد الملك قليلا ونقلت منه أيضا ان أبا العلاء صاعد بن مخلد كاتب الموفق قرأ على الموفق كتابا فلم يفهم معناه وقرأه الموفق ففهمه فقال فيه عيسى بن القاشي

أرى الدهر يمنع من جانبه * ويهدي الحظوظ الى عائبه
وكم طالب سببا مجليا * فاعيى عياه على طالبه
ومن عجب الدهر ان الامير * أصبح أكتب من كاتبه

والموفق المذكور هو ابن أحمد طلحة بن المتوكل وهو والد المعتضد الخليفة العباسي ونقلت منه أيضا ان اعرابيا شهد الموقف مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الاعرابي فصاح به صائح من خلفه يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا امير المؤمنين فقال رجل من خلفي دعاه باسم ميت مات والله أمير المؤمنين فالتفت اليه فاذا هو رجل من بني لهب بكسر اللام وهم من بني النضر بن الازد وهم أزجر قوم وقد أشار كثير عزة الى ذلك في قوله

سألت أخا لهب ليزجر زجرة * وقد صار زجر العالمين إلى لهب

قال الاعرابي فلما وقفنا لرمي الجمار اذ حصاة قد صكت صلعة عمر رضي الله عنه فأدمته فقال قائل اشعر والله أمير المؤمنين والله لا يقف هذا الموقف بعدها فالتفت اليه فاذا هو اللهبي بعينه فقتل عمر رضي الله عنه قبل الحول وهذه الحكاية في كتاب الكامل أيضا وقوله دعاه باسم ميت انما قال ذلك لان أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يقال له يا خليفة رسول الله فلما توفي وولي عمر رضي الله عنه قيل له خليفة خليفة رسول الله فقال للصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين هذا أمر يطول شرحه فان كل من يتولى يقال له خليفة من كان قبله حتى يتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم وانما أنتم المؤمنون وأنا أميركم فقيل له يا أمير المؤمنين فهو أول من دعي بهذا الاسم وكان لفظ الخليفة مختصا بابي بكر الصديق رضي الله عنه فلهذا قال دعاه باسم ميت وذكر عمر ابن شبة المقدم ذكره في اخبار البصرة عن الشعبي ان أول من دعي لعمر رضي الله عنه

على المنبر أبو موسى الاشعري بالبصرة وهو أول من كتب لعبد الله أمير المؤمنين فقال عمر انى لعبد الله وانى لعمر وانى لامير المؤمنين وقال عوانة أول من سماه أمير المؤمنين عدى بن حاتم الطائى وأول من سلم عليه بها المغيرة بن شعبة وقال غيره جلس عمر يوما فقال والله مادرى كيف نقول أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وا ... أبي بكر فانا خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاء بعدى يقال له خليفة خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل اسم قالوا الامير فقال كلكم أمير فقال المغيرة نحن المؤمنون وأنت أميرنا فانت أمير المؤمنين والله أعلم وقد خرجنا عن المقصود وكانت ولادة هلال المذكور في شوال سنة تسع وخمسين وثلثمائة وتوفى ليلة الخميس سابع عشر رمضان سنة ثمان وأربعين وأربعمائة رحمه الله تعالى

أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدى بن عبد الرحمن بن زيد بن أسيد بن جابر بن عدى بن ابن خيثم بن أبي حارثة بن جدى بن تدول بن بحتر بن عتود بن عنين بن سلامان ابن ثعل بن عمرو بن الغوث بن جلهمة وهو طيء الطائى الثعالي البحتري الكوفى كان راوية اخباريا نقل من كلام العرب وعلومها واشعارها ولغاتها ... وكان أبوه نازلا بواسط وكان خيرا وكان الهيثم يتعرض لمعرفة أصول الناس ونقل اخبارهم فاورد معايبهم وأظهرها وكانت مستورة فكره لذلك ونقل انه ذكر العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه بشئ فحبس لذلك عدة سنين ويقال انه نقل عنه زورا ولبسوا عليه مالم يقله وكان قد هاجر قوما فلم يرضوه فاذاعوا ذلك عنه وحرفوا الكلام وكان يرى رأى الخوارج وله من الكتب المصنفة كتاب المثالب وكتاب المعمرين وكتاب بيوتات العرب وكتاب بيوتات قريش وكتاب هبوط آدم عليه السلام وافتراق العرب ونزولها منازلها وكتاب نزول العرب بخراسان والسواد وكتاب نسب طيء وكتاب مديح أهل الشام وتاريخ العجم وبنى أمية وكتاب من تزوج من الموالى فى العرب وكتاب الوفود وكتاب خطط الكوفة وكتاب ولاة الكوفة وكتاب تاريخ الاشراف الكبير وكتاب تاريخ الاشراف الصغير وكتاب طبقات الفقهاء والمحدثين وكتاب كنى الاشراف وكتاب خواتم الخلفاء وكتاب قضاة الكوفة والبصرة وكتاب المواسم وكتاب الخوارج وكتاب الوا... وكتاب التاريخ على السنين وكتاب اخبار الحسن بن على بن أبي طالب رضى الله عنه ووفاته وكتاب اخبار الفرس وكتاب عمال الشرط لامراء العراق وغير ذلك من التصانيف واختص بمجالسة المنصور والمهدى والهادى والرشيد وروى عنهم قال الهيثم قال لى المهدى ويحك ياهيثم ان الناس يخبرون عن الاعراب شحا ولؤما وكرما وسماحا وقد اختلفوا فى ذلك فما عندك قلت على الخبير سقطت خرجت من عند أهلى أريد دار قرابة لى ومعى ناقة أركبها اذ ندت فذهبت فجعلت أتبعها حتى أمسيت

فادركتها ونظرت فاذا خيمة اعرابي فاتيتها فقالت ربة الخباء من أنت فقلت ضيف فقالت وما يصنع الضيف عندنا ان الصحراء لواسعة ثم قامت الى بر فطحنته ثم عجنته وخبزته وقعدت فاكلت ولم البث ان جاء زوجها ومعه لبن فسلم ثم قال من الرجل فقلت ضيف فقال مرحبا حياك الله ثم قال يافلانة ما أطعمت ضيفك شيأ فقالت لا فدخل الخباء وملأ قعبا من لبن ثم أتاني به وقال اشرب فشربت شرابا هنيا فقال ما أراك أكلت شيأ وما أراها أطعمتك فقلت لا والله فدخل اليها مغضبا وقال ويلك أكلت وتركت ضيفك فقالت وما أصنع به اطعمه طعامي وجاراها في الكلام حتى شجها ثم أخذ شفرة وخرج الى ناقتي فنحرها فقلت ماصنعت عافاك الله فقال لا والله ما يبيت ضيفي جائعا ثم جمع حطبا واجج نارا واقبل يكبب ويطعمني ويأكل ويلقي اليها ويقول كلي لا أطعمك الله حتى اذا أصبح تركني ومضى فقعدت مغموما فلما تعالى النهار أقبل ومعه بعير ما يسأم الناظر اليه من النظر فقال هذا مكان ناقتك ثم زودني من ذلك اللحم ومما حضره وخرجت من عنده فضمني الليل الى خباء فسلمت فردت السلام صاحبة الخباء وقالت من الرجل فقلت ضيف فقالت مرحبا بك حياك الله وعافاك فنزلت ثم عمدت الى بر فطحنته وعجنته ثم خبزته خبزا روته بالزبد واللبن ثم وضعته بين يدي فقالت كل واعذر فلم البث ان أقبل اعرابي كريه الوجه فسلم فرددت عليه السلام فقال من الرجل قلت ضيف قال وما يصنع الضيف عندنا ثم دخل الى أهله فقال أين طعامي فقالت أطعمته الضيف فقال أتطعمين الضيف طعامي فتجاريا في الكلام فرفع عصاه وضرب بها رأسها فشجها فجعلت أضحك فخرج الي فقال وما يضحكك قلت خير فقال والله لتخبرني فاخبرته بقصة المرأة والرجل اللذين نزلت عندهما قبله فاقبل علي وقال ان هذه التي عندي هي أخت ذلك الرجل وتلك التي عنده أختي فبت ليلتي متعجبا وانصرفت وأغرب من هذه الحكاية ماروي ان رجلا من الاولين كان يأكل وبين يديه دجاجة مشوية فجاءه سائل فرده خائبا وكان الرجل مترفا فوقع بينه وبين امرأته فرقة وذهب ماله وتزوج السائل امرأته فبينما الزوج الثاني يأكل بين يديه دجاجة مشوية جاءه سائل فقال لامرأته ناوليه الدجاجة فناولته ونظرت اليه فاذا هو زوجها الاول فاخبرته بالقصة فقال الزوج الثاني أنا والله ذلك المسكين الاول الذي خيبني فحول الله نعمته وأهله الي لقلة شكره وحكى الهيثم أيضا قال صار سيف عمرو بن معدي كرب الزبيدي الذي كان يسمى بالصمصامة الى موسى الهادي بن المهدي وكان عمرو قد وهبه لسعيد بن العاص الاموي فتوارثه ولده الى ان مات المهدي فاشتراه موسى الهادي منهم بمال جليل وكان من أوسع بني العباس كفا وأكثرهم عطاء فجرد الصمصامة وجعلها بين يديه وأذن للشعراء فدخلوا عليه ودعا بمكتل فيه بدرة وقال قولوا في هذا السيف فبدر ابن يامين البصري وأنشد يقول

صار صمصامة الزبيدي من * بين جميع الانام موسى الامين
سيف عمرو وكان فيما علمنا * خير ما اغمدت عليه الجفون
احضر اللون بين حديه رد * من ذباح تميس فيه المنون
اوقدت فوقه الصواعق نارا * ثم شابت فيه الذعاف القيون
فاذا ما سللته بهر الشمس ضيا فلم تكد تستبين
ما يبالي من انتضاه لضرب * اشمال سطت به ام يمين
يستطير الابصار كالقبس المشتعل ما تستقر فيه العيون
وكان الفرند والجوهر الجا * ري في صفحتيه ماء معين
نعم مخراق ذي الحفيظة في الهيجا يعصي به ونعم القرين

فقال الهادي اصبت والله ما في نفسي واستخفه السرور فامر له بالمكتل والسيف فلما خرج من عنده قال للشعراء انما حرمتم من اجلي فشانكم والمكتل وفي السيف غناي فاشترى منه السيف بمال جزيل وقال المسعودي في كتاب مروج الذهب اشتراه الهادي منه بخمسين ألفا ولم يذكر من هذه الابيات الا بعضها والذباح بضم الذال المعجمة وفتح الباء الموحدة وبعد الالف حاء مهملة وهو نبت قاتل لسميته وقد جاء كثيرا في الشعر ويعصي بفتح الصاد يقال عصي بكسر الصاد يعصى اذا ضرب بالسيف وهو خلاف عصى يعصي اذا ارتكب الذنب (وحكى المسعودي) في مروج الذهب في ولاية هشام بن عبد الملك ان الهيثم بن عدي المذكور روى عن معمر بن هاني الطائي قال خرجت مع عبد الله بن علي وهو عم السفاح والمنصور فانتهينا الى قبر هشام ابن عبد الملك فاستخرجناه صحيحا ما فقدنا منه الا خرمة انفه فضربه عبد الله ثمانين سوطا ثم أحرقه فاستخرجنا سليمان بن عبد الملك من أرض دابق فلم نجد منه شيأ الا صلبه واضلاعه ورأسه فاحرقناه وفعلنا ذلك بغيرهما من بني أمية وكانت قبورهم بقنسرين ثم انتهينا الى دمشق فاخرجنا الوليد بن عبد الملك فما وجدنا في قبره لا قليلا ولا كثيرا واحتفرنا عن عبد الملك فما وجدنا الا شؤون رأسه ثم احتفرنا عن يزيد بن معاوية فما وجدنا منه الا عظما واحدا ووجدنا خطا اسود كانما خط بالرماد بالطول في لحده ثم تتبعنا قبورهم في جميع البلدان فاحرقنا ما وجدنا فيها منهم وكان سبب فعل عبد الله ببني أمية هذا الفعل ان زيد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وقد سبق ذكره في ترجمة الوزير محمد بن بقية خرج على هشام بن عبد الملك ودعا نفسه على طلب الخلافة وتبعه خلق من الاشراف والقراء فحاربه يوسف بن عمر الثقفي أمير العراقين وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى فانهزم أصحاب زيد وبقي في جماعة يسيرة فقاتلهم أشد قتال وهو يقول متمثلا

ذل الحياة وعز الممات * وكلا أراه طعاما وبيلا

فان كان لابد من واحد * فسيرى الى الموت سيرا جميلا

وحال المساء بين الفريقين فانصرف زيد مثخنا بالجراح وقد أصابه سهم في جبهته فطلبوا من ينزع النصل فاتى بحجام من بعض القرى فاستكتموه أمره فاستخرج النصل فمات من ساعته فدفنوه في ساقية ماء وجعلوا على قبره التراب والحشيش وأجروا الماء على ذلك وحضر الحجام مواراته فعرف الموضع فلما أصبح مضى الى يوسف متنصحا له فدله على موضع قبره فاستخرجه يوسف وبعث برأسه الى هشام فكتب اليه هشام ان اصلبه عريانا فصلبه يوسف كذلك في ذلك يقول بعض شعراء بنى أمية يخاطب آل أبى طالب وشيعتهم من جملة أبيات

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة * ولم أر مهديا على الجذع يصلب

وبنى تحت خشبته عمود ثم كتب هشام الى يوسف يأمره باحراقه وتذريته في الرياح وكان ذلك في سنة احدى وعشرين وقيل اثنتين وعشرين ومائة وذكر أبو بكر بن عياش وجماعة من الاخبار بين ان زيدا اقام مصلوبا خمس سنين عريانا فلم ير أحد له عورة سترا من الله سبحانه وتعالى وقال بعضهم ان العنكبوت نسج على عورته وذلك بالكناسة بالكوفة فلما كان في ايام الوليد بن يزيد وظهر ولده يحيي بن زيد بخراسان وهي واقعة مشهورة كتب الوليد الى عامله بالكوفة ان أحرق زيدا بخشبته ففعل به ذلك وأذرى رماده في الرياح على شاطئ الفرات والله تعالى أعلم أى ذلك كان فهذا الذى حمل عبد الله بن على على مافعله ببنى أمية انتصارا لبنى عمه وانتقاما لهم بنظير مافعل بهم وقال الهيثم أيضا استعملت على صدقات بنى فزارة فجاءنى رجل منهم فقال اريك عجبا فقلت بلى فانطلق الى شاهق جبل فاذا فيه صدع فقال لى ادخل فقلت انما يدخل الدليل قال فدخل فاتبعته ودخل معنا أناس فكان ربما ضاق الجبل واتسع فاذا نحن بضوء فدنونا منه واذا خرق ذاهب في الارض واذا عكاكيز في الجبل فجذبناها فاذا هي سهام عاد واذا كتاب منقور في الجبل مقدار اصبعين أو أكثر واذا هو مكتوب بالعربية وهو

الاهل الى أبيات سفح بذى اللوى * لوى الرمل فاصدقن النفوس معاد
بلاد لنا كانت وكنا نحبها * اذا الناس ناس والبلاد بلاد

وروى ان أبا نواس الحسن بن هانى الحكمى الشاعر المقدم ذكره حضر مجلس الهيثم بن عدى في حداثته والهيثم لايعرفه فلم يستدنه ولا قرب مجلسه فقام مغضبا فسال الهيثم عنه فخبر باسمه فقال انا لله هذه والله بلية لم اجنها على نفسى قوموا بنا اليه لنعتذر فساروا اليه ودق الهيثم الباب عليه وتسمى له فقال ادخل فدخل فاذا هو قاعد يصفى نبيذا له وقد أصلح بيته بما يصلح به مثله فقال المعذرة الى الله تعالى ثم اليك وما عرفتك وما الذنب الالك حيث لم تعرفنا نفسك فنقضى حقك ونبلغ الواجب من برك فأظهر له قبول العذر فقال

الهيثم استعهدك من قول سبق منك فى فقال ما قد مضى فلا حيلة فيه ولك
الامان مما أستانف فقال ما الذى مضى جعلت فداك فقال بيت مر وانا فيما ترى بعى من
العصب قال فانشدنيه فدافعه وألح عليه فانشده

يا هيثم بن عدى لست للعرب * ولست من طيئ الا على شغب
اذا نسبت عديا فى بنى ثعل * فقدم الدال قبل العين فى النسب

فقام من عنده ثم بلغه بعد ذلك بقية الابيات وهى

للهيثم بن عدى فى تلونه * فى كل يوم له رحل على خشب
فما يزال اخا حل ومرتحل * الى الموالى واحيانا الى العرب
له لسان يرجيه بجوهره * كأنه لم يزل يغدو على قتب
كأنى بك فوق الجسر منتصبا * على جواد قريب منك فى الحسب
حتى نراك وقد درعته قصبا * من الحديد مكان الليف والكرب
لله أنت فما قربى تميمهما * الا اجتلبت لها الانسان من كثب

فعاد الهيثم الى أبى نواس وقال له يا سبحان الله قد امنتنى وجعلت لى عهدا ان لا تهجونى
فقال انهم يقولون مالا يفعلون وأخبار الهيثم كثيرة وقد أطلنا الشرح وكانت ولادته
قبل سنة ثلاثين ومائة وتوفى غرة المحرم سنة ست وقيل سبع ومائتين وقال ابن قتيبة
فى كتاب المعارف سنة تسع ومائتين والله تعالى أعلم بالصواب رحمه الله تعالى وله عقب
ببغداد وقال السمعانى فى كتاب الانساب فى ترجمة البحترى انه توفى سنة تسع ومائتين بفم
الصلح وله ثلاث وتسعون سنة وزاد غيره ان وفاته كانت عند الحسن بن سهل وقد تقدم
فى ترجمة بوران ان زواجها بالمأمون كان فى هذا التاريخ بهذا الموضع والظاهر انه
كان فى جملة من حضر فتوفى هنالك وقد تقدم الكلام على الطائى والبحترى والثعلى
بضم الثاء المثلثة وفتح العين وبعدها لام هذه النسبة الى ثعل بن عمرو بن الغوث بن طى
وقد تقدم تتمة هذه النسبة فى ترجمة البحترى فى حرف الواو فلتنظر هنالك وتنسب
الى ثعل المذكور عدة بطون منها بحتر وسلامان وغيرهما ومن هذه القبيلة عمرو بن
المسبح الثعلى الذى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفود العرب فاسلم بالمدينة
وهو ابن مائة وخمسين سنة وكان ارمى العرب وفيه يقول امرؤ القيس جندح بن حجر
الكندى الشاعر المشهور

رب رام من بنى ثعل * مخرج كفيه من ستره

وهذه من جملة ما استشهد به ابن قتيبة فى كتاب طبقات الشعراء على قرب زمن
امرئ القيس من زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه كان قبله مقدار أربعين سنة
هذا خلاصة ما قاله والله تعالى أعلم

(حرف الياء)

ياروق بن ارسلان التركماني

يار

كان متقدما جليل القدر فى قومه واليه تنسب الطائفة الياروقية من التركمان وكان عظيم الخلقة هائل المنظر سكن بظاهر حلب فى جهتها القبلية وبنى على شاطئ قويق فوق تل مرتفع هو وأهله واتباعه ابنية كثيرة مرتفعة وعمائر متسعة وتعرف الآن بالياروقية وهى شبه القرية وسكنها هو ومن معه وهى الى اليوم معمورة مسكونة آهلة تتردد اليها أهل حلب فى ايام الربيع ويتنزهون هنالك فى الخضرة على قويق وهو موضع كثير الانشراح والانس وتوفى ياروق المذكور فى المحرم عام أربع وستين وخمسمائة رحمه الله تعالى هكذا ذكره بهاء الدين المعروف بابن شداد فى سيرة السلطان صلاح الدين رحمهما الله تعالى وياروق بفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الالف راء مضمومة ثم واو ساكنة وفى الآخر قاف وقويق بضم القاف وفتح الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها قاف وهو نهر صغير بظاهر حلب يجرى فى الشتاء والربيع وينقطع فى الصيف وقد ذكرته الشعراء فى أشعارهم كثيرا خصوصا أباعبادة البحترى فانه كرر ذكره فى عدة قصائد فمن ذلك قوله فى جملة قصيدة

يابرق أسفر عن قويق فطرتى * حلب فأعلى القصر من بطياس
عن منبت الورد المعصفر صبغة * فى كل ناحية ومجنى الآس
أرض اذا استوحشت ثم أتيتها * حشدت على فأكثرت ايناسى

وبطياس بفتح الباء الموحدة وسكون الطاء المهملة وفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الالف سين مهملة وهى قرية كانت بظاهر حلب ودثرت ولم يبق لها اليوم أثر وكان صالح بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رضى الله عنهم قد بنى بها قصرا وسكنه هو وبنوه وهو بين النيرب والصالحية وهما قريتان فى شرقى حلب وكان القصر على الرابية المشرفة على النيرب ولم يبق منه فى هذا الزمان سوى آثار دارسة هكذا وجدته مضبوطا بخط بعض الفضلاء من أهل حلب والله تعالى أعلم

أبو الدر ياقوت بن عبد الله الموصلى الكاتب الملقب أمين الدين المعروف بالملكى نسبته الى السلطان ملكشاه أبى الفتح بن سلجوق بن محمد بن ملكشاه الاكبر

ياقو

نزل الموصل وأخذ النحو عن أبى محمد سعيد بن المبارك المعروف بابن الدهان النحوى وقرأ عليه من تصانيفه جملة وكان ملازمه وقرأ عليه ديوان المتنبى والمقامات الحريرية وغير ذلك وكتب الكثير وانتشر خطه فى الآفاق وكان فى نهاية الحسن ولم يكن فى آخر زمانه من يقاربه فى حسن الخط ولا يؤدى طريقة ابن البواب فى النسخ مثله مع فضل غزير ونباهة تامة وكان مغرى بنسخ الصحاح للجوهرى فكتب منها نسخا كثيرة

كل نسخة فى مجلد واحد رأيت منها عدة نسخ وكل نسخة تباع بمائة دينار وكتب عليه خلق كثير وانتفعوا به وكانت له سمعة كبيرة فى زمانه وقصده الناس من البلاد وسير اليه من بغداد الطبيب أبو عبد الله الحسين بن على بن أبى بكر الواسطى قصيدة مدحه بها ولم يكن رآه بل على السماع به وهى قصيدة جيدة فى بابها ووصف حسن خطه فأبلغ وهى

أين غزلان عالج والمصلى * من ظباء سكن نهر المعلى
أبتلك الكثبان اغصان بان * وبدور من أفقها تجلى
أم لتلك الغزلان حسن وجوه * لو تراءت للحزن أصبح سهلا
أين خودا تامن النرجس الغض * اذا ناجز النسيم استقلا
أين ذا العرار من صبغة الور * د اذا جاده الغمام وطلا
ابجرعائها كواكب نارنج * دنا فى غصونه فتدلى
ايقنت ان ماء دجلة كفؤ * كذب القاسطون حاشا وكلا
ألدار السلام فى الارض شبه * معجز أن ترى لبغداد مثلا
كل يوم تبدى وجوها اخلا * ف الامس حسنا كأنما هى حبلى
وصبايا يصبو الحليم اليهن * اذا ماخطرن شكلا ودلا
يتعصبن العصائب الناصريا * ت فيحلان منك عقدا وحلا
ليس يرقين فيك الا ولا * يعرفن شيأ غير الصحاح والالا
مرتع للقلوب فيه ربيع * متوال اذا الربيع تولى
بلدة تستفاد فيها المعالى * والمعانى علما وجدا وهزلا
لم يفتها من الكمال سوى يا * قوت لو أنها به تتحلى
من لها ان يضوع نشر امين الـ * ـدين فيها وحبها ذاك فضلا
لو رجت ان يزورها لانبرى الـ * ـشمات فيها وقل أهلا وسهلا
ولئن وافت الرواة بريا * الهبا فان رؤياه احلى
بحر جود له الاكارم تتلو * وجواد عنه المكارم تبلى
جامع شارد العلوم ولولا * لكانت أم الفضائل ثكلى
ذو يراع تخاف صولته الاسـ * ـد وتعنو له الكتائب ذلا
واذا افتر ثغره عن سواد * فى بياض فالبيض والسمر خجلا
يقظ فى حراسة الملك لا * يعمل مهملا ولا يجوز نصلا
انما يبعث البلاغة ارسا * لا اذا كانت الصحائف رسلا
فيعيد الجبار منثا نحو * فا لماقد امل فيها وأملى
وتراه طورا يجيل يديه * بقداح العلوم فصلا ففصلا
مثل وشى الرياض أو كنظيم الد * ر يرى خطا ولفظا ونقلا

فانشد يا مريد مثل امين الد * ين مهلا أتعبت نفسك مهلا
سيدى يا أخا السماح وظئر * المجد وابن العلا ورب المعلى
أنت بدر والكاتب بن هلال * كأبيه لا خير فيمن تولى
ان يكن اولا فانك بالتفـ * ـضيل اولى اقد سبقت وصلى
يا أمين الدين الذى جمع الله * به للسماح والفضل شملا
انا من قادة الثناء الى حبـ * ـلك حتى يظل تيها ويتلى
واذا مجمل الثناء بقاض * صار فيه أخو الشهادة عدلا
فارض بكرا ما راض قط أبوها * فكره بابنة ليخطب بعلا
لاجزاء يريد عنها ولا أجـ * ـرا ولكن رآك للمدح أهلا
ودعاه اليك داعى وداد * جاء يبغى من حسن رايك وصلا
واذا ما تعذر القرب فالقلب * كفيل به ورأيك أعلى
فابق واسلم ما جرد الافق جيشا * من ظلام وجرد الصبح نصلا

وتوفى أمين الدين المذكور بالموصل سنة ثمانى عشرة وستمائة وقد أسن وتغير حفظه من الكبر رحمه الله تعالى

أبو الدر ياقوت بن عبد الله الرومى الملقب مهذب الدين الشاعر المشهور مولى أبى منصور الجيلى التاجر اشتغل بالعلم وأكثر من الادب واستعمل قريحته فى النظم فأجاد فيه ولما تميز ومهر سمى نفسه عبد الرحمن وكان مقيما بالمدرسة النظامية ببغداد وعده ابن الذهبى فى كتاب الذيل من جملة من اسمه عبد الرحمن وذكر انه نشأ ببغداد وحفظ القرآن العزيز وقرأ شيأ من الادب وكتب خطا حسنا وقال الشعر وأكثر النظم منه فى الغزل والتصابى وذكر المحبة وراق شعره وحفظته الناس وأورد له مقطوعا من الشعر وذكر انه أنشده اياه وهو

خليلى لا والله ما جن غاسق * واظلم الاجن أوجن عاشق

وبقيته فى المجموع الصغير واشعاره سائرة يتغنى بها وهى رقيقة لطيفة فن ذلك قوله

ان غاض دمعك فالاحباب قد بانوا * فكل ما تدعى زور وبهتان
وكيف تانس أوتنسى خيالهمو * وقد خلا منهمو ربع واوطان
لاأوحش الله من قوم نأوا فنأى * عن النواظر اقمار وأغصان
ساروا فسار فؤادى اثر ظعنهم * وبان جيش اصطبارى ساعة بانوا
لاافتر ثغر الثرى من بعد بعدهم * ولا ترنح ايك لا ولا بان
اجرى دموعى واذكى النار فى كبدى * غداة بينهم هم وأحزان
طوفان نوح نوى فى مقلتى وفى * طى الحشا لخليل الله نيران
لو كابد الصخر ما كابدت من كمد * فيكم لجادله أحد ولبنان

وذاب يذبل من وجدى ورض على • رضوى ولان لما التاه ثهلان
يامن غدات رق حسن بهجته • سلطان حسن مالى منه احسان
كن كيف شئت تعالى عنك من سل • أنت الزلال القلبي وهو ظمآن
ومن شعره
الا مبلغ وجدى بهاوغرامي • ومهد الى دار السلام سلامي
نسيم الصبا بلغ تحية مشتم • الى معرق لم يرع عهد ذمامي
وصف بعض أشواقي اليه لعله • يرق لذلى فى الهوى وهيامي
ايارحمة الزوار الى فيك شادن • نئى بعده من مقلتى منامى
بديع جمال بان صبرى لبينه • وعزصى اعراضه لحمامى
يصد اذا ما صد عن عينى الكرى • ويرح دمعي هجره بدوامي
حياتى وموتى فى يديه وجنتى • ونارى ودينى فى الهوى واوامى
فى بعده عنى وفاتى وقربه • حياتى واسعادى ونيل مرامى
ومن وجنتيه نار وجدى وخصره • نحولى ومن سقم الجفون سقامى
فكى عاذرى ياعاذلى فدلاله • دليل على وجدى به وغرامى
ورأيت كثيرا من الفقها بالشام و بلاد الشرق يحفظون له قصيدة اولها
جدى لبعدك يامنير بلابلى • دف بجسمك ما ابل بلابلى
يامن اذا مالام فيه لوائمى • اوضحت عذرى بالعذار السائل
أأجير قتلى فى الوجيز لقاتلى • أم حل فى التهذيب أم فى الشامل
أم فى المهذب ان يعذب عاشق • ذو مقلة عبرى ودمع هاطل
ام طرفك الفتاك قد أفتاك فى • تلف النفوس بسحر طرف بابلى
وهى أكثر من هذا لكن هذا القدر هو الذى استحضرته فى هذا الوقت منها وأنشدنى له بعض الادباء بمدينة حلب أبياتا منها قوله
ألست من الولدان احلى شمائلا • فكيف سكنت القلب وهو جهنم
ثم قال وقد انتقدوا عليه فى بغداد فى هذا البيت فأفكرت فيه ثم قلت له لعل الانتقاد من جهة انه ما يلزم من كونه احلى شمائل من الولدان انه لايكون فى جهنم فانه قد يكون احلى شمائل منهم وليس الممتنع الا ان يكون الولدان فى جهنم فقال نعم هذا الذى أخذ عليه واخبرنى بعض الافاضل بمدينة اربل فى سنة خمس وعشرين وستمائة قال كنت ببغداد فى سنة عشرين وستمائة بالمدرسة النظامية فقعدت يوما على بابها الى جانب أبى الدر المذكور ونحن نتذاكر الادب اذ جاء شيخ ضعيف القوى والحال متوكا على عصا فجلس قريبا منا فقال لى أبو الدر اتعرف هذا فقلت لا فقال هذا مملوك حيص بيص الذى يقول فيه
تشربش اوتقمص أوتقبى • فلى تزداد عندى قط حبا

ملكت بعض حبك كل قلبي * فان ترد الزيادة هات قلبا

قال فجعلت أنظر اليه وافكر فيما كان عليه وما آل حاله اليه ولقد طلبت انا هذين البيتين في ديوان الحيص بيص فلم أجدهما فيه والله أعلم ولابي الدر المذكور ديوان شعر سمعت انه صغير ولم أقف عليه بل على مقاطيع كثيرة منه وشعره متداول بالعراق و بلاد الشرق والشام ويكفي منه هذا القدر وقد تقدم في حرف الخاء في ترجمة الشيخ الخضر ابن عقيل الاربلي له ثلاث أبيات دالية ثم اني ملكت من ديوانه نسختين في سنة سبع وستين وسبعمائة بدمشق المحروسة وهو صغير الحجم يدخل في عشر كراريس ورأيته في بعض التواريخ المتأخرة ان أبا الدر المذكور وجد ميتا في منزله ببغداد في الثاني عشر من جمادى الاولى سنة اثنين وعشرين وستمائة وقال الناس انه كان قد توفي قبل ذلك بايام رحمه الله تعالى وقال ابن النجار في تاريخ بغداد وجد ابو الدر في داره ميتا يوم الاربعاء خامس عشر جمادي الاولى من السنة وكان قد خرج من النظامية فسكن في دار بدرب دينار الصغير ولم يعلم متى مات واظنه ناطح الستين والله أعلم والرومي بضم الراء وسكون الواو وبعدها ميم هذه النسبة الى بلاد الروم وهو اقليم مشهور متسع كثير البلاد (وهاهنا نكتة غريبة) يحتاج اليها ويكثر السؤال عنها وهي ان أهل الروم يقال لهم بنو الاصفر واستعملته الشعراء في أشعارهم فمن ذلك قول عدي بن زيد العبادي من جملة قصيدته المشهورة

وبنو الاصفر الكرام ملوك الـ * ـروم لم يبق منهم مذكور

ولقد تتبعت ذلك كثيرا فلم أجد ما يشفي الغليل حتى ظفرت بكتاب قديم اسمه اللفيف ولم يكتب عليه اسم مؤلفه فنقلت منه ما صورته عن العباس عن أبيه قال انخرم ملك الروم في الزمان الاول فبقيت منه امرأة فتنافسوا في الملك حتى وقع بينهم شر فاصطلحوا على ان يملكوا اول من يشرف عليهم فجلسوا مجلسا لذلك وأقبل رجل من اليمن معه عبد له حبشي يريد الروم فأبق العبد منه فاشرف عليهم فقالوا انظروا في أي شيء وقعتم فزوجوه تلك المرأة فولدت غلاما فسموه الاصفر فخاصمهم المولى فقال الغلام صدق انا عبده فارضوه فاعطوه حتى رضي فبسبب ذلك قيل للروم بنو الاصفر لصفرة لون الولد لكونه مولدا بين الحبشي والمرأة البيضاء والله اعلم

أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الجنس الحموي المولد البغدادي الدار الملقب شهاب الدين

أسر من بلاده صغيرا وابتاعه ببغداد رجل تاجر يعرف بعسكر بن أبي نصر ابراهيم الحموي وجعله في الكتاب لينتفع به في ضبط تجائره وكان مولاه عسكر لا يحسن الخط ولا يعلم شيأ سوى التجارة وكان ساكنا ببغداد وتزوج بها واولد عدة أولاد ولما كبر ياقوت المذكور قرأ شيأ من النحو واللغة وشغله مولاه بالاسفار في متاجره فكان يتردد

الى كيش وعمان وتلك النواحى ويعود الى الشام ثم جرت بينه وبين مولاه نبوة اوجبت عتقه فابعده عنه وذلك فى سنة ست وتسعين وخمسمائة فاشتغل بالنسخ بالاجرة وحصل بالمطالعة فوائد ثم ان مولاه بعد مدة ألوى عليه واعطاه شيأ وسفره الى كيش ولما عاد كان مولاه قدمات فحصل شيأ مما كان فى يده وأعطى أولاد مولاه وزوجته ما ارضاهم به وبقيت بيده بقية جعلها رأس ماله وسافر بها وجعل بعض تجارته كتبا وكان متعصبا على على بن ابى طالب رضى الله عنه وكان قد طالع شيأ من كتب الخوارج فاشتبك فى ذهنه منه طرف قوى وتوجه الى دمشق فى سنة ثلاث عشرة وستمائة وقعد فى بعض أسواقها وناظر بعض من يتعصب لعلى رضى الله عنه وجرى بينهما كلام ادى الى ذكره عليا رضى الله عنه بما لا يسوغ فثار الناس عليه ثورة كادوا يقتلونه فسلم منهم وخرج من دمشق منهزما بعد ان بلغت القضية الى والى البلد فطلبه فلم يقدر عليه ووصل الى حلب خائفا يترقب وخرج عنها فى العشر الاول أو الثانى من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وستمائة وتوصل الى الموصل ثم انتقل الى اربل وسلك منها الى خراسان وتحامى دخول بغداد لان المناظر له بدمشق كان بغداديا وخشى ان ينقل قوله فيقتل فلما انتهى الى خراسان أقام بها يتجر فى بلادها واستوطن مدينة مرو مدة وخرج عنها الى نسا ومضى الى خوارزم وصادفه وهو بخوارزم خروج التتر وذلك فى سنة ست عشرة وستمائة فانهزم بنفسه كبعثه يوم الحشر من رمسه وقاسى فى طريقه من المضايقة والتعب ما كان يكل عن شرحه اذا ذكره ووصل الى الموصل وقد تقطعت به الاسباب وأعوزه دنى المآكل وخشن الثياب وأقام بالموصل مدة مديدة ثم انتقل الى سنجار وارتحل منها الى حلب وأقام بظاهرها فى الخان الى ان مات فى التاريخ الآتى ذكره ان شاء الله تعالى ونقلت من تاريخ اربل الذى عنى بجمعه أبو البركات بن المستوفى المقدم ذكره ان ياقوت المذكور قدم اربل فى رجب سنة سبع عشرة وستمائة وكان مقيما بخوارزم وفارقها للواقعة التى جرت فيها بين التتر والسلطان محمد بن تكش خوارزم شاه وكان قد تتبع التواريخ وصنف كتابا سماه ارشاد الالباء الى معرفة الادباء يدخل فى أربع جلود كبار ذكر فى أوله قال وجمعت فى هذا الكتاب ما وقع الى من اخبار النحويين واللغويين والنسابين والقراء المشهورين والاخباريين والمؤرخين والوراقين المعروفين والكتاب المشهورين وأصحاب الرسائل المدونة وأرباب الخطوط المنسوبة المعينة وكل من صنف فى الادب تصنيفا أو جمع فيه تأليفا مع ايثار الاختصار والاعجاز فى نهاية الايجاز ولم آل جهدا فى اثبات الوفيات وتبيين المواليد والاوقات وذكر تصانيفهم ومستحسن اخبارهم والاخبار بأنسابهم وشئ من اشعارهم فى ترداى الى البلاد ومخالطتى للعباد وحذفت الاسانيد الا ما قل رجاله وقرب مناله مع الاستطاعة لاثباتها سماعا واجازة الا انى قصدت صغر الحجم وكبر النفع وأثبت مواضع نقلى ومواطن

اخذى من كتب العلماء المعول فى هذا الشان عليهم والرجوع فى صحة النقل اليهم ثم ذكر انه جمع كتابا فى اخبار الشعراء المتأخرين والقدماء ومن تصانيفه أيضا كتاب معجم البلدان وكتاب معجم الشعراء وكتاب معجم الادباء وكتاب المشترك وضعا المختلف صقعا وهو من الكتب النافعة وكتاب المبدأ والمآل فى التاريخ وكتاب الدول ومجموع كلام أبى على الفارسى وعنوان كتاب الاغانى والمقتضب فى النسب يذكر فيه انساب العرب وكتاب اخبار المتنبى وكانت له همة عالية فى تحصيل المعارف وذكر القاضى الاكرم جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الواحد الشيبانى القفطى وزير صاحب حلب كان رحمه الله تعالى فى كتابه الذى سماه أنباء الرواه على ابناء النحاه ان ياقوت المذكور كتب اليه رسالة من الموصل عند وصوله اليها هاربا من التتر يصف فيها حاله وما جرى له معهم وهى بعد البسملة والحمدلة كان المملوك ياقوت بن عبد الله الحموى قد كتب هذه الرسالة من الموصل فى سنة سبع عشرة وستمائة حين وصوله من خوارزم طريد التتر أبادهم الله تعالى الى حضرة مالك رقه الوزير جمال الدين القاضى الاكرم أبى الحسن على بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الواحد الشيبانى ثم التيمى تيم شيبان ابن ثعلبة بن عكابة اسبغ الله عليه ظله وأعلى فى درجة السيادة محله وهو يومئذ وزير صاحب حلب والعواصم شرحا لاحوال خراسان وأحواله وايماء الى بدء أمره بعد ما فارقه ومآله وأحجم عن عرضها على رأيه الشريف اعظاما وتهيبا وفرارا من قصورها عن طوله وتجنبا الى ان وقف عليها جماعة من منتحلى صناعة النظم والنثر فوجدهم متسارعين الى كتبها متهافتين على نقلها وما يشك ان محاسن مالك الرق حلتها وفى أعلى درج الاحسان احلتها فشجعه ذلك على عرضها على مولاه وللاراء علوها فى تصفحها والصفح عن زللها فليس كل من لمس درهما صيرفيا ولا كل من اقتنى درا جوهريا وها هى بسم الله الرحمن الرحيم أدام الله على العلم اهليه والاسلام وبنيه ماسوغهم وحباهم ومنحهم وأعطاهم من سبوغ ظل المولى الوزير أعز الله انصاره وضاعف مجده واقتداره ونصر ألويته واعلامه وأجرى باجراء الارزاق فى الآفاق اقلامه وأطال بقاءه ورفع الى عليين علاءه فى نعمة لا يبلى جديدها ولا يحصى عددها ولا عديدها ولا ينتهى الى غاية مديدها ولا يفل حدها ولا حديدها ولا يقل واذها ولا وديدها وأدام دولته للدنيا والدين يلم شعثه ويرم كرثه ويرفع مناره ويحسن بحسن أثره اثاره ويفتق نوره وازهاره وينير نواره ويضاعف نواره واسبغ ظله للعلوم وأهليها وللاداب ومنتحليها والفضائل وحامليها يشيد بتشييد فضله بنيانها ويرصع بناصع مجده تيجانها ويروض بيانع علائه زمانها ويعظم بعلو همته الشريفة بين البرية شانها ويمكن فى أعلى درج الاستحقاق امكانها ومكانها ويرفع بنفاذ الامر قدره للدول الاسلامية والقواعد الدينية يسوس قواعدها ويعين مساعدها ويبين

معاهدها ويعضد بحسن الايالة معاضدها وينهج بجميل المقاصد مقاصدها حتى يعود حسن تدبيره غرة فى جبهة الزمان وسنة يقتدى بها من طبع على العدل والاحسان يكون له أجرها مادام الملوان وكر الجديدان وما أشرقت من الشرق شمس وارتاحت الى مناجاة حضرته الباهرة نفس وبعد فالمملوك ينهى الى المقر العالى المولوى والمحل الاكرم العلى أدام الله سعادته مشرقة النور مبلغة السول واضحة الغرر بادية الحجول ماهو مكتنف بالاريحية المولوية عن تبيانه مستغن بما منحها من صفاء الاراء عن امضاء قلمه لايضاحه وبيانه قد احسبه ما وصف به عليه الصلاة والسلام المؤمنين وان من أمتى لمكلمين وهو شرح مايعتقده من الولاء ويشتهر به من التعبد للحضرة الشريفة والاعتزاء وقد كفته تلك الالمعية عن اظهار المشبه بالملق مما تجنه الطويه لان دلائل غلو المملوك فى دين ولائه فى الآفاق واضحه وطيب متمسكه اخلاص الوداد باسمه الكريم على صفحات الدهر لائحه واعانه بشرائع الفضل الذى طبق الافاق حتى اصبح بهابى المكارم متين وتلاوته لاحاديث المجد القريبة الاسانيد بالمشاهد تلديه مبين ودعا أهل الافاق الى المغالاة فى الايمان بامامة فضله الذى تلقاه باليمين ومديته عله سودده الذى تفرد بالتوخى لنظم شارده وتم مبدده بعرق الجبين حتى قد أصبح للفضل كعبة لم يفترض حجها على من استطاع اليه السبيل ويقتصر بقصدها على ذوى القدرة دون المعتر وابن السبيل فان لكل منهم حظا يستوفيه ونصيبا يستعذبه ويعتده فللعظماء الشرف الضخم من معينه وللعلماء اقتناء الفضائل من قطينه وللفقراء توقيع الامان من نوائب الدهر وغض جفونه وفرضوا من مناسكه لايجيه الشريفة السلام والتجميل وللكف البسيطة الاستلام والتقبيل وقد شهد الله تعالى للمملوك انه فى سفره وحضره وعلمه وسره وخبره ومخبره شعاره تعطير مجالس الفضلاء ومحافل العلماء بهواء حضرته والفضائل المستفادة من فضيلته افتخارا بذلك بين الانام وتطريزا لما يأتى به فى اثناء الكلام

اذا أنا شرفت الورى بقصائدى * على طمع شرفت شعرى بذكره

جنون عليك أن أساو اقل لاتمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين لا حرمنا الله معاشر أوليائه مواد فضائله المتتاليه ولا اخلانا كافة عبيده من اياديه المتواليه اللهم رب الارض المدحية والسموات العلية والرياح المسخرة والبحار المسجرة اسمع ندائى واستجب دعائى وبلغنى فى معاليه ما نؤمله ونرتجيه بمحمد وصحبه وذويه وقد كان المملوك لما فارق الجناب الشريف وانفصل عن مقر العز اللباب والفضل المنيف أراد استعتاب الدهر الكالح واستدرار خلف الزمن الغشوم الجامح اعترارا بان فى الحركة بركة والاغتراب داعية الاكتساب والمقام على الاقتار ذل وامتهان وجليس البيت فى المحافل سكيت

وقلت

وقفت وقوف الشك ثم استمزلى * يقيني بأن الموت خير من الفقر
فودعت من أهلي وبالقلب مابه * وسرت عن الاوطان في طلب اليسر
وباكية للبين قلت لها اصبري * فللموت خير من حياة على عسر
سأكسب مالا او اموت ببلدة * يقل بها فيض الدموع على قبري

فامتطى غارب الامل الى الغربه وركب ركب التطواف مع كل صحبه قاطع الاغوار والانجاد حتى بلغ السد أو كاد فلم يصحب له دهره الحرون ولا رق له زمانه المفتون

ان الليالي والايام لو سئلت * عن عيب انفسها لم تكتم الخبرا

فكانه في جفن الدهر قذى وفي حلقه شجي يدافعه بنيل الامنيه حتى اسلمه الى ربقة المنيه

لا يستقر بارض أو يسير الى * اخرى لشخص قريب عزمه ناءى
يوما بحزوى ويوما بالعقيق ويو * ما بالعذيب ويوما بالخلصاء
وتارة ينتحي نجدا وآونة * شعب الحزون وحينا قصر تيماء

وهيهات مع حرفة الادب بلوغ وطر أو ادراك أرب ومع عبوس الحظ ابتسام الدهر الفظ ولم ازل مع الزمان في تفنيد وعتاب حتى رضيت من الغنيمة بالاياب والمملوك مع ذلك يدافع الايام ويزجيها ويعال المعيشة ويرجيها متقنعا بالقناعة والعفاف مشتغلا بالنزاهة والكفاف غير راض بذلك الشمل ولكن مكره اخاك لا بطل متسليا باخوان قد ارتضى خلائقهم وامن بوائقهم عاشرهم بالالطاف ورضي منهم بالكفاف لا خيرهم يرتجى ولا شرهم يتقى

ان كان لابد من أهل ومن وطن * فحيث آمن من الفي وياء منى

قد الزم نفسه ان يستعمل طرفا طماحا وان يركب طرفا جماحا وان يلحق ببيض طمع جناحا أو ان يستقدح زندا واريا وشحاحا

وادبني الزمان فلا ابالي * هجرت فلا ازار ولا ازور
ولست بقائل ما عشت يوما * اسار الجند ام ركب الامير

وكان المقام بمرو الشاهجان المفسر عندهم بنفس السلطان فوجد بها من كتب العلوم والاداب وصحائف أولى الافهام والالباب ما شغله عن الاهل والوطن واذهله عن كل خل صفي وسكن فظفر منها بضالته المنشوده وبغية نفسه المفقوده فاقبل عليها اقبال النهم الحريص ووفاها بمقام لا يزمع عنها محيص فجعل يرتع في حدائقها ويستمع بحسن خلقها وخلائقها ويسرح طرفه في طرفها ويتلذذ بسروطها ونتفها واعتقد المقام بذلك الجناب الى ان يجاور التراب

اذا ما الدهر يبتني بجيش * طليعته اهتمام واغتراب
شننت عليه من جهتي كمينا * امير ام الذبالة والكتاب
وبت انص من شيم الليالي * عجائب من حقائقها ارتياب

بها الحلو هوى مستريحا * كما جلى همومهم الشراب

الى ان حدث بخراسان ما حدث من الخراب والويل المبير والتباب وكانت لعمر الله بلادا مونقة الارجاء رائقة الانحاء ذات رياض اريضه واهوية صحيحة مريضه قد تغنت اطيارها فتمايلت طربا اشجارها وبكت انهارها فتضاحكت ازهارها وطاب روح نسيمها فصح مزاج اقليمها ولعهدى بتلك الرياض الانيقه والاشجار المتهدلة الوريقة وقد ساقت اليها ارواح الجنائب زقاق خمر السحائب فسقت مروجها مدام الطل فنشأ على ازهارها حباب كاللؤلؤ المنحل فلما رويت من تلك الصهبا اشجاره رقصها من النسيم خماره فتدانت ولا تدانى المحبين وتعانقت ولا عناق العاشقين يلوح من خلالها شقائق قد شابه اشتقاق الهوى بالعذل فشابه شفق غادتين دنتا للتقبيل وربما اشتبه على الضرير باتلاف الجمر وقد شابه رشاش القطر ويريد بهارا يبهر ناظره فيرتاح اليه ناظره كأنه صنوبج من العسجد أرد نا بيرمن الابريز نقد ويخلل ذلك اقحوان تخاله ثغر المعشوق اذا عض خدعاشق فلله درها من نزهة رامق ولون رائق وجملة أمرها انها كانت انموذج الجنة بلا مين فيها ماتشتهى الانفس وتلذ العين قد اشتملت عليها المكارم وارجحت فى اربائها الخيرات العائضة للعالم فكم فيها من خبر راقت خبره ومن امام توجب حياة الاسلام سيره آثار علومهم على صفحات الدهر مكتوبة وفضائلهم فى محاسن الدنيا والدين محسوبة والى كل قطر مجلوبة فما من متين علم وقويم رأى الاومن مشرقهم مطلعه وما من معرفة فضل الاعندهم مغربه واليهم مترعه ومانشأ من كرم اخلاق بلا اختلاق الاوجدته فيهم ولا اعراق فى طيب اعراق الا اجتنيته من معانيهم اطفالهم رجال وشبابهم أبطال ومشايخهم أبدال شواهد مناقبهم باهره ودلائل مجدهم ظاهره ومن العجب العجاب ان سلطانهم المالك هان عليه ترك تلك الممالك وقال للنفسه الهوالك والافأنت فى الهوالك وأجفل اجفال الرال وطفق اذا رأى غير شئ ظنه رجلا بل رجال كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين لكنه عزوجل لم يورثها قوما آخرين تنزيها لاولئك الابرار عن مقام المجرمين بل ابتلاهم فوجدهم شاكرين وبلاهم فألفاهم صابرين فألحقهم بالشهداء الابرار ورفعهم الى درجات المصطفين الاخيار وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيأ وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون جاس خلال تلك الديار أهل الكفر والالحاد وتحكم فى تلك الاستار اولوا الزيغ والعناد فاصبحت تلك القصور كالمحو من السطور وامست تلك الاوطان مأوى للاصداء والغربان يتجاوب فى نواحيها البوم ويتناوح فى ارجائها الريح السموم يستوحش فيها الانيس ويرثى لمصابها ابليس

كأن لم يكن فيها أوانس كالدمى * واقيال ملك فى بسالتهم أسد

فمن حاتم في جوده وابن مامة * ومن احنف ان عد حلم ومن سعد
تداعى بهم صرف الزمان فاصبحوا * لنا عبرة تدمى الحشا ولمن بعد

فانا لله وانا اليه راجعون من حادثة تقصم الظهر وتهدم العمر وتفت في العضد وتوهي الجلد وتضاعف الكمد وتشيب الوليد وتخب لب الجليد وتسود القلب وتذهل اللب فحينئذ تقهقر المملوك على عقبه ناكسا ومن الاوبة الى حيث تستقر فيه النفس بالامن آيسا بقلب واجب ودمع ساكب ولب عازب وحلم غائب فتوصل وما كاد حتى استقر بالموصل بعد مقاساة اخطار وابتلاء واصطبار وتمحيص الاوزار واشراف غير مرة على البوار والتبار لانه مر بين سيوف مسلوله وعساكر مفلوله ونظام عقود محلوله ودماء مسكوبة مطلوله وكان شعاره كلما علا قتبا اوقطع سببا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا فالحمد لله الذي اقدرنا على الجد أولا نعما تفوت الحصر والعد وجملة الامر أنه لولا فسحة في الاجل لعز أن يقال سلم البائس او وصل واصفق عليه أهل الوداد صفقة المغبون والحق بألف ألف ألف ألف ألف هالك بايدي الكفار أو يزيدون وخلف خلفه جل ذخيرته ومستمد معيشته

تنكر لي دهري ولم يدر انني * اعز واحداث الزمان تهون
وبات يريني الخطب كيف اعتداؤه * وبت اريه الصبر كيف يكون

وبعد فليس للمملوك ما يسلي به خاطره ويعزي به قلبه وناظره الا التعلل بازاحة العلل اذا هو بالحضرة الشريفة مثل

فاسلم ودم وتمل العيش في دعة * ففي بقائك ما يسلي عن السلف
فأنت للمجد روح والورى جسد * وأنت در فلا تأسى على الصدف

والمملوك الآن بالموصل مقيم يعالج لما حزبه من هذا الامر المقعد المقيم يزجي وقته ويمارس حرفته وبخته تكاد تقول له باللسان القويم تالله انك لفي ضلالك القديم يذيب نفسه في تحصيل اغراض هي لعمر الله اعراض من صحف يكتبها وأوراق يستصحبها نصبه فيها طويل واستمتاعه بها قليل ثم الرحيل وقد عزم بعد قضاء نهمته وبلوغ بعض وطر قرونته ان يستمد التوفيق ويركب سنن الطريق عنياء ان يبلغ امنيته من المثول بالحضرة واتحاف بصره من خلالها ولو بنظرة ويلقي عصا الترحال بفنائها الفسيح ويقيم تحت ظل كنفها الى ان يصادفه الاجل المريح وينظم نفسه في سلك عاليكها بحضرتها كما ينتمي اليها في غيبتها ان مدت السعادة بضبعه وسمح له الدهر بعد الخفض برفعه فقد ضعفت قواه عن درك الامال وعجز عن معاركة الزمان والنزال اذ ضمت البسيطة اخوانه وحجب الجديدان أقرانه ونزل المشيب بعذاره وضعفت قوى أوطاره وانقض باز الشيب على غراب شبابه فقنصه وبدات محاسنه عند أحبابه مساوي وخصصه واركب نهار الحلم على ليل الجهل فوقصه واستعاض

من حلة الشباب القشيب خلق الكبر والمشيب

وشباب بان منى وانقضى * قبل ان أقضى منه اربى
ما ارتجى بعده الا الفنا * ضيق الشيب على مطلبى

ولقد ندب المملوك ايام الشباب بهذه الابيات وما أقل غناء الباكى على من عدّ فى الرفات

تنكرلى مذ شبت دهرى فاصبحت * معارفه عندى من النكرات
اذا ذكرتها النفس حنت صبابة * وجادت شؤون العين بالعبرات
الى ان أتى دهر يحسن مامضى * ويوسعنى من ذكره حسرات
فكيف ولم يبق من كاس مشربى * سوى جرع فى قعره كدرات
وكل اناء صفوه فى ابتدائه * ويرسب فى عقباه كل قذاة

والمملوك يتيقن انه لايتفق لهذا القدر الذى مضى الا النظر اليه بعين الرضى ورأى المولى الوزير الصاحب كهف الورى فى المشارق والمغارب فيما لاحظه منه بمادة مجده مزيد مناقب ومراتب والسلام ولقد طالت هذه الترجمة بسبب طول الرسالة ولم يمكن قطعها وقال صاحبنا الكمال الشعارى الموصلى فى كتاب عقود الجمان أنشدنى أبو عبد الله محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادى صاحب تاريخ بغداد قال أنشدنى ياقوت المذكور لنفسه فى غلام تركى وقد رمدت عينه وعليها رفادة سوداء

ومولد للترك تحسب وجهه * بدرا يضيء سناه بالاشراق
ارخى على عينيه فضل وقاية * ليرد فتنتها عن العشاق
تالله لو ان السوابرى دونها * نفذت فهل لوقاية من واق

وكانت ولادة ياقوت المذكور فى سنة أربع أو خمس وسبعين وخمسمائة ببلاد الروم هكذا قاله وتوفى يوم الاحد العشرين من شهر رمضان سنة ست وعشرين وستمائة فى الخان بظاهر مدينة حلب حسبما قدمنا ذكره فى أول الترجمة رحمه الله تعالى وكان قد وقف كتبه على مسجد الزيدى الذى بدرب دينار ببغداد وسلمها الى الشيخ عز الدين أبى الحسن على بن الاثير صاحب التاريخ الكبير فحملها الى هناك ولما تميز ياقوت المذكور واشتهر سمى نفسه يعقوب وقدمت حلب للاشتغال بها فى مستهل ذى القعدة سنة وفاته وكان عقيب موته الناس يثنون عليه ويذكرون فضله وادبه ولم يقدرلى الاجتماع به

أبو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن المرى البغدادى الحافظ المشهور

كان اماما عالما حافظا متقنا قيل انه من قرية نحو الانبار تسمى نقياى وكان أبوه كاتبا لعبد الله بن مالك وقيل انه كان على خراج الرى فمات فخلف لابنه يحيى المذكور ألف ألف درهم وخمسين ألف درهم فانفق جميع المال على الحديث وسئل يحيى

المذكور كم كتبت من الحديث فقال كتبت بيدي هذه ستمائة ألف حديث وقال راوي هذا الخبر وهو أحمد بن عقبه واني اظن ان المحدثين قد كتبوا له بأيديهم ستمائة ألف وستمائة ألف وخلف من الكتب مائة قطر واربع حباب شرابية مملوءة كتبا وهو صاحب الجرح والتعديل وروى عنه الحديث كبار الائمة منهم أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري وأبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري وأبو داود السجستاني وغيرهم من الحفاظ وكان بينه و بين الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه من الصحبة والالفة والاشتراك بالاشتغال بعلوم الحديث ما هو مشهور ولا حاجة الى الاطالة فيه وروى عنه هو وأبو خيثمة وكانا من أقرانه وقال على بن المديني انتهى العلم بالبصرة الى يحيى ابن أبي كثير وقتادة وعلم الكوفة الى اسحاق والاعمش وانتهى علم الحجاز الى ابن شهاب وعمرو بن دينار وصار علم هؤلاء الستة بالبصرة الى سعيد بن أبي عروبة وشعبة ومعمر وحماد بن سلمة و أبي عوانة ومن أهل الكوفة الى سفيان الثوري وسفيان بن عيينة ومالك بن أنس ومن أهل الشام الى الاوزاعي وانتهى علم هؤلاء الى محمد بن اسحاق وهشيم و يحيى بن سعيد وابن أبي زائدة ووكيع وابن المبارك وهو اوسع هؤلاء علما وابن مهدي و يحيى بن آدم وصار علم هؤلاء جميعا الى يحيى بن معين وقال أحمد بن حنبل كل حديث لايعرفه يحيى بن معين فليس هو بحديث وكان يقول ههنا رجل خلقه الله لهذا الشان يظهر كذب الكذابين يعني يحيى بن معين وقال ابن الرومي ماسمعت أحدا قط يقول الحق في المشايخ غير يحيى بن معين وغيره كان يتحامل بالقول وقال يحيى مارأيت على رجل قط خطأ الاسترته واحببت ان ازين امره وما استقبلت رجلا في وجهه بأمر يكرهه ولكن ابين له خطأه فيما بيني و بينه فان قبل ذلك والا تركته وكان يقول كتبنا عن الكذابين وسجرنا به التنور واخرجنا به خبزا نضيجا وكان ينشد كثيرا .

المال يذهب حله وحرامه * طرا و يبقى في غد آثامه
ليس التقي بمتق لالاهه * حتى يطيب شرابه وطعامه
و يطيب مايحوي وتكسب كفه * و يكون في حسن الحديث كلامه
نطق النبي لنا به عن ربه * فعلى النبي صلاته وسلامه

وقد ذكره الدارقطني فيمن روى عن الامام الشافعي رضي الله عنه وقد سبق في ترجمة الشافعي خبره معه وماجرى بينه و بين الامام أحمد بن حنبل في ذلك وسمع أيضا من عبد الله بن المبارك وسفين بن عيينة وكان يحيى يحج فيذهب الى مكة و يرجع الى المدينة فلما كان آخر حجة حجها خرج الى المدينة ورجع الى المدينة فاقام بها ثلاثة أيام ثم خرج حتى أتى المنزل مع رفقائه فباتوا فرأى في النوم هاتفا يهتف به ياأبازكريا اترغب عن جواري فلما أصبح قال لرفقائه امضوا فاني راجع الى المدينة فمضوا ورجع وأقام بها

ثلاثة ايام ثم مات فحمل على اعواد النبي صلى الله عليه وسلم وكانت وفاته لسبع ليال من ذي القعدة سنة ثلث وثلاثين ومائتين هكذا قاله الخطيب في تاريخ بغداد وهو غلط قطعا لما تقدم ذكره من انه خرج الى مكة للحج ثم رجع الى المدينة ومات بها ومن يكون قد حج كيف يتصور أن يموت بذي القعدة من تلك السنة فلو ذكر انه توفي في ذي الحجة لامكن ويحتمل ان يكون هذا غلطا من الناسخ لكني وجدته في نسختين على هذه الصورة فيبعد ان يكون من الناسخ والله أعلم ثم ذكر بعد ذلك ان الصحيح انه مات قبل ان يحج وعلى هذا يستقيم ما قاله من تاريخ الوفاة ثم نظرت في كتاب الارشاد في معرفة علماء الحديث تاليف أبي يعلى الخليل بن عبد الله بن أحمد بن ابراهيم بن الخليل الحافظ أن يحيى بن معين المذكور توفي لسبع ليال بقين من ذي الحجة من السنة المذكورة وعلى هذا يكون قد حج وذكر الخطيب أيضا ان مولده كان آخر سنة ثمان وخمسين ومائة ثم قال بعد ذكر وفاته انه بلغ سبعا وسبعين سنة الاعشرة أيام وهذا أيضا لا يصح من جهة الحساب فتأمله ورأيت في بعض التواريخ انه عاش خمسا وسبعين سنة والله أعلم وصلى عليه والي المدينة ثم صلى عليه مرارا ودفن بالبقيع وكان بين يدي جنازته رجل ينادي هذا الذي كان ينفي الكذب عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثاه بعض المحدثين فقال

ذهب العليم بعيب كل محدث ** وبكل مختلف من الاسناد

وبكل وهم في الحديث ومشكل ** يعيى به علماء كل بلاد

رضي الله عنه ومعين بفتح الميم وكسر العين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون وبسطام بكسر الباء الموحدة وسكون السين المهملة وفتح الطاء المهملة وبعد الالف ميم والباقي معروف فلا حاجة الى ضبطه ورأيت في بعض التواريخ انه يحيى بن معين بن غياث بن زياد بن عون بن بسطام مولى الجنيد ابن عبد الرحمن الغطفاني المري امير خراسان من قبل هشام بن عبد الملك الاموي والاول اشهر واصح اعني النسب والمري بضم الميم وتشديد الراء هذه النسبة الى مرة غطفان وهو مرة بن عوف بن سعد ابن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان وهي قبيلة كبيرة مشهورة وفي العرب عدة قبائل تنسب اليها يقال لكل واحدة منها مرة وأما نقياي فقال ابن السمعاني في كتاب الانساب انها بفتح النون وكسر القاف أو فتحها وبعدها ياء مفتوحة تحتها نقطتان وبعد الالف ياء ثانية وهي من قرى الانبار منها يحيى بن معين النقيائي قال الخطيب ويقال ان فرعون كان من أهل هذه القرية والله أعلم

أبو محمد يحيى بن يحيى بن كثير بن وسلاس وقيل وسلاسن بن شمال بن منغايا الليثي أصله من البربر من قبيلة يقال لها مصمودة مولى بني ليث فنسب اليهم وجده كثير يكنى أبا عيسى وهو الداخل الى الاندلس وسكن قرطبة وسمع بها من زياد بن عبد الرحمن بن

زياد اللخمي المعروف بشبطون القرطبي راوي موطأ مالك بن أنس رضي الله عنه وسمع من يحيى بن مضر القيسي الاندلسي ثم رحل الى المشرق وهو ابن ثمان وعشرين سنة فسمع من مالك بن أنس الموطأ غير أبواب في كتاب الاعتكاف شك في سماعه فيها فأثبت روايته فيها عن زياد وسمع بمكة من سفيان بن عيينة وبمصر من الليث بن سعد وعبد الله بن وهب وعبد الرحمن بن القسم وتفقه بالمدنيين والمصريين من أكابر أصحاب مالك بعد انتفاعه به وملازمته له وكان مالك يسميه عاقل أهل الاندلس وسبب ذلك فيما يروى انه كان في مجلس مالك جماعة من أصحابه فقال قائل قد حضر الفيل فخرج أصحاب مالك كلهم لينظروا اليه ولم يخرج يحيى فقال له مالك مالك لا تخرج فتراه لانه لا يكون بالاندلس فقال انما جئت من بلدي لانظر اليك واتعلم من هديك وعلمك ولم أجئ لانظر الى الفيل فاعجب به مالك وسماه عاقل اهل الاندلس ثم ان يحيى عاد الى الاندلس وانتهت اليه الرياسة بها وبه انتشر مذهب مالك في تلك البلاد وتفقه به جماعة لا يحصون عددا وروى عنه خلق كثير واشهر روايات الموطأ واحسنها رواية يحيى بن يحيى المذكور وكان مع امامته ودينه معظما عند الامراء مكينا عفيفا عن الولايات متنزها جلت رتبته عن القضاء فكان اعلى قدرا من القضاة عند ولاة الامر هناك لزهده في القضاء وامتناعه منه قال أبو محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الاندلسي المقدم ذكره مذهبان انتشرا في مبدأ أمرهما بالرياسة والسلطان مذهب أبي حنيفة فانه لما ولي قضاء القضاة أبو يوسف يعقوب صاحب أبي حنيفة وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى كانت القضاة من قبله فكان لا يولي قضاء البلدان من أقصى المشرق الى أقصى افريقية الا أصحابه والمنتمين اليه والى مذهبه ومذهب مالك بن أنس عندنا في بلاد الاندلس فان يحيى بن يحيى كان مكينا عند السلطان مقبول القول في القضاة فكان لا يلي قاض في اقطار بلاد الاندلس الا بمشورته واختياره ولا يشير الا باصحابه ومن كان على مذهبه والناس سراع الى الدنيا فاقبلوا على ما يرجون بلوغ اغراضهم به على ان يحيى بن يحيى لم يل قضاء قط ولا أجاب اليه وكان ذلك زائدا في جلالته عندهم وداعيا الى قبول رأيه لديهم (وحكى) أحمد بن أبي الفياض في كتابه قال كنت عند الامير عبد الرحمن بن الحكم الاموي المعروف بالمرتضى صاحب الاندلس فارسل الى الفقهاء يستدعيهم اليه فاتوا الى القصر وكان عبد الرحمن المذكور قد نظر في شهر رمضان الى جارية له كان يحبها حبا شديدا فعبث بها ولم يملك نفسه ان وقع عليها ثم ندم ندما شديدا فسأل الفقهاء عن توبته من ذلك وكفارته فقال يحيى بن يحيى يكفر ذلك بصوم شهرين متتابعين فلما بدر يحيى بن يحيى بهذه الفتيا سكت بقية الفقهاء حتى خرجوا من عنده فقال بعضهم لبعض وقالوا ليحيى مالك لم تفته بمذهب مالك فعنده انه مخير بين العتق والاطعام والصيام فقال لو فتحنا له هذا الباب سهل عليه ان يطأ كل يوم ويعتق رقبة فيه ولكن حملته على أصعب

الامور انه لا يعود ولما انفصل يحيى عن مالك ليعود الى بلاده ووصل الى مصر رأى عبد الرحمن بن القسم يدون سماعه من مالك فنشط الى الرجوع الى مالك ليسمع منه المسائل التى كان ابن القسم دونها عنه فرحل اليه ثانيه فالقى مالكا عليلا فاقام عنده الى ان مات وحضر جنازته فعاد الى ابن القسم وسمع منه سماعه من مالك ذكر ذلك أبو الوليد بن الفرضى فى تاريخه ، وذكر أيضا فيه ما مثاله وانصرف يحيى بن يحيى الى الاندلس فكان امام وقته وواحد بلاده وكان رجلا عاقلا قال محمد بن عمر بن كنانة فقيه الاندلس عيسى بن دينار وعالمها عبد الملك بن حبيب وعاقلها يحيى بن يحيى وكان يحيى ممن اتهم ببعض الامر فى الهيج فخرج الى طليطلة ثم استأمن فكتب له الامير الحكم امانا وانصرف الى قرطبة وكان أحمد بن خالد يقول لم يعط أحد من أهل العلم بالاندلس منذ دخلها الاسلام من الحظوة وعظم القدر وجلالة الذكر ما اعطيه يحيى بن يحيى وقال ابن بشكوال فى تاريخه ان يحيى بن يحيى مجاب الدعوة وكان قد أخذ فى نفسه وهديه ومقعده هيئة مالك (وحكى) عنه انه قال أخذت ركاب الليث بن سعد فاراد غلامه ان يمنعنى فقال دعه ثم قال لى الليث خدمك أهل العلم فلم تزل بى الايام حتى رأيت ذلك ثم قال وتوفى يحيى بن يحيى فى رجب سنة أربع وثلاثين ومائتين وقبره بمقبرة بنى عامر يستسقى به وهذه المقبرة بظاهر قرطبة وزاد أبو عبد الله المهدى فى كتاب جذوة المقتبس ان وفاته لثمان بقين من الشهر المذكور وقال أبو الوليد بن الفرضى فى تاريخه انه توفى سنة ثلاث وثلاثين وقيل سنة أربع وثلاثين فى رجب والله أعلم بالصواب وأما وسلاوس فهو بكسر الواو وسينين مهملتين الاولى منهما ساكنة وبينهما لام الف وتزاد فيه نون فيقال وسلاوسن ومعناه بالبربرية سبقهم وشمال بفتح الشين المعجمة وتشديد الميم وبعد الالف لام ومنغايا بفتح الميم وسكون النون وفتح الغين المعجمة وبعد الالف ياء مثناة من تحتها وبعدها ألف مقصورة ومعناه عندهم قاتل والله تعالى أعلم وقد تقدم الكلام على الليثى والبربرى ومصمودة

أبو محمد يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن بن سمعان بن مشنج التميمى الاسيدى المروزى من ولد أكثم بن صيفى التميمى حكيم العرب

كان فقيها عالما بالفقه بصيرا بالاحكام ذكره الدارقطنى فى أصحاب الشافعى رضى الله عنه . وقال الخطيب فى تاريخ بغداد كان يحيى بن أكثم سليما من البدعة ينتحل مذهب أهل السنة سمع عبد الله بن المبارك وسفيان بن عيينة وغيرهما وقد مر ذكره فى ترجمة سفيان وما دار بينهما وروى عنه أبو عيسى الترمذى وغيره وقال طلحة بن محمد ابن جعفر فى حقه يحيى بن أكثم أحد اعلام الدنيا وقد اشتهر أمره وعرف خبره ولم يستتر عن الكبير والصغير من الناس فضله وعلمه ورياسته وسياسته لامره وأمر أهل زمانه من الخلفاء والملوك واسع العلم بالفقه كثير الادب حسن المعارضة قائم بكل

معتزلة وغلب على المأمون حتى لم يتقدمه أحد عنده من الناس جميعا وكان المأمون
ممن برع في العلوم فعرف من حال يحيى بن أكثم وما هو عليه من العلم والعقل ما أخذ
بمجامع قلبه حتى قلده قضاء القضاة وتدبير أهل مملكته فكانت الوزراء لا تعمل في تدبير
الملك شيأ الا بعد مطالعة يحيى بن أكثم ولا نعلم أحدا غلب على سلطانه في زمانه الا يحيى
ابن اكثم واحمد بن أبي دواد وسئل رجل من البلغاء عن يحيى بن أكثم وابن أبي
دواد أيهما أنبل فقال كان أحمد يجد مع جاريته وابنته ويحيى يهزل مع خصمه وعدوه
وكان يحيى سليما من البدعة ينتحل مذهب اهل السنة بخلاف احمد بن أبي دواد وقد
تقدم في ترجمته طرف من اعتقاده وتعصبه للمعتزلة وكان يحيى يقول القرآن كلام الله
فمن قال انه مخلوق يستتاب فان تاب والا ضربت عنقه وذكر الفقيه أبو الفضل عبد
العزيز بن علي بن عبد الرحمن الاشنهي الملقب زين الدين في كتاب الفرائض في آخر
مسائل الملقبات وهي الرابعة عشر المعروفة بالمأمونية وهي أبوان وابنتان لم تقسم التركة
حتى ماتت احدى البنتين وخلفت من في المسئلة سميت مأمونيه لان المأمون أراد
ان يولي رجلا على القضاء فوصف له يحيى بن أكثم فاستحضره فلما حضر دخل عليه
وكان ذميم الخلق فاستحقره المأمون لذلك فعلم ذلك يحيى فقال يا أمير المؤمنين سلني ان
كان القصد علمي لا خلقي فسأله عن هذه المسئلة فقال يا أمير المؤمنين الميت الاول رجل
أم امرأة فعرف المأمون انه قد عرف المسئلة فقلده القضاء وهذه المسئلة ان كان الميت
الاول رجلا تصح المسئلتان من أربعة وخمسين وان كانت امرأة لم يرث الجد في المسئلة
الثانية شيأ لانه ابو أم فتصح المسئلتان من ثمانية عشر سهما وذكر الخطيب في تاريخ
بغداد أن يحيى بن أكثم ولي قضاء البصرة وسنه عشرون سنة ونحوها فاستصغره أهل
البصرة فقالوا كم سن القاضي فعلم انه قد استصغر فقال أنا أكبر من عتاب بن اسيد
الذي وجه به النبي صلى الله عليه وسلم قاضيا على مكة يوم الفتح وأنا أكبر من معاذ بن
جبل الذي وجه به النبي صلى الله عليه وسلم قاضيا على اليمن وانا اكبر من كعب بن سور
الذي وجه به عمر بن الخطاب رضي الله عنه قاضيا على أهل البصرة فجعل جوابه احتجاجا
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولى عتاب بن أسيد مكة بعد فتحها وله احدى
وعشرون سنة وقيل ثلاث وعشرون وكان اسلامه يوم فتح مكة وقال لرسول الله صلى
الله عليه وسلم اصحبك وأكون معك فقال أو ما ترضى ان أستعملك على آل الله تعالى فلم
يزل عليهم حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وبقي يحيى سنة لا يقبل بها شاهدا
فتقدم اليه أحد الامناء فقال أيها القاضي قد وقفت الامور وتريثت الاحوال فقال
وما السبب قال في ترك القاضي قبول الشهود فأجاز في ذلك اليوم منها سبعين شاهدا
وقال غير الخطيب كانت ولاية القاضي يحيى بن أكثم القضاء بالبصرة سنة اثنتين ومائتين
وقد سبق في ترجمة حماد بن أبي حنيفة ان يحيى المذكور ولي البصرة بعد اسماعيل بن

حماد بن أبي حنيفة وحدث محمد بن منصور قال كنا مع المأمون في طريق الشام فأمر فنودي بتحليل المتعة فقال يحيى بن أكثم لي ولابي العيناء بكرا غدا اليه فان رأيتما للقول وجها فقولا والا فاسكتا الى ان أدخل قال فدخلنا عليه وهو يستاك ويقول وهو مغتاظ متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى عهد أبي بكر رضي الله عنه وانا انهى عنهما ومن أنت يا جعل حتى تنهى عما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه فأومى أبو العيناء الى محمد بن منصور وقال رجل يقول في عمر بن الخطاب ما يقول نكلمه نحن فامسكنا فجاء يحيى بن أكثم فجلس وجلسنا فقال المأمون ليحيى مالي أراك متغيرا فقال هو غم يا أمير المؤمنين لما حدث في الاسلام قال وما حدث فيه قال النداء بتحليل الزنا قال الزنا قال نعم المتعة زنا قال ومن أين قلت هذا قال من كتاب الله عز وجل وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى قد أفلح المؤمنون الى قوله والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون يا أمير المؤمنين زوجة المتعة ملك يمين قال لا قال فهي الزوجة التي عند الله ترث وتورث وتلحق الولد ولها شرائطها قال لا قال فقد صار متجاوز هذين من العادين وهذا الزهري يا أمير المؤمنين روى عن عبد الله والحسن ابني محمد بن الحنفية عن أبيهما عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أنادي بالنهي عن المتعة وتحريمها بعد ان كان قد أمر بها فالتفت الينا المأمون فقال أمحفوظ هذا من حديث الزهري فقلنا نعم يا أمير المؤمنين رواه جماعة منهم مالك رضي الله عنه فقال أستغفر الله نادوا بتحريم المتعة فنادوا بها قال أبو اسحاق اسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم الازدي القاضي الفقيه المالكي البصري وقد ذكر يحيى بن أكثم فعظم أمره وقال كان له يوم في الاسلام لم يكن لاحد مثله وذكر هذا اليوم وكانت كتب يحيى في الفقه اجل كتب فتركها الناس لطولها وله كتب في الاصول وله كتاب أورده على العراقيين سماه كتاب التنبيه وبينه وبين داود بن علي مناظرات كثيرة ولقيه رجل وهو يومئذ على القضاء فقال أصلح الله القاضي كم آكل قال فوق الجوع ودون الشبع فقال فكم اضحك قال حتى يسفر وجهك ولا يعلو صوتك قال فكم أبكي قال لا تمل من البكاء من خشية الله تعالى قال فكم اخفي عملي قال ما استطعت قال فكم أظهر منه قال مقدار ما يقتدي بك البر الخير ويؤمن عليك قول الناس قال الرجل سبحان الله قول قاطن وعمل ظاعن وكان يحيى من ادهى الناس وأخبرهم بالامور ورأيت في بعض المجاميع ان أحمد بن أبي خالد الاحول وزير المأمون وقف بين يدي المأمون وخرج يحيى بن أكثم من بعض المستراحات فوقف فقال له المأمون اصعد فصعد وجلس على طرف السرير معه فقال أحمد يا أمير المؤمنين إن القاضي يحيى صديقي وممن أثق به في جميع أموري وقد تغير عما

عهدته منه فقال المأمون يا يحيى ان فساد أمر الملوك بفساد خاصتهم ومايعدلكما عندى أحد فما هذه الوحشة بينكما فقال له يحيى يا أمير المؤمنين والله انه ليعلم انى له على أكثر مما وصف ولكنه لما رأى منزلتى منك هذه المنزلة خشى ان اتغير له يوما فاقدح فيه عندك فأحب ان يقول لك هذا ليأمن منى وانه والله لو بلغ نهاية مساءتى ماذكرته بسوء عندك أبدا فقال المأمون أكذلك هو يا احمد قال نعم يا أمير المؤمنين قال استعين بالله عليكما فما رأيت اتم دهاء ولا أعظم فتنة منكما ولم يكن فيه مايعاب به سوى ما كان يتهم به من الهنات المنسوبة اليه الشائعة عنه والله أعلم بحاله فيها وذكر الخطيب فى تاريخه انه ذكر لاحمد بن حنبل رضى الله عنه مايرميه الناس به فقال سبحان الله من يقول هذا وانكر ذلك انكارا شديدا وذكر عنه انه كان يحسد حسدا شديدا وكان متفننا فكان اذا نظر الى رجل يحفظ الفقه سأله عن الحديث واذا رآه يحفظ الحديث سأله عن النحو واذا رآه يعلم النحو سأله عن الكلام ليقطعه ويخجله فدخل اليه رجل من أهل خراسان ذكى حافظ فناظره فرآه متفننا فقال له نظرت فى الحديث قال نعم قال ماتحفظ من الاصول قال أحفظ عن شريك عن أبى اسحاق عن الحرث ان عليا رضى الله عنه رجم لوطيا فامسك يحيى عنه ولم يكلمه ثم قال الخطيب أيضا ودخل على يحيى بن أكثم ابنا مسعدة وكانا على نهاية الجمال فلما رآهما يمشيان فى الصحن أنشد يقول

يا زائرينا من الخيام * حياكم الله بالسلام
لم تأتيانى وبى نهوض * الى حلال ولا حرام
يحزننى ان وقفتمابى * وليس عندى سوى الكلام

ثم اجلسهما بين يديه وجعل يمازحهما حتى انصرفا ويقال انه عزل عن الحكم بسبب هذه الابيات ورأيت فى بعض المجاميع ان يحيى بن أكثم مازح الحسن بن وهب المذكور فى ترجمة أخيه سليمان بن وهب وهو يومئذ صبى فلاعبه ثم خمشه فغضب الحسن فانشد يحيى

أيا قمرا خمشته فتغضبا * واصبح لى من تيهه متجنبا
اذا كنت للتخميش والعض كارها * فكن ابدا يا سيدى متنقبا
ولا تظهر الاصداغ للناس فتنة * وتجعل منها فوق خديك عقربا
فتقتل مسكينا وتفتن ناسكا * وتترك قاضى المسلمين معذبا

وقال أحمد بن يونس الضبى كان ابن زيدان الكاتب يكتب بين يدى يحيى بن أكثم القاضى وكان غلاما جميلا متناهى الجمال فقرص القاضى خده فخجل الغلام واستحيا وطرح القلم من يده فقال له يحيى خذ القلم واكتب ما املى عليك ثم املى الابيات المذكورة والله أعلم وقال اسماعيل بن محمد بن اسماعيل الصفار سمعت أبا العيناء فى مجلس أبى العباس المبرد يقول كنت فى مجلس أبى عاصم النبيل وكان أبو بكر بن

يحيى بن أكثم حاضرا ممازح غلاما فارتفع الصوت فقال أبو عاصم مهيم فقالوا هذا أبو بكر بن يحيى بن أكثم يمازح غلاما فقال ان يسرق فقد سرق أب له من قبل هكذا ذكره الخطيب في تاريخه وذكر الخطيب أيضا في تاريخه أن المأمون قال ليحيى المذكور من الذي يقول

قاض يرى الحد في الزناء ولا * يرى على من يلوط من باس

قال أو ما يعرف أمير المؤمنين من القائل قال لا قال يقوله الفاجر أحمد بن أبي نعيم الذي يقول

لا أحسب الجور ينقضي وعلى * الامة وال من آل عباس

قال فأفحم المأمون خجلا وقال ينبغي ان ينفى أحمد بن أبي نعيم الى السند وهذان البيتان من جملة أبيات أولها

أنطقني الدهر بعد اخراس * لنائبات أطلن وسواسي
يا بؤس للدهر لا يزال كما * يرفع ناسا يحط من ناس
لا أفلحت أمة وحق لها * بطول نكس وطول اتعاس
ترضى بيحيى يكون سائسها * وليس يحيى لها بسواس
قاض يرى الحد في الزناء ولا * يرى على من يلوط من باس
يحكم للأمرد الغرير على * مثل جرير ومثل عباس
فالحمد لله قد ذهب العدل وقل الوفاء في الناس
أميرنا يرتشي وحاكمنا * يلوط والراس شر من راس
لو صلح الدين واستقام لقد * قام على الناس كل مقياس
لا أحسب الجور ينقضي وعلى * الامة وال من آل عباس

وظني انها أكثر من هذا لكن الخطيب لم يذكر الا هذا القدر ونقلت من أمالي أبي بكر محمد بن القسم الانباري المقدم ذكره ان القاضي يحيى بن أكثم قال لرجل يأنس به ويمازحه ما تسمع الناس يقولون في قال ما اسمع الا خيرا قال ما أسألك لتزكيني قال اسمعهم يرمون القاضي بالابنة قال فضحك وقال اللهم اغفر المشهور وعنا غير هذا (وحكى) أبو الفرج الاصبهاني في كتاب الاغاني ليحيى المذكور وقائع في هذا الباب وان المأمون لما تواتر النقل عن يحيى بهذا أراد امتحانه فأخلى له مجلسا واستدعاه واوصى مملوكا خزريا أن يقف عندهما وحده واذا خرج المأمون يقف المملوك عند يحيى فلا ينصرف وكان المملوك في غاية الحسن فلما اجتمعا بالمجلس وتحادثا وانصرف المأمون كأنه يقضي حاجة فوقف المملوك وتجسس المأمون عليهما وكان قد أمره ان يعبث بيحيى علما منه ان يحيى لا يتجاسر عليه خوفا من المأمون فلما عبث به المملوك سمعه المأمون وهو يقول لولا أنتم لكنا مؤمنين فدخل المأمون وهو ينشد

وكنا نرجي ان نرى العدل ظاهرا * فأعقبنا بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها * وقاضي قضاة المسلمين يلوط

وهذان البيتان لابي حكيمة راشد بن اسحاق الكاتب وراشد له فيه مقاطيع كثيرة وذكر المسعودي في مروج الذهب في ترجمة المأمون جملة من اخبار يحيى في هذا الباب اضربنا عن ذكرها ومما يناسب حكاية المامون مع يحيى بسؤاله عن البيت لمن هو فاجابه يحيى ببيت آخر من القصيدة ماروى ان معاوية بن أبي سفيان الاموى لما مرض مرض موته واشتدت علته وحصل اليأس منه دخل عليه بعض أولاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه يعوده ولا استحضر الآن من هو فوجده قد استند جالسا يتجلد له لئلا يتشفى به فضعف عن القعود فاضطجع وأنشد

وتجلدي للشامتين اريهمو * أني لريب الدهر لا اتضعضع

فقام العلوي من عنده وهو ينشد

واذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

فعجب الحاضرون من جوابه وهذان البيتان من جملة قصيدة طويلة لابي ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي يرثي بها بنيه وكان قد هلك له خمس بنين في عام واحد أصابهم الطاعون وكانوا هاجروا معه الى مصر وهلك أبو ذؤيب المذكور في طريق مصر وقيل في طريق افريقية مع عبد الله بن الزبير ثم وجدت في كتاب فلك المعاني لابن الهبارية في الباب التاسع من الكتاب المذكور ان الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما دخل على معاوية في علته فقال أسندوني ثم تمثل ببيت أبي ذؤيب وأنشد البيت المذكور فسلم الحسن ثم أنشد البيت الثاني والله أعلم وذكرها أبو بكر بن داود الظاهري في كتاب الزهرة منسوبة الى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما والله أعلم قلت ولم يذكر ابن الهبارية مرض موته ولا الظاهري انه كان في علة الموت ولا يمكن ذلك لان الحسن توفي قبل معاوية والحسين لم يحضر وفاة معاوية لانه كان بالحجاز ومعاوية توفي بدمشق ثم وجدت في أول كتاب التعازي تأليف أبي العباس المبرد هذه القصة جرت للحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومثل ذلك ما يحكى ان عقيل ابن أبي طالب هاجر أخاه عليا والتحق بمعاوية فبالغ معاوية في بره وزاد في اكرامه ارغاما لعلي رضي الله عنه فلما قتل علي واستقل معاوية بالامر ثقل عليه أمر عقيل فكان يسمعه ما يكره لينصرف عنه فبينما هو يوما في مجلس حفل باهل الشام اذ قال معاوية أتعرفون أبا لهب الذي أنزل الله في حقه قوله تعالى تبت يدا أبي لهب من هو فقال أهل الشام لا فقال معاوية هو عم هذا وأشار الى عقيل فقال عقيل في الحال أتعرفون امرأته التي قال الله في حقها وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد من هي فقالوا لا قال هي عمة هذا وأشار الى معاوية وكانت عمته أم جميل بنت

حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف زوجة أبي لهب بن عبد العزى وهي المذ
الهجاء هذه السورة فكان ذلك من الاجوبة المسكتة ويقرب من هذا أيضا ان بعض
الملوك حاصر بعض البلاد وكان معه عساكر عظيمة بكثرة الرجال والخيل والعدد
فكتب الملك المحاصر الى صاحب البلد كتابا يشير اليه بانه يسلم البلد اليه ولا يقاتل
وذكر ما جاء به من الرجال والاموال والآلات ومن جملة الكتاب قوله تعالى حتى اذا
أتوا على وادي النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان
وجنوده وهم لا يشعرون فلما وصل الكتاب الى صاحب البلد وتامله وقرأه على خواصه
قال من يجاوب عن هذا فقال بعض الكتاب اما فكتب اليه فتبسم ضاحكا من قولها
فاستحسن الحاضرون جوابه ومثل هذا أيضا ما حكاه ابن رشيق القيرواني في كتاب
الانموذج وهو ان عبد الله بن ابراهيم بن المثنى الطوسي المعروف بابن المؤدب المهدوي
الاصل القيرواني البلد الشاعر المشهور كان مغرى بالسياحة وطلب الكيميا والاحجار
وكان محروما مقترا عليه متلافا فاذا أفاد شيأ أتلفه فخرج مرة يريد جزيرة صقلية فأسر
الروم في البحر وأقام مدة طويلة مأسورا الى ان هادن ثقة الدولة يوسف بن عبد الله بن
محمد بن الحسين القضاعي صاحب صقلية الروم وبعث اليه بالاسرى فكان عبد الله
المذكور فيمن بعث فامتدح عبد الله المذكور ثقة الدولة بقصيدة شكره فيها على
صنعه ورجا صلته فلم يصله بشيء أرضاه وكانت فيه رغبة فتكلم وطلب طلبا شديدا وهو
مستخف عند من يعرف من أهل صناعته وطالت المدة فخرج سكران يشترى فلا بد
شعر الا وقد أخذ وحمله صاحب الشرطة حتى ادخله على ثقة الدولة فقال له ما الذي
بلغني يا بائس قال المحال أيد الله سيدنا الامير قال ومن هو الذي يقول في شعره

* فالحر ممتحن باولاد الزنا * قال هو الذي يقول

* وعداوة الشعراء بئس المقتنى *

ففكر ساعة ثم أمر له بمائة دينار وأخرجه من المدينة كراهية ان تقوم عليه نفسه
فيعاقبه بعد ان عفا عنه فخرج منها وهذا المستشهد به عجزا بيتين من شعر المتنبي
في قصيدته النونية التي يمدح بها بدر بن عمار وأولها

الحب مامنع الكلام الالسنا * وألذ شكوى عاشق ما أعلنا

وهي من مشاهير قصائده وأول العجز الاول

وانه المشير عليك في بضلة * فالحر ممتحن باولاد الزنا

واول العجز الثاني

ومكايد السفهاء واقعة بهم * وعداوة الشعراء بئس المقتنى

واذ قد ذكرنا ثقة الدولة المذكور فنذكر قصيدة أبي محمد عبد الله بن محمد التنوخي
المعروف بابن قاضي ميلة التي مدحه بها في عبد النحر وهي قصيدة بديعة لا توجد بكمالها

فى أيدى الناس ولقد ظفرت بها على ظهر كتاب ولم يكن عندى منها سوى البعض ولا سمعت أحدا يروى منها الا ذلك القدر فاحببت اثباتها لحسنها وغرابتها وهى هذه

يذيل الهوى دمعى وقلبى المعنف * وتجنى جفونى الوجد وهو المكلف
وانى لئن تدعونى الى ماسبقته * وفارقت مغناه الاغن المشنف
واحور ساجى الطرف أماوشاحه * فصفر وأما ردفه فخفوف
يطيب اجاج الماء من خمر ارضه * يحيى ويندى ريحه وهو حرجف
وآيسنى من وصله ان دونه * متالف تسرى الريح فيها فتتلف
وغيران يجفو النوم كى لا يرى لنا * اذا نام شملا فى الكرى يتألف
يظل على ما كان من قرب دارنا * وغفلته عما مضى يتأسف
وجون يزن الرعد يستن ودقه * يرى برقه كالحية الصل تطرف
كأنى اذا مالاح والرعد معول * وجفن السحاب الجون بالماء يذرف
سليم وصوت الرعد راق وروقه * كنفث الرقى من سوء ما اتكلف
ذكرت به ريا وما كنت ناسيا * فاذكر لكن لوعة تتضعف
ولما التقينا محرمين وسيرنا * بلبيك ريا والركائب تعسف
نظرت اليها والمطى كأنما * غوارب منها معاطس رعف
فقالت اما منكن من يعرف الفتى * فقد رابنى من طول ما يتشوف
أراه اذا سرنا يسير حذاءنا * ونوقف احقاف المطى فيوقف
فقلت لترببها ابلغاها بأننى * بها مستهام قالتا نتلطف
وقولا لها يا أم عمرو أليس ذا * منى والمنى فى خيفة ليس يخلف
تفاءلت فى ان تبذلى طارف الوفا * بأن عن لى منك البنان المطرف
وفى عرفات ما يخبر أننى * بعارفة من عطف قلبك اسعف
واما دماء الهدى فهى هدى لنا * يدوم وراءى فى الهوى يتألف
وتقبيل ركن البيت اقبال دولة * لنا وزمان بالمودة يعطف
فاوصلتاما قلته فتبسمت * وقالت احاديث العيافة زخرف
بعيشى ألم اخبركما انه فتى * على لفظه برد الكلام المفوف
فلا تأمنا ما استطعتما كيد نطقه * وقو لاستدرى اننا اليوم اعيف
اذا كنت ترجو فى منى الفوز بالمنى * ففى الخيف من اعراضنا تتخوف
وقد انذر الاحرام أن وصالنا * حرام وانا عن مزارك نصدف
وهذا وقذفى بالحصى لك مخبر * بأن النوى بى عن ديارك تقذف
وحاذر نفارى ليلة النفر انه * سريع فقل من بالعيافة اعرف
فلم ار مثلينا خليلى مودة * لكل لسان ذى غرارين مرهف

اما انه لولا اعين مهيهف * واشنب براق واحور أوطف
لراجع مشتاق ونام مسهد * وايقن من تاب واقصر مدنف
وعاذلة في بذل ماملكت يدى * لراح ربانى دون صحبي تعسف
تقول اذا امسيت مالك كله * وأصبحت من يعطيكه ملت يوسف
أعز نصاحى يكاد نواله * لكثرة مايدعو الى الشكر يجحف
اذا عن اخلافا مخايل ديمة * وجد باحيا معروفه ليس يخلف
سعى وسعى الاملاك فى طلب العلا * فنال وأكدوا اذ أسف وأسلفوا
ويقظان شاب البطش باللين والتقى * بكفيه مايرجى ومايتخوف
حسام على من ناصب الدين مصلت * وستره على من راقب الله مغدف
يسايره جيشان رأى وفيلق * ويصحبه سيفان عزم ومرهف
مطل على من شاء كأنما * على حكمه صرف الردى يتصرف
يرى رأيه مالا ترى عين غيره * ويعرى به ماليس يعرى المثقف
رعى الله من ترعى حمى الدين عينه * ويحمى ربا الاسلام والليل اغضف
ومن وعده فى مسرح الحمد مطلق * واماده فى ذمة الحلم موقف
ومن سربت الاعداء هبرا يشني * صناديدهم والبيض بالهام تقذف
وماهم بمجر صعصع الارض رزة * كأن الروابى فيه بالسيل تدلف
كأن الردينيات فى رونق الضحى * اراقم فى طام من الآل ترحف
يعود الدجى من نقعه وهو أبيض * ويبدو الضحى من نقعه وهو اكلف
ويحجب نور الشمس بالنقع عنهم * فتعمل الظبا فى هامهم لا يكيف
لهم كل عام منك جائزة ميلق * تسائل عنهم بالعوالى فتلطف
اذا ماطووا كشحا على قرح عامهم * وبلوا من الآلام انشأت تعرف
فكم من اغم الوجه غاو تركته * وهاديه من عثنونه لحيما كمف
هو المقصب الماضى بهواه فانثنى * صريعا تراه حسترا وهو ابقف
لعمرى لقد عاديت فى الله طالبا * رضاه وقد ابليت ما الله يعرف
وطالبتهم فى الاهل حتى تركتهم * فرادى وفى الاديان حتى تحنفوا
فيا انقة الملك الذى الملك سهمه * براش لا كاد الاعادى ويرصف
هنيأ لك العيد الذى ملك حسمه * بروق ومن أوصافك العز توصف
بدا معلم الارجاء يرهى كأنما * على عطفه وشى العراق المسقف
أتى بعد حول زائرا عن تشوق * وقد كان ذا طرف للقائك يطرف
فلاقيته عزا وشنعته به * فلاح لنا وهو المحلى المشنف
وقابله بالسعد تلك حعفره * فيالك من عيد علكين تصف

فلا زلت تستجدى فتولى وترتجى * فتكفى وتستدعى لخطب فتكشف

تجزت القصيدة وكان لثقة الدولة المذكور ولد يدعى تاج الدولة جعفر بن ثقة الدولة وكان أديبا شاعرا وله الابيات السائرة فى غلامين على أحدهما ثوب ديباج احمر وعلى الاخر ثوب ديباج اسود وهى

أرى بدرين قد طلعا * على غصنين فى نسق
وفى ثوبين قد صبغا * صباغ الخد والحدق
فهذا الشمس فى شفق * وهذا البدر فى غسق

وكان عمله لهذه الابيات فى سنة سبع وعشرين وخمسمائة ولما توجه المامون الى مصر وذلك فى سنة خمس عشرة ومائتين دخلها لعشر خلون من المحرم وخرج منها سلخ صفر من السنة كان معه القاضى يحيى بن اكثم فولاه قضاء مصر وحكم بها ثلاثة أيام ثم خرج مع المامون وعده ابن زولاق فى جملة قضاة مصر لذلك وروى عن يحيى بن أكثم انه قال اختصم الىّ فى الرصافة الجد الخامس يطلب ميراث ابن ابن ابن ابن ابنه وكان عبد الصمد بن أبى عمرو بن المعدل بن غيلان بن المحارب بن البحترى العبدى البصرى الشاعر المشهور يلازم الترداد الى القاضى يحيى المذكور ويغشى مجالسه وكان بعض الاحيان لا يقدر على الوصول اليه الا بمشقة ومذلة يقاسيها فانقطع عنه فلامته زوجته فى ذلك مرارا فانشدها

تكلفنى اذلال نفسى لعزها * وهان عليها ان أهان لتكرما
تقول سل المعروف يحيى بن أكثم * فقلت سليه رب يحيى بن اكثما

ولم تزل الاحوال تختلف عليه وتتقلب به الى أيام المتوكل على الله فلما عزل القاضى محمد ابن القاضى أحمد بن أبى دواد عن القضاء فوض الولاية الى القاضى يحيى وخلع عليه خمس خلع ثم عزله فى سنة أربعين ومائتين وأخذ أمواله وولى فى رتبته جعفر بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس الهاشمى فجاء كاتبه الى القاضى يحيى فقال له سلم الديوان فابى فقال شاهدان عدلان على أمير المؤمنين انه أمرنى بذلك فاخذ منه الديوان قهرا وغضب عليه المتوكل فامر بقبض املاكه وألزم منزله ثم حج وحمل أخته معه وعزم على ان يجاور فلما اتصل به رجوع المتوكل له بدا له فى المجاورة ورجع يريد العراق فلما وصل الى الربذة توفى بها يوم الجمعة منتصف ذى الحجة سنة اثنين وأربعين ومائتين وقيل غرة سنة ثلاث وأربعين ودفن هناك رحمه الله تعالى وعمره ثلاث وثمانون سنة وأكثم بفتح الهمزة وسكون الكاف وفتح الثاء المثلثة وبعدها ميم وهو الرجل العظيم البطن والشبعان أيضا يقال بالثاء المثلثة والتاء المثناة من فوقها ومعناهما واحد ذكره فى كتاب المحكم (وحكى) أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن سعيد قال كان يحيى بن أكثم القاضى صديقا لى وكان يودنى وأوده فمات يحيى

فكنت اشتهي ان أراه في المنام فاقول ما فعل الله بك فرأيته ليلة في المنام فقلت ما فعل
الله بك فقال غفر لي الا انه وبخني ثم قال لي يا يحيى خلطت على نفسك في الدنيا فقلت يارب
اتكلت على حديث حدثني به أبو معاوية الضرير عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي
هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انك قلت اني
لاستحيي ان أعذب ذا شيبة بالنار فقال قد عفوت عنك يا يحيى وصدق نبيي الا انك
خلطت على نفسك في دار الدنيا هكذا ذكره أبو القسم القشيري في الرسالة وقطن بفتح
القاف والطاء المهملة وبعدها نون وسمعان بفتح السين المهملة وسنج كشفت عنه كثيرا
من الكتب وأرباب هذه الصناعة فلم أقف منه على حقيقة ثم وجدت في نسخة من تاريخ
بغداد للخطيب وهي صحيحة مسموعة وقد قيد هذا الاسم بضم الميم وفتح الشين المعجمة
وفتح النون المشددة وفي آخره جيم هذا أقصى ما قدرت عليه والله أعلم بالصواب
ثم وجدته في المختلف والمؤتلف لعبد الغني بن سعيد كما قيده ههنا والاسيدي بضم
الهمزة وفتح السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وتشديدها وبعدها دال
مهملة هذه النسبة الى أسيد وهو بطن من تميم يقال له أسيد بن عمرو بن تميم وقد تقدم
الكلام على التميمي والمروزي والربذة بفتح الراء والباء الموحدة والذال المعجمة وبعدها
هاء ساكنة وهي قرية من قرى المدينة على طريق الحاج ينزلونها عند عبورهم عليها
وهي التي نفى عثمان بن عفان اباذر الغفاري رضي الله عنهما اليها وأقام بها حتى مات
وقبره ظاهر هناك يزار وميلة بكسر الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح اللام
وبعدها هاء ساكنة وهي بليدة من اعمال افريقية وتوفي جعفر بن عبد الواحد
القاضي المذكور ويكنى أبا عبد الله سنة ثمان وخمسين ومائتين وقيل سنة ثمان وستين
وقيل سنة تسع وستين بطرسوس

أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازي الواعظ احد رجال الطريقة

ذكره أبو القسم القشيري في الرسالة وعده من جملة المشايخ وقال في حقه نسيج وحده
في وقته له لسان في الرجاء خصوصا وكلام في المعرفة خرج الى بلخ وأقام بها مدة ورجع
الى نيسابور ومات بها ومن كلامه كيف يكون زاهدا من لا ورع له تورع عما ليس لك
ثم ازهد فيما لك وكان يقول الجوع للمريدين رياضة وللتائبين تجربة وللزهاد
سياسة وللعارفين مكرمة والوحدة جليس الصديقين والفوت أشد من الموت لان
الفوت انقطاع عن الحق والموت انقطاع عن الخلق والزهد ثلاثة أشياء القلة والخلوة
والجوع ومن خان الله في السر هتك ستره في العلانية وسمع اسحاق بن سليمان الرازي
ومكي بن ابراهيم البلخي وعلي بن محمد الطنافسي وروى عنه الغرباء من أهل الري وهمدان
وخراسان أحاديث مسندة قليلة وذكره الخطيب في تاريخ بغداد فقال قدم بغداد
واجتمع اليه بها مشايخ الصوفية والنساك ونصبوا له منبرة وأقعدوه عليها وقعد وابتدأ

يديه يتحاورون فتكلم الجنيد فقال له يحيى اسكت يا خروف مالك والكلام اذا تكلم الناس وكان له اشارات وعبارات حسنة فمن كلامه الكلام الحسن حسن وأحسن من الكلام معناه وأحسن من معناه استعماله وأحسن من استعماله ثوابه وأحسن من ثوابه رضى من يعمل له ومن كلامه حقيقة المحبة ان لا تزيد بالود ولا تنقص بالجفاء وكان يقول من لم يكن ظاهره مع العوام فضة ومع المريدين ذهبا ومع العارفين درا وياقوتا فليس من حكماء الله المريدين وكان يقول أحسن شئ كلام صحيح من لسان فصيح فى وجه صبيح كلام دقيق يستخرج من بحر عميق على لسان رجل رقيق وكان يقول الهى كيف أنسالك وليس لى رب سوالك الهى لا أقول لا اعود لانى اعرف من نفسى نقض العهود ولكنى أقول لا أعود لعلى أموت قبل ان أعود ومن دعائه اللهم ان كان دينى قد أخافنى فان حسن ظنى بك قد أجارنى اللهم سترت على فى الدنيا ذنوبا أنا الى سترها فى القيامة احوج وقد احسنت بى اذ لم تظهرها العصابة المسلمين فلا تفضحنى فى ذلك اليوم على رؤس العالمين يا أرحم الراحمين ودخل على علوى ببلخ زائرا له ومسلما عليه فقال له العلوى أيد الله الاستاذ ما تقول فينا أهل البيت قال ما أقول فى طين عجن بماء الوحى وسقى بماء الرسالة فهل يفوح منه الا مسك الهدى وعنبر التقى فحشا العلوى فاه بالدر ثم زاره من الغد فقال يحيى بن معاذ ان زرتنا فبفضلك اوزرناك فلفضلك فلك الفضل زائرا او مزورا ومن كلامه ما بعد طريق على صديق ولا استوحش فى طريق من سلك فيه الى حبيب ومن كلامه مسكين ابن ادم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة وقال ماصحت ارادة أحد قط فمات حتى حن الى الموت واشتهاه اشتهاء الجائع الى الطعام لارتداف الآفات واستيحاشه من الاهل والاخوان ووقوعه فيما يحير فيه صريح عقله وقال من لم ينظر فى الدقيق من الورع لم يتصل الى الجليل من العطاء وقال ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال ان لم تنفعه فلا تضره وان لم تسره فلا تغمه وان لم تمدحه فلا تذمه وقال عمل كالسراب وقلب من التقوى خراب وذنوب بعدد الرمل والتراب ثم تطمع فى الكواعب الاتراب هيهات أنت سكران بغير شراب ما أكملك لو بادرت املك ما أجلك لو بادرت أجلك ما أقواك لو خالفت هواك وله فى هذا الباب كل كلام مليح وتوفى سنة ثمان وخمسين ومائتين بنيسابور رحمه الله تعالى وقال محمد بن عبد الله قرأت على اللوح فى قبر يحيى بن معاذ الرازى مات حكيم الزمان يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله تعالى وبيض وجهه وألحقه بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لست عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ثمان وخمسين ومائتين

أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن الامام أبى عبد الله محمد بن اسحاق ابن محمد بن يحيى بن منده بن الوليد بن منده بن بطة بن استندار ابن جهاربخت بن فيرزان

يحيى ابن

واسم منده ابراهيم ومنده لقب وقيل اسم استندار الفيرزان والله أعلم الذى كان من الحفاظ المشهورين واحد أصحاب الحديث المبرزين وقد سبق ذكر جده أبي عبدالله محمد فى حرف الميم وهو أبو زكريا بن أبي عمرو بن أبي عبدالله بن أبي عمرو بن أبي يعقوب من أهل أصبهان وهو محدث ابن محدث ابن محدث ابن محدث ابن محدث ابن محدث وكان جليل القدر وافر الفضل واسع الرواية ثقة حافظا فاضلا مكثرا صدوقا كثير التصانيف حسن السيرة بعيد التكلف اوحد أهل بيته فى عصره خرج التخاريج لنفسه ولجماعة من الشيوخ الاصبهانيين وسمع أبا بكر محمد بن عبدالله بن زيد الضبي وأبا طاهر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحيم الكاتب وأبا منصور محمد بن عبد الله بن فضلويه الاصبهاني وأباه أبا عمرو وعمه أبا الحسن عبيدالله وأبا القسم عبد الرحمن وأبا العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن النعمان القصاعى وأبا عبدالله محمد بن على ابن محمد الجصاص وأبا بكر محمد بن على بن الحسين الجوزدانى وأبا طاهر أحمد بن محمود الثقفى ورحل الى نيسابور وسمع بها أبا بكر أحمد بن منصور بن خلف المقرى وأبا بكر أحمد بن منصور البيهقى وبهمذان أبا بكر محمد بن عبد الرحمن بن محمد النهاوندى وبالبصرة أبا القسم ابراهيم بن محمد بن أحمد الشاهد وعبدالله بن الحسين السعدانى وجماعة كثيرة سواهم وصنف تاريخ أصبهان وغيره من المجموع ودخل بغداد حاجا وحدث بها وأملى بجامع المنصور وكتب عنه الشيوخ منهم أبو الفضل محمد بن ناصر وعبد القادر بن أبي صالح الجيلى وأبو محمد عبدالله بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن الخشاب النحوى فى خلق كثير لشهرته ونبته وروى عنه أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك الانماطى الحافظ وأبو الحسن على بن أبي تراب الزنكوى الخياط البغدادى وأبو طاهر يحيى بن عبد الغفار بن الصباغ وأبو الفضل محمد بن هبة الله بن العلاء الحافظ وجماعة كثيرة وذكره الحافظ ابن السمعانى فى كتاب الذيل وقال كتب لى الاجازة بجميع مسموعاته ثم قال سألت عنه أبا القسم اسماعيل بن محمد الحافظ فأثنى عليه ووصفه بالحفظ والمعرفة والدراية ثم قال سمعت أبا بكر محمد بن أبي نصر بن محمد الكشوانى الحافظ يقول بيت ابن منده بدئ بيحيى وختم بيحيى يريد فى معرفة الحديث والعلم والفضل وذكره الحافظ عبد الغافر بن اسماعيل بن عبد الغافر الفارسى المقدم ذكره فى سياق تاريخ نيسابور فقال أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن منده رجل فاضل من بيت العلم والحديث المشهور فى الدنيا سافر وادرك المشايخ وسمع منهم وصنف على الصحيحين وكان يروى باسناده المتصل الى بعض العلماء انه قال كثرة الضحك امارة الحمق والعجلة من ضعف العقل وضعف العقل من قلة الرأى وقلة الرأى من سوء الادب وسوء الادب يورث المهانة والجون طرف من الجنون والحسد داء لا دواء له والنمام يورث الضغائن وكان يروى بالاسناد المتصل الى الاصمعى انه قال دخلت فى البادية الى

مسجد فقام الامام يصلى فقرأ انا أرسلنا نوحا الى قومه وأرتج عليه فجعل يكررها ويقول انا أرسلنا نوحا الى قومه فقال اعرابى من ورائه وهو قائم يصلى يا هذا ان لم يذهب نوح فأرسل غيره وكان يحيى المذكور كثيرا ما ينشد

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى * وللمشترى دنياه بالدين أعجب
واعجب من هذين من باع دينه * بدنيا سواه فهو من ذين أخيب

وكانت ولادته غداة يوم الثلاثا تاسع عشر شوال سنة أربع وثلاثين وأربعمائة وتوفى يوم عيد النحر سنة اثنتى عشرة وخمسمائة باصبهان وهو ولده بها أيضا رحمه الله تعالى ولم يخلف فى بيت ابن منده بعده مثله وقال ابن نقطة فى كتابه اكمال الاكمال توفى يوم السبت ثانى عشر ذى الحجة من سنة احدى عشرة وخمسمائة وذكران مولد أبيه عبد الوهاب سنة ست وثمانين وثلثمائة وتوفى فى جمادى الآخرة من سنة خمس وسبعين وأربعمائة رحمه الله تعالى وقد سبق الكلام على ضبط أسماء أجداده فى ترجمة جده أبى عبد الله محمد

صائن الدين

أبو بكر يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد الازدى القرطبى الملقب صائن الدين أحد الائمة المتأخرين فى القرا آت وعلوم القرآن الكريم والحديث والنحو واللغة وغير ذلك

خرج من الاندلس فى عنفوان شبابه وقدم ديار مصر فسمع بالاسكندرية أبا عبد الله محمد بن أحمد بن ابراهيم الرازى وبمصر أبا صادق مرشد بن يحيى بن القسم المدنى المصرى وأبا طاهر أحمد بن محمد الاصبهانى المعروف بالسلفى وغيرهم ودخل بغداد سنة سبع وعشرين وخمسمائة وقرأ بها القران الكريم على الشيخ أبى محمد بن عبد الله بن على المقرى المعروف بابن بنت الشيخ أبى منصور الخياط وسمع عليه كتبا كثيرة منها كتاب سيبويه وقرأ الحديث على أبى بكر محمد بن عبد الباقى البزاز المعروف بقاضى المارستان وأبى القسم بن الحصين وأبى العز بن كادش وغيرهم وكان دينا ورعا عليه وقار وهيبة وسكينة وكان ثقة صدوقا ثبتا نبيلا قليل الكلام كثير الخير مفيدا أقام بدمشق مدة طويلة واستوطن الموصل ورحل عنها الى أصبهان ثم عاد الى الموصل وأخذ عنه شيوخ ذلك العصر وذكره الحافظ ابن السمعانى فى كتاب الذيل وقال انه اجتمع به بدمشق وسمع منه مشيخة أبى عبد الله الرازى وانتخب عليه اجزاء وسأله عن مولده فقال ولدت فى سنة ست وثمانين وأربعمائة بمدينة قرطبة من ديار الاندلس ورأيت فى بعض الكتب ان مولده سنة سبع وثمانين والاول أصح وكان شيخنا القاضى بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم المعروف بابن شداد قاضى حلب رحمه الله تعالى يفتخر برؤيته وقراءته عليه وسيأتى ذلك فى ترجمته ان شاء الله تعالى وقال كنا نقرأ عليه بالموصل ونأخذ عنه وكنا نرى رجلا يأتى اليه كل يوم فيسلم عليه وهو قائم ثم يمد يده الى الشيخ

بشئ ملفوف فيأخذه الشيخ من يده ولا نعلم ما هو ويترك ذلك الرجل ويذهب ثم تفشى ذلك فعلمنا انه دجاجة مسموطة كانت برسم الشيخ فى كل يوم يبتاعها له ذلك الرجل ويسمطها ويحضرها اليه واذا دخل الشيخ الى منزله تولى طبخها بيده وذكر فى كتابه الذى سماه دلائل الاحكام انه لازم القراءة عليه احدى عشرة سنة آخرها سنة سبع وستين وخمسمائة وكان الشيخ أبو بكر القرطبى المذكور كثيرا ما ينشد مسندا الى الخبر الكاتب الواسطى رواهما بالاسناد المتصل اليه انه ماله

جرى قلم القضاء بما يكون * فسيان التحرك والسكون

جنون منك ان تسعى لرزق * ويرزق فى غشاوته الجنين

وقال أنشدنا أبو الوفاء عبد الباقى بن وهب بن حسان قال أنشدنا أبو عبد الله محمد بن منيع بمصر لنفسه

لى حيلة فيمن ينم * وليس فى الكذاب حيله

من كان يخلق ما يقو * ل فحيلتى فيه قليله

وتوفى الشيخ أبو بكر المذكور بالموصل فى يوم عيد الفطر سنة سبع وستين وخمسمائة رحمه الله تعالى

أبو سليمان وقيل أبو سعيد يحيى بن يعمر العدوانى الوشقى النحوى البصرى

يحيى بن يعمر

كان تابعيا لقى عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس رضى الله عنهما وانى غيرهما وروى عنه قتادة بن دعامة السدوسى واسحاق بن سويد العدوى وهو أحد قراء البصرة وعنه أخذ عبد الله بن أبى اسحاق القراءة وانتقل الى خراسان وتولى القضاء بمرو وكان عالما بالقرآن الكريم والنحو ولغات العرب وأخذ النحو عن أبى الاسود الدؤلى المتقدم ذكره يقال ان أبا الاسود لما وضع باب الفاعل والمفعول به زاد فيه رجل من بنى ليث أبوابا ثم نظر فاذا فى كلام العرب ما لا يدخل فيه فأقصر عنه فيمكن ان يكون هو يحيى بن يعمر المذكور اذ كان عداده فى بنى ليث لانه حليف لهم وكان شيعيا من الشيعة الاولى القائلين بتفضيل أهل البيت من غير تنقيص لذى فضل من غيرهم (حكى عاصم ابن أبى النجود المقرى المتقدم ذكره ان الحجاج بن يوسف الثقفى بلغه ان يحيى بن يعمر يقول ان الحسن والحسين رضى الله عنهما من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يحيى يومئذ بخراسان فكتب الحجاج الى قتيبة بن مسلم والى خراسان وقد تقدم ذكره أن ابعث الى بيحيى بن يعمر فبعث به اليه فقام بين يديه فقال أنت الذى تزعم ان الحسن والحسين من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لألقين الاكثر منك شعرا أو لتخرجن من ذلك قال فهو امانى ان خرجت قال نعم قال فان الله جل ثناؤه يقول ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان

وايوب

وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين. وزكريا ويحيى وعيسى الآية
قال ومابين عيسى وابراهيم أكثر مما بين الحسن والحسين ومحمد صلوات الله عليه وسلامه
فقال الحجاج وما أراك الا قد خرجت والله لقد قرأتها وما علمت بها قط وهذا من
الاستنباطات البديعة الغريبة العجيبة فلله دره ما احسن ما استخرج وأدق ما استنبط قال
عاصم ثم ان الحجاج قال له أين ولدت. فقال بالبصرة قال أين نشأت قال بخراسان قال
فهذه العربية أنى هي لك قال رزق قال خبرني عني هل ألحن فسكت. فقال أقسمت
عليك فقال اما اذا اسألتني أيها الامير فانك ترفع ما يوضع وتضع ما يرفع فقال ذلك والله
اللحن السيئ قال ثم كتب الى قتيبة اذا جاءك كتابي هذا فاجعل يحيى بن يعمر على قضائك
والسلام وروى ابن سلام عن يونس بن حبيب قال قال الحجاج ليحيى بن يعمر أتسمعني
ألحن قال في حرف واحد قال في أي قال في القرآن قال ذلك اشنع ثم قال له ماهو قال
تقول قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم الى قوله احب اليكم فتقرأها بالرفع قال ابن سلام
كانه لما طال الكلام نسي ما ابتدأ به فقال الحجاج لاجرم لا تسمع لي لحنا قال يونس
فالحقه بخراسان وعليها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة والله أعلم أي ذلك كان قال ابن
الجوزي في كتاب شذور العقود في سنة أربع وثمانين للهجرة نفى الحجاج يحيى بن يعمر
لانه قال له هل ألحن فقال تلحن لحنا خفيا فقال اجلتك ثلاثا فان وجدتك بعد بأرض
العراق قتلتك فخرج (وحكى) أبو عمرو ونصر بن علي عن نوح بن قيس قال حدثنا عثمان
ابن محصن قال خطب أمير بالبصرة فقال اتقوا الله فانه من يتق الله فلا هوارة عليه فلم
يدروا ما قال الامير فسألوا يحيى بن يعمر فقال الهوارة الضياع يقول من يتق الله فليس
عليه ضياع قال القزاز في كتاب الجامع الهورات المهالك واحدها هورة قال الراوي
فحدثت بهذا الحديث الاصمعي فقال هذا شئ لم اسمع به قط حتى كان الساعة منك ثم قال
ان كلام العرب لواسع لم اسمع بذا قط (وحكى الاصمعي) قال حدثنا أبي قال كتب يزيد بن
المهلب بن أبي صفرة وهو بخراسان الى الحجاج كتابا يقول فيه انا لقينا العدو فاضطررناهم
الى عرعرة الجبل ونحن بالحضيض فقال الحجاج ما لابن المهلب ولهذا الكلام فقيل له
ان ابن يعمر عنده فقال فذاك اذا وكان يحيى بن يعمر يعمل الشعر وهو القائل

أبى الاقوام الا بغض قومي * قديما بغض الناس السمينا

وقال خالد الحذاء كان لابن سيرين مصحف منقوط نقطه يحيى بن يعمر وكان ينطق
بالعربية المحضة واللغة الفصحى طبيعة فيه غير متكلف واخباره ونوادره كثيرة وتوفي في سنة
تسع وعشرين ومائة رحمه الله تعالى ويعمر بفتح الياء المثناة من تحتها والميم وبينهما عين
مهملة وفي الاخير راء. وقيل بضم الميم والاول أصح واشهر ويعمر بفتح الميم مضارع
قولهم عمر الرجل بفتح العين وكسر الميم اذا عاش زمانا طويلا وانما سمي بذلك تفاؤلا
بطول العمر كما سمي يحيى بذلك أيضا والعدواني بفتح العين المهملة والواو وبينهما دال

مهملتين ساكنة وبعد الالف نون هذه النسبة الى عدوان واسمه الحرث بن عمرو بن قيس عيلان واسماعيل له عدوان لانه عدا على أخيه فهم بقتله والوشقي بفتح الواو وسكون الشين المعجمة وبعدها قاف هذه النسبة الى وشقة بن عوف بن بكر بن يشكر ابن عدوان المذكور.

أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الاسلمي المعروف بالفراء الديلمي الكوفي مولى بني أسد وقيل مولى بني منقر

بالكوفة

كان ابرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الادب (حكى) عن أبي العباس ثعلب انه قال لولا الفراء لما كانت عربية لانه خلصها وضبطها ولولا الفراء لسقطت العربية لانها كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد ويتكلم الناس فيها على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب وأخذ النحو عن أبي الحسن الكسائي وهو والاحمر المقدم ذكره من اشهر اصحابه واخصهم به وكان قد ورد بغداد في أيام المأمون فبقي يتردد على بابه مدة لا يصل اليه فبينما هو ذات يوم على الباب اذ جاء أبو بشر ثمامة بن الاشرس النميري المعتزلي وكان خصيصا بالمأمون قال ثمامة فرأيت أبهة اديب فجلست اليه ففاتشته عن اللغة فوجدته بحرا وفاتشته عن النحو فشاهدته نسيج وحده وعن الفقه فوجدته رجلا فقيها عارفا باختلاف القوم وبالنجوم ماهرا وبالطب خبيرا وبايام العرب واشعارها حاذقا فقلت له من تكون وما أظنك الا الفراء فقال أنا هو فدخلت فاعلمت أمير المؤمنين المأمون فأمر باحضاره لوقته وكان سبب اتصاله به وقال قطرب دخل الفراء على الرشيد فتكلم بكلام لحن فيه مرات فقال جعفر بن يحيى البرمكي انه قد لحن يا أمير المؤمنين فقال الرشيد للفراء أتلحن فقال الفراء يا أمير المؤمنين ان طباع أهل البدو الاعراب وطباع أهل الحضر اللحن فاذا تحفظت لم ألحن واذا رجعت الى الطباع لحنت فاستحسن الرشيد قوله وقال الخطيب في تاريخ بغداد ان الفراء لما اتصل بالمأمون أمره ان يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما سمع من العربية وأمر ان يفرد بحجرة من حجر الدار ووكل به جواري وخدما يقمن بما يحتاج اليه حتى لا يتعلق قلبه ولا تتشوق نفسه الى شيء حتى انهم كانوا يؤذنونه باوقات الصلاة وصير له الوراقين وألزمه الامناء والمنفقين فكان يملي والوراقون يكتبون حتى صنف الحدود في سنتين وأمر المأمون بكتبه بالخزائن فبعد أن فرغ من ذلك خرج الى الناس وابتدأ بكتاب المعاني قال الراوي وأردنا ان نعد الناس الذين اجتمعوا لاملاء كتاب المعاني فلم نضبطهم فعددنا القضاة فكانوا ثمانين قاضيا فلم يزل عليه حتى أتمه ولما فرغ من كتاب المعاني خزنه الوراقون عن الناس ليكسبوا به وقالوا لا نخرجه الا لمن أراد ان ننسخه له على خمس أوراق بدرهم فشكا الناس الى الفراء فدعا الوراقين فقال لهم في ذلك فقالوا انما صحبناك لننتفع بك وكل ما صنفته فليس بالناس اليه من الحاجة ما بهم الى هذا الكتاب فدعنا نعيش به فقال قاربوهم

ينتفعوا و ينفعوا فأبوا عليه فقال سألوه يكم وقال للناس الى ممل كتاب معان أتم شرحا وأبسط قولا من الذى أمليت فجلس يملى فأملى الحمد فى مائة ورقة فجاء الوراقون اليه وقالوا نحن نبلغ الناس ما يحبون فنسخوا كل عشر أوراق بدرهم وكان سبب املائه كتاب المعانى ان أحد أصحابه وهو عمر بن بكير كان يصحب الحسن بن سهل المقدم ذكره فكتب الى الفراء ان الامير الحسن لا يزال يسألنى عن أشياء من القرآن لا يحضرنى عنها جواب فان رأيت ان تجمع لى أصولا وتجعل ذلك كتابا يرجع اليه فعلت فلما قرأ الكتاب قال لاصحابه اجتمعوا حتى أملى عليكم كتابا فى القرآن وجعل لهم يوما فلما حضروا خرج اليهم وكان فى المسجد رجل يؤذن فيه وكان من القراء فقال له اقرأ فقرأ فاتحة الكتاب ففسرها حتى مر فى القرآن كله على ذلك يقرأ الرجل والفراء يفسره وكتابه هذا نحو ألف ورقة وهو كتاب لم يعمل مثله ولا يمكن أحدا ان يزيد عليه وكان المأمون قد وكل الفراء يلقن ابنيه النحو فلما كان يوما أراد الفراء ان ينهض الى بعض حوائجه فابتدرا الى نعل الفراء يقدمانه له فتنازعا أيهما يقدمها فاصطلحا على ان يقدم كل واحد منهما فردة فقدماها وكان المأمون له على كل شئ صاحب خبر فرفع ذلك الخبر اليه فوجه الى الفراء فاستدعاه فلما دخل عليه قال من أعز الناس قال ما أعرف أعز من أمير المؤمنين قال بلى من اذا نهض يقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين حتى رضى كل واحد منهما ان يقدم له فردا قال يا أمير المؤمنين لقد أردت منعهما عن ذلك ولكن خشيت ان ادفعهما عن مكرمة سبقا اليها أو أكسر نفوسهما عن شريفة حرصا عليها وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه امسك للحسن والحسين رضى الله عنهما ركابيهما حين خرجا من عنده فقال له بعض من حضر أتمسك لهذين الحدثين ركابيهما وأنت اسن منهما فقال له اسكت يا جاهل لا يعرف الفضل لاهل الفضل الا ذوو الفضل فقال له المأمون لو منعتهما عن ذلك لا وجعتك لوما وعتبا وألزمتك ذنبا وما وضع ما فعلاه من شرفهما بل رفع من قدرهما وبين عن جوهرهما ولقد ظهرت لى مخيلة الفراسة بفعلهما فليس يكبر الرجل وان كان كبيرا عن ثلاث عن تواضعه لسلطانه ووالده ومعلمه العلم وقد عوضتهما بما فعلاه عشرين ألف دينار ولك عشرة الاف درهم على حسن ادبك لهما وقال الخطيب أيضا كان محمد بن الحسن الفقيه ابن خالة الفراء وكان الفراء يوما جالسا عنده فقال الفراء قل رجل أنعم النظر فى باب من العلم فأراد غيره الا سهل عليه فقال له محمد يا أبا زكريا قد انعمت النظر فى العربية فأسألك عن باب من الفقه فقال هات على بركة الله تعالى قال ما تقول فى رجل صلى فسها فسجد سجدتين للسهو فسها فيهما ففكر الفراء ساعة ثم قال لا شئ عليه فقال له محمد ولم قال لان التصغير عندنا لا تصغير له وانما السجدتان تمام الصلاة فليس للتمام تمام فقال محمد ما ظننت ادميا يلد مثلك وقد سبقت هذه الحكاية فى ترجمة الكسائى ونبهت عليها فاذكرته ههنا وكان

الفراء يميل الى الاعتزال (وحكى) سلمة بن عاصم عن الفرا قال كنت أنا وبشر المريسى
المقدم ذكره فى بيت واحد عشرين سنة فما تعلم منى شيأ ولا تعلمت منه شيأ. وقال الجاحظ
دخلت بغداد حين قدمها المأمون فى سنة أربع ومائتين وكان الفراء يحبنى وأنا أشتهى
ان يتعلم شيأ من علم الكلام فلم يكن له فيه طبع وقال أبو العباس ثعلب كان الفراء يجلس
للناس فى مسجده الى جانب منزله وكان يتفلسف فى تصانيفه حتى يسلك فى ألفاظه كلام
الفلاسفة وقال سلمة بن عاصم انى لاعجب من الفرا كيف كان يعظم الكسائى وهو أعلم
بالنحو منه وقال الفرا أموت وفى نفسى شئ من حتى لانها تخفض وترفع وتنصب ولم
ينقل من شعره غير هذه الابيات وقد رواها أبو حنيفة الدينورى وكذا عن أبى بكر العارلى

يا أميرا على جريب من الأر * ض له تسعة من الحجاب
جالسا فى الخراب يحجب فيه * ما سمعنا بحاجب فى خراب
لن ترانى لك العيون بباب * ليس مثلى يطيق رد الجواب

ثم وجدت هذه الابيات لابن موسى المكفوف والله أعلم ومولد الفرا بالكوفة وانتقل
الى بغداد وجعل أكثر مقامه بها وكان شديد طلب المعاش لا يستريح فى بيته وكان
يجمع طول السنة فاذا كان فى آخرها خرج الى الكوفة فأقام بها أربعين يوما فى أهله
يفرق عليهم ما جمعه ويبرهم وله من التصانيف الكتابان المقدم ذكرهما وهما
الحدود والمعانى وكتابان فى المشكل أحدهما أكبر من الآخر وكتاب البهاء وهو
صغير الحجم ووقفت عليه بعد ان كتبت هذه الترجمة ورأيت فيه أكثر الالفاظ التى
استعملها أبو العباس ثعلب فى كتاب الفصيح وهو فى حجم الفصيح غير انه غير مرتب على
صورة أخرى وعلى الحقيقة ليس لثعلب فى الفصيح سوى الترتيب وزيادة يسيرة وفى كتاب
البهاء أيضا ألفاظ ليست فى الفصيح قليلة وليس فى الكتابين اختلاف الا فى شئ قليل
وله كتاب اللغات وكتاب المصادر فى القرآن وكتاب الجمع والتثنية فى القرآن
وكتاب الوقف والابتداء وكتاب الفاخر وكتاب آلة الكتاب وكتاب النوادر
وكتاب الواو وغير ذلك من الكتب وقال سلمة بن عاصم املى الفرا كتبه كلها حفظا
لم يأخذ بيده نسخة الا فى كتابين كتاب ملازم وكتاب يافع ويفعة قال أبو بكر الانبارى
ومقدار الكتابين خمسون ورقة ومقدار كتب الفرا ثلاثة آلاف ورقة وقد مدحه
محمد بن الجهم بقصيدة على روى الواو الموصولة بالهاء المكسورة أضربت عن ذكرها
خوف الاطالة وتوفى الفرا سنة سبع ومائتين فى طريق مكة وعمره ثلاث وستون سنة
رحمه الله تعالى والفراء بفتح الفاء وتشديد الراء وبعدها ألف ممدودة وانما قيل له فراء
ولم يكن يعمل الفراء ولا يبيعها لانه كان يفرى الكلام ذكر ذلك الحافظ السمعانى
فى كتاب الانساب وعزاه الى كتاب الالقاب وذكر أبو عبد الله المرزبانى فى كتابه ان
زيادا والد الفرا كان أقطع لانه حضر وقعة الحسين بن على رضى الله عنهما فقطعت يده

فى ذلك الحرب وهذا عندى فيه نظر لان الفراء عاش ثلاثا وستين سنة فتكون ولادته سنة أربع وأربعين ومائة وحرب الحسين كانت احدى وستين للهجرة فبين حرب الحسين وولادة الفرا أربع وثمانون سنة فكم قد عاش أبوه فان كان الاقطع جده فيمكن والله أعلم ومنظور بفتح الميم وسكون النون وضم الظاء المعجمة وسكون الواو وبعدها راء وقد تقدم الكلام على الديلى وبنى أسد وأما بنو منقر فهو بكسر الميم وسكون النون وفتح القاف وبعدها راء وهو منقر بن عبيد بن مقاعس واسمه الحرث بن عمرو بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم بن مرة وهى قبيلة كبيرة ينسب اليها خلق كثير من الصحابة رضوان الله عليهم وغيرهم ومنها خالد بن صفوان وشبيب بن شبة وصفوان وشبة ابنا عبد الله بن عمرو بن الاهتم المنقرى وهما أعنى خالدا وشبيبا المشهوران بالفصاحة والبلاغة والخطابة ولخالد مجالس مشهورة مع أمير المؤمنين السفاح ولشبيب مع المنصور والمهدى وغيرهما وقد تقدم ذكر خالد وشبيب فى ترجمة البحترى فى حرف الواو

أبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوى المعروف باليزيدى المقرى النحوى اللغوى

صاحب أبى عمرو بن العلاء المقرى البصرى وهو الذى خلفه فى القيام بالقراءة بعده وسكن بغداد وحدث بها عن أبى عمرو بن العلاء وابن جريج وغيرهما وروى عنه محمد ابنه وأبو عبيد القاسم بن سلام واسحاق بن ابراهيم الموصلى وجماعة من أولاده وحفدته وأبو عمر والدورى وأبو حمدون الطيب ابن اسماعيل وأبو شعيب السوسى وعامر بن عمر الموصلى وأبو خلاد سليمان بن خلاد وغيرهم وخالف أبا عمرو فى حروف يسيرة من القراءة اختارها لنفسه وكان يؤدب أولاد يزيد بن منصور بن عبد الله بن يزيد الحميرى خال المهدى واليه كان ينتسب ثم اتصل بهارون الرشيد فجعل ولده المأمون فى حجره وكان يؤدبه وكان ثقة وهو أحد القراء الفصحاء العالمين بلغات العرب والنحو وكان صدوقا وله التصانيف الحسنة والنظم الجيد وشعره مدون وصنف كتاب نوادر فى اللغة على مثال كتاب نوادر الاصمعى الذى صنفه لجعفر البرمكى وفى مثل عدد ورقه وأخذ علم العربية واخبار الناس عن أبى عمرو والخليل بن أحمد ومن كان معاصرهما (وحكى) عن أبى حمدون الطيب ابن اسماعيل قال شهدت ابن أبى العتاهية وقد كتب عن أبى محمد اليزيدى قريبا من ألف مجلد عن أبى عمرو بن العلاء خاصة فيكون ذلك عشرة آلاف ورقة لان تقدير المجلد عشر ورقات وأخذ عن الخليل من اللغة أمرا عظيما وكتب عنه العروض فى ابتداء وضعه له الا ان اعتماده على أبى عمرو لسعة علم أبى عمرو باللغة وكان أبو محمد المذكور يعلم الصبيان بحذاء دار أبى عمرو بن العلاء وكان أبو عمرو يدنيه ويميل اليه لذكائه وكان أبو محمد المذكور صحيح الرواية وله من التصانيف

ابو محمد اليزيدى

كتاب النوادر المقدم ذكره وكتاب المقصور والممدود ومختصر فى النحو وكتاب النقط والشكل وقال ابن المنادى اكثرت من السؤال عن أبى محمد اليزيدى ومحله من الصدق ومنزلته من الثقة لعدة من شيوخنا بعضهم أهل عربية وبعضهم أهل قرآن وحديث فقالوا هو ثقة صدوق لا يدفع عن سماع ولا يرغب عنه فى شئ غير ما يتوهم عليه من الميل الى المعتزلة وقد روى عنه الغريب أبو عبيد القسم بن سلام وكنى به وماذا الا عن معرفة منه به وكان يجلس فى أيام الرشيد مع الكسائى فى مجلس واحد ويقرئان الناس وكان الكسائى يؤدب الامين وهو يؤدب المأمون فاما الامين فان أباه أمر الكسائى ان يأخذ عليه بحرف حمزة وأما المأمون فان أباه أمر أبا محمد ان يأخذ عليه بحرف أبى عمرو (قال الاثرم) دخل اليزيدى يوما على الخليل بن أحمد وهو جالس على وسادة فاوسع له واجلسه معه فقال له اليزيدى أحسبنى ضيقت عليك فقال الخليل ماضاق موضع على اثنين متحابين والدنيا لا تسع اثنين متباغضين وسأل المامون اليزيدى عن شئ فقال لا وجعلنى الله فداك يا أمير المؤمنين فقال لله درك ما وضعت الواو فى موضع أحسن من موضعها فى لفظك هذا ووصله وحمله وقال اليزيدى دخلت على المامون يوما والدنيا غضة وعنده قينة تغنيه وكانت من أجمل أهل دهرها فانشدت

وزعمت انى ظالم فهجرتنى * ورميت فى قلبى بسهم نافذ
فنعم هجرتك فاغفرى وتجاوزى * هذا مقام المستجير العائذ
هذا مقام فتى اضر به الهوى * قرح الجفون بحسن وجهك لائذ
ولقد أخذتم من فؤادى أنسه * لاشل ربى كف ذاك الآخذ

فاستعاد المامون الصوت ثلاث مرات ثم قال يا يزيدى ايكون شئ أحسن مما نحن فيه قلت نعم يا أمير المؤمنين قال وما هو قلت الشكر لمن خولك هذا الانعام العظيم الجليل فقال أحسنت وصدقت ووصلنى وأمر بمائة ألف درهم يتصدق بها فكأنى أنظر الى البدر وقد أخرجت والمال يفرق وشكا اليزيدى الى المامون حاجة اصابته ودينا لحقه فقال ماعندنا فى هذه الايام ما ان اعطيناكه بلغت به ما تريد فقال يا أمير المؤمنين ان الامر قد ضاق على وان غرمائى قد ارهقونى فاحتل لى فأفكر المأمون واستقر الامر على أن يحضر اليزيدى الى الباب اذا جلس المامون فى مجلس الانس وعنده ندماؤه ويكتب رقعة يطلب فيها الدخول أو اخراج بعض الندماء اليه فلما جلس المامون حضر اليزيدى الى الباب ودفع للخادم رقعة مختومة فادخلها الى المامون ففضها فاذا فيها مكتوب

يا خير اخوان وأصحاب * هذا الطفيلى على الباب
فصيرونى واحدا منكم * او أخرجوا الى بعض أصحابى

فقرأها المامون على من حضر وقال ما ينبغى ان يدخل مثل هذا الطفيلى على مثل هذا الحال فارسل المامون يقول له دخولك فى مثل هذا الوقت متعذر فاختر لنفسك من

أحببت ان تنادمه فلما وقف على الرسالة قال ما أرى لنفسي اختيارسوى عبدالله بن طاهر فقال له المأمون قد وقع الاختيار عليك فصر اليه فقال يا أمير المؤمنين فأكون شريك الطفيلي فقال ما يمكنني رد أبي محمد عن أمره فان أحببت ان تخرج اليه والا فافتد نفسك منه فقال على عشرة آلاف درهم فقال لا أحسب ذلك يقنعه منك ومن مجالستك فلم يزل يزيد عشرة آلاف على عشرة آلاف والمأمون يقول لا أرضى له بذلك حتى بلغ مائة ألف درهم فقال له المأمون عجلها له فكتب له بها الى وكيله ووجه رسولا وأرسل اليه المأمون وهو يقول قبض هذا المبلغ في مثل هذا الحال أصلح لك من منادمته على مثل حاله فقبل ذلك منه وكان ظريفا في جميع أحواله (وحكى) أبو أحمد جعفر البلخي في كتابه ان اليزيدي المذكور سال الكسائي عن قول الشاعر

ما رأينا خربا * تفرعنه البيض صقر
لا يكون العير مهرا * لا يكون المهر مهر

الخرب بفتح الخاء المعجمة والراء وفي آخرها الباء الموحدة الذكر من الحبارى والعير بفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء وهو الذكر من حمر الوحش فقال الكسائي يجب ان يكون مهر منصوبا على انه خبر كان ففي البيت على هذا التقدير اقواء فقال اليزيدي الشعر صواب لان الكلام قد تم عند قوله لا يكون الثانية وهي مؤكدة للاولى ثم استأنف الكلام فقال المهر مهر وضرب بقلنسوته الارض وقال أنا أبو محمد فقال له يحيى بن خالد البرمكي اتكتني بحضرة أمير المؤمنين والله ان خطأ الكسائي مع حسن أدبه لأحسن من صوابك مع سوء أدبك فقال اليزيدي ان حلاوة الظفر اذهبت عني التحفظ قلت أما قول الكسائي في البيت اقواء ليس بجيد فان اصطلاح أرباب علم القوافي ان الاقواء يختص باختلاف الاعراب في حرف الروي بالرفع والجر لا غير بان يكون أحد البيتين مرفوعا والآخر مجرورا فاما اذا كان الاختلاف بالنصب مع الرفع والجر فان ذلك يسمى اصرافا لا اقواء والى هذا أشار أبو العلا المعري في قوله من جملة قصيدة طويلة يرثي بها الشريف الطاهر والد الرضي والمرتضى المقدم ذكرهما وهو في صفة نعيب الغراب

بنيت على الايطاء سالمة من الـ * اقواء والاكفاء والاصراف

وهذا البيت متعلق بما قبله ولا يظهر معناه الابذكر ما تقدم ولا حاجة بنا الى ذكره هنا بل ذكرنا موضع الاستشهاد لا غير وقد قيل ان الاصراف من جملة أنواع الاقواء فعلى هذا يستقيم ما قاله الكسائي وهذا الفصل وان كان دخيلا لكنه ما خلا عن فائدة وغالب شعر اليزيدي جيد وقد ذكره هارون بن المنجم المقدم ذكره في كتاب البارع وأورد له عدة مقاطيع فمن ذلك قوله يهجو الاصمعي الباهلي المقدم ذكره

أبن لي دعي بني اصمع * متى كنت في الاسرة الفاضله

ومن أنت هل أنت الا امرؤ * اذا صح أصلك من باهله

ثم قال ابن المنجم وهذا البيت من نادر أبيات المحدثين فى الهجاء قلت أنا وهذا مأخوذ من قول حماد بن عجرد فى بشار بن برد يهجوه

نسبت الى برد وأنت لغيره * وهب ان برداً مالك املك من برد

وله أيضاً فى الهجا

أستبق ودّ أبى المقاتل * حين تدنو من طعامه

سيان كسر رغيفه * أو كسر عظم من عظامه

ويصوم كرهاً ضيفه * لم ينو أجراً فى صيامه

وقد سبق فى ترجمة أبى العباس المبرد مقطوع من شعره فى شيبة بن الوليد وكان له اخبار ونوادر فمن ذلك مارواه انه أخذ رجلاً ادعى النبوة فأتى به الى المهدى فقال له أنت نبى فقال نعم فقال والى من بعثت فقال وهل تركتمونى اذهب الى أحد ساعة بعثت وضعتمونى فى الحبس فضحك المهدى واستتابه وكان لليزيدى خمسة بنين كلهم علماء ادباء شعراء رواة لاخبار الناس وهم أبو عبد الله محمد وابراهيم وأبو القسم اسمعيل وأبو عبد الرحمن عبد الله وأبو يعقوب اسحاق وكلهم ألف فى اللغة والعربية وكان محمد اسنهم وأشعرهم وهو القائل فيما رواه دعبل بن على الخزاعى المقدم ذكره من جملة أبيات

أتطمع والذى تهوى مقيم * لعمرك ان ذا خطر عظيم

اذا ما كنت للحدثان عوناً * على جمع الزمان فمن الوم

شقيت بغال انا عنه سال * ولا هو اذ شقيت به رحيم

وهو القائل

يا بعيد الدار مو * صولا بقلبى ولسانى

ربما باعدك الدهـ * ـر فأدنتك الامانى

وله أشعار كثيرة جيدة وكان يؤدب المامون مع أبيه وينقل معه فى آخر عمره وكان قد خرج مع المامون الى خراسان وأقام بخدمته فى مدينة مرو وبقى الى أيام المعتصم وخرج معه الى مصر فتوفى بها رحمه الله تعالى وأما والده أبو محمد المذكور فانه توفى سنة اثنتين ومائتين رحمه الله تعالى بخراسان والظاهر انه كان بمرو فانه كان قد خرج مع المامون من بغداد وكانت اقامة المامون بمرو ثم وجدت فى طبقات القراء لابى عمرو الدانى انه توفى فى التاريخ المذكور بمرو ثم قال بعد ذلك وقال ابن المنادى وقيل انه بلغ من السن دون المائة باعوام يسيرة ومات بالبصرة ودفن بها والاول أصح والله أعلم وقد تقدم فى حرف الميم ذكر حفيده أبى عبد الله محمد بن العباس بن أبى محمد اليزيدى المذكور وشرح طرف من اخباره وفضله وتاريخ وفاته والعدوى بفتح العين والدال المهملتين

وكسر

وكسر الواو وهذه النسبة الى عدى بن عبد مناة بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وهى قبيلة مشهورة ولم يكن أبو محمد المذكور منهم وانما كان من مواليهم كان جده المغيرة مولى لامرأة من بنى عدى فنسب اليهم وقد سبق فى أول هذه الترجمة ذكر سبب نسبته الى يزيد فأغنى عن الاعادة وفى ذريته جماعة كثيرة افاضل مشاهير أصحاب تصانيف وأشعاره رائقة مشهورة ولولا خوف الاطالة لذكرت شيأ منها واليزيديون يفتخرون بالكتاب الذى وضعه ابراهيم بن أبى محمد المذكور فى اللغة وسماه كتاب ما اتفق لفظه وافترق معناه جمع فيه كل الالفاظ المشتركة فى الاسم المختلفة فى المسمى ورأيته فى أربع مجلدات وهو من الكتب النفيسة يدل على غزارة علم مؤلفه وسعة اطلاعه وله غير ذلك تآليف حسنة نافعة وكذلك بقية اليزيديين صنفوا كتبا مشهورة مشكورة وكان يزيد الحميرى خال المهدى مقدما فى دولة بنى العباس ولى للمنصور البصرة واليمن ومات فى سنة خمس وستين ومائة بالبصرة وفيه قال بشار بن برد الشاعر المقدم ذكره

أبا خالد قد كنت سباع عجزه * صغيرا فلما شبت خيمت بالشاطى

وكنت جوادا سابقا ثم لم تزل * بآخر حتى جئت تخطو من الخاطى

فأنت عما تزداد من طول رفعة * وتنقص من مجد كذلك بافراط

كسنور عبد الله بيع بدرهم * صغيرا فلما شب بيع بقيراط

قلت قد كشفت عن سنور عبد الله المظان وسألت أهل المعرفة بهذا الشان فما عرفت الخبر عن ذلك ولا عثرت له على أثر والله أعلم ثم ظفرت بقول الفرزدق وهو

رأيت الناس يزدادون يوما * ويوما فى الجميل وأنت تنقص

كمثل الهر فى صغر يغالى * به حتى اذا ما شب يرخص

ومن ههنا أخذ بشار قوله وليس المراد هرا بعينه بل هو يكون له قيمة فى صغره وينقص منها فى كبره

الخطيب التبريزى

أبو زكريا يحيى بن على بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيبانى التبريزى المعروف بالخطيب أحد أئمة اللغة

كانت له معرفة تامة بالادب من النحو واللغة وغيرهما قرأ على الشيخ أبى العلاء المعرى وأبى القسم عبد الله بن على الرقى وأبى محمد الدهان اللغوى وغيرهم من أهل الادب وسمع الحديث بمدينة صور من الفقيه أبى الفتح سليم بن أيوب الرازى ومن أبى القسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الله بن يوسف الدلال الساوى البغدادى وأبى القسم عبد الله بن على وغيرهم وروى عنه الخطيب الحافظ أبو بكر أحمد بن على بن ثابت صاحب تاريخ بغداد والحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر وأبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقى وأبو الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل الاندلسى وغيرهم من الاعيان وتخرج

عليه خلق كثير وللذواله وذكره الحافظ أبو سعيد السمعاني في كتاب الذيل وكتاب الأنساب وعدد فضائله ثم قال سمعت أبا منصور محمد بن عبد الملك بن الحسن بن خيرون المقرى يقول أبو زكريا يحيى بن على التبريزى ما كان بمرضى الطريقة وذكر عنه أشياء ثم قال وذاكرت الامام أبى الفضل محمد بن ناصر الحافظ بما ذكره ابن خيرون فسكت عنه وكانه ما أنكر ما قال ثم قال ولكن كان ثقة في اللغة وما كان ينقله وصنف في الادب كتبا كثيرة مفيدة منها شرح الحماسة وكتاب شرح ديوان المتنبي وكتاب شرح سقط الزند وهو ديوان أبى العلاء المعرى وشرح المعلقات السبع وشرح المفضليات وله تهذيب غريب الحديث وتهذيب اصلاح المنطق وله في النحو مقدمات حسنة والمقصود منها أسرار الصنعة وهي عزيزة الوجود وله كتاب الكافى في علم العروض والقوافى وكتاب في اعراب القرآن سماه الملخص رأيته في أربع مجلدات وشروحه لكتاب الحماسة ثلاثة أكبر واوسط وأصغر وله غير ذلك من التآليف وقد سبق في ترجمة الخطيب أبى بكر أحمد بن على بن ثابت الحافظ ذكره وما دار بينهما عند قراءته عليه بدمشق فلينظر هناك ودرس الادب بالمدرسة النظامية ببغداد وكان سبب توجهه الى أبى العلاء المعرى انه حصلت له نسخة من كتاب التهذيب في اللغة تأليف أبى منصور الازهرى في عدة مجلدات لطاف وأراد تحقيق ما فيها وأخذها عن رجل عالم باللغة فدل على المعرى فجعل الكتاب في مخلاة وحملها على كتفه من تبريز الى المعرة ولم يكن له ما يستأجر به مركوبا فنفذ العرق من ظهره اليها فأثر فيها البلل وهي ببعض الوقوف ببغداد واذا رآها من لا يعرف صورة الحال فيها ظن انها غريقة وليس بها سوى عرق الخطيب المذكور هكذا وجدت هذه الحكاية مسطورة في كتاب اخبار النحاة الذى ألفه القاضى الاكرم ابن القفطى الوزير بمدينة حلب كان رحمه الله تعالى والله أعلم بصحة ذلك وكان الخطيب المذكور قد دخل مصر في عنفوان شبابه فقرأ عليه بها الشيخ أبو الحسن طاهر بن بابشاذ النحوى المقدم ذكره شيأ من اللغة ثم عاد الى بغداد واستوطنها الى الممات وكان يروى عن أبى الحسن محمد بن المظفر بن محريز البغدادى جملة من شعره فمن ذلك قوله على ما حكاه السمعانى في كتاب الذيل في ترجمة الخطيب وهي من أشهر اشعاره

خليلى ما أحلى صبوحى بدجلة * واطيب منه بالصراة غبوقى

شربت على الماءين من ماء كرمة * فكانا كدر ذائب وعقيق

على قمرى افق وأرض تقابلا * فمن شائق حلو الهوى ومشوق

فما زلت اسقيه واشرب ريقه * وما زال يسقينى ويشرب ريقى

وقلت لبدر التم تعرف ذا الفتى * فقال نعم هذا أخى وشقيقى

وهذه الابيات من أملح الشعر واطرفه والبيت الاخير منها يستمد من معنى قول أبى بكر محمد بن عيسى الدانى المعروف بابن اللبانة الاندلسى في مدح المعتمد بن عباد صاحب

اشبيلية المقدم ذكره من جملة قصيدة طويلة

سألت أخاه البحر عنه فقال لى * شقيق الا انه الساكن العذب

ما كفاه انه جعله شقيق البحر حتى رجحه عليه فقال الساكن العذب والبحر مضطرب مالح وهذا من خالص المدح وابدعه وأول هذه القصيدة

بكت عند توديعى فما علم الركب * اذالك سقيط الطل ام لؤلؤ رطب

وتابعها سرب وانى لمخطئ * نجوم الدياجى لا يقال لها سرب

وهى قصيدة طويلة ولولا خوف الاطالة والخروج عما نحن بصدده لذكرتها كلها ولكن يكفى منها هذا الانموذج وكان الخطيب أيضا روى عن ابن مجبر المذكور ومن شعره قوله

يا نساء الحى من مضر * ان سلمى ضرة القمر

ان سلمى لا فجعت بها * اسلمت طرفى الى السهر

فهى ان صدت وان وصلت * مهجتى منها على خطر

و بياض الشعر اسكنها * من سواد القلب والبصر

وللخطيب المذكور شعر فمن ذلك قوله

فمن يسأم من الاسفار يوما * فانى قد سئمت من المقام

اقمنا بالعراق على رجال * لئام ينتمون الى اللئام

وقال الخطيب المذكور كتب الى العميد الفياض

قل ليحيى بن على * والاقاويل فنون

غير انى لست ممن * يكذب فيها ويخون

أنت عين الفضل ان * مد الى الفضل عيون

أنت من عز به الفضـ * ـل وقد كاد يهون

فقت من كان وأتعبـ * ـت لعمرى من يكون

قد مضى قبلك قران * ومضى قبل قرون

واذا قيس بك الكل * فصحو ودجون

واذا فتش عنهم * فالاحاديث شجون

قد سمعنا ورأينا * فسهول وحزون

ووزنا بك من كا * ن فثقيل ووزين

اين شيبان وازد * كل ما زال ظنون

انك الاصل ومن دو * نك فى العلم غصون

انك البحر واغنيان * ذوى الفضل عيون

ليس كالسيف وان * حل فى الحكم جفون
ليس كالقدح المعلى * ليس كالبيت الجون
ليس كالجسد وان * آن هزل وسمون
ليس فى الحسن سواء * ابدا يض وجون
ليس كالابكار فى اللطف وان راقتك عون
قلت للسياد كونوا * كيف شئتم ان تكونوا
سبق الرائد بالفضل * فعزوا او فهونوا
دمت يا خالق فى الحمد * حراك وسكون
و تلقاك الى ما * قر بالطير الوكون
ان ودى لك عما * يصم الود مصون
ليس لى فيه ظهور * تتنافى او بطون
بل لقلبى فيك صبر * بالصافاة يكون
غلق الرهن وقد * تغلق فى الحب رهون
ومن الناس أمين * فى هواه وخؤون

وقال ابن الجواليق قال لنا شيخنا الخطيب أبو زكريا فكتبت أبا الى العميد الفياض المذكور هذه الابيات

قل للعميد أخى العلا الفياض * انا قطرة من بحرك الفياض
شرفتنى ورفعت ذكرى بالذى * ألبستنيه من الثنا الفضفاض
ألبستنى حلل القريض تفضلا * فرفلت منها فى علا ورياض
انى أتيتك بالحصى عن لؤلؤ * ابرزته من خاطر مرتاض
و بخاطرى عن مثل ذاك توقف * ما ان يكاد يجود بالايماض
ألعارض البحر الطامط جدوله * ام درة تنقاس بالرضراض
يافارس النظم المرصع جوهرا * والنثر يكشف غمة الامراض
يرمى به الغرض البعيد وقد غدا * فكرى يقصر عن مدى الاغراض
لاتلزمنى من مثالك موجبا * حقا فلست لقيه بالقاضى
فلقد عجزت عن القريض ورجما * اعرضت عنه أيما اعراض
انعم على ببسط عذرى اننى * اقررت عندك بالانقاض

وكانت ولادته سنة احدى وعشرين وأربعمائة وتوفى فجاءة يوم الثلاثاء الليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسمائة ببغداد ودفن فى مقبرة باب ابرز رحمه الله تعالى و بسطام بكسر الباء الموحدة وسكون السين المهملة وفتح الطاء المهملة وبعد الالف ميم وقد تقدم الكلام على الشيبانى والتبريزى فأغنى عن الاعادة

أبو الحسين يحيى بن عبد المعطى بن عبد النور الزواوى الملقب
زين الدين النحوى الحنفى

كان أحد ائمة عصره فى النحو واللغة وسكن دمشق زمانا طويلا واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به وصنف تصانيف مفيدة ثم ان الملك الكامل ارغبه فى الانتقال الى مصر فسافر اليها وتصدر بالجامع العتيق بمصر لاقراء الادب وقرر له على ذلك جار ولم يزل الى ان توفى فى سلخ ذى القعدة سنة ثمان وعشرين وستمائة بالقاهرة ودفن من الغد على شفير الخندق بقرب تربة الامام الشافعى رضى الله عنه وقبره هنالك ظاهر ومولده سنة أربع وستين وخمسمائة رحمه الله تعالى والزواوى بفتح الزاى وبين الواوين ألف هذه النسبة الى زواوة وهى قبيلة كبيرة بظاهر بجاية من اعمال افريقية ذات بطون وافخاذ والله أعلم

أبو أحمد يحيى بن على بن يحيى بن أبى منصور المعروف بابن المنجم واسمه
ابان بن حسيس بن وريد بن كاد بن مهاسد بن ادحسيس
ابن مروح داد بن اساد بن مهر حسيس بن يزجرد

كان فى اول امره نديم الموفق أبى أحمد طلحة بن المتوكل على الله والموفق المذكور هو والد المعتضد بالله ولم يل الموفق الخلافة بل كان نائبا عن أخيه المعتمد على الله ولم يزل فى محاربة القرامطة وأمره فى ذلك مشهور وقصته طويلة وليس هذا موضع ذكرها ثم ان يحيى المذكور نادم الخلفاء بعد الموفق واختص بمنادمة المكتفى بالله بن المعتضد وعلت رتبته عنده وتقدم على خواصه وجلسائه وكان متكاما معتزلى الاعتقاد وله فى ذلك كتب كثيرة وكان له مجلس يحضره جماعة من المتكلمين بحضرة المكتفى وصنف كتبا كثيرة فن ذلك كتاب الباهر فى اخبار شعراء مخضرمى الدولتين ابتدأ فيه ببشار بن برد وآخر من أثبت فيه مروان بن أبى حفصة ولم يتمه وتممه ولده أبو الحسن أحمد بن يحيى وعزم على ان يضيف الى كتاب أبيه سائر الشعراء المحدثين فذكر منهم أبا دلامة ووالبة بن الحباب ويحيى بن زياد ومطيع بن اياس وأبا على البصير وكان أبو الحسن أحمد المذكور متكلما فقيها على مذهب أبى جعفر الطبرى وله كتب صنفها منها كتاب اخبار أهله ونسبهم فى الفرس وكتاب الاجماع فى الفقه على مذهب أبى جعفر الطبرى وكتاب المدخل الى مذهب الطبرى ونصرة مذهبه وكتاب الاوقات وغير ذلك وليحيى المذكور مع المعتضد وقائع ونوادر فن ذلك ما حكاه أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى فى كتاب مروج الذهب عن يحيى المذكور انه قال كنت يوما بين يدى المعتضد وهو مغضب فأقبل بدر مولاه وكان شديد الغرام به فلما رآه من بعيد ضحك وقال يا يحيى من الذى يقول من الشعراء

فى وجهه شافع يمحو اساءته * من القلوب وجيه حيثما شفعا

فقلت بقوله الحكم بن عمرو الشارى فقال قد دره أنشدنى هذا الشعر فانشدته

وبى على من اطار النوم فامتنعا * وزاد قلبى على اوجاعه وجعا
كانما الشمس من اعطافه لمعت * حسنا او البدر من ازراره طلعا
مستقبل بالذى يهوى وان كثرت * منه الذنوب ومعذور بما صنعا
فى وجهه شافع يمحو اساءته * من القلوب وجيه حيثما شفعا

وذكر أبو الفتح كشاجم الشاعر المشهور فى كتابه الذى سماه المصايد والمطارد فى الفصل الذى ذكر فيه صيد الاسد بالشباك مامثاله حدثنى أبو أحمد يحيى بن على بن يحيى المنجم النديم نديم المكتفى بالله قال وجد على أمير المؤمنين المكتفى بالله عند منصرفه من الرقة لركوبى الماء منها الى المرحلة الاولى قبل ان يركبه هو وذلك ان ابا العباس أحمد بن عبد الصمد حملنى على ذلك وسألنى ان أكون معه فى سفينة ففعلت ولم آمن ان المكتفى ينكر ذلك ولا يحتمل تأخيرى عنه ولا اخلالى به فلما صرنا الى الدالية أمر بأن أردّ منها الى قرقيسيا وأقيم بها حتى أصيد سبعا واحضره اليه فردّنى وردّ معى عدة من المغنين كانوا قد ركبوا الماء فكتبت اليه بأبيات لم نعطفه فرجعت الى الرحبة وأقمت عند أبى محمد عبد الله بن الحسن بن سعد القطربلى فى قصف وشرب وصبوح وغبوق وهو على غاية السرور بمقامى عنده وكان معنا أبو جعفر محمد بن سليمان بن محمد بن عبد الملك الزيات فكتبت من الرحبة كتابا الى الوزير أبى الحسين القسم بن عبيد الله وأنفذت فيه شعرا اسأله ان يقرأه على المكتفى وهو

تعس الدهر ان يسر وان * يسعدنا بالاحبة الاجتماع
فرمانى واخوتى بسهام * تقر النفس فهى منه شعاع
فرددنا الى وراء ومر النا * س قدما فاشتدت الاوجاع
لو سمعنا بمثل ما نالنا * ازمعنا منه فى سوانا السماع
كلفونا صيد السباع وانا * لنضير ان لم تصدنا السباع
ان عصينا فواجب أى قوم * كلفوا فوق طوقهم فاطاعوا
كل شئ يجوز تكليفه الانسا * ن الا ما كان لا يستطاع
لم تزل تمزح الملوك ولكن * مع ذاك المزاح جود وباع
وتوانى الوزير عنا فضعنا * فى سبيل الاله حق مضاع
قد مددنا الايدى اليه وامتدت * عائذات بفضله الاطماع
شافع لا يخاف ردا اذا ما * رد عما تريده الشفاع
هبات الملوك يتبعها الانفس واعمارها عطايا تباع
اولنا بارك دولته خيرا لديه فالخير النفاع

وأنفذ الكتاب مع محمد بن سليمان الخرائطى فى الخرائط فلم يضعه القسم من يده حتى

دخل على المكتفي فقرأه عليه وأنشده الابيات فاستحسنها وقال يكتب الساعة بتخلية سبيله وحمله الينا فلم يكن أسرع من ان وافاني الرسول فوافيت وأنشدت المكتفي ببغداد

عاد ليلى القصير في كرخ بغداد بقرقيسا على طويلا

اجملا ان تتركوني وغصون رحينا بها غريبا ذليلا

مفردا بالعقاب مشترك الذنب فصبرا حسبي بربي وكيلا

ان قضى الله لى رجوعا الى بغداد لا هالكا بغمى قتيلا

واراني الخليفة المكتفي بالله وابن الخلائف المأمولا

كالذي قد عهدت لا معرضا عني ولا واجدا ولا مستحيلا

كل شيء اسامه حسن عندي اذا الرأى منه كان جميلا

فاستحسنها ورق لشكواي بها حتى تبينت ذلك في وجهه وكلامه واخبار يحيى ومحاسنه كثيرة وكانت ولادته سنة احدى وأربعين ومائتين وتوفي ليلة الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة ثلثمائة رحمه الله تعالى وقد تقدم ذكر والده على وأخيه هارون وابن أخيه على ولم ارفع في نسبهم الا في هذه الترجمة لاني لم أظفر بالنسب على هذه الصورة الالما وصلت الى هذا الموضع فنقلته كما وجدته من كتاب الفهرست لابي الفرج محمد بن اسحاق النديم ولم اضبط شيأ من أسماء أجداده لاني لم أتحقق فيها شيأ فنقلتها كما وجدتها

أبو بكر يحيى بن عبد الرحمن بن بقي الاندلسي القرطبي الشاعر المشهور صاحب الموشحات البديعة قال الفتح محمد بن عبد الله القيسي في كتاب مطمح الانفس في حق أبي بكر المذكور انه كان نبيلا في النثر والنظام كثير الارتباط في سلكه والانتظام احرز خصالا وطرز محاسنه بكرا وآصالا وجرى في ميدان الاحسان الى ابعد امد وبنى من المعارف على اثبت عمد الا ان الايام حرمته وقطعت حبل رعايته وصرمته ولم تتم له وطرا ولم تسجم عليه من الحظوة مطرا ولا نولته من الحرمة نصيبا ولا أنزلته مرعى خصيبا فصار راكب صهوات وقاطع فلوات لايستقر يوما ولا يستحسن قوما مع توهم لايظفر بامان وتقلب ذهن كواهي الجمان الا ان يحيى بن على بن القسم نزعه عن ذلك الطيش واقطعه جانبا من العيش وارقاه الى سمائه وسقاه صوب نعمائه وفيأه ظلاله وبوأه أثر النعمة تجوس خلاله فصرف فيه أقواله وشرف بقوافيه نواله وافرده منها بانفس در وقلد لبته منها بقصائد غر وذكر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي المذكور في حقه أيضا في كتاب قلائد العقيان هو رافع راية القريض وصاحب آية التصريح فيه والتعريض أقام شرائعه وأظهر روائعه وصار عصيه طائعه اذا نظم أزرى بنظم العقود وأتى باحسن من رقم البرود ضفا عليه حرمانه وما صفا له زمانه انتهى كلام الفتح وقد أثبت لابي بكر المذكور هذا المقطوع من الشعر

ابن بقي

ولم ار الفتح ذكره فى واحد من كتابيه المذكورين مع انه من أحسن شعره وأشهره وهو

بابى غزالا غازلته مقلتى * بين العذيب وبين شطى بارق
وسألت منه زيارة تشفى الجوى * فاجابنى منها بوعد صادق
بتنا ونحن من الدجى فى لجة * ومن النجوم الزهر تحت سرادق
عاطيته والليل يسحب ذيله * صهباء كالمسك الفتيق لناشق
وضممته ضم الكمى لسيفه * وذؤابتاه حمائل فى عاتقى
حتى اذا مالت به سنة الكرى * زحزحته عنى وكان معانقى
ابعدته عن اضلع تشتاقه * كى لا ينام على وساد خافق
لما رأيت الليل آخر عمره * قد شاب فى لمم له ومفارق
ودعت من أهوى وقلت تأسفا * أعزز على بأن أراك مفارقى

وقد ذكر بعض هذه الابيات الحافظ أبو الخطاب بن دحية فى كتابه الذى سماه المطرب من أشعار أهل المغرب ومن شعره قصيدة يمدح بها يحيى بن على بن القسم المذكور فى هذه الترجمة وهى طويلة ومن مدائحها قوله

نوران ليسا يحجبان عن الورى * كرم الطباع ولا جمال المنظر
وكلاهما بجمال يحيى قد بدا * كتمان نور هلاله المتشهر
فى كل ناد من جميل ثنائه * عرف يزيد على دخان المجمر
زدنى شمائله وزد فى جوده * بين الحديقة والغمام الممطر
تدب عليه من الوقار سكينة * فيها حفيظة كل ليث مخدر
مثل الحسام اذا انطوى فى غمده * القى المهابة فى نفوس الحضر
ارني على البحر الخضم لانه * فى كل كف منه خمسة ابحر
اتبلت مرتادا لجودك انه * صوب الغمامة بل زلال الكوثر
ورأيت وجه الصبح عندك أبيضا * فركبت ضوءك كل لج أخضر
تجرى السفن بنا سفائن اتلع * مثل البعير مخزم فى المنحر
وبنات اعوج قد برمن بحبى * عاطلين من اللباب المتقر

وأورد له صاحب قلائد العقيان مقطوعا وهو

ياأفتك الناس ألحاظا وأطيبهم * ريقا متى كان فيك الصاب والعسل
فى صحن خدك وهى الشمس طالعة * ورد يزيدك فيه الراح والخجل
ايمان حبك فى قلبى يجدده * من خدك الكتب أو من لحظك الرسل
ان كنت تجهل انى عبد مملكة * مرنى بما شئت آتيه وامتثل
لواطلعت على قلبى وجدت به * من فعل عينيك جرحا ليس يندمل

وذكره العماد الكاتب فى الخريدة وأورد له عدة مقاطيع ثم أعاد ذكره فى آخر

الكاب وأورد له

ومشمولة فى الكاس تحسب أنها * سماء عقيق رصعت بالكواكب
بنت كعبة اللذات فى حرم الصفا * فحج اليها الحظ من كل جانب

ومحاسنه فى الشعر كثيرة وتوفى سنة أربعين وخمسمائة رحمه الله تعالى وبقى بفتح الباء الموحدة وكسر القاف وتشديد الياء

أبو الفضل يحيى بن سلامة بن الحسين بن محمد الملقب معين الدين
المعروف بالخطيب الحصكفى

صاحب الديوان الشعر والخطب والرسائل ولد بطنزة ونشأ بحصن كيفا وقدم بغداد واشتغل بالادب على الخطيب أبى زكريا التبريزى المقدم ذكره وأتقنه حتى مهر فيه وقرأ الفقه على مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه وأجاد فيه ثم رحل عن بغداد راجعا الى بلاده ونزل ميافارقين واستوطنها وتولى بها الخطابة وكان اليه أمر الفتوى بها واشتغل عليه الناس وانتفعوا بصحبته وذكره العماد الأصبهانى فى كتاب الخريدة فقال فى حقه كان علامة الزمان فى علمه ومعرى العصر فى نثره ونظمه له الترصيع البديع والتجنيس النفيس والتطبيق والتحقيق واللفظ الجزل الرقيق والمعنى السهل العميق والتقسيم المستقيم والفضل السائر المقيم ثم قال العماد بعد كثرة الثناء عليه وتعداد محاسنه وكنت أحب لقاءه وأحدث نفسى عند وصولى الى الموصل بالاتصال به وأنا شغف بالاستفاده كلف بمجالسة الفضلاء للاستزاده فعاقنى دون لقائه بعد الشقه وضعفى عن تحمل المشقه ثم ذكر له عدة مقاطيع فمن ذلك قوله

وخليع بت أعذله * ويرى عذلى من العبث
قلت ان الخمر مخبثة * قال حاشاها من الخبث
قلت فالارفاث تتبعها * قال طيب العيش فى الرفث
قلت منها القىء قال أجل * شرفت عن مخرج الحدث
وسأسلوها فقلت متى * قال عند الكون فى الجدث

قلت أنا وقد أخذ الخطيب المذكور قوله شرفت عن مخرج الحدث من قول بعضهم ولا اعرفه لكنها أبيات سائرة وهى

ولائم لامنى فى الخمر قلت له * انى سأشربها حيا وفى جدثى
قم فاسقنى قهوة حمراء صافية * صرفا حراما فانى غير مكترث
فان يكن حللوها بالطبيخ ففى * حشاى نار تبقيها على الثلث
قالوا فلم تقاياها فقلت لهم * انى انزهها عن مخرج الحدث

ثم قال العماد الاصبهانى وأنشدنى له بعض الفضلاء ببغداد خمسة أبيات كالخمسة السيارات مستحسنات مطبوعات مصنوعات وهى

اشكو الى الله من نارين واحدة * فى وجنتيه وأخرى منه فى كبدى
ومن سقامين سقم قد أحل دمى * من الجفون وسقم حل فى جسدى
ومن نمومين دمعى حين أذكره * يذيع سرى وواش منه بالرصد
ومن ضعيفين صبرى حين اذكره * وودّه ويراه الناس طوع يدى
مهفهف رق حتى قلت من عجب * اخصره خنصرى ام جلده جلدى

ومن مليح شعره أبيات فى هجو مغن ردىء وهى

وسمع غناؤه * يدل بالفقر الغنى
شهدته فى عصبة * رضيتهم لى قرنا
ابصرته فلم تخب * فراستى لما دنا
وقلت من داوجهه * كيف يكون محسنا
ورمت ان اروح للشطن به ممحضنا
فقلت من بينهم * هات أخى غن لنا
ويوم سلع لم يكن * يوى بسلع هينا
فانثال منه حاجب * وحاجب منه انحنى
وامتلا المجلس من * فيه نسيما منتنا
اوقع اذ وقع فى * الاذن أسباب العنا
وقال لما قال من * يسمع فى طلل العنا
وما اكتفى باللحن والتخليط حتى لحنا
هذا وكم تكشعن الشوعد وكم تقرننا
يوهم زمرا انه * قطعه ودندنا
وصاح صوتا نادرا * يخرج من حد البنا
وما درى محضره * ما داعلى القوم جنى
فذا يسد أنفه * وذا يسد الاذنا
ومنهم جماعة * تستر عنه الاعينا
فاغتظت حتى كدت من * غيظى ابث الشجنا
وقلت يا قوم اسمعوا * اما المغنى أو أنا
اقسمت لا أجلس أو * يخرج هذا من هنا
جروا برجل الكلب ان * السقم هذا والضنا
قالوا لقد رحمتنا * وزلت عنا المحنا
نحن فى احراجه * راحة نفسى والمنا
وحين ولى شخصه * قرأت فيهم معلنا

الحمد لله الذي * أذهب عنا الحزنا

ولم اسمع مع كثرة ما قيل في هذا الباب مثل هذا المقطوع في هذا المعنى وللخطيب المذكور أيضا في هذا المعنى وهو

ومسمع قوله بالكره مسموع * محجب عن بيوت الناس ممنوع
غنى فبرق عينيه وحرك لحيته فقلنا الفتى لاشك مصروع
وقطع الشعر حتى ود أكثرنا * أن اللسان الذي في فيه مقطوع
لم يأت دعوة أقوام بأمرهم * ولا مضى قط الا وهو مصفوع

وقد سبق له في ترجمة الشيخ الشاطبي في حرف القاف مقطوع لغز في نعش وهو معنى مليح وأكثر شعره على هذا الاسلوب في اللطافة وجودة المقاصد وكان يتشيع قلت وهذا من الزيادات التي أدخلها الكتاب الداخلون في عموم الحديث من مجوس هذه الامة والله أعلم وهو في شعره طاهر وكان بمدينة آمد شابان بينهما مودة اكيدة ومعاشرة كثيرة فركب أحدهما ظاهر البلد وطرد فرسه فتقنطر فمات وقعد الآخر يستعمل الشراب فشرق فمات في ذلك النهار فعمل فيهما بعض الادباء

تقاسما العيش صفوا والردى كدرا * وما عهدنا المنايا قط تنقسم
وخالفنا الود حتى في حمامهما * وقلما في المنايا تحفظ الذمم

فلما وقف الخطيب المذكور على البيتين قال هذا الشاعر قصر اذ لم يذكر سبب موتهما وقد قلت فيهما

بنفسي أخيان من آمد * أصيبا بيوم مشوم عبوس
فهذا الذي ميت من الصافنات * وهذا الذي ميت من الخندريس

قلت ولو قال وهي ذا الذي ميتا من الصافنات وهذا الذي ميت من الصافيات لكان أحسن لاجل المجانسة وكان يجعل البيت الاول

بنفسي اخيان من آمد * اصيبا بيوم شديد الاذات

أوما يناسب هذا ثم وجدت البيتين الاولين في كتاب الحسان تاليف القاضي الرشيد بن الزبير المقدم ذكره في حرف الهمزة وقد نسبهما الى الفقيه أبي علي الحسن بن أحمد المعلم المقري لكن هكذا وجدت الحكاية بخط بعض المغربين والله أعلم وللخطيب المذكور الخطب المليحة والرسائل المنتقاة ولم يزل على رياسته وجلالته وافادته الى ان توفي سنة احدى وقيل ثلاث وخمسين وخمسمائة وكانت ولادته في حدود سنة ستين وأربعمائة رحمه الله تعالى والحصكفي بفتح الحاء وسكون الصاد المهملة وفتح الكاف وفي آخرها فاء هذه النسبة الى حصن كيفا وهي قلعة حصينة شاهقة بين جزيرة ابن عمر وميافارقين وكان القياس ان ينسبوا اليه الحصني وقد نسبوا اليه أيضا كذلك لكن اذا نسبوا الى اثنين أضيف أحدهما الى الآخر ركبوا من مجموع الاسمين اسما واحدا ونسبوا اليه كما

فعلوا هاهنا وكذلك نسبوا الى رأس عين فقالوا رسعنى والى عبد الله وعبد شمس وعبد الدار عبدلى وعشمى وعبدرى وكذلك كل ما هو تقليد وأما طنزة فهى بفتح الطاء المهملة وسكون النون وفتح الزاى فى آخرها هاء ساكنة وهى بليدة صغيرة بديار بكر فوق الجزيرة العمرية خرج منها جماعة من المحدثين وغيرهم ونسبوا اليها قال عماد الدين الاصبهانى الكاتب فى كتاب الخريدة منهم ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم الطنزى وهو القائل

وانى لمشتاق الى أرض طنزة * وان خاننى بعد التفرق اخوانى

سقى الله أرضا لو ظفرت بتربها * كحلت به من شدة الشوق أجفانى

ثم قال عماد الدين المذكور بعد هذا كان الشاعر حيا فى شهر رمضان سنة ثمان وستين وخمسمائة

يرى

أبو طاهر يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الحميرى صاحب افريقية وما والاها

قد تقدم ذكر والده ورفعت نسبه هناك وتقدم ذكر جماعة من أجداده فى هذا الكتاب وكانت ولاية الامير يحيى المذكور بالمهدية خلافة عن أبيه تميم يوم الجمعة لاربع بقين من شهر ذى الحجة سنة سبع وتسعين وأربعمائة والطالع الدرجة السابعة من الجدى ثم استقل بالامر يوم وفاة والده وقد سبق ذلك فى ترجمته وكان عمر الامير يوم الاستقلال ثلاثا وأربعين سنة وستة أشهر وعشرين يوما وركب على العادة وأهل دولته محتفون به ورجع الى قصره وغير لباس جميع أهل الدولة من الخواص والجند على سنة وكانوا قد غيروا لباسهم لموت أبيه ووهب للاجناد والعبيد أموالا كثيرة ووعدهم مواعد سارة ورأيت فى كتاب الجمع والبيان فى أخبار القيروان الذى ألفه زادأخيه عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن شداد بن تميم بن المعز بن باديس ان الامير تميما قبل وفاته بمدة يسيرة دعا ولده يحيى المذكور وكان فى دار الامارة مع خاصته وجلسائه فمشى يحيى ومن معه اليه فوجدوا تميما فى بيت المال فأمرهم بالجلوس ثم قال لاحدهم قم فادخل ذلك البيت وخذ منه الكتاب الذى صفته كذا فى مكان كذا فقام وأتى به فاذا هو كتاب ملحمة فقال له عد من اوله كذا وكذا ورقة واقرأ الصفحة التى تنتهى اليها فقرأها واذا فيها الملك المقدور وهو الطويل القامة الذى على وركه الايمن خال وفى جنبه الايسر شامة فقال الامير تميم أطبق الكتاب واردده الى موضعه فتعل فقال تميم أما العلامتان فقد رأيتهما وبقيت على الثالثة ثم أنت يا شريف وأنت يا فلان حتى تحققا عندى خبر العلامة الثالثة فقاموا وقام يحيى معهم الى موضع مستور عن تميم وكشف لهم عن جسمه فرأوا شامة على جنبه الايسر هلالية الشكل فأتوا تميما فعرفوه فقال لم أعلمه أنا شيأ الله تعالى الذى أعطاه ثم قال انى أخبركم بحديث عجيب وذلك انه عرض

على النخاس والدته فاستحسنتها ومالت نفسى اليها فاشتريتها وسلمتها الى خدام القصر وأمرت النخاس ان يرجع الى قبض الثمن ثم دبرت فى مال طيب حلال أخرج ثمنها منه فبينما أنا مفكر فى ذلك اذ سمعت السائل يصيح ويرفع صوته فى الاذن على مطالعتى فاخرجت رأسى من الطاق وقلت له ماشأنك فقال كنت الساعة احفر فى قصر المهدى اذ وجدت صندوقا عليه قفل فتركته على حاله وجئت مطالعا بأمره فأنفذت معه من اثق به فاذا فيه أثواب مذهبات الاعلام قد أفناها الدهر فأمرت بسبك اعلامها فلم تزد ولم تنقص عن ثمن الجارية فعجب الحاضرون من ذلك ودعواله ثم أمر لهم بدنانير وكساء وانصرفوا قال عبد العزيز المذكور وقد أدركت هذا الكتاب المشار اليه عند السلطان الحسن رحمه الله تعالى يعنى الحسن بن على بن يحيى المذكور وحكى عن الكتاب امورا وقضايا ذكر انها ستكون وكانت كما ذكر (رجعنا الى حديث يحيى) ولما جلس فى الملك قام بالامر وعدل فى الرعية وفتح قلاعا لم يتمكن أبوه من فتحها قال عبد العزيز المذكور فى تاريخه وفى ايامه يعنى يحيى وصل الى المهدية من طرابلس المهدى محمد بن تومرت المقدم ذكره قادما من الحج فنزل بمسجد قبل مسجد السبت فاجتمع اليه جماعة من أهل المهدية وقرؤا عليه كتابا فى علم أصول الدين وشرع فى تغيير المنكر فرفع أمره الى يحيى فاحضره وجماعة من الفقهاء فرأى ماهو عليه من الخشوع والتقشف والعلم فسأله الدعاء فقال له أصلحك الله لرعيتك ونفع بها ذريتك وأقام مدة يسيرة بالمهدية ثم انتقل الى المنستير فاقام بها مدة ثم انتقل الى بجاية وقد تقدم فى ترجمة والده الامير تميم ان محمد بن تومرت المذكور اجتاز بتلك البلاد فى ايامه والله تعالى أعلم أى ذلك كان ثم قال عبد العزيز وفى سنة سبع وخمسمائة اتى الى المهدية قوم غرباء فقصدوا يحيى بمطالعة زعموا فيها انهم من أهل الصناعة الكبيرة من الواصلين الى نهايتها فأذن لهم بالدخول عليه فلما مثلوا بين يديه طالبهم بأن يظهروا له من الصناعة مايقف عليه فقالوا نحن نزيل من القصدير التدخين والصدا حتى يرجع لافرق بينه وبين الفضة ونعمل لمولانا من السروج والبنود والقباب والاوانى قناطير من الفضة يجعل عوضا منها مايريده ويستعمل جميع ذلك فى مهماته وسألوه ان يكون ذلك فى خلوة فاجابهم وأحضرهم للعمل ولم يكن عنده الامير يحيى سوى الشريف أبى الحسن على والقائد ابراهيم قائد الاعنة وكانوا هم ثلاثة وكانت بينهم امارة فامكنتهم الفرصة فقال أحدهم دارت البوطقة فتواثبوا وقصد كل واحد منهم واحدا بسكاكينهم فأما الذى قصد الامير يحيى فقال انا سراج وكان يحيى جالسا على مصطبة فضربه بجبابات على أم رأسه فقطعت طاقات فى العمامة ولم تؤثر فى رأسه واسترخت يده بالسكين على صدره فخدشته وضربه يحيى برجله فالقاه على ظهره فسمعوا الخدام الضجة ففتحوا باب القصر من عندهم فدخل يحيى فاغلق الباب دونه وأما الشريف فلم يزل به الذى قصده حتى قتله وأما القائد ابراهيم فانه شهر سيفه ولم يزل يقاتل الثلاثة وكسر الجند الباب الذى كان بينهم ودخلوا فقتلوهم وكان زيهم زى أهل

الاندلس فقتل في البلد جماعة ممن يلبس ذلك الزي فخرج الامير يحيى في الحال ومشى في البلد وسكن الفتنة وكان يحيى عادلا في دولته ضابطا للامور رعيته عارفا بتجربته ودخله مدبرا في جميع ذلك على ما يوجبه النظر العقلي و يقتضيه الرأي الحكمي ونعته في الملاحم الملك المقدور وتحقق له هذا النعت بهذه الواقعة التي ذكرناها وكان كثير المطالعة لكتب الاخبار والسير عارفا بها رحيما للضعفاء شفيقا على الفقراء يطعمهم في الشدائد فيرفق بهم ويقرب أهل العلم والفضل من نفسه وساس العرب في بلاده بهاتوه وانكفت أطماعهم وكان له نظر حسن في صناعة النجوم والاحكام وكان حسن الوجه على حاجبه شامة اشهل العينين مائلا في قده الى الطول دقيق الساقين وكان عنده جماعة من الشعراء قصدوه ومدحوه وخلدوا مدائحه في دواوينهم ومن جملة شعرائه أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الشاعر المقدم ذكره أقام تحت كنفه بعد دان جاب الارض وتقاذفت به البلدان وله الرسالة المشهورة التي وصف بها مصر وعجائبها وشعراءها وغير ذلك وله فيه مدائح كثيرة أجاد فيها وأحسن وله أيضا مدائح في ولده أبي الحسن علي وولد ولده الحسن بن علي ومن جملة قوله من مديحه قصيدة

وارغب بنفسك الا عن سرى وسرى * فالمجد اجمع بين الناس في الخرد
كدأب يحيى الذي احيت مواهبه * ميت الرجاء بانجاز المواعيد
معطي الصوارم والهيف النواعم والسجر دالصلادم والبزل الجلاعيد
اشم اشوس مضروب سرادقه * على اشم بفرع النجم معقود
اذا بدا بسرير الملك محتبيا * رأيت يوسف في محراب داود
من اسرة تحدوا المأذي لباسهم * واستوطنوا صهوات الضمر القود
محسدون على ان لا نظير لهم * وهل رأيت عظيما غير محسود
فان تكن بعمتكم اسرة كرمت * فليس في كل عود نفحة العود
أقول للراكب المزجي مطيته * يطوي بها الارض من بيد الى بيد
لا تطلب الماء عذبا في مشارعه * وتطلب الري في الصم الجلاميد
هذي موارد يحيى غير ناضبة * وذا الطريق اليها غير مسدود
حكم سيوفك فيما أنت طالبه * فللسيوف قضاء غير مردود

وله فيه غير ذلك ولما كان يوم الاربعاء وهو عيد النحر سنة تسع وخمسمائة توفي يحيى فجأة وذلك ان منجمه قال له يوما ان في تسييره ولدك في هذا النهار عليك عكسا فلا تركب فامتنع من الركوب وخرج أولاده ورجال دولته الى المصلى فلما انقضت الصلاة حضر رجال الدولة على ما جرت به العادة للسلام وقراءة القرآن وأنشد الشعراء وانصرفوا الى الايوان فأكل الناس وقام يحيى الى مجلس الطعام فلما وصل الى باب المجلس أشار الى جارية من حظاياه فاتكأ عليها فما خطا من باب البيت سوى ثلاث خطوات حتى وقع ميتا

وكان ولده على نائبه على سفاقس وهي بلدة من اعمال افريقية فاحضر وعقدت له الولاية ودفن يحيى فى القصر على ما جرت به العادة ثم نقل بعد سنة الى قصر السيدة بالمنستير وهى بلدة بافريقية أيضا وخلف ثلاثين ولدا ذكورا وأما على المذكور القائم مقام أبيه يحيى فان مولده بمدينة المهدية صبيحة يوم الاحد لخمس عشرة ليلة خلت من شهر صفر سنة سبع وتسعين وأربعمائة وكان أبوه قد ولاه سفاقس فلما مات أبوه اجتمع أعيان دولته على كتاب كتبوه عن أبيه اليه يأمره بالوصول اليه مسرعا فوصله الكتاب ليلا فخرج لوقته ومعه طائفة من امراء العرب وجد فى المسير فوصل الظهر من يوم الخميس الثانى من يوم العيد ودخل القصر ولم يقدم شيأ على تجهيز أبيه والصلاة عليه ودفنه وفى صبيحة يوم الجمعة ثالث عشر ذى الحجة جلس للناس فدخلوا عليه وسلموا بالامارة ثم ركب فى جيوشه وجموعه ثم عاد الى القصر وفى ايامه توجه أخوه أبو الفتوح بن يحيى الى الديار المصرية ومعه زوجته بلاره بنت القسم وولده العباس صغيرا على الثدى فوصل الى الاسكندرية فانزل وأكرم بأمر الآمر صاحب مصر يومئذ فاقام مدة يسيرة وتوفى فتزوجت زوجته بلاره بالعادل بن السلار واسمه على المقدم ذكره فى هذا الكتاب فى حرف العين وشب العباس وقدمه الحافظ صاحب مصر وولى الوزارة بعد العادل المذكور وذكر شيخنا ابن الاثير فى تاريخه فى حوادث سنة اثنين وخمسمائة حديث الثلاثة الذين جاؤا الى يحيى فى معنى الكيميا فقال كان مجيئهم فى هذه السنة وانهم لما وثبوا على يحيى وجرى فى فكرته قبل هذا صادف ذلك مجئ أبي الفتح المذكور وأصحابه الى القصر وعليهم السلاح فمنعوا من الدخول وثبت عند يحيى ان ذلك كان باتفاق بينهم فاخرج أبو الفتوح وزوجته وهى ابنة عمه الى قصر زياد ووكل بهما الى ان مات يحيى وملك ابنه على فسيرهما على البحر الى الديار المصرية فوصلا الى الاسكندرية انتهى كلامه ولم تزل أمور على بن يحيى جارية على السداد الى ان توفى يوم الثلاث لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة وخمسمائة ودفن فى القصر بعد أن فوض الامر من بعده الى ولده أبي يحيى الحسن بن على بن يحيى ومولد الحسن المذكور بمدينة سوسه فى رجب سنة اثنتين وخمسمائة فكان عمره يوم ولايته اثنتى عشرة سنة وتسعة أشهر ولما كان ثانى يوم وفاة أبيه خرج للناس فسلموا عليه وهنوه بما صار اليه ثم ركب والجيوش محتفة به وجرت فى ايامه وقائع وأمور يطول شرحها فمن ذلك ان زجار الفرنجى صاحب صقليه أخذ طرابلس الغرب عنوة بالسيف فى يوم الثلاثا سادس المحرم سنة احدى وأربعين وخمسمائة وقتل أهلها وسبى الحريم والاطفال وأخذ الاموال ثم شرع فى عمارتها وتحصينها بالرجال والعدد ثم أخذ المهدية يوم الاثنين ثانى عشر صفر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وذلك ان الحسن بن على لما علم بعجزه عن مقاومته خرج من المهدية هاربا وقد استصحب ما خف عليه حمله من النفائس وخرج أهل البلد أيضا هاربين الامن اقعده العجز عن الهرب

يدخل اليه الدرج وملكوه وصادروا ما فيه من الاموال والذخائر ما لا يعد ولا يحصى فكان عدة من ملك من أهل بيتهم وأولهم زيري المقدم ذكره في حرف الزاي الى هذا الحسن بن علي تسعة ملوك ومدة ولايتهم مائة سنة وثمان سنين وانقرضت دولة بني باديس ثم ان الحسن بن علي توجه نحو القلعة وهي قلعة حصينة بافريقية تجاور تونس وكان صاحبها أبو محفوظ محرز بن زياد أحد أمراء العرب فأقام عنده قليلا ثم ظهر له منه الضجر والسآمة فقصد الديار المصرية ليكون عند الحافظ العبيدي صاحبها ومنذ نمى خبره الى نائب رجار بالمهدية جعل عليه العيون وجعل عشرين شينيا ليمسكه في البحر فلما علم الحسن ذلك رجع عن هذا الرأي ثم قصد أن يتوجه الى جهة عبد المؤمن بن علي بمراكش وأنفذ ثلاثة من أولاده الى صاحب بجاية وهي آخر أعمال افريقية ليستأذنه في الوصول اليه وبعد ذلك يتوجه الى عبد المؤمن فاضمر له الغدر وخاف من اجتماعه بعبد المؤمن أن يتفقا على ما فيه ضرره فكتب اليه كتابا على يد أولاده يقول له لا حاجة لك في الرواح الى عبد المؤمن ونحن نعمل معك ما تصنع وأجزل له من المواعيد الحسنة فتوجه اليه فلما قرب من بجاية لم يخرج للقائه وعدل به الى الجزائر وهي بلدة فوق بجاية من جهة الغرب وأنزلوه بها في مكان لا يليق بمثله ورتبوا له من الاقامة ما لا يصلح لبعض أتباعه ومنعوه من التصرف وكان وصوله الى الجزائر في المحرم سنة أربع وأربعين وخمسمائة ثم ان عبد المؤمن فتح بجاية في سنة سبع وأربعين وهرب صاحبها الى القسطنطينية ثم ان رجار صاحب صقلية هلك في العشر الاخير من ذي الحجة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ولما هلك رجار ملك بعده ابنه غليم بن رجار وعليه قدم أبو الفتوح نصر الله ابن قلاقس الشاعر المقدم ذكره ومدحه وأجازه وذلك في سنة ثلاث وستين وخمسمائة ولما هلك غليم ملكت ابنته وهي ام الانبرور ملك المانيه في زماننا ثم هلكت أم الانبرور وخلفته صغيرا فلما استقر ملكه كان عاقلا فاضلا وبينه وبين الملك الكامل صاحب مصر مراسلات وغيرها ثم ان عبد المؤمن وصل الى المهدية وملكها بعد جهد جهيد وكان دخوله اليها بكرة يوم عاشوراء سنة خمس وخمسين وخمسمائة وولى بها نائبا وكان الحسن بن علي قد وصل صحبته فرتبه مع النائب لتدبير أمورها لكونه عارفا بأحوالها وأقطعه بها ضيعتين وأعطاه دورا سكنها هو وأولاده وأتباعه ولم أقف على تاريخ وفاة الحسن بن علي المذكور ثم قتل محرز بن زياد المذكور في وقعة سطيف يوم الخميس في العشر الاوسط من ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وخمسمائة وهذا الحسن بن علي هو الذي صنف له أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت كتاب الحديقة

أبو الفضل يحيى بن خالد بن برمك وزير هارون الرشيد

البرمكي

وقد تقدم ذكر ولديه الفضل وجعفر كل واحد منهما في بابه وكان جدهم برمك من مجوس بلخ وكان يخدم النوبهار وهو معبد كان للمجوس بمدينة بلخ وقد قيل

النيران واشتهر برمك المذكور وبنوه بسدانته وكان برمك عظيم المقدار عندهم ولم أعلم هل اسلم أم لا وساد ابنه خالد وتقدم فى الدولة العباسية وتولى الوزارة لابى العباس بعد ابى سلمة حفص الخلال المقدم ذكره وقد ذكرته فى ترجمة جعفر وذكرت هناك تاريخ وفاته وقال أبو الحسن المسعودى فى كتاب مروج الذهب لم يبلغ مبلغ خالد بن برمك أحد من ولده فى جوده ورأيه وباسه وعلمه وجميع خلاله لايحيى فى رأيه ووفور عقله ولا الفضل ابن يحيى فى جوده ونزاهته ولا جعفر بن يحيى فى كتابته وفصاحة لسانه ولا محمد بن يحيى فى سروره وبعد همته ولا موسى بن يحيى فى شجاعته وبأسه ولما بعث أبو مسلم الخراسانى قحطبة بن شبيب الطائى لمحاربة يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى عامل مروان بن محمد على العراقين وكان خالد بن برمك فى جملة من كان معه فنزلوا فى طريقهم فبينماهم على سطح بعض دورها يتغدون اذ نظروا الى الصحراء وقد أقبلت منها اقاطيع الوحش من الظباء وغيرها حتى كادت تخالط العسكر فقال خالد لقحطبة أيها الامير ناد فى الناس وأمرهم ان يسرجوا ويلجموا قبل ان تهجم عليهم الخيل فقام قحطبة مذعورا فلم ير شيأ يروعه فقال ياخالد ما هذا الرأى فقال قد نهز اليك العدو أماترى اقاطيع الوحش قد اقبلت ان وراءها لجمعا كثيفا فماركبوا حتى رأوا الغبار ولولا خالد لهلكوا وأما يحيى فانه كان من النبل والعقل وجميع الخلال على اكمل حال وكان المهدى بن أبى جعفر المنصور قدضم اليه ولده هارون الرشيد وجعله فى حجره فلما استخلف هارون عرف له حقه وقال له ياأبت أنت أجلستنى فى هذا المجلس ببركتك ويمنك وحسن تدبيرك وقد قلدتك الامر ودفع له خاتمه وفى ذلك يقول الموصلى وأظنه ابراهيم النديم أوابنه اسحاق

ألم تر أن الشمس كانت سقيمة * فلماولى هارون أشرق نورها

بيمن أمين الله هارون ذى الندى * فهارون واليها ويحيى وزيرها

وكان يعظمه واذا ذكره قال أبى وجعل اصدار الامور وايرادها اليه الى ان نكب البرامكة فغضب عليه وخلده فى الحبس الى ان مات فيه وقتل ابنه جعفر حسبما تقدم فى ترجمته وكان من العقلاء الكرماء البلغاء ومن كلامه ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها الهدية والكتاب والرسول وكان يقول لولده اكتبوا أحسن ماتسمعون واحفظوا أحسن ماتكتبون وتحدثوا بأحسن ماتحفظون وكان يقول الدنيا دول والمال عارية ولنا فيمن قبلنا اسوة ولمن بعدنا عبرة وقال الفضل بن مروان المقدم ذكره سمعت يحيى بن خالد يقول من لم أحسن اليه فانا مخير فيه ومن أحسنت اليه فانا مرتهن به وقال القاضى يحيى بن أكثم سمعت المأمون يقول لم يكن كيحيى ابن خالد وكولده أحد فى الكفاية والبلاغة والجودة والشجاعة ولقد صدق القائل حيث يقول

أولاد يحيى أربع * كاربع الطبائع
فهم اذا اختبرتهم * طبائع الصنائع

قال القاضي فقلت له يا أمير المؤمنين اما الكتابة والبلاغة والسماحة فنعرفها فيهم فن من الشجاعة فقال في موسى بن يحيى وقد رأيت ان اوليه ثغر السند وقال اسحاق بن ابراهيم النديم الموصلي المتقدم ذكره حدثني أبي قال أتيت يحيى بن خالد بن برمك فشكوت اليه ضيقة فقال ويحك ما اصنع بك ليس عندنا في هذا الوقت شئ ولكن ههنا امر أدلك عليه فكن فيه رجلا قد جاءني خليفة صاحب مصر يسألني أن أستهدي صاحبه شيأ وقد أبيت ذلك عليه فألح علي وقد بلغني انك قد أعطيت بجاريتك فلانة ثلاثة آلاف دينار فهو اذا استهديته اياها واخبره انها قد أعجبتني فاياك ان تنقصها من ثلاثين ألف دينار وانظر كيف تكون قال فوالله ماشعرت الا بالرجل وافاني فساومني بالجارية فقلت له لا انقصها من ثلاثين ألف دينار فلم يزل يساومني حتى بذل لي عشرين ألف دينار فلما سمعتها ضعف قلبي عن ردها فبعتها وقبضت العشرين ألفا ثم صرت الى يحيى بن خالد فقال لي كيف صنعت في بيعك الجارية فأخبرته وقلت والله ما ملكت نفسي ان أجبت الى العشرين ألفا حين سمعتها فقال انك لخسيس خذ جاريتك بارك الله لك فيها وهذا خليفة صاحب فارس قد جاءني في مثل هذا فاذا ساومك بها فلا تنقصها من خمسين ألف دينار فانه لابدان يشتريها منك بذلك فجاءني الرجل فاستمت عليه خمسين ألف دينار فلم يزل يساومني حتى أعطاني ثلاثين ألف دينار فضعف قلبي عن ردها ولم اصدق بها فاوجبتها له ثم صرت الى يحيى بن خالد فقال لي بكم بعت الجارية فاخبرته فقال ويحك الم تؤدبك الاولى عن الثانية قال فقلت والله ضعفت عن رد شئ لم اطمع فيه قال فقال هذه الجارية جاريتك خذها اليك قال فقلت جارية افدت بها خمسين ألف دينار ثم املكها أشهدك انها حرة واني قد تزوجتها هكذا رأيت الحكاية ثم نظرت في كتاب اخبار الوزراء تأليف الجهشياري فقال ان يحيى قال لابراهيم الموصلي لا تقبل أقل من مائة ألف دينار وانه باعها بثلاثين ألف دينار وقال الاصمعي دخلت على يحيى يوما فقال يا أصمعي هل لك زوجة فقلت لا فقال فجارية قلت خادمة فأمر باخراج جارية في غاية الحسن والجمال والظرف فقال لها قد وهبتك لهذا وقال يا أصمعي خذها لك وشكرته ودعوت له فلما رأت الجارية ذلك بكت وقالت ياسيدي تدفعني الى هذا اما ترى من سماجته وقبحه فقال لي هل لك ان اعوضك عنها الفي دينار ودخلت الجارية الى داره فقال لي انكرت على هذه الجارية أمرا فاردت ان اعاقبها ثم رحمتها فقلت له هلا أعلمتني حتى كنت لحقت على صورتي الاصلية من غير أن أسرح لحيتي واصلح عمتي وانطيب واتجمل فضحك وأمر لي بألف دينار أخرى (وحكى) اسحاق النديم أيضا قال كانت صلات يحيى بن خالد اذا ركب لمن تعرض له مائتي درهم فركب ذات يوم فتعرض له

أديب شاعر وأنشده

ياسمي الحصور يحيى أتيحت * لك من فضل ربنا جنتان
كل من مر في الطريق عليكم * فله من نوالكم ما تشان
ما تشاد رهم لمثلى قليل * هي منكم للقابس العجلان

قال له يحيى صدقت وأمر بحمله الى داره فلما رجع من دار الخلافة سأله عن حاله فذكر انه تزوج وقد أخذ بواحدة من ثلاث اما ان يؤدى المهر وهو أربعة آلاف واما ان يطلق واما ان يقيم جاريا للمرأة يكفيها الى ان يتهيأ له نقلها فأمر له يحيى بأربعة آلاف للمهر وبأربعة آلاف لثمن منزل وبأربعة آلاف لما يحتاج اليه المنزل وبأربعة آلاف للبنية وأربعة آلاف يستظهر بها فأخذ عشرين ألفا وانصرف وقال محمد بن منادر الشاعر حج هارون الرشيد ومعه ابناه الامين محمد والمأمون عبد الله وحج معه يحيى بن خالد وابناه الفضل وجعفر فلما صاروا بالمدينة جلس الرشيد ومعه يحيى بن خالد فاعطى الناس عطاءهم ثم جلس الامين ومعه الفضل فأعطاهم العطاء وكان أهل المدينة يسمون ذلك العام عام الاعطية الثلاثة ولم يروا مثل ذلك قط فقلت في ذلك

اتانا بنو الاملاك من أرض برمك * فياطيب اخبار وياحسن منظر
لهم رحلة في كل عام الى العدى * وأخرى الى البيت العتيق المعطر
اذا نزلوا بطحاء مكة أشرقت * بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
فتظلم بغداد وتجلو لنا الدجى * بمكة ما حجوا ثلاثة اقمر
فما خلقت الا لجود أكفهم * وأقدامهم الا لاعواد منبر

وذكر الخطيب في تاريخ بغداد في ترجمة أبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي انه قال كنت حناطا بالمدينة في يدى مائة ألف درهم للناس اضارب بها فتلفت الدراهم فشخصت الى العراق فقصدت يحيى بن خالد فجلست في دهليزه وأنست بالخدم والحجاب وسألتهم ان يوصلوني اليه فقالوا اذا قدم الطعام اليه لم يحجب عنه أحد ونحن ندخلك عليه ذلك الوقت فلما حضر طعامه ادخلوني فاجلسوني معه على المائدة فسألني من أنت وما قصتك فأخبرته فلما رفع الطعام وغسلنا أيدينا دنوت منه لاقبل رأسه فاشمأز من ذلك فلما صرت الى الموضع الذى يركب منه لحقني خادم معه كيس فيه ألف دينار فقال الوزير يقرأ عليك السلام ويقول لك استعن بهذا على أمرك وعد الينا في اليوم الثاني فأخذته وانصرفت وعدت في اليوم الثاني فجلست معه على المائدة فانشأ يسألني كما سألني في اليوم الاول فلما رفع الطعام دنوت منه لاقبل رأسه فاشمأز مني فلما صرت الى الموضع الذى يركب منه لحقني خادم معه كيس فيه ألف دينار فقال لي الوزير يقرأ عليك السلام ويقول لك استعن بهذا على أمرك وعد الينا في غد فأخذته وانصرفت فعدت في اليوم الثالث كما امر فاعطيت مثل ذلك الذى أعطيت في الاول والثاني فلما كان

فى اليوم الرابع اعطيت كما أعطيت قبل ذلك وتركنى بعد ذلك أقبل رأسه وقال اعا منعتك ذلك لانه لم يكن وصل اليك من معروفى ما يوجب هذا فالآن قد لحقك بعض النفع منى يا غلام أعطه الدار العلانية يا غلام افرش له الفرش العلانى يا غلام أعطه مائتى ألف درهم يقضى دينه بمائة ألف ويصلح شانه بمائة ألف ثم قال لى الزمنى وكن فى دارى فقلت أعز الله الوزير لو اذنت لى بالشخوص الى المدينة لأقضى الناس أموالهم ثم أعود الى حضرتك كان ذلك ارفق بى قال قد فعلت وأمر بتجهيزى فشخصت الى المدينة فقضيت دينى ثم رجعت اليه فلم أزل فى ناحيته ودخل عليه يوما أبو قابوس الحيرى وأنشده

رأيت يحيى أتم الله نعمته * عليه يؤتى الذى لم يؤته أحد

ينسى الذى كان من معروفه ابدا * الى الرجال ولا ينسى الذى يعد

فقضى حوائجه ووصله بجملة من المال قلت قد عمل هذا البيت الثانى شرف الدوله مسلم ابن قريش وقد قال له رجل لا تنس أيها الامير حاجتى فقال اذا قضيتها أنسيتها ولمسلم بن الوليد الانصارى فى يحيى بن خالد

أجدك هل تدرين ان رب ليلة * كأن دجاها من قرونك ينشر

صبرت لها حتى تجلت بغرة * كغرة يحيى حين يذكر جعفر

وكان يحيى يقول اذا أقبلت الدنيا فانفق فانها لا تفنى واذا ادبرت فأنفق فانها لا تبقى وقال ذكر النعمة من المنعم تكدير ونسيان المنعم عليه كفر وتقصير وقال النية الحسنة مع العذر الصادق يقومان مقام النجح وقال اذا ادبر الامر كان العطب فى الحيلة وقال الحسن بن سهل المقدم ذكره من غيرته الولاية لاخوانه علمنا ان الولاية أكبر منه أخذنا ذلك عن صاحب ديوان المكارم أبى على يحيى بن خالد بن برمك وكان ليحيى كاتب يختص بخدمته ويقرب من حضرته فعزم على ختان ولده فاحتفل له الناس على طبقاتهم وهادانا اعيان الدولة ووجوه الكتاب والرؤساء على اختلاف منازلهم وكان له صديق قد اختلت أحواله وضاقت يده عما يريده لذلك مما دخل فيه غيره فعمد الى كيسين كبيرين نظيفين فجعل فى احدهما ملحا وفى الآخر اشنانا مطيبا وكتب معهما رقعة نسختها الوقت الارادة لأسعفت بالعادة ولو ساعدت المكنة على بلوغ الهمة لاتبعت السابقين الى برك وتقدمت المجتهدين فى كرامتك لكن قعدت القدرة عن النعمة وقصرت الجدة عن مباراة أهل النعمة وخفت ان تطوى صحائف البر وليس لى فيها ذكر فانفذت المبتدأ بيمنه وبركته والمختتم بطيبه ونظافته صابرا على الم التقصير ومتجرعا غصص الاقتصار على اليسير فاما ما لم أجد اليه السبيل فى قضاء حقك فالقائم فيه بعذرى قول الله عز وجل ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج والسلام فلما حضر يحيى بن خالد الولية عرض عليه كاتبه الهدايا جميعها حتى

الكيسين والرقعة فاستنظر فيها وأمر ان يملأ الكيسان مالا ويرد اعليه فكان ذلك أربعة آلاف دينار وقال رجل ليحيى والله لانت أحلم من الاحنف بن قيس فقال له ما يقرب الى من أعطاني فوق حقي ونادى اسحاق بن ابراهيم الموصلي أحد غلمانه فلم يجبه فقال سمعت يحيى بن خالد يقول مما يدل على حلم الرجل سوء ادب غلمانه وكان يحيى يساير الرشيد يوما فوقف له رجل فقال يا أمير المؤمنين عطبت دابتي فقال الرشيد يعطى خمسمائة درهم فغمزه يحيى فلما نزلوا قال له الرشيد يا أبت اومأت الى بشيء ولم أعرفه فقال مثلك لا يجرى هذا القدر على لسانه انما يذكر مثلك خمسة آلاف ألف عشرة آلاف ألف فقال اذا استئلت مثل هذا كيف أقول فقال تقول يشترى له دابة وبالجملة فان اخبارهم كثيرة لا يحتمل هذا المختصر الاطالة أكثر من هذا ولما قتل هارون الرشيد جعفر بن يحيى البرمكي كما ذكرناه في حرف الجيم من هذا الكتاب نكب البرامكة وحبس يحيى وابنه الفضل كما ذكرناه في حرف الفاء من هذا الكتاب وكان حبسهما في الرافقة وهي الرقة القديمة مجاورة الرقة الجديدة وهي البلدة المشهورة الآن على شاطئ الفرات ويقال لهما الرقتان تغليبا لاحد الاسمين على الآخر كما قيل العمران والقمران وغير ذلك (وحكى) الجهشياري في كتاب أخبار الوزراء ان يحيى بن خالد اشتهى في وقت من الاوقات في محبسه وهو مضيق عليه سكباجة فلم يطلق له اتخاذها الا بمشقة فلما فرغ منها سقطت القدر من يد المتخذ لها فانكسرت فانشد يحيى أبياتا يخاطب بها الدنيا ومضمونها اليأس وقطع الاطماع ولم يزل يحيى في حبس الرافقة الى ان مات في الثالث من المحرم سنة تسعين ومائة فجأة من غير علة وهو ابن سبعين سنة وقيل أربع وسبعين وصلى عليه ابنه الفضل ودفن في شاطئ الفرات في ربض هرثمة ووجد في جيبه رقعة فيها مكتوب بخطه قد تقدم الخصم والمدعى عليه في الاثر والقاضي هو الحكم العدل الذي لا يجور ولا يحتاج الى بينة فحملت الرقعة الى الرشيد فلم يزل يبكي يومه كله وبقي أياما يتبين الاسى في وجهه رحمهما الله تعالى وكان يحيى يجري على سفيان الثوري رضي الله عنه في كل شهر ألف درهم وكان سفيان يقول في سجوده اللهم ان يحيى كفاني أمر دنياي فاكفه أمر آخرته فلما مات يحيى رآه بعض اخوانه في النوم فقال له ما صنع الله بك قال غفر لي بدعاء سفيان وقيل ان صاحب هذه القضية هو سفيان بن عيينة لا سفيان الثوري والله تعالى أعلم قال الجهشياري ندم الرشيد على ما كان منه في أمر البرامكة وتحسر على ما فرط منه في أمرهم ويخاطب جماعة من اخوانه بأنه لو وثق منهم بصفاء النية لاعادهم الى حالهم وكان الرشيد كثيرا ما يقول حملونا على قصدائنا وكفاتنا وأوهمونا أنهم يقومون مقامهم فلما صرنا الى ما أرادوا لم يغنوا عنا وأنشد

أقلوا عليهم لا أبا لابيكمو * من اللوم او سدوا المكان الذي سدوا

قلت هذا البيت للحطيئة الشاعر وبعده

أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنى * وان عاهدوا وفوا وان عقدوا اشدوا

قلت وذكر الزمخشري في كتاب ربيع الابرار ما مثاله انه وجد تحت فراش يحيى بن خالد البرمكي رقعة فيها مكتوب

وحق الله ان الظلم لؤم * وان الظلم مرتعه وخيم
الى ديان يوم الدين نمضي * وعند الله تجتمع الخصوم

أبو المظفر الوزير عون الدين يحيى بن محمد بن هبيرة بن محمد بن هبيرة بن سعد ابن الحسين بن أحمد بن الحسن بن جهم بن عمرو بن هبيرة ابن علوان بن الحوفزان

وهو الحرث بن شريك بن عمرو بن قيس بن شرحبيل بن مرة بن همام بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن افصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان الشيباني الملقب عون الدين هكذا ساق نسبه جماعة منهم ابن الدبيثي في تاريخه وابن القادسي في كتاب الوزراء وغيرهما وانما أخرج له هذا النسب بعد سنين من وزارته وذكره الشعراء في مدائحهم وهو من قرية من بلاد العراق تعرف بقرية بني اوقر بالقاف من اعمال دجيل وهي دور عرمانيا بالعين المهملة والياء المثناة من تحت وتعرف الآن بدور الوزير نسبة اليه وكان والده من اجنادها ودخل بغداد في صباه واشتغل بالعلم وجالس الفقهاء والادباء وكان على مذهب الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وسمع الحديث وحصل من كل فن طرفا وقرأ الكتاب العزيز وختمه بالقراآت والروايات وقرأ النحو واطلع على أيام العرب واحوال الناس ولازم الكتابة وحفظ ألفاظ البلغاء وتعلم صناعة الانشاء وكانت قراءته الادب على أبي منصور بن الجواليقي وتفقه على أبي الحسين محمد بن محمد الفراء وصحب الشيخ أبا عبد الله محمد بن يحيى بن علي بن مسلم بن موسى بن عمران الزبيدي الواعظ وسمع الحديث النبوي من أبي عثمان اسماعيل بن محمد بن قيلة الاصبهاني ومن أبي القسم هبة الله بن محمد بن الحسين الكاتب ومن بعدهما وحدث عن الامام المقتفي لامر الله أمير المؤمنين وعن غيره وسمع منه خلق كثير منهم الحافظ أبو الفرج بن الجوزي وأول ولايته الاشراف بالاقرحة الغربية ثم نقل الى الاشراف على الاقامات المخزنية ثم قلد الاشراف بالمخزن ولم يزل في ذلك مكنه حتى قلد في سنة اثنين وأربعين كتابة ديوان الزمام ثم ترقى الى الوزارة وكان سبب توليته الوزارة على ما حكاه الذي جمع سيرته انه قال من جملة ما رفع قدر الوزير ونقله الى الوزارة ما جرى من مسعود البلالي شحنة بغداد نيابة عن السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي وكان مسعود أحد الخدم الحبشيين الكبار من امراء دولته من سوء أدبه في الحضرة وخروجه عن معتاد الواجب وانتشار مفسدي أصحابه وكان وزير الخليفة اذ ذاك قوام الدين أبو القسم

علي بن صدقة بن علي بن صدقة قد كتب عن الخليفة الى السلطان مسعود عدة كتب يستمد الانكار على مسعود البلالى على ماصدر منه فلم يرجع بجواب فلما قلد عون الدين ابن هبيرة كتابة ديوان الزمام خاطب الخليفة فى مكاتبة السلطان مسعود بالقضية فوقع اليه قد كان الوزير كتب فى ذلك عدة كتب فلم يجيبوه فراجع عون الدين فى ذلك سؤاله الى ان أجيب فكتب من انشائه رسالة وهى طويلة فاضربت عن ذكرها وحاصل الامر فيها انه دعا له واذكره ما كان اسلافه يعاملون الخلفاء به من حسن الطاعة والتأدب معهم والذب عنهم عمن يعتاب عليهم وشكا من مسعود البلالى وانه كاتب فى ذلك عدة دفعات وماجاءه جواب وأطال القول فى ذلك وكان هذا فى سنة اثنين وأربعين وخمسمائة فى شهر ربيع الآخر فامضى على هذا الاقليل حتى عاد الجواب بالاعتذار والذم لمسعود البلالى والانكار لما اعتمده فاستبشر المقتفى باشارة عون الدين وعظم سروره بذلك وحسن موقع عون الدين من قلبه ولم يزل عنده مكينا حتى استوزره وقال مصنف السيرة وكان أيضا من جملة أسباب وزارته انه فى سنة ثلاث وأربعين وصل الى بغداد الامير البتنش المسعودى صاحب اللحف وهو صقع بالعراق ويذكر السلطانى وقصداها فى جوع كثيرة وصدر منهم فتن عظيمة تضمنتها التواريخ فشرع الوزير قوام الدين بن صدقة فى تدبير الحال فأخفق مسعاه فحينئذ استأذن عون الدين الخليفة فى أمرهم فأذن له فى ذلك فخاطب هؤلاء الخارجين على الخليفة وأحسن التدبير فى ذلك حتى كف شرهم ثم قوى عليهم حتى نهبت العامة أموالهم وجرت المقادير بهذه الاحوال لرفع ابن هبيرة ووضع الوزير ابن صدقة فانه عند انقضاء هذا المهم استدعى الخليفة المقتفى عون الدين بمطالعة على يد أميرين من أمراء الدولة فتبين بقراءته لها التباشر فى أسرته فركب الى دار الخليفة فى جماعته وتسامع الناس بوزارته ولما وصل الى باب الحجرة استدعى فدخل وقد جلس له المقتفى بمثمنة التاج فقبل الارض وسلم وتحدثا ساعة بما لم يحط به غيرهما علما ثم خرج وقد جهزواله التشريف على عادة الوزراء فلبسه ثم استدعى ثانيا فقبل الارض ودعا بدعاء أعجب الخليفة ثم أنشده

ساشكر عمرا ماتراخت منيتى * ايادى لم تمنن وان هى جلت

رأى خلتى من حيث يخفى مكانها * فكانت بمرأى منه حتى تجلت

قلت وهذان البيتان لابراهيم بن العباس الصولى المقدم ذكره وهى ثلاثة أبيات والثانى منهما بعد الاول

فتى غير محجوب الغنى عن صديقه * ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت

ولما أنشد عون الدين هذين البيتين غير نصف البيت الثانى منهما فان الشاعر قال

(فكانت قذى عينيه حتى تجلت) فرأى انه يخاطب الخليفة بهذه العبارة فغيره تأدبا ثم ان عون الدين خرج فقدم له حصان أدهم سائل الغرة محجل وعليه

راجع فى ٢٠٥

قوله ماتراخت الزبير البا١٠١٨

من الحلي ما جرت به عادتهم مع الوزراء والشرح في ذلك يطول فاختصرته ومشى بين
يديه أرباب المناصب وأعيان الدولة وأمراء الحضرة وجميع خدام الخلافة وسائر حجاب
الديوان والطبول تضرب أمامه والمسند وراءه محمول على عادتهم في ذلك حتى دخل
الديوان ونزل على طرف الديوان وجلس في الدست وقام لقراءة عهده الشيخ سديد
الدولة أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الانباري ولولا خوف الاطالة لذكرت العهد
فانه بديع في بابه لكن قصدي الاقتصار فاعرضت عن ذكره وهو مشهور في أيدي الناس
فلما فرغ من قراءته قرأ القراء وأنشد الشعراء وتولى الوزارة يوم الاربعاء ثالث
عشر ربيع الآخر من سنة أربع وأربعين وخمسمائة وكان لقبه جلال الدين فلما ولي
الوزارة لقبوه عون الدين وكان عالما فاضلا ذا رأي صائب وسريرة صالحة وظهر
منه في أيام ولايته ما شهد له بكفايته وحسن مناصحته فشكر له ذلك ولحظ بعين الرعاية
وتوفرت له أسباب السعادة وكان مكرما لاهل العلم يحضر مجلسه الفضلاء على اختلاف
فنونهم ويقرأ عنده الحديث عليه وعلى الشيوخ بحضوره ويجري من البحث والفوائد
ما يكثر ذكره وصنف كتبا منها كتاب الافصاح عن شرح معاني الصحاح وهو يشتمل
على تسعة عشر كتابا شرح الجمع بين الصحيحين وكشف عما فيه من الحكم النبوية
وكتاب المقتصد بكسر الصاد المهملة وشرحه أبو محمد بن الخشاب النحوي المشهور
في أربع مجلدات شرحا مستوفيا واختصر كتاب اصلاح المنطق لابن السكيت وله كتاب
العبادات في الفقه على مذهب الامام أحمد وارجوزة في المقصور والممدود وارجوزة
في علم الخط وغير ذلك وذكر شيخنا عز الدين أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن الاثير
الجزري في تاريخه الصغير الاتابكي في فصل حصار الملك محمد وزين الدين بغداد وذلك
في ذي القعدة من سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة أن المقتفي لامر الله جد في حفظ بغداد
وقام وزيره عون الدين بن هبيرة في هذا الامر المقام الذي يعجز عنه غيره قال وأمر المقتفي
فنودي ببغداد من جرح وقت القتال فله خمسة دنانير فكان كل من جرح يوصل ذلك
اليه فحضر بعض العامة عند الوزير مجروحا فقال الوزير هذا جرح صغير لا يستحق
عليه شيئا فعاد الى القتال فضرب في جوفه فخرجت امعاؤه فعاد الى الوزير فقال
يا مولانا الوزير يرضيك هذا فضحك منه وأمر له بصلة وأحضر له من يعالجه انتهى كلام ابن
الاثير قلت وهذا محمد هو ابن محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي وزين الدين هو
أبو الحسن علي بن بكتكين المعروف بكجك والد مظفر الدين صاحب اربل وقال غير ابن
الاثير ان الملك اسمه محمد شاه وان هذه القضية كانت في سنة اثنتين وخمسين والله أعلم ذكر
ذلك ابن الجوزي في كتاب شذور العقود وهو أخبر لانها بلده وهو بها وقد ذكرت
محمد شاه في ترجمة أبيه وتوفي الامام المقتفي لامر الله أبو عبد الله محمد بن المستظهر ليلة
الاحد ثاني ربيع الاول سنة خمس وخمسين وخمسمائة وبويع ولده المستنجد بالله

ابو

أبو المظفر يوسف فدخل عليه وبايعه وأقره على وزارته واكرمه وكان شانئا منه ان يعزله فلم يعزله ولم يتعرض له ولم يزل مستمرا فى وزارته الى حين وفاته ومدحه جماعة من اماثل شعراء عصره منهم أبو الفوارس سعد بن محمد المعروف بابن صيفى الملقب حيص بيص المتقدم ذكره وله فيه مدائح منتخبة فمن ذلك قوله

يهز حديث الجود ساكن عطفه * كما هز شرب الحى صهباء قرقف
ويرسو اذا طاشت حبا القوم واغتدت * صعاب الذرى من زعزع الخطب ترجف
صروم الدنايا هاجر كل سبة * ولكنه بالمجد صب مكلف
يضيق بادنى العار ذرعا وصدره * بأهوال ما يدنى من الجد نفنف
اذا قيل عون الدين يحيى تألق الـ * غمام وماس السمهرى المثقف

وكانت عوائدهم فى بغداد فى شهر رمضان ان الاعيان يحضرون سماط الخليفة عند الوزير وهم يسمون السماط الطبق وكان الحيص بيص من جملة من يحضر الطبق وكانت نفسه أبيه وهمته عربيه واذا أحضروا الطبق تخطاه وقعد فوقه من أرباب المراتب جماعة ليس فيهم فضل فيجد فى نفسه لذلك مشقة عظيمة فكتب الى الوزير عون الدين يستعفيه من الحضور

ياباذل المال فى عدم وفى سعة * ومطعم الزاد فى صبح وفى غسق
وحاشر الناس أغنتهم فواضله * الى مزيد من النعماء مندفق
فى كل بيت خوان من مكارمه * يميرهم وهو يدعوهم الى الطبق
فاض النوال فلولا خوف منعمه * من بأس عدلك نادى الناس بالغرق
وكل أرض بها صوب وساكبه * حتى الوغى من نجيع الخيل والفرق
صن منكبى عن زحام ان غضبت له * تمكن الطعن من عرضى ومن خلقى
فان رضيت به فالذل منقصة * فكم تكلفته حلا فلم أطق
انا المريض باحداث وسورتها * وليس غيرا باءى حافظ رمقى
وهبه لى كعطاياك التى كثرت * فالجود بالعز فوق الجود بالورق
ان اصفرار محيا الشمس من حزن * على علاها لمرماها الى الافق
وان توهم قوم انه حمق * فربما اشتبه التوقير بالحمق

واهدى الى الوزير عون الدين دواة بلور مرصعة بمرجان وفى مجلسه جماعة منهم الحيص بيص فقال الوزير يحسن ان يقال فى هذه الدواة شئ من الشعر فقال بعض الحاضرين وكان ضريرا ولم اقف على اسمه

ألين لداود الحديد كرامة * يقدره فى السرد كيف يريد
ولان لك البلور وهى حجارة * ومعطفه صعب المرام شديد

فقال الحيص بيص انما وصفت صانع الدواة ولم تصفها فقال الوزير من غير فقال

المبيض يبض

صبغت دواتك من يوميك فاشتبها * على الانام بياور ومرجان

فيوم سلمك مبيض بفيض ندى * ويوم حربك قان بالدم القانى

ثم وجدت البيتين الاولين فى كتاب الجنان تأليف القاضى الرشيد أحمد بن الزبير الغسانى المذكور فى أوائل هذا الكتاب وفيهما الى القاضى الرشيد أحمد بن قاسم الصقلى قاضى مصر (وذكر) انه دخل على الافضل شاهان شاه أمير الجيوش بمصر وقد تقدم ذكره أيضا فرأى بين يديه دواة من عاج محلاة بمرجان فقال بديها

ألين لداود الحديد كرامة * يقدره فى السرد كيف يريد

ولان لك المرجان وهو حجارة * على انه صعب المرام شديد

ومدحه أبو عبد الله محمد بن بختيار المعروف بالابله الشاعر المقدم ذكره بقصائد عديدة منها وهى أحسنها فلهذا ذكرتها وهى

ولع النسيم وبانة الجرعا * وصفائك الاطلال والردعا

يادمية ضاقت خلاخلها * عنها وضقت بحبها ذرعا

قد كنت ذا دمع وذا جلد * فبقيت لا جلدا ولا دمعا

صيرت جسمى للضنى سكنا * وسكنت بعد تبالة الجرعا

يامن رأى ادماء سانحة * قلبى لها لا المعنى مرعى

لانت بمثل الغصن مئزرها * وحكت بعود أراكة طلعا

واذا تراجعك الكلام فلا * تعتز لايام الصبا رجعى

ولقد سعت بالكاس يحملنى * سكر اللواحظ وعنة المسعى

فى مستنير الزهر ما صنعت * ايراده عدن ولا صنعا

باكرت مترعا نراه وما * ركب الحمام لبانة فرعا

سلت عليه البارقات ظبا * لبس الغدير لخوفها درعا

ياعاذلى ان شئت تسمعنى * عذلا فتق لعذرة سمعا

طبعا جبلت على الغرام كما * جبل الوزير على الندى طبعا

وخرج بعد هذا الى المديح فاضربت عنه ولولا خوف الاطالة لذكرته ومدحه أبو الفتح محمد بن عبد الله سبط ابن التعاويذى المقدم ذكره بقصيدة واحدة وهى

سقاها الحيا من أربع وطلول * حكت دنفى من بعدهم ونحولى

نعمت لها أجفان عين قريحة * من الدمع مدرار الشؤن همول

لئن حال رسم الدار عما عهدته * فعهد الهوى فى القلب غير محيل

خليلى قد هاج الغرام وشاقنى * سنا بارق بالابرقين كليل

ووكل طرفى بالسهاد لسارى * قضاء ملىء بالديون مطول

اذا قلت قد أنحلت جسمي صبابة * تقول وهل حب بغير نحول
وان قلت دمعي بالاسى فيك شاهدي * تقول شهود الدمع غير عدول
فلا تعذلاني ان بكيت صبابة * على ناقض عهد الوفاء ملول
فأبرح ما يلي به الصب في الهوى * ملال حبيب ام ملام عذول
ودون الكثيب الفرد بيض عقائل * لعبن بألباب لنا وعقول
غداة النقب الحاظها وقلوبنا * فلم تجل الا عن دم وقتيل
ألا حبذا وادي الاراك وقد وشت * بريالك ريحا شمأل وقبول
وفي أبرديه كلما اعتلت الصبا * شفاء فؤاد بالغرام عليل
دعوت سلوا فيك غير مساعدي * وحاولت صبرا عنك غير جميل
تعرفت أسباب الهوى وحملته * على كاهل للنائبات حمول
فلم احظ في حب الغواني بطائل * سوى رعي ليل بالغرام طويل

ومنها

الى كم تمنيني الليالي بماجد * رزين وقار الحلم غير عجول
أهز اختيالا في هواه معاطفي * واسحب تيها في ثراه ذيولي
لقد طال عهدي بالنوال وانني * لصب الى تقبيل كف منيل
وان يدي يحيى الوزير لكافل * بمالي وعون الدين خير كفيل

وكان عون الدين كثيرا ما ينشد

ما ناصحتك خبايا الود من أحد * مالم ينلك بمكروه من العذل
مودتي لك تأبى ان تسامحني * بأن أراك على شيء من الزلل

وذكر الشيخ شمس الدين أبو المظفر يوسف بن فرغلي بن عبد الله سبط الشيخ جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي في تاريخه الذي سماه مرآة الزمان ورأيته بدمشق في أربعين مجلدا وجميعه بخطه وكان أبوه فرغلي مملوك عون الدين بن هبيرة المذكور وزوجه بنت الشيخ جمال الدين أبي الفرج المذكور فأولدها شمس الدين فولاؤه له أنه سمع مشايخه ببغداد يحكون ان عون الدين قال كان سبب ولايتي المخزن انني ضاق ما بيدي حتى فقدت القوت اياما فاشار علي بعض أهلي أن امضي الى قبر معروف الكرخي رضي الله عنه فاسأل الله تعالى عنده فان الدعاء عنده مستجاب قال فاتيت قبر معروف فصليت عنده ودعوت ثم خرجت لاقصد البلد يعني بغداد فاجتزت بقطفاء وقلت وهي محلة من محال بغداد قال فرأيت مسجدا مهجورا فدخلت لاصلي فيه ركعتين واذا أنا بمريض ملقى على بارية فقعدت عند رأسه وقلت ما تشتهي فقال سفرجلة قال فخرجت الى بقال هناك فرهنت عنده مئزري على سفرجلتين وتفاحة وأتيته بذلك فاكل من السفرجلة ثم قال أغلق باب المسجد فاغلقته فتنحى عن البارية وقال احفر ههنا فحفرت واذا بكوز فقال

خذ هذا فانت أحق به فقلت أمالك وارث فقال لا واعا كان لى أخ وعهدى به بعيد وبلغنى انه مات ونحن من الرصافة قال فبينما هو يحدثنى اذ قضى نحبه فغسلته وكفنته ودفنته ثم أخذت الكوز وفيه مقدار خمسمائة دينار وأتيت الى دجلة لاعبرها واذا ملاح فى سفينة عتيقة وعليه ثياب رثة فقال معى معى فنزلت معه واذا به من أكثر الناس شبها بذلك الرجل فقلت من أين أنت فقال من الرصافة ولى بنات وأنا صعلوك قلت فمالك أحد قال لا كان لى أخ ولى منذ زمان ما أدرى ما فعل الله به قال فقلت ابسط حجرك فبسطه فصببت المال فيه فبهت فحدثته الحديث فسألنى ان آخذ نصفه فقلت لا والله ولا حبة ثم صعدت الى دار الخلافة وكتبت رقعة فخرج عليها اشراف المخزن ثم تدرجت الى الوزارة وقال جدى الشيخ أبو الفرج فى كتاب المنتظم وكان الوزير يسال الله تعالى الشهادة ويتعرض لاسبابها وكان صحيحا يوم السبت ثانى عشر جمادى الاولى من سنة ستين وخمسمائة فنام ليلة الاحد فى عافية فلما كان فى وقت السحر قاء فاحضر طبيبا كان يخدمه فسقاه شيأ فيقال انه سمه فمات وسقى الطبيب بعده بنحو ستة أشهر سما فكان يقول سقيت كما سقيت ومات الطبيب وقال فى المنتظم أيضا وكنت ليلة مات الوزير نائما على سطح مع أصحابى فرأيت فى المنام كأنى فى دار الوزير وهو جالس فدخل رجل وبيده حربة قصيرة فضربه بها بين انثييه فخرج الدم كالفوارة فضرب الحائط فالتفت فاذا بخاتم من ذهب ملقى فاخذته وقلت لمن أعطيه انتظر خادما يخرج فاعطيه اياه وانتبهت وحدثت أصحابى بالرؤيا فلم أستتم الحديث حتى جاء رجل فقال مات الوزير فقال بعض الحاضرين هذا محال أنا فارقته أمس العصر وهو فى كل عافية وجاء آخر وصح الحديث وقال لى ولده لابد أن تغسله فاخذت فى غسله ورفعت يده لاغسل مغابنه قلت المغابن مطاوى البدن مثل الابط وغيره واحدها مغبن بفتح الميم وكسر الباء الموحدة وسكون الغين المعجمة قال فسقط الخاتم من يده حين رأيت الخاتم تعجبت من المنام قال ورأيت فى وقت غسله آثارا فى وجهه وجسده تدل على انه مسموم فلما اخرجت جنازته غلقت أسواق بغداد ولم يتخلف عن جنازته أحد وصلى عليه فى جامع القصر وحمل الى باب البصرة فدفن فى مدرسته التى أنشأها وقد درثت الآن ورثاه جماعة من الشعراء انتهى كلام أبى الفرج بن الجوزى وقال مؤلف سيرة الوزير المذكور ان سبب موته كان بلغما تارعزاجه وقد خرج مع المستنجد للصيد فسقى مسهلا فقصر عن استفراغه فدخل الى بغداد يوم الجمعة سادس جمادى الاولى راكبا متحاملا الى المقصورة لصلاة الجمعة فصلى بها وعاد الى داره فلما كان وقت صلاة الصبح عاوده البلغم فوقع مغشيا عليه فصرخ الجوارى فأفاق فسكتهن وبلغ الخبر ولده عز الدين أبا عبد الله محمدا وكان ينوب عنه فى الوزارة فبادر اليه فلما دخل عليه قال له قد بث استاذ الدار عضد الدين أبو الفرج محمد بن عبد الله بن هبة الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء المعروف بابن المسلمة جماعة تستعلم ما هذا الصياح

فتبسم الوزير على ما هو عليه من تلك الحال وأنشد

وكم شامت بي عند موتي جهالة • بظلم يسل السيف بعد وفاتي
ولو علم المسكين ماذا يناله • من الشر بعدي مات قبل مماتي

ثم تناول مشروبا فاستفرغ به ثم استدعى بماء فتوضأ للصلاة وصلى قاعدا فسجد فابطأ تحريكه فاذا هو ميت فطولع به الامام المستنجد فأمر بدفنه وخلف ولدين أحدهما عز الدين المذكور والآخر شرف الدين أبو الوليد مظفر وأما مولده فقد ذكر أبو عبد الله محمد بن القادسي في تاريخ الوزراء انه ولد في سنة سبع وتسعين وأربعمائة على ما ذكره من لفظه رحمه الله تعالى قال بعضهم رأيته في المنام بعد موته فسألته عن حاله فقال

قد سئلنا عن حالنا فأجبنا • بعد ما حال حالنا وحجبنا
فوجدنا مضاعفا ما كسبنا • ووجدنا ممحصا ما اكتسبنا

ولما بلغ خبر موته عضد الدين بن المظفر استاذ الدار المذكور كان بحضرته سبط ابن التعاويذي المذكور قبل هذا وهو من موالي بني المظفر فان أباه كان مملوكا لبعض بني المظفر واسمه نشتكين فسماه ابنه عبد الله فأراد سبط ابن التعاويذي ان يتقرب الى عضد الدين لعلمه ما بينه وبين الوزير فأنشده مرتجلا

قال لي والوزير قد مات قوم • قم لنبكي أبا المظفر يحيى
قلت اهون عندي بذاك رزءا • ومصابا وابن المظفر يحيى

وقال آخر ولا أذكر اسمه الآن لكنه من الشعراء المشاهير

ألا رب مثل الماجد بن هبيرة • يموت ويحيا مثل يحيى وجعفر
يموت بيحيى كل فضل وسودد • ويحيا بيحيى كل جهل ومنكر

والمقصود أن محاسنه كثيرة وقد أطلت هذه الترجمة حتى استوفيت مقاصدها ورأيت في كتاب النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس تأليف أبي الخطاب بن دحية غلطة احببت التنبيه عليها في هذا الكتاب كي لا يقف عليها أحد فيظنه مصيبا فيما ذكره وهو انه قال في خلافة المقتفي لامر الله ما مثاله وسعد بوزيره أبي المظفر عون الدين يحيى بن محمد بن هبيرة وقد ذكر المؤرخون فضائل جده التي حازها عون الدين من بعده ثم ذكر مكرمة جرت لعمر بن هبيرة الفزاري أمير العراقين في دولة بني أمية وظن ابن دحية المذكور ان الوزير المذكور من ذرية ذلك المتقدم وعجبت منه من ذلك فان الوزير شيباني النسب كما شرحناه في أول الترجمة وذاك فزاري النسب كما يأتي في ترجمة ولده يزيد بن عمر بن هبيرة ان شاء الله تعالى وأين شيبان من فزارة ولا شك انه ما أوقعه في هذا الأمر الا ما رآه في نسب الوزير فقد جاء فيه عمر بن هبيرة فتوهم ان هذا هو ذاك وليس الامر كما توهمه ومثل ابن دحية لا يعذر فقد كان حافظا ومطلعا على أمور الناس وهذا الامر واضح

لكن الخطأ موكل بالانسان قلت وأكثر من جرى ذكره فى هذه الترجمة تقدم ذكره فى هذا التاريخ وأوردت لكل واحد منهم ترجمة مستقلة سوى الشيخ الزبيدى فانه كان كبير القدر يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وما اتفق الوزير الا بصحبته وماذكرته فى هذا التاريخ فينبغى التنبيه عليه اذ مثله لا يهمل وكان دخوله بغداد فى سنة تسع وخمسمائة وتوفى فى شهر ربيع الاول سنة خمس وخمسين وخمسمائة رحمه الله تعالى وقال أبو عبد الله بن النجار فى تاريخ بغداد كان مولد مزيد فى ليلة الاربعاء الثانى والعشرين من المحرم سنة ستين وأربعمائة وتوفى ليلة الاثنين مستهل شهر ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وخمسمائة ودفن بمقبرة جامع المنصور ببغداد رحمه الله تعالى وقول الآخر

أيارب مثل الماجد ابن هبيرة * يموت ويحيا مثل يحيي ابن جعفر

فاراد به أبو الفضل يحيي بن القسم عبد الله بن محمد بن المعمر بن جعفر الملقب زعيم الدين تولى النظر بالمخزن فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة الى سنة سبع وستين فقيمانائب فى الوزارة بعد عزل أبى الفرج بن المظفر ولم يزل على ذلك الى ان توفى وكان مشكورا محمود السيرة محبا لاهل العلم وكانت ولادته ليلة الجمعة بعد العشاء الاخيرة التاسع والعشرين من صفر سنة احدى عشرة وخمسمائة وتوفى فى ليلة العشرين من شهر ربيع الاول سنة سبعين وخمسمائة ببغداد ودفن من الغد فى الحربية بتربته رحمه الله تعالى

أبو طالب يحيي بن أبى الفرج سعيد بن أبى القسم هبة الله بن على بن قزغلى ابن زبادة الشيبانى الكاتب المنشئ الواسطى الاصل البغدادى المولد والدار والوفاة الملقب قوام الدين وقيل مجد الدين

كان من الاعيان الاماثل والصدور الافاضل انتهت اليه المعرفة بامور الكتابة والانشاء والحساب مع مشاركته فى الفقه وعلم الكلام والاصول وغير ذلك وله النظم الجيد جالس أبا منصور بن الجواليقى وقرأ عليه وعلى من بعده وسمع الحديث من جماعة وخدم الديوان من صباه الى ان توفى عدة خدمات وكان مليح العبارة فى الانشاء جيد الفكرة حلو الترصيع لطيف الاشارة وكان الغالب عليه فى رسائله العناية بالمعانى أكثر من طلب السجع وله رسائل بليغة وشعر رائق وفضله أكثر من ان يذكر وتولى النظر بديوان البصرة وواسط والحلة ولم يزل على ذلك الى ان طلب من واسط والحلة ولم يزل على ذلك الى المحرم سنة خمس وسبعين وخمسمائة ورتب حاجبا بباب النوبى وقلد النظر فى المظالم ثم عزل عن ذلك فى شهر ربيع الاول سنة تسع وسبعين ثم أعيد اليه فى جمادى الاولى سنة اثنتين وثمانين لما قتل استادار وهو مجد الدين

أبو الفضل هبة الله بن على بن هبة الله بن محمد بن الحسن المعروف بابن الصاحب وكان قتله يوم السبت تاسع عشر ربيع الاول سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ترتب ابن زبادة المذكور مكانه ثم عزل فى سنة خمس وثمانين وعاد الى واسط فاقام بها الى ان استدعى فى شهر رمضان سنة اثنتين وتسعين وقلد ديوان الانشاء فى يوم الاثنين الثانى والعشرين من شهر رمضان ثم رد اليه النظر فى ديوان المقاطعات فكان على ذلك الى حين وفاته وكان حسن السيرة محمود الطريقة متدينا ما خذت بشئ يسير وكتب الناس عنه كثيرا من نظمه ونثره فمن ذلك قوله

باضطراب الزمان ترتفع الانـ * ـذال فيه حتى يعم البلاء
وكذا الماء ساكنا فاذا حر * ك ثارت من قعره الاقذاء

وله أيضا

انى لأعلم ما يلقونى جلدا * اذا توسطت حول الحادث النكد
كذلك الشمس لا تزداد قوتها * الا اذا حصلت فى زبرة الأسد

وكتب الى الامام المستنجد يهنيه بالعيد

ياماجدا جل قدرا أن نهنيه * لنا الهناء بظل منك ممدود
الدهر انت ويوم العيد منك وما * فى العرف أنا نهنى الدهر بالعيد

وله أيضا عفا الله عنه

ان كنت تبغى للسعادة فاستقم * تنل المراد ولو سموت الى السما
الف الكتابة وهو بعض حروفها * لما استقام على الجميع تقدما

وله أيضا رحمه الله تعالى

لا تغبطن وزيرا للملوك وان * اناله الدهر منهم فوق همته
واعلم بان له يوما تمور به الارض الوقور كما مارت لهيبته
هارون وهو أخو موسى الشقيق له * لولا الوزارة لم يأخذ بلحيته

وله كل معنى مليح وله ديوان رسائل وقفت عليه فى بلادنا ولم يحضرنى شئ منه كى أثبته هاهنا وقال أبو عبد الله محمد بن سعيد الدبيثى فى تاريخه أنشدنا أبو طالب يحيى بن سعيد ابن هبة الله يعنى ابن زبادة المذكور من حفظه قال أنشدنا أبو بكر أحمد بن محمد الارجانى لما قدم بغداد علينا فى سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة لنفسه قلت وهو ناصح الدين أبو بكر أحمد بن الارجانى المقدم ذكره قوله

ومقسومة العينين من دهش النوى * وقد راعها بالعيس رجع حداء
تجيب باحدى مقلتيها تحيتى * وأخرى تراعى أعين الرقباء
رأت حولها الواشين طافوا فغيضت * لها مدمعا واستعصمت بحياء
فلما بكت عينى غداة وداعهم * وقد روعتنى فرقة القرناء

بدت في محياها شبالات ادمعي • فقالوا وظنوا ان بكت لبكاءي

وكتب اليه أبو الغنائم محمد بن على المعروف بابن المعلم الهرثي الشاعر المتقدم ذكره وقد عزل عن نظر واسط

ولانت ان لم يبال الغيث الثرى • تروى الورى بسماحك الهتان

لم يعزلوك عن البلاد لحالة • تدعو الى النقصان والشنآن

بل مذ رأوا آثار جودك زاخرا • حفظوا بلادهم عن الطوفان

قلت (وحكى) لى الوجيه أبو عبد الله محمد بن على بن أبى طالب المعروف بابن سويد التاجر التكريتى قال كان الشيخ محيي الدين أبو المظفر يوسف بن الحافظ جمال الدين أبى الفرج ابن الجوزى الواعظ المشهور قد توجه رسولا من بغداد الى الملك العادل ابن الملك الكامل ابن الملك العادل بن أيوب سلطان مصر فى ذلك الوقت وكان أخوه الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محبوسا فى قلعة الكرك يومئذ وقد شرحت ذلك فى ترجمة الكامل فى هذا التاريخ قال الوجيه فلما عاد محيى الدين راجعا الى بغداد وقدم دمشق كنت بها فدخلت عليه أنا والشيخ اصيل الدين أبو الفضل عباس بن عثمان بن شهاب الاربلى وكان رئيس التجار فى عصره وجلسنا نتحدث معه فقال قد حلف الملك الناصر داود صاحب الكرك أن لا يخرج الملك الصالح من الحبس الا بأمر أخيه الملك العادل قال فقال له الاصيل يا مولانا هذا بأمر الديوان العزيز فقال محيى الدين وهل هذا يحتاج الى اذن هذا اقتضته المصلحة ولكن انت تاجر يا اصيل فقال يعنى مولانا انى قد كبرت وما أدرى ما أقول وانا احكى لمولانا حكاية فى هذا المعنى أعرفها من غرائب الحكايات قال هات فقال كان ابن رئيس الرؤساء ناظر واسط يحمل فى كل شهر حملا من واسط وهو ثلاثون ألف دينار لا يمكن ان يتأخر يوما واحدا عن العادة فتعذر فى بعض الاشهر كمال الحمل فضاق صدره لذلك وذكره لنوابه فقالوا له يا مولانا هذا ابن زبادة عليه من الحقوق أضعاف ذلك ومتى طالبته قام بتمام الحمل وزيادة فاستدعاه وقال له لم لا تؤدى كما يؤدى الناس فقال انا معى خط الامام المستنجد بالمسامحة قال فهل معك خط مولانا الامام الناصر قال لا قال قم واحمل ما يجب عليك قال ما ألتفت الى أحد ولا أحمل شيأ ونهض من المجلس فقال النواب لابن رئيس الرؤساء أنت صاحب الوسادتين وناظر النظار وما على يدك يد ومن هو هذا حتى يقابلك بمثل هذا القول ولو كبست داره وأخذت ما فيها ما قال لك أحد شيأ وحملوه عليه حتى ركب بنفسه واجناده وكان ابن زبادة يسكن قبالة واسط وقدموا الى ابن رئيس الرؤساء السفن حتى يعبر اليه واذا بزبزب قد قدم من بغداد فقال ما قدم هذا الا فى مهم ننظر ما هو ثم نعود الى ما نحن بسبيه فلما دنا من الزبزب فاذا فيه خدم من خدام الخليفة فصاحوا به الارض الارض فقبل الارض وناولوه مطالعة وفيها قد بعثنا خلعة ودواة لابن زبادة فتحمل الخلعة على رأسك

والدواة على صدرك وتمشي راجلا اليه وتلبسه الخلعة وتجهزه الينا وزيرا فحمل الخلعة على رأسه والدواة على صدره ومشى اليه راجلا فلما رآه ابن زبادة أنشده ابن رئيس الرؤساء

اذا المرء حي فهو يرجى و يتقى * وما يعلم الانسان ما في المغيب

وأخذ يعتذر اليه فقال له ابن زبادة لا تثريب عليكم اليوم وركب في الزبزب الى بغداد وما علموا أن احدا سأل اليه الوزارة غيره فلما وصل الى بغداد أول ما نظر فيه أن عزل ابن رئيس الرؤساء عن نظر واسط وقال هذا ما يصلح لهذا المنصب ثم قال الاصيل ولا يامن مولانا أن يخرج الملك الصالح ويملك ويعود اليه رسولا ويقع وجهك في وجهه وتستحي منه فانشده محيي الدين قوله

وحتى يؤوب القارظان كلاهما * وينشر في الموتى كليب لوائل

فما كان الا مدة يسيرة حتى خرج الملك الصالح من حبس الكرك وملك مصر وكان ما كان قلت وكنت بمصر ومحيي الدين بها رسول الى الملك العادل وقبض العادل وجاء الصالح فخرج محيي الدين للقائه وشاهدت ذلك هكذا ذكر لي الوجيه هذه الحكاية وفيها غلط أما من الوجيه وأما من الاصيل فان ابن زبادة ما ولي الوزارة ولا تولى الا ما ذكرته في أوائل ترجمته فان كان هذا صحيحا فيكون ذلك لما طلب للانشاء كما شرحته والله أعلم بالصواب قال ابن الدبيثي المذكور وسألت أبا طالب بن زبادة عن مولده فقال ولدت يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من صفر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة وتوفي ليلة الجمعة السابع والعشرون من ذي الحجة سنة أربع وتسعين وخمسمائة وصلى عليه بجامع القصر ودفن بالجانب الغربي بمشهد الامام موسى بن جعفر رضي الله عنهما يعني ببغداد وزبادة بفتح الزاي وهو القطعة من الزباد الذي يتطيب به النسوان والله أعلم

أبو الفضل يحيى بن نزار بن سعيد المنبجي

ذكره الحافظ أبو سعيد عبد الكريم بن السمعاني في كتاب الذيل على تاريخ الخطيب المختص ببغداد فقال له شعر مطبوع غير متكلف وكتب لي أبياتا من شعره وسمعت منه وسألته عن مولده فقال ولدت في المحرم من سنة ست وثمانين وأربعمائة بمنبج وأورد له مقاطيع أنشده اياها فمن ذلك قوله

ابيض غض زاد خط عذاره * لعاشقه في همه والبلابل

تموج بحار الحسن في وجناته * فتقذف منها عنبرا في السواحل

وتجري بخديه الشبيبة ماءها * فتنبت ريحانا جنوب الجداول

قلت وقد خطرت لي على هذا مؤاخذة وهي انه جعل في البيت الثاني بحار الحسن تموج في وجناته فكيف تقول في البيت الثالث وتجري بخديه الشبيبة ماءها وما مقدار ماء الشبيبة بالنسبة الى بحار الحسن وما كفى هذا حتى جعلها جداول والجداول الانهار

وأين الانهار من البحار ثم انه في البيت الثاني قد شبه العذار بالعنبر فكيف يجعله في البيت الثالث ريحانا وأين العنبر من الريحان وان كان كل واحد من العنبر والريحان قد جرت عادة الشعراء ان يشبهوا به العذار لكن في مقطوع واحد من الشعر ما لهم عادة يجمعون بينهما وكنت قد سمعت في زمن الاشتغال بالادب بيتين استحسنتهما ولم أعرف قائلهما وهما

يا عاذلي في حب ذي عارض ۞ ما البلد الخصب كالماحل
يموج بحر الحسن في خده ۞ فيقذف العنبر في الساحل

فلما كان في أوائل سنة اثنتين وسبعين وستمائة وتمت بالقاهرة المحروسة على مجلدين كتاب السيل والذيل تاليف عماد الدين الكاتب الاصبهاني وقد جعله ذيلا على كتاب خريدة القصر فرأيت فيه ترجمة يحيي بن نزار المنبجي المذكور وقد ذكر له مقدار عشرة أبيات يمدح بها السلطان نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله تعالى وفي جملة الابيات البيت الثاني من هذين البيتين فعلمت ان الذي نظم ذلك المعنى في البيت الثالث من الثلاثة هو الذي نظم هذا البيتين في هذه الابيات التي ذكرها في كتاب السيل بعد ذلك بقليل بيا في صاحبنا جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن أحمد المعروف بالحافظ اليغموري فتذاكرنا وجرى ذكر البيتين وقال انهما للعماد الدين أبي المناقب حمد الدين بن عدي بن يونس الحلي نزيل دمشق وذكر انه سمعهما منه واذا عاهم الفسه فقلت له البيت الذي فيه المعنى ليس له بل هو ليحيي بن نزار المنبجي ويكون العماد الحلي قد نظم البيت الاول وجعله توطئة للثاني واستعمله على وجه التضمين كما جرت العادة في مثل ذلك كان ينبغي ان ينبه على انه تضمين كي لا يعتقد من يقف عليهما انهما له فان البيت الاول ليس في جملة أبيات يحيي المنبجي التي مدح بها نور الدين محمود رحمه الله تعالى ثم بعد ذلك خطرت لي مؤاخذة على العماد الحلي فانه قال في بيته الذي جعله توطئة للثاني ما البلد الخصب كالماحل والخصب والمحل انما يكون بسبب النبات وعدمه والبيت الثاني الذي هو التضمين شبه العذار بالعنبر واين النبات من العنبر فالتوطئة بين البيتين ليست علاقة وهذه المؤاخذة مثل المؤاخذة المتقدمة على الابيات الثلاثة وكنت انشدت لي بيتين للعماد الحلي أنشدنيهما عند جماعة وهما

قيل لي من هويت قد عبث الشعـ ۞ ـر بخديه قلت ماذا العاره
جمرة الخد احرقت عنبر الخا ۞ ل فمن ذلك الدخان عذاره

وسنح لي عليهما مؤاخذة مثل المؤاخذة المذكورة وهي انه لما قيل له ان الشعر عبث بخديه ما انكر ذلك بل قال ماذا العاره فقد وافق على انه شعر غاية ما في الباب انه قال هذا الشعر ما هو عاره فكيف يقول بعد هذا جمرة الخد أحرقت عنبر الخال الى آخر فجعل العذار دخان العنبر واين دخان العنبر من الشعر بل كان ينبغي ان يقول انهم هذا

هو شعر بل هو دخان العنبر حتى يتم له المعنى وقد نظم صاحبنا ورفيقنا فى الاشتغال بحلب عون الدين أبو الربيع سليمان بن بهاء الدين بن عبد المجيد العجمى الحلبى بيتين ألم فيهما بهذا المعنى وهما

لهيب الخد حين بدا لعينى * هوى قلبى عليه كالفراش
فأحرقه فصار عليه خالا * وها أثر الدخان على الحواشى

وقد أحسن فى هذا المعنى وسلم من تلك المؤاخذة لكن وقع فى مؤاخذة أخرى وهى انه جعل العذار دخان احتراق قلبه والعماد جعله دخان العنبر وبين الدخانين بون كبير فهذا طيب الرائحة وذاك كريه الرائحة وقد سبق فى ترجمة عبد الله الششترى بيتان ابدع فيهما وهما

ومهفهف رقت حواشى حسنه * فقلوبنا وجدا عليه رقاق
لم يكس سالفه العذار وانما * نفضت عليه صباغها الاحداق

والاصل فى هذا الباب كله قول أبى اسحاق ابراهيم الصابى الكاتب فى غلامه الاسود واسمه يمن وقد سبق ذكر الابيات فى ترجمته من هذا الكتاب والمقصود منها ههنا قوله فى أولها

لك وجه كأن يمناى خطته * بلفظ تمله آمالى
فيه معنى من البدور ولكن * نفضت صبغها عليه الليالى

وبيتا عون الدين فيهما المام بقول أبى الحسين أحمد بن منير الطرابلسى المقدم ذكره

لا تخالوا الخال يعلو خده * قطرة من دم جفنى نطفت
ذاك من نار فؤادى جذوة * فيه ساحت وانطفت ثم طفت

قلت وقد خرجنا عن المقصود وانتشر الكلام لكن ما خلا عن فائدة وقال أبو سعيد السمعانى أيضا أنشدنى يحيى بن نزار المنبجى لنفسه

لو صد عنى دلالا أو معاتبة * لكنت ارجو تلاقيه وأعتذر
لكن ملالا فلا أرجو تعطفه * جبر الزجاج عسير حين ينكسر

وله غير هذا نظم مليح ومعان لطيفة وقال أبو الفرج صدقه بن الحسين بن الحداد فى تاريخه المرتب على السنين ما مثاله سنة أربع وخمسين وخمسمائة فى ليلة الجمعة سادس ذى الحجة مات يحيى بن نزار المنبجى ببغداد ودفن بالوردية قيل انه وجد فى أذنه ثقلا فاستدعى انسانا من الطرقية فامتص أذنه فخرج شئ من مخه فكان سبب موته رحمه الله تعالى وقال السمعانى هو أخو أبى الغنائم التاجر المعروف وذكر أبو الغنائم ووصفه وأثنى عليه فى ترجمة مستقلة فى كتاب الذيل أيضا رحمه الله تعالى وأما العماد المحلى فانه كان أديبا لطيفا على ما يحكى عنه من النوادر وله نظم مليح فى المقطعات دون القصائد وكان يحفظ المقامات ويشرحها وتوفى ليلة الاربعاء عاشر شهر ربيع الاول سنة تسع وعشرين وستمائة بدمشق ودفن بمقابر الصوفية وعرف بابن الجمال وولد فى سنة

ستين وخمسمائة تقديرا بقوص ونشأ بالمحلة قسب الهائم وبحدث فى مسرداق
بيتا منسوبا الى الوجيه أبى الحسن على بن يحيى بن الحسين بن أحمد المعروف بابن الد
الاديب الشاعر وهو

عذاره دخان ندّ ناله ● وريقه من ماء ورد خدّه

وحدث منسوبا الى ابن سناء الملك المقدم ذكره والصحيح انها لاسعد بن مماتى ا
ذكره أيضا هذا

سمراء قد ازرت بكل اسمر ● بلونها ولينها وقدها
انفاسها دخان ندّ نالها ● وريقها من ماء ورد خدها
لو كتب البدر الى خدمتها ● رسالة ترجمها بعبدها

ورأيت للمهذب أبى نصر محمد بن محمد بن ابراهيم بن الحسن الحلبى المعروف بابن
الحاسب المعصم الطبرى

ومهفهف راقت نضارة وجهه ● فالعين تنظر منه أحسن منظر
أصلى بنار الخد عنبر خاله ● فغدا العذار دخان ذاك العنبر

ابن العماد الحلى انما أخذ ذلك المعنى من أحد هؤلاء والله سبحانه وتعالى أعلم

أبو الحسين يحيى بن أبى على منصور بن الجراح بن الحسين بن محمد
ابن داود بن الجراح المصرى وهذه الزيادة فى نسبه وجدتها
بخط بعض الادباء ولا تحققها والاول أصح

الكاتب الملقب تاج الدين كتب فى ديوان الانشاء بالديار المصرية مدة طويلة وك
الكثير وكان خطه فى غاية الجودة وكان فاضلا أديبا متفننا له نظم حسن وشعر فائق
ورسائل رائقة سمع الحديث بثغر الاسكندرية المحروسة على الحافظ أبى طاهر السلفى
وأبى الثناء حماد بن هبة الله الحرانى وحدث وسمع الناس عليه وله لغز فى الدملج
يلبسه النساء وهو بديع فى بابه فأحببت ذكره وهو ونر ماشى قلبه حجر ووجهه قمر ا
بدّنه صبر واعتزل البشر وان أوجعته رضى بالهوى وانطوى على الجوى وان ا
قبل قدمك وصحب خدمك وان علقته ضاع وان ادخلته السوق أبى ان يباع
وان اظهرته جل المتاع واحسن الامتاع وان شددت ثانيه وحذفت منه ا
كدر الحياة واوجب التخفيف فى الصلاة وأحدث وقت العصر الضجر ووقت القمر
الكدر وجمع بين حسن العقبى وقبح الاثر هذا وان فصلته دعا لك وابقى مالك
هالك وربما بلغك آمالك وكثر مالك واحسن بعون الله ما لك والسلام قلت وهذا
اللغز قد يقف عليه من لا يعرف طريق حله فيعسر عليه تفسيره ويحتاج الى الايضاح
فأقول اما قوله ماشى قلبه حجر فراده قلب حروف دملج فانا اذا قلبنا هذه الحروف يخرج
منهما جلمد وهو الحجر وقوله ووجهه قمر يريد انه مستدير كالقمر وقوله ان بدّنه صبر واعتزل

البثر فالبثر جمع بثرة فالانسان اذا القى الدملج عنه صبر واعتزل بثرته اذ ليس فيه أهلية المنع فهو يصبر ويعتزل المكان الذى كان فيه وقوله وان أجعته رضى بالنوى فالنوى لفظ مشترك يقع على البعد وعلى نوى التمر وعادتهم فى بلاد العراق ان يطحنوا نوى التمر والرطب والبسر ويعلفوا به البقر وقصد ههنا هذه التورية فان الدملج اذا أخرج من العضد أو من الساق فقد جاع لانه يكون فارغ الجوف ويرضى بالنوى الذى هو البعد عن عضو صاحبه ويقولون فلان يرضى بالنوى اذا كان فقيرا لا يجد ما يتبلغ به فهو يجتزى بمص النوى وهذا يفعله أهل الحجاز والبلاد المجدبة كثيرا لقلة الاقوات عندهم فقد استعمل صاحب هذا اللغز لفظة النوى فى هذين المعنيين وهذه هى التورية وقوله وانطوى على الخوى فالخوى هو الخلو واذا كان فارغ الجوف فهو خاو وقوله وان أشبعته قبل قدمك مراده بالاشباع هنا لبس الدملج فان صاحبه اذا لبسه فقد ملأ جوفه ويكون فوق القدم فكأنه يقبله وقوله وصحب خدمك فيه تورية أيضا فان الخدم جمع خادم وهذا الجمع قليل الاستعمال لهذا الواحد فانه لا يقال فاعل وجمعه فعل الا فى ألفاظ مسموعة مثل خادم وخدم وغائب وغيب وحارس وحرس وجامد وجمد وغير ذلك فهو موقوف على السماع وخدم بجمع خدمة أيضا وهو سير يشد فى رسغ البعير تشد اليه شريحة النعل وبه سمى الخلخال خدمة لانه ربما كان من سيور يركب فيه الذهب والفضة ويجمع على خدام أيضا وقوله وان غلفته ضاع هذا فيه تورية أيضا فان التغليف ان يجعل للشئ غلافا والتغليف استعمال الطيب أيضا وقوله ضاع فيه تورية أيضا فانه يقال ضاع الشئ من الضياع وضاع الطيب اذا عبقت رائحته وقوله وان أدخلته السوق أبى أن يباع فالسوق جمع ساق وفيه التورية أيضا لان السوق موضع البيع والشرا والسوق كما ذكرناه وقوله أبى أن يباع لان العادة انه لا يباع الا اذا أخرج من العضو الذي هو فيه ولا يباع قبل اخراجه فكأنه قبل الاخراج أبى البيع وقوله وان أظهرته بعل المتاع وأحسن الامتاع فهذا ظاهر لا حاجة الى تفسيره وقوله وان شددت ثانيه وهو الميم وحذفت منه القافية وهى الجيم فيبقى الدمل وهو يكدر الحياة بألمه ويوجب التخفيف بالصلاة للألم أيضا وقوله وأحدث وقت العصر الفجر فالعصر فيه التورية أيضا لانه اسم للصلاة وهو مصدر لفعل عصر وكذلك الفجر لانه اسم للصبح وهو مصدر لفعل فجر فالانسان فى وقت عصر الدمل يحصل له الضجر والقلق واذا فجره وخلص منه حصل له الخير والراحة وقوله وجمع بين حسن العقبى وقبح الاثر فقصد المقابلة بين الحسن والقبح ولاشك ان عقبى انفجار الدمل حسنة وان كان الاثر الذى يبقى فى المكان قبيحا وقوله وان فصلته دعا لك معناه انك اذا فصلت أحد النصفين من لفظ الدملج من النصف الآخر فالنصف الاول منه دم وهو دعاء للانسان بالدوام وقوله وأبقى ما ان ركبته هالك فان الباقى منه لج واللج هو لج البحر وان كان النصف من الدملج مخففا ولج البحر مشددا

لكنهم يغتفرون مثل هذا في الالغاز والتصاحيف والاحاجي ولا يبالون به ولا شك ان ركوب البحر امر هائل فلهذا قال ها لك وربما بلغك آمالك لانه يوصل الانسان الى المرتفع الذي يقصده وقوله وكثر مالك معناه اذا ركبه الانسان للتجارة وقوله وأحسن بعون المساكين ما لك فعون المساكين هو السفينة كما قال الله تعالى أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فهي عون لهم على حاجتهم وسد خلتهم ومآل الشئ عاقبة أمره والله تعالى أعلم قلت وفي اللغز ثمان لغات لغز بضم اللام وسكون الغين ولغز بضمهما ولغز بضم اللام وفتح الغين ولغز بفتح اللام وسكون الغين ولغز بفتحهما وألغوزة بضم الهمزة وسكون اللام وضم الغين ولغيزى بضم اللام وتشديد الغين مع القصر والمراء مثل الاول الا أن الغين مخففة ومفتوحة والالف ممدودة وقد طال الكلام لكن الحاجة دعت اليه كي لا يبقى فيه التباس على سامعه ورأيت في مجموع بخط بعض الفضلاء بيتين منسوبين اليه وهما هذان

امد كفي الى البيضاء أقلعها * من لحيتي فتفديها بسوداء

هذي يدي وهي مني لا تطاوعني * على مرادي فما ظنى باعدائي

وكانت ولادة المذكور في ليلة السبت خامس عشر شعبان سنة احدى وأربعين وخمسمائة وتوفي في خامس شعبان سنة ست عشرة وستمائة بدمياط والعدو المخذول محاصرها رحمه الله تعالى وجراح بفتح الجيم وتشديد الراء وبعد الالف حاء مهملة ثم ان العدو ملك دمياط يوم الثلاثاء السابع والعشرين من الشهر المذكور والله أعلم ونقلت من خط الشيخ مهذب الدين أبي طالب محمد بن على اللغوي المعروف بابن الخيمي الحلى نزيل مصر أن العدو نزل قبالة دمياط يوم الثلاثاء ثاني عشر ربيع الاول سنة ثمان عشرة وستمائة ونزل البر الشرقي يوم الثلاثاء سادس عشر ذي القعدة من السنة وأخذ الثغر يوم الثلاثاء السادس والعشرين من شعبان سنة ست عشرة وستمائة واستعيدت منهم يوم الاربعاء تاسع عشر رجب سنة ثمان عشرة وستمائة ومدة نزولهم عليها الى ان انفصلوا عنها ثلاث سنين وثلاثة أشهر وسبعة عشر يوما ومن الاتفاق العجيب نزولهم عليها يوم الثلاثاء واخذهم بها يوم الثلاثاء وملكهم لها يوم الثلاثاء وقديما في الخبران الله تعالى خلق المكروه يوم الثلاثاء ولفظة دمياط سريانية وأصلها بالدال المعجمة ويقولون هي ذمط وتفسيرها القدرة الربانية فكأنه اشارة الى مجمع البحرين العذب والملح والله تعالى أعلم

أبو الحسن يحيى بن عيسى بن ابراهيم بن الحسين بن على بن حمزة بن ابراهيم بن الحسين بن مطروح الملقب جمال الدين

من أهل صعيد مصر ونشأ هنالك وقام بقوص مدة وتنقلت به الاحوال في الخدم والولايات ثم اتصل بخدمة السلطان الملك الصالح أبي الفتح أيوب الملقب نجم الدين بن

السلطان الملك الكامل ابن السلطان الملك العادل بن أيوب وكان اذ ذاك نائبا عن أبيه الملك الكامل بالديار المصرية ولما اتسعت مملكة الكامل بالبلاد المصرية بل بالبلاد الشرقية فصار له آمد وحصن كيفا وحران والرها والرقة ورأس عين وسروج وما انضم الى ذلك سير اليها ولده الملك الصالح المذكور نائبا عنه وذلك فى سنة تسع وعشرين وستمائة فكان ابن مطروح المذكور فى خدمته ولم يزل يتنقل فى تلك البلاد الى ان وصل الملك الصالح الى مصر مالكا لها وكان دخوله القاهرة يوم الاحد السابع والعشرين من ذى القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة ثم وصل ابن مطروح بعد ذلك الى الديار المصرية فى أوائل سنة تسع وثلاثين وستمائة فرتبه السلطان ناظرا فى الخزانة ولم يزل يقربه منه ويحظى عنده الى ان ملك الملك الصالح دمشق فى الدفعة الثانية وكان ذلك فى جمادى الاولى من سنة ثلاث وأربعين وستمائة ثم ان السلطان بعد ذلك رتب بدمشق نوابا فكان ابن مطروح فى صورة وزيرلها ومضى اليها وحسنت حالته وارتفعت منزلته ثم ان الملك الصالح توجه الى دمشق فوصلها فى شعبان سنة ست وأربعين وجهز عسكرا الى حمص لاستنقاذها من يدى نواب الملك الناصر أبى المظفر يوسف الملقب صلاح الدين بن الملك العزيز بن الملك الظاهر ابن السلطان صلاح الدين صاحب حلب فانه كان قد انتزعها من صاحبها الملك الاشرف مظفر الدين أبى الفتح موسى بن الملك المنصور ابراهيم بن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه عنوة وكان منتميا الى الملك الصالح فخرج من مصر لاسترداد حمص له فعزل ابن مطروح عن ولايته بدمشق وسيره مع العسكر المتوجه الى حمص وأقام الملك الصالح بدمشق الى ان ينكشف له ما يكون من أمر حمص فبلغه ان الفرنج قد اجتمعوا بجزيرة قبرص على عزم قصد الديار المصرية فسير الى عسكره المحاصرين بحمص وأمرهم ان يتركوا ذلك المقصد ويعودوا لحفظ الديار المصرية فعاد بالعسكر وابن مطروح فى الخدمة والملك الصالح متغير عليه متنكر له لامور نقمها عليه وطرق الفرنج البلاد فى أوائل سنة سبع وأربعين وملكوا دمياط يوم الاحد الثانى والعشرين من صفر من السنة وخيم الملك الصالح بعسكره على المنصورة وابن مطروح مواظب على الخدمة مع الاعراض عنه ولما مات الملك الصالح ليلة النصف من شعبان سنة سبع وأربعين بالمنصورة وصل ابن مطروح الى مصر وأقام بها فى داره الى ان مات هذه جملة حاله على الاجمال وكانت ادواته جميلة وخلاله حميدة جمع بين الفضل والمروءة والاخلاق المرضية وكان بينى وبينه مودة أكيدة ومكاتبات فى الغيبة ومجالسات فى الحضرة تجرى فيها مذاكرات أدبية لطيفة وله ديوان شعر أنشدنى الكثير منه فمن ذلك قوله فى أول قصيدة طويلة

هى رامة فخذوا يمين الوادى * وذروا السيوف تقر فى الاغماد

وحذار من لحظات أعين عينها * فلكم صرعن بها من الآساد

من كان منكم واثقا بفؤاده * فهناك ما أنا واثق بفؤادى

ياصاحبيَّ ولي بجرعاء الحمى * قلب أسير ماله من فادي
سلبته مني يوم بانوا مقلة * مكحولة أجفانها بسواد
وبحي من انا في هواه ميت * عين على العشاق بالمرصاد
وأغن مسكي اللمى معسوله * لولا الرقيب بلغت منه مرادي
كيف السبيل الى وصال محجب * ما بين بيض ظبا وسمر صعاد
في بيت شعر نازل من شعره * فالحسن منه عاكف في باد
حرسوا مهفهف قده بمثقف * فتشابه المياس بالمياد
قالت لنا ألف العذار بخده * في ميم مبسمه شفاء الصادي

وهي طويلة اقتصرت منها على هذا القدر للاختصار ومن ذلك قوله

علقته من آل يعرب لحظه * أمضى وأفتك من سيوف عريبه
اسكنته في المحني من اضلعي * شوقا لبارق ثغره وعذيبه
ياعاذلي ذاك الفتور بطرفه * خلوه لي انا قد رضيت بعيبه
ادن وماس النسيم بعطفه * ارج وماتفح العبير بجيبه

وكان في بعض أسفاره قد نزل في طريقه بمسجد وهو مريض فقال

يارب ان عجز الطبيب فداوني * بلطيف صنعك واشفني ياشافي
أنا من ضيوفك قد حسبت وان من * شيم الكرام البر بالاضياف

ووجدت بعد موته رقعة فيها مكتوب هذان البيتان واخبرني انه جرى بينه وبين أبي الفضل جعفر بن شمس الخلافة الشاعر المقدم ذكره منازعة في بيت هو من جملة قصيدته التي أولها

من لي بغصن بالعناق ممنطق * حلو الشمائل واللمى والمنطق
مثري الروادف مملق من خصره * أسمعت في الدنيا بمثر مملق

والبيت الذي قد وقع فيه النزاع قوله

وأقول ياأخت الغزال ملاحة * فتقول لاعاش الغزال ولابقي

فزعم ابن شمس الخلافة ان هذا البيت له من جملة قصيدة هي في ديوانه وعمل كل واحد منهما محضرا شهد فيه جماعة بأن البيت له وحلف لي ابن مطروح ان البيت له وكان محترزا في أقواله ولم تعرف منه الدعوى بما ليس له والله المطلع على السرائر وأنشدني له بعض أصحابنا قال أنشدني لنفسه

يامن لبست عليه أثواب الضنى * صفرا موشعة بحمر الادمع
ادرك بقية مهجة لولم تذب * اسفا عليك نفيتها عن اضلعي

وكان في مدة انقطاعه في داره وضيق صدره بسبب عطلته وكثرة كلفته قد حدث في عينيه ألم انتهى به الى مقاربة العمى وكنت أجتمع به في كل وقت فتأخرت عنه مدة

لعذر اوجب ذلك وكنت فى ذلك الوقت انوب فى الحكم بالقاهرة المحروسة عن قاضى القضاة بدر الدين أبى المحاسن يوسف بن الحسن بن على الحاكم بالديار المصرية المعروف بقاضى سنجار فكتب الى ابن مطروح يقول

يا من اذا استوحش طرفى له * لم يخل قلبى منه من انس
والطرف والقلب على ماهما * عليه مأوى البدر والشمس

وله أيضا من جملة قصيدة طويلة

ملك الملاح ترى العيو * ن عليه دائرة يطتق
ويخيم بين الضلو * ع وفى الفؤاد له سبق

والبيت الاول ماخوذ من قول المتنبى

وخصر تثبت الابصار فيه * كأن عليه من حدق نطاقا

واليطق بفتح الياء المثناة من تحتها والطاء المهملة وبعدها قاف وهى عبارة عن جماعة من الجند يبيتون كل ليلة حول خيمة الملك محيطين به يحرسونه اذا كان مسافرا وهو لفظ تركى والسبق بفتح السين المهملة والباء الموحدة وبعدها قاف وهى خيمة الملك اذا كان مسافرا فانه تتقدم له خيمة الى المنزلة التى يتوجه اليها حتى اذا جاءها كانت مجهزة له ينزل فيها ولا يتوقف على انتظار وصول الخيمة التى كان بها فى تلك المنزلة التى رحل منها وله بيتان ضمنهما بيت المتنبى وأحسن فيهما وهما

اذا ما سقانى ريقه وهو باسم * تذكرت ما بين العذيب وبارق
ويذكرنى من قده ومدامعى * مجر عوالينا ومجرى السوابق

وهذا المعنى للمتنبى فى أول قصيدة بديعة طويلة وهى

تذكرت ما بين العذيب وبارق * مجر عوالينا ومجرى السوابق

وكانت بينه وبين بهاء الدين المقدم ذكره فى حرف الزاى صحبة قديمة من زمن الصبى واقامتهما ببلاد الصعيد حتى كانا كالاخوين وليس بينهما فرق فى أمور الدنيا ثم اتصلا بخدمة الملك الصالح وهما على تلك المودة وبينهما مكاتبات بالاشعار فيما يجرى لهما فأخبرنى بهاء الدين زهير أن جمال الدين بن مطروح كتب اليه فى بعض الايام يطلب منه درج ورق وكان قد ضاق به الوقت وأظنهما كانا ببلاد المشرق معا

افلست يا سيدى من الورق * فجد بدرج كعرضك اليقق
وان أتى بالمداد مقترنا * فمرحبا بالخدود والحدق

قال بهاء الدين زهير وقد فتح الراء من الورق وكسرها تنبيها على حاله فكتب اليه

مولاى سيرت ما رسمت به * وهو يسير المداد والورق
وعز عندى سير ذاك وقد * شبهته بالخدود والحدق

وقد سبق فى ترجمة بهاء الدين ذكر بيتين كتبهما ابن مطروح الى بهاء الدين وذكرت السبب فى نظم ذينك البيتين على ما حكاه لى بهاء الدين ثم بعد ذلك وصل الى الديار

المصرية من الموصل بعض الادباء وجرى حديث ماذكرلى بهاء الدين زهير وأنه أنشدنى بيت ابن الحلاوى وهو قوله

تجيزها وتجيرا المادحين بها * فقل لنا أزهير أنت ام هرم

فقال ذلك الاديب هذه القصيدة أنشدنيها ناظمها ابن الحلاوى ونحن بالموصل واروى عنه هذا البيت على خلاف هذه الرواية فانه أنشدنى

تجيدها ثم تجدو من أتاك بها * فقل لنا ازهير انت ام هرم

فما أدرى هل ابن الحلاوى أنشدها اولا كما رواه بهاء الدين زهير ثم غير البيت كما رواه هذا الاديب ام حصل الغلط لاحدهما والله تعالى أعلم مع ان كل واحد من الطريقين حسن وقصة زهير بن أبى سلمى المزنى الشاعر الجاهلى المشهور معلومة فلا حاجة الى شرحها والخروج عما نحن بصدده فانه كان يمدح هرم بن سنان المزنى أحد أمراء العرب فى الجاهلية وكان هرم كثير العطاء له حتى آلى على نفسه انه لا يسلم عليه زهير الا أعطاه غرة من ماله فرسا أو بعيرا أو عبدا او أمة فأجحف ذلك بهرم فجعل زهير يمر بالجماعة فيهم هرم فيقول عموا صباحا خلا هرما وخيركم تركت وتعود الى ما كنا فيه من حديث ابن مطروح بلغنى انه كتب قبل ارتفاع درجته رقعة تتضمن شفاعة فى قضاء شغل بعض أصحابه أرسلها الى بعض الرؤساء فكتب ذلك الرئيس فى جوابه هذا الامر على فيه مشقة فكتب جوابه ثانيا لولا المشقة فلما وقف عليها ذلك الرئيس قضى شغله وفهم ماقصده وهو قول المتنبى

لولا المشقة ساد الناس كلهم * الجود يفقر والاقدام قتال

وهذا من لطيف الاشارات وأنشدنى الاديب الفاضل جمال الدين أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد بن على المعروف بالجزار المصرى قصيدة بديعة مدح بها جمال الدين بن مطروح المذكور وهى بديعة طويلة فاقتصرت منها على ذكر غزلها وهو هذا

هو ذا الربع ولى نفس مشوقه * فاحبس الركب عسى اقضى حقوقه

فقبيح بى فى شرع الهوى * بعد ذاك البر أن ارضى عقوقه

لست انسى فيه ليلات مضت * مع من أهوى وساعات انيقه

والتى أصحى مجازا بعدهم * فغرامى فيه ما زال حقيقه

يا صديقى والكريم الحر فى * مثل هذا الوقت لا ينسى صديقه

ضع يدا منك على قلبى عسى * ان تهدى بين جنبى خفوقه

فاض دمعى مذ رأى ربع الهوى * ولكم فاض وقد شام بروقه

نفد اللؤلؤ من أدمعه * فغدا ينثر فى الترب عقيقه

قف معى واستوقف الركب فان * لم يقف فاتركه يمضى وطريقه

فهى أرض قلما يلحقها * آمل والركب لم اعدم لحوقه

طالما استجليت فى ارجائها * من ثنيه البدر اذ يدعى شقيقه
يفضح الورد احمرار اخده * ويود الخمر لوتشبه ريقه
فيه الحسن خليق لم يزل * والمعانى يا بن مطروح خاليقه

وكانت ولادته يوم الاثنين ثامن رجب سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة باسيوط وتوفى ليلة الاربعاء مستهل شعبان سنة تسع وأربعين وستمائة بمصر ودفن بسفح الجبل المقطم وحضرت الصلاة عليه ودفنه وأوصى ان يكتب عند رأسه دوبيت نظمه فى مرضه وهو

أصبحت بقعر حفرة مرتهنا * لا املك من دنياى الا كفنا
يا من وسعت عباده رحمته * من بعض عبادك المسيئين انا

ومما ذكر انه وجد فى رقعة مكتوبة تحت رأسه بعد موته رحمه الله تعالى

أتجزع من الموت هذا الجزع * ورحمة ربك فيها الطمع
ولو بذنوب الورى جئته * فرحمته كل شئ تسع

رحمه الله تعالى وتوفى قاضى القضاة بدر الدين يوسف المذكور يوم السبت رابع عشر رجب سنة ثلاث وستين وستمائة بالقاهرة ودفن فى تربته المجاورة لمدرسته بالقرافة الصغرى وأخبرنى مرارا عديدة انه ولد فى شهر ربيع الاول سنة ثمان وسبعين وخمسمائة فى جبال بلد اربل وهو زرزارى النسب رحمه الله تعالى واسيوط بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم الياء المثناة من تحتها وبعدها واو ساكنة ثم طاء مهملة وهى بليدة بالصعيد الاعلى من ديار مصر ومنهم من يسقط الهمزة ويضم السين فيقول سيوط والله تعالى أعلم

الزراز
زرزاد

ابن ح

أبو على يحيى بن عيسى بن جزلة الطبيب صاحب كتاب المنهاج الذى رتبه على الحروف وجمع فيه أسماء الحشائش والعقاقير والادوية وغير ذلك شيأ كثيرا

وكان نصرانيا ثم أسلم وصنف رسالة فى الرد على النصارى وبين عوار مذاهبهم ومدح فيها الإسلام وأقام الحجة على انه الدين الحق وذكر فيها ما قرأه فى التوراة والانجيل من ظهور النبى صلى الله عليه وسلم وانه نبى مبعوث وان اليهود والنصارى أخفوا ذلك ولم يظهروه ثم ذكر فيها معايب اليهود والنصارى وهى رسالة حسنة أجاد فيها وقرئت عليه فى ذى الحجة سنة خمس وثمانين وأربعمائة وكان سبب اسلامه انه كان يقرأ على أبى على بن الوليد المعتزلى ويلازمه فلم يزل يدعوه الى الإسلام ويذكر له الدلائل الواضحة حتى هداه الله تعالى وحسن اسلامه وهو تلميذ أبى الحسين سعيد بن هبة الله بن الحسن وبه انتفع فى الطب وكان له نظر فى الادب وكتب الخط الجيد وصنف للامام المقتدى بأمر الله كثيرا من الكتب فمن ذلك كتاب تقويم الابدان وكتاب منهاج البيان فيما يستعمله الانسان وكتاب الاشارة فى تلخيص العبارة ورسالة فى مدح الطب وموافقته

الشرع والرد على من طعن عليه ورسالة كتبها الى الياالقس لما أسلم وغير ذلك من التصانيف وهو من المشاهير في علم الطب وعمله وذكره أبو المظفر يوسف سبط ابى الفرج ابن الجوزى في تاريخه الذي سماه مرآة الزمان فقال انه لما أسلم استخلصه أبو الحسن القاضي ببغداد في كتب السجلات وكان يطب أهل محلته ومعارفه بغير أجرة ويحمل اليهم الاشربة والادوية بغير عوض ويتفقد الفقراء ويحسن اليهم ووقف كتبه قبل وفاته وجعلها في مشهد أبي حنيفة رضي الله عنه ذكر هذا كله في سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة وعادته ان يذكر الانسان ويشرح أحواله في سنة وفاته فان كتابه مرتب على السنين وذكر صاحب كتاب البستان الجامع لتواريخ الزمان ان ابن جزلة مات سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة وزاد أبو الحسن الهمذاني في أواخر شعبان نقله عما ان النجار في تاريخ بغداد وذكر غيره ان اسلامه كان في سنة ست وستين وأربعمائة زاد ابن النجار في تاريخه يوم الثلاثاء حادى عشر جمادى الآخرة رحمه الله تعالى وجزلة بفتح الجيم وسكون الزاي وفتح اللام وبعدها هاء ساكنة والله تعالى أعلم

أبو الفتوح يحيى بن حبش بن اميرك الملقب شهاب الدين السهروردى الحكيم المقتول بحلب

وقيل اسمه أحمد وقيل كنيته اسمه وهو أبو الفتوح وذكر ابو العباس أحمد بن أبى اصيبعة الخزرجى الحكيم في كتاب طبقات الاطباء ان اسم السهروردى المذكور عمر ولم يذكر اسم أبيه والصحيح الذى ذكرته أولا فانهذا نبيت الترجمة عليه فاني وجدته بخط جماعة من أهل المعرفة بهذا الفن واخبرني به جماعة أخرى لا اشك في معرفتهم فقوى عندى ذلك فترجمت عليه والله أعلم كان المذكور من علماء عصره قرأ الحكمة وأصول الفقه على الشيخ مجد الدين الجيلى بمدينة المراغة من اعمال اذربيجان الى ان برع بهما وهذا مجد الدين الجيلى هو شيخ فخر الدين الرازى وعليه تخرج وبصحبته انتفع وكان اماما في فنونه وقال في طبقات الاطباء كان السهروردى المذكور اوحد أهل زمانه في العلوم الحكمية جامعا للعلوم الفلسفية بارعا في الاصول الفقهية مفرط الذكاء فصيح العبارة وكان علمه أكثر من عقله ثم ذكر انه قتل في أواخر سنة ست وثمانين وخمسمائة والصحيح ما سنذكره في أواخر هذه الترجمة ان شاء الله تعالى وعمره نحو ست وثلاثين سنة ثم قال ويقال انه يعرف علم السيميا (وحكى) بعض فقهاء العجم انه كان في صحبته وقد خرجوا من دمشق قال فلما وصلنا الى القابون القرية التى على باب دمشق في طريق من يتوجه الى حلب لقينا قطيع غنم مع تركمانى فقلنا للشيخ يا مولانا نريد من هذه الغنم رأسا نأكله فقال معى عشرة دراهم خذوها واشتروا بها رأس غنم وكان هناك تركمانى فاشترينا منه رأسا بها ومشينا قليلا فلحقنا رفيق له وقال ردوا هذا الرأس وخذوا اصغر منه فان هذا ما عرف يبيعكم يساوى هذا الرأس أكثر من ذلك وتقاولنا نحن واياه فلما عرف الشيخ ذلك قال لنا

شدوا الرأس وامشوا وانا أقف معه وأرضيه فتقدمنا نحن وبقي الشيخ يحدثه معه ويطيب قلبه فلما ابعدنا قليلا تركه وتبعنا وبقي التركماني يمشي خلفه ويصيح به وهو لا يلتفت اليه فلما لم يكلمه لحقه بغيظ وجذب يده اليسرى وقال اين تروح وتخليني واذا بيد الشيخ قد انخلعت من عند كتفه وبقيت في يد التركماني ودمها يجري فبهت التركماني وتحير في أمره فرمى اليد وخاف فرجع الشيخ وأخذ تلك اليد بيده اليمنى ولحقنا وبقي التركماني راجعا وهو يتلفت اليه حتى غاب عنه فلما وصل الشيخ الينا رأينا في يده اليمنى منديلا لاغير قلت ويحكى عنه مثل هذا أشياء كثيرة والله أعلم بصحتها وله تصانيف فمن ذلك كتاب التنقيحات في أصول الفقه وكتاب التلويحات وكتاب الهياكل وكتاب حكمة الاشراف وله الرسالة المعروفة بالغربة الغريبة على مثال رسالة الطير لابي علي ابن سيناء ورسالة حي بن يقظان لابن سيناء أيضا وفيها بلاغة تامة أشار فيها الى حديث النفس وما يتعلق بها على اصطلاح الحكماء ومن كلامه الفكر في صورة قدسيه يتلطف بها طالب الاريحيه ونواحي القدس دار لا يطأها القوم الجاهلون وحرام على الأجساد المظلمة ان تلج ملكوت السموات فوحد الله وأنت بتعظيمه ملآن واذكره وأنت من ملابس الاكوان عريان ولو كان في الوجود شمسان لانطمست الاركان وأبى النظام ان يكون غير ما كان * مفرد

خفيت حتى قلت لست بظاهر * وظهرت من سعي على الاكوان

آخر

لو علمنا اننا ما نلتقي * لقضينا من سليمى وطرا

اللهم خلص لطيفي من هذا العالم الكثيف وتنسب اليه أشعار فمن ذلك ما قاله في النفس على مثال أبيات ابن سينا العينية وهي مذكورة في ترجمته في حرف الحاء واسمه الحسين فقال هذا الحكيم

خلعت هياكلها بجرعاء الحمى * وصبت لمغناها القديم تشوقا

وتلفتت نحو الديار فشاقها * ربع عفت اطلاله فتمزقا

وقفت تسائله فرد جوابها * رجع الصدى أن لا سبيل الى اللقا

فكأنما برق تألق بالحمى * ثم انطوى فكأنه ما أبرقا

ومن شعره المشهور قوله

أبدا تحن اليكم الارواح * ووصالكم ريحانها والراح

وقلوب أهل ودادكم تشتاقكم * والى لذيذ لقائكم ترتاح

وارحمتا للعاشقين تكلفوا * ستر المحبة والهوى فضاح

بالسر ان باحوا تباح دماؤهم * وكذا دماء العاشقين تباح

واذا هم كتموا تحدث عنهم * عند الوشاة المدمع السفاح

وبدت شواهد للسقام عليهم * فيها المشكل أمرهم ايضاح

خفض الجناح لكم وليس عليكم * للصب فى خفض الجناح جناح
فالى لقاكم نفسه مرتاحة * والى رضاكم طرفه طماح
عودوا بنور الوصل من غسق الجفا * فالهجر ليل والوصال صباح
صافاهم فصفوا له فقلوبهم * فى نورها المشكاة والمصباح
وتمتعوا فالوقت طاب لقربكم * راق الشراب ورقت الاقداح
ياصاح ليس على المحب ملامة * ان لاح فى أفق الوصال صباح
لاذنب للعشاق ان غلب الهوى * كتمانهم فنمى الغرام فباحوا
سمحوا بأنفسهم وما بخلوا بها * لما دروا ان السماح رباح
ودعاهم داعى الحقائق دعوة * فغدوا بها مستأنسين وراحوا
ركبوا على سنن الوفا ودموعهم * بحر وشدة شوقهم ملاح
والله ماطلبوا الوقوف ببابه * حتى دعوا وأتاهم المفتاح
لايطربون لغير ذكر حبيبهم * أبدا فكل زمانهم أفراح
حضروا وقد غابت شواهد ذاتهم * فتهتكوا لما رأوه وصاحوا
أفناهم عنهم وقد كشفت لهم * حجب البقا فتلاشت الارواح
فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم * ان التشبه بالكرام فلاح
قم يا نديم الى المدام فهاتها * فى كاسها قد دارت الاقداح
من كرم اكرام بدن ديانة * لا خمرة قد داسها الفلاح

وله فى النظم والنثر اشياء لطيفة لاحاجة الى الاطالة بذكرها وكان شافعى المذهب ويلقب بالمؤيد بالملكوت وكان يتهم بانحلال العقيدة والتعطيل ويعتقد مذهب الحكماء المتقدمين واشتهر ذلك عنه فلما وصل الى حلب افتى علماؤها باباحة قتله بسبب اعتقاده وماظهر لهم من سوء مذهبه وكان أشد الجماعة عليه الشيخان زين الدين ومجد الدين ابنا جهبل وقال الشيخ سيف الدين الآمدى المقدم ذكره فى حرف العين اجتمعت بالسهروردى فى حلب فقال لى لابد أن املك الارض فقلت له من أين لك هذا قال رأيت فى المنام كانى شربت ماء البحر فقلت لعل هذا يكون اشتهار العلم وما يناسب هذا فرأيته لايرجع عما وقع فى نفسه ورأيته كثير العلم قليل العقل ويقال انه لما تحقق القتل كان كثيرا ماينشد

ارى قدمى اراق دمى * وهان دمى فهاندمى

والاول ماخوذ من قول أبى الفتح على بن محمد البستى المقدم ذكره

الى حتفى مشى قدمى * أرى قدمى اراق دمى
فلم أنفك من ندم * وليس بنافعى ندمى

وكان ذلك فى دولة الملك الظاهر صاحب حلب ابن السلطان صلاح الدين رحمه الله فحبسه

ثم خنقه باشارة والده السلطان صلاح الدين وكان ذلك في خامس رجب سنة سبع وثمانين وخمسمائة بقلعة حلب وعمره ثمان وثلاثون سنة وذكره القاضي بهاء الدين المعروف بابن شداد قاضي حلب في أوائل سيرة صلاح الدين وقد ذكر حسن عقيدته فقال كان كثير التعظيم لشعائر الدين وأطال الكلام في ذلك ثم قال ولقد أمر ولده صاحب حلب بقتل شاب نشأ يقال له السهروردي قيل عنه انه معاند للشرائع وكان قد قبض عليه ولده المذكور لما بلغه من خبره وعرف السلطان به فأمر بقتله فقتله وصلبه اياما ونقل سبط ابن الجوزي في تاريخه عن ابن شداد المذكور انه قال لما كان يوم الجمعة بعد الصلاة سلخ ذي الحجة سنة سبع وثمانين وخمسمائة أخرج الشهاب السهروردي ميتا من الحبس بحلب فتفرق عنه أصحابه قلت وأقمت بحلب سنين للاشتغال بالعلم الشريف ورأيت أهلها مختلفين في أمره وكل واحد يتكلم على قدر هواه فمنهم من ينسبه الى الزندقة والالحاد ومنهم من يعتقد فيه الصلاح وانه من أهل الكرامات ويقولون ظهر لهم بعد قتله ما يشهد له بذلك وأكثر الناس على انه كان ملحدا لا يعتقد شيأ نسأل الله تعالى العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة وان يتوفانا على مذهب أهل الحق والرشاد وهذا الذي ذكرته في تاريخ قتله هو الصحيح وهو خلاف ما نقلته في أول هذه الترجمة وقد قيل ان ذلك كان في سنة ثمان وثمانين وليس بشيء أيضا وحبش بفتح الحاء المهملة والباء الموحدة وبالشين المعجمة وأميرك بفتح الهمزة وبعدها ميم مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها ساكنة وبعدها راء مفتوحة ثم كاف وهو اسم اعجمي معناه أمير تصغير أمير وهم يلحقون الكاف في آخر الاسم للتصغير وقد تقدم الكلام على سهرورد في ترجمة الشيخ أبي النجيب عبد القاهر السهروردي فليطلب منه والله تعالى أعلم بالصواب

أبو جعفر يزيد بن القعقاع القارئ مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي عتاقة ويعرف أبو جعفر المذكور بالمدني

يزيد بن ٦١

أخذ القراءة عرضا عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وعن مولاه عبد الله بن عياش ابن أبي ربيعة وعن أبي هريرة رضي الله عنه وسمع عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ومروان بن الحكم ويقال قرأ على زيد بن ثابت رضي الله عنه وروى القراءة عنه عرضا نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم وسليمان بن مسلم بن جماز وعيسى بن وردان الحذاء وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم وله قراءة قال أبو عبد الرحمن النسائي يزيد بن القعقاع ثقة وكان يقرئ الناس بالمدينة قبل وقعة الحرة وقال محمد بن القاسم المالكي أبو جعفر يزيد بن القعقاع مولى ام سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قال ويقال انه جندب بن فيروز مولى عبد الله بن عياش المخزومي وكان من أفضل الناس وقال سليمان بن مسلم أخبرني أبو جعفر يزيد بن القعقاع أنه كان يقرئ في مسجد رسول

الله صلى الله عليه وسلم قبل الحرة وكانت الحرة على رأس ثلاث وستين سنة من مقدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة واخبرني انه كان يمسك المصحف على مولاه عبدالله
ابن عياش وكان من أقرأ الناس وكنت أرى كل ما يقرأ وأخذت عنه قراءته وأخبرني
انه أتى به الى أم سلمة رضي الله عنها وهو صغير فمسحت على رأسه ودعت له بالبركة قال
سليمان المذكور وسألته متى أقرأت القرآن فقال أقرأت أوقرأت فقلت لا بل أقرأت
فقال هيهات قبل الحرة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث وخمسين سنة وقال
نافع بن أبي نعيم لما غسل أبو جعفر يزيد بن القعقاع القارئ بعد وفاته نظروا ما بين نحره
الى فؤاده مثل ورقة المصحف فما شك احد ممن حضره انه نور القرآن وقال سليمان بن مسلم
اخبرني أبو جعفر يزيد بن القعقاع حين كان نافع يمر به فيقول أترى هذا كان يأتيني
وهو غلام له ذؤابة فيقرأ علي ثم كمرني وهو يضحك قال سليمان وقالت أم ولد أبي جعفر
ان ذلك البياض الذي كان بين نحره وفؤاده صار غرة بين عينيه وقال سليمان رأيت
أبا جعفر بعد موته في المنام وهو على الكعبة فقلت له أبا جعفر قال نعم اقرأ اخواني عني
السلام وأخبرهم ان الله تعالى جعلني من الشهداء الاحياء المرزوقين واقرأ أبا حازم
السلام وقل له يقول لك أبو جعفر الكيس الكيس فان الله عز وجل وملائكته يتراءون
مجالسك بالعشيات وقال مالك بن أنس كان أبو جعفر القارئ رجلا صالحا يقرئ الناس
بالمدينة وقال خليفة بن خياط مات أبو جعفر يزيد بن القعقاع سنة اثنين وثلاثين ومائة
بالمدينة وقال غيره مات سنة ثمان وعشرين ومائة وقال أبو علي الاهوازي في أول
كتاب الاقناع في القراآت قال ابن جماز ولم يزل أبو جعفر امام الناس في القراءة الى ان
توفي سنة ثلاث وثلاثين ومائة بالمدينة وقيل انه توفي في سنة ثلاثين ومائة والله أعلم
قلت وقد تكرر ذكر الحرة في هذه الترجمة في مواضع وقد يتشوق الى الوقوف على معرفة
ذلك من لا علم له به والحرة في الاصل اسم لكل أرض ذات حجارة سود حتى كانت بهذه
الصفة قيل لها حرة والحرار كثيرة والمراد بهذه الحرة حرة واقم بالقاف المكسورة وهي
بالقرب من المدينة في جهتها الشرقية كان يزيد بن معاوية بن أبي سفيان في مدة ولايته
قد سير الى المدينة جيشا مقدمه مسلم بن عقبة المري فنهبها وأخرج أهلها الى هذه الحرة
فكانت الوقعة بها وجرى فيها ما يطول شرحه وهو مسطور في التواريخ حتى قيل انه
بعد وقعة الحرة ولدت أكثر من ألف بكر من أهل المدينة ممن ليس لهن أزواج بسبب
ما جرى فيها من الفجور ثم ان مسلم بن عقبة المري لما قتل أهل المدينة وتوجه الى مكة
نزل به الموت بموضع يقال له ثنية هرشا فدعا حصين بن نمير السكوني وقال له يا برذعة
الحمار ان أمير المؤمنين عهد الي ان نزل بي الموت أن أوليك الجيش واكره ذلك له عند
الموت ثم انه أوصى اليه بامور يعتمدها ثم قال لئن دخلت النار بعد قتلي أهل الحرة اني اذا
لشقي واما واقم فانه اسم اطم من آطام المدينة والاطم بضم الهمزة والطاء المهملة يشبه

بالقصر

بالقصر وكان مبنيا عند هذه الحرة فاضيفت الحرة اليه فقيل حرة واقم والله تعالى أعلم

أبو روح يزيد بن رومان القارئ مولى الزبير بن العوام المدنى

أخذ القراءة عرضا عن عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة المخزومى وسمع ابن عباس وعروة بن الزبير رضى الله عنهم وروى القراءة عنه عرضا نافع بن أبى نعيم قال يحيى بن معين يزيد بن رومان ثقة وقال وهب بن جرير حدثنا أبى قال رأيت محمد بن سيرين ويزيد بن رومان يعتدان الآى فى الصلاة وقال يزيد بن رومان كنت أصلى الى جنب نافع بن جبير بن مطعم فيغمزنى فأفتح عليه ونحن نصلى وروى يزيد أن الناس كانوا يقومون فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بثلاث وعشرين ركعة فى شهر رمضان وتوفى يزيد فى سنة ثلاثين ومائة رحمه الله تعالى ورومان بضم الراء وسكون الواو وبعدها ميم ثم ألف ونون

أبو خالد يزيد بن المهلب بن أبى صفرة الازدى

قد تقدم ذكر أبيه فى حرف الميم ورفعت نسبه وتكلمت عليه فاغنى عن الاعادة ههنا ذكر ابن قتيبة فى كتاب المعارف وجماعة من المؤرخين انه لما مات أبوه فى التاريخ المذكور فى ترجمته كان قد استخلف ولده يزيد مكانه ويزيد ابن ثلاثين سنة فمكث نحوا من ست سنين من يومئذ فعزله عبد الملك بن مروان برأى الحجاج بن يوسف الثقفى وولى مكانه فى خراسان قتيبة بن مسلم الباهلى قلت وقد تقدم ذكره فى حرف القاف وصار يزيد فى يد الحجاج قلت وكان الحجاج زوج أخته هند بنت المهلب وكان الحجاج يكره يزيد لما يرى فيه من النجابة فيخشى منه لئلا يترتب مكانه فكان يقصده بالمكروه فى كل وقت كى لا يثب عليه وكان الحجاج فى كل وقت يسأل المنجمين ومن يعانى هذه الصناعة عمن يكون مكانه فيقولون رجل اسمه يزيد فلا يرى من هو أهل لذلك سوى يزيد المذكور والحجاج يومئذ أمير العراقين وكذا وقع فانه لما مات الحجاج ولى يزيد مكانه هذا قول المؤرخين ونعود الى تتمة ما ذكره فى المعارف قال فعذبه الحجاج وهرب يزيد من حبسه الى الشام يريد سليمان بن عبد الملك فاتاه فشفع له الى أخيه الوليد بن عبد الملك فامنه وكف عنه ثم ولاه سليمان خراسان حين افضيت اليه الخلافة فافتتح جرجان ودهستان وأقبل يزيد يريد العراق فتلقاه موت سليمان بن عبد الملك فصار الى البصرة فاخذه عدى بن أرطاة فأوثقه وبعث به الى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فحبسه عمر فهرب من حبسه وأتى البصرة ومات عمر فخالف يزيد وخلع يزيد بن عبد الملك فوجه اليه أخاه مسلمة فقتله وقال الحافظ أبو القاسم المعروف بابن عساكر فى تاريخه الكبير يزيد بن المهلب ولى امارة البصرة لسليمان بن عبد الملك ثم نزعه عمر بن عبد العزيز وولى عمر عدى بن أرطاة وقدم به على عمر فحبسه وطالبه ويحكى عن أنس بن مالك وعمر بن عبد العزيز وأبيه المهلب وروى عنه عبد الرحمن وأبو عيينة بن المهلب وأبو اسحاق السبيعى وغيرهم وقال الاصمعى

ان الحجاج قبض على يزيد وأخذه بسوء العذاب فسأله ان يخفف عنه العذاب على ان يعطيه كل يوم مائة ألف درهم فان أداها والا عذبه الى الليل قال فجمع يوما مائة ألف درهم ليشتري بها عذابه في يومه فدخل عليه الاخطل الشاعر فقال

أبا خالد بادت خراسان بعدكم * وصاح ذوو الحاجات أين يزيد
فلا مطر المروان بعدك مطرة * ولا اخضر بالمروين بعدك عود
فما لسرير الملك بعدك بهجة * ولا لجواد بعد جودك جود

قوله في البيت الثاني فلا مطر المروان ولا اخضر بالمروين هما تثنية مرو وأحدهما شاهجان وهي العظمى والاخرى مرو الروذ وهي الصغرى وكلتاهما مدينتان مشهورتان بخراسان وقد تكرر ذكرهما في هذا الكتاب قال فاعطاه المائة ألف فبلغ ذلك الحجاج فدعا به وقال يامروزي أفيك هذا الكرم وأنت بهذه الحالة قد وهبت لك عذاب اليوم وما بعده قلت هكذا ذكر ابن عساكر والمشهور ان صاحب هذه الواقعة وهذه الابيات هو الفرزدق ثم اني رأيت هذه الابيات في ديوان زياد الاعجم والله أعلم بالصواب وذكر الحافظ أيضا ان يزيد لما هرب من الحجاج قاصدا سليمان ابن عبد الملك وهو يومئذ بالرملة فاجتاز في طريقه بالشام على أبيات عرب فقال لغلامه استقنا من هؤلاء لبنا فأتاه بلبن فشربه فقال أعطهم ألف درهم فقال الغلام ان هؤلاء لا يعرفونك قال لكني أعرف نفسي أعطهم ألف درهم فاعطاهم وقال الحافظ أيضا يزيد بن المهلب طلب حلاقا فجاء فحلق رأسه فأمر له بألف درهم فتحير ودهش وقال بهذا الالف أمضي الى أم فلانة فأشتري بها فقال أعطوه ألفا أخرى فقال امرأته طالق ان حلقت رأس أحد بعدك فقال أعطوه ألفين آخرين وقال المدائني كان سعيد بن عمرو بن العاص مواخيا ليزيد بن المهلب فلما حبس عمر بن عبد العزيز يزيد منع الناس من الدخول اليه فأتاه سعيد فقال يا أمير المؤمنين لي على يزيد خمسون ألف درهم وقد حلت بيني وبينه فان رأيت ان تأذن لي فأقتضيه فاذن له فدخل عليه فسر به يزيد وقال كيف وصلت الي فأخبره سعيد فقال والله لاتخرج الا وهي
فحلف يزيد ليقبضنها فوجه الى منزله حتى حمل الى سعيد خمسون ألف درهم وزاد ابن عساكر فقال وفي ذلك قال بعضهم

فلم أر محبوسا من الناس ماجدا * حبا زائرا في السجن غير يزيد
سعيد بن عمرو اذ أتاه أجازه * بخمسين ألفا عجلت لسعيد

وقال يزيد يوما والله للحياة أحب الي من الموت ولثناء حسن أحب الي من الحياة ولو أعطيت مالم يعطه أحد لأحببت ان يكون لي اذن أسمع بها غدا ما يقال في اذا أنا مت وقد سبق ذكر هذا الكلام في ترجمة أبيه المهلب وأنه من كلامه لا من كلام ابنه يزيد والله أعلم وقال أبو الحسن المدائني باع وكيل يزيد بن المهلب بطيخا بباه من غلة بعض أملاكه

باربعين

بأربعين ألف درهم فبلغ ذلك يزيد فقال له يزيد تركتنا بقالين أما كان في عجائز الازد من تقسمه فيهن وغضب غضبا شديدا ومدحه عمرو بن لجا بشعر يقول فيه

آل المهلب قوم ان نسبتهم * كانوا المكارم آباء وأجدادا

كم حاسد لهم يعيا بفضلهم * وما دنا من مساعيهم ولا كادا

ان العرانين تلقاها محسدة * ولا ترى للئام الناس حسادا

لو قيل للمجد حد عنهم وخلهم * بما احتكمت من الدنيا لما حادا

ان المكارم أرواح يكون لها * آل المهلب دون الناس اجسادا

وقال الاصمعي قدم على يزيد بن المهلب قوم من قضاعة فقال رجل منهم

والله ماندرى اذا ما فاتنا * طلب لديك من الذى نتطلب

ولقد ضربنا فى البلاد فلم نجد * أحدا سواك الى المكارم ينسب

فاصبر لعادتك التى عودتنا * اولا فارشدنا الى من نذهب

فأمر له بألف دينار فلما كان فى العام المقبل وفد عليه فانشده

مالى أرى أبوابهم مهجورة * وكأن بابك مجمع الاسواق

حابوك أم هابوك أم شاموا الندى * بيديك فاجتمعوا من الآفاق

انى رأيتك للمكارم عاشقا * والمكرمات قليلة العشاق

فأمر له بعشرة آلاف درهم واجمع علماء التاريخ على انه لم يكن فى دولة بنى أمية اكرم من بنى المهلب كما لم يكن فى دولة بنى العباس أكرم من البرامكة والله أعلم وكان لهم فى الشجاعة أيضا مواقف مشهورة (وحكى) ابن الجوزى فى كتاب الاذكياء أن يزيد بن المهلب وقعت عليه حية فلم يدفعها عن نفسه فقال له أبوه ضيعت العقل من حيث حفظت الشجاعة ولما خرج عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث بن قيس الكندى على الحجاج وقصته مشهورة أتى تستر فاجتمع اليه جماعة فذكروا بوما آل المهلب ووقعوا فيهم فقال عبد الرحمن لحريش بن هلال القريعى وكان فى القوم مالك يا أبا قدامة لا تتكلم فقال والله ما أعلم أحدا اصون لنفسه فى الرخاء ولا ابذل لها فى الشدة منهم وقدم عبد الرحمن بن سليم الكلبى على المهلب فرأى بنيه قد ركبوا عن اخرهم فقال آنس الله الاسلام بتلاحقكم أما والله لئن لم تكونوا اسباط نبوة انكم لأسباط ملحمة ومات ابن لحبيب بن المهلب بن أبى صفرة فقدم أخاه يزيد ليصلى عليه فقيل له اتقدمه وأنت أسن منه والميت ابنك فقال ان أخى قد شرفه الناس وشاع فيهم له الصيت ورمقته العرب بابصارها فكرهت أن أضع منه ما قد رفعه الله تعالى ونظر مطرف بن عبد الله بن الشخير الى يزيد بن المهلب وهو يمشى وعليه حلة يسحبها فقال له ما هذه المشية التى يبغضها الله ورسوله فقال يزيد أما تعرفنى فقال بلى اولك نطفة مذره وآخرك جيفة قذره وأنت بين ذلك تحمل العذره قلت وقد نظم هذا المعنى أبو محمد عبد الله البسامى الخوارزمى

عجبت من معجب بصورته * وكان من قبل نطفة مذره
وفي غد بعد حسن صورته * يصير في الارض جيفة قذره
وهو على تيهه ونخوته * مابين جنبيه يحمل العذره

وذكر الحافظ المعروف بابن عساكر في تاريخه الكبير في ترجمة أبي خراش مخلد بن يزيد بن المهلب أن مخلدا أحد الأسخياء الممدوحين وفد على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يكلمه في أمر أبيه يزيد وقد حبسه عمر وكان أبوه قد ولاه جرجان فاجتاز في طريقه بالكوفة فأتاه حمزة بن بيض الحنفي الشاعر المشهور في جماعة من أهل الكوفة فقام بين يديه وأنشده

اتيناك في حاجة فاقضها * وقل مرحبا يجب المرحب
ولا تكلنا الى معشر * متى يعدوا عدة يكذبوا
فانك في الفرع من أسرة * لهم خضع الشرق والمغرب
وفي ادب فيهم ما نشأ * ت فنعم لعمرك ما أدبوا
بلغت لعشر مضت من سنيـ * ـك مايبلغ السيد الاشيب
فهمك فيها جسام الامور * وهم لداتك أن يلعبوا
وجدت فتلك ألاصائل * فيسأل أو راغب يرغب
فمنك العطية للسائليـ * ـن وممن ببابك أن يطلبوا

فقال هات حاجتك نقضاها وقيل أمر له بمائة ألف درهم وقدم على مخلد رجل قد زاره قبل ذلك فأجازه وقضى حقه فلما عاد اليه قال له مخلد ألم تكن أتيتنا وأجزناك فقال بلى قال فما الذي ردك الينا قال قول الكميت فيك

فاعطى ثم اعطى ثم عدنا * فأعطى ثم عدت له فعادا
مرارا ما اعود اليه الا * تبسم ضاحكا وثنى الوسادا

فاضعف له ما كان أعطاه وقال قبيصة بن عمر المهلبي كان يزيد بن المهلب قد فتح جرجان وطبرستان وأخذ صول وهو رئيس من رؤسائهم قلت كان صاحب جرجان وهو جد ابراهيم بن العباس الصولي وأبي بكر محمد بن يحيى الصولي الاديبين الشاعرين المشهورين قال فاصاب يزيد أموالا كثيرة وعروضا كثيرة فكتب الى سليمان بن عبد الملك اني قد فتحت طبرستان وجرجان ولم يفتحهما أحد من الاكاسرة ولا أحد ممن كان بعدهم غيري واني باعث اليك بقطارات عليها احمال الاموال والهدايا يكون أولها عندك وآخرها عندي فلما مات سليمان وأفضت الخلافة الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بعده أخذه عمر بهذه العدة لسليمان فحبسه فقدم ابنه مخلد على عمر قال قبيصة المهلبي وهب مخلد من لدن خروجه من مرو الشاهجان الى ان ورد دمشق ألف ألف درهم فلما أراد مخلد الدخول على عمر لبس ثيابا مشمرة وقلنسوة لاطئة فقال له عمر اقد شمرت فقال له اذا شمرتم شمرنا

واذا استعلمتم اسبلنا ثم قال له قد وسع الناس عفوك فبالله حبست هذا
تكن عليه بينة عادلة فاحكم عليه والا فيمينه اوفصالحه على ضياعه فقال يز
فلا تحدث العرب ان يزيد بن المهلب صبر عليها ولكن ضياعي فيها و
ومات مخلد وهو ابن سبع وعشرين سنة فقال عمر لو أراد الله بهذا الشيخ
هذا الفتى ويقال ان مخلد بن يزيد أصابه الطاعون فمات وصلى عليه عمر بن
رضى الله عنه ثم قال اليوم مات فتى العرب وأنشد متمثلا

على مثل عمرو تذهب النفس حسرة * وتضحى وجوه القوم مغبرة

ورثاه حمزة بن بيض الحنفى المقدم ذكره بابيات منها

وعطلت الاسرة منك الا * سريرك يوم تحجب بالثياب
وآخر عهد نابك يوم يحثى * عليك بدابق سهل التراب

وقال الفرزدق يرثيه

وما حملت أيديهم من جنازة * ولا البست أثوابها مثل مخلد
أبوك الذى تستهزم الخيل باسمه * وان كان فيها قيد شبر مطرد
وقد علموا اذ شد حقويه انه * هو الليث ليث الغاب لا بالمعربد

قلت وهذا يدل على ان مخلد بن يزيد مات فى حدود سنة مائة من الهجرة لان
العزيز ولى الخلافة فى صفر سنة تسع وتسعين وتوفى فى رجب سنة احدى وما
عنده وصلى عليه ويدل على ان موت مخلد كان بدابق ما تقدم من مرثية
ودابق قرية من اعمال حلب من جانبها الشمالى واليها ينسب المرج الذى
دابق وبه كانت وفاة سليمان بن عبد الملك وقبره هناك مشهور (ونعود الى ذكر
أبو جعفر الطبرى فى تاريخه الكبير ان المغيرة بن المهلب كان نائبا عن أبيه بمرو
ومات فى رجب سنة اثنتين وثمانين كما ذكرناه فى ترجمة المهلب فاتى الخبر الى
أهل المعسكر ولم يعلموا المهلب واحب يزيد ان يعلمه من النساء فصرخن فق
ما هذا فقيل مات المغيرة فاسترجع وجزع حتى ظهر جزعه عليه فلامه بعض
فدعا يزيد فوجهه الى مرو وجعل يوصيه بما يعمل ودموعه تحدر على
الحجاج الى المهلب يعزيه عن المغيرة وكان سيدا قلت وكان للمغيرة ابن اسم
أبو تمام الطائى فى كتاب الحماسة فى الباب وأورد من شعره قوله فى يزيد

جفانى يزيد والمغيرة قد جفا * وامسى يزيد لى قد ازور جانبه
وكلهم قد نال شبعا لبطنه * وشبع الفتى لوم اذا جاع صاحبه
فياعم مهلا واتخذنى لنوبة * تنوب فان الدهر جم نوائبه
أنا السيف الا أن للسيف نبوة * ومثلى لا تنبو عليك مضاربه
على أى باب ابتغى الاذن بعدما * حجبت عن الباب الذى أنا حاجبه

(رجعنا الى تتمة كلام الطبرى) وكان المهلب يوم مات المغيرة مقيما بكش وراء النهر لحرب أهلها فسار يزيد فى ستين فارسا فلقيهم خمسمائة من الترك فى المفازة وحاصل الامر انه جرى بينهم قتال شديد ورمى يزيد فى ساقه ثم ان المهلب صالح أهل كش على فدية وانصرف عنهم متوجها الى مرو فلما وصل الى زاغول قرية من اعمال مرو الروذ اصابته الشوصة فدعا ولده حبيبا ومن حضره من ولده ودعا بسهام فحزمت وقال اترونكم كاسريها مجتمعة فقالوا لا قال اترونكم كاسريها مفترقة قالوا نعم قال هكذا الجماعة ثم أوصاهم وصية طويلة لا حاجة الى ذكرها ثم قال فى آخرها وقد استخلفت يزيد وجعلت حبيبا على الجند حتى يقدم بهم على يزيد فلا تخالفوا يزيد فقال له ولده المفضل لو لم تقدمه لقدمناه ومات المهلب حمه الله فى ترجمته وأوصى الى حبيب فصلى عليه حبيب ثم سار الى مرو فكتب يزيد الى عبد الملك بوفاة المهلب واستخلافه اياه فاقره الحجاج ثم انه عزله فى سنة خمس وثمانين واستعمل أخاه المفضل وكان سبب ذلك ان الحجاج وفد على عبد الملك فمر فى منصرفه بدير فنزله فقيل له ان بهذا الدير شيخا من أهل الكتب عالما فدعا به وقال ياشيخ هل تجدون فى كتبكم ما أنتم فيه ونحن فقال نعم نجد ما مضى من أمركم وما أنتم فيه وما هو كائن قال أمسمى ام موصوفا قال كل ذلك موصوف بغير اسم واسم بغير صفة قال فما تجدون صفة أمير المؤمنين قال نجده فى زماننا الذى نحن فيه انه ملك اقرع من يقم لسبيله يصرع قال ثم من قال رجل يقال له الوليد قال ثم ماذا قال رجل اسمه اسم نبى يفتح به على الناس قلت وهو سليمان بن عبد الملك قال افتعلم ما لى قال نعم قال فمن يليه بعدى قال رجل يقال له يزيد قال فى حياتى ام بعد موتى قال لا أدرى قال افتعرف صفته قال يغدر غدرة لا اعرف غير هذا قال فوقع فى نفسه انه يزيد بن المهلب وارتحل فسار سبعا وهو وجل من قول الشيخ وقدم فكتب الى عبد الملك أن يستعفيه من العراق فكتب اليه قد علمت الذى تعنى وانك تريد ان تعلم رأيى فيك ثم ان الحجاج أجمع على عزل يزيد فلم يجد لذلك سببا حتى قدم الخيار بن سبرة وكان من فرسان المهلب وكان مع يزيد فقال له الحجاج اخبرنى عن يزيد فقال حسن الطاعة لين السيرة قال كذبت أصدقنى عنه فقال الله اجل واعظم قد أسرج ولم يلجم قال صدقت واستعمل الخيار على عمان بعد ذلك ثم كتب الى عبد الملك يذم يزيد وآل المهلب وخلاصة الامر انه كرر القول مع عبد الملك فى ذلك الى ان كتب اليه عبد الملك قد اكثرت فى يزيد وآل المهلب فسم لى رجلا يصلح لخراسان فسمى له مجاعة بن سعيد السعدى فكتب اليه عبد الملك ان رايك الذى دعاك الى استفساد آل المهلب هو الذى دعاك الى مجاعة بن سعيد السعدى فانظر لى رجلا صارما ماضيا لامرك فسمى قتيبة بن مسلم الباهلى فكتب اليه أن وله فبلغ يزيد أن الحجاج عزله فقال لاهل بيته من ترون الحجاج يولى خراسان قالوا رجلا من ثقيف قال كلا والله ولكنه يكتب الى رجل منكم

بعهده فاذا قدمت عليه ولى غيره وأخلق بقتيبة بن مسلم قال فلما أذن عبد الملك للحجاج في عزل يزيد كره ان يكتب بعزله فكتب اليه أن استخلف اخاك المفضل وأقبل فاستشار يزيد الحصين بن المنذر فقال له أقم واعتل فان أمير المؤمنين حسن الرأى فيك وانما أتيت من الحجاج فان اقمت ولم تعجل رجوت ان يكتب اليه ان يقر يزيد فقال انا أهل بيت بورك لنا في الطاعة وانا اكره المعصية والخلاف وأخذ في الجهاز فابطأ ذلك على الحجاج فكتب الى أخيه المفضل اني قد وليتك خراسان فجعل المفضل يستحث يزيد فقال له يزيد ان الحجاج لا يقرك بعدى وانما دعاه الى ماصنع مخافة أن أمتنع عليه قال بل حسدتني قال يزيد انا الاحسدك ولكن ستعلم وخرج يزيد في شهر ربيع الاخر سنة خمس وثمانين فعزل الحجاج المفضل وولى قتيبة بن مسلم الباهلي وقيل فيروز بن حصين وقال حصين بن منذر ليزيد المذكور

أمرتك أمرا حازما فعصيتني * فاصبحت مسلوب الامارة نادما

فما أنا بالباكي عليك صبابة * وما أنا بالداعي لترجع سالما

فلما قدم قتيبة خراسان قال لحصين كيف قلت ليزيد قال قلت

أمرتك أمرا حازما فعصيتني * فنفسك أولى اللوم ان كنت لائما

فان يبلغ الحجاج ان قد عصيته * فانك تلقى أمره متفاقما

قال فماذا أمرته به فعصاك قال أمرته ان لا يدع صفراء ولا بيضاء الاحملها الى الامير وفي تولية قتيبة وعزل يزيد قال عبد الله بن همام السلولي

أقتيب قد قلنا غداة أتيتنا * بدل لعمرك من يزيد اعور

ابن المهلب لم يكن كابيكم * هيهات شأنكم أدق واحقر

شتان من بالصنج ادرك والذي * بالسيف يمر والحروب تسعر

حولان باهلة الالى في ملكهم * مات النيدى فيهم وعاش المنكر

قوله بدل اعور هذا مثل يضرب به للرجل المذموم يتولى بعد الرجل المحمود يقال بدل اعور وخلف اعور وقوله من بالصنج ادرك يقال ان قتيبة كان يضرب بالصنج في بدء أمره وقوله حولان باهلة جمع أحول وكان قتيبة احول وهذا الجمع مثل قولهم اسود وسودان واحمر وحمران وقد قيل ان هذه الابيات ليست لعبد الله بن همام وانها لنهار ابن توسعة اليشكري ثم ذكر الطبرى في سنة تسع وتسعين ان الحجاج خرج الى الاكراد الذين غلبوا على عامة أرض فارس فخرج يزيد معه واخوته المفضل وعبد الملك وجعل عليهم في العسكر كهيئة الخندق وجعلهم في فسطاط قريبا منه وجعل عليهم حرسا من أهل الشام واغرمهم ستة الاف ألف وأخذ يعذبهم وكان يزيد يصبر صبرا حسنا وكان الحجاج يغيظه ذلك فقيل له انه رمى بنشابة فثبت أصلها في ساقه فصار لا يمسها شئ الاصاح فان حركت ادنى شئ سمعت صوته فأمران يعذب به ويرهق ساقه فلما

فعل به ذلك صباح وأخته هند عند الحجاج فلما سمعت صياح يزيد صاحت وناحت فطلقها ثم انه كف عنهم واقبل يستأديهم فأخذوا يؤدون وهم يعملون فى الخلاص من مكانهم فبعثوا الى مروان بن المهلب وهو بالبصرة يأمرونه ان يضمر لهم الخيل ويرى الناس انه يريد بيعها ويعرضها على البيع ويغلى بها كى لا تشترى فتكون لنا عدة ان نحن قدرنا ان نخرج من ههنا ففعل ذلك مروان بن المهلب وحبيب بالبصرة يعذب أيضا فأمر يزيد بالحرس فصنع لهم طعام كثير فأكلوا وأمر لهم بشراب فسقوا وكانوا متشاغلين به ولبس يزيد ثياب طباخه ووضع على لحيته لحية بيضاء وخرج فرآه بعض الحرس فقال كأن هذه مشية يزيد فجاء حتى استعرض وجهه ليلا فرأى بياض اللحية فانصرف عنه وقال هذا شيخ وخرج المفضل على اثره ولم يفطن له فجاؤا الى سفينة وقد هيأوها فى البطائح وبينهم وبين البصرة ثمانية عشر فرسخا فلما انتهوا الى السفينة أبطأ عليهم عبد الملك وشغل عنهم فقال يزيد للمفضل اركب بنا فانه لاحق فقال المفضل وكان عبد الملك اخاه لأمه لا والله لا ابرح حتى يجىء عبد الملك ولو رجعت الى السجن فأقام يزيد حتى جاءهم عبد الملك وركبوا فى السفينة وساروا ليلتهم حتى اصبحوا ولما اصبح الحرس علموا بذهابهم فرفع ذلك الى الحجاج ففزع لذلك الحجاج وذهب وهمه انهم ذهبوا قبل خراسان وبعث البريد الى قتيبة ابن مسلم يخبره قدومهم ويأمره ان يستعد لهم وبعث الى أمراء الثغور والكور أن يرصدوهم ويستعدوا وبعث الى الوليد بن عبد الملك يخبره بهم وانه لا يراهم أرادوا الا خراسان ولم يزل الحجاج يظن بيزيد ما صنع وكان يقول انى لأظنه يحدث نفسه بمثل الذى صنع ابن الاشعث (قلت ابن الاشعث هو عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث بن قيس الكندى وكان قد خرج على عبد الملك بن مروان وقصته مشهورة مذكورة فى التواريخ) قال الطبرى ولما دنا يزيد من البطائح استقبلته الخيل وقد هيئت لهم فخرجوا عليها ومعهم دليل فأخذ بهم على السماوة وأتى الحجاج بعد يومين فقيل له انما أخذ الرجل طريق الشام وهذه الخيل لهم فى الطريق وقد أتى من رآهم متوجهين فى البرية فبعث الى الوليد يعلمه بذلك ومضى يزيد حتى قدم فلسطين فنزل على وهيب بن عبد الرحمن الازدى وكان كريما على سليمان بن عبد الملك وجاء وهيب حتى دخل على سليمان فقال ان يزيد واخوته عندى وقد أتوا هربا من الحجاج متعوذين بك فقال ائتنى بهم فهم آمنون لا يوصل اليهم ابدا وأنا حى فجاء بهم حتى دخلوا عليه فكانوا فى مكان أمن وكتب الحجاج الى الوليد ابن عبد الملك ان آل المهلب خانوا مال الله وهربوا منى ولحقوا بسليمان فلما بلغ الوليد مكانهم عند سليمان أخيه هون عليه بعض ما كان فى نفسه وطار غضبا للمال الذى ذهبوا به وكتب الوليد الى أخيه سليمان ان يزيد بن المهلب عندك وقد آمنته وانما عليه ثلاثة الاف ألف كان الحجاج اغرمهم ستة الاف ألف فأدى ثلاثة الاف ألف وبقيت ثلاثة الاف ألف فهى عليه فكتب اليه الوليد لا والله لا أؤمنه حتى تبعث به الى فكتب اليه

لئن انا بعثت به اليك لا تجيئن معه فانشدك الله أن لا تفضحني ولا تخفرني فكتب اليه
الوليد والله لئن جئتني به لا أومنه فقال يزيد ابعثني اليه فوالله ما احب ان اوقع بينك
وبينه عداوة وحربا ولا ان يتشاءم بي لكما الناس ابعث اليه بي وارسل معي ابنك وا كتب
اليه بالطف ماقدرت عليه فارسل ابنه أيوب معه وكان الوليد أمره ان يبعث به اليه في
وثاق فبعثه اليه وقال لابنه اذا أردت ان تدخل عليه فادخل أنت ويزيد في سلسلة على
الوليد ففعل ذلك حتى انتهيا الى الوليد فدخلا عليه فلما رأى الوليد ابن أخيه في سلسلة مع
يزيد قال والله قد بلغنا من سليمان ثم ان الغلام دفع كتاب أبيه الى عمه وقال يا أمير المؤمنين
نفسي فداؤك فلا تخفر ذمة أبي وأنت أحق من منعها ولا تقطع منا رجاء من رجا السلامة
في جوارنا لمكاننا منك ولا تذل من رجا العز في الانقطاع الينا لعزنا بك وقرأ الكتاب فاذا
فيه لعبد الله الوليد أمير المؤمنين من سليمان بن عبد الملك أما بعد يا أمير المؤمنين فوالله
انى لا ظن انه لو استجار بي عدو قد نابذك وجاهدك لأنزلته وأجرته فانك لا تذل جارى
ولا تخفر جوارى بل انى لم أجر الا سامعا مطيعا حسن البلاء والاثر في الاسلام هو وأبوه
وأهل بيته وبعد فقد بعثت به اليك فان كنت انما تعرف قطيعتي والاخفار لذمتي والابلاغ
في مساءتي فقد قدرت ان أنت فعلت ذلك وانا اعيذك بالله من احتيار قطيعتي وانتهاك
حرمتي وترك برى وصلتي فوالله يا أمير المؤمنين ماتدرى ما بقاءى وبقاؤك ولا متى يفرق
الموت بيني وبينك فان استطاع أمير المؤمنين أدام الله سروره ان لا يأتي علينا اجل الوفاة
الا وهولى واصل ولحقى مؤد وعن مساءتي نازع فليفعل والله يا أمير المؤمنين ما اصبحت
لشئ من أمور الدنيا بعد تقوى الله فيها باسر مني برضاك وسرورك ولرضاؤك مما ألتمس
به رضوان الله فان كنت يا أمير المؤمنين تريد يوما من الدهر مسرتي وصلتي وكرامتي
واعظام حقي فتجاوز لي عن يزيد وكل ما طلبته به فهو على فلما قرأ كتابه قال لقد شققنا على
سليمان ثم دعا ابن أخيه فأدناه منه ثم تكلم يزيد فحمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى
على نبيه وآله وسلم ثم قال يا أمير المؤمنين ان بلاءكم عندنا أحسن البلاء فمن ينسى ذلك
فلسنا بناسيه ومن يكفر فلسنا بكافريه وقد كان من بلائنا أهل هذا البيت في طاعتكم
والطعن في اعين اعدائكم في المواطن العظام في المشارق والمغارب ما ان المنة فيه عظيمة
فقال له اجلس فجلس فآمنه وكف عنه ورجع الى سليمان وسعى اخوته في المال الذى
كتب عليه وكتب الى الحجاج انى لم اصل الى يزيد وأهل بيته مع سليمان فاكفف عنهم
واله عن الكتاب الى فيهم فلما بلغ ذلك الحجاج كف عنهم وكان أبو عيينة عند الحجاج
عليه ألف ألف درهم فتركها له وكف عن حبيب بن المهلب وأقام يزيد عند سليمان تسعة
أشهر في ارغد عيش وانعم بال لا تأتي سليمان هدية الا أرسل نصفها اليه وقال بعض
جلساء يزيد له لم لا تتخذ لك دارا فقال وما اصنع بها ولي دار حاصلة مجهزة على الدوام
فقال له وأين هي فقال ان كنت متوليا فدار الامارة وان كنت معزولا فالسجن

ومن كلام يزيد ما يسرني ان أكفى امور دنياى كلها ولى الدنيا بحذافيرها فقيل له ولم ذلك فقال انى اكره عادة العجز ثم ان الحجاج مات فى شوال سنة خمس وتسعين للهجرة وقيل كانت وفاته لخمس ليال بقين من شهر رمضان من السنة وعمره ثلاث وخمسون سنة وقيل اربع وخمسون سنة ولما حضرته الوفاة استخلف يزيد بن أبى كبشة على الحرب والصلاة بالمصرين البصرة والكوفة وولى خراجهما يزيد بن أبى مسلم فاقرهما الوليد وكذلك فعل بكل من استخلفه الحجاج وقيل بل الوليد هو الذى ولاهما وكانت ولاية الحجاج بالعراقين عشرين سنة ثم توفى الوليد بن عبد الملك يوم السبت النصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين للهجرة بدير مروان قلت وهو بسفح جبل قاسيون ظاهر دمشق ودفن فى مقابر باب الصغير ظاهر دمشق وبويع سليمان بن عبد الملك فى اليوم الذى مات فيه أخوه الوليد وفى هذه السنة اعنى سنة ست وتسعين عزل سليمان بن عبد الملك يزيد بن أبى مسلم عن العراق وأمر عليه يزيد بن المهلب وقال خليفة بن خياط جمع ليزيد المصران يعنى الكوفة والبصرة سنة سبع وتسعين والله أعلم وجعل صالح بن عبد الرحمن على الخراج وأمره ان يقتل آل أبى عقيل فكان يعذبهم وكان يلى عذابهم عبد الملك بن المهلب وكان الوليد قد عزم على خلع أخيه سليمان عن ولاية العهد ويجعل ولى عهده ولده عبد العزيز بن الوليد وتابعه على ذلك الحجاج وقتيبة بن مسلم الباهلى والى خراسان الذى تولى بعد يزيد بن المهلب كما سبق ذكره قبل هذا فلما ولى سليمان الخلافة خافه قتيبة بن مسلم وتوهم انه يعزله ويولى خراسان يزيد بن المهلب فكتب الى سليمان كتابا يهنيه بالخلافة ويعزيه عن الوليد ويعلمه بلاءه وطاعته لعبد الملك والوليد وانه على مثل ما كان لهما عليه من الطاعة والنصيحة ان لم يعزله عن خراسان وكتب اليه كتابا آخر يعلمه فيه فتوحه ومكانه وعظم قدره عند ملوك العجم وهيبته فى صدورهم ويذم المهلب وآل المهلب ويحلف بالله لئن استعمل يزيد على خراسان ليخلعنه وكتب كتابا ثالثا فيه خلعه وبعث بالكتب الثلاثة مع رجل من باهلة وقال له ادفع اليه هذا الكتاب فان كان يزيد بن المهلب حاضرا فقرأه ثم ألقاه اليه فادفع اليه هذا الكتاب وان قرأ الاول فاحتبسه ولم يدفعه الى يزيد فاحتبس الكتابين الآخرين قال فقدم رسول قتيبة بن مسلم على سليمان وعنده يزيد بن المهلب فدفع اليه الكتاب فقرأه ثم ألقاه الى يزيد فدفع اليه الكتاب الآخر فقرأه ثم رماه الى يزيد فاعطاه الكتاب الثالث فقرأه فتغير لونه ثم دعا بطين فختمه ثم امسكه بيده . وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى كان فى الكتاب الاول وقيعة فى يزيد بن المهلب وذكر غدره وكفره وقلة شكره وفى الكتاب الثانى ثناء على يزيد وفى الكتاب الثالث لئن لم تقرنى على ما كنت عليه وتؤمننى لأخلعنك خلع النعل ولأملأنها عليك خيلا ورجالا ثم ان سليمان أمر برسول قتيبة ان ينزل بدار الضيافة فلما امسى دعا به واعطاه صرة فيها دنانير وقال هذه جائزتك وهذا عهد صاحبك على خراسان

فسير وهب ذا رسولي معك بعهده فخرج الباهلي ومعه رسول سليمان فلما كان بحلوان تلقاهم الناس بخلع قتيبة فرجع رسول سليمان ودفع العهد الى رسول قتيبة فوصل به اليه فاستشار اخوته فقالوا لا يثق بك سليمان بعد هذا ثم ان قتيبة قتل كما ذكرته في ترجمته في حرف القاف مع الاختصار لان الشرح في ذلك يطول ثم ان يزيد بن المهلب نظر في نفسه لما ولي العراق فقال ان العراق قد أخربها الحجاج وانا اليوم رجاء أهل العراق ومتى قدمتها وأخذت الناس بالخراج وعذبتهم عليه صرت مثل الحجاج أدخل على الناس الحرب وأعيد عليهم تلك السجون التي قد عافاهم الله منها ومتى لم آت سليمان بمثل ما جاء به الحجاج لم يقبل مني فاتى يزيد سليمان فقال ادلك على رجل بصير بالخراج توليه اياه وهو صالح بن عبد الرحمن مولى بني تميم فقال قد قبلنا رأيك فاقبل يزيد الى العراق وكان صالح قدم العراق قبل قدوم يزيد ونزل واسط ولما قدم يزيد خرج الناس يتلقونه ولم يخرج صالح حتى قرب من المدينة ثم خرج اليه وبين يديه أربعمائة من أهل الشام فلقي يزيد وسايره فلما دخل المدينة قال له صالح قد فرغت لك هذه الدار فنزل يزيد ومضى صالح حتى أتى منزله وضيق صالح على يزيد فلم يملكه شيأ واتخذ يزيد ألف خوان يطعم الناس عليها فاخذها صالح فقال له يزيد اكتب ثمنها علي واشترى متاعا كثيرا وصك صكا الى صالح ليبتاعها منه فلم ينفذها فرجعوا الى يزيد فغضب وقال هذا عملي بنفسي فلم يلبث ان جاء صالح فاوسع له يزيد فجلس وقال ليزيد ما هذه الصكاك ان الخراج لا يقوم لها ولقد انفذت لك منذ ايام صكا بمائة ألف درهم وعجلت لك ارزاقك وسألت مالا فاعطيتك فهذا لا يقوم له شيء ولا يرضى به أمير المؤمنين وتؤخذ به فقال له يزيد يا أبا الوليد أجز هذه الصكاك هذه المرة وضاحكه فقال اني أجيزه فلا تكثرن علي فقال لا ولما ولي سليمان يزيد العراق لم يوله خراسان فقال سليمان لعبد الملك بن المهلب كيف أنت يا عبد الملك ان وليتك خراسان قال يجدني أمير المؤمنين حيث يحب ثم أعرض سليمان عن ذلك وكتب عبد الملك الى رجال من خاصته بخراسان ان أمير المؤمنين عرض علي ولاية خراسان فبلغ الخبر الى أخيه يزيد وقد ضجر بالعراق وقد ضيق عليه صالح بن عبد الرحمن ولم يصل معه الى شيء فدعا يزيد عبد الله بن الاهتم فقال اني أريدك لامر قد أهمني وقد احببت ان تكفينيه قال مرني بما احببت قال انا فيما ترى من الضيق وقد اضجرني ذلك وخراسان شاغرة وقد بلغني أن أمير المؤمنين ذكرها لعبد الملك بن المهلب فهل من حيلة قال نعم سرحني الى أمير المؤمنين فاني ارجو أن آتيك بعهده عليها قال فاكتم ما اخبرتك به وكتب الى سليمان كتابين أحدهما يذكر له فيه أمر العراق وأثنى فيه على ابن الاهتم وذكر له علمه بها ووجه ابن الاهتم وحمله على البريد واعطاه ثلاثين ألفا وسار سبعا فقدم بكتاب يزيد على سليمان فدخل عليه وهو يتغدى فجلس ناحية فاتى بدجاجتين فاكلهما ثم قال له سليمان لك مجلس بعد هذا نعود اليه ثم دعا به بعد ثالثه فقال له

سليمان ان يزيد بن المهلب كتب الى يذكر علمك بالعراق وبخراسان ويثني عليك فكيف علمك بها قال انا أعلم الناس بها بها ولدت وبها نشأت قال ما احوج أمير المؤمنين الى مثلك يشاوره فى أمرها فأشر على برجل أوليه خراسان قال أمير المؤمنين أعلم بمن يريد يولى فان ذكر منهم أحدا أخبرته برأيى فيه وهل يصلح أم لا فسمى سليمان رجلا من قريش فقال ليس من رجال خراسان فسمى عبد الملك بن المهلب فقال لا حتى عدد رجالا فكان فى آخر من ذكر وكيع بن أبى سويد فقال يا أمير المؤمنين وكيع رجل شجاع صارم مقدام وليس بصاحبها ومع هذا انه لم يقد ثلثمائة قط فرأى لاحد عليه طاعة قال صدقت ويحك فمن لها قال رجل اعلمه لم تسمه قال فمن هو قال لا ابوح باسمه الا ان يضمن لى أمير المؤمنين بستر ذلك وان يجيرني منه ان علم قال نعم سمه لى قال يزيد بن المهلب قال ذلك بالعراق والمقام بها أحب اليه من المقام بخراسان قال قد علمت يا أمير المؤمنين ولكن تكرهه فيستخلف على العراق رجلا ويسير قال اصبت الرأى فكتب عهد يزيد بن المهلب على خراسان وكتب اليه ان ابن الاهتم كما ذكرت من عقله ودينه وفضله ورأيه ودفع الكتاب وعهد يزيد اليه فسار سبعا فقدم على يزيد فقال له ما وراءك فأعطاه الكتاب فقال ويحك أعندك خبر فأعطاه العهد فأمر يزيد بالجهاز للمسير من ساعته ودعا ابنه مخلدا فقدمه الى خراسان فسار من يومه ثم سار يزيد الى خراسان فأقام بها ثلاثة أشهر أو أربعة ثم غزا جرجان وطبرستان ودهستان وفتحها وذلك فى سنة ثمان وتسعين وقتل من أصحاب يزيد على حصار بعض قلاع جرجان خمسة آلاف رجل فحلف يزيد يمينا مغلظة انه ليقتلنهم حتى تطحن الرحى بدمائهم فأكثر من قتلهم فكانت الدماء لا تجرى حتى صب عليها الماء فجرت وطحنت وأكل مما طحنت بدمائهم ثم مات سليمان بن عبد الملك يوم الجمعة لعشر ليال بقين من صفر سنة تسع وتسعين للهجرة وقيل لعشر ليال مضين من صفر والله أعلم بدابق قرية من شمالى حلب وعهد الى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فعزل عمر فى هذه السنة يزيد بن المهلب عن العراق وجعل مكانه عدى بن ارطاة الفزارى فأخذ يزيد وأوثقه وبعث به الى عمر بن عبد العزيز وكان عمر يبغض يزيد وأهل بيته ويقول هؤلاء جبابرة ولا احب مثلهم وكان يزيد يبغض عمر ويقول انه لا اظنه مرائيا ولما وصل يزيد سأله عمر عن الاموال التى كتب بها الى سليمان فقال كنت من سليمان بالمكان الذى قد رأيت وانما كتبت الى سليمان لاسمع الناس به وقد علمت ان سليمان لم يكن ليأخذنى بشئ مما سمعت ولا بأمر اكرهه فقال عمر لا اجد فى أمرك الا حبسك فاتق الله وأد ما قبلك فانها حقوق المسلمين ولا يسعنى تركها ثم رده الى محبسه وذكر البلاذرى فى كتاب فتوح البلدان فى الفصل المتضمن حديث جرجان وطبرستان ان يزيد بن المهلب لما فرغ من أمر جرجان سار الى طبرستان ثم سار الى خراسان فتلقته الهدايا ثم ولى ابنه مخلدا خراسان وانصرف الى سليمان فكتب اليه ان معه خمسة

وعشرين ألف ألف درهم فوقع الكتاب في يد عمر بن عبد العزيز فأخذ يزيد به وحبسه
وبعث عمر الى الجراح بن عبد الله الحكمي فسرحه الى خراسان ثم قدم مخلد بن يزيد على
عمر وجرى بينهما ماسبق ذكره فلما خرج مخلد بن يزيد قال عمر هذا عندي خير من أبيه
فلم يلبث مخلد الا قليلا حتى مات ولما أبى يزيد ان يؤدى المال الى عمر ألبسه جبة من
صوف وحمله على جمل ثم قال سيروا به الى دهلك قلت وهي جزيرة في بحر عيذاب بالقرب
من سواكن كان الخلفاء يحبسون بها من نقموا عليه قال فلما اخرج يزيد مروا به على
الناس فجعل يزيد يقول أمالي عشيرة يذهب بي الى دهلك انما يذهب الى دهلك بالفاسق
المريب سبحان الله أمالي عشيرة فدخل الى عمر سلامة بن نعيم الخولاني وقال
يا أمير المؤمنين اردد يزيد الى محبسه فاني أخاف ان أمضيته ان ينتزعه قومه فاني رأيت
قومه قد غضبوا له فرده الى محبسه ولم يزل في محبسه حتى بلغه مرض عمر وقيل ان عدى
ابن ارطاة سلمه الى وكيع بن حسان بن أبي اسود التميمي مغلولا مقيدا في سفينة ليوصله
الى عين التمر حتى يحمل الى عمر فعرض لوكيع ناس من الازد لينتزعوه منه فوثب
وكيع وانتضى سيفه وقطع قلس السفينة وأخذ سيف يزيد بن المهلب وحلف بطلاق
امرأته ليضربن عنقه ان لم يتفرقوا عنه فناداهم يزيد وأعلمهم بيمين وكيع فتفرقوا
ومضى به حتى سلمه الى الجند الذين بعين التمر وحمله الجند الى عمر فحبسه ولما كان يزيد
في حبس عمر دخل عليه الفرزدق فرآه مقيدا فانشده

اصبح في قيدك السماحة والجو * د وحمل الديات والحسب
لا بطر ان ترادفت نعم * وصابر في البلاء محتسب

فقال له يزيد ويحك ماذا صنعت أسأت الي قال ولم ذاك قال مدحتني وانا على هذه الحالة
فقال له الفرزدق رأيتك رخيصا فاحببت ان أسلف فيك بضاعتي فرمى يزيد اليه بخاتمه
وقال شراؤه ألف دينار وهو ربحك الى ان يأتيك رأس المال واستمر يزيد في محبسه الى
ان مرض عمر في سنة احدى ومائة فخاف يزيد بن المهلب من يزيد بن عبد الملك بن مروان
أن يلي الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز وكان يزيد بن المهلب لما ولى العراق قد عذب آل
أبي عقيل وهم رهط الحجاج كما سبق ذكره وكانت أم الحجاج بنت محمد بن يوسف بن الحكم
ابن أبي عقيل عند يزيد بن عبد الملك وهي أم الوليد بن يزيد فاسق بني امية وهي بنت أخي
الحجاج وكان يزيد بن عبد الملك قد عاهدها لئن امكنه الله من يزيد بن المهلب ليقطعن منه
طابقا فكان يخشى ذلك فأخذ يعمل في الهرب فبعث الى مواليه فاعدوا له ابلا وكان
مرض عمر في دير سمعان فلما اشتد مرض عمر نزل يزيد من محبسه وخرج حتى أتى المكان
الذي فيه ابله وقد واعدهم اليه فاحتمل وخرج فلما جاوز كتب الى عمر اني والله لو علمت
انك تبقى ماخرجت من محبسي ولكني لم آمن يزيد بن عبد الملك فقال عمر اللهم ان كان
يزيد يريد بهذه الامة شرا فاكفهم شره واردد كيده في نحره ومضى يزيد بن المهلب وزعم

الواقدى اذيزيد بن المهلب انما هرب من سجن عمر بعد موت عمر قلت وجدت فى مسودة تاريخ القاضى كمال الدين بن العديم الحلبى ان عمر حبس يزيد بن المهلب وابنه معاوية بحناب وهرب منها والله أعلم ثم توفى عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة وقيل الاربعاء لخمس ليال بقين من رجب سنة احدى ومائة رحمه الله تعالى بدير سمعان وقيل انه مات لعشر بقين من رجب من السنة وهو ابن تسع وثلاثين سنة واشهر وقيل انه مات بخناصرة وخناصرة بضم الخاء المعجمة وبعدها نون وبعد الالف صاد مهملة مكسورة وبعد الراء هاء وهى بليدة قديمة بالقرب من حمص وذكرها المتنبى فى قوله

أحب حمصا الى خناصرة * وكل نفس تحب محياها

وامه أم عاصم بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان يقال له اشج بنى أمية وذلك ان دابة من دواب أبيه كانت شجته قال نافع مولى ابن عمر كنت اسمع ابن عمر كثيرا ما يقول ليت شعرى من هذا الذى من ولد عمر فى وجهه علامة يملأ الارض عدلا وقال سالم الافطس ان عمر بن عبد العزيز رمحته دابة وهو غلام بدمشق فاتى أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو يبكى فضمته اليها وجعلت تمسح الدم عن وجهه ودخل أبوه عليها وهو على تلك الحال فاقبلت عليه تعذله وتلومه وتقول ضيعت ابنى ولم تضم اليه خادما ولا حاضنا يحفظه من مثل هذا فقال لها اسكتى يا أم عاصم فطوبى لك ان كان هذا اشج بنى أمية وقال حماد بن زيد ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر بعجوز تبيع لبنا معها فى سوق الليل فقال لها يا عجوز لا تغشى المسلمين وزوار بيت الله تعالى ولا تشوبى اللبن بالماء فقالت نعم يا أمير المؤمنين ثم مر بها بعد ذلك فقال لها يا عجوز ألم اتقدم اليك ان لا تشوبى لبنك بالماء فقالت والله ما فعلته فقالت ابنة لها من داخل الخباء أغشا وكذبا جمعت على نفسك فسمعها عمر فهم بمعاقبة العجوز فتركها للكلام ابنتها ثم التفت الى بنيه فقال ايكم يتزوج هذه فلعل الله عز وجل يخرج منها نسمة طيبة مثلها فقال عاصم بن عمر أنا أتزوجها فزوجها اياه فولدت له أم عاصم فتزوج أم عاصم عبد العزيز ابن مروان فولدت له عمر بن عبد العزيز ثم تزوج بعدها حفصة وفيها قيل ليست حفصة من نساء أم عاصم وذكر الشيخ شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزغلى بن عبد الله سبط الشيخ جمال الدين أبى الفرج بن الجوزى فى كتاب جوهرة الزمان فى تذكرة السلطان عن ابن عمر قال بينما أبى يعس بالمدينة اذ سمع امرأة وهى تقول لابنتها يا بنية قومى فشوبى اللبن بالماء فقالت يا أماه اما سمعت منادى أمير المؤمنين انه نادى ان لا يشاب اللبن بالماء فقالت وأين أنت من مناديه الساعة فقالت اذ لم يرنى مناديه الم يرنى رب مناديه وفى رواية أخرى قالت والله ما كنت لاطيعه فى الملا واعصيه فى الخلا قال فبكى عمر رضى الله عنه فلما أصبح دعا بالمرأة وبابنتها وسأل هل لها زوج فقالت ليس لها زوج فقال يا عبد الله تزوج هذه فلو كانت بى حاجة الى النساء لتزوجتها فقلت انا فى غنى عنها

فقال يا عاصم تزوجها فتزوجها فجاءت بابنة فحملت بعمر بن عبد العزيز ولما مات
عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه ولي مكانه يزيد بن عبد الملك بن مروان ثم ان
يزيد بن المهلب لحق بالبصرة فغلب عليها وأخذ عامل يزيد بن عبد الملك وهو عدي بن
ارطاة الفزاري فحبسه وخلع يزيد بن عبد الملك ورام الخلافة لنفسه فجاءته احدى
حظاياه وقبلت الارض بين يديه وقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين فانشدها

رويدك حتى تنظري عم تنجلي * غمامة هذا العارض المتألق

قلت وهذا البيت من جملة أبيات لبشر بن قطنة الاسدي قلت ولا حاجة الى تفصيل الحال
فيه فان شرحه يطول وهذه خلاصته ثم ان يزيد بن عبد الملك جهز لقتاله أخاه مسلمة بن
عبد الملك وابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك ومعهما الجيش وخرج يزيد بن المهلب
للقائهم واستخلف على البصرة ولده معاوية بن يزيد وعنده الرجال والاموال والاسرى
وقدم بين يديه أخاه عبد الملك بن المهلب وسار حتى نزل العقر قلت هي عقر بابل وهي عند
الكوفة بالقرب من كربلا الموضع الذي قتل فيه الحسين رضي الله عنه والعقر بفتح العين
المهملة وسكون القاف وبعدها راء وهو في الاصل اسم القصر والمواضع المسماة بالعقر
أربعة أحدها هذا ولا حاجة الى ذكر الباقي وقد ذكرها ياقوت الحموي في كتابه الذي
سماه المشترك وضعا المختلف صقعا قال الطبري ثم اقبل مسلمة بن عبد الملك حتى نزل على
يزيد بن المهلب فاصطفوا ثم اقتتل القوم فشد أهل البصرة على أهل الشام فكشفوهم
ثم ان أهل الشام كروا عليهم فكشفوهم وكان على مقدمة جيش يزيد أخوه
عبد الملك فلما انكشف جاء الى أخيه يزيد وكان الناس يبايعون يزيد بن المهلب وكانت
مبايعته على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وان لا تطأ الجنود بلادهم ولا بيضتهم
ولا تعاد عليهم سيرة الفاسق الحجاج وكان مروان بن المهلب بالبصرة يحرض الناس
على حرب أهل الشام ويسرح الناس الى أخيه يزيد وكان الحسن البصري رضي الله
عنه يثبط الناس عن يزيد بن المهلب فقال يوما في مجلسه يا عجبا لفاسق من الفاسقين
ومارق من المارقين غبر برهة من دهره ينتهك لله في هؤلاء القوم كل حرمة ويركب له
فيهم كل معصية ويأكل ما أكلوا ويقتل من قتلوا حتى اذا منعوه لماظة كان يتلمظها
قال أنا لله غضبان فاغضبوا ونصب قصبا عليها خرق وتبعه رجراجة رعاع هباء ما لهم
افئدة وقال أدعوكم الى سنة عمر بن عبد العزيز ألا وان من سنة عمران توضع رجلاه
في قيد ثم يوضع حيث وضعه عمر فقال له رجل أتعذر أهل الشام يا أبا سعيد يعني بني أمية
فقال أنا اعذرهم لا عذرهم الله والله لقد حدثنا ابن عباس رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اني حرمت المدينة بما حرمت به بلدك مكة فدخلها
أهل الشام ثلاثا لا يغلق لها باب الا احرق بما فيه حتى ان الاقباط والانباط ليدخلون
على نساء قريش فينتزعون خمرهن من رؤسهن وخلاخلهن من أرجلهن بسيوفهم على

عوانقهم وكتاب الله تعالى تحت أرجلهم انا اقتل نفسي لما سقين تنازعا هذا الامر والله لوددت ان الارض أخذتهم ما خسفا جميعا فبلغ ذلك يزيد بن المهلب فاتى الحسن هو وبعض بني عمه الى حلقته في المسجد متنكرين فسلموا عليه ثم خلوا به وصار الناس يتقارون اليهم فلما جاء يزيد فدخل في ملاحاتهما ابن عم يزيد فقال له الحسن فما أنت وذاك يا ابن اللخناء فاخترط سيفه ليضربه به فقال يزيد ما تصنع قال أقتله فقال له يزيد اغمد سيفك فوالله لو فعلت لانقلب من معنا علينا قلت ويزيد بن المهلب المذكور هو الذي عناه ابن دريد في مقصورته المعروفة بالدريدية بقوله

وقد سما قبلي يزيد طالبا ٭ شأو العلى فما وهى ولا ونى

وكل من شرح الدريدية تكلم على هذا البيت وشرح قصته وكانت اقامة يزيد بن المهلب منذ اجتمع هو ومسلمة بن عبد الملك ثمانية أيام حتى اذا كان يوم الجمعة لاربع عشرة مضت من صفر سنة اثنتين ومائة أمر مسلمة ان تحرق السفن فاحرقت والتقى الجمعان ونشبت الحرب فلما رأى الناس الدخان وقيل لهم احترق الجسر انهزموا فقيل ليزيد قد انهزم الناس فقال مم انهزموا فقيل له احرق الجسر فلم يلبث أحد فقال قبحهم الله بق دخن عليه فطار وكان يزيد لا يحدث نفسه بالفرار وجاءه من أخبره ان أخاه حبيبا قد قتل فقال لا خير في العيش بعد حبيب قد كنت والله ابغض الحياة بعد الهزيمة فوالله ما ازددت لها الا بغضا امضوا قدما قال أصحابه فعلمنا ان الرجل قد استقتل وأخذ من يكره القتال ينكص وأخذوا يتسللون وبقيت معه جماعة حسنة وهو يزداف فكلما مر بخيل كشفها أو بجماعة من أهل الشام عدلوا عنه وعن سنن أصحابه فجاءه أبو رؤبة المرجي وقال ذهب الناس فهل لك ان تنصرف الى واسط فانها حصن تنزلها ويأتيك مدد أهل البصرة ويأتيك أهل عمان والبحرين في السفن وتضرب خندقا فقال له قبح الله رأيك ألي تقول ذا الموت ايسر علي من ذلك فقال له فاني أتخوف عليك اما ترى ما حولك من جبال الحديد فقال له فانا ما ابالي بها أجبال حديد كانت أو جبال نار اذهب عنا ان كنت لا تريد قتالا معنا وأقبل على مسلمة لا يريد غيره حتى اذا دنا منه دعا مسلمة بفرسه ليركبه فعطفت عليه خيول أهل الشام وعلى أصحابه فقتل يزيد بن المهلب وقتل معه أخوه محمد وجماعة من أصحابه وقال القحل بفتح القاف وسكون الحاء المهملة وآخره لام ابن عياش الكلبي لما نظر الى يزيد يا أهل الشام هذا يزيد والله لاقتلنه أو ليقتلني ان دونه ناسا فمن يحمل معي يكفيني أصحابه حتى أصل اليه فقال له ناس من أصحابه نحن نحمل معك فحملوا بأجمعهم فاضطربوا ساعة وسطع الغبار وانفرج الفريقان عن يزيد قتيلا وعن القحل بن عياش بآخر رمق فأومى الى أصحابه يريهم مكان يزيد وجاء برأس يزيد مولى لبني مرة فقيل له أنت قتلته فقال لا وفي اثناء الوقعة نظر الحواري بن زياد الى برذون عائر فقال الله أكبر هذا برذون الفاسق ابن المهلب قد قتله الله ان شاء الله تعالى

فطلبوه

وطلبوه فأتى مسلمة برأسه فلم يعرف الرأس فقال حبار النبطى مهما ظننتم فلا تظنوا ان الرجل هرب ولقد قتل فقال مسلمة وما علامة ذلك فقال انى سمعته ايام ابن الاشعث يقول قبح الله ابن الاشعث هبوه غلب على أمره اكان يغلب على الموت الامات كريما قلت ذكر الامير أبو نصر بن ما كولا فى باب الفحل والقحل والجحل ما مثاله وأما القحل فقحل القحل الاان أوله قاف فهو القحل بن عياش بن حسان بن سمير بن شراحيل بن عزيز قتل يزيد المهلب وقتله يزيد ضرب كل واحد منهما صاحبه فقتله فلما أتى برأس يزيد الى مسلمة لم يعرف ولم ينكر فقيل له مر برأسه فليغسل ثم ليعمم ففعل به ذلك فعرفه فبعث به الى أخيه يزيد بن عبد الملك مع خالد بن الوليد بن عقبة بن أبى معيط وقال خليفة بن خياط ولد يزيد بن المهلب سنة ثلاث وخمسين وتوفى مقتولا يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلت من صفر سنة اثنتين ومائة والله أعلم ولما جاءت هزيمة يزيد واسط أخرج معاوية ابن يزيد بن المهلب اثنين وثلاثين أسيرا كانوا فى يديه فضرب أعناقهم منهم عدى بن ارطاة ثم خرج وقد قال له القوم ويحك لانراك تقتلنا الاأن أباك قد قتل ثم أقبل حتى أتى البصرة ومعه المال والخزائن وجاء المفضل بن المهلب واجتمع جميع أهل المهلب بالبصرة وقد كانوا يتخوفون الذى كان فاعدوا السفن البحرية وتجهزوا بكل الجهاز وأراد معاوية بن يزيد بن المهلب ان يتأمر على آل المهلب فاجتمعوا وأمروا عليهم المفضل بن المهلب وقالوا المفضل أكبرنا سنا وانما أنت غلام حدث السن كبعض فتيان أهلك فلم يزل المفضل عليهم حتى خرجوا الى كرمان وبكرمان فلول كثيرة فاجتمعوا الى المفضل وبعث مسلمة بن عبد الملك فى طلب آل المهلب وطلب الفلول فادركوهم فى عقبة بفارس فاشتد قتالهم فقتل المفضل وجماعة من خواصه ثم قتل آل المهلب عن آخرهم الاأباعيينة وعثمان بن المفضل فانهما نجوا ولحقا بخاقان ورتبيل وبعث مسلمة برؤسهم الى أخيه يزيد وهو على حلب فلما نصبوا اخرج لينظر اليهم فقال لاصحابه هذا رأس المفضل والله لكانه جالس معى يحدثنى وقال غير الطبرى لما حمل رأس يزيد بن المهلب الى يزيد بن عبد الملك نال منه بعض جلسائه فقال له مه ان يزيد طلب جسيما وركب عظيما ومات كريما ولما فرغ مسلمة من حرب آل المهلب جمع له اخوه يزيد ولاية الكوفة والبصرة وخراسان فى هذه السنة ولما قتل يزيد بن المهلب رثاه شاعره ثابت قطنة بمراث كثيرة حسنة منها قوله

كل القبائل بايعوك على الذى * تدعو اليه وتابعوك وساروا

حتى اذا اشتجر القنا وتركتهم * رهن الاسنة أسلموك وطاروا

ان يقتلوك فان قتلك لم يكن * عارا عليك ورب قتل عار

قلت وهذا ثابت قطنة من شعراء خراسان وفرسانهم وذهبت عينه فكان يحشوها قطنة وقد كان يزيد بن المهلب قد استعمله على بعض كور خراسان فلما علا المنبر أرتج عليه فلم

ينطق حتى نزل فدخل عليه الناس فقال

فان لا اقم فيكم خطيبا فانني * بسيفي اذا جد الوغى لخطيب

فقالوا لو كنت قلت هذا على المنبر لكنت اخطب الناس ذكره ابن قتيبة فى كتاب طبقات الشعراء وقال ابن الكلبي فى جمهرة النسب هو ثابت بن كعب بن جابر بن كعب بن كرمان بن طرفة بن وهب بن مازن بن تميم بن الاسد بن الحارث بن العتيك بن الاسد بن عمران بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السما وفيه يقول صاحب الفيل الحنفي وكانا يتهاجيان

ابا العلاء لقد لاقيت معضلة * يوم العروبة من كرب وتخنيق

تلوى اللسان اذا رمت الكلام به * كما هوى زلق من شاهق النيق

لما رمتك عيون الناس ضاحية * انشأت تجرض لما قمت بالريق

وقال غير الطبرى ان الذى قتل يزيد بن المهلب هو الهذيل بن زفر بن الحارث الكلابى وقال الكلبي نشأت والناس يقولون ضحى بنو أمية بالدين يوم كربلاء وبالكرم يوم العقر وقال محمد بن واسع لما جاءنى يزيد أتتنى با كية عمانية تندب لى قتل آل المهلب وقال عباد بن عباد مكثنا نيفا وعشرين سنة بعد قتل آل المهلب لا تولد فينا جارية ولا يموت منا غلام وقال خليفة بن خياط سنة اثنتين ومائة فيها قتل يزيد بن المهلب يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلت من صفر وهو ابن تسع وأربعين سنة رحمه الله تعالى فلقد كان من النجباء الكرماء العظماء الفرسان وروى ان مسلمة بن عبد الملك دخل على أخيه يزيد بن عبد الملك حين خلعه يزيد بن المهلب فرآه فى ثوب مصبوغ فقال له أتلبس مثل هذا وأنت ممن قيل فيه

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم * دون النساء ولو باتت بأطهار

فقال له مسلمة ذاك ونحن نحارب أكفاءنا من قريش فاما ان نعق ناعق فلا ولا كرامة قلت وهذا البيت للاخطل التغلبي النصرانى الشاعر المشهور

أبو العلاء يزيد بن أبى مسلم دينار الثقفى مولاهم

كان مولى الحجاج بن يوسف الثقفى وكاتبه وكان فيه كفاية ونهضة قدمه الحجاج بسببهما وقد تقدم فى ترجمة يزيد بن المهلب ان الحجاج لما حضرته الوفاة استخلفه على الخراج بالعراق فلما مات الحجاج أقره الوليد بن عبد الملك على حاله ولم يغير عليه شيأ وقيل ان الوليد هو الذى ولاه بعد موت الحجاج وقال الوليد يوما مثلى ومثل الحجاج وابن أبى مسلم كرجل ضاع منه درهم فوجد دينارا ولما مات الوليد وتولى أخوه سليمان عزل يزيد بن أبى مسلم وبعث مكانه يزيد بن المهلب بن أبى صفرة الازدى المذكور قبله واحضر اليه يزيد بن أبى مسلم فى جامعة وكان رجلا قصيرا دميما قبيح الوجه عظيم البطن تحتقره العين فلما نظر اليه سليمان قال أنت يزيد بن أبى مسلم قال نعم اصلح الله أمير المؤمنين قال لعن الله من أشركك فى امانته وحكمك فى دينه قال لا تفعل يا أمير المؤمنين فانك رأيتنى

والامور مدبرة عنى ولو رأيتنى والامور مقبلة على لاستعظمت ما استصغرت ولا ستجللت ما احتقرت فقال له سليمان قاتله الله فما أشد عقله وأعضب لسانه ثم قال سليمان يا يزيد أترى صاحبك الحجاج يهوى بعد فى نار جهنم أم قد استقر فى قعرها فقال يزيد لا تقل ذلك يا أمير المؤمنين فان الحجاج عادى عدوكم ووالى وليكم وبذل مهجته لكم فهو يوم القيامة عن يمين عبد الملك وعن يسار الوليد فاجعله حيث أحببت وفى رواية أخرى انه يحشر غدا بين أبيك وأخيك فضعه ما حيث شئت فقال سليمان قاتله الله فما أوفاه لصاحبه اذا اصطنعت الرجال فلتصطنع مثل هذا فقال رجل من جلساء سليمان يا أمير المؤمنين اقتل يزيد ولا تستبقه فقال يزيد من هذا فقالوا فلان بن فلان فقال يزيد لقد بلغنى أن أمه ما كان شعرها يوارى اذنيها فلم يتمالك سليمان أن ضحك وأمر بتخليته ثم كشف عنه سليمان فلم يجد عليه خيانة لا درهما ولا دينارا فهم باستكتابه فقال له عمر ابن عبد العزيز أنشدك الله يا أمير المؤمنين ان لا تحيى ذكر الحجاج باستكتابك كاتبه فقال يا أبا حفص انى كشفت عنه فلم أجد عليه خيانة فقال عمر أنا أوجدك من هو أعف عن الدينار والدرهم منه فقال سليمان من هو قال ابليس ما مس دينارا ولا درهما بيده وقد أهلك هذا الخلق فتركه سليمان وحدث جويرية بن اسماء أن عمر بن عبد العزيز بلغه ان يزيد بن أبى مسلم خرج فى جيش من جيوش المسلمين فكتب الى عامل الجيش ان يرده وقال انى لاكره أن أستنصر بجيش هو فيهم ونقل الحافظ أبو القاسم المعروف بابن عساكر فى تاريخ دمشق فى ترجمة يزيد المذكور عن يعقوب انه قال فى سنة احدى ومائة أقر يزيد بن أبى مسلم على افريقية ونزع اسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر مولى بنى مخزوم فسار أحسن سيرة وفى سنة اثنتين ومائة قتل يزيد وقال الطبرى فى تاريخه الكبير وكان سبب ذلك انه كان فيما ذكر عزم أن يسير فيهم بسيرة الحجاج بن يوسف فى أهل الاسلام الذين سكنوا الامصار ممن كان أصله من السواد من أهل الذمة فاسلم بالعراق ممن ردهم الى قراهم ورساتيقهم ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم فلما عزم على ذلك تآمروا فاجتمع رأيهم على قتله فقتلوه وولوا على أنفسهم الوالى الذى كان قبل يزيد بن أبى مسلم وكتبوا الى يزيد بن عبد الملك انا لم نخلع ايدينا عن الطاعة ولكن يزيد بن أبى مسلم سامنا ما لا يرضى به الله والمسلمون فقتلناه وأعدنا عاملك فكتب اليهم يزيد بن عبد الملك انى لم أرض ما صنع يزيد بن أبى مسلم وأقر محمد بن يزيد على افريقية وكان ذلك فى سنة اثنتين ومائة وقال الوضاح بن أبى خيثمة أمرنى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه باخراج قوم من السجن وفيهم يزيد بن أبى مسلم فاخرجتهم وتركته فحقد على فبينا أنا بافريقية اذ قيل قدم يزيد واليا فهربت منه وعلم بمكانى فامر بطلبى فظفر بى وحملت اليه فلما رآنى قال طالما سألت الله تعالى ان يمكننى منك فقلت وأنا والله لطالما سألت الله ان يعيذنى منك فقال ما أعاذك الله

والله لا قتلنك ولو سابقنى فيك ملك الموت لسبقته ثم دعا بالسيف والنطع فاتى بهما وأمر بالوضاح فاقيم بالنطع وكتف وقام وراءه رجل بالسيف واقيمت الصلاة فخرج يزيد اليها فلما سجد أخذته السيوف وادخل الى الوضاح من قطع كتافه وأطلقه وأعيد الى الولاية محمد بن يزيد مولى الانصار والله أعلم قلت كان الوضاح حاجب عمر بن عبد العزيز فلما مرض أمر الوضاح باخراج المحابيس فاخرجهم سوى يزيد المذكور فلما مات عمر هرب الوضاح الى أفريقية خوفا من يزيد وجرى ما جرى وكان مرض عمر بخناصرة هكذا قاله الطبرى محمد بن يزيد وابن عساكر قال اسماعيل ابن عبد الله والله أعلم بالصواب وقوله وأحضر اليه يزيد بن أبى مسلم فى جامعة فالجامعة الغل لانها تجمع اليدين الى العنق وقوله وكان رجلا قصيرا دميما الدميم بالدال المهملة القبيح المنظر ومنه قول عمر رضى الله عنه لا تزوجوا بناتكم من الرجل الدميم فانه يعجبهن منه ما يعجبه منهن وأما الذميم بالذال المعجمة فانه المذموم وكذا قول ابن الرومى الشاعر المشهور

كضرائر الحسناء قلن لوجهها • حسدا وبغيا انه لدميم

بالدال المهملة أيضا وانما قيدته بالضبط لانه يتصحف على الناس كثيرا وخناصرة بضم الخاء المعجمة ثم نون وبعد الالف صاد مهملة مكسورة ثم راء بعدها هاء وهى بليدة قديمة من أعمال الاحص من ولاية حلب بالقرب من قنسرين كان عمر بن عبد العزيز أميرا بها من جهة سليمان بن عبد الملك بن مروان وهى التى عناها المتنبى بقوله

أحب حمصا الى خناصرة • وكل نفس تحب محياها

وذكرها عدى بن الرقاع العاملى الشاعر المشهور فى قصيدته الدالية المشهورة فقال

واذا الربيع تتابعت أنواؤه • فسقى خناصرة الاحص وجادها

أبو خالد يزيد بن أبى المثنى عمر بن هبيرة بن معية بن سكين بن خديج بن بغيض بن مالك بن سعد بن عدى بن فزارة •

وبقية نسبه الى فزارة معروف فلا حاجة الى الاطالة بذكره قال ابن دريد معية تصغير معى وهو الواحد من أمعاء البطن وقد ردوا على ابن دريد هذا القول وقالوا بل صوابه انه تصغير معاوية وسكين بضم السين المهملة وفتح الكاف وخديج بضم الخاء المعجمة وبغيض بفتح الباء الموحدة والباقى معلوم لا حاجة الى ضبطه ذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى تاريخه الكبير أن أصله من الشام وأنه ولى قنسرين للوليد بن يزيد بن عبد الملك وكان مع مروان بن محمد آخر ملوك بنى امية يوم غلب على دمشق وجمع له ولاية العراق وولده سنة سبع وثمانين وذكره ابن عياش فى تسمية من ولى العراق وجمع له المصران وهما البصرة والكوفة وكذلك ذكره ابن قتيبة فى كتاب المعارف فى تسمية من ولى العراقين وعده من الولاة الذين جمع لهم العراقان فكان أولهم زياد ابن أبيه الذى استلحقه

معاوية بن أبي سفيان وآخرهم يزيد بن عمر بن هبيرة صاحب هذه الترجمة ثم قال ولم يجمع العراقان لأحد بعد هؤلاء وذكره أيضا قبل هذا في ترجمة أبيه عمر فقال وكان أبو جعفر المنصور حصر يزيد بواسط شهورا ثم آمنه وافتتح البلد المحاور كتب اليه يزيد في أهل بيته وكان أبو جعفر يقول لا يعز ملك هذا فيه ثم قتله وقال خليفة بن خياط وفي سنة ثمان وعشرين ومائة وجه مروان بن محمد يزيد بن عمر بن هبيرة واليا على العراق وذلك قبل قتل الضحاك يعني ابن قيس الشيباني الخارجي فسار حتى نزل هيت وكان شيخا جسيما طويلا خطيبا كولا شجاعا وكان فيه حسد وذكره أبو جعفر الطبري في تاريخه في سنة ثمان وعشرين ومائة فقال وفي هذه السنة وجه مروان ابن محمد يزيد بن عمر بن هبيرة الى العراق لحرب من بها من الخوارج ثم ذكر في سنة اثنين وثلاثين ومائة خروج قحطبة بن شبيب أحد دعاة بني العباس لما اظهروا أمرهم بخراسان وتلك النواحي وكان أبو مسلم الخراساني المقدم ذكره في حرف العين أعظم الأعوان وأصل تلك القضية حتى انتظمت أمورها كما هو مشهور وقد سبق في ترجمة أبي مسلم طرف من هذا الحديث ولا حاجة الى التطويل فيه وكان خروج قحطبة بأرض العراق وقصد محاربة يزيد بن عمر بن هبيرة وجرت وقائع يطول شرحها وحاصل الأمر أن قحطبة خاض الفرات عند الفلوجة القرية المشهورة بالعراق ليقاتل يزيد ابن هبيرة وكان في قبالته فغرق قحطبة في عشية الأربعاء عند غروب الشمس لثمان خلون من المحرم من السنة وقام ولده الحسين بن قحطبة مقامه في تقدمة الجيش وهي واقعة مشهورة طويلة وليس هذا موضع ذكرها وكان معن بن زائدة الشيباني المقدم ذكره من أتباع يزيد بن هبيرة المذكور من أكبر أعوانه في الحروب وغيرها فقال انه في تلك الليلة ضرب قحطبة بن شبيب بالسيف على رأسه وقيل على عاتقه فوقع في الماء فأخرجوه حيا فقال ان مت فادفنوني في الماء لئلا يقف أحد على خبري وقيل في غرقه غير ذلك والله أعلم (عدنا الى حديث ابن هبيرة) وكان من خبره ان جيوش خراسان التي كان مقدمها قحطبة ثم ولده الحسن من بعده استظهرت عليه فهزمت عسكره ولحق ابن هبيرة بمدينة واسط فتحصن بها ثم وصل أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه الملقب بالسفاح وأخوه أبو جعفر عبد الله بن محمد الملقب بالمنصور من الحميمة بضم الحاء المهملة القرية التي كانت مسكن بني العباس في اطراف الشام من أرض البلقاء الى الكوفة وبها جماعة من أشياعهم وأتباعهم ومن قام معهم بإقامة دولتهم وازالة دولة بني أمية التي أميرها اذ ذاك مروان ابن الحكم الأموي المعروف بالجعدي والمنبوذ بالحمار آخر ملوكهم فلما وصلوا الى الكوفة بويع أبو العباس السفاح بها يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الآخر سنة اثنين وثلاثين ومائة وقيل ان المبايعة كانت في شهر ربيع الأول

والاول أصح وظهر أمر بنى العباس وقويت شوكتهم وأدبرت دولة بنى مروان فعند ذلك وجه السفاح أخاه أبا جعفر المنصور الى واسط لحرب يزيد بن عمر بن هبيرة فجاء المنصور الى العسكر الذى مقدمه الحسن بن قحطبة وهو مقابل يزيد بن هبيرة بواسط فنزل عليه وقال أبو جعفر الطبرى فى تاريخه الكبير وجرت السفراء بين أبى جعفر المنصور وبين ابن هبيرة حتى جعل له امانا وكتب له كتابا فمكث يشاور فيه العلماء أربعين ليلة حتى رضيه ابن هبيرة ثم أخذه الى أبى جعفر فانفذه أبو جعفر الى أبى العباس السفاح فامر بامضائه له وكان رأى أبى جعفر الوفاء له بما أعطاه وكان أبو العباس السفاح لا يقطع أمرا دون أبى مسلم الخراسانى صاحب الدعوة وكان لابى مسلم عين على السفاح يكتب اليه باخباره كلها فكتب أبو مسلم الى السفاح ان الطريق السهل اذا ألقيت فيه الحجارة فسد لا والله لا يصلح طريق فيه ابن هبيرة ولما تم كتاب الامان خرج ابن هبيرة الى أبى جعفر فى ألف وثلثمائة من البخارية فاراد ان يدخل الحجرة على دابته فقام اليه الحاجب فقال مرحبا بابى خالد انزل راشدا وقد اطاف بالحجرة عشرة آلاف من أهل خراسان فنزل ودعا له بوسادة ليجلس عليها ثم دعا بالقواد فدخلوا ثم قال له الحاجب ادخل يا أبا خالد فقال انا ومن معى فقال انما استاذنت لك وحدك فقام فدخل ووضعت له وسادة وحادثه ساعة ثم قام واتبعه أبو جعفر بصره حتى غاب عنه ثم مكث يغيب عنه يوما وياتيه يوما فى خمسمائة فارس وثلثمائة راجل فقال يزيد بن حاتم لابى جعفر أيها الامير ان ابن هبيرة ليأتى فيتضعضع له العسكر وما نقص من سلطانه شئ فقال أبو جعفر للحاجب قل لابن هبيرة يدع الجماعة ويأتينا فى حاشيته فقال له الحاجب ذلك فتغير وجهه وجاء فى حاشيته نحو من ثلاثين فقال له الحاجب كانك تاتينا متأهبا فقال ان أمرتم ان نمشى اليكم مشينا فقال ما أردنا بك استخفافا ولا امر الامير بما أمر به الا نظرا لك فكان بعد ذلك يأتى فى ثلاثة وقال محمد بن كثير كلم ابن هبيرة يوما أبا جعفر فقال يا هناه أو يا أيها المرء ثم رجع فقال أيها الامير ان عهدى بكلام الناس بمثل ما خاطبتك به فسبقنى لسانى بما لم ارده وألح أبو العباس السفاح على أبى جعفر يامره بقتله وهو يراجعه فكتب اليه والله لتقتلنه أو لارسلن اليه من يخرجه من حجرتك ثم يقتله فأزمع على قتله فبعث أبو جعفر من ختم بيوت المال ثم بعث الى وجوه مع ابن هبيرة فحضروا وخرج الحاجب من عند أبى جعفر وطلب ابن الحوثرة ومحمد بن نباتة وهما من الاعيان فقاما فدخلا وقد اجلس أبو جعفر ثلاثة من خواصه فى مائة من جماعته فى حجرته فنزعت سيوفهما وكتفا ثم ادخلوا بعدهما اثنين ففعل بهما كذلك وبعدهم جماعة أخرى فعل بهم كذلك فقال موسى بن عقيل أعطيتمونا عهد الله ثم خنتم انا لنرجو أن يدرككم الله وجعل ابن نباتة يضرط فى لحية نفسه فقال له ابن الحوثرة ان هذا لا يغنى عنك شيأ فقال كانى كنت انظر الى هذا فقتلوا واخذت خواتمهم وانطلق حازم

والهيثم بن شعبة والاغلب بن سالم في نحو من مائة فارس ارسلوا الى ابن هبيرة انا نريد هذا المال فقال ابن هبيرة لحاجبه انطلق فدلهم عليه فاقاموا عند كل بيت نفرا ثم جعلوا ينظرون في نواحي الدار ومع ابن هبيرة ابنه داود وكاتبه عمر بن أيوب وحاجبه وعدة من مواليه وبني له صغير في حجره فجعل ينكر نظرهم فقال أقسم بالله ان في وجوه القوم لشرا فاقبلوا نحوه فقام حاجبه في وجوههم وقال وراءكم فضربه الهيثم بن شعبة على حبل عاتقه فصرعه وقاتل ابنه داود فقتل وقتل مواليه ونحي الصبي من حجره وقال دونكم هذا الصبي وخر ساجدا فقتل وهو ساجد ومضوا برؤسهم الى أبي جعفر فنادى بالامان للناس وقال أبو عطاء السندي واسمه مرزوق وقيل افلح مولى بني أسد يرثي ابن هبيرة

الا ان عينا لم تجد يوم واسط * عليك بجاري دمعها لجمود
عشية قام النائحات وشققت * جيوب بايدي مأتم وخدود
فان تمس مهجور الفناء فربما * أقام به بعد الوفود وفود
وانك لم تبعد على متعهد * بلى كل من تحت التراب بعيد

قلت وهذه المرثية ذكرها أبو تمام الطائي في كتاب الحماسة في باب المراثي قلت الى هاهنا انتهى مانقلته من تاريخ الطبري مقتضبا فاني جمعته من عدة مواضع حتى انتظم على هذه الصورة وأما غير الطبري فانه قال لما قدم أبو جعفر على الحسن بن قحطبة تحول له الحسن من سرادقه فانزله فيه وأقاموا يقتتلون اياما وثبت معن بن زائدة مع ابن هبيرة وطال الحصار عليهم وكان أبو جعفر المنصور يقول ابن هبيرة يخندق على نفسه مثل النساء وبلغ ابن هبيرة ذلك فارسل اليه أنت القائل كذا وكذا ابرز الي لترى فارسل اليه المنصور ما أجد لك ولي مثلا الا كأسد لقي خنزيرا فقال له الخنزير بارزني فقال له الاسد ما أنت لي بكفو فان بارزتك فنالني منك شر كان ذلك عارا علي وان قتلتك قتلت خنزيرا فلم احصل على حمد ولا في قتلك فخر فقال له الخنزير لئن لم تبارزني لأعرفن السباع انك جبنت عني فقال له الاسد احتمال عار كذبك ايسر من تلطيخ براثني بدمك ثم ان المنصور كاتب القواد وفيهم ابن هبيرة فطلب الصلح فاجابه المنصور وكتبوا كتاب الصلح والامان وسيره المنصور الى أخيه السفاح فامضاه وكتب فيه فان غدر ابن هبيرة اونكث فلا عهد له ولا أمان وكان من رأي المنصور الوفاء له وقال أبو الحسن المدايني لما كتب المنصور بينه وبين ابن هبيرة كتاب الصلح خرج الى المنصور وبينه وبينه ستر فقال ابن هبيرة أيها الامير ان دولتكم بكر فأذيقوا الناس حلاوتها وجنبوهم مرارتها تصل محبتكم الى قلوبهم ويعذب ذكركم على ألسنتهم ومازلنا منتظرين لدعوتكم قال فرفع المنصور الستر بينه وبينه وقال في نفسه عجبا لمن يأمرني بقتل مثل هذا وصار ابن هبيرة يخرج الى المنصور في آخر أمره في ثلاثة من أصحابه يتغدى

ويغشى عنده وكان يتق له وسادة فيقال انه كان يكاتب عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويدعو اليهم والى خلع السفاح وبلغ ذلك أبا مسلم الخراساني يحثه على قتل ابن هبيرة فكتب السفاح الى المنصور يأمره بقتله فقال لا أفعل وله في عنقي بيعة وأيمان ولا أضيعهما بقول أبي مسلم فكتب اليه السفاح اني لا اقتله بقول أبي مسلم بل بنكثه وغدره ودسيسته الى آل أبي طالب وقد أبيح لنا دمه فلم يجبه المنصور وقال هذا افساد الملك فكتب اليه السفاح لست مني ولست منك ان لم تقتله فقال المنصور للحسن بن قحطبة اقتله أنت فامتنع فقال حازم بن خزيمة أنا أقتله فدخل عليه وهو في جماعة من قواد خراسان وهو في القصر وعنده ابنه داود وكاتبه ومواليه وعليه قميص مصري وملاءة موردة وعنده الحجام وهو يريد أن يحجمه فلما رآهم سجد فقتلوه وقتلوا ابنه وكاتبه ومن كان معه وحملوا رأسه الى المنصور وكان معن بن زائدة غائبا عن واسط عند السفاح فلم يبعث المنصور برأس ابن هبيرة الى السفاح وكان ذلك في سنة اثنين وثلاثين ومائة قال الهيثم بن عدي لما قتل ابن هبيرة قال بعض الخراسانيين لبعض أصحاب ابن هبيرة ما كان أكبر رأس صاحبكم فقال له الرجل انما كان له أكبر وذكر الخطيب أبو زكريا التبريزي في كتاب شرح الحماسة في باب المراثي عند ذكره أبيات أبي عطاء السندي الدالية المقدم ذكرها التي رثى بها يزيد المذكور فقال وكان المنصور قد حلف له وأكد الأيمان فلما قتله وحمل رأسه اليه قال المنصور للحرسي أترى طبنة رأسه ما أعظمها فقال الحرسي طبنة ايمانه أعظم من طبنة رأسه وهدم المنصور قصر واسط وقال الحافظ ابن عساكر في تاريخه الكبير كان ابن هبيرة اذا أصبح أتي بعس (قلت العس بضم العين المهملة وبعدها سين مهملة مشددة وهو القدح الكبير) قال وفيه لبن قد حلب على عسل واحيانا على سكر فيشربه قبل صلاة الغداة فاذا صلى الغداة جلس في مصلاه حتى تحل الصلاة فيصلي ثم يدخل فيحرك اللبن فيدعو بالغداء فيأكل دجاجتين وناهضين ونصف جدي وألوانا من اللحم (والناهض بالنون وبعد الهاء المكسورة ضاد معجمة وهو الفرخ من الحمام) قال ثم يخرج فينظر في أمور الناس الى نصف النهار ثم يدخل فيدعو جماعة من خواصه واعيان الناس ويدعو بالغداء فيتغدى ويضع منديلا على صدره ويعظم اللقم ويتابع فاذا فرغ من الغداء تفرق من كان عنده ودخل الى نسائه فلا يزال حتى يخرج الى صلاة الظهر ثم ينظر بعد الظهر في أمور الناس فاذا صلى العصر وضع له سرير ووضعت الكراسي للناس فاذا أخذ الناس مجالسهم أتوهم بعساس اللبن والعسل وألوان الاشربة (قلت والعساس بكسر العين جمع عس وقد تقدم الكلام عليه) ثم توضع السفرة والطعام للعامة ويوضع له ولاصحابه خوان مرتفع فيأكل معه الوجوه الى المغرب ثم يتفرقون للصلاة ثم تأتيه سماره فيحضرون مجلسا يجلسون فيه حتى

يدعوهم فيسامرهم حتى يذهب عامة الليل وكان يسئل فى كل ليلة عشرة حوائج فاذا أصبحوا قضيت وكان رزقه ستمائة ألف درهم فكان يقسم كل شهر فى أصحابه من قومه ومن الفقهاء والوجوه وأهل البيوتات جملة مستكثرة فقال عبد الله بن شبرمة الضبى القاضى الفقيه الكوفى وكان من سماره

اذا نحن أعتمنا ومال بنا الكرى * اتانا باحدى الراحتين عياض

وعياض بوابه واحدى الراحتين الدخول والانصراف ولم يكن له منديل فكان اذا دعا بالمنديل قام الناس وقال شيخ من قريش اذن يزيد بن عمر بن هبيرة فى يوم صائف شديد الحر للناس فدخلوا عليه وعليه قميص خلق مرقوع الجيب فجعلوا ينظرون اليه ويتعجبون منه ففطن لهم فتمثل بقول ابراهيم بن هرمة

قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه * خلق وجيب قميصه مرقوع

واخباره ومحاسنه كثيرة مشهورة وقال خليفة بن خياط قتل ابن هبيرة بواسط يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة سنة اثنتين وثلاثين ومائة رحمه الله تعالى وقال أبو جعفر الطبرى فى تاريخه توفى الحسن بن قحطبة فى سنة احدى وثمانين ومائة

أبو خالد يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة الازدى

قد تقدم ذكر بقية نسبه فى ترجمة جده المهلب بن أبى صفرة وقد ذكرت أخاه روح بن حاتم فى حرف الراء وعم أبيه يزيد بن المهلب ومن ولده الوزير أبو محمد الحسن بن محمد المهلبى المقدم ذكره وهم أهل بيت كبير اجتمع فيه خلق كثير من الاعيان الامجاد الفضلاء ذكر ابن جرير الطبرى فى تاريخه ان الخليفة ابا جعفر المنصور عزل حميد بن قحطبة عن ولاية مصر فولاها نوفل بن الفرات ثم عزله وولى يزيد بن حاتم وذلك فى سنة ثلاث وأربعين ومائة ثم ان المنصور عزله عن مصر فى سنة اثنتين وخمسين ومائة وجعل مكانه محمد ابن سعيد وقال أبو سعيد بن يونس فى تاريخه ولى يزيد بن حاتم مصر فى سنة أربع وأربعين ومائة وزاد غيره فى منتصف ذى القعدة ثم ان المنصور خرج الى الشام وزيارة بيت المقدس فى سنة أربع وخمسين ومن هنالك سير يزيد بن حاتم الى افريقية لحرب الخوارج الذين قتلوا عامله عمر بن حفص وجهز معه خمسين ألف مقاتل سارت معه واستقر يزيد المذكور واليا بافريقية من يومئذ وكان وصوله اليها واستظهاره على الخوارج فى سنة خمس وخمسين ودخل مدينة القيروان فى هذا التاريخ وكان جوادا سريا مقصودا ممدوحا قصده جماعة من الشعراء فاحسن جوائزهم وكان ابو أسامة ربيعة بن ثابت الاسدى الرقى وقيل انه من موالى سليم قد قصد يزيد بن أسيد بضم الهمزة وفتح السين المهملة ابن زافر بن أسماء بن اسيد بن قنفذ بن جابر بن قنفذ بن مالك بن عوف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن

زار بن معد بن عدنان وهو يومئذ والى ارمينية وكان قد وليها رما ما طويلا لابى جعفر المنصور ثم من بعده لولده المهدى وكان يزيد المذكور من أشراف قيس وشجعانهم ومن ذوى الآراء الصائبة ومدحه ربيعة المذكور بشعر أجاد فيه فقصر فى حقه ومدح يزيد بن حاتم فبالغ فى الاحسان اليه فقال ربيعة قصيدة يفضل فيها يزيد بن حاتم على يزيد بن اسيد وكان فى لسان يزيد بن اسيد عقدة فعرض بذكرها فى هذه الابيات فقال

حلفت يمينا غير ذى مثنوية * يمين امرئ آلى بها غير آثم
لشتان ما بين اليزيدين فى الندى * يزيد سليم والاغر ابن حاتم
يزيد سليم سالم المال والفتى * اخو الازد للاموال غير مسالم
فهم الفتى الازدى اتلاف ماله * وهم الفتى القيسى جمع الدراهم
فلا يحسب التمتام انى هجوته * ولكننى فضلت أهل المكارم
فيا أيها الساعى الذى ليس مدركا * بمسعاته سعى البحور الخضارم
سعيت ولم تدرك نوال ابن حاتم * لفك اسير واحتمال العظائم
كفاك بناء المكرمات ابن حاتم * ونمت وما الازدى عنها بنائم
فيا ابن اسيد لا تسام ابن حاتم * فتقرع ان ساميته سن نادم
هو البحر ان كلفت نفسك خوضه * تهالكت فى آذيه المتلاطم
تمنيت مجدا فى سليم سفاهة * امانى خال او امانى حالم
الا ان آل المهلب غرة * وفى الحرب قادات لكم بالخزائم
هم الانف فى الخرطوم والناس بعدهم * مناسم والخرطوم فوق المناسم
قضيت لكم آل المهلب بالعلى * وتفضيلكم حقا على كل حالم
لكم شيم ليست لخلق سواكم * سماح وصدق الناس عند الملاحم
مهينون للاموال فيما ينوبكم * مناعيش دفاعون عن كل جارم

قال دعبل بن على الخزاعى الشاعر المقدم ذكره قلت لمروان بن أبى حفصة الشاعر وقد تقدم ذكره أيضا يا أبا السمط من اشعركم من جماعة المحدثين قال أيسرنا بيتا قلت ومن هو قال الذى يقول

لشتان ما بين اليزيدين فى الندى * يزيد سليم والاغر بن حاتم

وكنت قد ذكرت بعض هذه الابيات فى ترجمة أخيه روح بن حاتم ثم انى ظفرت بها كلها من تلك فاخترت ان افرد له ترجمة واذكر ما جرى له لان مثله لا يصلح ان يكون ضمنية فى ترجمة أخيه وكان ربيعة بن ثابت الرقى قد قصده قبل هذه المرة فلم ير منه من الاحسان ما كان يرجوه فنظم أبياتا من جملتها

ارانى ولا كفران لله راجعا * بخفى حنين من نوال ابن حاتم

ولما عقد أبو جعفر المنصور ليزيد المهلبى المذكور على بلاد افريقية وليزيد السلمى

المذكور على ديار مصر خرجا معا فكان يزيد المهلبي يقوم بكفاية الجيشين فقال ربيعة الرقي المذكور

يزيد الخير ان يزيد قومي * سميك لا يجود كما تجود
تقود كتيبة و يقود أخرى * فترزق من تقود ومن يقود

قلت وهذا يدل على ان ربيعة المذكور مولى بني سليم لقوله يزيد قومي وقدم اشعب المشهور بالطمع على يزيد وهو بمصر جالس في مجلسه فدعا بغلامه فساره فقام اشعب فقبل يده فقال له يزيد لم فعلت هذا فقال لاني رأيتك تسار غلامك فظننت انك قد أمرت لي بشيء فضحك منه وقال مافعلت هذا ولكني أفعل ووصله وأحسن اليه وقال الطرطوشي في كتاب سراج الملوك قال سحنون بن سعيد كان يزيد بن حاتم حكيما يقول والله ماهبت شيأ قط هيبتي لرجل ظلمته وانا أعلم انه لا ناصر له الا الله تعالى فيقول الله حسبك الله بيني و بينك وذكر أبو سعيد السمعاني في كتاب الانساب ان المسهر التميمي الشاعر وفد على يزيد بن حاتم بافريقية فانشده

اليك قصرنا النصف من صلواتنا * مسيرة شهر ثم شهر نواصله
فلا نحن نخشى ان يخيب رجاؤنا * لديك ولكن أهنى البر عاجله

فامر يزيد بوضع العطاء في جنده جميعه وكان معه خمسون ألف مرتزق فقال من احب ان يسرني فليضع لزائري هذا من عطاياه درهمين فاجتمع له مائة ألف درهم وضم يزيد الى ذلك مائة ألف أخرى ودفعهما اليه قلت ثم وجدت البيتين المذكورين لمروان ابن أبي حفصة والله أعلم وقد ذكره الحافظ المعروف بابن عساكر في تاريخ دمشق فقال بعد ذكر أحواله وولاياته ان يزيد بن حاتم قال لجلسائه انسبوا الى ثلاثة أبيات فقال صفوان بن صفوان من بني الحرث بن الخزرج أفيك فقال فيمن شئتم فكانها كانت في فيه فقال

لم أدر ما الجود الا ما سمعت به * حتى لقيت يزيدا عصمة الناس
لقيت اجود من يمشي على قدم * مفضلا برداء الجود والباس
لو نيل بالمجد جود كنت صاحبه * وكنت اولى به من ال عباس

قال صفوان ثم كففت فقال أتمم فقلت

وقلت لا يصلح فقال لا يسمعن هذا منك أحد وقال يموت بن المزرع قال لي الاصمعي يوما وقد جئته مسلما عليه الى ان ذكر شعراء المحسنين المداحين من المولدين فقال لي يا أبا عثمان ابن المولى من المحسنين المداحين ولقد اسهرني في ليلتي هذه حسن مديحه يزيد بن حاتم حيث يقول

واذا تباع كريمة أو تشترى * فسواك بائعها وأنت المشترى
واذا تخيل من سحابك لامع * سبقت مخيلته يد المستمطر

واذا صنعت صنيعة أتممتها * بيدين ليس نداهما بمكدر
واذا الفوارس عددت أبطالها * عدوك فى أبطالهم بالخنصر

ولما قدم عليه ابن المولى المذكور أنشده وهو أمير مصر

ياواحد العرب الذى * أضحى وليس له نظير
لو كان مثلك آخر * ما كان فى الدنيا فقير

فدعا يزيد بخازنه وقال كم فى بيت مالى قال فيه من الورق والعين ما مبلغه عشرون ألف دينار فقال ادفعها اليه ثم قال ياأخى المعذرة الى الله تعالى واليك ولو أن فى ملكى غيرها ما ادخرتها عنك وهذا ابن المولى هو أبو عبد الله محمد بن مسلم وعرف بابن المولى وروى الاصمعى أيضا ان يزيد لما كان بافريقية جاءه البشير يخبره انه ولد له مولود بالبصرة فقال تدعه سمية المغيرة وكان عنده المهلب التميمى فقال بارك الله لك أيها الامير فيه وبارك له فى بنيه كما بارك لجده فى أبيه ولم يزل يزيد واليا بافريقية الى ان توفى بها يوم الثلاثاء لاثنى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة سبعين ومائة بالقيروان ودفن بباب سلم واستخلف على افريقية ولده داود بن يزيد فعزله هارون الرشيد فى سنة اثنين وسبعين ومائة وولاها عمه روح بن حاتم المقدم ذكره والله تعالى أعلم

أبو خالد وأبو الزبير يزيد بن مزيد بن زائدة وهو ابن أخى معن بن زائدة الشيبانى المقدم ذكره

وقد استوفيت ذكر نسبه هنالك فلا حاجة الى اعادته ههنا كان يزيد المذكور من الامراء المشهورين والشجعان المعروفين كان واليا بارمينيه فعزله عنها هارون الرشيد سنة اثنتين وسبعين ومائة ثم ولاه اياها وضم اليه اذربيجان فى سنة ثلاث وثمانين وقد سبق طرف من خبره فى ترجمة الوليد بن طريف الشيبانى الخارجى فانه هو الذى تولى محاربته وقتله وذكر ارباب التاريخ ان الوليد بن طريف الشيبانى لما خرج على هارون الرشيد ببلاد الجزيرة وهى فيما بين الفرات وشط الموصل وذلك فى سنة ثمان وسبعين ومائة وكثر جمعه من الشراة حتى انتشروا فى تلك البلاد ونهض اليهم عامل ديار ربيعة فقاتلوه وساروا الى ديار مضر فحصروا عبد الملك بن صالح بن على العباسى بالرقة فاستشار هارون الرشيد يحيى بن خالد البرمكى فيمن يوجهه لحرب الوليد بن طريف فقال له يحيى بن خالد البرمكى وجه موسى بن خازم التميمى فان فرعون كان اسمه الوليد فغرقه موسى عليه السلام فوجهه اليه الرشيد فى جيش كثيف فلاقاه الوليد فى أصحابه فهزمه الوليد وقتله فلما بلغ ذلك الرشيد وجه اليه معمر بن عيسى العبدى فكانت بينهم ماعدة وقائع ناحية دارا من ديار ربيعة فلما اتصل ذلك وكثرت جموع الوليد وظهر هذا الظهور العظيم قال الرشيد ليس لها الا الاعرابى يزيد بن مزيد الشيبانى فقال بكر بن النطاح الشاعر

لا تبعثن الى ربيعة غيرها * ان الحديد بغيره لا يفلح

فوجه الرشيد اليه يزيد المذكور فى عسكر ضخم وأمره بمناجزته فقصده يزيد وجعل الوليد يراوغه و يزيد يتبعه وكان الوليد ذا مكر ودهاء ثم كانت بينهما حروب صعبة و بلغ الرشيد مماطلة يزيد بن مزيد له فوجه اليه خيلا بعد خيل ثم بعث اليه من يعنفه فسار يزيد فى طلبه ثم نزل يصلى الصبح فلم يتم صلاته حتى طلع الوليد عليه فى عسكره واصطفت الخيلان وتزاحف الناس فلما شبت الحرب ناداه يزيد يا وليد ما حاجتك الى التستر بالرجال ابرز لى فقال نعم والله فبرز الوليد و برز اليه يزيد ووقف العسكران فلم يتحرك منهما أحد فتطاردا ساعة وكل واحد منهما لا يقدر على صاحبه حتى مضت ساعات من النهار فامكنت يزيد فيه الفرصة فضرب رجله فسقط وصاح بخيله فسقطوا عليه واحتزوا رأسه وذكر أبو يعقوب اسحاق بن ابراهيم المعروف بابن الفرات الهروى فى تاريخه ان الوليد بن طريف قتله يزيد بن مزيد بالحديثة من أرض الجزيرة قلت وهذه الجزيرة هى الجزيرة الفراتية والحديثة بالقرب من عانة وتعرف بحديثة النورة وهى على فراسخ من الانبار وهى غير حديثة الموصل ووجه يزيد برأس الوليد الى الرشيد و بكتاب الفتح مع ابنه أسد بن يزيد وفى ذلك يقول ابو الوليد مسلم بن الوليد الانصارى الشاعر المشهور وكان منقطعا الى يزيد ومختصا به

سل الخليفة سيفا من بنى مطر * يمضى فيخترق الاجسام والهاما

لولا يزيد ومقدار له سبب * عاش الوليد مع العامين اعواما

أكرم به وبآبائه سلفوا * ابقوا من المجد اياما واياما

ولما انصرف يزيد الى باب الرشيد قدمه ورفع رتبته وقال له يا يزيد ما اكثر أمراء المؤمنين فى قومك قال نعم الا أن منابرهم الجذوع يعنى الجذوع التى يصلبون عليها اذا قتلوا وكان قتل الوليد بن طريف فى سنة تسع وسبعين ومائة كما سبق ذكره فى ترجمته ورثته أخته الفارعة بتلك الابيات الفائية المذكورة هنالك وقالت أخته الفارعة فيه أيضا

يا بنى وائل لقد فجعتكم * من يزيد سيوفه بالوليد

لو سيوف سوى سيوف يزيد * قاتلته لاقت خلاف السعود

وائل بعضها يقتل بعضا * لا يفل الحديد غير الحديد

وقد روى ان هارون الرشيد لما جهز يزيد بن مزيد الى حرب الوليد بن طريف اعطاه ذا الفقار سيف النبى صلى الله عليه وسلم وقال له خذه يا يزيد فانك ستنتصر به فأخذه ومضى وكان من هزيمة الوليد وقتله ما قد شرحناه وفى ذلك يقول مسلم بن الوليد الانصارى من جملة قصيدة يمدح بها يزيد بن مزيد المذكور

اذكرت سيف رسول الله سنته * وبأس اول من صلى ومن صاما

يعنى بأس على بن أبى طالب رضى الله عنه اذ كان هو الضارب به وقد ذكر

هشام بن الكلبي في جمهرة النسب شيأ يتعلق بذي الفقار وهي فائدة يحسن ذكرها هنا فانه قال في نسب قريش منبه ونبيه ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم القرشي كانا سيدي بني سهم في الجاهلية قتلا يوم بدر كافرين وكانا من المطعمين والعاص بن نبيه قتل مع أبيه وكان له ذو الفقار فقتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم بدر وأخذه منه وقال غير ابن الكلبي ان ذا الفقار أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه والفقار بفتح الفاء جمع فقارة الظهر يقال في جمعها فقار وفقارات ويقال ذو الفقار بكسر الفاء أيضا والفقار جمع فقرة بكسر الفاء وسكون القاف ولم يأت مثله في الجمع الا قولهم ابرة وابار (رجعنا الى حديث ذي الفقار) وكان سبب وصوله الى هارون الرشيد ما ذكره أبو جعفر الطبري باسناد متصل الى عمر بن المتوكل عن أمه وكانت أمه تخدم فاطمة بنت الحسين بن علي رضي الله عنهما قالت كان ذو الفقار مع محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم يوم قتل في محاربته لجيش أبي جعفر المنصور العباسي والواقعة مشهورة فلما أحس محمد بالموت دفع ذا الفقار الى رجل من التجار كان معه وكان له عليه أربعمائة دينار وقال له خذ هذا السيف فانك لا تلقى أحدا من آل أبي طالب الا أخذه منك وأعطاك حقك فكان السيف عند ذلك التاجر حتى ولي جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه اليمن والمدينة فاخبر عنه فدعا بالرجل فاخذ منه السيف وأعطاه أربعمائة دينار فلم يزل عنده حتى قام المهدي بن المنصور واتصل خبره به فأخذه ثم صار الى موسى الهادي ثم الى أخيه هارون الرشيد وقال الاصمعي رأيت الرشيد بطوس متقلدا سيفا فقال يا أصمعي ألا أريك ذا الفقار قلت بلى جعلني الله فداك قال استل سيفي هذا فاستللته فرأيت فيه ثماني عشرة فقارة (قلت خرجنا عن المقصود فلنرجع الى تتمة حديث يزيد بن مزيد) ذكر الخطيب أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي في تاريخ بغداد أن يزيد المذكور دخل على الرشيد فقال له الرشيد يا يزيد من الذي يقول فيك

لا يعبق الطيب كفيه ومفرقه * ولا يمسح عينيه من الكحل

قد عود الطير عادات وثقن بها * فهن يتبعنه في كل مرتحل

قال لا أدري يا أمير المؤمنين فقال أيقال فيك مثل هذا الشعر ولا تعرف قائله فانصرف خجلا فلما صار الى منزله قال لحاجبه من بالباب من الشعراء فقال مسلم بن الوليد الانصاري قال ومنذ كم هو مقيم على الباب قال منذ زمان طويل منعته من الوصول اليك لما عرفته من اضاقتك قال أدخله فادخله فانشده هذه القصيدة حتى ختمها فقال لوكيله بع ضيعتي العلانية وأعطه نصف ثمنها واحتبس نصفها لنفقتنا فباعها بمائة ألف درهم فاعطى مسلما خمسين ألفا فرفع الخبر الى الرشيد فاستحضر يزيد وسأله عن الخبر

فاعلمه الحديث فقال قد أمرت لك بمائتي ألف درهم انسترجع الضيعة بمائة ألف درهم وتزيد شاعرك خمسين ألفا وتحبس خمسين ألفا لنفسك قال أبو بكر بن الانبارى قال أبي سرق مسلم بن الوليد هذا المعنى من قول النابغة الذبياني حيث يقول

اذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم * عصائب طير تهتدى بعصائب
يصاحبنهم حتى يغزن مغازهم * من الضاريات بالدماء الدوارب
جوانح قد أيقن أن قبيله * اذا ما التقى الجمعان اول غالب
لهن عليهم عادة قد عرفنها * اذا عرض الخطى فوق الكواثب

الكواثب بالثاء المثلثة وبعدها الباء الموحدة جمع كاثبة وهى مايقرب من منسج الفرس أمام قربوس السرج قلت وأول قصيدة مسلم بن الوليد الانصاري

اجررت ذيل خليع فى الصبا غزل * وقصرت همم العذال عن عذلى
حاط الخلافة سيف من بنى مطر * اقام قائمه من كان ذا ميل
كم صائل فى ذرى علياء ملكة * لولا يزيد بنى شيبان لم يصل
ناب الامام الذى يفتر عنه اذا * ما افترت الحرب عن أنيابها العصل
يفتر عند افترار الحرب مبتسما * اذا تغير وجه الفارس البطل
ينال بالرفق ما تعيا الرجال به * كالموت مستعجلا يأتى على مهل
لا يرحل الناس الا عند حجرته * كالبيت يضحى اليه ملتقى السبل
يكسو السيوف نفوس الناكثين به * ويجعل الهام تيجان القنا الذبل
يغدو فتغدو المنايا فى أسنته * شوارعا تتحدى الناس بالاجل
اذا طغت فئة عن غب طاعته * عبا لها الموت بين البيض والاسل
تراه فى الامن فى درع مضاعفة * لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل

وذكر أبو الفرج الاصبهانى فى كتاب الاغانى فى ترجمة مسلم بن الوليد الانصارى أن يزيد بن مزيد قال أرسل الى الرشيد يوما فى وقت لا يرسل فيه الى مثلى فأتيته لابسا سلاحى مستعدا لامر ان اراده فلما رآنى ضحك الى وقال من الذى يقول فيك

تراه فى الامن فى درع مضاعفة * لا يأمن الدهر ان يدعى على عجل
لله من هاشم فى ارضه جبل * وانت وابنك ركنا ذلك الجبل

فقلت لا أعرفه يا أمير المؤمنين فقال سوأة لك من سيد قوم يمدح بمثل هذا الشعر ولا يعرف قائله وقد بلغ أمير المؤمنين فرواه ووصل قائله وهو مسلم بن الوليد فانصرفت ودعوت به ووصلته ووليته (قلت) وهذان البيتان من جملة القصيدة التى ذكرت منها الابيات التى قبلها وقد روى ان عمه معن بن زائدة كان يقدمه على أولاده فعاتبته امرأته فى ذلك وقالت له لم تقدم يزيد ابن أخيك وتؤخر بنيك ولو قدمتهم لتقدموا ولو رفعتهم لارتفعوا فقال لها ان يزيد قريب منى وله على حق الولد اذ كنت عمه

وبعد فان بنى آلوط بقابى وأدنى من نفسى ولكنى لا أجد عندهم من الغناء ما أجد عنده ولو كان مايطلع به يزيد فى بعيد لصار قريبا أو عدوا لصار حبيبا وسأريك فى هذه الليلة ما تبسطين به عذرى ياغلام اذهب فادع جساسا وزائدة وعبد الله وملاما وفلانا حتى أتى على جميع أولاده فلم يلبثوا أن جاؤا فى الغلائل المطيبة والنعال السندية وذلك بعد هدأة من الليل فسلموا وجلسوا ثم قال معن ياغلام ادع يزيد فلم يلبث أن دخل عجلا وعليه سلاحه فوضع رمحه بباب المجلس ثم دخل فقال معن له ماهذه الهيئة يا أبا الزبير فقال جاءنى رسول الامير فسبق وهمى الى انه يريدنى لمهم فلبست سلاحى وقلت ان كان الامر كذلك مضيت ولم اعرج وان كان غير ذلك فنزع هذه الآلة عنى من ايسر شئ فقال معن انصرفوا فى حفظ الله فلما خرجوا قالت زوجته قد تبين لى عذرك فانشد متمثلا

نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الكر والاقداما * وصيرته ملكا هماما

والى هذه الحالة أشار مسلم بن الوليد بقوله

تراه فى الامن فى درع مضاعفة * لايامن الدهر ان يدعى على عجل

وقد روى ان مسلم بن الوليد لما انتهى فى انشاد هذه القصيدة الى هذا البيت قال له يزيد ابن مزيد الممدوح هلا قلت كما قال اعشى بكر بن وائل فى مديح قيس بن معدى كرب

واذا تجئ كتيبة ملومة * شهباء تجتنب الكماة نزالها

كنت المقدم غير لابس جنة * بالسيف تضرب معلما ابطالها

فقال مسلم قولى أحسن من قوله لانه وصفه بالخرق وانا وصفتك بالحزم والخرق بضم الخاء المعجمة وسكون الراء وبعدها قاف وهو الاسم من عدم معرفة العمل قلت وقيس الذى مدحه الاعشى هو والد الاشعث بن قيس الكندى أحد الصحابة رضوان الله عليهم قلت وقد تقدم الكلام على قوله قد عود الطير عادات وثقن بها وانه أخذ هذا المعنى من أبيات النابغة الذبيانى فى البائية التى تقدم ذكرها وقد وافقه فى أخذ هذا المعنى جماعة منهم أبو نواس قال عمر الوراق سمعت أبا نواس ينشد قصيدته الرائية التى أولها

أيها المنتاب من عفره * لست من ليلى ولا سمره

لا أذود الطير عن شجر * قد بلوت المر من ثمره

قال فحسدته عليها لما بلغ الى قوله

واذا مج القنا علقا * وتراءى الموت فى صوره

راح فى ثنى مفاضته * اسد يدمى شبا ظفره

تتأيا الطير غدوته * ثقة بالشبع من جزره

قلت له ما تركت للنابغة شيأ حيث قال

اذا ماغزوا بالجيش حلق فوقهم * عصائب طير تهتدى بعصائب

فقال اسكت فلئن لم احسن الاختراع لما اساءت فى الاتباع وأخذ هذا المعنى أبو تمام حبيب بن اوس الطاءى فقال

وقد ظللت عقبان أعلامه ضحى * بعقبان طير فى الدماء نواهل

اقامت على الرايات حتى كأنها * من الجيش الا انها لم تقاتل

وقال المتنبى أيضا

يطمع الطير فيهم طول اكلهم * حتى تكاد على احيائهم تقع

وللمتنبى أيضا فى صفة جيش وقد ألم بهذا المعنى

وذى لجب لاذو جناح أمامه * بناج ولا الوحش المثار بسالم

تمر عليه الشمس وهى ضعيفة * تطالعه من بين ريش القشاعم

اذا ضوءها لاقى من الطير فرجة * تدور فوق البيض مثل الدراهم

ولما كان يزيد واليا على اليمن قصده أبو الشمقمق مروان بن محمد مولى مروان الجعدى الشاعر المشهور الكوفى وكنيته أبو محمد وكان مشهورا بابى الشمقمق وهو فى حال رثة وكان راجلا فمدحه وشرح حاله بقوله

رحل المطى اليك طلاب الندى * ورحلت نحوك ناقة نعليه

اذلم تكن لى يايزيد مطية * فجعلتها لى فى السفار مطيه

تحدو أمام اليعملات وتعتلى * فى السير تترك خلفها المهريه

من كل طاوية الحشى مزورة * قطعا لكل تنوفة دويه

تنتاب اكبر وائل فى بيتها * حسبا وقبة مجدها مبنيه

اعنى يزيدا سيف آل محمد * فراج كل شديدة مخشيه

يوماه يوم للمواهب والجدى * خضل ويوم دم وخطف منيه

ولقد اتيتك واثقا بك عالما * أن لست تسمع مدحة بنسيه

فقال صدقت ياشمقمق واست اقبل مدحة بنسيه أعطوه ألف دينار ومدحه أبو الفضل منصور بن سلمة النمرى الشاعر المشهور بقصيدة طويلة بائية أحسن فيها كل الاحسان منها قوله

لولم يكن لبنى شيبان من حسب * سوى يزيد لفاقوا الناس بالحسب

ماعرف الناس أن الجود مدفعة * للذم لكنه يأتى على النشب

وذكر أبو العباس المبرد فى كتاب الكامل أن يزيد بن مزيد المذكور نظر الى رجل ذى لحية عظيمة وقد تلففت على صدره واذا هو خاضب فقال له انك من لحيتك فى مؤنة فقال أجل ولذلك اقول

لها درهم للدهن فى كل ليلة * وآخر للحناء يبتدران

ولولا نوال من يزيد بن مزيد * لصوّت فى حافاتها الجلمان

قلت الجلمان بفتح الجيم واللام تثنية جلم وهو المقص وقال له هارون الرشيد يوما يا يزيد انى قد اعددتك لامر كبير فقال يا أمير المؤمنين ان الله عز وجل قد أعدّلك منى قلبا معقودا بنصيحتك ويدا مبسوطة لطاعتك وسيفا مشهورا على عدوّك فاذا شئت فقل وذكر المسعودى فى كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر أن هذه المقالة دارت بين هارون الرشيد ومعن بن زائدة عم يزيد المذكور ثم قال بعد هذا وقيل ان هذا الكلام من كلام يزيد بن مزيد (قلت اما) وهذا لا يمكن ان يكون بين الرشيد ومعن اصلا لان معنا قتل فى خلافة أبى جعفر المنصور حسبما تقدم ذكره فى ترجمته على الاختلاف فى السنة وهو بعد الخمسين ومائة فكيف يمكن ان يقول له الرشيد ذلك والرشيد ولى الخلافة فى سنة سبعين ومائة وذكر ابن عون فى كتاب الاجوبة المسكتة ان الرشيد قال ليزيد المذكور فى لعب الصوالجة كن مع عيسى بن جعفر فأبى يزيد فغضب الرشيد وقال أتأنف ان تكون معه فقال قد حلفت لامير المؤمنين ان لا أكون عليه فى جد ولا لعب ورأيت فى بعض المجاميع حكاية عن بعضهم انه قال كنت مع يزيد بن مزيد فاذا صائح فى الليل يا يزيد بن مزيد فقال علىّ بهذا الصائح فلما جىء به قال له ما حملك على ان ناديت بهذا الاسم فقال نفقت دابتى ونفدت نفقتى وسمعت قول الشاعر فتيمنت به فقال وما قال الشاعر فانشد

اذا قيل من للمجد والجود والندى * فناد بصوت يا يزيد بن مزيد

فلما سمع يزيد مقالته هش له وقال له أتعرف يزيد بن مزيد قال لا والله قال انا هو وأمر له بفرس ابلق كان معجبا به وبمائة دينار وقد اطلنا القول فى هذه الترجمة لكن الكلام شجون يتعلق بعضه ببعض ومحاسن يزيد كثيرة وتوفى سنة خمس وثمانين ومائة ورثاه أبو محمد عبد الله بن أيوب التيمى الشاعر المشهور وقيل هذه المرثية لابى الوليد مسلم بن الوليد الانصارى الشاعر المشهور والصحيح انها للتيمى المذكور وهى

أحقا أنه اودى يزيد * تبين أيها الناعى المشيد
أتدرى من نعيت وكيف فاهت * به شفتاك كان بها الصعيد
احامى المجد والاسلام اودى * فما للارض ويحك لا تميد
تأمل هل ترى الاسلام مالت * دعائمه وهل شاب الوليد
وهل شيمت سيوف بنى نزار * وهل وضعت عن الخيل اللبود
وهل تسقى البلاد ثقال مزن * بدرّتها وهل يخضرّ عود
أما هدّت لمصرعه نزار * بلى وتقوّض المجد المشيد
وحل ضريحه اذ حل فيه * طريف المجد والحسب التليد
أما والله ما تنفك عينى * عليك بدمعها ابدا تجود

وان تجمد دموع لئيم قوم * فليس لدمع ذي حسب جمود
ابعد يزيد تختزن البواكي * دموعا او يصان لها خدود
لتبكك قبة الاسلام لما * وهت اطنابها ووهى العمود
ويبكي شاعر لم يبق دهر * له نشبا وقد كسد القصيد
فان يهلك يزيد فكل حي * فريس للمنية او طريد
لقد عزى ربيعة أن يوما * عليها مثل يومك لا يعود

قلت وهذا البيت الاخير قد استعمله الشعراء كثيرا فمن ذلك قول مطيع بن اياس يرثي يحيي بن زياد الحارثي من جملة أبيات

فاذهب بمن شئت اذ ذهبت به * ما بعد يحيي في الرزء من ألم

وقول أبي نواس يرثي الامين

وكنت عليه احذر الموت وحده * فلم يبق لي شيء عليه احاذر

وقول ابراهيم بن العباس الصولي يرثي ابنه

أنت السواد لمقلة * تبكي عليك وناظر
من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت احاذر

وذكر أبو الفرج الاصبهاني في كتاب الاغاني في ترجمة مسلم بن الوليد باسناد متصل الى أحمد بن أبي سعيد قال اهديت الى يزيد بن مزيد جارية وهو يأكل فلما رفع يده من الطعام وطئها فلم ينزل عنها الا ميتا وهو ببردعة فدفن في مقابر بردعة وكان مسلم بن الوليد معه في جملة أصحابه فقال يرثيه

قبر ببردعة استسر ضريحه * خطرا تقاصر دونه الاخطار
ابقى الزمان على ربيعة بعده * حزنا لعمر الله ليس يعار
سلكت بك العرب السبيل الى العلى * حتى اذا سبق الردى بك حاروا
نفضت بك الاحلاس آمال الغنى * واسترجعت زوارها الامصار
فاذهب كما ذهبت غوادي مزنة * اثنى عليها السهل والاوعار

وقيل ان هذا البيت الاخير أبلغ شيء قيل في المراثي وهذه الابيات في كتاب الحماسة في باب المراثي و بردعة بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وبعدها دال مهملة ثم عين مهملة وهي مدينة من أقصى بلاد اذربيجان قلت هكذا رأيته في التواريخ وأهل تلك البلاد يقولون بردعة من اقليم اران والله أعلم ويقال برذعة أيضا بالذال المعجمة وكذلك برذعة الدابة يقال بالدال والذال وقد قيل ان مسلم بن الوليد انما رثى بهذه الابيات يزيد ابن أحمد السلمي وقيل بل رثى بها مالك بن علي الخزاعي وان أول الابيات

* قبر بحلوان استسر ضريحه * لان الذي قيلت فيه مات بحلوان بضم الحاء المهملة وهي آخر مدينة بأرض السواد من اعمال العراق والله أعلم بالصواب في ذلك

كله وذكر أبو عبيد الله المرزباني في كتاب معجم الشعراء ان أبا البلهاء عمير بن عامر مولى يزيد بن مزيد الشيباني هو القائل

نعم الفتى فجعت به اخوانه * يوم البقيع حوادث الايام
سهل الفناء اذا حللت ببابه * طلق اليدين مؤدب الخدام
واذا رأيت صديقه وشقيقه * لم تدر أيهما ذوو الارحام

وذكر أبو تمام الطائي هذه الابيات في كتاب الحماسة في باب المراثي لمحمد بن بشير الخارجي وقيل ابن بسير بالسين المهملة وهو فعيل من البسر وبشير من البشارة وهو من خارجة عدوان قبيلة وليس من الخوارج والله أعلم بالصواب في ذلك كله ورثاه منصور النمري وهو في كتاب الحماسة بقوله

اباخالد ما كان ادهى مصيبة * اصابت معدا يوم اصبحت ثاويا
لعمري لئن سر الاعادي فأظهروا * شماتا لقد مر وا بربعك خاليا
فان يك أفنته الليالي واوشكت * فان له ذكرا سيفني اللياليا

وكان ليزيد ولدان نجيبان جليلان سيدان أحدهما خالد بن يزيد وهو ممدوح ابي تمام الطائي وله فيه أحسن المدائح وقد تضمنها ديوانه فلا حاجة الى ذكر شئ منها لشهرة ديوانه والآخر محمد بن يزيد كان موصوفا بالكرم وانه لا يرد طالبا فان لم يحضره مال لم يقل لا بل يعد ثم يعجل العدة ومدحه أحمد بن أبي فنن صالح بن سعيد بقوله ثم وجدت هذه الابيات لابي الشيص الخزاعي في كتاب البارع

عشق المكارم فهو مشتغل بها * والمكرمات قليلة العشاق
واقام سوقا للثناء ولم تكن * سوق الثناء تعد في الاسواق
بث الصنائع في البلاد فاصبحت * تجبي اليه محامد الآفاق

وكان خالد بن يزيد قد تولى الموصل من جهة المأمون فوصل اليها وفي صحبته أبو الشمقمق الشاعر الذي ذكرته في هذه الترجمة فلما دخل خالد الى الموصل نصب اللواء الذي لخالد في سقف باب المدينة فاندق فتطير خالد من ذلك فانشده أبو الشمقمق ارتجالا

ما كان مندق اللواء لريبة * تخشى ولا سوء يكون معجلا
لكن هذا الرمح اضعف متنه * صغر الولاية فاستقل الموصلا

فبلغ الخليفة ما جرى فكتب الى خالد بن يزيد قد زدناك في ولايتك ديار ربيعة كلها لكون رمحك استقل الموصل ففرح بذلك وأجزل جائزة ابي الشمقمق ولما انتقض امر ارمينية في ايام الواثق جهز اليها خالد بن يزيد المذكور في جيش عظيم فاعتل في الطريق ومات في سنة ثلاثين ومائتين ودفن بمدينة دبيل ارمينية رحمه الله تعالى

أبو عثمان يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرغ بن ذى العشيرة بن الحرث
ابن دلال بن عوف بن عمرو بن يزيد بن مرة بن مرثد بن مسروق
ابن يزيد بن يحصب الحميرى

وبقية النسب من يحصب معروفة فلاحاجة الى ذكرها هكذا ساق هذا النسب ابن الكلبي فى كتاب جمهرة النسب غيرانه لم يذكر ترجمة يزيد بل ذكرها صاحب الاغانى وأكثر العلماء يقولون هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ ويسقطون زيادا وقال صاحب الاغانى انما لقب جده مفرغا لانه راهن على سقاء من لبن يشربه كله فشربه حتى فرغه فسمى مفرغا وذكر فى ترجمة حفيده السيد الحميرى فى كتاب الاغانى أيضا ان ابن عائشة قال مفرغ هو ربيعة ومفرغ لقبه ومن قال ربيعة بن مفرغ فقد أخطأ والله أعلم وقال الفضل بن عبد الرحمن النوفلى كان مفرغ المذكور حدادا باليمن فعمل لامرأة قفلا وشرط عليها عند فراغه منه ان تجيئه بلبن كرش ففعلت فشرب منه ووضعه فقالت له رد على الكرش فقال ماعندى شئ أفرغه فيه قال لا بد منه ففرغه فى جوفه فقالت انك لمفرغ فعرف به وهو من حمير فيما يزعم أهله وذكر ابن الكلبي وأبو عبيدة ان مفرغا كان شعابا بتبالة (قلت) تبالة بفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها باء موحدة ثم ألف ولام وفى آخرها هاء وهى بليدة على طريق اليمن للخارج من مكة وهذا المكان كثير الخصب له ذكر فى الاخبار والامثال والاشعار وهى أول ولاية وليها الحجاج بن يوسف الثقفى ولم يكن رآها قبل ذلك فخرج اليها فلما قرب منها سأل عنها فقيل له انها وراء تلك الاكمة فقال لاخير فى ولاية تسترها اكمة ورجع عنها محتقرا لها وتركها فضربت العرب بها المثل وقالت للشئ الحقير أهون من تبالة على الحجاج (قال الراوى) فادعى يزيد انه من حمير وهو حليف آل خالد بن اسيد بن أبى العيص الاموى وقيل انه كان عبد الضحاك بن عوف الهلالى وأنعم عليه وكان يزيد شاعرا غزلا محسنا والسيد الحميرى الشاعر المشهور من ولده وهو اسماعيل بن محمد بن بكار بن يزيد المذكور كذا ذكره ابن ماكولا فى كتاب الاكمال ولقبه السيد وكنيته أبو هاشم وهو من كبار الشيعة وله فى ذلك أخبار وأشعار مشهورة ومن محاسن شعر يزيد المذكور قوله من جملة قصيدة يمدح بها مروان بن الحكم الاموى وكان قد أحسن مروان اليه

وأقمتمو سوق الثناء ولم تكن * سوق الثناء تقام فى الاسواق
فكأنما جعل الاله اليكمو * قبض النفوس وقسمة الارزاق

والبيت الاول من هذين البيتين تقدم ذكره فى ترجمة يزيد بن مزيد بن زائدة الشيبانى منسوبا الى أحمد بن أبى فنن الشاعر المشهور يمدح به خالد بن يزيد بن مزيد المذكور من جملة أبيات والله أعلم بالصواب فى ذلك ولما ولى سعيد بن عثمان بن عفان رضى الله عنه خراسان عرض على يزيد بن مفرغ ان يصحبه فأبى ذلك وصحب عباد بن زياد بن أبيه فقال

له سعيد أما اذ أبيت ان تصحبني وآثرت صحبة عباد فاحفظ ما أوصيك به ان عبادا رجل لئيم فاياك والدالة عليه وان دعاك اليها من نفسه فانها خدعة منه لك عن نفسك وأقلل زيارته فانه ملول ولا تفاخره وان فاخرك فانه لا يحتمل لك ما كنت أحتمله ثم دعا سعيد بمال فدفعه اليه وقال له استعن به على سفرك فان صح لك مكانك من عباد والا فمكانك عندي ممهد فأتني ثم سار سعيد الى خراسان وخرج ابن مفرغ مع عباد فلما بلغ عبيد الله ابن زياد أمير العراقين صحبة يزيد أخيه عباد اشتق عليه فلما سار عباد شيعه أخوه عبيد الله وشيعه الناس وجعلوا يودعونه فلما أراد عبيد الله ان يودع أخاه دعا ابن مفرغ فقال له انك سألت عبادا ان يصحبك فأجابك وقد شق علي فقال له ولم أصلحك الله قال لان الشاعر لا يقنعه من الناس ما يقنع بعضهم من بعض لانه يظن فيجعل الظن يقينا ولا يعذر في موضع العذر وان عبادا يقدم على أرض حرب فيشتغل بحروبه وخراجه عنك فلا تعذره أنت وتكون شرا وعارا فقال له لست كما ظن الامير وان لمعروفه عندي شكرا كثيرا وان عندي ان اغفل امري عذرا ممهدا فقال لا ولكن تضمن لي ان أبطأ عليك بما تحبه ان لا تعجل عليه حتى تكتب الي قال نعم قال امض اذا على الطائر الميمون قال فقدم عباد خراسان وقيل سجستان فاشتغل بحروبه وخراجه فاستبطأه ابن مفرغ ولم يكتب الى أخيه عبيد الله بن زياد يشكوه كما ضمن له ولكنه بسط لسانه فذمه وهجاه وكان عباد كبير اللحية كأنها جوالق فسار ابن مفرغ مع عباد يوما فدخلت الريح فيها فنفشتها فضحك ابن مفرغ وقال لرجل من لخم كان الى جانبه

الا ليت اللحى كانت حشيشا * فتعلفها خيول المسلمينا

فسعى بها اللخمي الى عباد فغضب من ذلك غضبا شديدا وقال لا تجمل بي عقوبته في هذه الساعة مع صحبته لي وما أؤخرها الا لاشفي نفسي منه فانه كان يقوم فيشتم أبي في عدة مواضع وبلغ الخبر ابن مفرغ فقال اني لاجد ريح الموت من عباد ثم دخل عليه فقال أيها الامير اني قد كنت مع سعيد بن عثمان وقد بلغك رأيه في وجميل أثره علي وقد اخترتك عليه فلم أحظ منك بطائل وأريد أن تأذن لي بالرجوع فلا حاجة لي في صحبتك فقال له أما اختيارك اياي فقد اخترتك كما اخترتني واستصحبتك حين سألتني وقد أعجلتني عن بلوغ محبتي فيك وطلبت الاذن لترجع الى قومك فتفضحني فيهم وأنت على الاذن قادر بعد ان تقضي حقك وبلغ عبادا أنه يسبه ويذكره وينال من عرضه فدس الى قوم كان لهم عليه دين ان يقدموه اليه ففعلوا فحبسه وضر به ثم بعث اليه أن بعني الاراكة وبردا وكانت الاراكة قينة لابن مفرغ وبرد غلامه رباهما وكان شديد الضن بهما فبعث اليه ابن مفرغ مع الرسول أيبيع المرء نفسه وولده فأخذهما عباد منه وقيل انه باعهما عليه فاشتراهما رجل من أهل خراسان فلما دخلا منزله قال له برد وكان داهية اديبا أندري

ما اشتريت قال نعم اشتريتك وهذه الجارية قال لا والله ما اشتريت الا العار والدمار والفضيحة ابدا ما حييت فجزع الرجل وقال له كيف ذلك ويلك قال نحن ليزيد بن مفرغ والله ما أصاره الى هذه الحالة الا لسانه وشره أقتراه يهجو عبادا وهو أمير خراسان وأخوه عبيد الله أمير العراقين وعمه الخليفة معاوية بن أبي سفيان في ان استبطأه وعملك عنك وقد ابتعتني وابتعت هذه الجارية وهي نفسه التي بين جنبيه ووالله ما أرى أحدا أدخل بيته أشأم على نفسه وأهله مما ادخلته منزلك . فقال اشهدك انك واياها له فان شئتما أن تمضيا اليه فامضيا وعلى انى أخاف على نفسي ان بلغ ذلك ابن زياد وان شئتما ان تكونا له عندي فافعلا قال فاكتب اليه بذلك فكتب الرجل الى ابن مفرغ الى الحبس بما فعله فكتب اليه يشكر فعله وسأله ان يكونا عنده حتى يفرج الله عنه وقال عباد لحاجبه ما أرى هذا يعني ابن مفرغ يبالي بالمقام في الحبس فبع فرسه وسلاحه وأثاثه واقسم ثمنها بين غرمائه ففعل ذلك وبقيت عليه بقية حبسه بها فقال ابن مفرغ في بيعهما

شريت بردا ولو ملكت صفقته * لما تطلبت في بيع له رشدا
لولا الدعيّ ولولا ما تعرّض لى * من الحوادث ما فارقته أبدا
يا برد ما مسنا دهر أضرّ بنا * من قبل هذا ولا بعنا له ولدا

معنى شريت بعت وهو من الاضداد يقع على الشراء والبيع والابيات أكثر من هذا فتركت الباقي وعلم مفرغ انه ان أقام على ذم عباد وهجائه وهو في حبسه زاد نفسه شرا فكان يقول للناس اذا سألوه عن حبسه يقول رجل ادبه أميره ليقوم من أوده ويكف عن غربه وهذا لعمري خير من جرّ الامير ذيله على مداهنة صاحبه فلما بلغ ذلك عبادا رق له واخرجه من السجن فهرب حتى أتى البصرة ثم خرج منها الى الشام وجعل يتنقل في مدنها هاربا ويهجو زيادا وولده فمن ذلك قوله في تركه سعيد بن عثمان بن عفان رضي الله عنه واتباعه عباد بن زياد ويذكر بيع برد عليه

أصرمت حبلك من امامه * من بعد ايام برامه
فالريح تبكي شجوها * والبرق يضحك في الغمامه
لهفي على الامر الذى * كانت عواقبه ندامه
تركي سعيدا ذا الندى * والبيت ترفعه الدعامه
ليثا اذا شهد الوغى * ترك الهوى ومضى أمامه
فتحت سمرقند له * وبنى بعرصتها خيامه
وتبعت عبد بنى علا * ج تلك أشراط القيامه
جاءت به حبشية * سكاء تحسبها نعامه
من نسوة سود الوجو * ه ترى عليهن الدمامه

وشريت بردا ليتني * من بعد برد كنت هامه
ياهامة تدعو صدى * بين المشقر واليمامه
فالهول يركبه الفتى * حذر المخازي والسآمه
والعبد يقرع بالعصا * والحر تكفيه الملامه

قلت قوله وتبعت عبد بني علاج بنو علاج بطن من ثقيف وسياتي ذكره عند ذكر الحرث ابن كلدة في هذه الترجمة ان شاء الله تعالى قال أبو بكر بن دريد في كتاب الاشتقاق وأنشد عليه

آل ابي بكرة استفيقوا * هل تعدل الشمس بالسراج
ان ولاء النبي اعلى * من دعوة في بني علاج

وهذا القول لسبيويه كرعند ذكر أبي بكرة نفيع بن الحرث في هذه الترجمة ان شاء الله تعالى وقوله في البيت الآخر * سكاء تحسبها نعامه * يقال اذن سكاء اذا كانت صغيرة والسكاء أيضا التي لا اذن لها والعرب تقول كل سكاء تبيض وكل شرقاء تلد والشرقاء التي لها أذن طويلة والسكاء بفتح السين المهملة وتشديد الكاف والشرقاء بفتح الشين المعجمة وسكون الراء وبعدها قاف والضابط عندهم فيه ان كل حيوان له أذن ظاهرة فانه يلد وكل حيوان ليست له أذن ظاهرة فانه يبيض (قال الراوي) ثم ان ابن مفرغ لج في هجاء بني زياد حتى تغنى أهل البصرة بأشعاره فطلبه عبيد الله طلبا شديدا حتى كاد يؤخذ فلحق بالشام واختلف الرواة فيمن رده الى ابن زياد فقال بعضهم رده معاوية بن أبي سفيان وقال بعضهم بل رده يزيد بن معاوية والصحيح انه يزيد لان عبادا انما ولي سجستان في ايام يزيد (قلت) ثم ذكر صاحب الاغاني عقيب هذا الفصل أن سعيد بن عثمان بن عفان رضي الله عنه دخل على معاوية بن أبي سفيان فقال له علام جعلت ولدك يزيد ولي عهدك فوالله لأبي خير من أبيه وأمي خير من أمه وأنا خير منه وقد وليناك فما عزلناك وبنا نلت مانلت فقال له معاوية أما قولك ان أباك خير من أبيه فقد صدقت لعمر الله ان عثمان لخير مني وأما قولك ان أمك خير من أمه فحسب المرأة ان تكون في بيت قومها وان يرضاها بعلها وينجب ولدها وأما قولك انك خير من يزيد فوالله ما يسرني ان لي بيزيد ملء الغوطة ذهبا مثلك وأما قولك انكم وليتموني فما عزلتموني فما وليتموني وانما ولاني من هو خير منكم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقررتموني وما كنت بئس الوالي لكم لقد قمت بثاركم وقتلت قتلة أبيكم وجعلت الامر فيكم وأغنيت فقيركم ورفعت الوضيع منكم فكلمه يزيد في أمره فولاه خراسان رجعنا الى حديث ابن مفرغ (قال الراوي) ولم يزل يتنقل في قرى الشام ويهجو بني زياد واشعاره تنقل الى البصرة فكتب عبيد الله بن زياد الى أمير العراق معاوية وقيل الى يزيد وهو الاصح يقول ان ابن مفرغ هجا زيادا وبني زياد بما هتكه في قبره وفضح بنيه

طول الدهر وتعدى الى أبي سفيان فقذفه بالزنا وسب ولده وهرب من سجستان وطلبته حتى لفظته الارض وهرب الى الشام يتضغ لحومنا ويهتك أعراضنا وقد بعثت اليك بما قد هجانا به لتنتصف لنا منه ثم بعث بجميع ما قاله ابن مفرغ فيهم فامر يزيد بطلبه فجعل يتنقل في البلاد حتى لفظته الشام فاتى البصرة ونزل على الاحنف بن قيس قلت وهو الذي يضرب به المثل في الحلم وقد سبق ذكره واسمه الضحاك قال فاستجار به فقال له الاحنف اني لا أجير على ابن سمية فاعزله وانما يجير الرجل على عشيرته وأما على سلطانه فلا ثم انه مشى الى غيره فلم يجره أحد فاجاره المنذر بن الجارود العبدي وكانت ابنته تحت عبيد الله بن زياد وكان المنذر من اكرم الناس عليه فاغتر بذلك وأدل بموضعه منه وطلبه عبيد الله وقد بلغه وروده البصرة فقيل له اجاره المنذر بن الجارود فبعث عبيد الله الى المنذر فاتاه فلما دخل عليه بعث عبيد الله بالشرط فكبسوا داره وأتوه بابن مفرغ فلم يشعر ابن الجارود الا بابن المفرغ قد أقيم على رأسه فقام ابن الجارود الى عبيد الله فكلمه فيه فقال أذكرك الله أيها الامير ان تخفر جواري فاني قد أجرته فقال عبيد الله يا منذر انه ليمدحن اباك ويمدحنك وقد هجاني وهجا أبي ثم تجيره علي لا ها الله لا يكون ذلك أبدا ولا اغفرها له فغضب المنذر فقال له لعلك تدلي بكريمتك عندي ان شئت والله لأبتنها بتطليق البتة فخرج المنذر من عنده واقبل عبيد الله على مفرغ فقال له بئس ما صحبت به عبادا فقال بئس ما صحبني عباد اخترته لنفسي على سعيد بن عثمان وانفقت على صحبته جميع ما املكه وظننت انه لا يخلو من عقل زياد وحلم معاوية وسماحة قريش فعدل عن ظني كله ثم عاملني بكل قبيح وتناولني بكل مكروه من حبس وغرم وشتم وضرب فكنت كمن شام برقا خلبا في سحاب جهام فاراق ماءه طمعا فيه فمات عطشا وما هربت من أخيك الا لما خفت ان يجري فيما يندم عليه وقد صرت الآن في يديك فشأنك فاصنع بي ما شئت فامر بحبسه وكتب الى يزيد بن معاوية يسأله ان يأذن له في قتله فكتب اليه يزيد اياك وقتله ولكن تناوله بما ينكله ويشد سلطانك ولا يبلغ نفسه فان له عشيرة هي جندي وبطانتي ولا ترضى بقتله مني ولا تقنع الا بالقود منك فاحذر ذلك واعلم انه الجد منهم ومني وانك مرتهن بنفسه ولك في دون تلفها مندوحة تشفي من الغيظ فورد الكتاب على عبيد الله فامر بابن مفرغ فسقي نبيذا حلوا قد خلط معه الشبرم وقيل التربد فأسهل بطنه فطيف به وهو على تلك الحال وقرن بهرة وخنزيرة فجعل يسلح والصبيان يتبعونه ويصيحون عليه وألح عليه ما يخرج منه حتى اضعفه فيسقط فقيل لعبيد الله لا تأمن ان يموت فامر به ان يغسل ففعلوا فلما اغتسل قال

يغسل الماء ما فعلت وقولي * راسخ منك في العظام البوالي

فرده عبيد الله الى الحبس وقيل لعبيد الله كيف اخترت له هذه العقوبة فقال لانه سلح

علينا فاحببت ان تسلخ الخزية عليه وكان مما قاله ابن مفرغ في عباد بن زياد من جملة أبيات عديدة

اذا اودى معاوية بن حرب * فبشر شعب قعبك بانصداع
فأشهد أن أمك لم تباشر * ابا سفيان واضعة القناع
ولكن كان أمر فيه لبس * على وجل شديد وارتياع

وقال أيضا

الا أبلغ معاوية بن صخر * مغلغلة عن الرجل اليماني
اتغضب ان يقول أبوك عف * وترضى ان يقال أبوك زاني
فأشهد أن رحلك من زياد * كرحم الفيل من ولد الاتان
واشهد انها ولدت زيادا * وصخر من سمية غير دان

قلت قوله فاشهد أن رحلك من زياد البيت الثالث أخذه من قول أبي الوليد وقيل أبي عبد الرحمن حسان بن ثابت الانصاري رضي الله عنه في بيت من جملة أبيات وهي قوله

لعمرك ان الك من قريش * كال السقب من رأل النعام

الال بكسر الهمزة وتشديد اللام وهو الرحم والسقب بفتح السين المهملة وسكون القاف وبعدها باء موحدة وهو الذكر من ولد الناقة والرأل بفتح الراء وبعدها همزة وفي آخره لام وهو ولد النعام وهذه الابيات قالها حسان في أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وهو ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وكان أخاه من الرضاعة ارضعتهما حليمة ابنة أبي ذؤيب السعدية وكان من أكثر الناس شبها برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له فيه هجاء وكان حسان يجاوب عنه في ذلك هذه الابيات الميمية ومن ذلك قوله أيضا

الا ابلغ أبا سفيان عني * مغلغلة فقد برح الخفاء
هجوت محمدا فأجبت عنه * وعند الله في ذلك الجزاء
اتهجوه ولست له بكفو * فشركما لخيركما الفداء
فان أبي ووالده وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء

وقوله فشركما لخيركما الفداء فيه كلام لاهل العلم لاجل خير وشر لانهما من ادوات التفضيل وتقتضي المشاركة وانما أجابه حسان بامر النبي صلى الله عليه وسلم له في ذلك قلت والجماعة الذين كانوا يشبهون النبي صلى الله عليه وسلم من أهل بيته خمسة أبو سفيان المذكور والحسن بن علي بن أبي طالب وجعفر بن أبي طالب وقثم بن العباس بن عبد المطلب بن عبد مناف وهو جد الشافعي رضي الله عنهم أجمعين ثم ان أبا سفيان اسلم عام الفتح وكان ذلك في السنة الثامنة من الهجرة وحسن اسلامه وخرج مع النبي

صلى

صلى الله عليه وسلم الى الطائف وحنين ولما انهزم المسلمون يوم حنين كان أبو سفيان أحد السبعة الذين ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى رجع المسلمون اليهم وكانت النصرة لهم وكسبوا من الغنائم ستة آلاف رأس من الرقيق ثم من النبي صلى الله عليه وسلم عليهم فأطلقهم والشرح فى ذلك يطول وليس هذا موضعه وكان أبو سفيان المذكور يومئذ ممسكا بلجام بغلة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يفارقها وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول انى لأرجو أن يكون فيه خلف من حمزة بن عبد المطلب وشهد له بالجنة فقال أبو سفيان بن الحرث من شباب أهل الجنة او سيد فتيان أهل الجنة والله أعلم وأكثر العلماء يقولون اسمه كنيته ليس له اسم سواها وقيل اسمه المغيرة وقيل المغيرة أخوه وهو أبو سفيان لاغير ويقال انه ما رفع رأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اسلم حياء منه لما تقدم من هجائه (رجعنا الى حديث ابن مفرغ) وهو من شعراء الحماسة وهو القائل

الا طرقتنا آخر الليل زينب * سلام عليكم هل لما فات مطلب
وقالت تجنبنا ولا تقربننا * فكيف وأنتم حاجتى اتجنب
يقولون هل بعد الثلاثين ملعب * فقلت وهل قبل الثلاثين ملعب
لقد جل خطب الشيبان وكلما * بدت شيبة يعرى من اللهو مركب

وذكر مظفر الاندلسى فى تاريخه الكبير فى جملة هذه الابيات

فلو ان لحى اذوهى لعبت به * كرام ملوك اواسود واذؤب
لهون من وجدى وسلى مصيبتى * ولكنما اودى بلحمى اكلب

ولما بلغ الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما وفاة معاوية بن أبى سفيان وبيعة ولده يزيد بن معاوية عزم على قصد الكوفة بمكاتبة جماعة من أهلها كما هو مشهور فى هذه الواقعة التى قتل فيها الحسين رضى الله عنه فكان فى تلك المدة يتمثل كثيرا بقول يزيد بن مفرغ المذكور من جملة أبيات

لاذعرت السوام فى غلس الصبح * مغيرا ولادعيت يزيدا
يوم اعطى على المخافة ضيما * والمنايا يرصدننى ان احيدا

فعلم من سمع ذلك منه انه سينازع يزيد بن معاوية فى الامر فخرج الحسين الى الكوفة واميرها يومئذ عبيد الله بن زياد فلما قرب منها سير اليه جيشا مقدمه عمر بن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فقتل الحسين رضى الله عنه بالطف وجرى ماجرى وروى ان معاوية بن أبى سفيان كتب الى الحسين رضى الله عنه انى لاظن فى رأسك نزوة ولا بد لك من اظهارها ووددت لو ادركتها فأغتفرها لك وروى عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه انه قال لو كنت من قتلة الحسين وغفر الله لى وادخلنى الجنة لما دخلتها حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عبيد الله بن زياد لحارثة بن بدر العدوانى ما تقول

في درني المسير يوم القيامة قال يشفع له أبوه وجده صلى الله عليه وسلم ويشفع لنا أبو لك
وجدك فاعرف من هاهنا ما تريد ونقلت من تاريخ شمس الدين أبي المظفر يوسف بن
قزغلي المعروف بسبط الحافظ جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي الواعظ الذي سماه
مرآة الزمان ورأيته بخطه في أربعين مجلدا بدمشق وقد رتبه على السنين فقال في السنة
التاسعة والخمسين للهجرة بعد ان قص حديث يزيد بن مفرغ مع بني زياد فقال في آخر
الحديث مات يزيد بن مفرغ في سنة تسع وستين للهجرة والله أعلم وقال أبو اليقظان
في كتاب النسب مات عباد بن زياد في سنة مائة للهجرة بجرود قلت وجرود بفتح الجيم
وضم الراء وسكون الواو وبعدها دال مهملة وهي قرية من اعمال دمشق من جهة
حمص ويكون في أرضها من حمر الوحش شئ كثير يجاوز الحصر ولما وصل بعض عسكر
الديار المصرية الى الشام في اثناء سنة ستين وستمائة وتوجه والعسكر الشام الى انطاكية
وكنت يومئذ بدمشق أقاموا عليها قليلا ثم عادوا فدخلوا مصر في سلخ شعبان من السنة
واخبرني بعضهم بقضية غريبة يصلح ان نذكرها هنا لغرابتها وهي انهم نزلوا على جرود
المذكورة واصطادوا من الحمر الوحشية شيأ كثيرا على ما قالوا فذبح واحد من
الجماعة حمارا وطبخ لحمه الطبخ المعتاد فلم ينضج ولا قارب النضج فزاد في الحطب والايقاد
فلم يؤثر فيه شيأ ومكث يوما كاملا يفعل ذلك وهو لا يفيد شيأ فقام شخص من الجند
وأخذ الرأس يقلبه فوجد على اذنه وسما فقرأه فاذا هو بهرام جور فلما وصلوا الى
دمشق أحضروا تلك الاذن عندي فوجدت الوسم ظاهرا وقد رقشعر الاذن الى ان بقي
كالجلد وموضع الوسم بقي اسود وهو بالقلم الكوفي وهذا بهرام جور من ملوك
الفرس وكان قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بزمان طويل وكان من عادته انه
اذا كثر عليه ما يصطاده وسمه وأطلقه والله أعلم كم كان عمر الحمار لما وسمه والله أعلم
لو تركوه ولم يذبحوه كم كان يعيش وعلى الجملة فان حمار الوحش من الحيوانات المعمرة
وهذا الحمار لعله عاش ثمانمائة سنة أو اكثر وهذه جرود في ارضها جبل المدخن
المشهور وقد ذكره أبو نواس في قصيدته التي ذكر فيها المنازل لما قصد الخصيب
بمصر فقال

وأقفر اشراقا كأنس تدمر * وهن الى رعن المدخن صور

والمدخن بضم الميم وبالدال المهملة وفتح الخاء المعجمة المشددة وبعدها نون وسمي
المدخن لانه لا يزال عليه مثل الدخان من الضباب ثم بعد هذا وجدت في كتاب مفاتيح
العلوم تأليف محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الخوارزمي أن بهرام جور ابن بهرام بن
سابور ذي الاكتاف وسمي ابراهيم جور لانه كان مولعا بصيد العير وهو الحمار الوحشي
والاهلي أيضا انتهى كلامه ثم حسبت مدة ملكهم بعد هذا فكانت الى سنة الهجرة
النبوية مقدار مائتين وست عشرة سنة فقد عاش هذا الحمار منذ وسمه بهرام جور

الى ان ذبح فى سنة ستين وستمائة فقدار غمانة سنة وأ كثر والله أعلم قلت وقد تكرر فى هذه الترجمة حديث زياد وبنيه وسمية وأبى سفيان ومعاوية وهذه الاشعار التى قالها يزيد بن مفرغ فيهم ومن لا يعرف هذه الاسباب قد يتشوف الى الاطلاع عليها فنورد منها شيأ مختصرا فأقول ان ابا الجبر الملك الذى ذكره أبو بكر بن دريد فى المقصورة المشهورة فى البيت الذى يقول فيه وهو

وخامرت نفس أبى الجبر جوى * حتى حواه الحتف فيمن قد حوى

كان أحد ملوك اليمن واسمه كنيته وقيل هو أبو الجبر يزيد بن شراحيل الكندى وقيل أبو الجبر بن عمرو تغلب عليه قومه فخرج الى بلاد فارس يستجيش عليهم كسرى فبعث معه جيشا من الاساورة فلما ساروا الى كاظمة ونظروا وحشة بلاد المغرب وقلة خيرها قالوا الى أين نمضى مع هذا فعمدوا الى سم فدفعوه الى طباخه ووعدوه بالاحسان اليه ان ألقى ذلك السم فى طعام الملك ففعل ذلك فلما استقر الطعام فى جوفه حتى اشتد وجعه فلما علم الاساورة ذلك دخلوا عليه فقالوا له انك قد بلغت الى هذه الحالة فاكتب لنا الى الملك كسرى انك قد أذنت لنا فى الرجوع فكتب لهم بذلك ثم ان ابا الجبر خف ما به فخرج الى الطائف البلدة التى بقرب مكة وكان بها الحارث بن كلدة طبيب العرب الثقفى فعالجه فأبرأه فأعطاه سمية بضم السين المهملة وفتح الميم وتشديد الياء المثناة من تحتها وفى آخره هاء وعبيدا بضم العين المهملة تصغير عبد وكان كسرى قد أعطاهما أبا الجبر فى جملة ما أعطاه ثم ارتحل أبو الجبر يريد اليمن فانتقضت عليه العلة فمات فى الطريق ثم ان الحرث بن كلدة الثقفى زوج عبيدا المذكور سمية المذكورة فولدت سمية زيادا على فراش عبيد وكان يقال له زياد بن عبيد وزياد ابن سمية وزياد ابن أبيه وزياد ابن أمه وذلك قبل ان يستلحقه معاوية كما سيأتى ان شاء الله تعالى وولدت سمية أيضا أبا بكرة نفيع بن الحرث بن كلدة المذكور ويقال نفيع بن مسروح وهو الصحابى المشهور بكنيته رضى الله عنه وولدت أيضا شبل بن معبد ونافع بن الحرث وهؤلاء الاخوة الاربعة هم الذين شهدوا على المغيرة بن شعبة رضى الله عنه بالزنا وسيأتى خبر ذلك بعد الفراغ من حديث زياد ان شاء الله تعالى وكان أبو سفيان صخر بن حرب الاموى والد معاوية بن أبى سفيان يلم فى الجاهلية بالتردد الى سمية المذكورة فولدت سمية زيادا فى تلك المدة ولكنها ولدته على فراش زوجها عبيد ثم ان زيادا كبر وظهرت منه النجابة والبلاغة وهو أحد الخطباء المشهورين فى العرب بالفصاحة والدهاء والعقل الكثير حتى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان قد استعمل أبا موسى الاشعرى رضى الله عنه على البصرة فاستكتب زيادا ابن ابيه ثم ان زيادا قدم على عمر رضى الله عنه من عند أبى موسى فاعجب به عمر رضى الله عنه فأمر له بألف درهم ثم تذكرها بعدما مضى فقال لقد ضاع ألف اخذها زياد فلما قدم عليه بعد ذلك قال له ما فعل ألفك يا زياد قال

اشتريت بها عبيدا فاعتقته يعني اباه فقال ماضاع ألفك يا زياد هل أنت حامل كتابي الى أبي موسى الاشعري في عزلك عن كتابته قال نعم يا أمير المؤمنين ان لم يكن ذلك عن سخطة قال ليس عن سخطة قال فلم تاسر بذلك قال كرهت ان احمل الناس على فضل عقلك واستكتب أبو موسى بعد زياد ابا الحصين بن أبي الحر العنبري فكتب الى عمر رضي الله عنه كتابا لحن في حرف منه فكتب اليه ان قنع كاتبك سوطا . وكان عمر رضي الله عنه اذا وفد عليه من البصرة رجل احب ان يكون زياد اليشفيه من الخبر وكان عمر رضي الله عنه قد استعمله على بعض اعمال البصرة ثم عزله وقال ماعزلتك لجريمة ولكن كرهت أن احمل الناس على فضل عقلك وكان عمر رضي الله عنه قد بعثه في اصلاح فساد وقع باليمن فرجع من وجهه وخطب خطبة لم يسمع الناس مثلها فقال عمرو بن العاصي أما والله لو كان هذا الغلام من قريش لساق العرب بعصاه فقال أبو سفيان اني لاعرف الذي وضعه في رحم أمه فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومن هو يا ابا سفيان قال انا قال مهلا ابا سفيان فقال أبو سفيان

أما والله لولا خوف شخص * يراني يا علي من الاعادي

لاظهر امره صخر بن حرب * وان تكن المقالة عن زياد

وقد طالت مجاملتي ثقيفا * وتركي فيهم ثمر الفؤاد

فلما صار الامر الى علي رضي الله عنه وجه زيادا الى فارس فضبط البلاد وحمى وجبى واصلح الفساد فكاتبه معاوية يروم افساده على علي رضي الله عنه فلم يفعل ووجه بكتابه الى علي رضي الله عنه وفيه شعر تركته فكتب اليه علي اني ماوليتك ماوليتك الا وأنت أهل لذلك عندي ولن تدرك ماتريده مما أنت فيه الا بالصبر واليقين وانما كانت من أبي سفيان فلتة زمن عمر رضي الله عنه لا يستحق بها نسبا ولا ميراثا وان معاوية يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه فاحذره ثم احذره والسلام فلما قرأ زياد الكتاب قال شهد لي أبو الحسن ورب الكعبة فذلك الذي جرأ يزيد بن معاوية على ما صنع فلما قتل علي رضي الله عنه وتولى ولده الحسن رضي الله عنه ثم فوض الامر الى معاوية كما هو مشهور وأراد معاوية استمالة زياد اليه وقصد تأليف قلبه ليكون معه كما كان مع علي رضي الله عنه فتعلق بذلك القول الذي صدر من أبيه بحضرة علي وعمرو بن العاص فاستلحق زيادا في سنة أربع وأربعين للهجرة فصار يقال له زياد بن أبي سفيان فلما بلغ أخاه أبا بكرة ان معاوية استلحقه وانه رضي بذلك حلف يمينا ان لا يكلمه أبدا وقال هذا زنى امه وانتفى من أبيه والله ماعلمت سمية رأت أبا سفيان قط ويله مايصنع بأم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي صلى الله عليه وسلم أيريد أن يراها فان حجبته فضحته وان رآها فيالها من مصيبة يهتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمة عظيمة وحج زياد في زمن معاوية ودخل المدينة فأراد الدخول على ام حبيبة لانها اخته على زعمه وزعم

بمعاوية ثم ذكر قول أخيه أبي بكرة فانصرف عن ذلك وقيل ان ام حبيبة حجبته ولم تأذن له في الدخول عليها وقيل انه حج ولم يزر من أجل قول أبي بكرة وقال جزى الله أبا بكرة خير الجزاء فما يدع النصيحة على كل حال وقدم زياد على معاوية وهو نائب عنه وحمل معه هدايا جليلة من جملتها عقد نفيس فأعجب به معاوية فقال زياد يا أمير المؤمنين دوخت لك العراق وجبيت لك برها وبحرها وجلبت اليك لبها وقشرها وكان يزيد بن معاوية جالسا فقال له اما انك اذ فعلت ذلك فانا نقلناك من ثقيف الى قريش ومن عبيد الى أبي سفيان ومن القلم الى المنابر فقال له معاوية حسبك وريت بك زنادي وقال أبو الحسن المدايني أخبرنا أبو الزبير الكاتب عن ابن اسحاق قال اشترى زياد أباه عبيدا فقدم زياد على عمر رضي الله عنه فقال له ما صنعت بأول شيء أخذت من عطائك قال اشتريت به ابي قال فأعجب ذلك عمر رضي الله عنه وهذا ينافي استلحاق معاوية اياه ولما ادعى معاوية زيادا دخل عليه بنو أمية وفيهم عبد الرحمن بن الحكم أخو مروان ابن الحكم الاموي فقال له يا معاوية لو لم تجد الا الزنج لاستكثرت بهم علينا قلة وذلة فاقبل معاوية على أخيه مروان بن الحكم وقال أخرج عنا هذا الخليع فقال مروان والله انه لخليع ما يطاق قال معاوية والله لولا حلمي وتجاوزي لعلمت انه يطاق الم يبلغني شعره فيّ وفي زياد ثم قال لمروان أسمعنيه فقال

الا أبلغ معاوية بن صخر * لقد ضاقت بما يأتي اليدان

اتغضب ان يقال ابوك عف * وترضى ان يقال أبوك زان

وقد تقدم ذكر بقية هذه الابيات منسوبة الى يزيد بن مفرغ وفيها خلاف هل هي ليزيد بن مفرغ أم لعبد الرحمن بن الحكم فمن رواها لابن مفرغ روى البيت الاول على تلك الصورة ومن رواها لعبد الرحمن رواها على هذه الصورة ولما استلحق معاوية زيادا وقربه وأحسن اليه وولاه صار من أكبر الاعوان على بني علي بن أبي طالب رضي الله عنه حتى قيل انه لما كان أمير العراقين طلب رجلا يعرف بابن سرح من أصحاب الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان في الامان الذي كتب لاصحاب الحسن رضي الله عنه لما نزل عن الخلافة لمعاوية فكتب الحسن الى زياد من الحسن الى زياد اما بعد فقد علمت ما كنا أخذنا لاصحابنا من الامان وقد ذكر لي ابن سرح انك عرضت له فأحب ان لا تعرض له الا بخير والسلام فلما أتاه الكتاب وقد بدأ فيه بنفسه ولم ينسبه الى أبي سفيان غضب وكتب اليه من زياد بن أبي سفيان الى الحسن أما بعد فانه أتاني كتابك في فاسق تأويه الفساق من شيعتك وشيعة أبيك وايم الله لاطلبنه ولو كان بين جلدك ولحمك وان احب الناس الي لحما أن آكله للحم أنت منه فلما قرأه الحسن رضي الله عنه بعث به الى معاوية فلما قرأه غضب وكتب الى زياد من معاوية بن أبي سفيان الى زياد أما بعد فان الحسن بن علي بعث الي بكتابك اليه جواب كتاب كتبه اليك

في ابن سرح فأكثرت التعجب منه وقد علمت ان لك رأيين رأيا من أبي سفيان ورأيا من سمية فأما رأيك من أبي سفيان فحلم وحزم وأما رأيك من سمية فكما يكون رأي مثلها ومن ذلك كتابك الى الحسن تسبه وتعرض له بالفسق ولعمري لأنت أولى بذلك منه فان كان الحسن ابتدأ بنفسه ارتفاعا عنك فان ذلك لن يضعك وأما تركك تشفيعه فيما شفع فيه اليك فحظ دفعته عن نفسك الى من هو أولى به منك فاذا أتاك كتابي فخل ما بيدك لابن سرح ولا تعرض له فيه فقد كتبت الى الحسن يخيره ان شاء أقام عنده وان شاء رجع الى بلده وانه ليس لك عليه سبيل بيد ولا لسان وأما كتابك الى الحسن باسمه ولا تنسبه الى أبيه فان الحسن ويحك من لا يرمى به الرجوان أفاستصغرت أباه وهو علي بن أبي طالب رضي الله عنه أم الى أمه وكلته وهي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذلك أفخر له ان كنت عقلت والسلام (قوله لا يرمى به الرجوان) بفتح الراء والجيم وهو لفظ مثنى ومعناه المهالك قلت وقد رويت هذه الحكاية على صورة أخرى وهي كان سعيد ابن سرح مولى كريز بن حبيب بن عبد شمس من شيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه فلما قدم زياد ابن ابيه الكوفة واليا عليها أخافه وطلبه فأتى المدينة فنزل على الحسن بن علي رضي الله عنه فقال له الحسن ما السبب الذي أشخصك وأزعجك فذكر له قصته وصنيع زياد به فكتب اليه الحسن أما بعد فانك عمدت الى رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم فهدمت عليه داره وأخذت ماله وعياله فاذا أتاك كتابي هذا فابن له داره واردد عليه ماله وعياله فاني قد أجرته فشفعني فيه فكتب اليه زياد من زياد بن أبي سفيان الى الحسن بن فاطمة أما بعد فقد أتاني كتابك تبدأ فيه باسمك قبل اسمي وأنت طالب لحاجة وأنا سلطان وأنت سوقة وكتابك الي في فاسق لا يأويه الا فاسق مثله وشر من ذلك توليه أباك وقد آويته اقامة منك على سوء الرأي ورضى بذلك وأيم الله لا تسبقني اليه ولو كان بين جلدك ولحمك فان احب لحم الي أن آكله للحم أنت منه فأسلمه بجريرته الى من هو أولى به منك فان عفوت عنه لم أكن شفعتك وان قتلته لم اقتله الا بحبه أباك فلما قرأ الحسن رضي الله عنه الكتاب كتب الى معاوية يذكر له حال ابن سرح وكتابه الى زياد فيه واجابة زياد اياه ولف كتابه في كتابه وبعث به اليه وكتب الحسن الى زياد من الحسن بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى زياد بن سمية عبد بني ثقيف الولد للفراش وللعاهر الحجر فلما قرأ معاوية كتاب الحسن رضي الله عنه ضاقت به الشام وكتب الى زياد اما بعد فان الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ما بعث الي بكتابك جواب كتابه اليك في ابن سرح فأكثرت التعجب منه وعلمت ان لك رأيين أحدهما من أبي سفيان والآخر من سمية فاما الذي من أبي سفيان فحلم وحزم وأما الذي من سمية فكما يكون رأي مثلها ومن ذلك كتابك الى الحسن تشتم أباه وتعرض له بالفسق ولعمري لأنت أولى بالفسق من الحسن ولأبوك اذ كنت تنسب الى عبيد أولى بالفسق من أبيه

فان كان الحسن بدأ بنفسه ارتفاعا عنك فان ذلك لم يضعك واما تشفيعه فيما شفع الك فيه فحظ دفعته عن نفسك الى من هو أولى به منك فاذا قدم عليك كتابي هذا فخل ما في يدك لسعيد بن سرح وابن له داره ولا تعذر به واردد عليه ماله فقد كتبت الى الحسن ان يخبر صاحبه بذلك فان شاء أقام عنده وان شاء رجع الى بلده فليس لك عليه سلطان بيد ولا لسان وأما كتابك الى الحسن باسمه واسم أمه ولا تنسبه الى أبيه فان الحسن ويلك ممن لا يرمى به الرجوان أفاستصغرت أباه وهو علي بن أبي طالب أم الى امه وكلته لا أم لك فهي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلك الفخر له ان كنت تعقل والسلام وقال عبيد الله بن زياد ما هجيت بشيء أشد علي من قول ابن مفرغ

فكر ففي ذاك ان فكرت معتبر * هل نلت مكرمة الا بتأمير
عاشت سمية ما عاشت وما علمت * ان ابنها من قريش في الجماهير

وقال قتادة قال زياد لبنيه وقد احتضر ليت أباكم كان راعيا في ادناها واقاصيها ولم يقع بالذي وقع فيه * قلت فبهذا الطريق كان ينظم ابن مفرغ هذه الاشعار في زياد وبنيه ويقول انهم أدعياء حتى قال في زياد وأبي بكرة ونافع اولاد سمية

ان زيادا ونافعا وابابكـ * ـرة عندي من أعجب العجب
هم رجال ثلاثة خلقوا * في رحم انثى وكلهم لأب
ذا قرشي كما يقول وذا * مولى وهذا ابن عمه عربي

وهذه الابيات تحتاج الى زيادة ايضاح فاقول قال أهل العلم بالاخبار ان الحرث بن كلدة بن عمرو بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى بن غيرة بن عوف بن قسي وهو ثقيف هكذا ساق هذا النسب ابن الكلبي في كتاب الجمهرة وهو طبيب العرب المشهور ومات في أول الاسلام وليس يصح اسلامه . وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر سعد ابن أبي وقاص ان يأتي الحرث بن كلدة يستوصفه في مرض نزل به فدل ذلك على انه جائز أن يشاور أهل الكفر في الطب إذا كانوا من أهله وكان ولده الحرث بن الحرث من المؤلفة قلوبهم وهو معدود في جملة الصحابة رضي الله تعالى عنهم ويقال ان الحرث بن كلدة كان رجلا عقيما لا يولد له وانه مات في خلافة عمر رضي الله عنه ولما حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائف قال ايما عبد تدلى الينا فهو حر فنزل أبو بكرة رضي الله عنه من الحصن في بكرة (قلت وهي بفتح الباء الموحدة وسكون الكاف وبعدها راء ثم هاء وهي التي تكون على البئر وفيها الحبل يستقى به والناس يسمونها بكرة بفتح الكاف وهو غلط الا ان صاحب كتاب العين حكاها بالفتح أيضا وهي لغة ضعيفة لم يحكها غيره) قال فكناه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكرة لذلك وكان يقول انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأراد اخوه نافع ان يدلي نفسه في البكرة أيضا فقال له الحرث بن كلدة أنت ابني فأقم فأقام ونسب الى الحرث وكان أبو بكرة

قبل ان يحسن اسلامه ينسب الى الحرث أيضا فلما حسن اسلامه ترك الانتساب اليه ولما
هلك الحرث بن كلدة لم يقبض أبو بكرة من ميراثه شيأ تورعا هذا عند من يقول ان الحرث
اسلم والا فهو محروم من الميراث لاختلاف الدين فلهذا قال ابن مفرغ الابيات الثلاثة
الباقية لان زيادا ادعى انه قرشي باستلحاق معاوية له وأبو بكرة اعترف بولاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونافع كان يقول انه ابن الحرث بن كلدة الثقفي وامهم واحدة وهي
سمية المذكورة وهذا سبب نظم البيتين في آل أبي بكرة كما تقدم ذكره وعلاج جد الحرث
ابن كلدة كما ذكرته هذه قصة زياد وأولاده ذكرتها مختصرة * قلت الان قول ابن
مفرغ في البيت الثاني وكلهم لاب ليس بجيد فان زيادا ما نسبه أحد الى الحرث بن كلدة
بل هو ولد عبيد لانه ولد على فراشه وأما أبو بكرة ونافع فقد نسبا الى الحرث فكيف
يقول وكلهم لاب فتأمله وذكر ابن النديم في كتابه الذي سماه الفهرست ان اول من ألف
كتابا في المثالب زياد ابن أبيه فانه لما طعن عليه وعلى نسبه عمل ذلك لولده وقال
لهم استظهروا به على العرب فانهم يكفون عنكم وأما حديث المغيرة بن شعبة الثقفي
والشهادة عليه فان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان قد رتب المغيرة أميرا على البصرة
وكان يخرج من دار الامارة نصف النهار وكان أبو بكرة يلقاه فيقول أين يذهب الامير
فيقول في حاجة فيقول ان الامير يزار ولا يزور قالوا وكان يذهب الى امرأة يقال لها
ام جميل بنت عمرو وزوجها الحجاج بن عتيك بن الحرث بن وهب الجشمي وقال ابن الكلبي
في كتاب جمهرة النسب هي أم جميل بنت الافقم بن محجن بن أبي عمرو بن شعبة
ابن الهرم وعدادهم في الانصار وزاد غير ابن الكلبي فقال الهرم بن رويبة بن عبد الله
ابن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن والله أعلم (قال الراوي)
فبينما أبو بكرة في غرفة مع اخوته وهم نافع وزياد المذكوران وشبل بن معبد والجميع
اولاد سمية المذكورة فهم اخوة لام وكانت أم جميل المذكورة في غرفة أخرى قبالة
هذه الغرفة فضربت الريح باب غرفة أم جميل ففتحته ونظر القوم فاذا هم بالمغيرة مع المرأة
على هيئة الجماع فقال أبو بكرة هذه بلية قد ابتليتم بها فانظروا فنظروا حتى اثبتوا
فنزل أبو بكرة فجلس حتى خرج عليه المغيرة فقال له انه كان من أمرك ما قد علمت
فاعتزلنا قال وذهب المغيرة ليصلي بالناس الظهر ومضى أبو بكرة فقال أبو بكرة
لا والله لا تصل بنا وقد فعلت ما فعلت فقال الناس دعوه فليصل فانه الامير واكتبوا
بذلك الى عمر رضي الله عنه فكتبوا اليه فامرهم ان يقدموا عليه جميعا المغيرة والشهود
فلما قدموا عليه جلس عمر رضي الله عنه فدعا بالشهود والمغيرة فتقدم أبو بكرة فقال له
رأيته بين فخذيها قال نعم والله لكأني انظر الى تشريم جدري بفخذيها فقال له المغيرة
لقد ألطفت في النظر فقال أبو بكرة لم آل أن اثبت ما يخزيك الله به فقال عمر رضي
الله عنه لا والله حتى تشهد لقد رأيته يلج فيها ولوج المرود في المكحلة فقال نعم

أشهد على ذلك فقال اذهب مغيرة ذهب ربعك ثم دعا نافعا فقال له علام تشهد قال على
مثل شهادة أبي بكرة قال لا حتى تشهد انه ولج فيها ولوج الميل في المكحلة قال نعم حتى
بلغ قذذه (قلت القذذ بالقاف المضمومة وبعدها ذالان معجمتان وهي ريش السهم)
قال الراوي فقال له عمر رضي الله عنه اذهب مغيرة قد ذهب نصفك ثم دعا الثالث
فقال له علام تشهد فقال على مثل شهادة صاحبي فقال له عمر رضي الله عنه اذهب
مغيرة ذهب ثلاثة ارباعك ثم كتب الى زياد وكان غائبا وقدم فلما رآه جلس له
في المسجد واجتمع عنده رءوس المهاجرين والانصار فلما رآه مقبلا قال اني أرى رجلا
لا يخزي الله على لسانه رجلا من المهاجرين ثم ان عمر رضي الله عنه رفع رأسه اليه
فقال ما عندك يا سلح الحبارى فقيل ان المغيرة قام الى زياد فقال لا مخبأ لعطر بعد
عروس قلت وهذا مثل للعرب لا حاجة الى الكلام عليه فقد طالت هذه الترجمة
كثيرا (قال الراوي) فقال له المغيرة يا زياد اذكر الله تعالى واذكر موقف يوم
القيامة فان الله تعالى وكتابه ورسوله وأمير المؤمنين قد حقنوا دمي الا ان تجاوز الى
ما لم تر مما رأيت فلا يحملنك سوء منظر رأيته على أن تجاوز الى ما لم تر فوالله
لو كنت بين بطني وبطنها ما رأيت ان يسلك ذكري فيها قال فدمعت عينا زياد واحمر
وجهه وقال يا أمير المؤمنين أما ان احق ما حق القوم فليس عندي ولكن رأيت مجلسا
وسمعت نفسا حثيثا وانتهازا ورأيته مستبطنها فقال له عمر رضي الله عنه رأيته يدخل
كالميل في المكحلة فقال لا وقيل قال زياد رأيته رافعا رجليها فرأيت خصيته تتردد الى
ما بين فخذيها ورأيت حفزا شديدا وسمعت نفسا عاليا فقال عمر رضي الله عنه رأيته
يدخله ويخرجه كالميل في المكحلة فقال لا فقال عمر رضي الله عنه الله أكبر قم يا مغيرة
اليهم فاضربهم فقام الى أبي بكرة فضربه ثمانين وضرب الباقين وأعجبه قول زياد
ودرأ الحد عن المغيرة فقال أبو بكرة بعد ان ضرب اشهد أن المغيرة فعل كذا وكذا
فهم عمر رضي الله عنه ان يضربه حدا ثانيا فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه
ان ضربته فارجم صاحبك فتركه واستتاب عمر أبا بكرة فقال انما تستتيبني لتقبل شهادتي
فقال اجل فقال لا اشهد بين اثنين ما بقيت في الدنيا فلما ضربوا الحد قال المغيرة الله
أكبر الحمد لله الذي أخزاكم فقال عمر رضي الله عنه بل أخزى الله مكانا رأوك فيه وذكر
عمر بن شبة في كتاب أخبار البصرة ان أبا بكرة لما جلد أمرت أمه بشاة فذبحت
وجعلت جلدها على ظهره فكان يقال ما ذاك الا من ضرب شديد وحكى عبد الرحمن
ابن أبي بكرة ان أباه حلف لا يكلم زيادا ما عاش فلما مات أبو بكرة كان قد اوصى ان
لا يصلي عليه الا أبو برزة الاسلمي وكان النبي صلى الله عليه وسلم آخى بينهما وبلغ ذلك
زيادا فخرج الى الكوفة وحفظ المغيرة بن شعبة ذلك لزياد وشكره ثم ان أم جميل
وافت عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالموسم والمغيرة هناك فقال له عمر أتعرف هذه

المرأة يامغيرة فقال نعم هذه أم كلثوم بنت علي فقال عمر أتتجاهل علي والله ما أظن ابابكرة كذب عليك ومارأيتك الاخفت ان أرمى بحجارة من السماء • قلت ذكر الشيخ أبو اسحاق الشيرازي في أول باب عدد الشهود في كتاب المهذب وشهد على المغيرة ثلاثة أبو بكرة ونافع وشبل بن معبد وقال زياد رأيت استا تنبو ونفسا يعلو ورجلين كأنهما اذنا حمار ولا أدري ماوراء ذلك فجلد عمر الثلاثة ولم يحد المغيرة قلت وقد تكلم الفقهاء على قول علي رضي الله عنه لعمر ان لم ترجمه فارجم صاحبك فقال أبو نصر ابن الصباغ المقدم ذكره وهو صاحب كتاب الشامل في المذهب يريد أن هذا القول ان كان شهادة أخرى فقد تم العدد وان كان هو الاول فقد جلدته عليه والله أعلم وذكر عمر بن شبة في اخبار البصرة ان العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال لعمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطعني البحرين فقال ومن يشهد لك بذلك قال المغيرة بن شعبة فأبى ان يجيز شهادته قلت وقد طالت هذه الترجمة وسببه انها اشتملت على عدة وقائع فدعت الحاجة الى الكلام على كل واحدة منها فانتشر القول لاجل ذلك وما خلا عن فوائد

أبو المكشوح يزيد بن سلمة بن سمرة بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة المعروف بابن الطثرية الشاعر المشهور

هكذا ساق نسبه أبو عمرو الشيباني وانما قيل لجده سلمة الخير لانه كان لقشير ولد آخر يقال له سلمة الشر قال وقد قيل انه يزيد بن المنتشر بن سلمة وذكر ابن الكلبي انه يزيد بن الصمة أحد بني سلمة الخير بن قشير وذكر البصريون انه من ولد الاعور بن قشير وذكره ابو الحسن علي بن عبد الله الطوسي في أول ديوان يزيد بن الطثرية المذكور وكان الطوسي قد اعتنى به وجمعه فقال كان ابن الطثرية شاعرا مطبوعا عاقلا فصيحا كامل الادب وافر المروءة لا يعاب ولا يطعن عليه وكان جوادا شجاعا له أصل ومحل في قومه من قشير وكان من شعراء بني أمية مقدما عندهم وقال غير الطوسي كان يزيد بن الطثرية يسمى مودقا سمي بذلك لحسن وجهه وحسن شعره وحلاوة حديثه فكانوا يقولون انه اذا جلس بين النساء ودقهن يقال استودقت المرأة وودقت اذا مالت الى الفحل لاجل الجماع والاصل في هذه اللفظة ان تكون لذوات الحوافر ثم نقلت الى بني آدم وهي بالدال المهملة والقاف والمودق هو الذي يجعل النساء يملن اليه وكان يزيد كثيرا ما يجلس عند النساء ويتحدث معهن ويقال انه كان عنينا لا يأتي النساء وليس له عقب وهو من اعيان الشعراء ذكره أبو تمام الطائي في كتاب الحماسة في عدة مواضع فمن ذلك قوله في باب النسيب

عقيلية اما ملاث ازارها * فدعص واما خصرها فبتيل
تقيظ اكناف الحمى ويظلها * بنعمان من وادي الاراك مقيل

اليس قليلا نظرة ان نظرتها * اليك وكل ليس منك قليل
فيا خلة النفس التي ليس دونها * لنا من اخلاء الصفاء خليل
ويا من كتمنا حبه لم نطع به * عدوا ولم يؤمن عليه دخيل
أما من مقام أشتكي غربة النوى * وخوف العدا فيك اليك سبيل
فديتك اعدائي كثير وشقتي * بعيد واشياعي لديك قليل
فلا تحملي ذنبي وأنت ضعيفة * تحمل دمي يوم الحساب ثقيل
وكنت اذا ما جئت جئت لعلة * فأفنيت علاتي فكيف أقول
فما كل يوم لي بأرضك حاجة * ولا كل يوم لي اليك رسول

وكان أبو الفرج الاصبهاني صاحب كتاب الاغاني قد جمع شعر يزيد بن الطثرية في ديوان وأورد له قوله

ألا بأبي من قد برى الجسم حبه * ومن هو موموق الى حبيب
ومن هو لا يزداد الا تشوقا * وليس يرى الا عليه رقيب
واني وان احوا على كلامها * وحالت أعاد دوننا وحروب
لمثن على ليلى ثناء يزينها * قواف بافواه الرجال تطيب
أليلى احذري نقض القوى لا يزل لنا * على النأى والهجران منك نصيب
وكوني على الواشين لداء شغبة * كما انا للواشي ألد شغوب
فان خفت أن لا تحكمي مرة الهوى * فردي فؤادي والمزار قريب

وأورد له أيضا

بنفسي من لو مر برد بنانه * على كبدي كانت شفاء انامله
ومن هابني في كل شيء وهبته * فلا هو يعطيني ولا أنا سائله

وأما ابو الحسن الطوسي فانه أورد له

واني لأستحيي من الله ان أرى * رديفا لوصل او على رديف
وان ارد الماء المطا حسبة * وأتبع وصلا منك وهو ضعيف

قلت ورأيت في موضع آخر بعد البيت الاول

واني للماء المخالط للقذى * وان كثرت وراده لعيوف

وأورد له الطوسي أيضا

ألا رب راج حاجة لا ينالها * وآخر قد تقضى له وهو جالس
يجول لها هذا وتقضى لغيره * وتاتي الذي تقضى له وهو آيس

وأورد له أيضا من جملة أبيات

برغمي اطيل الصد عنها اذا نأت * احاذر أسماعا عليها وأعينا
اتاني هواها قبل ان اعرف الهوى * فصادف قلبا خاليا فتمكنا

وأورده أيضا

وقولا اذا عدت ذنوبا كثيرة • علينا تجنبها اذ ذرى ما تعيبا
هبني امرأ اما بريئا ظلمته • واما مسيئا تاب بعد وأعتبا
فما بالك لاتقبل العذر وارتمي • بما كذب الواشين شأوا معززبا
تعزيت عنها بالسلو ولم اكن • الى من تعزى بالمودة اقربا
وكنت كذى داء تبغى لدائه • طبيبا فلما لم يجده تطببا

وأورده أبو عبد الله المرزباني فى كتاب معجم الشعراء وهى فى الحماسة أيضا وقد رويت
لابن الدمينة عبد الله بن الدمينة الخثعمي والله تعالى أعلم (الدمينة بوزن جهينة)

بنفسي وأهلى من اذا عرضوا له • ببعض الاذى لم يدر كيف يجيب
ولم يعتذر عذر البرىء ولم تزل • به رعدة حتى يقال مريب

وأورده المرزباني فى المعجم أيضا

حننت الى رياونفسك باعدت • مزارك من ريا وشعبا كما معا
فما حسن أن تأتى الامر طائعا • وتجزع ان داعى الصبابة اسمعا
قفا ودعا نجدا ومن حل بالحمى • وقولا لنجد عندنا ان نودعا
ولما رأيت البشر اعرض دوننا • وحالت بنات الشوق يحنن نزعا
وليست عشيات الحمى برواجع • عليك ولكن خل عينيك تدمعا
بكت عيني اليسرى فلما زجرتها • عن الجهل بعد الشيب اسبلتا معا
تلفت نحو الحى حتى وجدتنى • وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا
وأذكر ايام الحمى ثم أنثنى • على كبدى من خشية ان تقطعا

قلت وهى أبيات فى غاية الرقة واللطافة وذكرها أبو تمام الطائى فى كتاب الحماسة فى أول
باب النسيب وقال انها للصمة بن عبد الله القشيرى والله أعلم بالصواب فى ذلك وقال
أبو عمر يوسف بن عبد البر صاحب كتاب الاستيعاب فى اخبار الصحابة رضى الله عنهم
وقد تقدم ذكره فى كتاب بهجة المجالس مامثاله للصمة بن عبد الله القشيرى

اما وجلال الله لو تذكرينني • كذكريك ما كفكفت للعين أدمعا
فقالت بلى والله ذكرا لو انه • يصب على الصخر الاصم تصدعا

ثم قال بعد ذلك واكثرهم ينسبون اليه هذا الشعر

حننت الى ريا ونفسك باعدت • مزارك من ريا وشعباكما معا

وذكر الابيات بكمالها كما ذكرها فى الحماسة وبعد الفراغ منها قال ومنهم من ينسبها الى
قيس بن ذريح والى المجنون أيضا والاكثر أنها للصمة والله أعلم قلت فقد وقع
الاختلاف فى ان هذه الابيات العينية هل هى ليزيد بن الطثرية ام للصمة بن عبد الله
القشيرى أم لقيس بن ذريح أم للمجنون والله أعلم قلت وذكره المرزباني فى كتاب

الموثق فقال أنشدني أبو الجيش لابن الطثرية

وحنت قلوصي بعد هدء صبابة * فيا روعة ما راع قلبي حنينها
فقلت لها صبرا فكل قرينة * مفارقها لا بد يوما قرينها

وأورد له أيضا

كيف العزاء وانت او متى من منى * والنفس معولة ودارك نائيه
بيديك قتلي ان اردت منيتي * وشفاء نفسي ان اردت شفائيه
ولقد عرفت فما اويت لمدنف * ما النفس عنك وان نأيت بساليه

وأورد له أيضا

اذا نحن جئنا لم نجمل بزينة * حذار الاعادي وهي بادجمالها
ولا نبتديها بالسلام ولم نقل * لهم من توقي شرهم كيف حالها

وأورد له أشياء كثيرة غير هذا فلنقتصر على هذا القدر وقال أبو بكر أحمد بن يحيى بن جابر البلادري في كتاب انساب الاشراف بعد ما ذكر مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان الاموي الحكمي ووقائع جرت في سنة ست وعشرين ومائة فكان في اثناء ذلك وقعة قتل فيها المندلث بن ادريس الحنفي وقتل معه يزيد بن الطثرية المذكور على قرية يقال لها الفلج بفتح الفاء واللام وفي آخره الجيم واظنها من قرى اليمامة ثم وجدت في كتاب أبي بكر الحازمي الذي صنفه في اسماء المواضع ان فلج بفتح الفاء واللام وآخره جيم قرية عظيمة لبني جعدة بها منبر يقال له الفلج من ناحية اليمامة وقال غيره فلج بينها وبين هجر التي هي قصبة البحرين ستة ايام والله أعلم وذكر أبو اسحاق الزجاج في كتاب معاني القرآن الكريم في سورة الفرقان ان الرس قرية باليمامة يقال لها فلج فتكون هي هذه القرية على ما قال وأما الذي جاء في قول الشاعر

وان الذي حانت بفلج دماؤهم * هم القوم كل القوم يا أم خالد

فانه بفتح الفاء وسكون اللام وهو واد بين البصرة وحمى ضرية قرية بالقرب من مكة شرفها الله تعالى وأما فلجة الذي جاء في شعر العرب

الا حبذا اعلام فلجة بالضحى * وخيم روابي حلتها المناصب
يقولون ملح ماء فلجة اجن * اجل هو مملوح الى القلب طيب

فهذا الاسم يقع على موضعين أحدهما منزل بين مكة والبصرة والثاني موضع بالعقيق وكانت به الواقعة في السنة التي قتل فيها الوليد بن يزيد الاموي المذكور (رجعنا الى ما كنا فيه) وكان قتل الوليد في جمادى الآخرة يوم الخميس لليلتين بقيتا منها بالبخراء بفتح الباء الموحدة وسكون الخاء المعجمة وبعد الراء ألف ممدودة وهي من سنة ست وعشرين ومائة وذكر أبو الحسن الطوسي المذكور في هذه الواقعة ان الراية

كانت مع يزيد بن الطثرية فلما قتل المندلث وهرب أصحابه ثبت يزيد بن الطثرية بالراية
وكان عليه جبة حبر فنشبت في عشرة وهي بضم العين المهملة وفتح الشين وبعدها راء
مفتوحة ثم هاء وهي شجرة لها صمغ من شجر العضاه قال فعثر فقتر به بنو حنيفة حتى
قتلوه (قلت) وذكر هذه الواقعة بعد قتل الوليد في التاريخ المذكور فيكون قتل يزيد
ابن الطثرية بين تاريخ قتل الوليد بن يزيد وبين آخر سنة ست وعشرين ومائة والله أعلم
وذكر أبو الفرج الاصبهاني في اول الديوان الذي جمعه من شعر يزيد بن الطثرية ان
بني حنيفة قتلته في خلافة بني العباس والاول أصح ولما قتل يزيد بن الطثرية رثاه
القحيف بن عمير بن سليم الندى ابن عبد الله العقيلي بقوله

الا تبكي سراة بني قشير * على صنديدها وعلى فتاها

أبا المكشوح بعدك من يحامي * ومن يزجي المطي على وجاها

ورثى القحيف أيضا الوليد بن يزيد ورثاه أخوه ثور بن سلمة بقوله

أرى الاثل من بطن العقيق مجاوري * مقيما وقد غالت يزيد غوائله

وهي من الشعر المختار وذكر أبو تمام الطائي في الحماسة ان هذه الابيات لاخته زينب
بنت الطثرية وقيل انها لامه والله أعلم وذكر المدائني المذكور ان هذه الواقعة كانت
بالعقيق وقال ياقوت الحموي في كتاب المشترك وضعا والعقيق عشرة مواضع قال
الاصمعي ان الاعقة الاودية التي شقها السيول ثم عد المواضع فقال الثالث عقيق
عارض باليمامة وهو واد واسع مما يلي العرمة تتدفق فيه شعاب العارض وفيه
عيون وقرى ثم قال والعقيق من قرى اليمامة لبني عقيل وهو عقيق مرة في طريق اليمن
من اليمامة (قلت) فيحتمل ان يكون المراد بقوله بطن العقيق في هذا البيت العقيق
الاول ويحتمل العقيق الثاني والله أعلم وانما كني ابن الطثرية بابي المكشوح لانه كان
على كشحه كي نار والكشح بفتح الكاف وسكون الشين المعجمة وبعدها الحاء المهملة وهي
الخاصرة والطثرية بفتح الطاء المهملة وسكون الثاء المثلثة وبعدها راء ثم ياء النسب وهاء
التأنيث وهي أمه ينسب يزيد المذكور اليها وهي من بني طثر بن عنز بن وائل والطثرة الخصب
وكثرة اللبن يقال ان أمه كانت مولعة باخراج زبد اللبن ويقال ان أمه ولدت في عام هذا
وصفه وقيل بل ولدته في عام هذا شانه فسميت الطثرية وطثرة اللبن زبدته والله أعلم
(قلت) وهذا الكلام في النفس منه شيء فانهم قالوا ان أمه من بني طثر بن عنز بن وائل
فعلى هذا تكون أمه منسوبة الى هذه القبيلة فلا معنى حينئذ لقولهم ان أمه ولدت
في عام هذا وصفه او ولدته في عام هذا شانه أو كانت أمه تخرج الزبد من اللبن فتامله
الا ان يكون عندهم فيه خلاف هل هو منسوب الى القبيلة أم الى هذا المعنى الثاني
والله أعلم بالصواب في ذلك ويروى لزينب بنت الطثرية أخت يزيد المذكور شيء كثير
من الشعر فمن ذلك قولها في المديح

اشم اذا ماجئت للعرف طالبا * حباك بما تحنو عليه انامله
ولو لم يكن فى كفه غير نفسه * لجاد بها فليتق الله سائله

وينسب هذان البيتان الى زياد الاعجم أيضا والبيت الثانى منهما يوجد فى ديوان أبى تمام الطائى أيضا فى قصيدته التى أولها

اجمل ايها الربع الذى خف أهله * فقد أدركت فيك النوى ما تحاوله

والله أعلم بالصواب

أبو يوسف يعقوب بن أبى سلمة دينار وقيل ميمون الملقب بالماجشون القرشى التيمى من موالى آل المنكدر من أهل المدينة سمع ابن عمر رضى الله عنهما وعمر بن عبد العزيز ومحمد بن المنكدر وعبد الرحمن بن هرمز الاعرج وروى عنه ابناه يوسف وعبد العزيز وابن أخيه عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة وقال يعقوب بن شيبة الماجشون يعقوب ابن أبى سلمة مولى الهدير وكان يعقوب مع عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فى ولاية عمر المدينة يحدثه ويانس به فلما استخلف عمر رضى الله عنه قدم عليه الماجشون فقال له عمر انا تركناك حيث تركنا لبس الخز فانصرف عنه وذكره محمد بن سعد فى كتاب الطبقات وقال يعقوب بن شيبة قال مصعب وكان الماجشون يعين ربيعة الرأى على ابى الزناد لان ابا الزناد كان معاديا لربيعة الراى فكان أبو الزناد يقول مثلى ومثل الماجشون مثل ذئب كان يلج على أهل قرية فيأكل صبيانهم فاجتمعوا له وخرجوا فى طلبه فهرب منهم فانقطعوا عنه الاصاحب فخار فانه ألح فى طلبه فوقف له الذئب فقال هؤلاء أعذرهم فأنت مالى ومالك والله ما كسرت لك فخارة قط والماجشون ما كسرت له كبرا ولا بربطا قط وقال ابن الماجشون عرج بروح الماجشون فوضعناه على سرير الغسل وقلنا للناس نروح به فدخل غاسل اليه يغسله فرأى عرقا يتحرك فى أسفل قدمه فاقبل علينا وقال أرى عرقا يتحرك ولا أرى ان اعجل عليه فاعتللنا على الناس بالامر الذى رأيناه وفى الغد جاء الناس وغدا الغاسل عليه فرأى العرق على حاله فاعتذرنا الى الناس فمكث ثلاثا على حاله ثم انه استوى جالسا فقال ائتونى بسويق فاتى به فشربه فقلنا له خبرنا مارأيت قال نعم عرج بروحى فصعد بى الملك حتى أتى سماء الدنيا فاستفتح ففتح له ثم هكذا فى السموات حتى انتهى الى السماء السابعة فقيل له من معك قال الماجشون فقيل له لم يؤذن له بعد بقى من عمره كذا كذا سنة وكذا كذا شهرا وكذا كذا يوما وكذا كذا ساعة ثم هبط بى فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر عن يمينه وعمر عن يساره وعمر بن عبد العزيز بين يديه فقلت للملك الذى معى من هذا قال هذا عمر بن عبد العزيز قلت انه لقريب المقعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انه عمل بالحق فى زمن الجور وانهما عملا بالحق زمن الحق ذكر ذلك يعقوب بن شيبة فى ترجمة الماجشون وذكر أبو الحسن محمد بن أحمد بن القواس الوراق ان يعقوب الماجشون مات سنة أربع وستين ومائة

رحمه الله تعالى هكذا نقلته كله من تاريخ الحافظ أبي القاسم المعروف بابن عساكر الذى جعله تاريخا لدمشق وذكر ابن قتيبة فى كتاب المعارف فى ترجمة محمد بن المكدر ان الماجشون من مواليه واسمه يعقوب وكان فقيها ثم قال بعد ذلك وكان للماجشون أخ يقال له عبد الله بن أبى سلمة وابنه عبد العزيز بن عبد الله يكنى أبا عبد الله توفى ببغداد وصلى عليه المهدى ودفنه فى مقابر قريش وذلك فى سنة أربع وستين ومائة قلت وقد تقدم فى هذا الكتاب ترجمة ولده عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله وذكرت ما قاله العلماء فى معنى الماجشون فاغنى عن الاعادة هنا والله أعلم (قوله ما كسرت له كبرا ولا بربطا) الكبر بفتح الكاف والباء الموحدة وبعدها راء وهو طبل ذو وجه واحد والبربط بفتح الباءين الموحدتين بينهما راء ساكنة وفى آخره طاء مهملة وهو نوع من العود الذى للغناء وأصله بروهو الصدر بالفارسى وبط وهو الطائر المعروف فلما كان هذا الملهى يشبه صدر البط سمى به واسمه بالعربى العود والمزهر أيضا بكسر الميم وسكون الزاى وفتح الهاء وبعدها راء وبالعجمى البربط كما ذكرناه والله أعلم

القاضى أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن خنيس بن سعد بن حبتة الانصارى وسعد بن حبتة أحد الصحابة رضى الله عنهم وهو مشهور فى الانصار بامه وهى حبتة بنت مالك من بنى عمرو بن عوف وأما أبو سعد بن حبتة فهو عوف بن بجير بن معاوية ابن سلمى بن بجيلة حليف بنى عمرو بن عوف الانصارى هكذا ساق نسب سعد بن حبتة فى الاستيعاب وأما الخطيب أبو بكر البغدادى فانه قال فى تاريخه هو سعد بن بجير بن معاوية بن قحافة بن بليل بن سدوس بن عبد مناف بن أبى سامة بن سخمة بن سعد بن عبد الله بن قداد بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث بن بجيلة كان القاضى أبو يوسف المذكور من أهل الكوفة وهو صاحب أبى حنيفة رضى الله عنه وكان فقيها عالما حافظا سمع أبا اسحاق الشيبانى وسليمان التيمى ويحيى بن سعيد الانصارى والاعمش وهشام بن عروة وعطاء بن السائب ومحمد بن اسحاق بن يسار وتلك الطبقة وجالس محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ثم جالس أبا حنيفة رضى الله تعالى عنه النعمان بن ثابت وكان الغالب عليه مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه وخالفه فى مواضع كثيرة وروى عنه محمد ابن الحسن الشيبانى الحنفى وبشر بن الوليد الكندى وعلى بن الجعد واحمد بن حنبل ويحيى بن معين فى آخرين وكان قد سكن بغداد وتولى القضاء بها لثلاثة من الخلفاء المهدى وابنه الهادى ثم هارون الرشيد وكان الرشيد يكرمه ويجله وكان عنده حظيا مكينا وهو أول من دعى بقاضى القضاة ويقال انه أول من غير لباس العلماء الى هذه الهيئة التى هم عليها فى هذا الزمان وكان ملبوس الناس قبل ذلك شيأ واحدا لا يتميز أحد عن أحد بلباسه ولم يختلف يحيى بن معين واحمد بن حنبل وعلى بن المدينى فى ثقته فى النقل وذكر أبو عمر بن عبد البر صاحب كتاب الاستيعاب فى كتابه الذى سماه كتاب الانتهاء

في فضائل الثلاثة الفقهاء ان أبا يوسف المذكور كان حافظا وانه كان يحضر المحدث ويحفظ خمسين ستين حديثا ثم يقوم فيمليها على الناس وكان كثير الحديث وقال محمد بن جرير الطبري وتحامى حديثه قوم من أهل الحديث من اجل غلبة الرأى عليه وتفريعه الفروع والاحكام مع صحبة السلطان وتقلده القضاء (وحكى) أبو بكر الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ان أبا يوسف قال كنت اطلب الحديث والفقه وانا مقل رث الحال فجاءنى ابى يوما وانا عند أبى حنيفة فانصرفت معه فقال يا بنى لا تمد رجلك مع أبى حنيفة فان أبا حنيفة خبزه مشوى وأنت تحتاج الى المعاش فقصرت عن كثير من الطلب وآثرت طاعة أبى فتفقدنى أبو حنيفة رضى الله عنه وسأل عنى فجعلت اتعاهد مجلسه فلما كان أول يوم اتيته بعد تاخرى عنه قال لى ماشغلك عنا قلت الشغل بالمعاش وطاعة والدى فجلست فلما انصرف الناس دفع الى صرة وقال استمتع بها فنظرت فاذا فيها مائة درهم وقال لى الزم الحلقة واذا فرغت هذه فاعلمنى فلزمت الحلقة فلما مضت مدة يسيرة دفع الى مائة أخرى ثم كان يتعهدنى وما اعلمته بخلة قط ولا اخبرته بنفاد شئ وكأنه كان يخبر بنفادها حتى استغنيت وتمولت ثم قال الخطيب (وحكى) ان والد أبى يوسف مات وخلف أبا يوسف طفلا صغيرا وان أمه هى التى انكرت عليه حضور حلقة أبى حنيفة ثم روى الخطيب أيضا بسند متصل الى على بن الجعد قال أخبرنى أبو يوسف القاضى قال توفى أبى وخلفنى صغيرا فى حجر أمى فاسلمتنى الى قصار أخدمه فكنت ادع القصار وأمر الى حلقة أبى حنيفة رضى الله عنه فاجلس اسمع فكانت أمى تجئ خلفى الى الحلقة فتأخذ بيدى فتذهب بى الى القصار وكان أبو حنيفة رضى الله عنه يعنى بى لما يرى من حضورى وحرصى على التعلم فلما كثر ذلك على أمى وطال عليها هربى قالت لابى حنيفة ما لهذا الصبى فساد غيرك هذا صبى يتيم لا شئ له وانما اطعمه من مغزلى وآمل ان يكسب دانقا يعود به على نفسه فقال لها أبو حنيفة مرى يارعناء هاهو ذا يتعلم اكل الفالوذج بدهن الفستق فانصرفت عنه وقالت له أنت شيخ قد خرفت وذهب عقلك ثم لزمته فنفعنى الله تعالى بالعلم ورفعنى حتى تقلدت القضاء وكنت اجالس الرشيد وآكل معه على مائدته فلما كان فى بعض الايام قدم الى هارون الرشيد فالوذجة فقال لى يا يعقوب كل منها فليس فى كل يوم يعمل لنا مثلها فقلت وما هذا يا أمير المؤمنين فقال هذه فالوذجة بدهن الفستق فضحكت فقال لى مم ضحكك فقلت خيرا ابقى الله أمير المؤمنين قال لتخبرنى وألح على فاخبرته بالقصة من أولها الى آخرها فتعجب من ذلك وقال لعمرى ان العلم لينفع دنيا ودينا وترحم على أبى حنيفة وقال كان ينظر بعين عقله ما لا ينظره بعين رأسه (وحكى) على بن المحسن التنوخى عن أبيه عن جده قال كان سبب اتصال أبى يوسف بالرشيد أنه كان قدم بغداد بعد موت أبى حنيفة رضى الله عنه فحنث بعض القواد فى يمين فطلب فقيها يستفتيه فجىء له بابى يوسف فافتاه انه لم يحنث فوهب له

دنانير وأخذ له دارا بالقرب منه ودخل ذلك القائد يوما على الرشيد فوجده مغموما فسأله عن سبب غمه فقال شئ من أمر الدين قد حزنني فاطلب لي فقيها كي أستفتيه فجاء بأبي يوسف قال أبو يوسف فلما دخلت الى ممر بين الدور رأيت فتى حسنا عليه أثر الملك وهو في حجرة محبوس فأومى الي باصبعه مستغيثا فلم افهم منه ارادته وأدخلت الى الرشيد فلما مثلت بين يديه سلمت ووقفت فقال لي ما اسمك فقلت يعقوب اصلح الله أمير المؤمنين قال ما تقول في امام شاهد رجلا يزني هل يحده قلت لا فحين قلتها سجد الرشيد فوقع لي انه قد رأى بعض أهله على ذلك وان الذي أشار الي بالاستغاثة هو الزاني ثم قال الرشيد من أين قلت هذا قلت لان النبي صلى الله عليه وسلم قال ادرءوا الحدود بالشبهات وهذه شبهة يسقط الحد معها قال وأي شبهة مع المعاينة قلت ليس توجب المعاينة لذلك أكثر من العلم بما جرى والحدود لا تكون بالعلم وليس لاحد اخذ حقه بعلمه فسجد مرة أخرى وأمر لي بمال جزيل وأن ألزم الدار فما خرجت حتى جاءتني هدية الفتى وهدية أمه وجماعته وصار ذلك أصلا للنعمة ولزمت الدار فكان هذا الخادم يستفتيني وهذا يشاورني ولم يزل حالي يقوى عند الرشيد حتى قلدني القضاء قلت وهذا يخالف ما نقلته قبل هذا من أنه ولي القضاء للثلاثة من الخلفاء والله أعلم بالصواب وقال طلحة بن محمد بن جعفر أبو يوسف مشهور الامر ظاهر الفضل وهو صاحب أبي حنيفة وأفقه أهل عصره ولم يتقدمه أحد في زمانه وكان النهاية في العلم والحكم والرياسة والقدر وهو أول من وضع الكتب في أصول الفقه على مذهب أبي حنيفة وأملى المسائل ونشرها وبث علم أبي حنيفة في اقطار الارض قال عمار بن أبي مالك ما كان في أصحاب أبي حنيفة مثل أبي يوسف لولا أبو يوسف ما ذكر أبو حنيفة ولا محمد بن أبي ليلى ولكنه هو الذي نشر قولهما وبث علمهما وقال محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة مرض أبو يوسف في زمن أبي حنيفة مرضا خيف عليه منه فعاده أبو حنيفة ونحن معه فلما خرج من عنده وضع يده على عتبة بابه وقال ان يمت هذا الفتى فانه اعلم من عليها وأومى الى الارض وقال أبو يوسف سألني الاعمش عن مسئلة فاجبته عنها فقال لي من أين لك هذا فقلت من حديثك الذي حدثتناه أنت ثم ذكرت له الحديث فقال لي يا يعقوب اني لاحفظ هذا الحديث قبل ان يجتمع ابواك وما عرفت تاويله حتى الآن وقال هلال بن يحيى كان أبو يوسف يحفظ التفسير والمغازي وايام العرب وكان اقل علومه الفقه ولم يكن في أصحاب أبي حنيفة مثل أبي يوسف وذكر أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني في كتاب الجليس والانيس عن الشافعي رضي الله عنه انه قال مضى أبو يوسف ليستمع المغازي من محمد بن اسحاق أو من غيره وأخل بمجلس أبي حنيفة اياما فلما أتاه قال له أبو حنيفة يا أبا يوسف من كان صاحب راية جالوت فقال له أبو يوسف انك امام وان لم تمسك عن هذا سالتك والله على رؤس الملا أيما كان اولا وقعة بدر أو أحد فانك لا تدري أيهما كان قبل الآخر

فامسك عنه وذكر في الكتاب المذكور أيضا عن علي بن الجعد أن القاضي ابا يوسف كتب يوما كتابا وعن يمينه انسان يلاحظ مايكتبه ففطن له أبو يوسف فلما فرغ من الكتابة التفت اليه وقال له هل وقفت على شئ من خطأ فقال لا والله ولا حرف واحد فقال له أبو يوسف جزيت خيرا حيث كفيتنا مؤنة قراءته ثم أنشد

كأنه من سوء تاديبه * اسلم في كتاب سوء الادب

وقال حماد بن أبي حنيفة رأيت أبا حنيفة يوما وعن يمينه أبو يوسف وعن يساره زفر وهما يتجادلان في مسئلة فلا يقول أبو يوسف قولا الا افسده زفر ولا يقول زفر قولا الا أفسده أبو يوسف الى وقت الظهر فلما أذن المؤذن رفع أبو حنيفة يده فضرب بها فخذ زفر وقال لا تطمع في رياسة ببلدة فيها أبو يوسف وقضى لابي يوسف على زفر ولم يكن بعد أبي يوسف في أصحاب أبي حنيفة مثل زفر وقال طاهر بن أحمد الزبيري كان يجلس الى أبي يوسف رجل فيطيل الصمت فقال له أبو يوسف ألا تتكلم فقال بلى متى يفطر الصائم فقال اذا غابت الشمس فقال فان لم تغب الى نصف الليل فضحك أبو يوسف وقال اصبت في صمتك واخطأت انا في استدعاء نطقك ثم تمثل

عجبت لازراء الغبي بنفسه * وصمت الذي قد كان بالقول اعلما
وفي الصمت ستر للغبي وانما * صحيفة لب المرء ان يتكلما

ومن كلام أبي يوسف صحبة من لا يخشى العار عار يوم القيامة وكان يقول رؤس النعم ثلاثة أولها نعمة الاسلام التي لا تتم نعمة الا بها والثانية نعمة العافية التي لا تطيب الحياة الا بها والثالثة نعمة الغنى التي لا يتم العيش الا بها وقال علي بن الجعد سمعت أبا يوسف يقول العلم شئ لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك وأنت اذا أعطيته كلك من اعطائه البعض على غرر وكان أبو يوسف راكبا وغلامه يعدو وراءه فقال له رجل أتستحل أن يعدو غلامك وراءك لم لا تركبه فقال له ايجوز عندك ان اسلم غلامي مكاريا قال نعم قال أبو يوسف فيعدو معي كما كان يعدو لو كان مكاريا وقال يحيى بن عبد الصمد خوصم أمير المؤمنين الهادي الى القاضي أبي يوسف في بستان وكان الحكم في الظاهر للهادي وفي الباطن خلاف ذلك فقال الهادي للقاضي أبي يوسف ما صنعت في الامر الذي تتنازع اليك فيه فقال خصم أمير المؤمنين يسألني ان احلف أمير المؤمنين ان شهوده شهدوا على حق فقال له الهادي وترى ذلك قال فقد كان ابن أبي ليلى يراه فقال اردد البستان عليه وانما احتال عليه أبو يوسف لعلمه ان الهادي لا يحلف وقال بشر بن الوليد الكندي قال لي القاضي أبو يوسف بينما انا البارحة قد أويت الى فراشي فاذا داق يدق الباب دقا شديدا فاخذت علي ازاري وخرجت فاذا هرثمة بن الاعين فسلمت عليه فقال اجب أمير المؤمنين فقلت يا أبا حاتم لي بك حرمة وهذا وقت كما ترى ولست آمن أن يكون أمير المؤمنين قد دعاني لامر من الامور فان امكنك ان تدفع عني ذلك الى غد فلعله ان

يحدث له رأي فقال مالي الى ذلك سبيل قلت كيف كان السبب قال خرج الي مسرور
الخادم فامرني ان آتي باب أمير المؤمنين فقلت أتأذن لي ان اصب علي ماء واتحنط فان
كان أمر من الامور كنت قد أحكمت شاني وان رزق الله العافية فلن يضرني فاذن لي
فدخلت فلبست ثيابا جددا وتطيبت بما امكن من الطيب ثم خرجنا فمضينا حتى أتينا
دار أمير المؤمنين هارون الرشيد فاذا مسرور واقف فقال له هرثمة قد جئت به فقلت
لمسرور يا أبا هاشم خدمتي وحرمتي وميلي وهذا وقت ضيق أفتدري لم طلبني
أمير المؤمنين قال لا فقلت فمن عنده قال عيسى بن جعفر قلت ومن قال ما عنده ما ثالث
ثم قال لي مر فاذا صرت في الصحن فانه في الرواق وهو ذاك جالس فحرك رجلك في الارض
فانه سيسالك فقل أنا قال أبو يوسف فجئت ففعلت ذلك فقال من هذا فقلت يعقوب فقال
ادخل فدخلت فاذا هو جالس وعن يمينه عيسى بن جعفر فسلمت فرد السلام علي وقال
اظننا روعناك فقلت اي والله وكذلك من خلفي فقال اجلس فجلست حتى سكن روعي
ثم التفت الي وقال يا يعقوب أتدري لم دعوتك قلت لا قال دعوتك لاشهدك على
هذا ان عنده جارية سألته أن يهبها لي فامتنع وسألته ان يبيعها فابى والله لئن لم يفعل
لاقتلنه قال أبو يوسف فالتفت الى عيسى فقلت وما بلغ الله بجارية تمنعها أمير المؤمنين
وتنزل نفسك في هذه المنزلة فقال لي عجلت علي في القول قبل ان تعرف ما عندي
قلت ومافي هذا من الجواب قال ان علي يمينا بالطلاق والعتاق وصدقة ما املك أن لا
أبيع هذه الجارية ولا أهبها فالتفت الي الرشيد فقال هل له في ذلك من مخرج قلت
نعم قال وما هو قلت يهب لك نصفها ويبيعك نصفها فيكون لم يهب ولم يبع فقال عيسى
ويجوز ذلك قلت نعم قال فأشهدك اني قد وهبت له نصفها وبعته نصفها الباقي بمائة
ألف دينار فقال له الرشيد قبلت الهبة واشتريت نصفها بمائة ألف دينار ثم طلب منه
الجارية فاتي بالجارية والمال فقال خذها يا أمير المؤمنين بارك الله لك فيها فقال
الرشيد يا يعقوب بقيت واحدة فقلت وما هي فقال هي مملوكة ولا بد ان تستبرأ ووالله
ان لم أبت معها الليلة هذه اني لاظن ان نفسي ستخرج فقلت يا أمير المؤمنين تعتقها
وتتزوجها فان الحرة لا تستبرأ قال فاني قد اعتقتها فمن يزوجنيها فقلت أنا فدعا بمسرور
وحسين فخطبت وحمدت الله تعالى ثم زوجته اياها على عشرين ألف دينار ودعا بالمال
فدفعه اليها ثم قال لي يا يعقوب انصرف ورفع رأسه الى مسرور وقال يا مسرور فقال
لبيك قال احمل الى يعقوب مائتي ألف درهم وعشرين تختا ثيابا فحمل معي ذلك قال بشر
ابن الوليد فالتفت الي أبو يوسف وقال هل رأيت بأسا فيما فعلت فقلت لا قال خذ حقك
من هذا المال قلت وما حقي قال العشر قال بشر فشكرته ودعوت له وذهبت لاقوم فاذا
بعجوز قد دخلت فقالت يا أبا يوسف ان ابنتك تقرئك السلام وتقول لك والله ما وصل
الي في ليلتي هذه من أمير المؤمنين الا المهر الذي قد عرفته وقد حملت اليك النصف منه
وخلفت الباقي لما أحتاج اليه فقال رديه فوالله لا قبلته اخرجتها من الرق وزوجتها

أمير المؤمنين وترضى لي بهذا قال بشر فلم نزل نطلب اليه انا وعمومتي حتى قبلها وأمر لي
منها بألف دينار وقال أبو عبد الله اليوسفي ان أم جعفر زبيدة ابنة جعفر زوجة الرشيد
كتبت الى أبي يوسف ماترى في كذا وأحب الاشياء الي أن يكون الحق فيه كذا فأفتاها
بما احبت فبعثت اليه بحق فضة فيه حقاق فضة مطبقات في كل واحد لون من الطيب
وفي جام دراهم وسطها جام فيه دنانير فقال له جليس له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اهديت له هدية فجلساؤه شركاؤه فيها فقال أبو يوسف ذاك حين كانت الهدايا
اللبن والتمر وقال يحيى بن معين كنت عند أبي يوسف القاضي وعنده جماعة من أصحاب
الحديث وغيرهم فوافته هدية أم جعفر احتوت على تخوت دبيقي ومصمت وشرب
وطيب وتماثيل ند وغير ذلك فذاكرني رجل بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من
أتته هدية وعنده قوم جلوس فهم شركاؤه فيها فسمعه أبو يوسف فقال أبي تعرض
ذلك انما قاله النبي صلى الله عليه وسلم والهدايا يومئذ الاقط والتمر والزبيب ولم تكن الهدايا
ما ترون ياغلام أشل الى الخزائن ونقلت من كتاب اسمه اللفيف ولم يذكر فيه من هو مصنفه
قال كان عبد الرحمن بن مسهر اخو علي بن مسهر قاضيا على المبارك (قلت) المبارك بضم
الميم وبعدها باء موحدة وبعد الالف راء مفتوحة وبعدها كاف وهي بلدة بين بغداد
وواسط على شاطئ دجلة قال فبلغ القاضي خروج الرشيد الى البصرة ومعه أبو يوسف
القاضي في الحراقة فقال عبد الرحمن القاضي لاهل المبارك أثنوا علي عند
أمير المؤمنين وعند القاضي أبي يوسف فأبوا عليه ذلك فلبس ثيابه وقلنسوة طويلة
وطيلسانا اسود وجاء الى الشريعة فلما اقبلت الحراقة رفع صوته وقال يا أمير المؤمنين نعم
القاضي قاضينا قاضي صدق ثم مضى الى شريعة أخرى وقال مثل مقالته الاولى فالتفت
هارون الرشيد الى أبي يوسف وقال يايعقوب هذا شر قاض في الارض قاض في موضع
لا يثني عليه الارجل واحد فقال له أبو يوسف واعجب من هذا يا أمير المؤمنين هو القاضي
يثني على نفسه قال فضحك هارون وقال هذا أظرف الناس هذا لايعزل ابدا وكان
الرشيد اذا ذكره يقول هذا لايعزل أبدا وقيل لابي يوسف أتولى مثل هذا القضاء فقال
انه أقام ببابي مدة وشكى الي الحاجة فوليته وقال أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف
بثعلب صاحب كتاب الفصيح أخبرني بعض أصحابنا ان الرشيد قال لابي يوسف بلغني أنك
تقول ان هؤلاء الذين يشهدون عندك وتقبل أقوالهم متصنعة فقال نعم يا أمير المؤمنين
قال وكيف ذاك قال لان من صح ستره وخلصت امانته لم يعرفنا ولم نعرفه ومن ظهر
أمره وانكشف خبره لم يأتنا ولم نقبله وبقيت هذه الطبقة وهم هؤلاء المتصنعة الذين
اظهروا الستر وأبطنوا غيره فتبسم الرشيد وقال صدقت وقال محمد بن سماعة سمعت
أبا يوسف في اليوم الذي مات فيه يقول اللهم انك تعلم اني لم اجر في حكم حكمت فيه
بين اثنين من عبادك تعمدا ولقد اجتهدت في الحكم بما وافق كتابك وسنة نبيك صلى الله



عليه وسلم وكل ما اشكل على جعلت أبا حنيفة بيني وبينك وكان عندي والله ممن يعرف أمرك ولا يخرج عن الحق وهو يعلمه (قلت) وهذا الكلام مأخوذ من قول أبي محمد عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد روى يمسح على خفيه فقيل له اتجوز المسح قال نعم قد مسح عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن جعل عمر بينه وبين الله فقد استوثق ذكر هذا ابن قتيبة في ترجمة علي رضي الله عنه واخبار أبي يوسف كثيرة وأكثر الناس من العلماء على تفضيله وتعظيمه وقد نقل الخطيب البغدادي في تاريخه الكبير الفاظا عن عبد الله بن المبارك ووكيع بن الجراح ويزيد ابن هارون ومحمد بن اسماعيل البخاري وأبي الحسن الدارقطني وغيرهم ينبو السمع عنها فتركت ذكرها والله أعلم بحاله وكانت ولادة القاضي أبي يوسف سنة ثلاث عشرة ومائة وتوفي يوم الخميس أول وقت الظهر لخمس خلون من شهر ربيع الاول سنة اثنتين وثمانين ومائة ببغداد وقيل توفي سنة اثنتين وتسعين ومائة والاول أصح وولي القضاء سنة ست وستين ومائة ومات وهو على القضاء رحمه الله تعالى وأما ولده يوسف فانه كان قد نظر في الرأي وفقه وسمع الحديث من يونس بن أبي اسحاق السبيعي والسري بن يحيى وغيرهما وولي القضاء بالجانب الغربي من بغداد في حياة أبيه وصلى بالناس الجمعة في مدينة المنصور بأمر هارون الرشيد ولم يزل على القضاء الى ان مات في رجب سنة اثنتين وتسعين ومائة ببغداد وذكر الخطيب البغدادي ان أبا يوسف القاضي لما مات ولى الرشيد مكانه ابا البختري وهب بن وهب القرشي قلت وقد تقدم ذكره في حرف الواو وكان أبو يعقوب الخريمي الشاعر المشهور صديقا لابي يوسف ولابنه يوسف فلما توفي أبو يوسف سمع الخريمي رجلا يقول اليوم مات الفقه فأنشد الخريمي .

يا ناعي الفقه الى أهله * ان مات يعقوب ولا تدري
لم يمت الفقه ولكنه * حول من صدر الى صدر
القاه يعقوب الى يوسف * فزال من صلب الى ظهر
فهو مقيم فاذا ما نوى * وحل حل الفقه في قبر

رحمهما الله تعالى وخنيس بضم الخاء المعجمة تصغير اخنس وهو الذي تأخر أنفه عن وجهه مع ارتفاع قليل في الارنبة فالرجل اخنس والمرأة خنساء وهذا التصغير يسمى تصغير ترخيم وحقيقته ان تحذف منه الحروف الزوائد ويصغر الباقي كما قالوا أزهر وزهير واسود وسويد وأحمد وحميد وغير ذلك وحبتة بفتح الحاء المهملة وسكون الباء الموحدة وبعدها تاء مثناة من فوقها ثم هاء ساكنة وكشفت عن معنى هذا الاسم في عدة مواضع من كتب اللغة وغيرها فلم أجده وبحير بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة وقيل هو بضم الباء وبالجيم المفتوحة والاول أصح والباقي معروف لا حاجة الى ضبطه وسعد ابن حبتة من جملة من استصغر يوم أحد هو والبراء بن عازب وأبو سعيد الخدري رضي

الله عنهم فردهم النبي صلى الله عليه وسلم ورآه النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وهو
يقاتل قتالا شديدا مع حداثة سنه فدعاه وقال له من أنت فقال سعد بن حبتة فقال
أسعد الله جدك ومسح على رأسه رضي الله عنه وخنيس هو صاحب جهارسوج
خنيس بالكوفة وهو لفظ عجمي تفسيره بالعربي اربع طرق لان هذا المكان رحبة
مربعة تفترق الى اربع جهات والله تعالى أعلم

أبو محمد يعقوب بن اسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي بالولاء
البصري المقرى المشهور

وهو أحد القراء العشرة وهو المقرى الثامن وله في القرآت رواية مشهورة منقولة عنه
وهو من أهل بيت العلم بالقرآت والعربية وكلام العرب والرواية الكثيرة للحروف
والفقه وكان من أقرأ القراء وأخذ عنه عامة حروف القران مسندا وغير مسند من قراءة
الحرميين والعراقيين وأهل الشام وغيرهم وأخذ هو القراءة عرضا عن سلام بن سليمان
الطويل ومهدى بن ميمون وأبي الاشهب العطاردي وغيرهم وروى عن حمزة حروفا
وسمع الحروف من أبي الحسن الكسائي وسمع من جده زيد بن عبد الله وشعبة وأما
اسناده في القراءة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قرأ على سلام المذكور وقرأ
سلام على عاصم بن أبي النجود وقرأ عاصم على أبي عبد الرحمن السلمى وقرأ
أبو عبد الرحمن على على بن أبي طالب رضي الله عنه وقرأ على على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وروى القراءة عن يعقوب المذكور عرضا جماعة منهم روح بن عبد المؤمن
ومحمد بن المتوكل وأبو حاتم السجستاني وغيرهم وسمع منه الزعفراني واقتدى به
في اختياره عامة البصريين بعد أبي عمرو بن العلاء فهم او اكثرهم على مذهبه وكان طاهر
ابن عبد المؤمن بن غلبون امام الجامع بالبصرة لا يقرأ الا بقراءة يعقوب وقال أبو الحسين
ابن المنادى قرأ يعقوب على أبي عمرو وغلط في ذلك وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم
سئل أحمد بن حنبل رضي الله عنه عن يعقوب الحضرمي فقال صدوق وسئل أبو حاتم
الرازى عنه فقال صدوق وقال أبو حاتم السجستاني كان يعقوب الحضرمي أعلم
من ادركنا ورأينا بالحروف والاختلاف في القرآن الكريم وتعلله ومذاهب
النحويين في القرآن الكريم وله كتاب سماه الجامع جمع فيه عامة اختلاف وجوه
القرآت ونسب كل حرف الى من قرأ به وبالجملة فانه كان امام اهل البصرة في عصره
في القرآت وكان يأخذ أصحابه بعد دآى القرآن العزيز فان اخطأ أحدهم في العدد اقامه
وتوفى يعقوب المذكور في ذى الحجة وقيل في جمادى الاولى سنة خمس ومائتين وهو
الاصح وعاش هو وأبوه اسحاق وجده زيد كل واحد منهما ثمانيا وثمانين سنة رحمهم الله
أجمعين وأما جد أبيه عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي فانه كان من الائمة الاعلام المشار
اليهم في علومهم قال أبو عبيدة معمر بن المثنى أول من وضع العربية أبو الاسود الدؤلي ثم

ميمون الاقرن ثم عنبسة الفيل ثم عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي وقد جاء في رواية أخرى ان عنبسة قبل ميمون والله أعلم بالصواب وكان في زمان عبد الله بن أبي اسحاق عيسى بن عمر الثقفي وأبو عمرو بن العلاء ومات عبد الله قبلهما وذكر أبو عبد الله المرزباني في كتاب المقتبس في أخبار النحويين ان المبرد قال أجمعت العلماء باللغة أن اول من وضع العربية أبو الاسود الدؤلي وانه لقن ذلك عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم أخذ النحو عن أبي الاسود عنبسة بن معدان المهري وأخذه عنه ميمون الاقرن وأخذه عنه عبد الله الحضرمي وأخذه عنه عيسى بن عمر وأخذه عنه الخليل بن أحمد وأخذه عنه سيبويه وأخذه عنه الاخفش وكان بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قد جمع بين عبد الله وأبي عمرو بن العلاء وبلال يومئذ متولي البصرة قال أبو عمرو فغلبني أبو اسحاق بالهمز فنظرت فيه بعد ذلك وبالغت فيه وكان عبد الله كثيرا ما يأخذ عن الفرزدق الغلط في شعره فقال الفرزدق والله لاهجونه بيت يسير بين أهل الادب ويتناولونه فعمل

فلو كان عبد الله مولى هجوته • ولكن عبد الله مولى مواليا

وانما قال الفرزدق ذلك لان عبد الله مولى الحضرميين وهما حلفاء بني عبد شمس بن عبد مناف والحليف عند العرب مولى ولهم على ذلك شواهد ولولا خوف الاطالة لذكرت طرفا من ذلك لكن ليس هذا موضع ذكره

أبو عوانة يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم بن زيد النيسابوري

ثم الاسفرايني الحافظ صاحب المسند الصحيح المخرج على كتاب مسلم بن الحجاج كان أبو عوانة أحد الحفاظ الجوالين والمحدثين المكثرين طاف الشام ومصر والبصرة والكوفة وواسط والحجاز والجزيرة واليمن واصبهان والري وفارس قال الحافظ أبو القاسم المعروف بابن عساكر في تاريخ دمشق سمع أبو عوانة بدمشق يزيد بن محمد بن عبد الصمد واسماعيل بن محمد بن قيراط وشعيب بن شعيب بن اسحاق وغيرهم وبمصر يونس بن عبد الاعلى وابن أخي وهب والمزني والربيع ومحمدا وسعدا ابني عبد الحكم وبالعراق سعدان بن نصر والحسن الزعفراني وعمر بن شبة وغيرهم وبخراسان محمد بن يحيى الذهلي ومسلم بن الحجاج ومحمد بن رجاء السندي وغيرهم وبالجزيرة علي بن حرب وغيره وروى عنه أبو بكر الاسماعيلي واحمد بن علي الرازي وأبو علي الحسين بن علي وأبو أحمد علي وسليمان الطبراني ومحمد بن يعقوب بن اسماعيل الحافظ وأبو الوليد الفقيه وابنه أبو مصعب محمد بن أبي عوانة وحج خمس مرات وقال كنت بالمصيصة فكتب الي أخي محمد بن اسحاق فكان في كتابه

فان نحن التقينا قبل موت • شفينا النفس من مضض العتاب
وان سبقت بنا ايدي المنايا • فكم من غائب تحت التراب

وقال أبو عبد الله الحاكم أبو عوانة من علماء الحديث وأثباتهم ومن الرحالة فى اقطار الارض لطلب الحديث توفى سنة ست عشرة وثلثمائة وقال حمزة بن يوسف السهمى روى بجرجان سنة اثنتين وتسعين ومائتين قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر حدثنى الشيخ الصالح الاصيل أبو عبد الله محمد بن محمد بن عمر الصفار الاسفراينى أن قبر ابى عوانة باسفراين مزار العالم ومتبرك الخلق وبجنب قبره قبر الراوية عنه أبى نعيم عبد الملك بن ابى الحسن الازهر الاسفراينى فى مشهد واحد داخل المدينة على يسار الداخل من باب نيسابور من اسفراين وقريب من مشهده مشهد الامام الاستاذ أبى اسحاق الاسفراينى على يمين الداخل من نيسابور وبجنب قبره قبر الاستاذ أبى منصور البغدادى الامام الفقيه المتكلم صاحبه الصاحب بالجنب حيا وميتا المتظاهرين لنصرة الدين بالحجج والبراهين سمعت جدى الامام عمر بن الصفار رحمه الله تعالى ونظر الى القبور حول قبر الامام الاستاذ أبى اسحاق وأشار الى المشهد وقال قد قيل ها هنا من الائمة والفقهاء على مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه اربعون اماما كل واحد منهم لو تصرف فى المذهب وافتى برأيه واجتهاده يعنى على مذهب الشافعى لكان حقيقا بذلك والعوام يتقربون الى مشهد الاستاذ أبى اسحاق أكثر مما يتقربون الى ابى عوانة وهم لا يعرفون قدر هذا الامام الكبير المحدث أبى عوانة لبعد العهد بوفاته وقرب العهد بوفاة الاستاذ أبى اسحاق وأبو عوانة هو الذى أظهر لهم مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه باسفراين بعد ما رجع من مصر وأخذ العلم عن أبى ابراهيم المزنى رحمه الله تعالى وكان جدى اذا وصل الى مشهد الاستاذ لا يدخله احتراما بل كان يقبل عتبة المشهد وهى مرتفعة بدرجات ويقف ساعة على هيئة التعظيم والتوقير ثم يعبر عنه كالمودع لعظيم الهيبة واذا وصل الى مشهد أبى عوانة كان اشد تعظيما له واجلالا وتوقيرا ويقف أكثر من ذلك رحمهم الله تعالى أجمعين وعوانة بفتح العين المهملة وبعد الالف نون وقد تقدم الكلام على النيسابورى والاسفراينى فلا حاجة الى الاعادة

أبو يوسف يعقوب بن اسحاق المعروف بابن السكيت
صاحب كتاب اصلاح المنطق وغيره

ذكره الحافظ ابن عساكر فى تاريخ دمشق فقال حكى عن أبى عمرو اسحاق بن مرار الشيبانى ومحمد بن مهنا ومحمد بن صبح بن السماك الواعظ وحكى عنه أحمد بن فرح المقرى ومحمد بن عجلان الاخبارى وأبو عكرمة الضبى وأبو سعيد السكرى وميمون بن هارون الكاتب وغيرهم وكان يؤدب أولاد المتوكل وقال قال محمد بن السماك من عرف الناس داراهم ومن جهلهم ماراهم وراس المداراة ترك المماراة وروى ابن السكيت أيضا عن الاصمعى وأبى عبيدة والفراء وجماعة غيرهم وكتبه جيدة صحيحة منها اصلاح المنطق وكتاب الالفاظ وكتاب فى معانى الشعر وكتاب القلب والابدال

ولم يكن له نماذ فى علم النحو وكان يميل فى رأيه واعتقاده الى مذهب من يرى تقديم على ابن أبى طالب رضى الله عنه قال أحمد بن عبيد شاورنى ابن السكيت فى منادمة المتوكل فنهيته فحمل قولى على الحسد واجاب الى مادعى اليه من المنادمة فبينما هو مع المتوكل يوما جاء المعتز والمؤيد فقال المتوكل يايعقوب أيما احب اليك ابناى هذان أم الحسن والحسين فغض ابن السكيت من ابنيه وذكر الحسن والحسين رضى الله عنهما بما هما أهله فأمر الاتراك فداسوا بطنه فحمل الى داره فمات بعد غد ذلك اليوم وكان ذلك فى سنة أربع وأربعين ومائتين وقال عبد الله بن عبد الله العزيز وكان نهى يعقوب عن اتصاله بالمتوكل

نهيتك يايعقوب عن قرب شادن * اذا ماسطا أربى على كل ضيغم

فذق واحس ما استحسيت لا أقول اذا * عثرت لعا بل لليدين وللفم

(وحكى) ان الفراء سأل ابن السكيت عن نسبه فقال خوزى أصلحك الله من دورق (قلت) وهى بفتح الدال المهملة وبعد الواو الساكنة راء ثم قاف وهى بليدة من اعمال خوزستان من كور الاهواز قلت والاهواز من خوزستان أيضا قال فبقى الفراء أربعين يوما فى بيته لا يظهر لاحد من أصحابه فسئل عن ذلك فقال سبحان الله أستحى ان أرى ابن السكيت لانى سألته عن نسبه فصدقنى وفيه بعض القبح قال أبو الحسن الطوسى كنا فى مجلس أبى الحسن على اللحيانى وكان عازما على ان يملى نوادره ضعف ما املى فقال يوما تقول العرب مثقل استعان بذقنه فقام اليه ابن السكيت وهو حدث فقال يا ابا الحسن انما هو مثقل استعان بدفيه يريدون الجمل اذا نهض بحمله استعان بجنبيه فقطع الاملاء فلما كان المجلس الثانى املى فقال تقول العرب هو جارى مكاشرى فقام اليه ابن السكيت فقال أعزك الله وما معنى مكاشرى انما هو مكاسرى كسر بيتى الى كسر بيته قال فقطع اللحيانى الاملاء فما املى بعد ذلك شيأ وقال أبو العباس المبرد مارأيت للبغداديين كتابا أحسن من كتاب ابن السكيت فى المنطق وقال أحمد بن محمد بن أبى شداد شكوت الى ابن السكيت ضائقة فقال هل قلت شيأ قلت لا قال فاقول انا ثم أنشدنى

نفسى تروم امورا لست مدركها * مادمت احذر ما يأتى به القدر

ليس ارتحالك فى كسب الغنى سفرا * لكن مقامك فى ضر هو السفر

وقال ابن السكيت كتب رجل الى صديق له قد عرضت لى قبلك حاجة فان نجحت فالفانى منها حظى والباقى حظك وان تعذرت فالخير مظنون بك والعذر مقدم لك والسلام ونقل من خطه ماشاله عرض سلمان بن ربيعة الباهلى الجند فمر عمرو بن معدى كرب الزبيدى على فرس له فقال له سلمان ان هذا الفرس هجين فقال عمرو بل هو عتيق فقال سلمان هو هجين فقال عمرو وهو عتيق فامر سلمان فعطش ثم دعا بطشت فيه ماء

ودعا

ودعا بخيل عتاق فشربت وجاء فرس عمرو فثنى يده وشرب وهذا صنيع الهجين فقال له سلمان أوترى فقال عمرو أجل الهجين يعرف الهجين فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب الى عمرو قد بلغني ما قلت لأميرك وبلغني ان لك سيفا تسميه الصمصامة وعندي سيف اسميه مصمما وأيم الله لئن وضعته على هامتك لا اقلع حتى ابلغ به رهابتك فان سرك ان تعلم أحق ما أقول فعد والسلام والرهابة على وزن السحابة عظم فى الصدر مشرف على البطن مثل اللسان والله أعلم وقال أبو عثمان المازنى اجتمعت بابن السكيت عند محمد بن عبد الملك الزيات الوزير فقال محمد بن عبد الملك سل أبا يوسف عن مسئلة فكرهت ذلك وجعلت اتباطأ وادافع مخافة ان اوحشه لانه كان صديقا لى فألح على محمد بن عبد الملك وقال لم لا تسأله فاجتهدت فى اختيار مسئلة سهلة لأقارب يعقوب فقلت له ما وزن نكتل من الفعل من قول الله تعالى فارسل معنا أخانا نكتل فقال لى نفعل قلت ينبغى ان يكون ماضيه كتل فقال لا ليس هذا وزنه انما هو نفتعل فقلت له نفتعل كم حرف هو قال خمسة أحرف قلت فنكتل كم حرف هو قال أربعة أحرف فقلت ايكون أربعة أحرف بوزن خمسة أحرف فانقطع وخجل وسكت فقال محمد بن عبد الملك فانما تأخذ كل شهر ألفى درهم على انك لا تحسن وزن نكتل قال فلما خرجنا قال لى يعقوب يا أبا عثمان هل تدرى ما صنعت فقلت له والله لقد قاربتك جهدى ومالى فى هذا ذنب قلت وذكر أبو الحسن بن سيده هذه الحكاية فى أول خطبة كتابه المحكم فى اللغة لكنه قال ان ذلك كان بين يدى المتوكل والله أعلم وقال غير ابن عساكر كان يعقوب بن السكيت يؤدب مع أبيه بمدينة السلام فى درب القنطرة صبيان العامة حتى احتاج الى الكسب فجعل يتعلم النحو (وحكى) عن أبيه انه كان قد حج فطاف بالبيت وسعى وسأل الله تعالى ان يعلم ابنه العلم فتعلم النحو واللغة وجعل يختلف الى قوم من أهل القنطرة فأجروا له كل دفعة عشرة دراهم وا كثر حتى اختلف الى بشر وهارون ابنى هارون اخوين كانا يكتبان لمحمد بن عبد الله بن طاهر الخزاعى فما زال يختلف اليهما والى أولادهما دهرا فاحتاج ابن طاهر الى رجل يعلم أولاده وجعل ولده فى حجر ابراهيم بن اسحاق المصعبى فرتب يعقوب وجعل له رزقا خمسمائة درهم ثم جعلها ألف درهم وقال أبو العباس ثعلب كان ابن السكيت يتصرف فى أنواع العلوم وكان أبوه رجلا صالحا وكان من أصحاب أبى الحسن الكسائى حسن المعرفة بالعربية وكان سبب قعود يعقوب للناس وقصدهم اياه انه عمل شعر أبى النجم العجلى وجرده فقلت ادفعه لى لانسخه فقال يا أبا العباس حلفت بالطلاق انه لا يخرج من يدى ولكنه بين يديك فانسخه واحضر يوم الخميس فلما وصلت اليه عرف بى بحضورى قوم ثم انتشر ذلك فحضر الناس وقال ثعلب أيضا اجمع أصحابنا انه لم يكن بعد ابن الاعرابى اعلم باللغة من ابن السكيت وكان المتوكل قد ألزمه تأديب ولده

المعتز بالله فلما جلس عنده قال له يا أبي يعقوب الاميران تبدأ بريد من العلوم فقال المعتز بالانصراف قال يعقوب فاقوم قال المعتز فانا اخف نهوضا منك فقام فاستعجل فعثر بسراويله فسقط والتفت الى يعقوب خجلا وقد احمر وجهه فانشد يعقوب

يصاب الفتى من عثرة بلسانه * وليس يصاب المرء من عثرة الرجل
فعثرته فى القول تذهب رأسه * وعثرته بالرجل تبرا على مهل

فلما كان من الغد دخل يعقوب على المتوكل فاخبره بما جرى فأمر له بخمسين ألف درهم وقال قد بلغنى البيتان وكان يعقوب يقول انا اعلم من أبي وأبي أعلم منى بالشعر واللغة وقال الحسين بن عبد المجيب الموصلى سمعت ابن السكيت يقول فى مجلس أبي بكر بن أبي شيبة

ومن الناس من يحبك حبا * ظاهر الحب ليس بالتقصير
فاذا ما سألته عشر فلس * ألحق الحب باللطيف الخبير

وكان لابن السكيت شعر وهو مما تثق النفس به فى ذلك قوله

اذا اشتملت على اليأس القلوب * وضاق لما به الصدر الرحيب
واوطنت المكاره واستقرت * وارست فى أماكنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجها * ولا اغنى بحيلته الاريب
أتاك على قنوط منك غوث * يمن به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات اذا تناهت * فموصول بها فرج قريب

وكان العلماء يقولون اصلاح المنطق كتاب بلا خطبة وادب الكاتب تأليف ابن قتيبة خطبة بلا كتاب لانه طوّل الخطبة وأودعها فوائد وقال بعض العلماء ما عبر على جسر بغداد كتاب فى اللغة مثل اصلاح المنطق ولا شك انه من الكتب النافعة الممتعة الجامعة لكثير من اللغة ولا نعرف فى حجمه مثله فى بابه وقد عنى به جماعة فاختصره الوزير أبو القاسم الحسين بن على المعروف بابن المغربى المقدم ذكره وهذبه الخطيب أبو زكريا التبريزى وتكلم على الابيات المودعة فيه لابن السيرافى وهو كتاب مفيد ولابن السكيت أيضا كتاب الزبرج وكتاب الالفاظ وكتاب الامثال وكتاب المقصور والممدود وكتاب المذكر والمؤنث وكتاب الاجناس وهو كبير وكتاب الفرق وكتاب السرج واللجام وكتاب الوحوش وكتاب الابل وكتاب النوادر وكتاب معانى الشعر الكبير وكتاب معانى الشعر الصغير وكتاب سرقات الشعرا وكتاب فعل وافعل وكتاب الحشرات وكتاب الاصوات وكتاب الاضداد وكتاب الشجر والنبات وما اتفقوا عليه وغير ذلك من الكتب ومع شهرته لا حاجة الى الاطالة فى ذكر فضله وقد روى فى قتله غير ما ذكرته أوّلا فقيل ان المتوكل كان كثير التحامل على علىّ بن أبي طالب رضى الله عنه وابنيه الحسن والحسين رضى الله عنهم أجمعين وقد تقدم فى ترجمة

ابى

أبي الحسن علي بن محمد المعروف بابن بسام أبيات تدل على هذا أيضا وكان ابن السكيت من المغالين في محبتهم والتوالي لهم فلما قال له المتوكل تلك المقالة قال ابن السكيت والله ان قنبرا خادم علي رضي الله عنه خير منك ومن ابنيك فقال المتوكل سلوا لسانه من قفاه ففعلوا ذلك به فمات وذلك في ليلة الاثنين لخمس خلون من رجب سنة أربع وأربعين ومائتين وقيل سنة ست وأربعين وقيل سنة ثلاث وأربعين والله أعلم بالصواب وبلغ عمره ثمانيا وخمسين سنة ولما مات سير المتوكل لولده يوسف عشرة آلاف درهم وقال هذه دية والده رحمه الله تعالى وقال أبو جعفر أحمد بن محمد المعروف بابن النحاس كان أول كلام المتوكل مع ابن السكيت مزاحا ثم صار جدا وقيل ان المتوكل أمره ان يشتم رجلا من قريش وان ينال منه فلم يفعل فامر القرشي ان ينال منه فاجابه ابن السكيت فقال له المتوكل أمرتك فلم تفعل فلما شتمك فعلت وأمر به فضرب وحمل من عنده صريعا والله أعلم أي ذلك كان وقد تقدم في ترجمة عبد الله بن المبارك مثل هذه القضية لما سئل عن معاوية وعمر بن عبد العزيز أيهما أفضل والسكيت بكسر السين المهملة والكاف المشددة وبعدها ياء مثناة من تحتها ثم تاء مثناة من فوقها وعرف بذلك لانه كان كثير السكوت طويل الصمت وكلما كان على وزن فعيل أو فعليل فانه مكسور الاول وقوله خوزي بضم الخاء المعجمة وبعد الواو زاي هذه النسبة الى خوزستان وهو أقليم بين البصرة وبلاد فارس

أبو يوسف يعقوب بن الليث الصفار الخارجي

قد أكثر أهل التاريخ من ذكر هذا الرجل وذكر أخيه عمرو وما ملكا من البلاد وقتلا من العباد وما جرى للخلفاء معهما من الوقائع وقد اخترت من ذلك ما اودعته في هذه الاوراق فاقول قال أبو عبد الله بن محمد الازهر الاخباري حدثني علي بن محمد وكان عالما بامور يعقوب بن الليث الصفار ومحاربته واول أمره انه وأخاه عمرا كانا صفارين في حداثتهما وكان يظهران الزهد وان رجلا من أهل سجستان كان مشهورا بالتطوع في قتال الخوارج يقال له صالح بن النضر الكناني المطوعي من أهل بست فصحباه وحظيا به فقاتلت الخوارج الذين يقال لهم الشراة الخا يعقوب المذكور وأقام صالح المذكور يعقوب المذكور مقام الخليفة ثم هلك صالح المذكور فتولى مكانه درهم بن الحسين من المطوعة أيضا فصار يعقوب مع درهم كما كان مع صالح ثم ان صاحب خراسان احتال لدرهم حتى ظفر به فحمل الى بغداد فحبس بها ثم اطلق وخدم السلطان ثم لزم بيته يظهر النسك والحج والاقتصاد حتى غلظ أمر يعقوب وذكر شيخنا عز الدين أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن الاثير في تاريخه في سنة سبع وثلاثين ومائتين ابتداء أمر يعقوب المذكور فقال في هذه السنة تغلب انسان من أهل بست اسمه صالح بن النضر الكناني على سجستان ومعه يعقوب بن الليث فعاد طاهر بن عبد الله بن

طاهر بن الحسين أمير خراسان واستنقذها منه ثم ظهر بها انسان اسمه درهم بن الحسين من المطوعة فغلب عليها وكان غير ضابط لامور عسكره وكان يعقوب بن الليث قائد عسكره فلما رأى أصحاب درهم ضعفه وعجزه اجتمعوا على يعقوب بن الليث وملكوه أمرهم لما رأوا من تدبيره وحسن سياسته وقيامه بأمرهم فلما تبين له ذلك لم ينازعه في الامر وسلمه اليه واعتزل عنه فاستبد يعقوب بالامر وضبط البلاد وقويت شوكته وقصدته العساكر من كل ناحية فصار من أمره ما سنذكره (رجعنا الى تمام ما ذكره على ابن أحمد) قال فلما دخل درهم بن الحسين بغداد تولى يعقوب أمر المطوعة وحارب الخوارج الشراة فرزق الظفر بهم حتى افناهم واخرب ضياعهم واطاعه أصحابه بمكره ودهائه طاعة لم يطيعوها أحدا كان قبله ثم اشتدت شوكته وزادت صولته فغلب على سجستان وهراة وبوشنج وما والاها وكانت الترك بتخوم سجستان وملكهم رتبيل ويسمى هذا القبيل من الترك الدرارى فرضه أهل سجستان على قتالهم واعلموه انهم اضر من الشراة الخوارج واوجب محاربة نفراء الترك فقتل رتبيل ملكهم وقتل ثلاثة من ملوكهم بعد رتبيل ويسمى كل ملك لهم رتبيل وانصرف يعقوب الى سجستان وقد حمل رؤسهم مع رؤس ألوف منهم فرهبته الملوك الذين حوله منهم ملك المولتان وملك الرخج وملك الطبين وملك زابلستان وملك السند ومكران وغيرهم واذعنوا له وكان قصده هراة وبوشنج في سنة ثلاث وخمسين ومائتين وأمير خراسان يومئذ محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعى وعامله عليها محمد بن اوس الانبارى فخرج لمحاربته في تعبية وبأس شديد وزى جميل واحسن مقاومته حتى احتال له يعقوب فحال بينه وبين دخول المدينة وهى بوشنج وانحاز محمد بن اوس منهزما فقيل انه لم يقاتله أحد احسن مواقفة كما احسنها ابن اوس ودخل يعقوب بوشنج وهراة وسارت المدينتان في يده وظفر بجماعة من الطاهرية وهم المنسوبون الى طاهر ابن الحسين الخزاعى فحملهم الى سجستان حتى وجه الخليفة المعتز بالله اليه المعروف بابن بلعم وهو رجل من الشيعة برسالة وكتاب فاطلقهم قال ابن الازهر الاخبارى المذكور حدثنى محمد بن عبد الله بن مروان قال حدثنى ابن بلعم المذكور قال صرت اليه بكتاب أمير المؤمنين المعتز بالله الى زرنج (قلت) وهى بفتح الزاى والراء وسكون النون وبعدها جيم وهى كرسى بلاد سجستان قال ابن بلعم فاستأذنت عليه فأذن لى فدخلت ولم اسلم عليه وجلست بين يديه من غير أمره ودفعت اليه الكتاب فلما أخذه قلت له قبل كتاب أمير المؤمنين فلم يقبله وفضه فتراجعت القهقرى الى باب مجلسه الذى كان فيه ثم قلت السلام عليك أيها الامير ورحمة الله فأعجبه ذلك وأحسن مثواى ووصلنى واطلق الطاهرية وقال ابن بلعم المذكور أيضا دخلت على يعقوب الصفار يوما فقال لى ينبغى ان يجيئنا رجل مستأمن من ناحية فارس ومعه ثلاثة انفس او أربعة بل

هو تمام الخمسة قال فانكرت هذا منه وأمسكت فما علمت الا وحاجبه قد دخل فسلم وقال أيها الامير بالباب رجل مستأمن ومعه أربعة أنفس فقال أدخله فدخل وسلم وقال أيها الامير معي أربعة أنفس فاذن لهم فدخلوا عليه فالتفت الى الحاجب وقلت قد أخذتم في المخاريق بخلاف لي أيها نا مغلظة انهم جاؤا بغتة ما علم بهم أحد من الناس وسألت يعقوب بعد ذلك وقلت له أيها الامير لقد رأيت منك عجبا في أمر المستأمنة فكيف علمت بهم فقال أخبرك اني فكرت في أمر فارس ورأيت غرابا واقفا بازاء طريقها واختلجت احدى اصابع رجلي ثم تبع بعضها بعضا فعلمت انه عضو غير شريف وانه سيأتينا من ذلك الصقع قوم مستأمنة او رسل ليسوا بأجلة فكانوا هؤلاء وقال علي بن الحكم سألت يعقوب بن الليث الصفار عن الضربة التي على وجهه وهي منكرة على قصبة انفه ووجنته فذكر أن ذلك أصابه في بعض وقائع الشراة وانه طعن رجلا منهم فرجع عليه فضربه هذه الضربة فسقط نصف وجهه حتى رد وخيط قال فمكثت عشرين يوما في في انبوبة قصب وفمي مفتوح لئلا يقرح رأسي وكان يصب في حلقي الشيء بعد الشيء من الغذاء قال حاجبه وقد كان مع هذه الضربة يخرج ويعبي أصحابه للحرب ويقاتل وارسل يعقوب الى المعتز بالله هدية سنية من جملتها مسجد فضة مخلع يصلي فيه خمسة عشر انسانا وسأل ان يعطى بلاد فارس ويقرر عليه خمسة عشر ألف ألف درهم على ان يتولى اخراج علي بن الحسين بن قريش وكان على فارس ثم شخص يعقوب من سجستان في اثر كتابه الى المعتز يريد كرمان ثم نزل بم قلت وهي بالباء الموحدة المفتوحة وبعدها ميم مخففة وهي الحد الفاصل بين سجستان وكرمان قال وكان بكرمان العباس بن الحسين ابن قريش أخو علي بن الحسين المذكور ومعه أحمد بن الليث الكردي فخرجا عن كرمان يريدان شيراز وقدم يعقوب أخاه علي بن الليث الى السيرجان (قلت وهي بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها ثم راء وجيم وبعد الالف نون وهي مدينة كرمان) قال وضم اليه جماعة فاقام هو وعلي بم فرد أحمد بن الليث الكردي اليه من الطريق في جمع كثير من الاكراد وغيرهم فصاروا الى درابجرد (قلت) وهي بفتح الدال المهملة ثم راء وألف وبعدها باء موحدة ثم جيم مكسورة ثم راء وبعدها دال مهملة وهذا الاسم يقع بالاشتراك على ثلاثة مواضع الاول كورة عظيمة مشهورة بفارس قصبتها درابجرد والثاني قرية بفارس أيضا من اعمال اصطخر فيها معدن الزيبق فيحتمل ان يكون مصيرهم الى الاولى او الى الثانية وأما الثالثة فهو موضع بنيسابور ولا يحتمل مصيرهم اليه لانه بخراسان فلا تعلق له بفارس (قال الراوي) فظفر أحمد بن الليث بجماعة من أصحاب يعقوب يطلبون العلف فقتل بعضهم وهرب منهم جماعة ووجه أحمد بن الليث برؤس من قتل من أصحاب يعقوب الى فارس فنصب علي بن الحسين رؤسهم فبلغ الخبر يعقوب فدخل كرمان فندب علي بن الحسين لمحاربته طوق بن المغلس في خمسة آلاف من الاكراد

سوى من تقدم مع أحمد بن الليث الكردى وسار طوق حتى نزل على مدينة اياس من عمل كرمان فورد عليه كتاب يعقوب يعلمه انه اخطأ اذ دخل عملا ليس اليه فرد عليه طوق انت بعمل الصفر أعلم منك بعمل الحروب فعظم ذلك على يعقوب وكان فى عسكر طوق ثلثمائة رجل من الابناء فوافى يعقوب مدينة اياس فاوقع بطوق وقتل أصحابه وهزم من بقى منهم وصبر الابناء الثلاثمائة حتى اتجروا يعقوب فاعطاهم الامان فلم يقبلوا حتى قتلوا عن آخرهم وقتل يعقوب فى هذه الوقعة ألفى رجل وأسر ألفا وأسر طوق بن المغلس وقيده بقيد خفيف ووسع عليه فى مطعمه وغيره واستخرج منه الاموال ورحل يعقوب عن اياس ودخل عمل فارس فخندق على بن الحسين على نفسه بشيراز وذلك فى يوم الثلاثاء لاثنى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة خمس وخمسين ومائتين وكتب على بن الحسين الى يعقوب يعلمه أن طوق بن المغلس فعل ما فعل من غير أمره وأنه لم يأمره بمحاربته وقال له ان كنت تطلب كرمان فقد خلفتها وراءك وان كنت تطلب فارس فكتاب من أمير المؤمنين بتسليم العمل لأنه مرف فرد عليه يعقوب ان كان امن السلطان معه لابيه ما أن وصله حتى يدخل البلد وانه ان اخلى له البلد فقد ودع وازاح علته والا فالسيف بيننا والموعد مرج ستكان وهو مرج واسع بينه وبين شيراز ثلاثة فراسخ وكتب صاحب البريد ووجوه البلد الى يعقوب يعلمونه انه ما ينبغى له مع ما وهب له الله تعالى من التطوع والديانة وقتل الخوارج ونفيهم عن بلاد خراسان وسجستان التسرع الى سفك الدماء لان على بن الحسين لن يسلم البلد الا بكتاب الخليفة واعتد أهل شيراز للحصار وقد كانت المنهزمة من أصحاب طوق أسروا ثلاثة أنفس من أصحاب يعقوب فحبسهم على بن الحسين وقد كان طوق وقت خروجه الى يعقوب اشترى دارا بشيراز بسبعين ألف درهم وقدر للنفقة عليها مالا فكتب طوق الى ابنه لا تقطع البناء عن الدار فان الامير يعقوب قد أكرمنى وأحسن الى وسال فى اطلاق الثلاثة المأسورين من أصحاب يعقوب وكان يعقوب سأله ذلك ليطلقه اذا وفد واعليه فقال على بن الحسين اكتبوا الى يعقوب ليطلب طوق بن المغلس وان اقل عبد من عبيده أكبر عنده منه وسأل يعقوب طوق بن المغلس عن أمور على بن الحسين فضعف أمره عنده فتقرب طوق الى يعقوب بمال عنده بشيراز وانه يكتب الى أهله فى حمله اليه ليتقوى به على حربه فامره يعقوب ان يفعل ذلك فكتب الى ابنه فوقع الكتاب فى يد على بن الحسين فأخذ المال وغيره من دار طوق وحمله الى داره وزحف يعقوب واحتشد على بن الحسين قال أحمد بن الحكم قال لى يعقوب أخبرنى عن على بن الحسين امسلم هو قلت نعم قال أفرأيت مسلما يوجه بالاكراد الكفار الى بلاد المسلمين فيقتلونهم ويحملون نساءهم ويأخذون أموالهم الم تعلم أن أحمد بن الليث الكردى قتل بكرمان سبعمائة انسان على دم واحد وافتض الاكراد مائتى بكر من أهل البيوتات وحملوا معهم نحو ألفى امرأة الى بلادهم أفرأيت مسلما يرضى بهذا قال قلت فعل أحمد هذا من

غير أمره ثم قال له يعقوب في بعض مناظراته قل لعلي بن الحسين ان معي قوما أحرارا جئت بهم وليس يتأتى لي ردهم الا بما يحبون نوجه الى بما يرضيهم ووجهه لي في نفسي مايشبه مثلي من البر فاذا فعلت فأنا أخوك وعونك على من حاربك وادفع لك كرمان تأكلها وأنصرف الى عملي وارتحل يعقوب فنزل قرية يقال لها خوزستان ووافى أحمد ابن الحكم الى علي بن الحسين يوم الثلاثاء لثمان خلون من جمادى الاولى من السنة وعلى يده كتاب يعقوب قال ابن الحكم فلم يفهم علي بن الحسين شيأ مما جئت به من الدهش وحاصل الكتاب بعد الدعاء له فهمت كتابك وذكرك أن ورودي هذا البلد العظيم خطأ بغير اذن أمير المؤمنين فاني لست ممن تطمع نفسه في محاولة ظلم ولا ممن يمكنه ذلك وقد اسقطت عنك مؤنة الاهتمام في هذا الباب فان البلد لامير المؤمنين ونحن عبيده نتصرف بأمره في أرضه وسلطانه وفي طاعة الله وطاعته وقد استمعت من رسولك ورجعت اليه في جواب ما حملته واداته ما يورده عليك مما رجوت لنا ولك فيه صلاحا فان استعملته ففيه السلامة ان شاء الله تعالى وان ابيت فان قدر الله تعالى نافذ لا محيص عنه ونحن نعتصم بالله من الهلكة ونعوذ به من دواعي البغي ومصارع الخذلان ونرغب اليه في السلامة في ديننا ودنيانا بلطفه مد الله في عمرك وكتب يوم الاثنين لليلة خلت من جمادى الاولى سنة خمس وخمسين ومائتين ثم تزاحف الفريقان وقد اجتمع في عسكر علي ابن الحسين خمسة عشر ألف انسان ووجه أحمد بن الليث في طلائع يعقوب وذلك في غداة الاربعاء لاربع خلون من الشهر المذكور ولما كان يوم الخميس وافت طلائع يعقوب ثم التقى الجيشان فحملوا حملة وفي الثانية أزالوا أصحاب علي بن الحسين عن مواضعهم وصدقت الجمالة فانهزموا وفروا على وجوههم لا يلوى أحد على أحد وعلي بن الحسين يتبع أصحابه ويصيح فيهم أن ارجعوا وقفوا ويناشدهم الله تعالى فلم يلتفتوا اليه وبقي في عدة من أصحابه فوافق المنهزمة ابواب شيراز مع العصر يوم الخميس المذكور وكانت الوقعة بعد الظهر فضاقت عليهم الابواب فمروا على وجوههم في نواحي شيراز وبلغت هزيمتهم الاهواز وكانت القتلى منهم مقدار خمسة آلاف واصابت علي بن الحسين ثلاث ضربات واعتورته أسياف أصحاب يعقوب وسقط عن دابته فارادوا قتله فاعلمهم انه علي بن الحسين فاخذوا عمامته ووضعوها في وسطه وقادوه الى يعقوب وطلب الذي أسره الثواب من يعقوب فامر له بعشرة آلاف درهم فابى ان ياخذها فقال انما جئتني بكاب اسرته مالك عندي غيرها فانصرف الرجل وقنع يعقوب عليا عشرة أسواط بيده وأخذ حاجبه بلحيته فنتف اكثرها وأمر يعقوب ان يقيد بقيد فيه عشرون رطلا وصيره مع طوق بن المغلس في الخيمة وكان قد أنفذ الى ابن المغلس وقيده أيضا وسار يعقوب من فوره الى شيراز وتفرق أصحاب علي بن الحسين في النواحي ثم دخل يعقوب الى شيراز والطبول تضرب بين يديه وظن ان أهل شيراز يؤذونه ويستحل دماءهم

وأموالهم بحربهم فلم ينطق أحد لانه كان وعد أصحابه ان هو ظفر أن يطلقهم ينهب شيراز وبلغ القوم ذلك فلزموا بيوتهم ورجع يعقوب من ليلته الى عسكره بعد ان طاف شيراز فلما أصبح نادى بالامان ليخرجوا الى الاسواق فخرج الناس ونادى في كتابه على بن الحسين أن برئت الذمة ممن آواهم وحضرت الجمعة فأمر الخطيب فدعا للامام المعتز بالله ولم يدع لنفسه فقيل له في ذلك فقال الامير لم يقدم بعد وقال انما مقامى عندكم عشرة أيام ثم أرجع الى عمل سجستان وبعث أخاه الى منزل على بن الحسين فأحضر الفرش والاثاث وفتش على الاموال فلم يقف عليها فأحضر عليا فتهدده وتوعده فذكر انه يداهم على المال فحمل الى منزله فاحضر ألف بدرة وقيل أربعمائة بدرة وعوض يعقوب أصحابه من نهب شيراز كل رجل ثلثمائة درهم ثم عذب يعقوب عليا بانواع العذاب وعصر انثييه وشد الجوزتين على صدغيه فقال على قد أخذت ما أخذت منى فرشى وقيمته أربعون ألف دينار وألح عليه بالعذاب وقيده بأربعين رطلا فدلهم على موضع فى داره فاستخرجوا منه أربعة آلاف ألف درهم وجوهرا كثيرا ثم ألح عليه بالعذاب وسلمه الى الحسن بن درهم فتنمر به وعذبه وشتمه وعذب طوق بن المغلس أيضا وحبسهما فى بيت واحد وارتحل يعقوب من شيراز يوم السبت للسلخ بقيتا من جمادى الاولى من السنة الى بلاده وحمل على بن الحسين وطوق بن المغلس معه فلما أتى كرمان ألبسهما المصبغ من الثياب وقنعهما بقانع ونادى عليهما وحبسهما ومضى الى سجستان وخلع الخليفة المعتز بالله لثلاث خلون من رجب من السنة المذكورة وتولى الخلافة الامام المهتدى مع صلاة الظهر من يوم الثلاثا لاربع عشرة بقيت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين ثم بويع المعتمد على الله ولم يكن ليعقوب الصفار فى خلافة المهتدى كبير أمر بل كان يغزو ويحارب من يليه من الملوك بسجستان واعمالها يتطرق كورخراسان وما قرب من قوهستان ونواحى هراة وبوشنج وما اتصل بسجستان ثم عاد يعقوب الى بلاد فارس وجبى غلاتها ورجع بثلاثين ألف ألف درهم وسار الى سجستان وأقام محمد بن واصل بفارس يتولى الحرب والخراج ويكاتب الخليفة ويحمل بعض ما يجبى من الاموال فكان مقدار ما يحمل فى السنة خمسة الاف ألف درهم من الخراج من بلاد فارس وكان مقيما بها غالبة عليها ولو امكن الخليفة صرفه عنها ببعض أوليائه لما أقره ثم ورد الخبر بجمادى الآخرة من سنة ثمان وخمسين ومائتين بدخول يعقوب مدينة بلخ ثم خرج منها ودخل نيسابور فى ذى القعدة من سنة تسع وخمسين ومائتين واحتاط على محمد بن طاهر الخزاعى أمير خراسان وجميع الطاهرية ثم خرج عنها فى المحرم من سنة ستين ومائتين ومعه محمد بن طاهر مقيدا ونيف وستون من أهله وتوجه نحو جرجان للقاء الحسن بن زيد العلوى أمير طبرستان وجرجان ولما بلغ الحسن بن زيد أن يعقوب يقصده أخذ من أموال الخراج ثلاثة عشر ألف ألف درهم

بقايا وسلاحا وتخلص من جرجان الى طبرستان ودخل يعقوب جرجان ووجه من أصحابه
من أخذ شاويه طبرستان وكان بجرجان يعلق على دوابه كل يوم ألف قفيز ثم خرج
يعقوب الى طبرستان وخرج اليه الحسن بن زيد فى خلق كثير وأعلم يعقوب أصحابه انه
يقتل من انهزم منهم وتقدم بنفسه للحرب فتبعه خمسمائة فارس من عبيده فحمل على
الحسن وأصحابه حملة واحدة فكانت الهزيمة على القوم وكان الحسن بن زيد قد أعد فى
كل قرية مركوبا فى طريقه لانهزامه وكان برذونا وبغلا لانه كان رجلا ثقيلا
كثير اللحم ولاحق أصحاب يعقوب به فتبع الحسن بن زيد فى خمسة آلاف خيل جريدة
وأخذ يعقوب مما كان مع الحسن بن زيد ثلثمائة وقر مالا اكثرها عين وظفر بجماعة من
آل أبى طالب فأساء اليهم وأسرهم وكانت الوقعة يوم الاثنين لاربع بقين من رجب
سنة ستين ومائتين ثم تقدم يعقوب فدخل آمل (قلت وهى بالهمزة الممدودة والميم
المضمومة وبعدها لام وهى كرسى بلاد طبرستان) قال وهرب الحسن بن زيد الى مدينة
يقال لها سالوس فلم يجد من أهلها ما كان يعهده منهم فتنحى عنهم ثم خرج يعقوب من
آمل فى طلب الحسن بن زيد فرحل مرحلة واحدة وبلغه الخبر أن الحسين بن طاهر بن
عبد الله قد دخل مرو الروذ ومعه صاحب خوارزم فى ألفى تركى فانزعج يعقوب لذلك
وقصر فى الايغال فى طلب الحسن بن زيد فرجع وكتب الى أمير الرى فى ذى الحجة من
سنة ستين يأمره ان يخرج من الرى ويعلمه ان أمير المؤمنين قد ولاه اياه فبلغ ذلك الخليفة
فانكره وعاقب غلمانه الذين كانوا ببغداد بالحبس وأخذ الاموال ثم دخلت سنة احدى
وستين ومائتين ويعقوب ببلاد طبرستان فخرج فى المحرم يريد جرجان فلحقه الحسن بن
زيد من ناحية البحر فيمن اجتمع اليه من الديلم وأهل الجبال وطبرستان فشتت يعقوب
وقتل من لحق من أصحابه فانهزم يعقوب الى جرجان فجاءت زلزلة عظيمة قتلت من
أصحابه الفى انسان ورجعت طبرستان الى الحسن بن زيد وهى آمل وشاوية وما يتصل
بهما وأقام يعقوب بجرجان يعسف اهلها بالخراج ويأخذ أموال الناس ودامت الزلزلة
ثلاثة أيام وأتى جماعة من أهل جرجان الى بغداد فسئلوا عن يعقوب الصفار فذكروه
بالجبروت والعسف فعزم الخليفة على النهوض اليه واستعد لذلك ولما رجع الصفار الى
خوار الرى ورجع الحاج عن الموسم كتب الخليفة المعتمد على الله الى عبيد الله بن
عبد الله بن طاهر بن الحسين وهو يومئذ متولى العراق بأن يجمع الحاج من أهل
خراسان وطبرستان وجرجان والرى ويقرأ عليهم كتابا منه اليه فجمع الحاج القادمين
من اقاصى البلاد وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين بالوقوع فى الصفار وعمل ثلاثين نسخة
ودفع الى أهل كل كورة نسخة لتذيع الاخبار بهذه النسخ فى الآفاق ونمى الخبر الى
يعقوب الصفار بما كان من حبس غلمانه وما كان من الحاج فى دار عبيد الله وما دفع
اليه من النسخ وانكشف له رأى الخليفة فى قصده فرجع الى نيسابور وانما رجع لانه لم

يعده عدة تصلح لقاء الخليفة ولما دخل الى نيسابور أساء الى أهلها بأخذ الاموال ورجع
ريد جهة سجستان فى جمادى الاولى من سنة احدى وستين ولما رجع الى سجستان
كتب الخليفة الى أصحاب المالك بخراسان وذوى الجاه والعدد بتولية كل رجل
ناحية فوردت الكتب وأصحاب الصفار متفرقون فى كور خراسان ثم ان الصفار وصل
الى عسكر مكرم من اعمال خوزستان وكاتب الخليفة وساله ولاية خراسان وبلاد
فارس وما كان مضموما الى طاهر بن الحسين الخزاعى من الكور وشرطتى بغداد
وسر من رأى وان يعقدله على طبرستان وجرجان والرى واذربيجان وقزوين وان
يعقدله على كرمان وسجستان والسند وأن يحضر من قرئت عليهم الكتب التى سحت فى
دار عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ويقرأ عليهم خلاف ما قرئ عليهم اولا من ذكره ليتأمل
ذلك الكتاب بهذا الكتاب ففعل ذلك الموفق بالله أبو أحمد طلحة بن المتوكل على الله
وهو أخو الخليفة المعتمد على الله وكان الموفق مستوليا على الامور كلها وليس للمعتمد
معه سوى اسم الخلافة لاغير واجابه الى ما طلب وجمع الناس وقرأ عليهم ما احبه الصفار
وأجيب الى الولاية التى طلبها واضطربت الموالى بسر من رأى من اجابة الخليفة الى
ما طلبه الصفار وتحركوا ثم ان الصفار لم يلتفت الى ما اجيب اليه من ذلك ودخل
السوس وهى ايضا مدينة من اعمال خوزستان بالقرب من عسكر مكرم ولما دخلها عزم
على محاربة الخليفة المعتمد وتأهب له الخليفة لينحدر اليه فى دجلة ثم تقدم الصفار وتقدم
اليه عسكر الخليفة وقد كانت الموالى ارتابت واتهمت الخليفة والموفق وتوهمت ان
اقبال الصفار بسبب ما انفذ اليه من الكتب والاراء عجيب اعجب من خارج قصد من
زرنج كرسى سجستان وهى الحد الفاصل بين السند والترك وخراسان الوصول الى بلاد
العراق لمحاربة الخليفة وهو فى جيوشه وعدده وتقادم مملكته فى شرق الارض وغربها
والصفار منفرد بجيشه ليس معه من يعضده ولا يشاركه فى هذا الامر ولما بلغ الخليفة
ذلك دعا ببرد النبى صلى الله عليه وسلم وقضيبه وأخذ القوس ليكون أول من رمى واهن
الصفار فطابت انفس الموالى ولما كان صبيحة الاحد لتسع خلون من رجب
وردت عساكر الصفار فى التعبية الى موضع يقال له اصطربند وهى قرية بين السيب
ودير العاقول من النهروان الى واسط وجمع أصحابه ليحمل بهم وتقدم بنفسه كما كان
يعمل قبل ذلك وأقبل وعليه دراعة ديباج اسود ولما تواقف الصفان خرج من الموالى
خشنج القائد فقام بين الصفين وقال لاصحاب الصفار يا أهل خراسان وسجستان
ما عرفنا كم الا بطاعة السلطان وتلاوة القرآن وحج البيت وطلب الآثار وان دينكم
لا يتم الا بطاعة الامام وما نشك ان هذا الملعون قد موه عليكم وقال لكم ان السلطان
قد كتب اليه بالحضور وهذا السلطان قد خرج لمحاربته فمن آثر منكم الحق وتمسك
بدينه وشرائع الاسلام فلينفرد عنه ان كان شاقا للعصا محاربا للسلطان فلم يجيبوه عن

كلامه

كلامه وكان هذا خشيج شجاعا مقداما ولما تخلص محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين أمير خراسان من اسر الصفار وقد تقدم ذكر أسره وحمله مقيدا قال له خشيج يا آل طاهر اشتريتمونا بأموالكم واهديتمونا الى ولد العباس فاستخدمونا وملكونا الضياع والاموال حتى قدنا الجيوش وحاربنا عن بيضة الاسلام فاخرجنا من الدنيا حتى حاربنا الصفار عنك يا والي خراسان مع مولانا أمير المؤمنين وخاصيناك بعد الاسر والقيد الثقيل من مدينة الى مدينة على بغل اكاف ورددناك من العراق الى خراسان فالحمد لله على ما تفضل به مولانا من خلاصك ولولا ناهذا الفعل الجميل فيك (رجعنا الى تتمة خبر الصفار) قال الراوي وحزر عسكر الصفار فكانت مساحة معسكره ميلا في ميل وكانت دوابهم في غاية الفراهية وقيل ان جمعهم كان يزيد على عشرة آلاف انسان ووضع الخليفة العطاء في الجند وقطع ما في الطريق من الشجر والدغل واستعد للحرب وجدوافيها وشمروا وقيل ما هو الا ان تنصروا او تنهزموا فلا ترجع دوابكم اليكم ووقف الخليفة المعتمد بنفسه والى جانب ركابه محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني وقد تقدم ذكر جده يزيد ووقف معه جماعة اكتنفوا الخليفة من أهل البأس والنجدة وتقدم بين يديه الرماة بالنشاب وكشف الموفق أخو الخليفة رأسه وقال أنا الغلام الهاشمي وحمل على أصحاب الصفار وقتل بين الطائفتين خلق كثير فلما رأى الصفار تلك الحال ولى راجعا تاركا أمواله وخزائنه وذخائره ومر على وجهه فلم تتبعه العساكر وما أفلت من أصحابه رجل الا بسهم أصابه وادركهم الليل فتساقطوا في الانهار لازدحامهم وثقل الجراح بهم قال أبو الساج داود بن دوست وهو الذي تنسب اليه الاجناد الساجية ببغداد لله فارلما انهزم ما رأيت معك شيأ من تدبير الحروب وكيف كنت تغلب الناس فانك جعلت ثقلك وأموالك وأسراك امامك وقصدت بلدا على قلة المعرفة منك به وبغايصه وانهاره بغير دليل وقاتلت يوم الاحد والريح عليك وسرت من السوس الى واسط في أربعين يوما واحوال العسكر مختلة فلما وافت عددهم وجاءتهم أموالهم واستحكم أمرهم عليك اقبلت من واسط الى دير العاقول في يومين وتاخرت عند امكان الفرصة واقبلت تعدو في موضع التثبت فقال الصفار لم اعلم انى احارب ولم اشك في الظفر وتوهمت ان الرسل ترد الي فيبدروا الامر فأتيت بما قدرت عليه (قلت هذا آخر ما نقلته من كلام ابن الازهر مع الاختصار ونقلت من تاريخ أبي الحسين عبيد الله ابن أحمد بن طاهر الذي جعله ذيلا على تاريخ أبيه في اخبار بغداد وقد اطال القول فيه فاختصرته وحذفت ما تكرر منه فقال كان وثوب يعقوب بن الليث على درهم كذا وغلبته على سجستان يوم السبت لخمس خلون من المحرم سنة سبع وأربعين ومائتين وكانت ولاية درهم ثلاث سنين بعد اخراجه صالح بن النضر وهو رجل من بني كنانة من سجستان في ذي الحجة سنة سبع وثلاثين ومائتين ولم يزل يعقوب الصفار مقيما

بسجستان يحارب الشراة والاتراك ويظهر انه متطوع حتى كانت سنة ثلاث وخمسين ومائتين فخرج الى هراة ثم قصد بوشنج وحاصرها وأخذها عنوة وكان ذلك في خلافة المعتز ومات المعتز ويعقوب على حاله ولم يزل على ذلك الى أيام المعتمد على الله ثم دخل بلخ وخرج منها ثم وصل الى رامهرمز وهو يظهر الطاعة للخليفة المعتمد وذلك في المحرم من سنة اثنتين وستين ومائتين ثم ارسل رسله الى المعتمد فدخلوا بغداد لاربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ثم سار الى واسط وأقام بها تابعا ثم سار الى دير العاقول يوم السبت لثمان خلون من رجب ثم سار الى اصطربند فنزل بها ولما اتصل خبره بالمعتمد وانه يقصد بغداد جمع أصحابه من الاطراف وخرج من سر من رأى قاصدا محاربته ودخل بغداد يوم الاحد لخمس بقين من ذي الحجة من السنة قال أبو الفرج كاتب القاضي أبي عمر ولما نهض الخليفة لمحاربة الصفار لم تزل كتبه تسير اليه من الطريق يامره بالانصراف ويحذره سوء عاقبة فعله وان أمير المؤمنين قد نهض اليه في العدد والعدد وكتب الصفار واردة باني قد علمت نهوض أمير المؤمنين ليشرفني وينبه على موقعي منه ثم عبى الخليفة جيشه للقتال على القرية المذكورة وارسلوا الماء على طريق الصفار فكان سبب هزيمته فانهم أخذوا عليه الطريق وهو لا يدري واصطف الفريقان ولم يزل القوم يحمل بعضهم على بعض حتى انهزم الصفار فغنم الناس من اثقاله غنيمة عظيمة وتوهموا ان ذلك حيلة منه ومكر ولولا ذلك لاتبعوه ولقد حدثني من حضر ذلك ان رشق الجند المواني كان في ذلك الوقت عشرين ألف سهم وانصرف الخليفة مسرورا بما فتح الله عليه وكان ممن تخلص من اسره ذلك اليوم أبو عبد الله محمد بن طاهر أمير خراسان وجاء الى الخليفة وهو في قيده ففك الخليفة عنه القيد وخلع عليه خلعة سلطانية وذكر المعتمد ذلك النهار انه رأى تلك الليلة في المنام كان اتيا اتانا كتب على صدره انا فتحنا لك فتحا مبينا وقص الرؤيا على خواصه وقال انهم قد وثقت بنصر الله تعالى وقيل الوقعة وردت كتب الصفار الى الخليفة وفيها خضوع وتضرع ويخبر بأنه لم يجئ الا لخدمة امير المؤمنين والتشرف بالمثول بين يديه والنظر اليه وان يموت تحت ركابه فقال المعتمد نحن في مخاريق الصفار بعد ما أعلموه أنه ماله عندي الا السيف وأمر الخليفة بالكتاب الى أبي أحمد عبد الله بن عبد الله بن طاهر وهو عم محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر يخبره بالفتح وخلاص ابن أخيه محمد بن طاهر فكتب اليه وهو يومئذ متولي الشرطة ببغداد نيابة عن أخيه المذكور فانه كان يتولى خراسان وشرطتي بغداد وسر من رأى وفي الكتاب فصول طويلة وحاصله أنه عدد ذنوب الصفار وما قابله الخليفة به من الاحسان والانعام وانه قلده خراسان والبلاد التي تقدم ذكرها قبل هذا وانه رفع مرتبته وأمر بتكنيته في كتبه وأقطعه الضياع السنية ولم يبق شيئا مما يتقرب به استصلاحه الا فعله فما زاده ذلك الا البغي والطغيان والتمس أشياء ان رد عنها قصد ابواب الخليفة لاثارة

الفتنة

الفتنة وابتغاء الغلبة فلم ير أمير المؤمنين اجابته الى ما التمسه وتابع الكتب بالرجوع الى اعماله الجليلة التى ولاه اياها وحذره التعرض لزوال النعم التى أنعم الله عليه بها فقد خالفه وعصاه وخرج عن طاعته وعرفه انه ان أقام على المصير الى الباب فقد عصاه وخرج عن طاعته ثم وجه اليه فى ذلك مرة بعد أخرى مع جماعة من القضاة والفقهاء والقواد وقدر بتوجيههم اليه أنه يرجع الى ما هو الزم به وأوجب عليه فأقام على سبيل واحد فى البغى والعناد والعصيان ولم يثنه الارشاد ولم يزل استحواذ الشيطان عليه يقوده الى الحين ويصده عن سبيل النجاة الى مهاوى الهلكة فلما تبين لأمير المؤمنين ذلك منه رأى ان يقضى عليه فى أمر مثله فنهض متوكلا على الله تعالى معتمدا على كفايته لدفع الملعون عما يحاوله وهو يغذ السير الى المصرع الذى سبق به قضاء الله تعالى فيه حتى توسط الطريق بين مدينة السلام وواسط واظهر اعلاما على بعضها الصلبان واستجد أهل الشرك على الايمان وبارز الله بسريرته ليسلمه بجريرته وفارق شرائع الاسلام واحكامه نقضا للعهود ونكثا وخفرا للذمة واعلانا للمشاقة فقدم أمير المؤمنين اخاه الموفق بالله أحمد ولى عهد المسلمين ومعه جماعة من موالى أمير المؤمنين الذين اخلصوا لله طاعتهم وثبت فى المحاماة عن دولته بصائرهم واتبعهم أمير المؤمنين الرغبة الى الله تعالى فى تاييدهم ونصرهم على عدوهم ولعنه أمير المؤمنين فى الاوقات والمواقف التى علم الله صدق نيته فيها وألحقه وبالها ووقف أمير المؤمنين يتامل ما يكون من أخيه ومواليه وأوليائه ويواصل الامداد والجيوش اليهم وكان الموفق بالله فى قلب العسكر فنهض الملعون عدو الله فى اشياع ضلالته قد ادرع العصيان وتسربل البغى واعتمد على وفور حشده وكثرة اشياعه واتباعه فلما تراءى الجمعان شهر عدو الله واشياع ضلالته السلاح واسرعوا الى موالى أمير المؤمنين واتباعه وأوليائه وشرعت فى الملعون وضلاله سيوف الحق باترة ورماحه طاعنة وسهامه نافذة حتى اثخن الملعون بالجراح ورأى اتباع ضلالته ما حل به فبادروا بالويل والثبور واكب عليهم موالى أمير المؤمنين وأولياؤه يقتلون فيهم و يأسرون منهم وعجل الله الى النار من جماعته من لا يحصى عدده ولم يزل الامر كذلك حتى انتزع أبو عبد الله محمد بن طاهر مولى أمير المؤمنين ما كان فى أيديهم وحسروا عن مستقرهم فولى الباقون منهزمين مغلولين لا يلوون على شئ وأسلم الله تعالى الملعون وهم وما كانوا حووه وملكوه فى سالف الايام التى املى الله تعالى لهم فيها اقطار الارض من الاموال والامتعة والاثاث والابل والدواب والبغال والحمير فأفاء الله على الموالى وسائر الاولياء وملكهم اياه وساروا به الى رحالهم وعلى الجملة فان هذا الكاتب اطال القول فى ذلك فاختصرته ثم كتب فى آخره وكتبه عبيد الله بن يحيى يوم الاربعاء لاثنى عشرة ليلة خلت من رجب سنة اثنتين وستين ومائتين ثم قال هذا المؤرخ بعد هذا ومضى الصفار منهزما الى واسط يتخطف أصحابه أهل القرى وتأخذ اسلحتهم

واسلابهم ولم يتبعه الموالى مخافة رجعته ولاشتغالهم بالنهب والكسب فامسكوا عنه ورجع الخليفة الى معسكره ثم رجع الصفار الى السوس وجبى الاموال ثم قصد تستر وحاصرها وأخذها ورتب فيها نائبا وكثر جمعه ثم رحل الى فارس فى شوال وكان الخليفة قد رجع الى المداين وأقام بها يومين ثم دخل بغداد ومنها الى سر من رأى ودخلها يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان ثم ذكر المؤرخ بعد هذا وورد الخبر الى الخليفة بوفاة يعقوب بن الليث الصفار يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة خلت من شوال والذى اصيب فى بيوت أمواله من العين أربعة آلاف ألف دينار ومن الورق خمسون ألف ألف درهم ووافى احمد بن الاصبغ يوم الخميس لسبع بقين من شوال وقد كان الخليفة انفذه ليصلح أمر يعقوب فانصرف من عند يعقوب فلما قرب من واسط اتصل به وفاة يعقوب وقد كان قلد خراسان وفارس وكرمان والرى وقم واصبهان وصيرت اليه الشرطتان ببغداد وسر من رأى على ان يوليهما من احب وعلى ان يوجه ثلث مايجبى من خراج البلاد التى يتولاها من جميع الاموال وتولى أخوه عمرو ابن الليث مكانه باجتماع عسكر يعقوب عليه ووردت كتب عمرو الى الموفق أخى الخليفة المعتمد على الله بالسمع والطاعة وان يتولى ما كان أخوه يتولاه فأجيب الى سؤاله وولاه فى ذى القعدة من السنة (قلت) سياقه هذا التاريخ يدل على ان يعقوب الصفار توفى فى بقية سنة اثنتين وستين ومائتين لانه حكى الوقعة فى هذه السنة وان يعقوب انهزم ثم قال عقيب هذا وورد الخبر بوفاة يعقوب فى شوال ولم يذكر السنة فيدل على موته فى تلك السنة والذى اعرفه من عدة تواريخ خلاف هذا فان أبا الحسين السلامى ذكر فى كتاب تاريخ ولاة خراسان فى أول الفصل المختص بعمرو بن الليث الصفار انه أصابه القولنج فاشير عليه بالعلاج فامتنع منه واختار الموت عليه فمات بجنديسابور من خوزستان يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة خلت من شوال من سنة خمس وستين ومائتين وقال أبو الوفا الفارسى رأيت على قبر يعقوب بن الليث صحيفة وقد كتبوا عليها

ملكت خراسان واكناف فارس • وما كنت من ملك العراق بآيس

سلام على الدنيا وطيب نسيمها • اذا لم يكن يعقوب فيها بجالس

ورأيت بخطى فى جملة مسودات ان يعقوب بن الليث الصفار توفى فى سنة خمس وستين ومائتين بالاهواز وحمل تابوته الى جنديسابور فدفن بها وكتب على قبره هذا قبر يعقوب المسكين وكتب بعده

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت • ولم تخف سوء ما يأتى به القدر

وسالمتك الليالى فاغتررت بها • وعند صفو الليالى يحدث الكدر

ورأيت بخطى أيضا فى موضع آخر انه توفى بجنديسابور ومات بها وبها قبره والله أعلم

وهو قاصد العراق فى التاريخ المذكور وكانت وفاته بعلة القولنج واخبره طبيبه ان لادواء له الا الحقنة فامتنع منها واختار الموت عليها وكانت مدة علته بالقولنج والفواق ستة عشر يوما ومدة تغلبه على سجستان وتلك النواحى أربع عشرة سنة وشهورا وذكر شيخنا ابن الاثير فى تاريخه فى سنة خمس وستين ومائتين انه مات فيها يعقوب بن الليث فى تاسع عشر شوال من السنة وذكر حديث القولنج وامتناعه من الحقنة وانه مات بجنديسابور من كور الاهواز (قلت) وهى من اعمال خوزستان بين العراق و بلاد فارس وقال شيخنا أيضا وكان الخليفة المعتمد قد انفذ اليه رسولا يترضاه ويستميله ويقلده اعمال فارس فوصل الرسول اليه ويعقوب مريض فجلس له وجعل عنده سيفا ورغيفا من خبز الخشكنان ومعه بصل وأحضر الرسول فأدى الرسالة وقال له قل للخليفة انى عليل فان مت فقد استرحت منك واسترحت منى وان عوفيت فليس بينى وبينك الا السيف هذا حتى اخذ بثارى أو تكسرنى وتفقرنى فاعود الى هذا الخبز والبصل وعاد الرسول فلم يلبث يعقوب ان مات وقال ابن حوقل فى كتاب المسالك والممالك ان جنديسابور مدينة خصبة واسعة الخير وبها نخل وزرع كثير ومياه وقطنها يعقوب بن الليث الصفار لخصبها واتصالها بالبر الكثير وكان الحسن بن زيد العلوى يسمى يعقوب السندان لثباته وكان قل أن يرى متبسما وكان عاقلا حازما وكان يقول كل من عاشرته أربعين يوما ولا تعرف اخلاقه لا تعرفها فى أربعين سنة ولما تولى عمرو أحسن فى التدبير والسياسة غاية الاحسان حتى يقال ما ادرك فى حسن السياسة للجنود والهداية الى قوانين المملكة منذ زمن طويل مثل عمرو بن الليث وذكر السلامى فى كتاب اخبار خراسان شيأ كثيرا من كفايته ونهضته وقيامه بقواعد المملكة والولاية فتركته طلبا للاختصار وذكر انه كان ينفق فى الجند فى كل ثلاثة أشهر مرة ويحضر بنفسه على ذلك وان عارض الجيش يقعد والاموال بين يديه والجند باسرهم حاضرون وينادى المنادى اولا باسم عمرو بن الليث فتقدم دابته الى العارض بجميع آلة الفارس فيفتقدها ويأمر بوزن ثلثمائة درهم باسم عمرو فتحمل اليه فى صرة فيأخذ الصرة فيقبلها ويقول الحمد لله الذى وفقنى لطاعة أمير المؤمنين حتى استوجبت منه الرزق ثم يضعها فى خفه فتكون لمن ينزع خفه ثم يدعى بعد ذلك باصحاب الرسوم على مراتبهم فيتعرض لالاتهم التامة ولدوابهم الفرهة ويطالبون بجميع ما يحتاج اليه الفارس والراجل من صغير آلة وكبيرها فان اخل باحضار شئ منها حرموه رزقه فاعترض يوما فارس كانت له دابة فى غاية الهزال فقال له عمرو يا هذا تاخذ ما لنا تنفقه على امرأتك فتسمنها وتهزل دابتك التى عليها تحارب وبها تجد الارزاق امض فليس لك عندى شئ فقال له الجندى جعلت لك الفدى لو اعترضت امرأتى لاستسمنت دابتى فضحك عمرو وأمر باعطائه وقال استبدل بدابتك (قلت)

ذكر القاضي كمال الدين المعروف بابن العديم الحنبلي في تاريخ حلب حكاية يليق
ان أذكرها هنا لانها مثل هذه الحكاية وهي كان كسرى انوشروان بن قباد
قد ولى رجلا من الكتاب نبيها معروفا بالعقل والكفاية يقال له بابك بن الهروان ديوان
الجند فقال لكسرى أيها الملك انك قلدتني أمرا من صلاحه ان تحتمل لي بعض الغلظة
في الامور وهي عرض الجنود في كل أربعة أشهر وآخذ كل طبقة بكمال آلتها ومحاسبة
المؤدبين على ما يأخذون على تأديب الرجال بالفروسية والرمي والنظر في مبالغتهم في ذلك
وتقصيرهم فان ذلك ذريعة الى اجراء السياسة مجاريها فقال كسرى ما الجواب
عما سأل بأحظى من المجيب لاشتراكهما في فضله وانفراد المجيب بعد بالراحة حقق مقالتك
وأمر فبنيت له في موضع العرض مصطبة وبسط له عليها الفرش الفاخرة ثم جلس
ونادى مناديه لا يبقى أحد من المقاتلة الا حضر للعرض فاجتمعوا ولم ير كسرى فيهم
فأمرهم فانصرفوا وفعل ذلك في اليوم الثاني ولم ير كسرى فيهم فأمرهم فانصرفوا
ونادى في اليوم الثالث أيها الناس لا يتخلفن من المقاتلة أحد ولا من اكرم
بالتاج والسرير فانه عرض لا رخصة فيه ولا محاباة فبلغ كسرى ذلك فتسلح بسلاحه
ثم ركب فاعترض على بابك وكان الذي يؤخذ به الفارس تجفافا ودرعا وجوشنا
وبيضة ومغفرا وساعدين وساقين ومجارترسا وحرزا تلزمه منطقه وطبرزينا وعمودا
وجعبة فيها قوسان بوترهما والاثنين نشابة ووترين ملويين يعلقهما الفارس
في مغفره ظهريا فاعترض كسرى على بابك بسلاح تام خلا الوترين اللذين يستظهر بهما
فلم يجز بابك على اسمه فذكر كسرى الوترين فعلقهما في مغفره واعترض على بابك
فاجاز على اسمه وقال لسيد الكماة أربعة آلاف درهم ودرهم وكان اكثر ماله من الرزق
اربعة آلاف درهم ففضل كسرى بدرهم واحد فلما قام بابك من مجلسه دخل على
كسرى فقال أيها الملك لا تلمني على ما كان من اغلاظي فما اردت به الا الدربة للمعدلة
والانصاف وحسم مادة المحاباة قال كسرى ما اغلظ علينا أحد فيما يريد به اقامة
أودنا وصلاح ملكنا الا احتملنا له غلظته كما حتمال الرجل شرب الدواء الكريه لما يرجوه من
منفعته (رجعنا الى تتمة اخبار عمرو بن الليث الصفار) قال السلامي أيضا كان رافع بن
هرثمة تبعا لابي نور وكان أبو نور أحد قواد محمد بن طاهر الخزاعي فلما وافى يعقوب
الصفار نيسابور كان أبو نور من جملة من مال يعقوب على محمد بن طاهر فلما انصرف
يعقوب الى سجستان صحبه أبو نور ومعه رافع بن هرثمة وكان رجلا طويل اللحية كريه
الوجه قليل الطلاقة فدخل يوما الى يعقوب فلما خرج من عنده قال يعقوب اني لا أميل
الى هذا الرجل فيلحق بحيث شاء فباع رافع جميع آلاته ثم انصرف الى منزله بيامين وهي
من قرى كنج ورستاقه وأقام هنالك الى ان استقدمه أحمد بن عبد الله الخجستاني
(وخجستان من جبل هراة من قرى باذغيس) وكان الخجستاني من اتباع يعقوب الصفار

ثم خلع طاعته وتغلب على نيسابور وبسطام في سنة احدى وستين ومائتين وكان يظهر الميل الى الطاهرية مستميلا بذلك قلوب أهل نيسابور اليه حتى انه كان يكتب في كتبه أحمد بن عبد الله الطاهري ثم كتب الخجستاني الى رافع ابن هرثمة وهو في بلده يستقدمه فقدم عليه فجعله صاحب جيشه وللخجستاني حروب ومواقف مشهورة وليس الغرض ذكر شئ منها ههنا ثم ان غلامين من غلمانه اتفقا عليه وقتلاه وقد سكر ونام وذلك في ليلة الاربعاء لست بقين من شوال سنة ثمان وستين ومائتين وكان رافع ابن هرثمة غائبا فقدم بعد ذلك على جيش الخجستاني فقدموه عليهم وبايعوه بمدينة هراة وقيل بنيسابور ثم عزل الموفق بالله عمرو بن الليث الصفار عن ولاية خراسان وجعلها الابي عبد الله محمد بن طاهر الخزاعي في سنة احدى وسبعين ومائتين وهو مقيم ببغداد فاستخلف محمد بن طاهر عليها رافع ابن هرثمة ماخلا اعمال ماوراء النهر فان الموفق بالله اقرعليها نصر بن أحمد بن اسد السامانى خليفة لمحمد بن طاهر ثم وردت كتب الموفق على رافع بقصد جرجان وطبرستان وكانتا للحسن بن زيد العلوى وتوفى سنة سبعين ومائتين واستولى عليهما أخوه محمد بن زيد فجاءه رافع في سنة أربع وسبعين ففارقهما محمد بن زيد الى استراباذ فحاصره بها رافع مدة سنتين ثم فارقها الملافى نفريسير الى بلاد الديلم واستولى رافع على طبرستان فى سنة سبع وسبعين ومائتين ثم توفى الخليفة المعتمد على الله في رجب سنة تسع وسبعين ومائتين وولى الخلافة بعده المعتضد بالله أبو العباس أحمد بن الموفق المذكور وولى المعتضد ابا ابراهيم اسماعيل بن احمد السامانى ماوراء النهر بعد وفاة أخيه أحمد بن نصر المذكور (قلت وكانت وفاة نصر لسبع بقين من جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين بسمرقند) قال وعزل رافع ابن هرثمة عن خراسان وولاها عمرو بن الليث وبقى رافع بالرى ثم انه هادن الملوك المجاورين له ليستعين بهم على عمرو بن الليث فلما تم له ذلك خرج الى نيسابور فواقعه عمرو بن الليث فى شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وثمانين ومائتين وهزمه عمرو وتبعه الى ابيورد وقصد رافع ان يخرج منها الى هراة او مرو فعلم عمرو ان مقصده سرخس فقصدها عمرو ليأخذ عليه الطريق فعلم رافع ذلك فخرج من ابيورد ومعه دليل فاخذبه على جبال طوس حتى اورده باب نيسابور فدخلها فعاد عمرو اليها وحاصره بها فانهزم رافع وأصحابه ووصل الى نواحى خوارزم على الجمازات وحمل معه ما كان من آلة ومال فى شرذمة قليلة وذلك يوم السبت لخمس بقين من شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين ومائتين فوجه اليه أمير خوارزم نائبا يقوم بخدمته وما يحتاج اليه الى ان يصل خوارزم فوجده النائب فى خف من أصحابه فقتله لسبع خلون من شوال يوم الجمعة سنة ثلاث وثمانين وحز راسه وحمله الى عمرو بن الليث وهو بنيسابور فأنفذ عمرو راسه الى المعتضد بالله ولم يكن رافع ابن هرثمة وانما هرثمة زوج أمه فانتسب رافع اليه لشهرته ورافع ابن نومرد

قال جرير الطبري في تاريخه في سنة ثلاث وثمانين وفي يوم الجمعة لثمان بقين من ذي
القعدة قرئت الكتب على المنابر بقتل رافع ابن هرثمة وقدم رسول عمرو بن الليث
الصفار برأس رافع الى بغداد يوم الخميس لاربع خلون من المحرم سنة أربع وثمانين
ومائتين على المعتضد فامر بنصبه في الجانب الشرقي الى الظهر ثم تحويله الى الجانب
الغربي بقية النهار الى الليل ثم ردوه الى دار السلطان قال السلامي وصفت خراسان الى
شط جيحون لعمرو بن الليث (قلت) وقد مدح البحتري الشاعر المشهور رافع ابن هرثمة
وكناه أبا يوسف في مديحه وأرسلها اليه فأرسل له عشرين ألف درهم وهو بالعراق قال
السلامي ولما توجه عمرو بن الليث برأس رافع بن هرثمة الى المعتضد سأل ان يوليه عمل
ماوراء النهر مثل ما كان برسم عبد الله بن طاهر فوعده بذلك ثم ارسل اليه المعتضد
هدايا توصلة وهو في نيسابور فأبى ان يقبلها دون الوفاء بما وعده من توليه اعمال
ماوراء النهر فكتب الرسول الى المكتفي بالله ابن المعتضد وكان بالري وعنده جماعة من
خواص أبيه بما سأله عمرو فانفذوا اليه العهد بما طلب فحمل اليه العهد والهدايا التي سيرها
له المعتضد بالله وامتنع من أخذها وكان في الهدايا سبعة دسوت خلع فوضعت بين
يديه وافاض عليه الرسول الخلع واحدة بعد أخرى وكلما لبس خلعة صلى ركعتين ثم وضع
العهد قدامه فقال ماهذا قال هذا الذي سألته فقال عمرو وما اصنع به فان اسماعيل
ابن أحمد لا يسلم الى ذلك الا بمائة ألف سيف فقال انت سألته فخذه الآن لتتولى العمل
في ناحيته فأخذ العهد وقبله ووضعه بين يديه ثم انفذ عمرو الى الرسول ومن معه سبعمائة
ألف درهم وصرفهم ثم جهز عمرو جيشا الى اسماعيل بن أحمد فعبر اسماعيل اليهم نهر
جيحون وقاتلهم فقتل بعضهم وبعضا وهزم الباقين وعمرو بن الليث الصفار في نيسابور
وكانت الوقعة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شوال سنة ست وثمانين
ومائتين وعاد اسماعيل الى بخارى وهي من اعمال ماوراء النهر قال السلامي انتدب
عمرو بن الليث لمحاربة اسماعيل بن محمد بن بشر فلما عبر اسماعيل جيحون دخل موسى
السجزي على محمد بن بشر وهو يحلق رأسه فقال له هل استأذنت اسماعيل في حلق
رأسك يعني ان رأسه لاسماعيل لانه انتصب لمحاربته فقال له محمد اعزب عني لعنك الله
ثم تحاربوا من الغد ثم انكشف اصحاب ابن بشر وقبضوا عليه وحزوا رأسه في جملة سائر
الرؤس وحملوها الى اسماعيل وادخلوا جماعة من أصحابه ليميزوا الرؤس عن رأس
ابن بشر فاعلم بعضهم اسماعيل بما قال موسى السجزي لابن بشر فتعجب مما جرى
الفال به وذكر الطبري في تاريخه في سنة سبع وثمانين ومائتين مامثاله وفي يوم
الاربعاء لخمس بقين من جمادى الاولى ورد كتاب فيما ذكر على السلطان انه كانت بين
اسماعيل بن أحمد وبين عمرو بن الليث وقعة فأسر عمرا واستباح عسكره وكان
من خبر عمرو واسماعيل ان عمرا سأل السلطان ان يوليه ماوراء النهر فولاه ذلك

ووجه اليه وهو مقيم بنيسابور بالخلع على ماوراء النهر لمحاربة اسماعيل بن أحمد فكتب اليه اسماعيل انك قد وليت دنيا عريضة وأنا في يدي ماوراء النهر وانا في ثغر فاقنع بما في يدك واتركني مقيما بهذا الثغر فأبى اجابته الى ذلك وذكر له من أمر نهر بلخ وشدة عبوره فقال عمرو لو شئت ان اسكره ببدر الاموال واعبره لفعلت فلما يئس اسماعيل من انصرافه عنه جمع من معه من الدهاقين وعبر النهر الى الجانب الغربي وجاء عمرو ابن الليث فنزل بلخ وأخذ اسماعيل عليه النواحي فصار كالمحاصر وندم على مافعل وطلب المحاجزة فيما ذكر فأبى اسماعيل عليه ذلك ولم يكن بينهم قتال كثير حتى هزم عمرو فولى هاربا فمر بأجمة في طريقه قيل له انها اقرب فقال لعامة من معه امضوا في الطريق الواضح ومضى في نفر يسير فدخل الاجمة ووحلت به دابته فوقعت ولم يكن له في نفسه حيلة ومضى من معه ولم يلووا عليه وجاء أصحاب اسماعيل فأخذوه اسيرا فلما بلغ المعتضد ماجرى مدح اسماعيل وذم عمرا وقال يقلد أبو ابراهيم اسماعيل كل ما في يد عمرو ويوجه اليه بالخلع ثم ذكر الطبري أيضا في سنة ثمان وثمانين ومائتين ما مثاله وفي أول جمادى الاولى يوم الخميس ادخل عمرو بن الليث بغداد وذكر لي ان اسماعيل ابن أحمد خيره بين المقام عنده أسيرا وبين توجيهه الى أمير المؤمنين فاختار توجيهه الى أمير المؤمنين فوجهه وقال السلامي في اخبار خراسان ثم خرج عمرو الى بلخ فلاقاه بها اسماعيل فهزمه وقبض عليه وذلك يوم الثلاثاء النصف من ربيع الاول سنة سبع وثمانين ومائتين وانفذه مقيدا الى سمرقند (قلت وهي من بلاد ماوراء النهر ايضا والنهر هو جيحون) قال وضم اليه أخاه أبا يوسف ليخدمه الى ان ورد عليه من عند المعتضد عبد الله بن الفتح بعهد خراسان واللواء والتاج والخلع في سنة ثمان وثمانين وقدم معه اشناس ليتولى حمل عمرو بن الليث الى بغداد فسلمه اسماعيل اليه فحمله وقال ابن أبي طاهر المذكور قبل هذا في تاريخه ان عمرو بن الليث الصفار انهزم وقتل خلق كثير من أصحابه وكانت الوقعة على باب بلخ يوم الاربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ربيع الآخر سنة سبع وثمانين ومائتين وقبل ذلك هرب ابن أبي ربيعة كاتب عمرو بن الليث الى اسماعيل بن أحمد ومعه قائد من قواده في خلق كثير فاصبح عمرو في يوم الوقعة وقد عرف الخبر ثم كثر هرب أصحابه الى اسماعيل فضعف قلب عمرو وهرب واشتغل اسماعيل بالعسكر وبعث في طلب عمرو جيشا فوجدوه واقفا على فرس فقبضوا عليه وسيره اسماعيل الى المعتضد واخبره بما جرى وانه سيره الى سمرقند حتى يرد عليه أمير المؤمنين فاشتد سرور الخليفة بذلك وقلد الخليفة اسماعيل ما كان مقلده عمرو مضافا الى عمله وتوجه عبد الله بن الفتح الى اسماعيل في طلب عمرو فلما وصل الى اسماعيل وجهه اليه فاحضر عمرا فقيده فارسله والى جانبه رجل من أصحاب اسماعيل بيده سيف مشهور وقيل لعمرو ان تحرك في امرك احد برمينا رأسك اليهم

فلم يتحرك أحد ووصلوا الى النهروان يوم الثلاثا لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وحمل قيد عمرو فلما كان يوم الخميس مستهل جمادى الاولى ركب الجند للقائه وعمرو في القبة قد ارخى جلالها عليه فلما بلغ باب السلامة انزل عمرو من القبة والبس دراعة ديباج وبرنس السخط وحمل على جمل له سنامان يقال له اذا كان ضخما على هذه الصورة الفالج في غاية الارتفاع وكان عمرو قد اهداه فيما اهدى للخليفة وقد ألبس الجمل الديباج وحلي بذوائب وأرسان مفضضة وادخل بغداد فاشتقها في الشارع الاعظم الى دار الخليفة بقصر الحسنى وعمرو رافع يديه يدعو ويتضرع دعاءه منه فرقت له العامة وأمسكت عن الدعاء عليه ثم ادخل الى الخليفة وقد جلس له واحتفل به فوقف بين يديه ساعة وبينهما قدر خمسين ذراعا وقال له هذا بغيك يا عمرو ثم اخرج من بين يديه الى حجرة قد أعدت له وكان أخوه يعقوب الصفار قد تزوج امرأة من العرب من بلد سجستان فلما توفي يعقوب تزوجها أخوه عمرو ثم توفيت ولم تخلف ولدا وكان لها ألف وسبعمائة جارية قال بعضهم كنت عند أبي علي الحسين بن محمد بن فهم المحدث فدخل رجل من أصحاب الحديث فقال له يا أبا علي رأيت عمرو بن الصفار امس على جمل فالج من الجمال التي كان اهداها عمرو منذ ثلاث سنين الى الخليفة فانشد أبو علي

وحسبك بالصفار نبلا وعزة * يروح ويغدو في الجيوش أميرا
حباهم بأجمال ولم يدر أنه * على جمل منها يقاد اسيرا

وعمل في ذلك علي بن محمد بن نصر بن بسام الشاعر المقدم ذكره

ايها المغتر بالدنيا * اما ابصرت عمرا
اركب الفالج بعد الملك والعزة قسرا
وعليه برنس السخط اذلالا وقهرا
رافعا كفيه يدعو الله اسرارا وجهرا
ان ينجيه من القتل وان يمهل دهرا

قال الطبري وتوفي المعتضد بالله ليلة الاثنين لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين وتولى الخلافة ولده المكتفي بالله أبو محمد علي وكان غائبا في الرقة عند موت أبيه فقدم بغداد وأمر يوم الثلاثاء لثمان خلون من جمادى الآخرة من السنة المذكورة بهدم المطامير التي كان أبوه احتفرها لاجل الجرائم ومات عمرو بن الليث الصفار في غد هذا اليوم ودفن بالقرب من القصر الحسني وقد كان المعتضد عند موته لما امتنع من الكلام أمر بقتل عمرو بالايماء والاشارة ووضع يده على رقبته وعلى عينه أي اذبح الاعور وكان عمرو اعور فلم يفعل صافي الحرمي ذلك وهو الذي أمره المعتضد بقتله وانما امتنع من قتله لعلمه بحال المعتضد وقرب وفاته وكره قتل عمرو ولما دخل المكتفي

بغداد

بغداد يسال فيما قيل القسم بن عبد الله عن عمرو أخي هو فقال نعم فسر بحياته وقال أريد أن أحسن اليه وكان عمرو يهدى الى المكتفى ويسير اليه برا كثيرا ايام مقامه بالرى فى حياة أبيه المعتضد فذكران القسم كره سؤاله عنه ودس اليه من قتله وكانت مدة مملكته اثنتين وعشرين سنة تقريبا (قلت) وانما قيل ليعقوب الصفار لانه كان يعمل الصفر وهو النحاس وهو بضم الصاد المهملة وسكون الفاء وبعدها راء وكان أخوه عمرو يكرى الحمير (حكى) شيخ من الصفارين قال كان يعقوب وهو غلام فى دكانه يتعلم عمل الصفر ولم ازل اتامل بين عينيه وهو صغير ما آل امره اليه قيل له وكيف ذلك قال ما تاملته قط من حيث لا يعلم بتاملى اياه الا وجدته مطرقا اطراق ذى همة وفكر وروية فكان من أمره ما كان وقال على بن المرزبانى الاصفهانى الكاتب سألت بعض أصحاب بنى الصفار عن عمرو بن الليث أخى يعقوب الصفار وصناعته وعمرو يومئذ محبوس بمدينة السلام فسكت عنى فلما توفى عمرو قال لى كنت سألتنى عن عمرو وصناعته ولم يكن من الحزم اخبارك وهو يرجى ويخشى فاعلم الآن انه لم يزل مكاريا الى ان عظم شأن أخيه يعقوب وتمكن من خراسان فلحق به وترك اكراء الحمير (قلت) ذكر جماعة من أرباب التواريخ فى كتبهم ان ابا احمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعى المقدم ذكره فى هذا التاريخ كان يقول عجائب الدنيا ثلاث جيش العباس بن عمرو الغنوى يؤسر العباس وحده وينجو من القتل ثم يطلق ويقتل جميع جيشه وكانوا عشرة آلاف وجيش عمرو بن الليث يؤسر عمرو وحده ويموت فى السجن ويسلم جميع جيشه وكانوا خمسين ألفا وانا أترك فى بيتى بطالا ويولى ابنى العباس الجسرين ببغداد (قلت) وكان من حديث العباس بن عمرو الغنوى ان القرامطة لما اشتد أمرهم وانتشروا فى البلاد وبالغوا فى القتل ارسل اليهم المعتضد بالله فى سنة سبع وثمانين ومائتين جيشا مقدمه العباس المذكور فأسره أبو سعيد القرمطى رئيس القرامطة فى الوقعة وأسر جميع من معه من الجيش وفى اليوم الثانى من الوقعة احضر أبو سعيد القرمطى الاسرى فقتلهم بأسرهم واحرقهم واطلق العباس فجاء الى المعتضد وحده وكان ذلك فى آخر شعبان من السنة وكانت الوقعة بين البصرة والبحرين وهى قصة طويلة مشهورة وهذا خلاصتها اذ ليس هذا موضع التطويل فى شرحها وسيأتى ذكرها مع الاستقصاء فى التاريخ الكبير ان شاء الله تعالى (قلت) والبيتان المذكوران قبل هذا وانهما مكتوبان على قبر يعقوب الصفار وآخر البيت الاول منهما

* وما كنت من ملك العراق بآيس * هذا نصف بيت من جملة أبيات ترنم بها معاوية بن أبى سفيان الاموى لما تغلب على الشام وجاءه جرير بن عبد الله البجلى برسالة من على بن أبى طالب رضى الله عنه وكان على اذ ذاك مقيما بالكوفة فلما ادى جرير الرسالة الى معاوية وانفض المجلس أمر معاوية بنزول جرير فى مكان قريب منه

وجعل يترنم بهذه الابيات تلك الليلة ليسمع جريرفيعيد ذلك على علي رضي الله عنه والابيات المشار اليها هي

تطاول ليلي واعترانى وساوس * لآت اتى بالترهات البسابس
اتانى جرير والحوادث جمة * بتلك التي فيها اجتداع المعاطس
اكابدها والسيف بيني وبينه * ولست لاثواب الدنى بلابس
ان الشام اعطت طاعة يمنية * تواصفها اشياخها في المجالس
فان يفعلوا أصدر عليا بجبهة * تغث عليه كل رطب ويابس
وانى لارجو فوق ما انا سائل * وما انا من ملك العراق بآيس

(قلت) الترهات بضم التاء المثناة من فوقها وتشديد الراء وبعد الهاء والالف تاء ثانية والبسابس بفتح الباء الموحدة وبعدها سين مهملة وبعد الالف باء ثانية مكسورة ثم سين ثانية وهى الباطل واصل الترهات الطرق الصغار غير الجادة تتشعب عنها الواحدة ترهة فارسى معرب ثم استعير في الباطل فقيل الترهات البسابس والجبهة الخيل والجبهة الجماعة من الناس أيضا فكانه قال اصدره بالخيل والرجال والباقى معروف لاحاجة الى تفسيره ورأيت بخط بعض أهل هذا الفن ان عمرو بن الليث لما اسر ملك بعده بلاد فارس حفيده طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث المذكور لاثنتى عشرة ليلة بقيت من صفر سنة ثمان وثمانين ومائتين ثم قبض عليه غلام جده سبك السبكرى في سنة ست وتسعين ومائتين ومعه أخوه يعقوب بن محمد وبعث بهما الى مدينة السلام ثم ولى بعده الليث بن على بن الليث وهو ابن أخى يعقوب وعمرو بن الليث المذكورين كان تغلب على بلاد سجستان في سنة ست وتسعين ومائتين وجرى بين سبك السبكرى وطاهر بن محمد المذكور ما جرى واستقرت البلاد بيد السبكرى فاستخلف الليث المذكور على سجستان اخاه المعذل بن الليث وسار الى بلاد فارس فهرب السبكرى منه يطلب من الخليفة النجدة فجرد المقتدر بالله الجيوش في شهر رمضان سنة ست وتسعين وتقدم عليها مؤنسا المظفر وبدرا الكبير والحسين بن حمدان والتقوا مع الليث بن على فانهزم جيشه وأسر هو وأخوه محمد وابنه اسماعيل وعاد مؤنس الى بغداد ومعه الاسرى في المحرم سنة سبع وتسعين وشهر الليث بن على على الفيل وولى المعذل ابن على بن الليث على سجستان فسار اليه أحمد بن اسماعيل السامانى في خلق كثير من الفارس والراجل فأخذ منه البلاد ثم ملك سبك السبكرى الصفارى مدة ثم حمل معه محمد بن على بن الليث الى بغداد وانقضى أمر الصفارية والله أعلم

أبو يوسف يعقوب بن أبى يعقوب يوسف بن أبى محمد عبد المؤمن بن على القيسى الكومى صاحب بلاد المغرب

قد تقدم ذكر جده عبد المؤمن وسيأتى ذكر أبيه يوسف ان شاء الله تعالى كان صافى

السمرة جدا الى الطول ماهو جميل الوجه افوه اعين شديد الكحل ضخم الاعضا جوهري الصوت جزل الالفاظ من اصدق الناس لهجة واحسنهم حديثا واكثرهم اصابة بالظن مجربا للامور ولي وزارة أبيه فبحث عن الاحوال بحثا شافيا وطالع مقاصد العمال والولاة وغيرهم مطالعة افادته معرفة جزئيات الامور ولما مات ابوه في التاريخ الآتي في ترجمته إن شاء الله تعالى اجتمع راي أشياخ الموحدين وبني عبد المؤمن على تقديمه فبايعوه وعقدوا له الولاية ودعوه أمير المؤمنين كابيه وجده ولقبوه المنصور فقام بالامر احسن قيام وهو الذي اظهر أبهة ملكهم ورفع راية الجهاد ونصب ميزان العدل وبسط احكام الناس على حقيقة الشرع ونظر في امور الدين والورع والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واقام الحدود حتى في اهله وعشيرته الاقربين كما اقامها في سائر الناس اجمعين فاستقامت الاحوال في ايامه وعظمت الفتوحات ولما مات أبوه كان معه في الصحبة فباشر تدبير المملكة من هنالك واول مارتب قواعد بلاد الاندلس فاصلح شأنها وقرر المقاتلين في مراكزها ومهد مصالحها في مدة شهرين وأمر بقراءة البسملة في أول الفاتحة في الصلوات وارسل بذلك الى سائر بلاد الاسلام التي في مملكته فاجاب قوم وامتنع اخرون ثم عاد الى مراكش التي هي كرسي ملكهم فخرج عليه علي بن اسحاق بن محمد بن علي بن غانية المستولي الملثم من جزيرة ميورقة في شعبان سنة ثمانين وملك بجاية وما حولها فجهز اليه الامير يعقوب عشرين ألف فارس وأسطولا في البحر ثم خرج بنفسه في اول سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة فاستعاد ما أخذ من البلاد ثم عاد الى مراكش وفي سنة ست وثمانين بلغه ان الفرنج ملكوا مدينة شلب وهي في غرب جزيرة الاندلس فتجهز اليها بنفسه وحاصرها واخذها وأنفذ في الوقت جيشا من الموحدين ومعه جماعة من العرب ففتحوا اربع مدن من بلاد الفرنج كانوا قد أخذوها من المسلمين قبل ذلك باربعين سنة وخافه صاحب طليطلة وسأله الصلح فصالحه خمس سنين وعاد الى مراكش فلما انقضت مدة الهدنة ولم يبق منها سوى القليل خرجت طائفة من الفرنج في جيش كثيف الى بلاد المسلمين فنهبوا وسبوا وعاثوا عيثا فظيعا فانتهى الخبر الى الامير يعقوب وهو بمراكش فتجهز لقصدهم في جحفل عرمرم من قبائل الموحدين والعرب واحتفل وجاز الى الاندلس وذلك في سنة احدى وتسعين وخمسمائة فعلم الفرنج به فجمعوا خلقا كثيرا من اقاصي بلادهم وأدانيها واقبلوا نحوه (قلت) ورأيت بدمشق في اواخر سنة ثمان وستين وستمائة جزءا بخط الشيخ تاج الدين عبد الله بن حمويه شيخ الشيوخ كان بها وكان قد سافر الى مراكش وأقام بها مدة وكتب فصولا تتعلق بتلك الدولة فمن ذلك فصل يتعلق بهذه الوقعة فينبغي ذكره ههنا فقال لما انقضت الهدنة بين الامير أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن صاحب المملكة الغربية وبين الاذفونش الفرنجي صاحب غرب

جزيرة الاندلس وقاعدة مملكته يومئذ طليطلة وذلك فى اواخر سنة تسعين وخمسمائة عزم الامير يعقوب وهو حينئذ بمراكش على التوجه الى جزيرة الاندلس لمحاربة الفرنج وكتب الى ولاة الاطراف وقواد الجيوش بالحضور وخرج الى مدينة سلا ليكون اجتماع العساكر بظاهرها فاتفق انه مرض مرضا شديدا حتى أيس منه اطباؤه فتوقف الحال عن تدبير ذلك الجيش فحمل الامير يعقوب الى مراكش فطمع المجاورون له من العرب وغيرهم فى البلاد وعاثوا فيها واغاروا على النواحى والاطراف وكذلك فعل الاذفونش فيما يليه من بلاد المسلمين بالاندلس واقتضى الحال تفرقة جيوش الامير يعقوب شرقا وغربا واشتغلوا بالمدافعة والممانعة فكثر طمع الاذفونش فى البلاد وبعث رسولا الى الامير يعقوب يتهدد ويتوعد ويطلب بعض الحصون المتاخمة له من بلاد الاندلس وكتب اليه رسالة من انشاء وزير له يعرف بابن الفخار وهى باسمك اللهم فاطر السموات والارض وصلى الله على السيد المسيح روح الله وكلمته الرسول الفصيح أما بعد فانه لا يخفى على ذى ذهن ثاقب ولا ذى عقل لازب انك امير الملة الحنيفية كما أنى أمير الملة النصرانية وقد علمت الآن ما عليه رؤساء أهل الاندلس من التخاذل والتواكل واهمال الرعية واخلادهم الى الراحة وانا اسومهم بحكم القهر وخلاء الديار واسبى الذرارى وامثل بالرجال ولا عذر لك فى التخلف عن نصرهم اذا امكنتك يد القدرة وأنتم تزعمون أن الله تعالى فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم فالآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحد منا لا تستطيعون دفاعا ولا تملكون امتناعا وقد حكى لى عنك انك أخذت فى الاحتفال واشرفت على ربوة القتال وتماطل نفسك عاما بعد عام تقدم رجلا وتؤخر اخرى فلا ادرى أكان الجبن قد أبطأ بك ام التكذيب بما وعد ربك ثم قيل لى انك لا تجد الى جواز البحر سبيلا لعلة لا يسوغ لك التقحم معها وها أنا اقول لك ما فيه الراحة لك وأعتذر لك وعنك على ان تفى بالعهود والمواثيق والاستكثار من الرهان وترسل الى جملة من عبيدك بالمراكب والشوانى والطرائد والمسطحات واجوز بجملتى اليك واقاتلك فى اعز الاماكن لديك فان كانت لك فغنيمة كبيرة جلبت اليك وهدية عظيمة مثلت بين يديك وان كانت لى كانت يدى العليا عليك واستحققت امارة الملتين والحكم على البرين والله تعالى يوفق للسعادة ويسهل الارادة لا رب غيره ولا خير الا خيره ان شاء الله تعالى فلما وصل كتابه الى الامير يعقوب مزقه وكتب على ظهر قطعة منه ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون الجواب ما ترى لا ما تسمع وكتب اليه

ولا كتب الا المشرفية والقنا • ولا رسل الا الخميس العرمرم

قلت وهذا البيت للمتنبى ثم أمر بكتب الاستنفار واستدعى الجيوش من الامصار

وضرب السرادقات بظاهر البلد من يومه وجمع العساكر وسار الى البحر المعروف بزقاق سبتة فعبر فيه الى الاندلس وسار الى ان دخل بلاد الفرنج وقد اعتدوا واحتشدوا وتأهبوا فكسرهم كسرة شنيعة وذلك فى سنة اثنين وتسعين وخمسمائة انتهى مانقلته من الجزء المذكور (قلت) ثم وجدت فى كتاب تذكرة العاقل وتنبيه الغافل تأليف أبى الحجاج يوسف بن محمد بن ابراهيم الانصارى البياسى هذه المكاتبة وجوابها قد كتبها الاذفونش بن فردكند الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الآتى ذكره بعد هذا ان شاء الله تعالى وجواب يوسف على هذه الصورة أيضا والله أعلم (قلت) وذكر البياسى بعد هذا مايدل على انه نقلها من خط ابن الصيرفى الكاتب المصرى فان كان كذلك فما يمكن ان تكون هذه الرسالة الى يعقوب بن يوسف لان ابن الصيرفى متقدم التاريخ على زمان يعقوب بكثير والله أعلم ورأيت جماعة من فضلاء المغاربة ينكرون هذا التاريخ ويذكرون مانشرحه ان شاء الله تعالى وهو ان الفرنج جمعوا جمعا عظيما وقصدوه وبلغ الامير يعقوب خبر مسيرهم وكثرة جموعهم فهاله ذلك وجد فى السير نحوهم حتى التقوا فى شمالى قرطبة على قرب قلعة رباح فى مرج الحديد وفيه نهر شقة فعبر الى منزله الفرنج وصافهم وذلك يوم الخميس التاسع من شعبان سنة احدى وتسعين وخمسمائة واقتفى فى ذلك طريقة أبيه وجده فانهما أكثر ما كانوا يصافون يوم الخميس ومعظم حركاتهم فى صفر ووقع القتال وبرزت الابطال وصبرت الرجال فأمر الامير يعقوب فرسان الموحدين وأمراء العرب ان يحملوا ففعلوا وانهزم الفرنج وعمل فيهم السيف واستأصلهم وما نجا ملكهم الا فى نفر يسير ولولا دخول الليل لم يبق منهم أحد وغنم المسلمون باموالهم حتى قيل ان الذى حصل لبيت المال من دروعهم ستون الف درع وأما الدواب على اختلاف أنواعها فلم يحصر لها عدد ولم يسمع فى بلاد الاندلس بكسرة مثلها ومن عادة الموحدين انهم لايأسرون مشركا محاربا ان ظفروا به ولو كان ملكا عظيما بل تضرب رقابهم كثروا او قلوا فلما اصبح جيش المسلمين اتبعوهم فألفوهم قد أخلوا قلعة رباح لما داخلهم من الرعب فملكها الامير يعقوب وجعل فيها واليا وجيشا ولكثرة ما حصل له من الغنائم لم يمكنه الدخول الى بلاد الفرنج فى ذلك الوقت فعاد الى مدينة طليطلة وحاصرها وقاتلها اشد قتال وقطع اشجارها وشن الغارات على بلادها وأخذ من اعمالها حصونا كثيرة وقتل رجالها وسبى حريمها وخرب بنيانها وهدم اسوارها وترك الفرنج فى اسوأ حال ولم يبرز اليه أحد من المقاتلة ثم رجع الى اشبيلية وأقام بها الى اثناء سنة ثلاث وتسعين فعاد الى بلاد الفرنج مرة ثالثة وفعل فيها كفعله المتقدم فلم يبق للفرنج قدرة على لقائه وضاقت عليهم الارض بما رحبت فارسلوا اليه يلتمسون منه الصلح فاجابهم الى ذلك لما بلغه من اخبار على بن اسحاق الميورقى المتقدم ذكره فى هذه الترجمة فانه كان قد خرج على بلاد افريقية

وخرب أكثر بلادها وتوجه نحو الغرب وسولت له نفسه النزول على بجاية لما علم من اشتغال الامير يعقوب بجزيرة الاندلس والجهاد فيها وتأخره عن بلاد المغرب مدة ثلاث سنين فأوقع الصلح بينه وبين ملوك بلاد الاندلس جميعا على ما اختاره لمدة خمس سنين ثم عاد الى مراكش فى أواخر سنة ثلاث وتسعين ولما وصل اليها أمر باتخاذ الاحواض والروايا وآلات السفر للتوجه الى بلاد افريقية فاجتمع اليه مشايخ الموحدين وقالوا له ياسيدنا قد طالت غيبتنا بالاندلس فنا من له خمس سنين وغير ذلك فتنعم علينا بالمهلة هذا العام وتكون الحركة فى اول سنة خمس وتسعين فاجابهم الى سؤالهم وانتقل الى مدينة سلا وشاهد ما فيها من المنتزهات المعدة له وكان قد بنى بالقرب من المدينة المذكورة مدينة عظيمة سماها رباط الفتح على هيئة الاسكندرية فى الاتساع وحسن التقسيم واتقان البناء وتحصينه وتحسينه وبناها على البحر المحيط الذى هنالك وهى على نهر سلا مقابلة لها من البر القبلى وطاف تلك البلاد ودخل فيها ثم رجع الى مراكش (قلت) وبعد هذا اختلفت الروايات فى أمره فمن الناس من يقول انه ترك ما كان فيه وتجرد وساح فى الارض حتى انتهى الى بلاد الشرق وهو مستخف لا يعرف ومات خاملا ومنهم من يقول انه لما رجع الى مراكش كما ذكرناه توفى فى غرة جمادى الاولى وقيل فى شهر ربيع الآخر فى سابع عشر وقيل فى غرة صفر ولم ينقل شئ من أحواله بعد ذلك الى حين وفاته سنة خمس وتسعين وخمسمائة بمراكش وقيل بمدينة سلا رحمه الله تعالى وكانت ولادته على ما ذكره ليلة الاربعاء رابع شهر ربيع الاول سنة أربع وخمسين وخمسمائة رحمه الله تعالى (قلت) ثم حكى لى جمع كثير بدمشق فى شهر شوال سنة ثمانين وستمائة ان بالقرب من المجدل البليدة التى من اعمال البقاع العزيزى قرية يقال لها حمارة والى جانبها مشهد يعرف بقبر الامير يعقوب ملك الغرب وكل أهل تلك النواحى متفقون على ذلك وليس عندهم فيه خلاف وهذا القبر بينه وبين المجدل مقدار فرسخين من جهتها القبلية بغرب والله أعلم وكان ملكا جوادا عادلا متمسكا بالشرع المطهر يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر كما ينبغى من غير محاباة ويصلى بالناس الصلوات الخمس ويلبس الصوف ويقف للمرأة وللضعيف ويأخذ لهم بالحق واوصى ان يدفن على قارعة الطريق ليترحم عليه من يمر به وسمعت عنه حكاية يليق ان نذكرها هنا وهى ان الامير الشيخ أبا محمد عبد الواحد بن الشيخ أبى حفص عمر والد الامير أبى زكريا يحيى بن عبد الواحد صاحب افريقية كان قد تزوج أخت الامير يعقوب المذكور وأقامت عنده ثم جرت بينهما منافرة فجاءت الى بيت أخيها الامير يعقوب فسير الامير عبد الواحد فى طلبها فامتنعت عليه فشكا الامير عبد الواحد الى قاضى الجماعة بمراكش وهو القاضى أبو عبد الله محمد بن على بن مروان فاجتمع القاضى المذكور بالامير يعقوب وقال له ان الشيخ أبا محمد

عبد الواحد يطلب أهله فسكت الامير يعقوب ومضى على ذلك أيام ثم ان الشيخ عبد الواحد اجتمع بالقاضي المذكور في قصر الامير يعقوب بمراكش وقال له أنت قاضي المسلمين وقد طلبت أهلي فما جاءوني فاجتمع القاضي بالامير يعقوب وقال له يا أمير المؤمنين الشيخ عبد الواحد قد طلب أهله مرة وهذه الثانية فسكت الامير يعقوب ثم بعد ذلك بعدة لقي الشيخ عبد الواحد القاضي بالقصر المذكور وقد جاء الى خدمة الامير يعقوب فقال له يا قاضي المسلمين قد قلت لك مرتين وهذه الثالثة انا اطلب اهلي وقد منعوني عنهم فاجتمع القاضي بالامير يعقوب وقال له يا مولانا ان الشيخ عبد الواحد قد تكرر طلبه لاهله فاما ان تسير اليه أهله والا فاعزلني عن القضاء فسكت الامير يعقوب وقيل انه قال له يا أبا عبد الله ماهذا الاجد كبير ثم استدعى خادما وقال له في السر تحمل أهل الشيخ عبد الواحد اليه فحملت اليه في ذلك النهار ولم يتغير على القاضي ولا قال له شيأ يكرهه وتبع في ذلك حكم الشرع الطاهر وانقاد لاوامره وهذه حسنة تعد له وللقاضي أيضا فانه بالغ في اقامة منار الشرع والعدل وكان الامير أبو يوسف يعقوب يشدد في الزام الرعية باقامة الصلوات الخمس وقتل في بعض الاحيان على شرب الخمر وقتل العمال الذين تشكو الرعايا منهم وأمر برفض فروع الفقه وان الفقهاء لا يفتون الا بالكتاب والسنة النبوية ولا يقلدون أحدا من الائمة المجتهدين المتقدمين بل تكون احكامهم بما يؤدي اليه اجتهادهم من استنباطهم القضايا من الكتاب والحديث والاجماع والقياس ولقد أدركنا جماعة من مشايخ المغرب وصلوا الينا بالبلاد وهم على ذلك الطريق مثل أبي الخطاب بن دحية وأخيه أبي عمرو ومحيي الدين بن العربي نزيل دمشق وغيرهم وكان يعاقب على ترك الصلوات ويأمر بالنداء في الاسواق بالمبادرة اليها فمن غفل عنها أو اشتغل بمعيشته عزره تعزيرا بالغا وكان قد عظم ملكه واتسعت دائرة سلطنته حتى انه لم يبق بجميع اقطار بلاد المغرب من البحر المحيط الى برقة الا من هو في طاعته وداخل في ولايته الى غير ذلك من جزيرة الاندلس وكان محسنا محبا للعلماء مقربا للادباء مصغيا الى المدح مثيبا عليه وله الف أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي كتابه الذي سماه صفوة الادب وديوان العرب في مختار الشعر وهو مجموع مليح أحسن في اختياره كل الاحسان والى الامير يعقوب تنسب الدنانير اليعقوبية المغربية وكان قد أرسل اليه السلطان صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب الآتي ذكره ان شاء الله تعالى رسولا من بني منقذ في سنة سبع وثمانين وخمسمائة ليستنجده على الفرنج الواصلين من بلاد المغرب الى الديار المصرية وساحل الشام ولم يخاطبه بأمير المؤمنين بل خاطبه بامير المسلمين فعز ذلك عليه ولم يجبه الى ما طلبه منه والرسول المذكور هو شمس الدولة أبو الحرث عبد الرحمن بن نجم الدولة أبي عبد الله محمد بن مرشد وقد سبق في ترجمة عمه اسامة بن منقذ تتمة نسبه هكذا ذكره

الحافظ زكى الدين عبد العظيم المنذرى فى كتاب الوفيات وقال توفى سنة ستمائة بالقاهرة ومولده فى شهر سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة وله نظم ونثر (رجعنا الى حديث يعقوب) وكان من شعراء دولته أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجبر الاندلسى المرسى ولقد نظرت فى ديوانه فوجدت أكثر مدائحه فى الامير يعقوب فمن ذلك قوله

اتراه يترك الغزلا • وعليه شب وا كتهلا
كلف بالغيد ما عقلت • نفسه السلوان مذ عقلا
غير راض عن سجية من • ذاق طعم الحب ثم سلا
ايها اللوام ويحكمو • ان لى عن لومكم شغلا
ثقلت عن لومكم اذن • لم يجد فيها الهوى ثقلا
تسمع النجوى وان خفيت • وهى ليست تسمع العذلا
نظرت عينى لشقوتها • نظرات وافقت اجلا
غادة لما مثلت لها • تركتنى فى الهوى مثلا
هى زينى الشباب فقد • صار فى اجفانها كحلا
ابطل الحق الذى يبدى • سحر عينيها وما بطلا
عرضت دلا فاذ نظرت • بولوعى اعرضت خجلا
وبدالى انها وجلت • من هنات تبعث الوجلا
حسبت انى سأسرقها • اذ رأت رأسى قد اشتعلا
يا اسراة الحى مثلكمو • يتلافى الحادث الجللا
قد نزلنا فى جواركمو • فشكرنا ذلك النزلا
ثم واجهنا ظباءكمو • فلقينا الهول والوهلا
اضمنتم امن جيرتكم • مثل ما امنتم السبلا
واردتم غضب انفسهم • فبثثتم بينها المقلا
ليتنا خضنا السيوف ولم • نلق تلك الاعين النجلا
عارضتنا منكم فتنة • احدثت فى عهدنا دخلا
نعليات جفونهمو • وهمو لم يعرفوا ثعلا
اشرعوا الاعطاف ناعمة • حين اشرعن القنا الذبلا
واستفزتنا عيونهمو • فخلعنا البيض والاسلا
ورمتنا بالسهام فلم • نر الا الحلى والحللا
نصروا بالحسن فانتهبوا • كل قلب بالهوى جذلا
عطلتنى الغيد من جلدى • واذا حليتها الغزلا

حملت نفسي على متن * سمتها صبرا فما احتملا
ثم قالت سوف تتركها * سلبا للحب او نفلا
قلت اما وهى قد علقت * يا امير المؤمنين فلا
ما عدا انا مثلها ملكا * من رآه ادرك الاملا
اودع الاحسان صفحته * ماء بشر ينقع العللا
فاذا ما الجود حركه * فاض فى يمناه فانهملا

قلت وهى قصيدة طويلة عدد أبياتها مائة وسبعة أبيات فنقتصر منها على هذا المقدار وكانت وفاة هذا الشاعر يوم الاضحى فى سنة سبع وثمانين وخمسمائة بمراكش وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ودخل الاديب أبو اسحاق ابراهيم بن يعقوب الكانمى الاسود الشاعر على الامير يعقوب فانشده

ازال حجابه عنى وعينى * تراه من المهابة فى حجاب
وقربنى تفضله ولكن * بعدت مهابة عند اقترابى

وكانم بكسر النون جنس من السودان وهم بنو عم تكرور وكل واحدة من هاتين القبيلتين لا تنسب الى اب ولا ام وانما كانم اسم بلدة بنواحى غانة وهى دار ملك السودان الذين بجنوب الغرب فسمى هذا الجنس باسم هذه البلدة وتكرور اسم للارض التى هم فيها وسمى جنسهم باسم أرضهم والجميع من بنى لوس بن حام بن نوح عليه السلام والله أعلم ولما حضرت الوفاة الامير يعقوب المذكور وقضى نحبه بايع الناس ولده أبا عبد الله محمد بن يعقوب وتلقب بالناصر ونهض الى افريقية فهزم الميورقى المذكور وارتجع المهدية من نوابه وقد كان استولى عليها فى مدة اشتغال الامير يعقوب بالاعداء ثم تحرك محمد بن يعقوب الى جزيرة الاندلس فكانت وقعة العقاب فى سنة تسع وستمائة وتوفى الامير محمد سنة ست عشرة وستمائة لعشر خلون من شعبان ومولده فى سنة ست وسبعين وخمسمائة والمغاربة تقول ان محمد بن يعقوب المذكور اوصى عبيده المشتغلين بحراسة بستانه بمراكش ان كل من ظهر لهم بالليل فهو مباح الدم لهم ثم اراد ان يختبر قدر أمره لهم فتنكر وجعل يمشى فى البستان ليلا فعندما رأوه جعلوه غرض الرماح فجعل يقول انا الخليفة انا الخليفة فما تحققوه حتى هلك والله أعلم بصحة ذلك ثم ولى بعده أبو يعقوب يوسف بن محمد بن الامير يعقوب وتلقب بالمستنصر بالله ومولده اول شوال سنة أربع وتسعين ولم يكن فى بنى عبد المؤمن أحسن وجها منه ولا ابلغ فى المخاطبة الا انه كان مشغوفا براحته فلم يبرح عن حضرته فضعفت الدولة فى ايامه ومات فى شوال اوذى القعدة سنة عشرين وستمائة ولم يخلف ولدا فاتفق أرباب الدولة على تولية أبى محمد عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن لكبر سنه ووفور عقله فلم يحسن التدبير ولا دارى أهل دولته فخلعوه وخنقوه بعد تسعة اشهر من ولايته ولما توفى عبد الواحد

بمراكش كان بالاندلس ابو محمد عبد الله بن الامير يعقوب المذكور فامتنع عن بيعة ورأى انه احق بالامر من عبد الواحد وخرج الى ما فى جهته من بلاد الاندلس فاستولى عليها بغير كلفة وتلقب بالعادل فلما اختنقوا عبد الواحد بمراكش ثارت الفرنج بالاندلس على عبد الله المذكور وقاتلوه وانهزم أصحابه هزيمة شنيعة وهرب هو وركب البحر يريد مراكش وترك باشبيلية اخاه أبا العلاء ادريس بن الامير يعقوب وقاسى عبد الله شدائد فى طريقه الى مراكش من العربان فلما وصلها اضطربت أحواله وقبض عليه أهل مراكش وتساوضوا فيمن يقدمونه فوقع اختيارهم على أبى زكريا يحيى بن الناصر محمد بن يعقوب وهو اذ ذاك كما بقل وجهه غر لم يجرب الامور فلم يلبث الا اياما قلائل حتى ورد الخبر من الاندلس ان أبا العلاء ادريس بن الامير يعقوب ادعى الخلافة باشبيلية وبايعه أهل الاندلس ثم آل امره الى ان حصره العرب بمراكش وهزموا عسكره مرة بعد أخرى حتى هجره أهل مراكش وتشاءموا به واخرجوه عنهم فهرب الى جبل الدرن ثم ارسل فى الباطن جماعة من أهل مراكش ليعود اليها ويقتل من بها من اعوان ابى العلاء ادريس فحصر اليها وقتل المذكورين وجاء أبو العلاء من الاندلس وقد خرج عليه بها الامير محمد بن يوسف بن هود الجذامى ودعا الى بنى العباس فمال اليه الناس ورجعوا عن أبى العلاء ادريس فانتهى الى مراكش وبها يحيى بن الناصر محمد فقاتلوا وانهزم يحيى من أبى العلاء الى الجبل واستولى أبو العلاء على مراكش وجمع يحيى رجالا وقصد ابا العلاء بمراكش فهزمه أبو العلاء مرارا واضعف جماعته فالجأته الضرورة الى الاستجارة بقوم فى حصن بجهة تلمسان وكان لغلام منهم عنده ثار أبيه فرصده يوما وهو راكب فطعنه فقتله واستبد ابو العلاء بالامر وتلقب بالمأمون وكان شجاعا حازما صارما فتاكا ثم ان ابا العلاء مات فى الغزو حتف انفه ولم اتحقق تاريخ وفاته ثم أخبرنى بعض أهل بلادهم انه توفى سنة ثلاثين وستمائة والله أعلم واخفى ولده موته حتى دبر امره وبلغ مأمنه وهو أبو محمد عبد الواحد بن أبى العلا ادريس وتلقب بالرشيد وتقدم بعد موت أبيه وغلب على أخيه الاكبر واستبد بالامر وكان أبوه أبو العلاء قد ازال اسم المهدى أبى عبد الله محمد بن تومرت المقدم ذكره من الخطبة يوم الجمعة فاعاده ولده الرشيد المذكور واستمال به قلوب جماعته وتحبب اليهم وكان الى سنة احدى وأربعين وستمائة ملك المغرب الاقصى وبعض الاندلس ولم اعلم ما وراء ذلك حتى اذكره وبعد تسطير هذه الترجمة اجتمعت ببعض أهل مراكش ممن عنده فضيلة ومعرفة وكان قريب العهد ببلاده فأخبرنى ان الرشيد المذكور توفى غريقا فى صهريج بستان له بحضرة مراكش فى سنة أربعين وستمائة وكتم حاجبه أمره مدة لجهل لذلك شهر وفاته وولى بعده أخوه لابيه المعتضد ويعرف بالسعيد وهو أبو الحسن على بن ادريس ثم خرج الى ناحية تلمسان وحاصر قلعة بينها وبين تلمسان مسافة يوم واحد وقتل هنالك

على ظهر فرسه فى صفر سنة ست وأربعين وستمائة وولى بعده المرتضى أبو حفص عمر بن أبى ابراهيم بن يوسف فى شهر ربيع الآخر من السنة وفى الحادى والعشرين من المحرم سنة خمس وستين وستمائة دخل الواثق أبو العلاء ادريس بن أبى عبد الله يوسف بن عبد المؤمن المعروف بابن دبوس مراكش وهرب المرتضى الى ازمور وهى من نواحى مراكش فقبض عليه عامله بها وبعث الى الواثق بذلك فأمره الواثق بقتله فقتله فى العشر الاخير من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وستمائة بموضع يقال له كتامة بعده عن مراكش ثلاثة أيام وأقام الواثق ثلاث سنين وقتل فى الحرب التى كانت بينه وبين بنى مرين ملوك تلمسان وانقرضت دولة بنى عبد المؤمن وكان قتل الواثق فى المحرم سنة ثمان وستين بموضع بينه وبين مراكش مسيرة ثلاثة أيام فى جهتها الشمالية واستولى بنو مرين على ملكهم وملكهم الآن أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق بن حمامة والله تعالى أعلم وأما على بن اسحاق الميورقى فقد تكرر ذكره فى هذه الترجمة وكان أبوه أبو ابراهيم اسحاق ابن محو بفتح الحاء المهملة وبعدها ميم مشددة مضمومة ثم واو ابن على ويعرف بابن غانية الصنهاجى صاحب ميورقة ومنورقة ويابسة وهى ثلاث جزائر متجاورة فى البحر الغربى فتوفى فى سنة ثمانين وخمسمائة وخلف أربع بنين وهم أبو عبد الله محمد توجه بعد موت أبيه الى الموحدين بالاندلس فاعطوه مدينة دانية واحسنوا اليه غاية الاحسان وأبو الحسن على وأبو زكريا يحيى خرجا الى بلاد افريقية وفعلا الافاعيل العجيبة المشهورة بين الناس من الحروب والعيث فى البلاد فمات على ولا اعلم تاريخ وفاته لكنه كان حيا فى سنة احدى وتسعين واستمر يحيى على حاله فطالت مدته وذكره الحافظ زكى الدين عبد العظيم المنذرى فى كتاب الوفيات فقال خرج من ميورقة فى شعبان سنة ثمانين وخمسمائة واستولى على بلاد كثيرة وكان مشهورا بالشجاعة والاقدام وتوفى فى أواخر شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة فى البرية من قطر تلمسان وكان خروجه على بنى عبد المؤمن وبقى اصغر الاخوة وهو أبو محمد عبد الله ملك ميورقة الى سنة تسع وتسعين وخمسمائة فجهز اليه الناصر محمد بن يعقوب المذكور اسطولا نزل بساحل ميورقة فبرز اليهم وكان شجاعا كريما فعثر به فرسه فسقط الى الارض فقتلوه وحملوا رأسه الى مراكش وعلقوا جثته على السور وأخذوا ميورقة وبقيت بايديهم الى ان تغلب الفرنج عليها فى سنة سبع وعشرين وستمائة وفعلوا فيها العظائم من القتل والاسر وغير ذلك والاذفونش بضم الهمزة وسكون الذال المعجمة وضم الفاء وسكون الواو وبعدها نون ثم شين معجمة وهو اسم لاكبر ملوك الفرنج وهو صاحب طليطلة

أبو عبد الله يعقوب بن داود بن عمر بن عثمان بن طهمان السلمى بالولاء

مولى أبى صالح عبد الله بن حازم السلمى والى خراسان

كان يعقوب المذكور كاتب ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن

ابو عبيد الله

أبي طالب رضي الله عنه الذي خرج هو وأخوه محمد على أبي جعفر المنصور بالبصرة ونواحيها وقتلا في سنة خمس وأربعين ومائة وقصتهما مشهورة في التواريخ وليس هذا موضع ذكرها وكان أبوه داود بن طهمان واخوته كتابا لنصر بن سيار عامل خراسان من جهة بني أمية ولما مات داود نشأ ولده أبو على يعقوب المذكور وكان أهل أدب وفضل واقتنان في صنوف العلم ولما ظهر المنصور على ابراهيم بن عبد الله المذكور ظفر بيعقوب بن داود المذكور فحبسه في المطبق في سنة أربع وأربعين ومائة وقيل سنة ست وأربعين ومائة (قلت) والأول الاصح لان ابراهيم قتل في سنة خمس وأربعين كما ذكرناه الآن يكون قد ظفر بيعقوب قبل قتل ابراهيم وذلك في أول خروجه والله أعلم وكان يعقوب سمحا جوادا كثير البر والصدقة واصطناع المعروف وذكره دعبل بن على الخزاعي الشاعر المشهور في كتابه الذي جمع فيه أسماء الشعراء وكان مقصودا عند مادحه أعيان شعراء عصره مثل أبي الشيص الخزاعي وسلم الخاسر وابن خنيس وغيرهم ولما مات المنصور وقام بالامر ولده المهدي جعل يعقوب يتقرب اليه حتى أدناه واعتمد عليه وعلت منزلته عنده وعظم شأنه حتى خرج كتابه الى الدواوين ان أمير المؤمنين المهدي قد آخى يعقوب بن داود فقال في ذلك سلم بن عمرو المعروف بالخاسر

قل للامام الذي جاءت خلافته * تهدى اليه بحق غير مردود

نعم القرين على التقوى أعنت به * أخوك في الله يعقوب بن داود

وحج المهدي في سنة ستين ومائة ويعقوب معه وفي سنة احدى وستين تقدم اليه بتوجيه الامناء الى العمال في جميع الآفاق ففعل ذلك فلم يكن ينفذ شئ من الكتب للمهدي حتى يرد كتاب من يعقوب الى امينه بانفاذه وكان وزير المهدي أبا عبيد الله معاوية بن عبيد الله بن يسار الاشعري الطبراني صاحب مربعة أبي عبيد الله ببغداد وكان جده يسار مولى عبد الله بن عضاة الاشعري فلم يزل الربيع بن يونس المتقدم ذكره في حرف الراء يسعى به الى المهدي وصح على ابنه الزندقة فقتله المهدي وكان الربيع بعد ذلك يقبح أمره عنده ويقول له لا تثق به بعد قتلك ابنه ويذكر كفاية يعقوب بن داود حتى عزله عن الوزارة وافرده في ديوان الرسائل واستوزر يعقوب في سنة ثلاث وستين ثم ان المهدي عزل أبا عبيد الله عن ديوان الرسائل في سنة سبع وستين ورتب فيه الربيع بن يونس المذكور وكان أبو عبيد الله يتصل الى المهدي على عادته رعاية منه لخدمته فقال في ذلك على بن الخليل الكوفي من جملة أبيات

قل للوزير أبي عبيد الله هل من باقيه

يعقوب يلعب بالامو * ر وانت تنظر ناحيه

ادخلته فعلا عليك كذا الشؤم الناصيه

واخذت حتفك بالهدا * يتك المتراخيه

وغاب

وغلب يعقوب على أمور المهدى كلها وكان المنصور قد خلف فى بيوت المال تسعمائة ألف ألف درهم وستين ألف درهم وكان الوزير أبو عبيد الله يشير على المهدى بالاقتصاد فى الانفاق وحفظ الاموال فلما عزل وولى يعقوب زين له هواه فأنفق الاموال وأكب على اللذات والشرب وسماع الغناء واشتغل يعقوب بالتدبير ففى ذلك يقول بشار بن برد الشاعر المشهور المتقدم ذكره فى حرف الباء .

بنى امية هبوا طال نومكمو * ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا * خليفة الله بين الزق والعود

وكان أبو حارثة النهدى يتقلد خزن بيوت الاموال فلما خلت من الاموال دخل الى المهدى ومعه المفاتيح وقال له اذا كنت قد انفقت جميع الاموال فما معنى هذه المفاتيح معى مر من يقبضها منى فقال له المهدى دعها معك فان الاموال تاتيك ثم سير فى استحثاث الاموال فوردت عليه فى مدة يسيرة وقصر فى النفقات قليلا فتوفرت الاموال وتشاغل أبو حارثة فى قبض ما ورد عليه وتصحيحه فلم يدخل الى المهدى ثلاثة ايام فقال المهدى ما فعل هذا الاعرابى الاحمق فخبر بالسبب فى تأخره فدعا به وقال له ما أخرك عنا فقال ورود الاموال فقال يا احمق توهمت ان الاموال لا تأتينا فقال يا أمير المؤمنين ان الحادث لو حدث واحتيج الى المال ولم يصلح الا به لم ينتظر حتى توجه فى حمله (وروى) ان المهدى حج فى بعض السنين فر بميل وعليه كتاب فوقف وقرأه فاذا هو

لله درك يامهدى من رجل * لولا اتخاذك يعقوب بن داود

فقال لمن معه اكتب تحته على رغم انف الكاتب لهذا وتعسا لجده فلما انصرف وقد وقف على الميل فقلنا لم يقف عليه الا لشئ قد علق بقلبه من ذلك الشعر فكان كذلك لانه اوقع بيعقوب بعد قليل وكثرت الاقوال فى يعقوب ووجد اعداؤه فيه مقالا وذكروا خروجه على المنصور مع ابراهيم بن عبد الله العلوى وعرفه بعض خدمه انه سمعه يقول بنى هذا الرجل منتزها انفق عليه خمسين ألف ألف درهم من أموال المسلمين وكان المهدى قد بنى عيسى باد وأراد المهدى أمرا فقال له يعقوب هذا يا أمير المؤمنين السرف فقال يا ويلك وهل يحسن السرف الا بأهل الشرف وكان يعقوب قد ضجر مما كان فيه وسال المهدى الاقالة وهو يمتنع ثم ان المهدى أراد ان يمتحنه فى ميله الى العلوية فدعا به يوما وهو فى مجلس فرشه موردة وعليه ثياب موردة وعلى رأسه جارية على رأسها ثياب موردة وهو مشرف على بستان فيه صنوف الاوراد فقال له يا يعقوب كيف ترى مجلسنا هذا قال على غاية الحسن فتع الله أمير المؤمنين به فقال له جميع ما فيه لك وهذه الجارية لك ليتم سرورك وقد أمرت لك بمائة ألف درهم فدعا له فقال له المهدى لى اليك حاجة فقام يعقوب قائما وقال يا أمير المؤمنين ما هذا القول

الا لم يجد وأنا مستعيذ بالله من سخطك فقال أحب أن تضمن لى قضاءها فقال السمع والطاعة فقال له والله فقال والله فقال له والله فقال والله ثلاثا فقال له ضع يدك على رأسى واحلف به ففعل ذلك فلما استوثق منه قال له هذا فلان بن فلان رجل من العلوية احب أن تكفينى مؤنته وتريحنى منه فخذه اليك فحوّله اليه وحوّل اليه الجارية وما كان فى المجلس والمال فلشدة سروره بالجارية جعلها فى مجلس يقرب منه ليصل اليها ووجه فأحضر العلوى فوجده لبيبا فهما فقال له ويحك يا يعقوب تلقى الله تعالى بدمى وأنا رجل من ولد فاطمة رضى الله عنها ابنة محمد صلى الله عليه وسلم فقال له يعقوب ياهذا أفيك خير فقال ان فعلت معى خيرا شكرت ودعوت لك فقال له خذ هذا المال وخذ أى طريق شئت فقال طريق كذا وكذا آمن لى فقال له امض مصاحبا وسمعت الجارية الكلام كله فوجهت مع بعض خدمها به وقالت قل له هذا فعل الذى آثرته على نفسك بى وهذا ابراؤك منه فوجه المهدى فشحن الطريق حتى ظفر بالعلوى وبالمال ثم وجه الى يعقوب فاحضره فلما رآه قال له ما حال الرجل قال قد اراحك الله منه قال مات قال نعم قال والله قال والله قال فضع يدك على رأسى فوضع يده على رأسه وحلف به فقال يا غلام أخرج الينا من فى هذا البيت ففتح بابه عن العلوى والمال بعينه فبقى يعقوب متحيرا وامتنع الكلام عليه فما درى ما يقول فقال له المهدى لقد حل دمك ولو آثرت اراقته لارقته ولكن احبسوه فى المطبق فحبس وأمر بان يطوى عنه خبره وعن كل أحد فاقام فيه سنتين وشهورا فى ايام المهدى وجميع أيام الهادى موسى بن المهدى وخمس سنين وشهورا من أيام هارون الرشيد ثم ذكر يحيى ابن خالد البرمكى أمره وشفع فيه فأمر باخراجه فاخرج وقد ذهب بصره فاحسن اليه الرشيد ورد اليه ماله وخيره المقام حيث يريد فاختار مكة فاذن له فى ذلك فاقام بها حتى مات فى سنة سبع وثمانين ومائة ولما أطلق يعقوب سأل عن جماعة من اخوانه فاخبر بموتهم فقال

لكل اناس مقبر بفنائهم * فهم ينقصون والقبور تزيد

هم جيرة الاحياء أما محلهم * فدان واما الملتقى فبعيد

قلت وهذان البيتان ذكرا فى باب المراثى فى كتاب الحماسة قلت هكذا ذكر تاريخ وفاته محمد بن عبدوس الكوفى المعروف بالجهشيارى فى كتابه تاريخ الوزراء وذكر غيره ان يعقوب بن داود مات سنة اثنين وثمانين ومائة والله أعلم بالصواب وقال عبد الله بن يعقوب بن داود أخبرنى أبى ان المهدى حبسه فى بئر وبنى عليه قبة فمكث فيها خمس عشرة سنة وكان يدلى له فيها كل يوم رغيف خبز وكوز ماء ويؤذن بأوقات الصلاة قال فلما كان فى رأس ثلاث عشرة سنة أتانى آت فى منامى فقال

حنى على يوسف رب فأخرجه * من قعر جب وبيت حوله غمم

قال

قال فحمدت الله تعالى وقلت أتانى الفرج ثم مكثت حولا لا أرى شيأ فلما كان رأس الحول الثانى أتانى ذلك الآتى فانشدنى

عسى فرج يأتى به الله انه * له كل يوم فى خليقته أمر

قال ثم اقمت حولا آخر لا أرى شيأ ثم أتانى ذلك الآتى بعد الحول فقال

عسى الكرب الذى امسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب
فيأمن خائف ويفك عان * ويأتى أهله النائى الغريب

فلما اصبحت نوديت فظننت انى أوذن بالصلاة فدلى حبل اسود وقيل لى اشدد به وسطك ففعلت واخرجت فلما قابلت الضوء عشى بصرى وانطلقوا بى فادخلت على الرشيد فقيل لى سلم على أمير المؤمنين فقلت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته المهدى فقال الرشيد لست به فقلت السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته الهادى فقال لست به فقلت السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال الرشيد يا يعقوب بن داود والله ما شفع فيك الى أحد غير أنى حملت الليلة صبية لى على عنقى فذكرت حملك اياى على عنقك فرثيت لك من المحل الذى كنت به فاخرجتك وكان يعقوب يحمل الرشيد وهو صغير ويلاعبه ولما حبس المهدى يعقوب رتب فى الوزارة أبا جعفر الفيض بن أبى صالح وكان من غلمان عبد الله بن المقفع وكان شديد الكبر وكان أبوه نصرانيا وفيه يقول الشاعر

يا طالبى عن حاجتى ظالما * احوجك الله الى الفيض
ذاك الذى يأتيك معروفه * كأنما يشى على البيض

وطهمان بفتح الطاء المهملة وسكون الهاء وبعدها ميم وبعد الالف نون وكانت ولادة ابى عبيد الله معاوية الاشعرى فى سنة مائة وتوفى سنة سبعين ومائة وقيل فى سنة تسع وستين وقيل مات فى الوقت الذى مات فيه موسى الهادى وكانت وفاته ببغداد ودفن فى مقابر قريش وتوفى الفيض فى سنة ثلاث وسبعين ومائة وتولى الوزارة بعده الربيع بن يونس وقد سبق ذكره فى ترجمة بشار بن برد الشاعر وذكر أن يعقوب بن داود اعان على قتله ولما مات يعقوب رثاه أبو حنش الهلالى وقيل النميرى واسمه حضير بن قيس البصرى وعاش مائة سنة بابيات هى فى كتاب الحماسة اولها

يعقوب لا تبعد وجنبت الردى * فليبكين زمانك الرطب الثرى

أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن ابراهيم بن هارون بن داود بن كاس وزير العزيز نزار بن المعز العبيدى صاحب مصر المقدم ذكرهما

كان يعقوب اولا يهوديا يزعم انه من ولد هارون بن عمران أخى موسى بن عمران عليهما السلام وقيل انه كان يزعم انه من ولد السموءل بن عاديا اليهودى صاحب الحصن المعروف بالابلق وهو المشهور بالوفاء وقصته مع امرئ القيس الكندى الشاعر المشهور

مشهورة مستفيضة بين العلماء في الوفاة في ودائعه وكان يعقوب المذكور قد ولد ببغداد
ونشأ بها عند باب القز وتعلم الكتابة والحساب وسافر به أبوه من بغداد الى الشام وانفذه
الى مصر سنة احدى وثلاثين وثلثمائة فانقطع الى بعض خواص الاستاذ كافور
الاخشيدي المقدم ذكره فجعله كافور على عمارة داره ثم صار ملازما لباب داره فرأى
كافور من نجابته وشهامته وصيانته ونزاهته وحسن ادراكه ما نفق عليه فاستحضره
واجلسه في ديوانه الخاص وكان يقف بين يديه ويخدم ويستوفي الاعمال
والحسابات ويدخل يده في كل شيء ثم لم تزل أحواله تتزايد مع كافور حتى صار
الحجاب والاشراف يقومون له ويكرمونه ولم تتطلع نفسه الى اكتساب مال وارسل له
كافور شيأ فرده عليه وأخذ منه القوت خاصة وتقدم كافور الى سائر الدواوين ان
لا يمضي دينار ولا درهم الا بتوقيعه فوقع في كل شيء وكان يبر ويصل من اليسير الذي
يأخذه هذا كله وهو على دينه ثم انه اسلم يوم الاثنين لثمان عشرة ليلة خلت من شعبان
سنة ست وخمسين وثلثمائة ولزم الصلاة ودراسة القرآن الكريم ورتب لنفسه رجلا من
أهل العلم شيخا عارفا بالقرآن المجيد والنحو حافظا لكتاب السيرافي فكان يبيت عنده
ويصلي به ويقرأ عليه ولم تزل حاله تزيد وتنمي مع كافور الى ان توفي كافور في التاريخ
المذكور في ترجمته وكان أبو الفضل جعفر بن الفرات المقدم ذكره في حرف الجيم وزير
كافور يحسده ويعاديه فلما مات كافور قبض ابن الفرات على جميع الكتاب وأصحاب
الدواوين وقبض على يعقوب ابن كلس في جملتهم فلم يزل يتوصل ويبذل الاموال
حتى افرج عنه فلما خرج من الاعتقال اقترض من أخيه وغيره مالا وتجمل به وسار
مستخفيا طالبا بلاد المغرب فلقي القائد جوهر بن عبد الله الرومي مولى المعز العبيدي
المقدم ذكره في الطريق وهو متوجه بالعساكر والخزائن الى الديار المصرية ليملكها
فرجع في الصحبة وقيل انه استمر على قصده وانتهى الى افريقية وتعلق بخدمة المعز
العبيدي المقدم ذكره ثم رجع الى الديار المصرية ولم يزل يترقى الى ان ولي الوزارة
للعزيز بن المعز وعظمت منزلته عنده واقبلت عليه الدنيا وانثال الناس عليه ولازموا
بابه ومهد قواعد الدولة وساس أمرها احسن سياسة ولم يبق لاحد معه كلام وكان
في ايام المعز يتصرف في الخدم الديوانية ثم انتقل الى العزيز من بعده وتولى وزارة العزيز
يوم الجمعة ثامن عشر رمضان سنة ثمان وستين وثلثمائة وقال ابن زولاق في تاريخه
بعد ذكر تاريخ وفاة المعز ما مثاله وممن وزر للمعز الوزير يعقوب ابن كلس وهو أول من
وزر للدولة الفاطمية في الديار المصرية وكان من جملة كتاب كافور فلما وصل المعز
أحسن في خدمته وبالغ في طاعته الى ان استوزره هذا آخر كلام ابن زولاق
وقال غيره كان يعقوب يحب أهل العلم ويجمع عنده العلماء ورتب لنفسه مجلسا في كل
ليلة جمعة يقرأ فيه مصنفاته على الناس ويحضره القضاة والفقهاء والقراء والنحاة

ويجمع

وجميع أرباب الفضائل واعيان العدول وغيرهم من وجوه الدولة وأصحاب الحديث فاذا فرغ من مجلسه قام الشعراء ينشدونه المدائح وكان فى داره قوم يكتبون القرآن الكريم وآخرون يكتبون كتب الحديث والفقه والادب حتى الطب ويعارضون ويشكلون المصاحف وينقطونها وكان من جملة جلسائه الحسين بن عبد الرحيم المعروف بالزلازلي مصنف كتاب الاسجاع ورتب فى داره القراء والائمة يصلون فى مسجد اتخذه فى داره وأقام فى داره مطابخ لنفسه ولجلسائه ومطابخ لغلمانه وحاشيته وأتباعه وكان ينصب كل يوم خوانا لخاصته من أهل العلم والكتاب وخواص اتباعه ومن يستدعيه وينصب موائد عديدة يأكل عليها الحجاب وبقية الكتاب والحاشية وصنع فى داره ميضأة للطهور بثمانية بيوت تختص بمن يدخل داره من الغربا وكان يجلس كل يوم عقب صلاة الصبح ويدخل عليه الناس للسلام وتعرض عليه رقاع الناس فى الحوائج والظلامات وقرر عند مخدومه العزيز جماعة جعلهم قوادا يركبون بالمواكب والعبيد ولا يخاطب واحد منهم الابالقائد وكان من جملة هؤلاء القواد القائد أبو الفتوح فضل بن صالح الذى تنسب اليه منية القائد فضل وهى بليدة بالاعمال الجيزية من الديار المصرية ثم ان الوزير المذكور شرع فى تحصين داره ودور غلمانه بالدروع والحرس والسلاح والعدد وعمرت ناحيته بالاسواق واصناف مايباع من الامتعة ومن المطعوم والمشروب والملبوس ويقال ان داره كانت بالقاهرة فى موضع مدرسة الوزير صفي الدين أبى محمد عبد الله بن على المعروف بابن شكر المختصة بالطائفة المالكية وان الحارة المعروفة بالوزيرية التى بالقاهرة داخل باب سعادة منسوبة الى أصحابه لانهم كانوا يسكنونها وكان الوزير أبو الفضل بن الفرات المقدم ذكره يغدو اليه ويروح ويعرض عليه محاسبات القوم الذين يريد محاسبتهم ويعول عليه فيها ويجلس معه فى مجلسه وربما حبسه لمؤاكلته فيأكل معه بعد ان جرى عليه ماسبق ذكره وكانت همته عظيمة وجوده وافرا وأكثر الشعراء من مدائحه ولقد نظرت فى ديوان أبى حامد أحمد بن محمد الانطاكى المعروف بأبى الرقعمق الشاعر المقدم ذكره فوجدت أكثر مديحه فى الوزير المذكور والقصيدة التى نقلت بعضها فى ترجمته مدح بها الوزير المذكور ورأيت فى تاريخ الامير المختار عز الملك محمد بن القسم المعروف بالمسبحي المقدم ذكره فصلا طويلا يتعلق بشرح حال الوزير المذكور ومعظم ماذكرته هنا نقلته منه وصنف الوزير المذكور كتابا فى الفقه مما سمعه من المعز وولده العزيز وجلس فى شهر رمضان سنة تسع وستين وثلثمائة مجلسا حضره العام والخاص وقرأ فيه الكتاب بنفسه على الناس وحضر هذا المجلس الوزير أبو الفضل بن الفرات المذكور وجلس فى الجامع العتيق بمصر جماعة يفتون الناس من هذا الكتاب وسمعت من جماعة من المصريين يقولون ان الوزير المذكور كانت له طيور فائقة اهلية مختارة

قوله ... القرى ... مثل ... يشتمل ... الاسم ... عليه ... فى صفة

تسبق كل طائر يسابقها وكان لمخدومه العزيز طيور أيضا مابقة فاخرة فسابقه العزيز يوما ببعض الطيور فسبق طائر الوزير فعز ذلك على العزيز ووجد أعداؤه الى الطعن فيه سبيلا فقالوا للعزيز انه قد اختار من كل صنف اجوده واعلاه ولم يبق منه الا ادناه حتى الحمام وقصدوا بذلك الاغراء به حسدا منهم له لعله يتغير عليه فاتصل ذلك بالوزير فكتب الى العزيز

قل لامير المؤمنين الذى • له العلى والنسب الثاقب
طائرك السابق لكنه • جاء وفى خدمته الحاجب

فاعجبه ذلك منه وسرى عنه ما كان وجده عليه هكذا ذكره القاضى الرشيد بن الزبير المقدم ذكره فى كتاب الجنان وذكر غيره ان هذين البيتين لولى الدولة أبى محمد أحمد بن على المعروف بابن خيران الكاتب الشاعر المصرى وقد سبق ذكره فى ترجمة أبى الحسن على بن أحمد بن نوبخت الشاعر واعلم انى افرده بترجمة لانى لم اظفر بتاريخ وفاته وقد التزمت فى هذا الكتاب انى لا اذكر الا من وقفت على تاريخ وفاته وذكره أبو القاسم على بن منجب بن سليمان الكاتب المعروف بابن الصيرفى المصرى فى جزء سماه الاشاره الى من نال الوزاره وذكر فيه وزراء المصريين الى عصره وابتدأ بذكر يعقوب المذكور فقال كان كاتبا يهوديا صائنا لنفسه محافظا على دينه جميل المعاملة مع التجار فيما يتولاه واتصل بخدمة كافور الاخشيدى فحمد خدمته ورد اليه زمام ديوانه بمصر والشام فضبطه له على حسب ارادته وكان سبب حظوته عنده ان يهوديا قال له ان فى دار ابن البلدى بالرملة عشرين ألف دينار مدفونة فى موضع وقد توفى فكتب يعقوب الى كافور رقعة يقول ان فى دار ابن البلدى بالرملة عشرين ألف دينار مدفونة فى موضع اعرفه وانا اخرج احلها فاجابه الى ذلك وأنفذ معه البغال لحملها وورد الخبر بموت بكير بن هارون التاجر فجعل اليه النظر فى تركته واتفق موت يهودى بالفرما ومعه احمال كتان فاخذها وفتحها فوجد فيها عشرين ألف دينار فكتب الى كافور بذلك تبركا به وكتب اليه بحملها فباع الكتان وحمل الجميع وسار الى الرملة فحفر الدار التى لابن البلدى واخرج المال وهو ثلاثون ألف دينار فكتب الى كافور عرفت الاستاذ انها عشرون ألف دينار فوجدتها ثلاثين ألف دينار فازداد محله من قلبه وتصوره بالثقة ونظر فى تركة ابن هارون واستقصى وحمل منها مالا كثيرا فارسل اليه كافور صلة كثيرة فأخذ منها ألف درهم ورد الباقى وقال هذه كفايتى فزاد أمره عنده حتى انه كان يشاوره فى أكثر أموره وقال عبد الله أخو مسلم العلوى رأيت يعقوب قائما يسار كافورا فلما مضى قال لى أى وزير بين جنبيه وسار الى المغرب وخدم المعز وتولى أمور العزيز فى مستهل شهر رمضان سنة ثمان وستين وثلثمائة ولقبه بالوزارة وأمر ان لا يخاطبه أحد الا بها ولا يكاتب الا بذلك ثم اعتقله فى سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة فى القصر فاقام معتقلا

شهورا ثم اطلقه فى سنة أربع وسبعين ورده الى ما كان عليه ووجدت رقعة فى دار الوزير المذكور فى سنة ثمانين وثلثمائة وهى السنة التى توفى فيها ونسختها

احذروا من حوادث الازمان * وتوقوا طوارق الحدثان
قد امنتم من الزمان ونمتم * رب خوف مكمن فى امان

فلما قرأها قال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم واجتهد ان يعرف كاتبها فلم يقدر على ذلك ولما اعتل علة الوفاة آخر السنة المذكورة ركب اليه العزيز عائدا وقال له وددت انك تباع فابتاعك بملكى او تفدى فأفديك بولدى فهل من حاجة توصى بها يا يعقوب فبكى وقبل يده وقال اما فيما مضى فانت أرعى بحقى من ان استرعيك اياه وارأف على من أخلفه من ان اوصيك به ولكنى انصح لك فيما يتعلق بدولتك سالم الروم ماسالموك واقنع من الحمدانية بالدعوة والسكة ولا تبق على مفرج بن دغفل بن جراح ان عرضت لك فيه فرصة ومات فامر العزيز ان يدفن بداره وهى المعروفة بدار الوزارة بالقاهرة داخل باب النصر فى قبة كان بناها وصلى عليه وألحده بيده فى قبره وانصرف حزينا لفقده وأمر بغلق الدواوين اياما بعده وكان اقطاعه من العزيز فى كل سنة مائة ألف دينار ووجد له من العبيد والمماليك اربعة آلاف غلام ووجد له جوهر بأربعمائة ألف دينار وبز من كل صنف بخمسمائة دينار وكان عليه للتجار ستة عشر ألف دينار فقضاها عنه العزيز من بيت المال وفرقت على قبره وذكره الحافظ ابن عساكر فى تاريخ دمشق فقال كان يهوديا من أهل بغداد خبيثا ذا مكر وله حيل ودهاء وفيه فطنة وذكاء وكان فى قديم أمره خرج الى الشام فنزل الرملة وصار بها وكيلا فكسر أموال التجار وهرب الى مصر فتاجر كافورا الاخشيدى فرأى منه فطنة وسياسة ومعرفة بأمر الضياع فقال لو كان مسلما الصلح ان يكون وزيرا فطمع فى الوزارة فاسلم يوم الجمعة فى جامع مصر فلما عرف الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات أمره وقصده هرب الى المغرب واتصل بيهود كانوا مع الملقب بالمعز وخرج معه الى مصر فلما مات الملقب بالمعز وقام ولده الملقب بالعزيز استوزر ابن كلس فى سنة خمس وستين وثلثمائة فلم يزل مدبر أمره الى ان هلك فى ذى الحجة سنة ثمانين وثلثمائة وقال غيره ابتدأ المرض بالوزير المذكور يوم الاحد الحادى والعشرين من ذى القعدة سنة ثمانين وثلثمائة وأخذته سكتة ثم تزايد به المرض واشتد ثم انطلق لسانه ثم توفى ليلة الاحد على صباح الاثنين لخمس خلون من ذى الحجة من السنة المذكورة وكفن فى خمسين ثوبا واجتمع الناس كلهم من القصر الى داره وخرج العزيز عليه حزن ظاهر وركب بغلته بغير مظلة وكانت عادته انه لا يركب الا بها وصلى عليه وبكى وحضر مواراته ويقال انه كفن وحنط بما مبلغه عشرة آلاف دينار وذكر من سمع العزيز وهو يقول واطول اسفى عليك يا وزير وبكى عليه القائد جوهر بكاء شديدا وانما كان بكاؤه على نفسه لانه عاش بعده سنة واحدة وغدا الشعراء الى قبره ويقال انه

رثاه مائة شاعر وأخذت قصائدهم وأجيزوا وقيل انه مات على دينه وكان يظهر الاسلام والصحيح انه أسلم وحسن اسلامه وقال يوما وقد ذكر اليهود في مجلسه كلاما يسوء اليهود سماعه ثم بين عوراتهم وفساد مذهبهم وانهم على غير شئ وان اسم النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة وهم يجحدونه وكانت ولادته في سنة ثماني عشرة وثلثمائة ببغداد عند باب القز رحمه الله تعالى وكلس بكسر الكاف واللام المشددة وبعدها سين مهملة والسموأل ابن عادياء بفتح السين المهملة والميم وسكون الواو وبعدها همزة مفتوحة ثم لام وعادياء بعين مهملة وبعد الالف دال مهملة مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها وبعدها همزة ممدودة وأما القائد جوهر فقد تقدم ذكره في ترجمته وأما القائد فضل صاحب البلدة التي في اعمال الجيزة التي قبالة مصر فانه كان رجلا نبيلا كريما ممدوحا وفيه يقول أبو القاسم عبد الغفار شاعر دولة الحاكم بن العزيز المذكور

اعا الفضل غرة • في وجوه المدائح

أريحي رياحه • عبقات الروائح

كعبة الجود كفه • بين غاد ورائح

انما تصلح الامور • برأى ابن صالح

وكان مكينا في دولة الحاكم المذكور ثم نقم عليه وحبسه وضربت عنقه في محبسه يوم السبت عشية لاحدى وعشرين ليلة خلت من ذى القعدة سنة تسع وتسعين وثلثمائة ولم يظهر منه جزع ولف في حصير واخرج من الحجرة التي كان محبوسا بها رحمه الله تعالى وأما أبو القسم الشاعر المذكور فان الحاكم قتله مع جماعة من الاعيان في يوم الاحد السادس والعشرين من المحرم سنة خمس وتسعين وثلثمائة واحرقهم بالنار وكان قتل الجميع في حجرة واحدة والله تعالى أعلم

أبو يوسف يعقوب بن صابر بن بركات بن عمار بن عمان بن علي بن الحسين بن علي بن حورة الحراني الاصل البغدادي المولد والدار المنجنيقي الملقب نجم الدين الشاعر المشهور

ذكره أبو عبد الله محمد بن سعيد المعروف بابن الديثي في تاريخه الذي جعله ذيلا لتاريخ الحافظ أبي سعيد عبد الكريم بن السمعاني الذي ذيله على تاريخ بغداد تأليف الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي وقد سبق ذكر كل واحد من هؤلاء الثلاثة في هذا التاريخ فقال ابن الديثي كان يعقوب المذكور متقدما على أهل صناعته يعني في صنعة المنجنيق وما يتعلق به وكان فيه فضل ويقول الشعر سمع شيأ من الحديث من أبي المظفر بن السمرقندي وأبي منصور بن الشطرنجي علقت عنه شيأ من شعره وأنشدني أبو يوسف يعقوب بن صابر لنفسه

رقيلت وجنته فألفت جيده • خجلا ومال بعطفه المياس

فانهلّ من خديه فوق عذاره * عرق يحاكى الطل فوق الآس
فكأننى استقطرت ورد خدوده * بتصاعد الزفرات من أنفاسى

قال ابن السمعانى وسألته عن مولده فقال فى ضحى نهار الاثنين رابع محرم سنة أربع وخمسين وخمسمائة وقال غير ابن الدبيثى كان ابن صابر المنجنيق جنديا فى ابتداء أمره مقدما على المنجنيقيين بمدينة السلام ببغداد ولم يزل مغرى بآداب السيف وصناعة السلاح والرياضة واشتهر بذلك ولم يلحقه أحد من أهل زمانه فى درايته وفهمه لذلك وصنف فيه كتابا سماه عمدة السالك فى سياسة الممالك ولم يتمه وهو مليح فى معناه يتضمن احوال الحروب وتعبيتها وفتح الثغور وبناء المعاقل واحوال الفروسية والهندسة والمصابرة على الحصار والقلاع والرياضة الميدانية والحيل الحربية وفنون العلاج بالسلاح وعمل ادات الحروب والكفاح وصنوف الخيل وصفتها وقد قسم هذا الكتاب ورتبه أبوابا كل باب منه يشتمل على فصول وكان شيخا هشا مليحا لطيفا فكها طيب المحاورة شريف النفس متواضعا فيه تودد وبشر وسكون وهو مع ذلك شاعر مكثر مجيد ذو معان مبتكرة يقصد الشعر ويعمل المقاطيع وجمع من شعره كتابا مختصرا سماه مغانى المعانى ومدح الخلفاء وكانت له منزلة لطيفة عند الامام الناصر لدين الله أبى العباس أحمد خليفة العصر ذلك الوقت (قلت) وكانت اخباره فى حياته متواصلة الينا واشعاره تنقلها الرواة عنه ويحكون وقائعه وماجرياته وما ينظم فى ذلك من الاشعار الرائقة والمعانى البديعة ولم يتفق لى رؤيته مع المجاورة وقرب الدار من الدار لانه كان ببغداد ونحن بمدينة اربل وهما متجاورتان لكن لكثرة اطلاعى على اخباره وما يتفق له من النظم المنقول عنه فى وقته كانى كنت معاشره ومازلت مشغوفا بشعره مستعذبا اسلوبه فيه واجتمعت بخلق كثير من أصحابه والناقلين عنه منهم صاحبنا الشيخ عفيف الدين أبو الحسن على بن عدلان المعروف بالمترجم الموصلى فانه انشدنى له شيأ كثيرا من ذلك قوله

كلفت بعلم المنجنيق ورميه * لهدم الصياصى وافتتاح المرابط
وعدت الى نظم القريض لشقوتى * فلم اخل فى الحالين من قصد حائط

أنشدنى عنه أيضا وذكر انه لم يسبق اليه

لاتكن واثقا بمن كظم الغيـ * ـظ اغتيالا وخف غرار الغرور
فالظبا المرهفات اقتل ما كا * نت اذا غاض ماؤها فى الصدور

أنشدنى أيضا له فى جارية سوداء كان يهواها وهى جارية حبشية

وجارية من بنات الحبوش * ذات جفون صحاح مراض
تعشقتها للتصابى فشبت * غراما ولم الذ بالشيب راض
وكنت اعيرها بالسواد * فصارت تعيرنى بالبياض

وأنشدني عنه أيضا

وجارية عبرت للطواف * وعبرتها حذرا تدمع
فقلت ادخلي البيت لا تجزعي * ففيه الامان لمن يجزع
سدانته لبني شيبة * فقالت ومن شيبة افزع

وأنشدني عنه في غلام يتعلم السباحة في دجلة بغداد وقد لبس ثيابا ازرق وشد على ظهره شكوة منفوخة كما جرت عادة من يتعلم العوم فقال في ذلك

يا للرجال شكايتي من شكوة * اضحت تعانق من احب واعشق
حملت هوى كهواى الا انها * تطفو ويثقلني الغرام فاغرق
ويعيرني الشبان عند عناقه * اردافه فهو العدو الازرق

وقال صاحبنا الكمال بن الشعار الموصلي صاحب كتاب عقود الجمان أنشدني ابن صابر لنفسه هذه الابيات لكنه روى البيت الثاني منها على صورة أخرى فقال

حملت هوى كهواى فهي بوصله * تطفو ويكبني الغرام فأغرق

وهذا من المعاني النادرة فان العرب اذا وصفت العدو بشدة العداوة قالت هو العدو الازرق وقد جاء هذا في كلامهم واشعارهم كثيرا واستعمله الحريري في المقامة الرابعة عشر فقال فهذا غبر العيش الاخضر وازور المحبوب الاصفر اسود يومي الابيض وابيض فودي الاسود حتى رثى لي العدو الازرق فحبذا الموت الاحمر ورأيت في بعض الرسائل ولا اتحقق الآن صاحبها يقول قد أوردنا طما الحديد الاخضر في ماء الوريد الاحمر من عدو الله الازرق من بني الاصفر وهو باب متسع فلا حاجة الى الاطالة في ذكر شواهده وأنشدني عنه أيضا في جماعة من الصوفية اضافهم فاكلوا جميع ما قدمه لهم فكتب الى شيخهم يذكر حاله معهم

مولاي يا شيخ الرباط الذي * ابان عن فضل وعلياء
اليك اشكو جور صوفية * بانوا ضيوفي واوداءي
أتيتهم بالزاد مستأثرا * وبت تشكو الجوع احشاءي
مشوا على الخبز على عادة الـ * شهاد أن يمشوا على الماء
وهم الى الآن ضيوفي فجد * لهم بخبز أو بحلواء
اولا خذهم واكفنيهم فما * يحسن في مثلهم راءي

وأنشدني عنه في الصوفية أيضا

قد لبسوا الصوف لترك الصفا * مشايخ العصر لشرب العصير
الرقص والشاهد من شأنهم * شطر طويل تحت ذيل قصير

وأنشدني عنه أيضا وهو من المعاني المستطرفه

قالوا تراه يسل شعر عذاره * وسباله مستهترا بزواله

فتسل عنه وخذ حبيبا غيره * فاجبتهم لازات عبد وصاله

هل يحسن السلوان عن حب برى * ان لا يفارقنى بنقف سباله

وأنشدنى له غير ابن عدلان وقال لما كبر ابن صابر وضعفت حركته صار اذا مشى يتوكأ على عصاه فقال فى ذلك

القيت عن يدى العصا * زمن الشبيبة للنزول

وحملتها لما دعا * داعى المشيب الى الرحيل

وكان ببغداد شخص يقال له ابن بشران وكان كثير الاراجيف فنع من ذلك فقعد على الطريق يتجم فقال فيه ابن صابر

ان ابن بشران ولست الومه * من خيفة السلطان صار منجما

طبع المشوم على الفضول فلم يطق * فى الارض رجافا فأرجف فى السما

قال وأنشدنى الاديب شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن سالم المعروف بابن التلعفرى لنفسه فى بعض ليالى شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وستمائة بالقاهرة المحروسة وهو من شعراء العصر المجيدين

ياشيب كيف وما انقضى زمن الصبا * عاجلت منى اللمة السوداء

لا تعجلن فوالذى جعل الدجا * من ليل طرتى البهيم ضياء

لو انها يوم الحساب صحيفتى * ماسرقلبى كونها بيضاء

فقلت له قد اغرت على بيت نجم الدين بن صابر حتى أنك قد اخذت معظم لفظه وجميع معناه والوزن والروى وهو قوله

لو أن لحية من يشيب صحيفة * لمعاده ما اختارها بيضاء

فحلف انه لم يسمع هذا البيت الا بعد عمله للابيات المذكورة والله أعلم بذلك وهذا البيت لابن صابر من جملة ابيات وهى

قالوا بياض الشيب نور ساطع * يكسو الوجوه مهابة وضياء

حتى سرت وخطاته فى مفرقى * فوددت ان لا افقد الظلماء

وعدلت استبق الشباب تعللا * بخضابها فصبغتها سوداء

لو ان لحية من يشيب صحيفة * لمعاده ما اختارها بيضاء

واخبرنى بعض الادباء ان ابن صابر كتب الى بعض الرؤساء ببغداد

ما جئت اسألك المواهب مادحا * انى لما اوليتنى لشكور

لكن اتيت عن المعالى مخبرا * لك ان سعيك عندها مشكور

ووقفت بالقاهرة على كراريس فيها شعره وقد اجاد فى كل ما نظمه ورأيت فيها البيتين المشهورين المنسوبين الى جماعة من الشعراء ولا يعرف قائلهما على الحقيقة وهما

أالتى فى لظى فان احرقتنى * فتيقن ان لست بالياقوت

جمع النسج كل من حاك لكن * ليس داود فيه كالعنكبوت

فعمل ابن صابر جوابهما فقال

أيها المدعى الفخار دع الفخـ * ـر لذى الكبرياء والجبروت

نسج داود لم يفد ليلة الغا * ر وكان الفخار للعنكبوت

وبقاء السمند فى لهب النا * ر مزيل فضيلة الياقوت

وكذلك النعام يلتقم الجمـ * ـر وما الجمر للنعام بقوت

قلت وعلى البيتين الاولين نظم جماعة من المعاصرين لنا ابياتا من ذلك قول الكمال أبى محمد القاسم بن القاسم بن عمر بن منصور الواسطى نزيل حلب صاحب شرح المقامات

حتى دود القز ينـ * ـسج فوقه ثم يموت

بعد ما سدى وقد * صار يسدى العنكبوت

وقول المهذب أبى عبيد الله محمد بن الحسن بن يحيى الانصارى المعروف بابن الاردخل الموصلى نزيل ميافارقين

اقول وقد قالوا ارى متقدما * اذا ماد عادين الهوى غيراهله

يحق لدود القز يقتل نفسه * اذا جاء بيت العنكبوت بمثله

وهذا ناظر الى قول بعضهم

اذا شوركت فى أمر بدون * فلا يلحقك عار أو نفور

ففى الحيوان يشترك اضطرارا * ارسطاليس والكلب العقور

وقول الآخر

والزنبور والبازى جميعا * لدى الطيران اجنحة وخفق

ولكن بين ما يصطاد باز * وما يصطاده الزنبور فرق

قلت وعلى ذكر دود القز ينبغى ان يذكر ما يقال عن السرفة بضم السين المهملة وبعدها راء ساكنة ثم فاء قال الجوهرى فى كتاب الصحاح هى دويبة تتخذ لنفسها بيتا مربعا من دقاق العيدان تضم بعضها الى بعض بلعابها على مثال الناووس ثم تدخل فيه وتموت يقال فى المثل هو أصنع من سرفة وذكر لى بعض الفضلاء ان السرفة هى الارضة والله أعلم ومما ينبغى ان يلحق بالابيات المقدم ذكرها قول بعضهم

ان أعوز الحاذق فاستبدلوا * مكانه اخرق لم يحذق

فلاعب الشطرنج من دأبه * وضع حصاة موضع البيدق

والاصل فى هذا كله قول المتنبى

وشر ما قنصته راحتى قنص * شهب البزاة سواء فيه والرخم

ويقرب منه أيضا قول أبى العلاء المعرى

وهل يذخر الضرغام قوتا ليومه * اذا ادخر النمل الطعام لعامه

قلت وفى هذه الابيات الاوائل ما يحتاج الى زيادة ايضاح فليس كل من يقف عليها يفهم معناها اما البيت الاول وماذكره من أمر الياقوت فان الياقوت من خاصيته ان النار لا تؤثر فيه والى هذا أشار الحريرى فى المقامة السابعة والاربعين بقوله من جملة ثلاثة أبيات

وطالما اصلى الياقوت جمر غضى * ثم انطفا الجمر والياقوت ياقوت

وقال آخر فى غلام له اسمه ياقوت

ياقوت ياقوت قلب المستهام به * من المروءة ان لا يمنع القوت
سكنت قلبى وما تخشى تلهبه * وكيف يخشى لهيب النار ياقوت

وقد جاء هذا فى الشعر كثير الكن الاختصار اولى وأما قول ابن صابر فى الجواب فى البيت الثانى نسج داود لم يغن ليلة الغار الى آخره فهذا اشارة الى مهاجرة النبى عليه الصلاة والسلام ومعه أبو بكر الصديق رضى الله عنه فانهما خافا من مشركى مكة ان يتبعوهما فدخلا غار ثور بالثاء المثلثة وثور جبل بين مكة والمدينة بالقرب من مكة ونسج العنكبوت على باب الغار فلما وصل المشركون اليه ورأوا أثر نسج العنكبوت على الباب قالوا ليس ههنا أحد فانه لو دخله أحد ما كان العنكبوت نسج عليه فى الحال لان المشركين بادروا اليهما ليلحقوهما فأخفى الله سبحانه وتعالى أمرهما وهى من معجزات النبى صلى الله عليه وسلم وقوله فى البيت الثالث وبقاء السمند فى لهب النار الى آخره السمند بفتح السين المهملة والميم وبعد النون الساكنة دال مهملة ويقال السمندل أيضا بزيادة اللام ذكروا انه طائر يقع فى النار فلا تؤثر فيه ويعمل من ريشه مناديل وتحمل الى هذه البلاد فاذا اتسخت المناديل طرحت فى النار فتأكل النار الوسخ الذى عليها ولا يحترق المنديل ولا تؤثر النار فيه ولقد رأيت منه قطعة ثخينة منسوجة على هيئة حزام الدابة وهى فى طول الحزام وعرضه فجعلوها على النار فما عملت فيه فغمسوا أحد جوانبه فى الزيت وتركوه على فتيلة السراج فاشتعل وبقى زمانا طويلا يشتعل ثم اطفأوه وهو على حاله ما تغير منه شئ ويقولون انه يجلب من بلاد الهند وان هذا الطائر يكون هنالك وفيه نكتة ينبغى ان نذكرها هنا وهى ان طرف تلك القطعة لما وضعوه على السراج تركوه زمانا طويلا والنار لا تعلق فيه فقال بعض الحاضرين هذا ما تعمل فيه النار ولكن اغمسوا هذا الطرف فى الزيت ثم اجعلوه على النار ففعلوا ذلك فاشتعل فظهر من هذا ان النار لا تؤثر فيه على تجرده بل لا بد من غمسه فى شئ من الادهان ثم رأيت بخط شيخنا موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادى فى كتابه الذى جعله لنفسه سيرة انه قدم للملك الظاهر صلاح الدين صاحب حلب قطعة سمندل عرض ذراع فى طول ذراعين فصاروا يغمسونها فى الزيت

ويوقدونها حتى يشتعل الزيت وترجع بيضاء كما كانت والله أعلم ومثله السرفوت دويبة تعشش فى كور الزجاج فى حال توقده واضطرامه وتبيض فيه وتفرخ ولا تعمل بيتها الا فى موضع النار المستمرة الدائمة فسبحان خالق كل شئ وهى بفتح السين المهملة والراء وضم الفاء وسكون الواو وبعدها تاء مثناة من فوقها وأما البيت الرابع الذى ذكر فيه النعام وانه يلتقم الجمر فهذا شئ شاهدناه كثيرا وهو معروف بين الناس وليس بغريب وبالجملة فقد خرجنا عن المقصود لكن الكلام اتصل بعضه ببعض فانتشر وتوفى ابن صابر المذكور فى ليلة الثامن والعشرين من صفر سنة ست وعشرين وستمائة ببغداد ودفن يوم الجمعة غربيها بالمقبرة الجديدة بباب المشهد المعروف بموسى بن جعفر رضى الله عنهما واخبرنى الشهاب التلعفرى المذكور ان مولده فى الخامس والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين وستمائة بمدينة حماة وأنشدنى قبل موته لنفسه وهو آخر شعره

اذا ما بات من ترب فراشى * وصرت مجاور الرب الرحيم
فهنونى اصحابى وقولوا * لك البشرى قدمت على الكريم

وحوثرة بفتح الحاء المهملة وسكون الواو وفتح الثاء المثلثة وبعدها راء ثم هاء وهى فى الاصل اسم لحشفة الذكر وبها سمى الانسان قال ابن الكلبى فى كتاب جمهرة النسب سمى ربيعة بن عمرو بن عوف بن بكر بن وائل حوثرة لانه حج فرأى امرأة معها قعب لها فاستامها فأكثرت فقال والله لو ادخلت حوثرتى فيه يعنى كمرته لملأته فسمى حوثرة والمنجنيقى بفتح الميم وسكون النون وفتح الجيم وكسر النون الثانية وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها قاف هذه النسبة الى المنجنيق وهو معروف واذ قد جرى ذكره فينبغى الكلام عليه فان فيه أشياء غريبة منها انه من جملة الآلات المنقولة المستعملة والقاعدة فى هذا الباب أن تكون ميمه مكسورة الا ما شذ عن ذلك فى الفاظ قليلة مثل منخل ومدهن ومسعط وغير ذلك مع ان ابن الجواليقى فى كتاب المعرب حكى فيه اربع لغات فتح الميم وكسرها على القاعدة ومنجنوق بالواو بدل الياء ومنجليق باللام عوض عن النون الثانية وحكى فى الميم والنون الاولى ثلاثة أقوال قيل انهما اصليتان وقيل زائدتان وقيل الميم اصلية والنون زائدة والله أعلم وهو اسم اعجمى فان الجيم والقاف لا يجتمعان فى كلمة عربية مثل الجرموق والجردق والجوسق والجلاهق والقبج وغير ذلك وهذا مطرد وكذلك الجيم والصاد لا يجتمعان فى كلمة عربية مثل الصهريج والجص والصاج والجصطل وغير ذلك وهو باب مطرد واذا جمعناه حذفنا احدى النونين فان حذفنا النون الاولى قلنا مجانيق وان حذفنا النون الثانية قلنا مناجيق وقال الجوهرى فى كتاب الصحاح الاصل فى المنجنيق من جى نيك تفسيره بالعربى ما اجودنى (قلت) فتفسير من انا وتفسير جى ايش وتفسير نيك جيد أى انا ايش

جيد قال الجوهرى ثم عرب فقيل منجنيق وذكر ابن قتيبة فى كتاب المعارف وأبو هلال العسكرى فى كتاب الاوائل ان أول من وضع المنجنيق جذيمه الابرش ملك العرب و بلاده الحيرة فى ذلك الزمان وقال الواحدى فى تفسيره الوسيط فى سورة الانبياء ان المشركين لما عزموا على احراق ابراهيم الخليل عليه السلام واضرموا النار لم يدروا كيف يلقونه فيها فجاءهم ابليس لعنه الله تعالى فدلهم على المنجنيق وهو أول منجنيق وضع فوضعوه فيه ثم رموه والله أعلم وهذا الفصل كله وان كان خارجا عن المقصود لكنه ما يخلو عن فائدة فلذلك بسطت القول فيه

أبو البقا يعيش بن على بن يعيش بن أبى السرايا بن محمد بن على بن الفضل بن عبد الكريم بن محمد بن يحيى بن حيان القاضى بن بشر بن حيان الاسدى الموصلى الاصل الحلبى المولد والمنشا الملقب موفق الدين النحوى ويعرف بابن الصائغ

قرأ النحو على أبى السخا فتيان الحلبى وأبى العباس المغربى والفيروزى وسمع الحديث على أبى الفضل عبد الله بن أحمد الخطيب الطوسى بالموصل وعلى أبى محمد عبد الله بن عمرو بن سويد التكريتى وبحلب من أبى الفرج يحيى بن محمود الثقفى والقاضى أبى الحسن أحمد بن محمد الطرسوسى وخلد بن محمد بن نصر بن صغير القيسرانى وبدمشق على تاج الدين الكندى وغيرهم وحدث بحلب وكان فاضلا ماهرا فى النحو والتصريف رحل من حلب فى صدر عمره قاصدا بغداد ليدرك ابا البركات عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن الانبارى المقدم ذكره وتلك الطبقة بالعراق و بلاد الجزيرة فلما وصل الى الموصل بلغه خبر وفاته وقد ذكرت تاريخ موته فى ترجمته فاقام بالموصل مدة وسمع الحديث بها ثم رجع الى حلب ولما عزم على التصدر للاقراء سافر الى دمشق واجتمع بالشيخ تاج الدين أبى اليمن زيد بن الحسن الكندى الامام المشهور وقد تقدم ذكره فى حرف الزاى وسأله عن مواضع مشكلة فى العربية وعن اعراب ما ذكره أبو محمد الحريرى فى المقامة العاشرة المعروفة بالرحبيه وهو قوله فى اواخرها حتى اذا لألا الافق ذنب السرحان وآن انبلاج الفجر وحان فاستبهم جواب هذا المكان على الكندى هل الافق وذنب السرحان مرفوعان أو منصوبان أو الافق مرفوع وذنب السرحان منصوب أو على العكس وقال له قد علمت قصدك وانك اردت اعلامى بمكانتك من هذا العلم وكتب له خطه بمدحه والثناء عليه ووصف تقدمه فى الفن الادبى (قلت) وهذه المسئلة يجوز فيها الامور الاربعة والمختار منها نصب الافق ورفع ذنب السرحان وقد ذكر ذلك تاج الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المقدم ذكره المعروف بالبندهى فى كتاب شرح المقامات ولولا خوف الاطالة لبينت ذلك ولما وصلت الى حلب لاجل الاشتغال بالعلم الشريف وكان دخولى اليها يوم الثلاثاء مستهل ذى القعدة

سنة ست وعشرين وستمائة وهي اذ ذاك ام البلاد مشحونة بالعلماء والمشتغلين وكان الشيخ موفق الدين المذكور شيخ الجماعة في الادب لم يكن فيهم مثله فشرعت في القراءة عليه وكان يقرئ بجامعها في المقصورة الشمالية بعد العصر وبين الصلاتين بالمدرسة الرواحية وكان عنده جماعة قد تنبهوا وتميزوا به وهم ملازمون مجلسه لا يفارقونه في وقت الاقراء وابتدأت بكتاب اللمع لابن جني فقرأت عليه معظمها مع سماعي لدروس الجماعة الحاضرين وذلك في أواخر سنة سبع وعشرين وما اتممته لاعلى غيره لعذر اقتضى ذلك وكان حسن التفهيم لطيف الكلام طويل الروح على المبتدي والمنتهي وكان خفيف الروح ظريف الشمايل كثير المجون مع سكينة ووقار ولقد حضرت يوما حلقته وبعض الفقهاء يقرأ عليه اللمع لابن جني فقرأ بيت ذي الرمة في باب النداء

ايا ظبية الوعساء بين جلاجل * وبين النقا آ أنت ام ام سالم

فقال له الشيخ ان هذا الشاعر لشدة ولهه في المحبة وعظم وجده بهذه المحبوبة أم سالم وكثرة مشابهتها للغزال كما جرت عادة الشعراء في تشبيههم النساء الصباح الوجوه بالغزلان والمها اشتبه عليه الحال فلم يدر هل هي امرأة أم ظبية فقال آ أنت ام ام سالم واطال الشيخ موفق الدين القول في ذلك وبسطه باحسن عبارة بحيث يفهمه البليد البعيد الذهن وذلك الفقيه منصت مقبل على كلامه بكليته حتى يتوهم من يراه على تلك الصورة انه قد تعقل جميع ما قاله الشيخ من شرحه فلما فرغ الشيخ من قوله قال له الفقيه يا مولانا ايش في هذه المرأة الحسنا يشبه الظبية فقال له الشيخ قول منبسطا تشبهها في ذنبها وقرونها فضحك الحاضرون وخجل الفقيه وما عدت رأيته حضر مجلسه (قلت) وجلاجل بفتح الجيم وضمها اسم مكان والثانية جيم ايضا وكنا يوما نقرأ عليه بالمدرسة الرواحية فجاء رجل من الاجناد وبيده مسطور بدين وكان الشيخ له عادة بالشهادة في المكاتب الشرعية فقال يا مولانا اشهد على ما في هذا المسطور فاخذه الشيخ من يده وقرأ أوله اقرت فاطمة فقال له الشيخ أنت فاطمة فقال الجندي يا مولانا الساعة تحضر وخرج الى باب المدرسة فاحضرها وهو يتبسم من كلام الشيخ ويقرب من هذا ما تقدم ذكره في ترجمة عامر الشعبي ان شخصا دخل عليه وعنده امرأة فقال ايكما الشعبي فقال له هذه وكنا يوما نقرأ عليه في داره فعطش بعض الحاضرين وطلب من الغلام ماء فاحضره فلما شرب قال ما هذا الاماء بارد فقال له الشيخ لو كان خبزا حارا كان احب اليك وكنا يوما عنده بالمدرسة الرواحية فجاء المؤذن واذن قبل العصر بساعة جيدة فقال له الحاضرون ايش هذا يا شيخ واين وقت العصر فقال الشيخ موفق الدين دعوه عسى ان يكون له شغل فهو مستعجل وكان يوما عنده القاضي بهاء الدين المعروف بابن شداد قاضي حلب الآتي ذكره ان شاء الله تعالى فجرى ذكر زرقاء اليمامة وانها كانت ترى الشئ من المسافة البعيدة حتى قيل تراه من مسيرة ثلاثة أيام فجعل الحاضرون

يقولون

يقولون ماعاوه من ذلك فقال الشيخ موفق الدين انا أرى الشئ من مسيرة شهرين فتعجب الكل من قوله وما امكنهم ان يقولوا له شيأ فقال له القاضي كيف هذا ياموفق فقال لانى أرى الهلال فقال له كان قلت مسافة كذا وكذا سنة فقال لو قلت هذا عرف الجماعة الحاضرون غرضى وكان قصدى الابهام عليهم وله نوادر كثيرة يطول ذكرها وكنت يوما عنده وقد قدم عليه من الموصل رجل من فضلاء المغاربة فى علم الادب خفيف حاشيته وبحث فى درسه بحث رجل فاضل وجرى ذكر مباحث جرت له بالموصل مع جماعة من ادبائها وقال كنت عند ضياء الدين نصر الله بن الاثير الجزرى (قلت وقد سبق ذكره) قال فتحاورنا وتناشدنا فانشدته قول بعض المغاربة (قلت هذه الابيات ذكر أبو اسحاق الحصرى انها لبعض مشايخ القيروان رواها عنه ولم يعينه (قلت) غالب ظنى انه أبو الحسن على بن عبد الغنى الحصرى والابيات التى أنشدها ولم يذكر انها له رأيتها فى بعض المجاميع منسوبة الى أبى الحجاج الشاعر المشهور وهى

ومعذرين كأن نبت خدودهم * اقلام مسك تستمد خلوقا
قرنوا البنفسج بالشقيق ونضدوا * تحت الزبرجد لؤلؤا وعقيقا
فهم الذين اذا الخلى رآهم * وجد الهوى بهم اليه طريقا

قلت ونصف البيت الثانى مثل قول ابن الذروى المصرى فى أبياته التى سبق ذكرها فى ترجمة المبارك بن منقذ وهو قوله

حلا تحت ياقوت اللمى ثغر لؤلؤ * رطيبا وابدى شاربا من زمرد

ومن المنسوب الى أبى محمد الحسن بن على المعروف بابن وكيع التنيسى المقدم ذكره فى حرف الحاء

جوهرى الاوصاف يقصر عنه * كل فهم وكل ذهن دقيق
شارب من زمرد وثنايا * لؤلؤ فوقها فم من عقيق

وذكرت بهذه الابيات بيتين كنت احفظهما ويحسن ذكرهما بعد هذا وهما

ولما وقفنا للوداع وصارما * كنا نطن من النوى تحقيقا
نثروا على ورق الشقائق لؤلؤا * ونثرت من فوق البهار عقيقا

وكذا بيت الوأواء الدمشقى

فأمطرت لؤلؤا من نرجس فسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

وكذا قول محمد بن سعيد العامرى الدمشقى وقيل انها لابن وكيع

لما اعتنقنا للوداع واعربت * عبراتنا عنا بدمع ناطق
فرقن بين معاجر ومحاجر * وجمعن بين بنفسج وشقائق
وانا الفداء لظبية احداقنا * موصولة من وجهها بحدائق

وينسب الى أبى الفتح الحسن بن أبى حصينة الحلبى الشاعر المشهور من هذا أيضا

ولما رقمنا للوداع وقلبها * وقلبي بفيضان الصبابة والوجدا
بكت لؤلؤا رطبا وفاضت مدامعي * عقيقا فصار الكل في نحرها عقدا

وأنشدني صاحبنا الحسام عيسى بن سنجر بن بهرام الحاجري الاربلي المقدم ذكره لنفسه

ولما التقينا ومر الزمان * وأى دمع عيني دما في المآقي
فقال وعهدي به لؤلؤا * يجري عقيقا وهذا التلاقي
فقلت حبيبي لا تعجبن * جعلت فدى لك ميتا وباقي
فتلك اوائل دمع الوداع * وهذا اواخر دمع الفراق

وكان الشيخ موفق الدين المذكور كثيرا ما ينشد منسوبا الى ابي علي الحسن بن رشيق المقدم ذكره ثم كشفت ديوانه فلم أجد هذه الابيات فيه والله أعلم وهي

وقد كنت لا آتي اليك مخاتلا * لديك ولا اني عليك تصنعا
ولكن رأيت المدح فيك فريضة * علي اذا كان المديح تطوعا
فقمت بما لم يعف عنك مكانه * من القول حتى ضاق مما توسعا
فلا تحاسبك الظنون فانها * مآثم واترك في للصلح موضعا
فلو غيرك الموسوم عندي بريبة * لاعطيت فيه مدعي القول ما ادعى
فوالله ما طولت بالقول فيكم * لسانا ولا عرضت للذم مسمعا
ولكنني اكرمت نفسي فلم تهن * واجللتها من ان تذل وتخضعا
فباينت لا أن العداوة باينت * وقاطعت لا أن الوفاء تقطعا

(قلت) وقد قيل في هذا الباب شئ كثير ولا حاجة الى الاطالة وشرح الشيخ موفق الدين كتاب المفصل لابي القاسم الزمخشري شرحا مستوفيا وليس في جملة الشروح مثله وشرح تصريف الملوكي لابن جني شرحا جيدا وانتفع به خلق كثير من أهل حلب وغيرها حتى ان الرؤساء الذين كانوا بحلب ذلك الزمان كانوا تلامذته وكانت ولادته لثلاث خلون من شهر رمضان سنة ست وخمسين وخمسمائة بحلب وتوفي بها سحر الخامس والعشرين من جمادى الاولى سنة ثلاث وأربعين وستمائة ودفن من يومه بتربته بالمقام المنسوب الى ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه ورحمه الله

ابو بكر عوث بن المزرع بن عوث بن عيسى المزرع ابن موسى بن سنان بن حكيم ابن جبلة ابن حصن بن اسود بن كعب بن عامر بن عدي بن الحرث بن الديل بن عمرو بن غنم بن وديعة بن دكين بن افصى بن عبد القيس بن افصى بن دعمي بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار بن معد ابن عدنان العبدي البصري

(قلت) ووجدت في كتاب جمهرة النسب تأليف ابن الكلبي عند ذكره حكيم بن جبلة المذكور وقد ساق نسبه على هذه الصورة وفي الحاشية مكتوب ما مثاله من ولد حكيم

ابن جبلة المذكور يموت بن المزرع بن يموت وقد ساق نسبه على هذه الصورة حتى ألحقه بحكيم بن جبلة المذكور والعهدة عليه في ذلك ورأيت بخطي في مسودتي يموت بن المزرع بن يموت بن المزرع بن يموت بن عدس بن سيار بن المزرع بن الحرث بن ثعلبة بن عمرو بن ضمرة بن دلهاث بن بكر بن وديعة بن بكر بن كثير بن أفصى المذكور والله أعلم بالصواب في ذلك وكان يموت قد سمى نفسه محمدا وذكره الخطيب البغدادي في تاريخه الكبير في المحمدين ثم ذكره في حرف الياء وقال هو يموت ابن أخت أبي عثمان الجاحظ وقد تقدم ذكره قدم يموت بن المزرع بغداد في سنة احدى وثلثمائة وهو شيخ كبير وحدث بها عن أبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني وأبي الفضل الرياشي ونصر بن علي الجهضمي وعبد الرحمن ابن أخي الاصمعي ومحمد بن يحيي الازدي وأبي اسحاق ابراهيم ابن سفيان الزيادي وغيرهم وروى عنه أبو بكر الخرايطي وأبو الميمون بن راشد وأبو الفضل العباس بن محمد الرقي وأبو بكر بن مجاهد المقرى وأبو بكر بن الانبارى وغيرهم وكان اديبا اخباريا وله ملح ونوادر وكان لا يعود مريضا خوفا من ان يتطير باسمه وكان يقول بليت بالاسم الذي سماني به ابي فاني اذا عدت مريضا فاستأذنت عليه فقيل من هذا قلت انا ابن المزرع وأسقطت اسمي ومدحه منصور الفقيه الضرير الشاعر بقوله

انت يحيي والذي يكره ان تحيي يموت

انت صنو النفس بل * انت لروح النفس قوت

انت للحكمة بيت * لاخلت منك البيوت

ومن اخباره انه قال أخبرني أبو الفضل الرياشي قال سمعت الاصمعي يقول سخط هارون الرشيد على عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه في سنة ثمان وثمانين ومائة ولقد كنت عند الرشيد وقد اتى بعبد الملك يرفل في قيوده فلما نظر الرشيد اليه قال لههيه يا عبد الملك كأني والله انظر شؤبوبها قد همع والى عارضها قد لمع وكأني بالوعيد قد اقلع عن براجم بلامعاصم ورؤس بلاغلاصم مهلا مهلا بني هاشم فبي والله سهل لكم الوعر وصفا لكم الكدر وألقت اليكم الامور أزمتها فخذوا واحذركم مني قبل حلول داهية خبوط باليد والرجل فقال له عبد الملك أفذا اتكلم ام توأما فقال بل توأما فقال اتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولاك وراقبه في رعاياك التي استرعاك فقد سهلت والله لك الوعور وجمعت على خوفك ورجائك الصدور وكنت كما قال اخو بني جعفر بن كلاب

ومقام ضيق فرجته * بلسان وبيان وجدل

لو يقوم الفيل اوفياله * زل عن مثل مقامي وزحل

قال فاراد يحيي بن خالد البرمكي ان يضع من مقدار عبد الملك عند الرشيد فقال يا عبد الملك

بلغني انك حقود فقال له اصلح الله الوزير ان يكن الحقد هو بقاء الخير والشر عندي فانهما لباقيان في قلبي قال الاصمعي فالتفت الرشيد الي وقال يا اصمعي حررتها والله ما احتج أحد للحقد بمثل ما احتج به عبد الملك ثم أمر به فرد الى محبسه قال الاصمعي ثم التفت الرشيد الي وقال يا اصمعي والله لقد نظرت الى موضع السيف من عنقه مرارا ويمنعني من ذلك ابقائي على قومي في مثله (قلت) وعبد الملك بن صالح قد ذكرته في ترجمة أبي عبادة الوليد البحتري الشاعر المشهور ونبهت على تاريخ وفاته وروى عون بن المزرع أيضا ان أحمد بن محمد بن عبيد الله أبا الحسن الكاتب المعروف بابن المدبر الضبي الرستيساني كان اذا مدحه شاعر فلم يرض شعره قال لغلامه امض به الى المسجد الجامع ولا تفارقه حتى يصلي مائة ركعة ثم أطلقه فتحاماه الشعراء الا الافراد المجيدين فجاءه أبو عبد الله الحسين بن عبد السلام المصري المعروف بالجمل فاستأذنه في النشيد فقال له قد عرفت الشرط قال نعم ثم أنشده

اردنا في ابي حسن مديحا * كما بالمدح تنتجع الولاة
فقلنا اكرم الثقلين طرا * ومن كفاه دجلة والفرات
فقالوا يقبل المدحات لكن * جوائزه عليهن الصلاة
فقلت لهم وما تغني صلاتي * عيالي انما الشان الزكاة
فيأمر لي بكسر الصاد منها * فتصبح لي الصلاة هي الصلات

فضحك ابن المدبر واستظرفه وقال من أين أخذت هذا فقال من قول أبي تمام الطائي

هن الحمام فان كسرت عيافة * من حائهن فانهن حمام

فاستحسن ذلك واحسن صلته وكان أحمد بن المدبر يتولى الخراج بمصر فحبسه أحمد بن طولون في سنة خمس وستين ومائتين ومات في حبسه في صفر سنة سبعين ومائتين وقيل بل قتله ابن طولون والله أعلم والمدبر بكسر الباء الموحدة المشددة (وحدث) ابن المزرع أيضا عن خاله أبي عثمان الجاحظ انه قال طلب المعتصم جارية كانت لمحمود بن الحسن الشاعر المشهور بالوراق وكانت تسمى نشوى وكان شديد الغرام بها وبذل في ثمنها سبعة آلاف دينار فامتنع محمود من بيعها لانه كان يهواها أيضا فلما مات محمود اشتريت الجارية للمعتصم من تركته بسبعمائة دينار فلما دخلت عليه قال لها كيف رأيت تركتك حتى اشتريتك من سبعة آلاف بسبعمائة دينار قالت اجل اذا كان الخليفة ينتظر لشهواته المواريث فان سبعين دينارا لكثيرة في ثمني فضلا عن سبعمائة فخجل المعتصم من كلامها وقال ابن المزرع حدثني من رأى قبرا بالشام عليه مكتوب لا يغترن أحد بالدنيا فاني ابن من كان يطلق الريح اذا شاء ويحبسها اذا شاء وبجنبه قبر مكتوب عليه كذب الماص بظر أمه لا يظن أحد أنه ابن سليمان بن داود عليهما السلام انما هو ابن حداد يجمع الريح في الزق ثم ينفخ بها الجمر قال فما رأيت قبلهما قبرين

يتشاتمان

يتشاغمان والله أعلم ولابن المزرع اخبار وحكايات ونوادر ولسنا نقصد الاطالة بل الايجاز بحسب الامكان الان ينتشر الكلام وكان له ولد يدعى ابا نضلة مهلهل ابن يموت بن المزرع وكان شاعرا جيدا ذكره المسعودى فى كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر فقال فى حقه هو من شعراء هذا الزمان وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وفيه يقول أبوه مخاطبا له

مهلهل قد حلبت سطور دهرى * وكافحنى بها الزمن العنوت
وحاربت الرجال بكل ربع * فاذعن لى الحثالة والرتوت
فاوجع ما أجن عليه قلبى * كريم غمه زمن غتوت
كفى حزنا بضيعة ذى قديم * وابناء العبيد لها التخوت
وقد اسهرت عينى بعض غمض * مخافة ان تضيع اذا فنيت
وفى لطف المهيمن لى عزاء * بمثلك ان فنيت وان بقيت
تجنب فى الارض وابغ بها علوما * ولا تقطعك جائحة ثبوت
وان بخل العليم عليك يوما * فذل له وديدنك السكوت
وقل بالعلم كان ابى جوادا * يقال ومن ابوك فقل يموت
يقر لك الاباعد والادانى * بعلم ليس يجحده البهوت

وكان يموت قد قدم مصر مرارا وآخر قدومه اليها فى سنة ثلاث وثلثمائة وخرج فى سنة أربع وثلثمائة وقال ابو سعيد بن يونس الصدفى المصرى فى تاريخه المختص بالغرباء مات يموت بن المزرع سنة أربع وثلثمائة بدمشق وقال ابو سليمان بن زبن فى تاريخه انه مات فى سنة ثلاث وثلثمائة بطبرية الشام والله أعلم وأما ولده مهلهل فان الخطيب ذكره فى تاريخ بغداد وقال هو شاعر مليح الشعر فى الغزل وغيره وسكن بغداد وسمع منه وكتب عنه شعره أو بعضه ابراهيم بن محمد المعروف بتوزون ثم قال الخطيب أخبرنا التنوخى قال قال لنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن العباس الاخبارى حضرت فى سنة ست وعشرين وثلثمائة مجلس تحفة القوالة جارية أبى عبد الله بن عمر البازيار والى جانبى عن يسرتى أبو نضلة مهلهل بن يموت بن المزرع وعن يمينى أبو القاسم بن أبى الحسن البغدادى فغنت تحفة من وراء الستارة بهذه الابيات

بى شغل عن التشاغل عنه * بهواه وان تشاغل عنى
ظن بى جفوة فاعرض عنى * وبدا منه ما تخوف منى
سره ان اكون فيه حزينا * فسرورى اذا تضاعف حزنى

فقال لى أبو نضلة هذا الشعر لى فسمعه أبو القاسم وكان ينحرف عن أبى نضلة فقال قل له ان كان هذا الشعر له يزيد فيه بيتا فقلت له ذلك على وجه جميل فقال

هو فى الحسن فتنة قد اصارت * فتنتى فى هواه من كل فن

ومن المنسوب الى مهلهل أيضا

جات محاسنه عن كل تشبية * وجل عن واصف فى الناس يحكيه
النرجس الغض والورد الجنى له * والاقحوان النضير النضر فى فيه
انظر الى حسنه واستغن عن صفتى * سبحان خالقه سبحان باريه
دعا بالحاظه قلبى الى عطب * فجاءه مسرعا طوعا يلبيه
مثل الفراشة تأتى اذ ترى لهبا * الى السراج فتلقى نفسها فيه

وذكر له الخطيب شعرا غير هذا فاضربت عن ذكره والمزرع بضم الميم وفتح الزاى وبعدها راء مشددة مفتوحة ثم عين مهملة هكذا قاله لى الشيخ الحافظ زكى الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوى بن عبد الله المنذرى رحمه الله تعالى وأما حكيم بن جبلة المذكور فى عمود هذا النسب فانه بفتح الحاء المهملة وكسر الكاف ويقال أيضا بضم الحاء وفتح الكاف ويقال جبلة وجبل وكان من اعوان على بن أبى طالب رضى الله عنه ولما بويع على بالخلافة بايعه طلحة بن عبد الله التيمى والزبير بن العوام الاسدى رضى الله عنهما فعزم على رضى الله عنه على تولية الزبير البصرة وتولية طلحة اليمن فخرجت مولاة لعلى فسمعتهما يقولان مابايعناه الا بالسنتنا وما بايعناه بقلوبنا فاخبرت مولاها بذلك فقال ابعدهما الله تعالى ومن نكث فانما ينكث على نفسه وبعث الى البصرة عثمان بن حنيف الانصارى والى اليمن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه فاستعمل ابن حنيف حكيم بن جبلة المذكور على شرطة البصرة ثم ان طلحة والزبير لحقا بمكة وفيها عائشة رضى الله تعالى عنها فاتفقوا وقصدوا البصرة وفيها ابن حنيف المذكور فاتى حكيم بن جبلة الى ابن حنيف وأشار عليه بمنعهم من دخول البصرة فابى وقال ما ادرى ما رأى أمير المؤمنين فى ذلك فدخلوها وتلقاهم الناس فرقتهم وافى مربد البصرة وتكلموا فى قتل عثمان بن عفان وبيعة على رضى الله تعالى عنهما فرد عليهم رجل من عبد القيس فقالوا منه وتهدد الحيته وترامى الناس بالحجارة واضطربوا فجاء حكيم بن جبلة الى ابن حنيف ودعاه الى قتالهم فأبى ثم اتى عبد الله ابن الزبير الى خزينة الرزق ليرزق اصحابه من الطعام الذى فيها وغدا حكيم بن جبلة فى سبعمائة من عبد القيس فقاتله فقتل حكيم وسبعون رجلا من أصحابه وروى ان ابن جبلة قال لامرأة وكانت من الازد لاعلن بقومك اليوم عملا يكونون به حديثا لناس فقالت له أمان قومى سيضربونك اليوم ضربة تكون حديثا للناس فلقيه رجل يقال له ضحيم فضرب عنقه فبقى معلقا بجلده فاستدار رأسه فبقى مقبلا بوجهه على دبره وكان ذلك قبل وصول على رضى الله عنه بجيوشه اليهم ثم قدم عليهم وتقابل الجيشان يوم الخميس النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين للهجرة عند موضع قصر عبيد الله بن زياد ثم كانت الوقعة العظمى المشهورة بوقعة الجمل يوم الخميس لعشر

يقين

بقين من الشهر المذكور وكان اول قدومهم وقتل حكيم بن جبلة قبل ذلك بايام فى هذا الشهر أيضا وقتل بين الفريقين مقدار عشرة آلاف وقتل طلحة والزبير رضى الله عنهما فى ذلك اليوم لكنه بغير قتال ولولا خوف الاطالة لشرحته وقال المامونى فى تاريخه وقيل ان أهل المدينة علموا بيوم الجمل يوم الخميس قبل ان تغرب الشمس وفيه كان القتال وذلك ان نسرا مر بما حول المدينة ومعه شئ متعلق فتامله الناس فوقع فاذا كف فيها خاتم نقشه عبد الرحمن بن عتاب بن اسيد ثم ان كل من بين مكة والمدينة ممن قرب من البصرة او بعد علموا بالوقعة مما نقلت النسور اليهم من الايدى والاقدام (قلت) وذكر كشاجم فى كتاب المصايد والمطارد أن العقاب القت كف عبد الرحمن بمكة وكذلك ذكره فى كتاب المهذب فى الفقه فى باب الصلاة على الميت وذكر ابن الكلبى وأبو اليقظان فى كتابيهما ان العقاب القتها باليمامة والله أعلم بالصواب

أبو يعقوب يوسف بن يحيى المصرى البويطى صاحب الإمام الشافعى رضى الله عنه

كان واسطة عقد جماعته وأظهرهم نجابة اختص به فى حياته وقام مقامه فى الدرس والفتوى بعد وفاته سمع الاحاديث النبوية من عبد الله بن وهب الفقيه المالكى المتقدم ذكره ومن الامام الشافعى وروى عنه أبو اسماعيل الترمذى وابراهيم بن اسحاق الحربى والقسم بن المغيرة الجوهرى واحمد بن منصور الرمادى وغيرهم وكان قد حمل فى ايام الواثق بالله من مصر الى بغداد فى مدة المحنة واريد على القول بخلق القرآن فامتنع من الاجابة الى ذلك فحبس ببغداد ولم يزل فى السجن والقيد حتى مات وكان صالحا متنسكا عابدا زاهدا وقال الربيع بن سليمان رايت البويطى على بغل فى عنقه غل وفى رجليه قيد وبين الغل والقيد سلسلة من حديد فيها طوبة وزنها أربعون رطلا وهو يقول انما خلق الله سبحانه وتعالى الخلق بكن فاذا كانت كن مخلوقة فكأن مخلوقا خلق مخلوقا فوالله لاموتن فى حديدى حتى يأتى من بعدى قوم يعلمون انه مات فى هذا الشان قوم فى حديدهم ولئن ادخلت عليه لاصدقنه يعنى الواثق وقال أبو عمر بن عبد البر الحافظ فى كتاب الانتقاء فى فضائل الثلاثة الفقهاء ان ابن ابى الليث الحنفى قاضى مصر كان يحسده ويعاديه فاخرجه فى وقت المحنة فى القرآن العظيم فيمن اخرج من مصر الى بغداد ولم يخرج من أصحاب الشافعى غيره وحمل الى بغداد وحبس فلم يجب الى ما دعى اليه فى القرآن وقال هو كلام الله غير مخلوق وحبس ومات فى السجن وقال الشيخ أبو اسحاق الشيرازى فى كتاب طبقات الفقهاء كان أبو يعقوب البويطى اذا سمع المؤذن وهو فى السجن يوم الجمعة اغتسل ولبس ثيابه ومشى حتى يبلغ باب السجن فيقول له السجان اين تريد فيقول اجيب داعى الله فيقول ارجع عافاك الله فيقول أبو يعقوب اللهم انك تعلم انى قد اجبت داعيك فمنعونى وقال أبو الوليد بن

أبي الجارود كان البويطي جاري فما كنت انتبه ساعة من الليل الاسمعته يقرأ ويصلي وقال الربيع كان ابو يعقوب ابدا يحرك شفتيه بذكر الله تعالى وما رأيت أحدا ابرع بحجته من كتاب الله تعالى من ابي يعقوب البويطي وقال الربيع أيضا كان لابي يعقوب منزلة من الشافعي وكان الرجل ربما يسأله عن المسئلة فيقول له سل ابا يعقوب فاذا أجابه أخبره فيقول هو كما قال وقال أيضا ربما جاء رسول صاحب الشرطة الى الشافعي يستفتيه فيوجه ابا يعقوب البويطي ويقول هذا لساني وقال الخطيب البغدادي في تاريخه لما مرض الشافعي مرضه الذي مات فيه جاء محمد بن عبد الحكم ينازع البويطي في مجلس الشافعي فقال البويطي انا أحق به منك وقال ابن عبد الحكم انا أحق بمجلسه منك فجاء أبو بكر الحميدي وكان في تلك الايام بمصر فقال قال الشافعي ليس أحد أحق بمجلسي من يوسف بن يحيى وليس احد من أصحابي اعلم منه فقال له ابن عبد الحكم كذبت فقال الحميدي كذبت أنت وكذب أبوك وكذبت أمك فغضب ابن عبد الحكم وترك مجلس الشافعي وتقدم فجلس في الطاق وترك طاقا بين مجلس الشافعي ومجلسه وجلس البويطي في مجلس الشافعي في الطاق الذي كان يجلس فيه وقال أبو العباس محمد بن يعقوب الاصم رأيت أبي في المنام فقال لي يا بني عليك بكتاب البويطي فليس في الكتب اقل خطأ منه وقال الربيع بن سليمان كنت عند الشافعي انا والمزني وأبو يعقوب البويطي فنظر الينا وقال لي انت تموت في الحديث وقال للمزني هذا لو ناظره الشيطان لقطعه او جدله وقال للبويطي أنت تموت في الحديد قال الربيع فدخلت على البويطي ايام المحنة فرأيته مقيدا الى انصاف ساقيه مغلولة يداه الى عنقه وقال الربيع أيضا كتب الي أبو يعقوب من السجن انه ليأتي علي اوقات لا احس بالحديد انه على بدني حتى تمسه يدي فاذا قرأت كتابي هذا فأحسن خلقك مع أهل حلقتك واستوص بالغرباء خاصة خيرا فكثيرا ما كنت اسمع الشافعي رضي الله عنه يتمثل بهذا البيت

اهين لهم نفسي لاكرمهم بها ۞ ولن تكرم النفس التي لا تهينها

واخباره كثيرة وتوفي يوم الجمعة قبل الصلاة في رجب سنة احدى وثلاثين ومائتين في القيد والسجن ببغداد وقيل انه توفي سنة اثنين وثلاثين والاول أصح رحمه الله تعالى وقال ابن الفرات في تاريخه توفي يوم الثلاثاء ثاني رجب والله أعلم والبويطي بضم الباء الموحدة وفتح الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها طاء مهملة هذه النسبة الى بويط وهي قرية من اعمال الصعيد الادنى من ديار مصر ويوسف بضم السين وفتحها وكسرها مع الواو وضم السين وفتحها وكسرها مع الهمزة عوض عن الواو فالمجموع ست لغات والياء في اوله مضمومة في اللغات الست وسيأتي نظيره في يونس

القاضي يوسف بن أحمد بن يوسف بن كج الكجي الدينوري

كان أحد أئمة الشافعية صحب ابا الحسين القطان وحضر مجلس أبي القاسم عبد العزيز الداركي وجمع بين رياسة العلم والدنيا وارتحل الناس اليه من الآفاق للاشتغال عليه بالدينور رغبة في علمه وجودة نظره وله وجه في مذهب الشافعي رضي الله عنه وصنف كتبا كثيرة انتفع بها الفقهاء قال أبو سعيد السمعاني لما انصرف أبو علي الحسين بن شعيب السنجي من عند الشيخ أبي حامد الاسفرايني اجتاز به فرأى علمه وفضله فقال له يا استاذ الاسم لأبي حامد والعلم لك فقال ذاك رفعته بغداد وحطتني الدينور وتولى القضاء ببلده وكانت له نعمة كثيرة وقتله العيارون بالدينور في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة خمس وأربعمائة رحمه الله تعالى وكج بكاف مفتوحة وجيم مشددة وقد تقدم الكلام على الدينور فاغنى عن الاعادة والكجي نسبة الى جده المذكور.

يوسف بن عبد البر بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي

امام عصره في الحديث والاثر وما يتعلق بهما

روى بقرطبة عن أبي القاسم خلف بن القسم الحافظ وعبد الوارث بن سفيان وابي سعيد نصر وابي محمد بن عبد المؤمن وابي عمر والباجي وابي عمر الطلمنكي وأبي الوليد ابن الفرضي وغيرهم وكتب اليه من أهل المشرق أبو القاسم السقطي المكي وعبد الغني ابن سعيد الحافظ وأبو ذر الهروي وأبو محمد النحاس المصري وغيرهم قال القاضي أبو علي بن سكرة سمعت شيخنا القاضي أبا الوليد الباجي يقول لم يكن بالاندلس مثل أبي عمر بن عبد البر في الحديث وقال الباجي أيضا أبو عمر احفظ أهل المغرب وقال أبو علي الحسين بن أحمد بن محمد الغساني الاندلسي الجياني المقدم ذكره ان ابن عبد البر شيخنا من أهل قرطبة بها طلب الفقه وتفقه ولزم أبا عمر أحمد بن عبد الملك بن هاشم الفقيه الاشبيلي وكتب بين يديه ولزم ابا الوليد بن الفرضي الحافظ وعنه أخذ كثيرا من علم الادب والحديث ودأب في طلب العلم وافتى به وبرع براعة فاق فيها من تقدمه من رجال الاندلس والف في الموطأ كتبا مفيدة منها كتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والاسانيد ورتبه على اسماء شيوخ مالك على حروف المعجم وهو كتاب لم يتقدمه أحد الى مثله وهو سبعون جزءا قال أبو محمد بن حزم لا اعلم في الكلام على فقه الحديث مثله فكيف أحسن منه ثم صنع كتاب الاستذكار لمذاهب الاعصار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار شرح فيه الموطا على وجهه ونسق ابوابه وجمع في اسماء الصحابة رضي الله عنهم كتابا مفيدا جليلا سماه الاستيعاب وله كتاب جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله وله كتاب الدرر في اختصار المغازي والسير وكتاب العقل والعقلاء وما جاء في أوصافهم وله كتاب صغير في قبائل العرب وانسابهم وغير ذلك من

تأليفه وكان • وفاق التاليف معاناعليه ونفع الله به وكان مع تقدمه فى علم الاثر وبصره بالفقه ومعانى الحديث له بسطة كثيرة فى علم النسب وفارق قرطبة وجال فى غرب الاندلس مدة ثم تحول الى شرق الاندلس وسكن دانية من بلادها وبلنسيه وشاطبة فى أوقات مختلفة وتولى قضاء الاشبونة وشنترين فى ايام ملكها المظفر بن الافطس وصنف كتاب بهجة المجالس وانس المجالس فى ثلاثة اسفار جمع فيه أشياء مستحسنة تصلح للمذاكرة والمحاضرة من ذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى فى منامه انه دخل الجنة ورأى فيها عذقا مدلى فاعجبه وقال لمن هذا فقيل لابى جهل فشق ذلك عليه وقال مالابى جهل والجنة والله لايدخلها أبدا فانها لايدخلها الانفس مؤمنة فلما أتاه عكرمة بن أبى جهل مسلما فرح به وقام اليه وتاول ذلك العذق عكرمة ابنه ومنه أيضا انه قيل لجعفر بن محمد يعنى الصادق كم تتأخر الرؤيا قال رأى النبى صلى الله عليه وسلم كان كلبا ابقع يلغ فى دمه فكان شمر بن ذى الجوشن قاتل الحسين بن على رضى الله عنه وكان ابرص فكان تأخر الرؤيا خمسين سنة ومن ذلك أيضا ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى رؤيا فقصها على أبى بكر الصديق رضى الله عنه وقال يا أبابكر رأيت كأنى أناواوانت رقى فى درجة فسبقتك بمرقاتين ونصف فقال يارسول الله يقبضك الله تعالى الى مغفرته ورحمته واعيش بعدك سنتين ونصفا ومن ذلك ان بعض أهل الشام قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه رأيت كان الشمس والقمر اقتتلا ومع كل واحد منهما فريق من النجوم قال مع أيهما كنت قال مع القمر قال مع الآية الممحوة لاعملت لى عملا ابدا وعزله وقتل مع معاوية بن أبى سفيان بصفين وقالت عائشة رضى الله عنها رأيت كان ثلاثة اقمار سقطن فى حجرتى فقال لها أبو بكر رضى الله عنه ان صدقت رؤياك دفن فى بيتك ثلاثة من خير أهل الارض فلما دفن النبى صلى الله عليه وسلم فى بيتها قال لها أبو بكر هذا أحد أقمارك وهو خيرها ومنه أيضا ان اعرابيا وقيل هو الحطيئة الشاعر أراد سفرا فقال لامرأته شعرا

عدى السنين لغيبتى وتصبرى * وذرى الشهور فانهن قصار

فاجابته

اذكر صبابتنا اليك وشوقنا * وارحم بناتك انهن صغار

فاقام وترك سفره وقال الهيثم بن عدى قال لى صالح بن حسان من افقه الشعراء فقلت اختلفوا فى ذلك فقيل افقه الشعراء وضاح اليمن حيث يقول

اذا قلت هاتى نولينى تبسمت * وقالت معاذ الله من فعل ما حرم

فما نولت حتى تضرعت عندها * واعلمتها ما رخص الله فى اللمم

ومنه أيضا قيل لاسلم بن زرعة انك زعمت من أصحاب مرداس غضب عليك الامير عبيدالله بن زياد فقال لان يغضب على وانا حى خير من ان يرضى عنى وانا ميت ومنه

أيضا ان اعرابيا مدب آخر فسكت فقيل له لم سكت عنه فقال ليس لى علم بمساويه وكرهت ان ابهته بما ليس فيه ومما قيل فى المعنى

ثالبنى عمرو وثالبته * قد اثم المثلوب والثالب
فقلت له خيرا فقال الخنا * كل على صاحبه كاذب

وقال على بن الحسين رضى الله عنهما اذا قال فيك رجل مالا يعلم فيك من الخير يوشك ان يقول فيك مالم يعلم من الشر ومنه أيضا ذكر المغيرة بن شعبة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال كان والله افضل من ان يخدع ومنه أيضا (روى) انه لما اهبط الله تعالى ادم عليه السلام الى الارض اتاه جبريل عليه السلام فقال يا ادم ان الله عز وجل قد احضر لك ثلاث خصال اختار منهن واحدة وتخلى عن ثنتين قال وماهن قال الحياء والدين والعقل قال آدم انى قد اخترت العقل فقال جبريل للحيا والدين ارتفعا فقد اختار العقل قالا لا نرتفع قال ولم عصيتما قالا لا ولكن امرنا ان لا نفارق العقل حيث كان وقال عبد الملك بن عبد الحميد من ابيات فى الهجاء

الماء فى دار عثمان له ثمن * والخبز فيها له شان من الشان
عثمان يعلم ان الحمد ذو ثمن * لكنه يشتهى حمدا بمجان
والناس اكيس من ان يحمدوا احدا * حتى يروا عنده آثار احسان

ومن كتاب بهجة المجالس أيضا قال الرياشى خرج الناس بالبصرة ينظرون هلال شهر رمضان فرآه واحد منهم ولم يزل يومى اليه حتى راه معه غيره وعاينوه فلما كان هلال الفطر جاء الجماز صاحب النوادر الى ذلك الرجل فدق عليه الباب فقال قم أخرجنا مما ادخلتنا فيه (قلت) وهذا الجماز أبو عبد الله محمد بن عمرو بن حماد بن عطا بن ريان مولى ابى بكر الصديق رضى الله عنه وهو ابن أخت سالم الخاسر وقال السمعانى فى حقه كان خبيث اللسان حسن النادرة وكان اكبر من أبى نواس وقيل فى نسبه غير ذلك والجماز لقبه وهو بفتح الجيم وتشديد الميم وبعد الالف زاى فمن نوادره انه قال اصبحت فى يوم مطير فقالت لى امرأتى أى شئ يطيب به هذا اليوم فقلت لها الطلاق فسكتت عنى ودخل عليه يوما بعض اخوانه وقد طبخ وغرف الطعام فقال الداخل سبحان الله ما اعجب اسباب الرزق فقال الجماز اسباب الحرمان والله اعجب الطلاق لازم لى ان أكلت منه شيأ ومنه أيضا قال له السمرورى الشاعر ولدت امرأتى البارحة ولدا كانه دينار منقوش فقال له الجماز لاعن امه وللجماز أيضا شعر ذكره فى كتاب الوراقة فمن ذلك ما كتبه الى صاحب له وكان يلازم الجامع ثم انقطع عنه

فلا نافلة تاتى * ولا تشهد مكتوبه
واخبارك تأتينا * على الاعلام منصوبه
فان زدت من الغيبه * زدناك من الغيبه

ومنه أيضا قال اردشير احذروا صولة الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع واعلموا ان الكرام اصبر نفوسا واللئام اصبر اجساما قلت هذا كله نقلته من بهجة المجالس وفيه كفاية فلا حاجة الى الاطالة وتوفى الحافظ أبو عمر المذكور يوم الجمعة آخر يوم من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وأربعمائة بمدينة شاطبة من شرق الاندلس وقال صاحبه أبو الحسن طاهر بن مفوز المعافرى وهو الذى صلى عليه سمعت أبا عمر بن عبد البر يقول ولدت يوم الجمعة والامام يخطب لخمس بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وثلثمائة وقد تقدم فى ترجمة الخطيب أبى بكر أحمد بن على بن ثابت البغدادى الحافظ انه كان حافظ المشرق وابن عبد البر حافظ المغرب وماتا فى سنة واحدة وهما امامان فى هذا الفن والنمرى بفتح النون والميم وبعدها راء هذه النسبة الى النمر بن قاسط بفتح النون وكسر الميم وانما فتح الميم فى النسبة خاصة وهى قبيلة كبيرة مشهورة وقد تقدم الكلام على قرطبة وشاطبة فاغنى عن الاعادة وذكر أبو عمر المذكور أن والده أبا محمد عبد الله بن محمد بن عبد البر توفى فى شهر ربيع الآخر سنة ثمانين وثلثمائة رحمه الله تعالى وكان ولده أبو محمد عبد الله بن يوسف من أهل الادب البارع والبلاغة وله رسائل وشعر فمن شعره قوله

لا تكثرنّ تأملا * واحبس عليك عنان طرفك
فلربما ارسلته * فرماك فى ميدان حتفك

قيل انه مات سنة ثمانين وأربعمائة

أبو محمد يوسف بن أبى سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافى النحوى اللغوى الاخبارى الفاضل ابن الفاضل

قد تقدم ذكر أبيه الحسن فى حرف الحاء كان أبو محمد المذكور عالما بالنحو وتصدر فى مجلس أبيه بعد موته فى التاريخ المذكور فى ترجمته وخلفه على ما كان عليه وقد كان يفيد الطلبة فى حياة أبيه واكمل كتاب أبيه الذى سماه الاقناع وهو كتاب جليل نافع فى بابه فان أباه كان قد شرح كتاب سيبويه كما تقدم فى ترجمته وظهر له بالاطلاع والبحث فى حال التصنيف ما لم يظهر لغيره ممن يعانى هذا الشان وصنف بعد ذلك الاقناع فكان ثمرة استفادته حال البحث والتصنيف ومات قبل اتمامه فكمله ولده يوسف المذكور واذا تامله المنصف لم يجد بين القطعتين والقصدين تفاوتا كثيرا ثم صنف يوسف المذكور عدة كتب فى شرح أبيات استشهادات كتب مشهورة مثل شرح أبيات كتاب سيبويه وهو الغاية فى بابه وبسطه وشرح أبيات اصلاح المنطق وأجاد فيه وشرح أبيات المجاز لابى عبيدة وأبيات معانى الزجاج وشرح أبيات الغريب المصنف لابى عبيد القاسم بن سلام الى غير ذلك وكانت كتب اللغة تقرأ عليه مرة رواية ومرة دراية وقرئ عليه كتاب البارع للمفضل بن سلمة وهو كتاب كبير

فى عدة مجلدات هذب به كتاب العين فى اللغة المنسوب الى الخليل بن أحمد المقدم ذكره وأضاف اليه من اللغة طرفا صالحا ونقل من نسخة لكتاب اصلاح المنطق قال أبو العلا المعرى حدثنى عبد السلام البصرى خازن دار العلم ببغداد وكان لى صديقا صدوقا قال كنت فى مجلس أبى سعيد السيرافى وبعض أصحابه يقرأ عليه اصلاح المنطق لابن السكيت فمضى بيت حميد بن ثور وهو

ومطوية الاقراب اما نهارها * فسبت وأما ليلها فذميل

فقال أبو سعيد ومطوية أصلحه بالخفض ثم التفت الينا فقال هذه واو رب فقلت أطال الله بقاء القاضى ان قبله مايدل على الرفع فقال وما هو فقلت

أتاك بى الله الذى أنزل الهدى * ونور واسلام عليك دليل

ومطوية الاقراب فعاد وأصلحه وكان ابنه محمد حاضرا فتغير وجهه لذلك فنهض اساعته ووقته والغضب يستطير فى شمائله الى دكانه وكان سمانا فباعها واشتغل بالعلم الى ان برع فيه وبلغ الغاية فعمل شرح اصلاح المنطق قال أبو العلا وحدثنى من رآه وبين يديه أربعمائة ديوان وهو يعمل هذا الديوان * ولم يزل أمره على سداد واشتغال وافادة الى أن توفى ليلة الاربعاء لثلاث بقين من شهر ربيع الاول سنة خمس وثمانين وثلثمائة وعمره خمس وخمسون سنة وشهور ودفن من الغد وصلى عليه أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمى ذكر ذلك هلال بن المحسن بن الصابى الكاتب فى تاريخه وقال غيره ولد فى سنة ثلاثين وثلثمائة وتوفى يوم الاثنين لثلاث بقين من الشهر المذكور والله أعلم رحمه الله تعالى وكان دينا صالحا ورعا متقشفا وكان بينه وبين أبى طالب أحمد بن أبى بكر العبدى النحوى المقدم ذكره مباحث ومناظرات منقولة بين الناس وليس هذا موضع ذكرها وقد تقدم الكلام فى ترجمة أبيه على السيرافى فلا حاجة الى اعادته ها هنا وقال ابن حوقل فى كتاب المسالك سيراف فرضة عظيمة لفارس وهى مدينة جليلة وأبنيتها ساج متصل الى جبل يطل على البحر وليس بها ماء ولا زرع ولا ضرع وهى من أقصى بلاد فارس بالقرب من جنابة ونجيرم والله أعلم ومن سيراف ينتهى الانسان على ساحل البحر الى حصن ابن عمارة وهو حصن منيع على نهر البحر وليس بجميع فارس حصن أمنع منه ويقال ان صاحبه هو الذى قال الله تعالى فى حقه وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وقال غير ابن حوقل كان اسم هذا الملك الجلندى بضم الجيم واللام وسكون النون وفتح الدال المهملة وبعدها ألف وأشار بعضهم يخاطب بعض الظلمة

كان الجلندى ظالما * وأنت منه أظلم

وقيل غير ذلك والله أعلم

أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن اسمعيل بن خرزاذ النجيرمى اللغوى البصرى نزيل مصر

هو من أهل بيت فيه جماعة من الفضلاء الادباء ما منهم الا من هو ماهر في اللغة كامل
الادوات متقن لها روى أبو يعقوب المذكور عن أبي يحيى زكريا بن يحيى بن خلاد
الساجي وطبقته وروى عنه أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي وغيره وكان يوسف أمثل
أهل بيته وله خط ليس بالجيد في الصورة وهو في غاية الصحة وكذلك خطوط
جماعته قريبة منه ولأهل مصر رغبة وتنافس كثير في خطه حتى بلغت نسخة من ديوان
جرير بخطه عشرة دنانير وأكثر ما روى الكتب القديمة في اللغة والاشعار العربية وأيام
العرب في الديار المصرية من طريقه فانه كان راوية لها عارفا بها وكان أهل بيته يرتزقون
بمصر من التجارة في الخشب وكان أبو عبد الله محمد بن بركات بن هلال السعدي النحوي
المصري قد أخذ اللغة من أصحاب أبي يعقوب المذكور وأدرك أبا يعقوب ولم يأخذ
عنه شيأ لانه رآه وهو صبي قال الموفق ابو الحجاج يوسف بن الخلال المصري كاتب
الانشاء الآتي ذكره ان شاء الله تعالى قال لي ابن بركات رأيت أبا يعقوب وهو ماش في
طريق القرافة وهو شيخ أسمر اللون كث اللحية مدور العمامة بيده كتاب وهو يطالع فيه
في مشيه وهذا الذي ذكره ابن بركات فيه نظر فان الحافظ أبا اسحق ابراهيم بن سعيد بن
عبد الله المعروف بالحبال ذكر في كتاب الوفيات الذي جمعه فقال توفي أبو يعقوب بن
خرزاذ النجيرمي يوم الثلاثاء رابع المحرم سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة وقال غيره
ولد أبو يعقوب يوسف النجيرمي يوم عرفة سنة خمس وأربعين وثلثمائة رحمه الله تعالى
وابن بركات المذكور ولد بمصر في سنة عشرين وأربعمائة وتوفي بها سنة عشرين
وخمسمائة وكان نحوي مصر هكذا قاله الموفق بن الخلال المذكور فكيف يمكن أن
يرى أبا يعقوب وقد كان ابن بركات في تاريخ وفاة النجيرمي في السنة الثالثة من عمره
ولكن لعله رأى ولده والله أعلم وقال القاضي الفاضل ليس في شعر ابن بركات المذكور
أحسن من هذين البيتين وعملهما في مسافر العطار

يا عنق الابريق من فضة * ويا قوام الغصن الرطب
هبك تجافيت وأقصيتني * تقدر أن تخرج من قلبي

وكان ابن بركات قد أخذ النحو عن ابن بابشاذ النحوي المقدم ذكره في حرف الطاء
وذكره القاضي الرشيد بن الزبير في كتاب الجنان وأثنى عليه وخرزاذ بضم الخاء المعجمة
والراء المشددة وبعدها زاي وبعد الالف ذال معجمة قلت فكذا يضبط أهل الحديث
هذا الاسم وهو اسم أعجمي وتفسير زاذ بالعربي ابن وأما خرّ بتشديد الراء فليس له معنى
الا أن يكون أهل العربية قد غيروه كما جرت عادتهم في ذلك فيكون أصله خار بالالف
وهو الشوك فيكون خارزاد معناه ابن الشوك وخر أيضا الشمس فان كان أرادوا
هذا وهذا فالشبه يحصل وعلى الجملة فانهم يتلاعبون بالاسماء العجمية والله أعلم
بالصواب ثم وجدت في كتاب البلدان تأليف البلاذري في الفصل المتضمن حديث بلاد

فارس واعمالها أرض اردشير خره ثم قال ومعنى اردشير خره أردشير ولدبها قلت وأردشير ابن بابك بن ساسان أول ملوك الفرس كما هو مشهور بين الناس وعلى هذا يكون معنى خرزاذ أنه ولد بها كما هو عادتهم فى التقديم والتأخير وتقدير الكلام ولد بها أى بالناحية أو غير ذلك والله أعلم والنجيرمى بفتح النون وكسر الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء وفى آخرها ميم هذه النسبة الى نجيرم ويقال نجارم وقال أبو سعد السمعانى فى كتاب الانساب هى محلة بالبصرة وقال غيره هى قرية من قرى البصرة فى طريق فارس عند سيراف والله أعلم بالصواب وكذا هى فى كتب المسالك والممالك وهى على بحر فارس وظاهر الحال ان جماعة من أهلها دخلوا البصرة وسكنوا هذه المحلة فسميت باسم بلدهم والله أعلم

أبو يعقوب يوسف بن أيوب بن يوسف بن الحسين بن وهرة الهمدانى الفقيه العالم الزاهد الربانى صاحب المقامات والكرامات

قدم بغداد فى صباه بعد الستين وأربعمائة ولازم الشيخ أبا اسحاق الشيرازى المقدم ذكره وتفقه عليه حتى برع فى أصول الفقه والمذهب والخلاف وسمع الحديث من القاضى أبى الحسين محمد بن على بن المهتدى بالله وأبى الغنائم عبد الصمد بن على بن المأمون وأبى جعفر محمد بن أحمد بن المسلمة وطبقتهم وسمع بأصبهان وسمرقند وكتب أكثر ما سمعه ثم زهد فى ذلك ورفضه واشتغل بالزهد والعبادة والرياضة والمجاهدة حتى صار علما من أعلام الدين يهتدى به الخلق الى الله تعالى وقدم بغداد فى سنة خمس عشرة وخمسمائة وحدث بها وعقد بها مجلس الوعظ بالمدرسة النظامية وصادف بها قبولا عظيما من الناس قال أبو الفضل صافى بن عبد الله الصوفى الشيخ الصالح حضرت مجلس شيخنا يوسف الهمدانى فى النظامية وكان قد اجتمع العالم فقام فقيه يعرف بابن السقا وآذاه وسأله عن مسئلة فقال له الامام يوسف اجلس فانى أجد من كلامك رائحة الكفر لعلك تموت على غير دين الاسلام قال أبو الفضل فاتفق انه بعد هذا القول بمدة قدم رسول نصرانى من ملك الروم الى الخليفة فمضى اليه ابن السقا وسأله أن يستصحبه وقال له يقع لى أن أترك دين الاسلام وأدخل فى دينكم فقبله النصرانى وخرج معه الى القسطنطينية والتحق بملك الروم وتنصر ومات على النصرانية قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادى فى تاريخ بغداد فى ترجمة يوسف الهمدانى المذكور سمعت أبا الكرم عبد السلام بن أحمد المقرى يقول كان ابن السقا قارئا للقرآن الكريم مجودا فى تلاوته حدثنى من رآه بالقسطنطينية ملقى على دكة مريضا وبيده خلق مروحة يدفع بها الذباب عن وجهه قال فسألته هل القرآن باق على حفظك فقال ما أذكر منه الا آية واحدة ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين والباقى أنسيته نعوذ بالله من سوء القضاء وزوال نعمته وحلول نقمته ونسأله الثبات على دين الاسلام آمين اللهم آمين

آمين قال أبو سعد بن السمعاني يوسف بن أيوب الهمداني من أهل بوزنجرد قرية من قرى همدان مما يلي الرى الامام الورع التقى المتنسك العامل بعلمه والقائم بحقه صاحب الاحوال والمقامات الجليلة واليه انتهت تربية المريدين الصادقين واجتمع برباطه بمدينة مرو جماعة من المنقطعين الى الله تعالى مالا يتصور أن يكون في غيره من الربط مثله وكان من صغره الى كبره على طريقة مرضية وسداد واستقامة خرج من قريته الى بغداد وقصد الامام أبا اسحاق الشيرازي وتفقه عليه ولازمه مدة مقامه في بغداد حتى برع في الفقه وفاق أقرانه خصوصا في علم النظر وكان الشيرازي يقدمه على جماعة كثيرة من أصحابه مع صغر سنه لعلمه بزهده وحسن سيرته واشتغاله بما يعنيه ثم ترك كل ما كان فيه من المناظرة وخلا بنفسه واشتغل بما هو الاهم من عبادة الله تعالى ودعوة الخلق اليها وارشاد الاصحاب الى الطريق المستقيم ونزل مرو وسكنها وخرج الى هراة وأقام بها مدة ثم سئل الرجوع الى مرو فأجاب ورجع اليها وخرج الى هراة ثانيا وعزم على الرجوع الى مرو في آخر عمره وخرج متوجها الى مرو فادركته منيته بباميين بين هراة وبغشور في شهر ربيع الاول سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ودفن ثم نقل بعد ذلك الى مرو وكان مولده تقديرا لا تحقيقا في سنة أربعين أو احدى وأربعين وأربعمائة ببوزنجرد رحمه الله تعالى قلت هذا كله نقلته من تاريخ ابن النجار المذكور مقتضبا وفيه ألفاظ تحتاج الى ايضاح اماوهرة بفتح الواو والهاء والراء وفي آخره هاء ثانية فهو اسم جده المذكور ولا أعرف معناه بالعربي والقسطنطينية بضم القاف وسكون السين المهملة وفتح الطاء المهملة وسكون النون وكسر الطاء الثانية وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر النون وفتح الياء الثانية وفي آخرها هاء ساكنة وهي أعظم مدائن الروم بناها قسطنطين وهو أول من تنصر من ملوك الروم تنسبت المدينة اليه وأما بوزنجرد فهو بضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح الزاي والنون وكسر الجيم وسكون الراء وبعدها دال مهملة وهي قرية من قرى همدان على مرحلة منها مما يلي ساوة كذا قال أبو سعد السمعاني في كتاب الانساب وأما مرو فقد تقدم الكلام عليها وأما باميين بالباء الموحدة وبعد الالف ميم مفتوحة ثم ياء مثناة من تحتها مكسورة وبعدها ياء ثانية ساكنة ثم نون فهي بليدة بخراسان كما ذكرناه وهراة قد تقدم الكلام عليها وانها احدى كراسي خراسان فانها أربعة نيسابور وهراة ومرو وبلخ وبغشور بفتح الباء الموحدة وسكون الغين المعجمة وضم الشين المعجمة وبعد الواو الساكنة راء وهي بليدة بخراسان أيضا بين مرو وهراة وقد تقدم في ترجمة الحسين بن مسعود الفراء الفقيه البغوي انه منسوب اليها

أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى النحوي المعروف بالاعلم

من أهل شنتمرية الغرب رحل الى قرطبة في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة واقام بها مدة وأخذ عن أبي القاسم ابراهيم بن محمد بن زكريا الافليلي وأبي سهل الحراني وأبي بكر

مسلم

مسلم بن أحمد الاديب وكان عالما بالعربية واللغة ومعانى الاشعار حافظا لجميعها كثير العناية
بها حسن الضبط لها مشهورا بمعرفتها واتقانها أخذ الناس عنه الكثير وكانت الرحلة
فى وقته اليه وقد أخذ عنه أبو الحسن على بن محمد بن أحمد النساءى الجيانى المقدم ذكره
وغيره وكف بصره فى آخر عمره وشرح الجمل فى النحو لابى القاسم الزجاجى وشرح أبيات
الجمل فى كتاب منفرد وساعد شيخه ابن الافليلى المذكور على شرح ديوان المتنبى وغالب
ظنى انه شرح الحماسة فقد كان عندى شرح الحماسة للشنتمرى فى خمس مجلدات وقد
غاب عنى الآن من كان مصنفه وأظنه هو والله أعلم وقد أجاد فيه وتوفى سنة ست وسبعين
وأربعمائة بمدينة اشبيلية من جزيرة الاندلس وكانت ولادته فى سنة عشر وأربعمائة
رحمه الله تعالى وذكر أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعينى الاشبيلى خطيب
جامعها قال مات ابى أبو عبد الله محمد بن شريح يوم الجمعة منتصف شوال سنة ست
وسبعين وأربعمائة فسرت الى الشيخ الاستاذ أبى الحجاج الاعلم فاعلمته بوفاته فانهما كانا
كالاخوين محبة ووداداً فلما أعلمته انتحب وبكى كثيرا واسترجع ثم قال لا أعيش بعده
الا أشهرا فكان كذلك ورأيت بخط الرجل الصالح محمد بن خير المقرى الاندلسى رحمه الله
ان أبا الحجاج المذكور انما قيل له الاعلم لانه كان مشقوق الشفة العليا شقا فاحشا
(قلت) ومن كان مشقوق الشفة العليا يقال له أعلم والفعل الماضى منه علم بكسر اللام
يعلم علما بفتحها أيضا والمرأة علماء اذا كانت كذلك فان كان مشقوق الشفة السفلى يقال
له أفلح بالفاء والحاء المهملة والفعل منه كما تقدم فى الاعلم يقال فلح بكسر اللام يفلح فلحا
بفتحها انهما وهذه القاعدة مطردة فى العيوب والعاهات كلها أن تكون عين الفعل
الماضى مكسورة وفى المضارع والمصدر مفتوحة تقول خرس يخرس خرسا وبرص
يبرص برصا وعمى يعمى عمى وكذلك جميعه واسم الفاعل منه على أفعل مثل أخرس
وأبرص واعمى وكذلك أعلم وأفلح وكان أبو يزيد سهيل بن عمرو القرشى العامرى رضى
الله عنه أعلم فلما أسر يوم بدر قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه
وسلم دعنى أنزع ثنيته فلا يقوم عليك خطيبا أبدا قال صلى الله عليه وسلم دعه فعسى أن
يقوم مقاما تحمده وكان سهيل من الفصحاء البلغاء وهو الذى جاء فى صلح الحديبية وعلى
يده انبرم الصلح ثم انه أسلم وحسن اسلامه والمقام الذى وعد به صلى الله عليه وسلم لسهيل
هو انه لما قبض صلى الله عليه وسلم كان سهيل بمكة فارتدت جماعة من العرب وحصل
عندهم اختلاف فقام سهيل خطيبا وسكن الناس ومنعهم من الاختلاف فكان
هذا هو المقام المحمود وقول عمر رضى الله عنه دعنى أنزع ثنيته فلا يقوم عليك خطيبا
أبدا انما قال ذلك لانه اذا كان مشقوق الشفة العليا ونزعت ثنيته تعذر عليه الكلام
الا بمشقة وكلفة فهذا الذى قصده عمر رضى الله عنه وكان عنترة بن شداد العبسى
الفارس المشهور أفلح فكان يقال له الفلحاء لفلحة كانت به وانما ذهبوا به الى تأنيث

الشفة والله أعلم وشنتريه بفتح الشين المعجمة وسكون النون وفتح التاء المثناة من فوقها والميم وكسر الراء وبعدها ياء مشددة مثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة وهي مدينة بالاندلس في غربها والحديبية بضم الحاء المهملة وفتح الدال المهملة وبعدها ياء ساكنة مثناة من تحتها ثم باء موحدة مكسورة ثم ياء ثانية مفتوحة وفي آخرها هاء ساكنة وهي موضع بين مكة والمدينة كانت به بيعة الرضوان ويروى بتشديد الياء الاخيرة أيضا •

أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة بن محمد بن عتاب الاسدي قاضي حلب المعروف بابن شداد الملقب بهاء الدين الفقيه الشافعي

ابن شداد

توفي أبوه وهو صغير السن فنشأ عند أخواله بني شداد فنسب اليهم وكان شداد جد لامه وكان يكنى أولا أبا العزثم غير كنيته وجعلها أبا المحاسن كما ذكرته ولد بالموصل ليلة العاشر من شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وحفظ بها القرآن الكريم في صغره ثم قدم الشيخ أبو بكر يحيى بن سعدون القرطبي المقدم ذكره الى الموصل فلازمه وقرأ عليه بالطرق السبع وأتقن عليه القراآت قال أبو المحاسن المذكور في بعض تواليفه أول من أخذت عنه شيخي الحافظ ضياء الدين أبو بكر يحيى بن سعدون ابن تمام بن محمد الازدي القرطبي رحمه الله تعالى فاني لازمت القراءة عليه احدى عشرة سنة فقرأت عليه معظم ما رواه من كتب القراآت وقراءة القرآن العظيم ورواية الحديث وشروحه والتفسير حتى كتب لي خطه بذلك وشهد لي بانه ما قرأ عليه أحد أكثر مما قرأت وعندي خطه بجميع ما قرأته عليه في قريب من كراسين وفهرست ما رواه جميعه عندي وأنا أرويه عنه ومما يشتمل عليه الفهرست البخاري ومسلم من عدة طرق وغالب كتب الحديث وغالب كتب الادب وغيره وآخر روايتي عنه شرح الغريب لابي عبيد القاسم بن سلام قرأته عليه في مجالس آخرها في العشر الاخير من شعبان سنة سبع وستين وخمسمائة قلت وهي السنة التي مات فيها الشيخ القرطبي حسبما ذكرته في ترجمته ثم قال ومنهم الشيخ أبو البركات عبد الله بن الخضر بن الحسين المعروف بابن الشيرجي سمعت عليه بعض تفسير الثعلبي وأجازني أن أروي عنه جميع ما رواه على اختلاف أنواع الروايات وكتب لي خطه بذلك في فهرست سماعي مؤرخ خامس جمادى الاولى سنة ست وستين وخمسمائة وكان مشهورا بعلم الحديث والفقه ولي قضاء البصرة ودرس بالاتابكية القديمة يعني بالموصل ومنهم الشيخ مجد الدين أبو الفضل عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد القاهر الطوسي الخطيب بالموصل وهو مشهور بالرواية حتى يقصد لها من الآفاق وعاش نيفا وتسعين سنة قلت وكانت ولادة أبي الفضل بن الطوسي الخطيب المذكور في منتصف صفر سنة سبع وثمانين وأربعمائة ببغداد بباب المراتب وتوفي ليلة الثلاثاء رابع عشر رمضان سنة ثمان وسبعين وخمسمائة بالموصل ودفن بمقبرة باب الميدان رحمه الله تعالى (رجعنا الى تتمة كلام أبي المحاسن بن شداد) وسمعت عليه بعض

على

على الخطيب المذكور كثيرا من مسموعاته وأجازلى جميع مارواه فى السادس والعشرين من رجب سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ومنهم القاضى فخر الدين أبو الرضا سعيد بن عبد الله بن القاسم الشهرزورى سمعت عليه مسند الشافعى رضى الله عنه ومسند أبى عوانة ومسند أبى يعلى الموصلى وسنن ابى داود وكتب لى خطه بذلك وهو فى فهرستى وسمعت عليه الجامع لابى عيسى الترمذى وأجازلى رواية مارواه وكتب لى خطه بذلك فى شوال سنة سبع وستين وخمسمائة ومنهم الحافظ مجد الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن على الاشيرى الصنهاجى وأجازلى جميع ما يرويه على اختلاف أنواعه وفى فهرستى خطه بذلك مؤرخا بشهر رمضان سنة سبع وخمسين وخمسمائة وفهرسته عندى بذلك قلت توفى أبو محمد عبد الله الاشيرى المذكور فى شوال سنة احدى وستين وخمسمائة بالشام ودفن ببعلبك ظاهر باب حمص شمالى البلد ومنهم الحافظ سراج الدين أبو بكر محمد بن على الجيانى قرأت عليه صحيح مسلم من أوله الى آخره بالموصل والوسيط للواحدى وأجازلى رواية مايرويه فى تاريخ سنة تسع وخمسين وخمسمائة فهذه أسماء من حضر فى خاطرى وقد سمعت من جماعة لم يحضرنى رواياتهم عند جمع هذا الكتاب كشهدة الكاتبة فى بغداد وأبى الغيث فى الحربية والشيخ رضى الدين القزوينى المدرس بالنظامية وجماعة شذت عنى طرقهم فلم أذكرهم اذ كان فى هؤلاء غنية هذا آخر ما ذكره عن نفسه وقال غيره انه قرأ الفقه على أبى البركات عبد الله ابن الشيرجى المذكور فقيه الموصل وكان عالما زاهدا متقشفا وتوفى فى جمادى الاولى سنة أربع وسبعين وخمسمائة بالموصل ودفن بظاهرها * ثم اشتغل بالخلاف على الضياء بن أبى حازم صاحب محمد بن يحيى الشهيد النيسابورى ثم باحث فى الخلاف متفننى أصحابه كالفخر النوقانى والبروى والعماد النوقانى والسيف الهوارى والعماد المنابجى ثم انحدر الى بغداد بعد التأهل التام ونزل بالمدرسة النظامية وترتب فيها معيدا بعد وصوله اليها بقليل وأقام معيدا نحو أربع سنين والمدرس بها يومئذ أبو نصر أحمد بن عبيد الله بن محمد الشاشى وكانت ولاية ابن الشاشى المذكور التدريس بالنظامية فى شهر ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسمائة وعزل عنها فى سلخ شهر رجب سنة تسع وستين وتولاها بعده رضى الله أبو الخير أحمد بن اسماعيل القزوينى فى التاريخ المذكور وأبو المحاسن المذكور مستمر بها على الاعادة وكان رفيقه فى الاعادة السديد محمد السلماسى وقد تقدم ذكره ثم أصعد الى الموصل فى سنة تسع وستين فترتب مدرسا فى المدرسة التى أنشأها القاضى كمال الدين أبو الفضل محمد بن الشهرزورى المقدم ذكره ولازم الاشتغال وانتفع به جماعة وله كتاب فى الاقضية سماه ملجأ الحكام عند التباس الاحكام ذكر فى أوائله انه حج فى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وزار بيت المقدس والخليل عليه السلام بعد الحج والزيارة للرسول صلى الله عليه وسلم ثم دخل دمشق والسلطان

صلاح الدين محاصر قلعة كوكب فذكر انه سمع بوصوله فاستدعاه اليه فظن انه يسأله عن كيفية قتل الامير شمس الدين المقدم ذكره فانه كان أمير الحاج فى تلك السنة من جهة صلاح الدين وقتل على جبل عرفات لأمر يطول شرحه وليس هذا موضع ذكره فلما دخل عليه ذكر انه قابله بالاكرام التام ومازاد على السؤال عن الطريق ومن كان فيه من مشايخ العلم والعمل وسأله عن جزء من الحديث ليسمعه عليه فأخرج له جزءا جمع فيه أذكار البخارى وانه قرأه عليه بنفسه فلما خرج من عنده تبعه عماد الدين الكاتب الاصبهانى وقال له السلطان يقول لك اذا عدت من الزيارة وعزمت على العود فعرفنا بذلك فلنا اليك مهم فأجابه بالسمع والطاعة فلما عاد عرفه بوصوله فاستدعاه وجمع له فى تلك المدة كتابا يشتمل على فضائل الجهاد وما أعد الله سبحانه وتعالى للمجاهدين يحتوى على مقدار ثلاثين كراسة خرج اليه واجتمع به بقيعة حصن الاكراد وقدم له الكتاب الذى جمعه وقال انه كان عزم على الانقطاع فى مشهد بظاهر الموصل اذا وصل اليها ثم انه اتصل بخدمة صلاح الدين فى مستهل جمادى الاولى سنة أربع وثمانين وخمسمائة ثم ولاه قضاء العسكر والحكم بالقدس الشريف * ولما كنت متولى الحكم بدمشق المحروسة جاءنى فى بعض شهور سنة ست وستين وستمائة اسجال قد ثبت مضمونه عند القاضى أبى المحاسن المذكور وهو يومئذ قاضى العسكر الصلاحى وقد انقطع ثبوته بموت شهوده فتعذر اثباته عندى لذلك وتأملته الى آخره لانى استغربته فقد كان شيخنا وأخذنا عنه كثيرا وحصل الاستماع بصحبته (عدنا الى بقية ماذكره أبو المحاسن المذكور) فقال انه كان قد حضر الى خدمة صلاح الدين فى صحبة شيخ الشيوخ صدر الدين عبد الرحيم بن اسماعيل والقاضى محيى الدين بن الشهرزورى لما وصلا اليه فى رسالة واتفق فى تلك الدفعة وفاة البهاء الدمشقى المدرس كان بمصر فى مدرسة منازل العز وخطيب مصر وان صلاح الدين عرض عليه تدريس المدرسة المذكورة فلم يفعل وانه حضر عند السلطان دفعة ثانية فى رسالة من الموصل وهو على حران وكان صلاح الدين مريضا يومئذ وذكر انه لما توفى صلاح الدين كان حاضرا وتوجه الى حلب لجمع كلمة الاخوة أولاد صلاح الدين وتحليف بعضهم لبعض وان الملك الظاهر غياث الدين بن صلاح الدين صاحب حلب كتب الى أخيه الملك الافضل نور الدين على بن صلاح الدين صاحب دمشق يطلبه منه فأجابه الى ذلك فأرسله الظاهر الى مصر لاستحلاف أخيه الملك العزيز عماد الدين عثمان بن صلاح الدين وعرض عليه الظاهر الحكم بحلب فلم يوافق على ذلك فلما عاد من هذه الرسالة كان القاضى بحلب قد مات فعرض عليه فأجاب هكذا ذكره فى كتاب ملجأ الحكام وذكر القاضى كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد المعروف بابن العديم فى تاريخه الصغير الذى سماه زبدة الحلب فى تاريخ حلب ما مثاله وفى سنة احدى وتسعين يعنى وخمسمائة اتصل القاضى بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بخدمة الملك الظاهر وقدم اليه الى حلب وولاه قضاءها

ووقوفها وعزل عن قضائها زين الدين أبا البيان نبأ بن البانياسى نائب محيي الدين بن الزكى وحل عنده بهاء الدين فى رتبة الوزارة والمشاورة انتهى كلامه قلت وهذا القاضى نبأ هو ابن الفضل بن سليمان الحيرى يعرف بيتهم بدمشق ببيت البانياسى وكان السلطان صلاح الدين قد ولى القاضى محيي الدين أبا المعالى محمد بن الزكى الدمشقى المقدم ذكره القضاء بحلب فاستناب فيها زين الدين نبأ بن البانياسى المذكور واستمر بها الى التاريخ المذكور وكانت حلب فى ذلك الزمان قليلة المدارس وليس بها من العلماء الانفر يسير فاعتنى أبو المحاسن المذكور بترتيب أمورها وجمع الفقهاء بها وعمرت فى أيامه المدارس الكثيرة وكان الملك الظاهر قد قرر له اقطاعا جيدا يحصل منه جملة مستكثرة ولم يكن له خرج كثير فانه لم يولد له ولا كان له أقارب فتوفر له شئ كثير فعمر مدرسة بالقرب من باب العراق قبالة مدرسة نور الدين محمود بن زنكى رحمه الله تعالى للشافعية ورأيت تاريخ عمارتها مكتوبا على سقف مسجدها وهو الموضع المعد لالقاء الدروس وذلك فى سنة احدى وستمائة ثم عمر فى جوارها دارا للحديث النبوى وجعل بين المكانين تربة برسم دفنه فيها واهابابان باب الى المدرسة وباب الى دار الحديث وشباكان الى الجهتين وهما متقابلان بحيث ان الذى يقف فى احدى المكانين يرى من يكون فى المكان الآخر ولما صارت حلب على هذه الصورة قصدها الفقهاء من البلاد وحصل بها الاشتغال والاستفادة وكثر الجمع بها وكان بين والدى رحمه الله تعالى وبين القاضى أبى المحاسن المذكور مؤانسة كثيرة وصحبة صحيحة المودة من زمن الاشتغال بالموصل فجئت اليه وكان أخى قد سبقنى بمدة قليلة وكتب سلطان بلدنا الملك المعظم مظفر الدين أبو سعيد كوكبورى بن على بن بكتكين رحمه الله تعالى المقدم ذكره فى حرف الكاف كتابا بليغا فى حقنا يقول فيه انت تعلم مايلزم من أمر هذين الولدين وانهما ولدا أخى وولدا أخيك ولا حاجة مع هذا الى تأكيد وصية واطال القول فى ذلك فتفضل القاضى أبو المحاسن وتلقانا بالقبول والاكرام واحسن حسب الامكان وعمل مايليق بمثله وانزلنا فى مدرسته ورتب لنا على الوظائف وألحقنا بالكبار مع الشبيبة فى السن والابتداء فى الاشتغال وقد تقدم فى ترجمة الشيخ موفق الدين بن يعيش النحوى تاريخ دخولى الى حلب فاغنى عن الاعادة ولم نزل عنده الى ان توفى فى التاريخ الآتى ذكره ولم يكن فى مدرسته فى ذلك الزمان درس عام لانه كان المدرس بنفسه وكان قد طعن فى السن وضعف عن الحركة وحفظ الدروس والقائها فرتب أربعة من الفقهاء الفضلا برسم الاعادة والجماعة يشتغلون عليهم وكنت أنا وأخى نقرأ على الشيخ جمال الدين أبى بكر الماهانى لانه كان من بلدنا ورفيق والدنا فى الاشتغال عند الشيخ عماد الدين أبى حامد محمد بن يونس المقدم ذكره فمات فى ثالث شوال سنة سبع وعشرين وستمائة وقد نيف على ثمانين سنة فترددت الى الشيخ

نجم الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن علي المعروف بابن الخباز الموصلي الفقيه الامام وهو اذ ذاك مدرس المدرسة السيفية فقرأت عليه من أول كتاب الوجيز للغزالي الى الاقرار وعلى الجملة فقد درجنا عماشىء بصدده لسبب اتصال الكلام وكان القاضي أبو المحاسن المذكور بيده حل الامور وعقدها لم يكن لاحد معه في الدولة كلام وكان سلطانها الملك العزيز أبو المظفر محمد بن الملك الظاهر بن السلطان صلاح الدين وهو صغير السن تحت حجر الطواشي شهاب الدين أبي سعيد طغرل وهو أتابكه ومتولي أمور الدولة باشارة القاضي أبي المحاسن لا يخرج عنهما شيء من الامور وكان للفقهاء في ايامه حرمة تامة ورعاية كبيرة خصوصا جماعة مدرسته فانهم كانوا يحضرون مجالس السلطان ويفطرون في شهر رمضان على سماطه وكنا نسمع عليه الحديث ونتردد اليه في داره وقد كانت له قبة تختص به وهي شتوية لا يجلس في الصيف والشتاء الا فيها لان الهرم كان قد اثر فيه حتى صار كفرخ الطائر من الضعف لا يقدر على الحركة للصلوات وغيرها الا بمشقة عظيمة وكانت النزلات تعتريه في دماغه فلا يفارق تلك القبة وفي الشتاء يكون عنده منقل كبير عليه من الفحم والنار شيء كثير ومع هذا كله لا يزال مزكوما وعليه الفرجية البرطاسي والثياب الكثيرة وتحته الطراحة الوثيرة فوق البسط ذوات الخمائل الثخينة بحيث انا كنا نجد عنده الحر والكرب وهو لا يشعر به لكثرة استيلاء البرودة عليه من الضعف وكان لا يخرج لصلاة الجمعة الا في شدة القيظ واذا قام الى الصلاة بعد الجهد يكاد يسقط ولقد كنت انظر الى ساقيه اذا وقف للصلاة كانهما عودان دقيقان لا لحم عليهما وكان عقيب صلاة الجمعة يسمع المصلون عنده الحديث عليه وكان يعجبه ذلك وكان حسن المحاضرة جميل المذاكرة والادب غالب عليه وكان كثيرا ما ينشد في مجالسه

ان السلامة من ليلى وجارتها * ان لا تمر على حال بناديها

وكان يتمثل ايضا كثيرا بقول صردر الشاعر المقدم ذكره في حرف العين وهذا البيت من جملة قصيدة طويلة وهو

وعهودهم بالرمل قد نقضت * وكذاك ما يبنى على الرمل

فانشده في بعض الايام فقال له بعض الحاضرين يا مولانا قد استعمل ابن المعلم العراقي هذا المعنى استعمالا مليحا فقال ابن المعلم هو أبو الغنائم فقال نعم فقال صاحبنا كان فكيف قال فانشده

نقضوا العهود وحق ما يبنى على * رمل اللوى بيد الهوى ان ينقضا

فقال ما قصر ولقد تلطف في قوله بيد الهوى فقال له يا مولانا وقد استعمله في قصيدة أخرى فقال هات فانشده

ولم يبن على الرمل * فكيف انتقض العهد

فاستحسنه وكان كثيرا ماينشد أبيات أبي الفوارس سعد بن محمد المعروف بحيص بيص المقدم ذكره وكان يقول انه سمعها منه ويرويها عنه وقد تقدم ذكرها في ترجمة الحيص بيص فاغنى عن الاعادة واولها

لاتضع من عظيم قدر وان * كنت مشارا اليه بالتعظيم

وكان يقول أنشدني القاضي الفاضل لبعضهم ونحن نزول على قلعة صفد

قالت للمنزلة لما * ان الممت بلهاتي

بحياتي خل حلقي * فهو دهليز حياتي

(قلت) هذان البيتان منسوبان الى ابن الهبارية المقدم ذكره والله أعلم وكان كلما نظر الى نفسه على تلك الحالة من الضعف والعجز عن القيام والقعود والصلاة وسائر الحركات ينشد

من تمنى العمر فليدرع * صبرا على فقد احبائه

ومن يعمر يرى في نفسه * ما يتمناه لاعدائه

ثم وجدت هذين البيتين للظهير أبي اسحاق ابراهيم بن نصر بن عسكر قاضي السلامية المقدم ذكره في هذا الكتاب والله أعلم ذكر ذلك صاحبنا الكمال بن الشعار الموصلي في كتابه عقود الجمان في ترجمة الظهير المذكور وهذا ينظر الى قول أبي العلاء المعري

تدعو بطول العمر افواهنا * لمن تناهى القلب في وده

يسر ان مد بقاء له * وكل ما يكره في مده

والاصل في هذا قول الآخر

كانت قناتي لاتلين لغامز * فألانها الاصباح والامساء

ودعوت ربي بالسلامة جاهدا * ليصحني فاذا السلامة داء

ودخل عليه يوما رجل من أهل المغرب يقال له أبو الحجاج يوسف وكان قريب العهد ببلاده ورد حلب في تلك الايام وكان فاضلا في الادب والحكمة فلما رآه على تلك الهيئة من الهزال والنحافة أنشده

لو يعلم الناس ما في ان تعيش لهم * بكوا لانك من ثوب الصبى عار

ولو اطاقوا انتقاصا من حياتهم * لما فدوك بشئ غير اعمار

فاعجبه ذلك ودمعت عيناه وشكر له وقال لي بعض أصحابنا سمعته يوما وهو يحكي للجماعة الحاضرين عنده قال لما كنا في المدرسة النظامية ببغداد اتفق أربعة أو خمسة من الفقهاء المشتغلين على استعمال حب البلادر لاجل سرعة الحفظ والفهم فاجتمعوا ببعض الاطباء وسألوه عن مقدار ما يستعمل الانسان منه وكيف يستعمله ثم اشتروا القدر الذي قال لهم الطبيب الجاهل وشربوه في موضع خارج عن المدرسة فحصل لهم الجنون وتفرقوا وتشتتوا ولم يعلم ما جرى عليهم وبعد ايام جاء الى المدرسة

واحد منهم وكان طويلا وهو عريان ليس عليه شئ يستر عورته وعلى رأسه بقيار كبير له عذبة طويلة خارجة عن العادة وقد ألقاها وراءه فوصلت الى كعبه وهو ساكت ساكن عليه السكينة والوقار لا يتكلم ولا يعبث فقام اليه من كان حاضرا من الفقهاء وسألوه عن الحال فقال لهم كنا قد اجتمعنا وشربنا حب البلادر فاما أصحابي فانهم جنوا وما سلم منهم الا أنا وحدى وصار يظهر العقل العظيم والسكون وهم يضحكون منه وهو لا يشعر بهم ويعتقد انه سالم مما أصاب أصحابه وهو على تلك الحالة لا يفكر فيهم ولا يلتفت اليهم واخبرني جماعة ممن كانوا عنده قبل وصولنا اليه انه قدم عليه الاديب نظام الدين أبو الحسن على بن محمد بن يوسف بن مسعود القيسى القرطبي المعروف بابن خروف الشاعر المشهور فكتب اليه رسالة وفى أولها أبيات يستجديه فروة قرط وهى

بهاء الدين والدنيا * ونور المجد والحسب
طلبت مخافة الانوا * ء من نعماك جلد أبى
وفضلك عالم انى * خروف بارع الادب
حلبت الدهر أشطره * وفى حلب صفا حلبى

ذو الحسب الباهر والنسب الزاهر يسحب ذيول سير السرى ويجب الصباء من اجل الفرا ويعن على الخروف النبيه بجلد أبيه فأبى الصاغ قريب عهد بالدباغ ما ضل طالب قرظه ولا ضاع بل ذاع ثناء صانعه وضاع أثيث خمائل الصوف يهزأ من الرياح بكل هوجاء عصوف اذا اظهر اهابه يخافه البرد ويهابه ما في الثياب له ضريب اذا نزل الجليد والضريب ولا فى المناس له نظير اذا عرى من ورقه الغصن النضير لا كطيلسان ابن حرب ولا جلد عمرو الممزق بالضرب كانه من جلد حمل الحربا الذى يراعى البدر والنجم لا من جلد السخلة الجربا التي ترعى الشجر والنجم فربى النوء اربى الضرع لتكون تارة لحافا وتارة بردا وهو فى الحالين يحي حرا ويميت بردا لا يزال مهديه سعيدا يحيز للاولياء وعدا وللاعداء وعيدا ان شاء الله تعالى والسلام (قلت) وقد ذكرت فى ترجمة أبى الفتح محمد سبط ابن التعاويذى رسالة كتبها الى عماد الدين الكاتب الاصبهانى المقدم ذكره بطلب فروة قرظ أيضا وكل واحدة من الرسالتين بديعة فى بابها وفى هذه الرسالة كلام يحتاج الى ايضاح وهو قوله لا كطيلسان ابن حرب وهو مثل مشهور بين الادباء فاذا كان الشئ باليا شبهوه بطيلسان ابن حرب ولذلك سبب لا بد من ذكره وهو ان احمد بن حرب ابن أخى يزيد المهلبى اعطى أبا على اسماعيل بن ابراهيم بن حمدويه البصرى الحمدونى الشاعر الاديب طيلسانا خلقا فعمل فيه الحمدونى مقاطيع عديدة طريفة سارت عنه وتناقلها الرواة فمن ذلك قوله من أبيات

ياابن حرب كسوتنى طيلسانا * مل من صحبة الزمان فصدا
طال ترداده الى الرفو حتى * لو بعثناه وحده لاهتدا

وقوله أيضا من أبيات

لقد حالف الرفاء حتى كأنه * يحاول منه ان يعلمه الرفوا

وقوله أيضا

ياابن حرب كسوتنى طيلسانا * اخلقته الازمان وهو سقيم
فاذا مارفوته قال سبحا * نك محيى العظام وهى رميم

وقوله أيضا

ياابن حرب اطلت وترى برفوى * طيلسانا قدكنت عنه غنيا
فهو فى الرفو آل فرعون فى العرض على النار بكرة وعشيا

وله أيضا

رأينا طيلسانك ياابن حرب * يزيد المرء للضعة اتضاعا
اذا الرفاء اصلح منه بعضا * تداعى بعضه الباقى انصداعا
يسلم صاحبى فيقد شبرا * به وأقد فى ردى ذراعا
اجيل الطرف فى طرفيه طولا * وعرضا ماأرى الارقاعا
فلست اشك ان قدكان دهرا * لنوح فى سفينته شراعا
وقد غنيت اذا بصرت منه * بقاياه على كتفى تداعى
قفى قبل التفرق ياضباعا * ولايك موقف منك الوداعا

وله فيه أيضا

ياابن حرب كسوتنى طيلسانا * يزرع الرفو فيه وهو سباخ
مات رفاؤه ومات بنوه * وبدا الشيب فى بنيهم وشاخوا

وقال فيه أيضا وكتبها الى بعض الرؤساء

دعنى ابكى كسوتى اذ ودعت * فلازمعن على البكا اذ أزمعت
ياابن الحسين أماترى دراعتى * سملا تردت بالبلى وتدرعت
فيها من التمزيق مالوانه * مرت بها ريح الصبا لتقشعت
يحكى تخرق طيلسانى انها * منه تعلمت البلى فتضعضعت
لافرج الرحمن عنه انه * اعدى ثيابى كلها فتقطعت
فلنحمد الله الجبال فانها * لوقارنته لخشعت وتصدعت

وقال فيه أيضا

طيلسان لوكان لفظا اذاما * شك خلق فى انه بهتان
فهو كالطور اذ تجلى له الله * فدكت قواه والاركان

كم رفوناه اذ تمزق حتى * بلي الرفو وانقضى الطيلسان

وله فيه أيضا

يا ابن حرب انى أرى فى زوايا * بيتنا مثل ما كسوت جماعه
طيلسان رفوته ورفوت المرفو * منه وقد رقعت رقاعه
قاطع البلى فصار خليعا * ليس يعطى الرفاء فى الرفو طاعه
فاذا سائل رآنى فيه * ظن انى فتى من اهل الصناعه

وله فى ذلك أيضا

قل لابن حرب طيلسانك * قوم نوح منه احدث
هو طيلسان لم يزل * عمن مضى من قبل يورث
فاذا العيون لحظنه * فكأنه باللحظ يحرث
يودى اذا لم ارفه * فاذا رفوت فليس يلبث
كالكلب ان تحمل عليه الدهر اوتتركه يلهث

ويقال انه عمل فى هذه الطيلسان مائتى مقطوع فى كل مقطوع معنى بديع وأما قوله ولا جلد عمرو الممزق بالضرب فيريد قول النحاة ضرب زيد عمرا فانهم أبدا يستعملون هذا المثال ولا يمثلون بغيره فكأنهم يمزقون جلده لكثرة الضرب وكان الاصل الذى حمل الحمدوى المذكور على عمل هذه المقاطيع انه وقف على أبيات عملها أبو حران السلمى بضم الحاء المهملة فى طيلسانه وكان قد اخلق حتى بلى فقال فيه

يا طيلسان أبى حران قد برمت * منك الحياة فمالك ذا بالعمر
فى كل يومين رفاء تجدده * هيهات ينفع تجديد مع الكبر
اذا ارتداه لعيد أو لجمعته * تنكب الناس أن يبلى من النظر

وهذا البيت الثالث أخذه من قول النظام بفتح النون وتشديد الظاء المعجمة أبى اسحاق ابراهيم بن سيار البلخى المتكلم المعتزلى فى وصف غلام رقيق البشرة

رق فلو بزت سرابيله * علقه الجو من اللطف
يجرحه الناس بألحاظهم * ويشتكى الايماء بالكف

وأنشدنى بعض الادباء بمدينة الموصل فى شهر رمضان سنة ست وعشرين وستمائة فى هذا المعنى لبعض الشعراء

توهمها طرفى فأصبح خدها * وفيه مكان الوهم من نظرى اثر
وصافحها قلبى فآلم كفها * فمن لمس قلبى فى أناملها عقر

وأنشدنى الشيخ ابو مر الصوفى السلمى ابراهيم لنفسه دو بيت فى هذا المعنى

كلفت صبا العراق لما خطرت * ان تحمل لى تحية ما قدرت
قالت لى خيفتى على وجنته * ان جزت بها جرحتها فاعتذرت

ولبعض الادباء الفقراء من جملة أبيات شكا فيها رقة حاله ورثاثة ثيابه ما يقرب من هذا المعنى وهو قوله

ولى ثياب رثاث لست اغسلها * اخاف اعصرها تجرى مع الماء

وقد قيل فى هذا المعنى شئ كثير والاختصار أولى والله أعلم (عدنا الى ما كنا فيه) وكان القاضى أبو المحاسن المذكور سلك طريق البغاددة فى ترتيبهم واوضاعهم حتى انه كان يلبس ملبوسهم والرؤساء يترددون اليه وكانوا ينزلون عن دوابهم على قدر اقدارهم لكل واحد منهم مكان معين لا يتعداه ثم انه تجهز الى الديار المصرية لاحضار ابنة الملك الكامل بن الملك العادل للملك العزيز صاحب حلب وكان قد عقد نكاحه عليها فسار فى أول سنة تسع وعشرين او آخر سنة ثمان وعشرين وستمائة وعاد وقد جاء بها فى شهر رمضان من السنة ولما وصل كان قد استقل الملك العزيز بنفسه ورفعوا عنه الحجر ونزل الاتابك طغرل من القلعة الى داره تحت القلعة واستولى على الملك العزيز جماعة من الشباب الذين كانوا يعاشرونه ويجالسونه فاشتغل بهم ولم ير القاضى أبو المحاسن وجها يرتضيه فلازم داره الى حين وفاته وهو باق على الحكم واقطاعه جار عليه غاية ما فى الباب انه لم يبق له حديث فى الدولة ولا كانوا يراجعونه فى الامر فكان يفتح بابه لاسماع الحديث كل يوم بين الصلاتين وظهر عليه الخرف بحيث انه صار اذا جاءه الانسان لا يعرفه واذا قام سأل عنه ولا يعرفه واستمر على هذا الحال مديدة ثم مرض أياما قلائل وتوفى يوم الاربعاء رابع عشر صفر سنة اثنين وثلاثين وستمائة رحمه الله تعالى بحلب ودفن فى التربة المقدم ذكرها وحضرت الصلاة عليه ودفنه وما جرى بعد ذلك وصنف كتاب ملجأ الحكام عند التباس الاحكام يتعلق بالاقضية فى مجلدين وكتاب دلائل الاحكام تكلم فيه على الاحاديث المستنبط منها الاحكام فى مجلدين وكتاب الموجز الباهر فى الفقه وغير ذلك وكتاب سيرة صلاح الدين بن ايوب رحمه الله تعالى وجعل داره خانقاه للصوفية لانه لم يكن له وارث ولازم الفقهاء والقراء تربته مدة طويلة يقرءون عند قبره وكان قد قرر قدام كل واحد من الشباكين المذكورين اللذين للتربة سبعة قراء وكان غرضه ان يقرأ عنده كل ليلة ختمة كاملة فكان كل واحد من القراء الاربعة عشر يقرأ نصف سبع بعد صلاة العشاء الآخرة وفارقت حلب متوجها الى الديار المصرية فى الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وستمائة والامور جارية على هذه الاوضاع ثم بعد ذلك تغيرت تلك الامور وانتقضت قواعدها وزال جميع ذلك على ما بلغنى وتوفى الشيخ نجم الدين بن الخباز المذكور فى السابع من ذى الحجة سنة احدى وثلاثين وستمائة بحلب ودفن بظاهرها خارج باب الاربعين وحضرت الصلاة عليه ودفنه رحمه الله تعالى وكان مولده فى التاسع والعشرين من شهر ربيع الاول سنة سبع وخمسين وخمسمائة بالموصل وتوفى الاتابك

شهاب الدين طغرل المذكور ليلة الاثنين الحادى عشر من محرم سنة احدى وثلاثين وستمائة بحلب ودفن بمدرسة الحنفية خارج باب الاربعين وكان خادما أرمنى الجنس أبيض حسن السيرة محمود الطريقة وحضرت الصلاة عليه ودفنه رحمه الله تعالى وتوفى أبو الحسن بن خروف الاديب المذكور بحلب فى سنة أربع وستمائة مترديا فى جب رحمه الله تعالى

أبو يعقوب يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبى عقيل بن مسعود الثقفى وقد تقدم ذكر بقية نسبه فى ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفى فانه ابن ابن عم الحجاج يجتمعان فى الحكم بن أبى عقيل قال خليفة بن خياط ولى هشام بن عبد الملك يوسف بن عمر اليمن فقدمها لثلاث بقين من رمضان سنة ست ومائة فلم يزل واليا بها حتى كتب اليه هشام بن عبد الملك فى سنة عشرين ومائة بولايته على العراق فاستخلف على اليمن ابنه الصلت بن يوسف وقال البخارى كانت ولاية يوسف بن عمر العراق سنة احدى وعشرين ومائة الى آخر سنة أربع وعشرين وقال غيره لما أراد هشام بن عبد الملك صرف خالد بن عبد الله القسرى عن العراق كان قد جاءه رسول يوسف بن عمر الثقفى من اليمن فدعا هشام بالرسول وقال له ان صاحبك قد تعدى طوره وسأل فوق قدره وأمر بتخريق ثيابه وضربه اسواطا وقال له امض الى صاحبك فعل الله به وصنع ودعا بسالم اليمانى مولى سالم بن عنبسة بن عبد الملك وكان على ديوان الرسائل وقال له اكتب الى يوسف بن عمر بشئ أمره به واعرض الكتاب على ففضى سالم ليكتب ما أمره به وخلا هشام بنفسه وكتب كتابا صغيرا بخطه الى يوسف بن عمر فيه سر الى العراق فقد وليتك اياه واياك ان يعلم بك أحد واشفنى من ابن النصرانية يعنى خالدا ومن عماله وامسك الكتاب بيده وحضر سالم بالكتاب الذى كتبه وعرضه عليه فغافله وجعل الكتاب الصغير فى طيه وختمه ودفعه الى سالم وقال له ادفعه الى رسول يوسف ففعل ذلك وانصرف الرسول فلما وصل الى يوسف قال له ماوراءك قال الشر امير المؤمنين ساخط عليك وقد أمر بتخريق ثيابى وضربى ولم يكتب جواب كتابك وهذا كتاب بخط صاحب الديوان ففض الكتاب وقرأه فلما بلغ الى آخره وقف على الكتاب الصغير فاستخلف ابنه الصلت وسار الى العراق وكان قد تخلف سالم الكاتب على ديوان الرسائل بشير بن أبى طلحة من أهل الاردن وكان فطنا فلما وقف على ما كان من هشام قال هذه حيلة وقد ولى يوسف بن عمر العراق فكتب الى عياض عامل أجمة سالم وكان والله ان أهلك قد بعثوا اليك بالثوب اليمانى فاذا أتاك فالبسه واحمد الله تعالى وأعلم طارقا بذلك وكان عامل خالد بن عبد الله القسرى على الكوفة ومايليها ثم ندم بشير على ما كان منه فكتب الى عياض ان القوم قد بدا لهم فى البعثة اليك بالثوب اليمانى فعرف عياض طارقا أيضا بذلك فقال طارق الخبر فى الكتاب الاول ولكن صاحبك

يدم ويخاف ان يظهر أمره وركب من ساعته الى خالد فخبره الخبر فقال له فما ترى قال أرى ان تركب من ساعتك هذه الى أمير المؤمنين فانه اذا رآك استحيا منك وزال شيء ان كان في نفسه عليك فلم يقبل ذلك فقال له افتاذن لى ان اصير الى حضرته واضمن له جميع مال هذه السنة قال وما مبلغ ذلك قال مائة ألف ألف درهم وآتيك بعهدك قال ومن أين هذه الاموال والله ما املك عشرة آلاف درهم قال أتحمل انا وسعيد بن راشد أربعين ألف ألف درهم ونفرق الباقي على باقي العمال فقال له اني اذن للئيم أن اسوغ قومي شيئا ثم ارجع عليهم به فقال له انما نقيك ونقي انفسنا في بعض أموالنا وتبقى النعمة عليك وعلينا بك ونستأنف طلب الدنيا خير من ان تطالب بالاموال وقد حصلت عند تجار أهل الكوفة فيتقاعسوا ويتربصوا بنا فنقتل وتذهب انفسنا وتحصل الاموال لهم ويأكلونها فأبى خالد ذلك عليه فودعه وقال هذا آخر العهد بك واوفاهم يوسف بن عمر فمات طارق في العذاب وأتى خالد وجميع عماله كل شر ومات منهم في العذاب بشر كثير وكان ما استخرج يوسف من خالد واسبابه تسعين ألف ألف درهم (قلت) وقد تقدم طرف من خبر خالد بن عبد الله القسري في ترجمته فيطلب منه وقد تقدم في ترجمة عيسى بن عمر الثقفي النحوي ذكر يوسف بن عمر المذكور وما جرى له معه في الوديعة وقال أبو بكر أحمد بن يحيى بن جابر البلادري في كتاب انساب الاشراف واخبارهم ان هشام بن عبد الملك كان قد تغير على خالد بن عبد الله القسري أمير العراق لامور نقلت له عنه فحقد عليه منها كثرة أمواله واملاكه ومنها انه كان يطلق لسانه في حق هشام بما يكرهه وغير ذلك من الاسباب فعزم على عزله واخفى ذلك وكان يوسف بن عمر الثقفي عامله على اليمن فكتب هشام اليه بخطه يأمره ان يقبل في ثلاثين من أصحابه الى الكوفة وكتب مع الكتاب بعهده على العراق فخرج يوسف حتى صار الى الكوفة في سبع عشرة يوما فعرس قريبا منها وقد ختن طارق خليفة خالد القسري على الخراج ولده فاهدى اليه ألف فرس عتيق وألف وصيف وألف وصيفة سوى المال والثياب وغير ذلك فجاء رجل الى طارق فقال له اني رأيت قوما انكرتهم وزعموا انهم سفار وصار يوسف بن عمر الى دور بني ثقيف فامر بعض الثقفيين فجمع له من قدر عليه من مضر ففعل فدخل يوسف المسجد مع الفجر فامر المؤذن بالاقامة فقال حتى يأتي الامام فانتهره فأقام وتقدم يوسف فصلى وقرأ اذا وقعت الواقعة وسأل سائل ثم أرسل الى خالد وطارق وأصحابهما فأخذوا وان القدور لتغلي وقال أبو عبيدة حبس يوسف خالدا فصالحه أبان بن الوليد عنه وعن أصحابه على تسعة آلاف درهم ثم ندم يوسف وقيل له لو لم تقبل هذا المال لاخذت منه مائة ألف ألف درهم فقال ما كنت لارجع عن شيء رهنت به لساني واخبر أصحاب خالد خالدا فقال أسأتم حين اعطيتموه هذا المال في أول وهلة ما يؤمنني ان يأخذها ثم يرجع اليكم

فارجعوا اليه فأتوه فقالوا انا أخبرنا خالدا بما فارقنا عليه من المال فذكر انه ليس عنده فقال أنتم أعلم وصاحبكم فاما أنا فلا أرجع اليكم وان رجعتم لم امنعكم قالوا فانا قد رجعنا قال فوالله لا أرضى بتسعة آلاف ألف ولا بعثلها ومثلها فذكر ثلاثين ألف ألف درهم ويقال مائة ألف ألف درهم فقال اشرس مولى بني أسد وكان تاجر اليوسف بن عمر أتانا كتاب هشام فقرأه يوسف فكتمنا ما فيه وقال أريد العمرة فخرج وأنا معه فاستخلف الصلت ابنه على اليمن فما كلم أحدا منا بكلمة واحدة حتى انتهى الى العذيب واناخ وقال يا اشرس اين دليلك فقلت هو ذا فسأله عن الطريق فقال له هذا طريق المدينة وهذا طريق العراق فقلت والله ماهذه بأيام عمرة فلم يتكلم حتى اناخ بين الحيرة والكوفة الى بعض الليل ثم استلقى على ظهره ورفع احدى رجليه على الاخرى وقال

فما لبثنا العيس ان قذفت بنا * نوى غربة والعهد غير قديم

ثم قال يا اشرس ابغنى انسانا اسائله فأتاه برجل فقال سله عن ابن النصرانية يعني خالدا القسري فقلت ما فعل خالد فقال في الحمة اشتكى فخرج اليها فقال سله عن طارق فقال ختن بنيه فهو يطعم الناس بالكوفة قال خل عن الرجل ثم ركب فاناخ بالرحبة ودخل المسجد فصلى يوسف ثم استلقى على ظهره فكنا كذلك طويلا ثم جاء المؤذن وزياد بن عبيد الله الحارثي يومئذ على الكوفة خليفة لخالد على الصلاة فاذنوا ثم سلموا وخرج زياد فاقيمت الصلاة فذهب زياد ليتقدم فقال يوسف يا اشرس نحه فقلت يا زياد تأخر الامير فتأخر زياد وتقدم يوسف وكان حسن القراءة فصيحا فقرأ اذا وقعت الواقعة وسأل سائل بعذاب واقع فصلى الفجر وتقدم القاضي وحمد الله تعالى واثنى عليه ودعا للخليفة وقال ما اسم أميركم فاشير فدعا له بالصلاح فانفرق أهل الصلاة حتى جاء الناس ولم يبرح يوسف حتى بعث الى خالد والى ابان بن الوليد بفارس والى بلال بن أبي بردة بالبصرة والى عبد الله بن أبي بردة بسجستان وأمر هشام ان يعزل عمال خالد جميعهم الا الحكم بن عوانة وكان على السند فأقره حتى قتل هو وزيد بن علي في يوم واحد قتله نا كهر ولما أتى خالد قيل له الامير يوسف قال دعوني من أميركم أحق هو أمير المؤمنين قيل نعم فقال لا باس على فلما قدم بخالد على يوسف حبسه وضرب يزيد خالد الاثنين سوطا فكتب هشام الى يوسف اعطى الله عهد الئن شاكت خالدا شوكة لاضربن عنقك فخلوا سبيله بذلك وعياله فاتى الشام فلم يزل مقيما يغزو الصوائف حتى مات هشام وقيل ان يوسف استاذن هشاما في بسط العذاب على خالد فلم ياذن له حتى الح عليه بالرسل واعتل بانكسار الخراج لما صار اليه والى عماله منه فاذن له فيه مرة واحدة وبعث حرسيا يشهد ذلك وحلف لئن أتى على خالد أجله ليقتلنه به فدعا به يوسف وجلس على دكان بالحيرة وحضر الناس وبسط عليه العذاب فلم يكلمه خالد حتى شتمه يوسف وقال

يا ابن الكاهن يعني سقاء أحد اجداد خالد وهو الكاهن المشهور (قلت كما تقدم في ترجمة خالد) قال فقال له خالد انك لاحمق تعيرني بشرفي لكنك ابن السباء انما كان ابوك يسبأ الخمر قلت معناه يبيع الخمر قال ثم رد خالدا الى محبسه فأقام ثمانية عشر شهرا ثم كتب اليه هشام يأمره بتخلية سبيله في شوال سنة احدى وعشرين ومائة وخرج خالد ومعه جماعة من أهله وغيرهم حتى أتى القرية وهي من أرض الرصافة فاقام بها بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة والمحرم وصفر ولا يأذن له هشام في القدوم عليه قال الهيثم ابن عدي وخرج زيد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما على يوسف بن عمر فكتب يوسف الى هشام ان أهل هذا البيت من بني عمكم قد كانوا هلكوا جوعا حتى كانت همة احدهم قوت يومه فلما ولي خالد العراق قواهم بالاموال حتى تاقت انفسهم الى طلب الخلافة وما خرج زيد الا باذن خالد وما مقامه بالقرية الا لانها مدرجة الطريق فهو يسأل عن اخباره فقال هشام للرسول كذبت وكذب صاحبك ومهما اتهمنا به خالدا فانا لا نتهمه في طاعة وأمر بالرسول فوجئت عنقه وبلغ الخبر خالدا فسار الى دمشق وقال أبو الحسن المدائني أمر يوسف بن عمر ببلال بن أبي بردة ابن ابي موسى الاشعري وكان بلال عامل خالد القسري على البصرة فعذب فضمن ثلثمائة ألف درهم وأخذ منه كفيلا فاحضرها وهرب الى الشام فيقال ان غلامه اراد أن يشتري له دراجا فعرف ويقال بل شوى له غلامه دراجا فاحرقه فضربه فسعى به فاتى به يوسف بن عمر فأمر به فاقيم في الشمس فقال أدنوني من أمير المؤمنين فله علي ما طلب فابى ورده الى يوسف فعذبه حتى قتله وقال أخوه عبد الله بن أبي بردة للسجان ارفع اسمي في الموتى فرفعه فقال يا يوسف أرنيه ميتا فغمه السجان حتى مات ويقال بل كان بلال الذي سأل السجان رفع اسمه في الموتى ويعطيه مالا فرفع اسمه في الموتى والمقتول في العذاب عبد الله والله أعلم بالصواب وقال يونس النحوي ما قتل بلالا الا دهاؤه سأل السجان ان يرفع اسمه في الموتى ويعطيه مالا فقال يوسف اعرض الموتى علي فغمه حتى مات وعرضه عليه ميتا وقال المدايني ولي يوسف بن عمر صالح بن كريز ولاية فخرجت عليه ثلاثون ألفا فحبس بها وبلال بن أبي بردة يومئذ محبوس فقال له بلال ان على العذاب سالما ويلقب رتبيل فاياك ان تقول له رتبيل فانه يكره ذلك وجعل بلال يردد عليه القول في ذلك فعذبه سالم فنسي اسمه وكنيته وجعل يقول له يا رتبيل اتق الله يا رتبيل اتق الله وكرر عليه القول في ذلك من الم العذاب وهو يقول اقتل من غيظه عليه فلما خلي عنه قال له بلال الم انهك عن رتبيل فقال وهل أوقعني في رتبيل غيرك انا ما كنت اعرف رتبيل لولا انت وما تدع شرك في سراء ولا ضراء وقال المدايني أيضا كان على شرطة يوسف بن عمر العباس بن سعيد المري وكان كاتبه قحذم سليمان بن ذكوان وزياد بن عبد الرحمن مولى ثقيف وعلى حرسه وحجابته جندب وفيه يقول الشاعر

انا امير شديد الشكائم * لما به حاجب حاجب

وقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى تاريخ دمشق بلغنى ان يوسف بن عمر كان قد أخذ مع آل الحجاج بن يوسف الثقفى ليعذب ويطلب منه المال فقال اخرجونى لاسأل فدفع الى الحرث بن مالك الجهضمى يطوف به وكان مغفلا فانتهى به الى دار لها بابان فقال يوسف دعنى ادخل هذه الدار فان فيها عمة لى اسألها فاذن له فدخل وخرج من الباب الآخر وهرب وذلك فى خلافة سليمان بن عبد الملك وكان يوسف يسلك طرائق ابن عم ابيه الحجاج بن يوسف فى الصرامة والشدة فى الامور وأخذ الناس بالمشاق ولم يزل على ذلك الى حين عزله وذكر عمر بن شبة النميرى فى كتاب اخبار البصرة ان يوسف بن عمر وزن درهما فنقص حبة فكتب الى دور الضرب بالعراق فضرب أهلها فاحصى فى تلك الحبة مائة ألف سوط ضرب بها الناس وكان يوسف مذموما فى عمله أحمق سيء الخلق والسيرة وكان جوادا فكان يطعم الناس على خمسمائة خوان اقصاها وادناها سواء يأكل منها الشامى والعراقى وعلى كل خوان قرينة عليها السكر فنقد السكر من قرينة الى قرينة فشكا اكلتها فضرب الخباز ثلثمائة سوط والناس يأكلون فكان الخباز يتخذ الفرائط فيها السكر فكلما نفد زاد وروى الحكم بن عوانة الكلبى عن أبيه قال لم يرد الملك بمثل كلب ولم تعمل المنابر بمثل قريش ولم تطلب التراث بمثل تميم ولم ترع الرعايا بمثل ثقيف ولم تسد الثغور بمثل قيس ولم تهج الفتن بمثل ربيعة ولم يجب الخراج بمثل اليمن وقال الاصمعى قال يوسف بن عمر لرجل ولاه عملا يا عدو الله اكلت مال الله فقال له فمال من آكل منذ خلقت والى الساعة والله لو سألت الشيطان درهما واحدا ما اعطانيه وكان يضرب به المثل فى التيه والحمق ذكر ذلك حمزة الاصبهانى فى كتاب الامثال فقال قولهم اتيه من احمق ثقيف هو يوسف بن عمر كان أتيه واحمق عربى أمر ونهى فى دولة الاسلام فمن حمقه ان حجاما اراد ان يحجمه فارتعدت يده فقال لحاجبه قل لهذا البائس لا تخف وما رضى ان يقول له بنفسه وكان الخياط اذا أراد أن يفصل ثيابه فان قال يحتاج الى زيادة ثوب آخر اكرمه وحباه وان فضل شئ أهانه وأقصاه لانه يكون قد نسبه على قصره ودمامته وكان يوسف بن عمر قد استعمل على خراسان نصر بن سيار الليثى وبقى الى آخر أيام بنى أمية وقضاياه ووقائعه مع أبى مسلم الخراسانى مشهورة فى مواضعها وفيه وفى يوسف يقول سوار بن الاشعر

اضحت خراسان بعد الخوف آمنة * من ظلم كل غشوم الحكم جبار
لما أتى يوسفا اخبار ما لقيت * اختار نصرا لها نصر بن سيار

وقال سماك بن حرب بعث الى يوسف بن عمر وهو أمير العراق انى عامل لى كتب الى انى قد زرعت لك كل شئ ولقى فاهما فقلت ان الحق ما اطمأن من الارض والذى ما ارتفع منها

انتهى كلامه قلت وذكر الجوهري في كتاب الصحاح أن الخق الغدير اذا جف وتقلع واللق الشق المستطيل وقيل الخق حفرة غامضة في الارض والخق بضم الخاء المعجمة وتشديد القاف واللق بضم اللام وتشديد القاف والله أعلم وكان يوسف بن عمر من أعظم الناس لحية واصغرهم قامة كانت لحيته تجوز سرته واستمر يوسف على ولاية العراق بقية مدة هشام بن عبد الملك فلما توفي يوم الاربعا لست خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة بالرصافة من أرض قنسرين و بها قبره وكان عمره خمسا وخمسين سنة وقيل أربعا وخمسين وقيل اثنتين وخمسين سنة والله أعلم وكنيته أبو الوليد وتولى ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك بعده فأقر يوسف بن عمر على ولاية العراق وقتل الوليد المذكور يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة وكان قد عزم على عزل يوسف بن عمر وتولية عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف الثقفي وكانت أم الوليد بن يزيد المذكور أم الحجاج بنت محمد بن يوسف فالحجاج عمها فكتب الوليد الى يوسف بن عمر انك قد كنت كتبت الي تذكر ان خالد بن عبد الله القسري اخرب العراق وكنت مع ذلك تحمل الى هشام ما تحمل و ينبغي ان تكون قد عمرت البلاد حتى رددتها الى ما كانت عليه فاشخص الينا وصدق ظننا بك فيما تحمله الينا بعمارتك البلاد حتى نعرف فضلك على غيرك لما بيننا و بينك من القرابة فانك خالنا وأحق الناس بالتوفير علينا وقد علمت ما زدنا لاهل الشام في العطاء وما وصلنا به أهل بيتنا به لجفوة هشام اياهم حتى اضر ذلك ببيوت الاموال فخرج يوسف بن عمر بنفسه الى الوليد بن يزيد وحمل من الاموال والامتعة والآنية ما لم يحمل من العراق مثله فقدم وخالد بن عبد الله القسري محبوس فلقيه حسان النبطي ليلا واخبره ان الوليد قد عزم على تولية عبد الملك بن محمد بن الحجاج وانه لا بد له من اصلاح أمر وزرائه فقال يوسف ليس له عندي شيء فقال له حسان عندي خمسمائة ألف درهم فان شئت فهي لك وان شئت فارددها الي اذا تيسرت فقال له يوسف أنت أعلم بالقوم ومنازلهم من الوليد ففرقها على قدر علمك فيهم ففعل فقدم يوسف والقوم يعظمونه وقرر يوسف بن عمر مع أبان بن عبد الرحمن النميري ان يشتري خالد بن عبد الله القسري بأربعين ألف ألف درهم فقال الوليد ليوسف ارجع الى عملك فقال أبان له ادفع الي خالدا وأدفع اليك أربعين ألف ألف درهم فقال الوليد ومن يضمن عنك هذا المال فقال يوسف فقال ليوسف أتضمن عنه فقال يوسف ادفعه الي فانا أستاديه خمسين ألف ألف درهم فدفعه اليه فحمله في محمل بغير وطاء وقدم به الى العراق فقتله كما شرحته في ترجمته ولما قتل الوليد بن يزيد وتولى بعده ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك وأطاعه أهل الشام وانبرم له الامر ندب لولاية العراق عبد العزيز بن هارون بن عبد الملك بن دحية بن خليفة الكلبي فقال له عبد العزيز لو كان معي جند لقبلت فتركه وولاها منصور بن جمهور وأما أبو مخنف فانه قال

قتل الوليد بن يزيد بالصرا في التاريخ المذكور وبويع يزيد بن الوليد بدمشق وسار منصور بن جمهور من الصرا في اليوم الذي قتل فيه الوليد الى العراق وهو سابع سبعة فبلغ خبره يوسف بن عمر فهرب وقدم منصور بن جمهور الحيرة في أيام خلت من رجب فاخذ بيوت الاموال واخرج العطاء لاهل العطا والارزاق وولى العمال بالعراق وأقام بقية أيام رجب وشعبان ورمضان وانصرف لايام بقيت منه ولما هرب يوسف بن عمر سلك طريق السماوة حتى أتى الى البلقا فاستخفى بها وكان أهله مقيمين فيها فلبس زي النساء وجلس بينهن وبلغ يزيد بن الوليد خبره فارسل اليه من يحضره فوصلوا اليه فوجدوه بعد أن فتشوا عليه كثيرا جالسا على تلك الهيئة بين نسائه وبناته فجاؤا به في وثاق فحبسه يزيد عند الحكم وعثمان ابني الوليد بن يزيد وكان يزيد بن الوليد قد حبسهما عند قتله اباهما في الخضرا وهي دار بدمشق مشهورة قبلي جامعها وقد خربت الآن ومكانها معروف عندهم ثم ان يزيد بن الوليد عزل منصور بن جمهور عن ولاية العراق وولاها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز فاقام يوسف بن عمر في السجن بقية مدة يزيد بن الوليد الى ان مات في ذي الحجة على الخلاف الكثير فيه هل مات في اول الشهر أو في عاشره أو بعد العاشر أو في سلخ ذي القعدة سنة ست وعشرين ومائة وجعل ولي عهده أخاه ابراهيم بن الوليد ومن بعده عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك واستمر يوسف بن عمر في محبسه مدة ولاية ابراهيم بن الوليد فجاء مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية باهل الجزيرة الفراتية وقنسرين وغلب على الامر وخلع ابراهيم ابن الوليد وتولى مكانه وقتل عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك وكانت ولاية ابراهيم أربعة أشهر وخلع في شهر ربيع الآخر سنة سبع وعشرين ومائة وقيل كانت ولايته سبعين يوما لاغير وكان يزيد بن خالد بن عبد الله القسري مع ابراهيم بن الوليد فلما ظهر أمر مروان بن محمد والتقى عسكره وعسكر ابراهيم وهرب عسكر ابراهيم ودخلوا دمشق ومروان وراءهم خافت جماعة ابراهيم ان يدخل مروان فيخرج الحكم وعثمان ابني الوليد من السجن ويجعل لهما الامر فلا يستبقيا أحدا ممن اعان على قتل أبيهما فاجمع رأيهم على قتلهما فارسلوا يزيد بن خالد القسري ليتولى ذلك فانتدب يزيد المذكور لأبيه وهو أبو الاسد في جماعة من أصحابه فدخلوا السجن وشدخوا الغلامين بالعمد وأخرجوا يوسف بن عمر فضربوا عنقه لكونه قتل خالد بن عبد الله القسري والد يزيد المذكور كما شرحناه في ترجمة خالد وذلك في سنة سبع وعشرين ومائة وهو ابن نيف وستين سنة ولما قتل أخذوا رأسه عن جسده وشدوا في رجليه حبلا فجعل الصبيان يجرونه في شوارع دمشق فتمر المرأة به فترى جسدا صغيرا فتقول في أي شئ قتل هذا الصبي المسكين لما ترى من صغر جثته قال بعضهم رأيت يوسف بن عمر وفي مذاكيره حبل وهو يجر بدمشق ثم رأيت بعد ذلك يزيد بن خالد

القسري قال ولى مذاكيره حبل وهو يجرفى ذلك الموضع وقد قيل انه قتل فى العشر الاوسط من ذى الحجة سنة ست وعشرين ومائة والله أعلم

أبو يعقوب يوسف بن تاشفين اللمتونى أمير المسلمين وملك الملثمين وهو الذى اختط مدينة مراكش

وقد تقدم فى ترجمة المعتمد محمد بن عباد والمعتصم محمد بن صمادح الملكين ببلاد الاندلس طرف من اخباره وماجرى لهما معه وكيف أخذ بلادهما واستاسر ابن عباد وحبسه فى اغمات وقد استوفيت الكلام عليه هنالك ونبهت عليه الآن ليعلم الواقف عليه ان هذا الملك هو ذلك وانه عظيم الشان كبير السلطان ذكر أرباب التواريخ شيأ من أحواله فاخترت فى هذا الكتاب ماوجدته فى كتاب المغرب عن سيرة ملوك المغرب لانه اوعب فى حديثه من غيره لكنه لم يذكر مؤلفه حتى اذكره غيرانه قال فى أول النسخة التى نقلت منها هذا الفصل انه كتبها فى سنة تسع وتسعين وخمسمائة وفرغ منها فى ذى القعدة من السنة بالموصل وهى فى مجلد واحد لطيف فاخترت منه مقتضبا ما مثاله كان بالمغاربة الجنوبى اقبيلة تسمى زناتة فخرج عليهم من جنوبى المغرب من البلاد المتاخمة لبلاد السودان الملثمون يقدمهم أبو بكر بن عمر منهم وكان رجلا ساذجا خير الطباع مؤثرا لبلاده على بلاد المغرب غير ميال الى الرفاهية وكانت ولاة المغرب من زناتة ضعفاء لم يقاوموا الملثمين فاخذوا البلاد من أيديهم من باب تلمسان الى ساحل البحر المحيط فلما حصلت البلاد لابى بكر بن عمر المذكور سمع ان عجوزا فى بلاده ذهبت لها ناقة فى غداة فبكت وقالت ضيعنا أبو بكر بن عمر بدخوله الى بلاد المغرب فحمله ذلك على ان استخلف على بلاد المغرب رجلا من أصحابه اسمه يوسف بن تاشفين ورجع الى بلاده الجنوبية وكان يوسف هذا رجلا شجاعا عادلا مقداما اختط بالمغرب مدينة مراكش وكان موضعها مكمنا للصوص وكان ملكها المجوز مصمودية فلما تمهدت البلاد له تاق الى العبور الى جزيرة الاندلس وكانت محصنة بالبحر فانشأ شوانى ومراكب وأراد العبور اليها فلما علم ملوك الاندلس بما يروم من ذلك أعدوا له عدة من المراكب والمقاتلة وكرهوا المامه بجزيرتهم الانهم استهولوا جمعه واستصعبوا مدافعته وكرهوا ان يصيروا بين عدوين الفرنج من شمالهم والملثمون من جنوبهم وكانت الفرنج تشد وطاتها عليهم الاان ملوك الاندلس كانت ترهب الفرنج باظهار موالاتهم لملك المغرب يوسف بن تاشفين وكان له اسم كبير لنقله دولة زناتة وملك المغرب اليه فى اسرع وقت وكان قد ظهر لابطال الملثمين فى المعارك ضربات بالسيوف تقد الفارس وطعنات تنظم الكلا فكان لهم بذلك ناموس ورعب فى قلوب المنتدبين لقتالهم وكان ملوك الاندلس يفيئون الى ظل يوسف بن تاشفين ويحذرونه على ملكهم مهما عبر اليهم وعاين بلادهم فلما رأوا عزيمته متقدمة على العبور ارسل بعضهم الى بعض وكانوا هم يستنجدون آراءهم فى أمره وكان مفزعهم فى ذلك

الى المعتمد بن عباد لانه كان اشجع القوم واكبرهم مملكة فوقع اتفاقهم على مكاتبته
وقد تحققوا انه يقصدهم يسألونه الاعراض عنهم وانهم تحت طاعته فكتب عنهم كاتب
من أهل الاندلس كتابا وهو هذا أما بعد فانك ان اعرضت عنا نسبت الى كرم ولم تنسب
الى عجز وان اجبنا داعيك نسبنا الى عقل ولم ننسب الى وهن وقد اخترنا لانفسنا اجمل
نسبتينا فاختر لنفسك اكرم نسبتيك فانك بالمحل الذى لا يجب ان تسبق فيه الى مكرمة
وان فى استبقائك ذوى البيوت ما شئت من دوام لامرك وثبوت والسلام فلما جاءه
الكتاب مع تحف وهدايا وكان يوسف بن تاشفين لا يعرف اللسان العربى لكنه كان
يجيد فهم المقاصد وكان له كاتب يعرف اللغتين العربية والمرابطية فقال له أيها الملك
هذا الكتاب من ملوك الاندلس يعظمونك فيه ويعرفونك انهم أهل دعوتك وتحت
طاعتك ويلتمسون منك ان لا تجعلهم فى منزلة الاعادى فانهم مسلمون وهم من ذوى
البيوتات فلا تغير بهم وكفى بهم من وراءهم من الاعداء الكفار وبلدهم ضيق لا يحتمل
العساكر فاعرض عنهم اعراضك عمن اطاعك من أهل المغرب فقال يوسف بن تاشفين
لكاتبه فما ترى أنت فقال أيها الملك اعلم ان تاج الملك وبهجته وشاهده الذى لا يرد
بانه خليق بما حصل فى يده من الملك ان يعفو اذا استعفى وان يهب اذا استوهب وكلما
وهب جزيلا كان اعظم لقدره فاذا عظم قدره تأصل ملكه واذا تأصل ملكه تشرف
الناس بطاعته واذا كانت طاعته شرفا جاءه الناس ولم يتجشم المشقة اليهم وكان
وارث الملك من غير اهلاك لآخرته واعلم ان بعض الملوك الاكابر والحكماء البصراء
بطريق تحصيل الملك قال من جاد ساد ومن ساد قاد ومن قاد ملك البلاد فلما القى الكاتب
هذا الكلام على يوسف بن تاشفين بلغته فهمه وعلم انه صحيح فقال للكاتب اجب
القوم واكتب بما يجب فى ذلك واقرأ على كتابك فكتب الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم
من يوسف بن تاشفين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته تحية من سالمكم وسلم اليكم
وحكمه التأييد والنصر فيما حكم عليكم وانكم مما بايديكم من الملك فى اوسع اباحة
مخصوصون منا باكرم ايثار وسماحة فاستديموا وفاءنا بوفائكم واستصلحوا اخاءنا
باصلاح اخائكم والله ولى التوفيق لنا ولكم والسلام فلما فرغ من كتابه قرأه على
يوسف بن تاشفين بلسانه فاستحسنه وقرن به يوسف بن تاشفين درق اللمطية مما لا يكون
الا فى بلاده (قلت اللمطية بفتح اللام وسكون الميم وبعدها طاء مهملة ثم ياء مشددة
مثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة هذه النسبة الى لمطة وهى بليدة عند السوس
الاقصى بينها وبين سجلماسة عشرون يوما قاله ابن حوقل فى كتاب المسالك والممالك
وهى معدن الدرق اللمطية لا يوجد فى الدنيا مثلها على ما يقال والله اعلم) وانفذ
ذلك اليهم فلما وصلهم كتابه احبوه وعظموه وفرحوا به وبولايته ملك المغرب وتقوت
نفوسهم على دفع الفرنج وأزمعوا ان رأوا من ملك الفرنج ما يريبهم ان يجيزوا اليه

يوسف بن تاشفين و يكونوا من اعوانه على ملك الفرنج فتحصل ليوسف بن تاشفين برأى وزيره ما أراد من محبة أهل الاندلس له وكفاه الحروب لهم وان الاذفونش بن فردكند صاحب طليطلة قاعدة ملك الفرنج أخذ يجوس خلال الديار ويفتح بلاد الاندلس و يشتط على ملوكهم بطلب البلاد منهم وخصوصا المعتمد بن عباد فانه كان مقصودا فيه وقد تقدم في ترجمة المعتمد ذكر تاريخ أخذه طليطلة والابيات التى قيلت في ذلك فنظر المعتمد في أمره فرأى ان الاذفونش قد داخله طمع فيما يلى بلاده فاجمع أمره على استدعاء يوسف بن تاشفين على العبور على ما فيه من الخطر وعلم ان مجاورة غير الجنس مؤذنة بالبوار وان الفرنج والملثمين ضدان له الا انه قال ان دهينا من مداخلة الاضداد لنا فاهون الامرين أمر الملثمين ولأن يرعى أولادنا جمالهم أحب الينا من ان يرعوا خنازير الفرنج ولم يزل هذا الرأى نصب عينيه مهما اضطر اليه وان الاذفونش خرج في بعض السنين يتخلل بلاد الاندلس بجمع كبير من الفرنج يخافه ملوك الاندلس على البلاد واجفل أهل القرى والرساتيق من بين يديه ولجأوا الى المعاقل فكتب المعتمد بن عباد الى يوسف بن تاشفين يقول له ان كنت مؤثرا للجهاد فهذا أوانه فقد خرج الاذفونش الى البلاد فاسرع في العبور اليه ونحن معاشر أهل الجزيرة بين يديك وكان يوسف بن تاشفين على اتم اهبة فشرع في عبور عساكره فلما ابصر ملوك الاندلس عبور أهل المغرب يطلبون الجهاد وقد كانوا وعدوا من أنفسهم بالمساعدة اعدوا أيضا للخروج فلما رأى الاذفونش اجتماع العزايم على مناجزته علم انه عام النطاح فاستنفر الفرنجية للخروج فخرجوا في عدد لا يحصيه الا الله تعالى ولم تزل الجموع تتألف وتتدارك الى ان امتلأت جزيرة الاندلس خيلا ورجلا من الفريقين كل اناس قد التفوا على ملكهم فلما عبرت جيوش يوسف بن تاشفين عبر في آخرها فامر بعبور الجمال فعبر منها ما اغص الجزيرة وارتفع رغاؤها الى عنان السما ولم يكن أهل الجزيرة رأوا قط جملا ولا كانت خيلهم قد رأت صورها ولا سمعت اصواتها وكانت تذعر منها وتقلق وكان ليوسف بن تاشفين في عبورها رأى مصيب كان يحدق بها عسكره وكان يحضرها الحرب فكانت خيل الفرنج تحجم عنها فلما تكامل العساكر بالجزيرة قصدت الاذفونش وكان نازلا بمكان افيح من الارض يسمى الزلاقة بالقرب من بطليوس قال البياسى بين المكانين اربع فراسخ وقال أيضا ان يوسف بن تاشفين قدم بين يدى حربه كتابا على مقتضى السنة يعرض على الاذفونش الدخول في الاسلام أو الحرب أو الجزية ومن فصول كتابه و بلغنا يا اذفونش انك دعوت في الاجتماع بك وتمنيت ان يكون لك فلك تعبر البحر عليها الينا فقد اجزناه اليك وجمع الله في هذه العرصة بيننا و بينك وسترى عاقبة دعائك وما دعاء الكافرين الا في ضلال فلما سمع الاذفونش بما كتب اليه جاش بحر غيظه وزاد في طغيانه واقسم انه لا يبرح من موضعه

حتى يلقاهم ان ابن تاشفين ومن معه قصدوا الزلاقة فلما وافاها المسلمون نزلوا تجاه
الفرنج بها فاختار المعتمد بن عباد ان يكون هو المصادم لهم أولا وان يكون يوسف بن
تاشفين اذا انهزم المعتمد بعسكره بين أيديهم وتبعوه يميل عليهم بعساكره وتتألف معه
عساكر الاندلس فلما عزموا على ذلك وفعلوه خذل الفرنج وخالطتهم عساكر المسلمين
واستحر القتل فيهم فلم يفلت منهم غير الاذفونش فى دون الثلاثين من أصحابه فلحق ببلده
على اسوأ حال فغنم المسلمون من اسلحته وخيله واثاثه ما ملأ أيديهم خيرا (قلت) وكانت
الوقعة فى يوم الجمعة الخامس عشر من رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة وقيل
فى شهر رمضان فى العشر الاواخر من السنة والله أعلم وقال اليسامى كان حلول
العساكر الاسلامية بالجزيرة الخضراء فى المحرم سنة تسع وسبعين وأربعمائة
فحكى ان موضع المعترك على اتساعه ما كان فيه موضع قدم الا على جسد أو دم
واقامت العساكر بالموضع أربعة أيام حتى جمعت الغنائم فلما حصلت عف عنها يوسف
ابن تاشفين وآثر بها ملوك الاندلس وعرفهم ان مقصوده انما كان الغزو لا النهب فلما
رأت ملوك الاندلس ايثار يوسف بن تاشفين لهم بالغنائم استكرموه واحبوه
وشكروا له ثم ان يوسف بن تاشفين ازمع الرجوع الى بلاده وكان عند قصده لاقاة
الاذفونش تحرى المسير بالعراء من غير ان يمر بمدينة أو رستاق حتى نزل الزلاقة تجاه
الاذفونش وهنالك اجتمع بعساكر الاندلس وذكر أبو الحجاج يوسف بن محمد
اليسامى فى كتاب تذكير العاقل وتنبيه الغافل ان ابن تاشفين نزل على اقل من فرسخ
من عسكر العدو فى يوم الاربعاء وكان الموعد فى المناجزة يوم السبت الادنى فغدر
الاذفونش ومكر فلما كان سحر يوم الجمعة منتصف رجب من العام اقبلت طلائع
ابن عباد والروم فى اثرها والناس على طمأنينة فبادر ابن عباد للركوب وانبث الخبر
فى العساكر فماجت باهلها ووقع النهب وزلزلت الارض وصارت الناس فوضى
على غير تعبية ولا اهبة ودهمتهم خيل العدو فغمرت ابن عباد وحطمت ما تعرض
لها وتركت الارض حصيدا خلفها وجرح ابن عباد واصابه جرح اشواه وفر
رؤساء الاندلس واسلموا محلاتهم وظنوا انها داهية لا ترفع وظن الاذفونش ان
أمير المسلمين فى المنهزمين ولم يعلم ان العاقبة للمتقين فركب أمير المسلمين واحدق به
انجاد خيله ورجاله من صنهاجة ورؤساء القبائل فعمدوا الى محلة الاذفونش فاقتحموها
ودخلوها وقتلوا حاميتها وضربت الطبول فاهتزت الارض وتجاوبت الآفاق
وتراجعت الروم الى محلتهم بعد ان علموا ان أمير المسلمين فيها فقصدوا أمير المؤمنين فافرج
لهم عنها ثم كر فاخرجهم منها ثم كروا عليه فافرج لهم عنها ولم تزل الكرات بينهم
تتوالى الى ان أمر امير المسلمين حشمه السودان فترجل منهم زهاء أربعة آلاف ودخلوا
المعترك بدرق اللمط وسيوف الهند ومزاريق الزان فطعنوا الخيل فرمحت بفرسانها

واحجمت عن اقرانها وتلاحق الاذفونش باسود فدق مزاريقه بالدرق فاهوى ليضربه بالسيف فلصق به الاسود وقبض على اعنته وانتضى خنجرا كان منتطقا به فاثبته فى فخذه فهتك حلق درعه وشك فخذه مع بداد سرجه وكان وقت الزوال من ذلك اليوم وهبت الريح بالنصر وانزل الله سكينته على المسلمين ونصر دينه وصدقوا الحملة على الاذفونش وأصحابه فاخرجوهم عن محلتهم فولوا ظهورهم وأعطوا اعناقهم والسيوف تصفعهم الى ان لحقوا بربوة لجؤوا اليها واعتصموا بها واحدقت بهم الخيل فلما اظلم الليل انساب الاذفونش وأصحابه من الربوة وأفلتوا بعدما نشبت فيهم اظفار المنية واستولى المسلمون على ما كان فى محلتهم من الاثاث والانية والمضارب والاسلحة وأمر ابن عباد بضم رؤس القتلى من الروم فنشر منها امامه كالتل العظيم ثم كتب ابن عباد الى ولده الرشيد كتابا وأطار به الحمام يوم السبت سادس عشر المحرم يخبره بالنصر وقد روى أيضا ان أمير المسلمين طلب من أهل البلاد المعونة على ماهو بصدده فوصل كتابه الى المرية فى هذا المعنى وذكر فيه ان جماعة افتوه بجواز طلب ذلك اقتداء بعمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال أهل المرية لقاضى بلدهم وهو أبو عبد الله بن الفراء ان يكتب جوابه وكان هذا القاضى من الدين والورع على ماينبغى فكتب اليه أما بعد ماذكره أمير المسلمين من اقتضاء المعونة وتأخرى عن ذلك وان أبا الوليد الباجى وجميع القضاة والفقهاء بالعدوة والاندلس افتوا بأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه اقتضاها وكان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وضجيعه فى قبره ولا يشك فى عدله فليس أمير المؤمنين بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بضجيعه فى قبره ولا من يشك فى عدله فان كان الفقهاء والقضاة انزلوك بمنزلته فى العدل فالله سائلهم عن تقلدهم فيك وما اقتضاها عمر حتى دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلف ان ليس عنده درهم واحد فى بيت للمسلمين ينفقه عليهم فلتدخل المسجد الجامع هنالك بحضرة أهل العلم وتحلف ان ليس عندك درهم واحد ولا فى بيت مال المسلمين وحينئذ تستوجب ذلك والسلام ولما قضى أمير المسلمين من هذه الوقعة ماقضى أمر عساكره بالمقام وان تشن الغارات على بلاد الفرنج وامر عليهم سير بن أبى بكر وطلب الرجوع فى طريقه فتكرم به ابن عباد فعرج به الى بلاده وساله ان ينزل عنده فاجابه يوسف الى ذلك فلما انتهى يوسف الى اشبيلية مدينة المعتمد وكانت من أجمل المدن منظرا ونظرا الى موضوعها على نهر عظيم مستبحر تجرى فيه السفن بالبضائع جالبة من بلاد المغرب وحاملة اليه فى غربيه رستاق عظيم مسيرة عشرين فرسخا يشتمل على الاف من الضياع كلها تين وعنب وزيتون وهذا الموضع هو المسمى شرق اشبيلية وتمير بلاد المغرب كلها من هذه الاصناف وفى جانب المدينة قصور المعتمد وابيه المعتضد فى غاية الحسن والبهاء وفيها أنواع مايحتاج اليه من المطعوم والمشروب والملبوس والمفروش وغير ذلك فانزل

المعتمد يوسف بن تاشفين فى أحدها وتولى من اكرامه وخدمته ما اوسع شكر ابن
تاشفين له وكان مع ابن تاشفين أصحاب له يغرونه على تامل تلك الحال وما هو
عليه من النعمة والاتراف ويغرونه باتخاذ مثلها لنفسه ويقولون ان فائدة الملك
قطع العيش فيه بالتنعم واللذة كما هو المعتمد واصحابه وكان يوسف بن تاشفين مقتصدا
فى أموره غير متطاول ولا مبذر متنوق فى صنوف الملاذ بالاطعمة وغيرها وكان
قد ذهب صدر عمره فى بلاده فى شظف العيش فانكر على مغريه بذلك الاسراف وقال
الذى يلوح من أمر هذا الرجل يعنى المعتمد أنه مضيع لما فى يديه من الملك لان هذه
الاموال التى تعينه على هذه الاحوال لا بد ان يكون لها ارباب لا يمكن أخذ هذا
القدر منهم على وجه العدل ابدا فاخذه بالظلم واخرجه فى هذه الترهات وهذا
من افحش الاستهتار ومن كانت همته فى هذا الحد من التصرف فيما لا يعدو
الاجوفين متى تستجد همته فى حفظ بلاده وضبطها وحفظ رعيته والتوفر على مصالحها
ثم ان يوسف بن تاشفين سال عن أحوال المعتمد فى لذاته هل تختلف فتنتقص عما هى عليه
فى بعض الاوقات فقيل له لا بل كل زمانه على هذا قال افكل أصحابه وانصاره على
عدوه ومنجديه على الملك ينال حظا من ذلك قالوا لا فقال كيف ترون رضاهم عنه
قالوا لا رضى لهم عنه فاطرق يوسف وسكت فاقام يوسف عند المعتمد على تلك الحال
اياما وفى بعض تلك الايام استاذن رجل على المعتمد فدخل وهو ذو هيئة رثة وكان من
أهل البصائر فلما دخل عليه قال له أصلحك الله أيها الملك ان من أوجب الواجبات
شكر النعمة وان من شكر النعمة اهداء النصائح وانى رجل من رعيتك حالى فى دولتك
الى الاختلال أقرب منها الى الاعتدال لكنى ملتزم لك من النصيحة ما يستوجبه
الملك على رعيته فى ذلك خبر وقع فى اذنى من بعض أصحاب ضيفك هذا يوسف بن تاشفين
يدل على انهم يرون أنفسهم وملكهم أحق بهذه النعمة منك وقد رأيت رأيا فان آثرت
الاصغاء اليه قلته قال له المعتمد قل قال رأيت ان هذا الرجل الذى أطلعته على ملكك
رجل متأسد على الملوك قد حطم بيد العدوة زناتة وأخذ الملك من أيديهم ولم يبق على
أحد منهم ولا يؤمن ان يطمح الى الطماعية فى ملكك بل فى ملك جزيرة الاندلس كلها اذ قد
عاينه من بلهنية عيشك وانه لمخيل فى مثل ما انت سائر ملوك الاندلس وان له من الولد
والاقارب من يؤثرهم من يود له الحلول بما أنت فيه من خصب الجناب وقد أودى
الاذفونش وجيشه واستاصل شأفتهم واعدمك منه اقوى نادر عليه لو احتجت اليه
فقد كان لك منه أقوى عضد وأوقى مجن وبعد أن فات الامر فى الاذفونش لا يمكنك
الحزم فيما هو ممكن اليوم قال له المعتمد وما هو الحزم اليوم قال ان تجمع أمرك على
قبض ضيفك هذا واعتقاله فى قصرك وتجزم انك لا تطلقه حتى يأمر كل من هو بجزيرة
الاندلس من عسكره ان يرجع من حيث جاء حتى لا يبقى منهم بالجزيرة طائل ثم تتفق انت

وملوك الجزيرة على حراسة هذا البحر من سفينة تجرى فيه بغزاة له ثم بعد ذلك تستحلفه باغلظ الايمان ان لا يضمر فى نفسه عودا الى هذه الجزيرة الا باتفاق منكم ومنه وتاخذ منه على ذلك رهائن فانه يعطيك من ذلك ماتشاء فنفسه اعز عليه من جميع ماتلتمس منه فعند ذلك يقنع هذا الرجل ببلاده التى لا تصلح الا له وتكون قد استرحت منه بعد ما استرحت من الاذفونش وتقيم فى موضعك على خير حال ويرتفع ذكرك عند ملوك الاندلس واهل الجزيرة ويتسع ملكك وتنسب بهذا الاتفاق الى سعادة وحزم وتهابك الملوك ثم اعلم بعد هذا ما يقتضيه حزمك فى مجاورة من عاملته هذه المعاملة واعلم انه قد تهيأ لك من هذا أمر سماوى تتفانى الامم وتجرى بحار الدم دون حصول مثله فلما سمع المعتمد كلام الرجل استصوبه وجعل يفكر فى انتهاز هذه الفرصة وكان للمعتمد ندماء قد انهمكوا معه فى اللذات فقال أحدهم لهذا الرجل الناصح ما كان المعتمد على الله وهو امام أهل المكرمات ممن يعامل بالحيف ويغدر بالضيف فقال له الرجل انما الغدر أخذ الحق من يد صاحبه لا دفع الرجل عن نفسه المحذور اذا ضاق به فقال ذلك النديم اضيم مع وفاء خير من حزم مع جفاء ثم ان ذلك الناصح استدرك الامر وتلافاه فشكر له المعتمد ووصله بصلة وانصرف واتصل هذا الخبر بيوسف بن تاشفين فاصبح غاديا فقدم له المعتمد الهدايا السنية والتحف الفاخرة فقبلها ثم رحل فعبر من الجزيرة الخضراء الى سبتة (قلت وهو المكان المعروف بزقاق سبتة يعدى الناس فيه من أحد البرين الى الآخر اعنى بر الاندلس وبر العدوة وقد تقدم الكلام على هذا المكان) قال ولما عبر يوسف الى بر العدوة اقام عسكره بجزيرة الاندلس ريثما استراح ثم تبع آثار الاذفونش فتوغل فى بلاده ولما رجع الاذفونش الى موضعه سال عن أصحابه وشجعانه وابطال عسكره فوجد اكثرهم قد قتلوا ولم يسمع الا نواح الثكالى عليهم فلم يأكل ولم يشرب حتى مات هما وغما ولم يخلف الا بنتا جعل الامر اليها فتحصنت بمدينة طليطلة وأما عسكر ابن تاشفين فانهم فى غاراتهم هذه كسبوا من الغنائم ما لا يحد ولا يوصف وانفذوا ذلك الى بر العدوة واستأذن أميرهم سير بن أبى بكر يوسف بن تاشفين فى المقام بجزيرة الاندلس واعلمه انه قد افتتح معاقل فى الثغور ورتب فيها مستحفظين ورجالا يغنون فيها وانه لا يستقيم لهذه الجيوش ان تقيم بالثغور فى ضنك من العيش تصابح العدو وتماسيه وتحظى ملوك الاندلس من الارزاق برغد العيش فكتب اليه ابن تاشفين يامره باخراج ملوك الاندلس من بلادهم والحاقهم بالعدوة فمن استعصى عليه منهم قاتله ولا ينفس عنه حتى يخرجه وليبدأ منهم بمجاورى الثغور ولا يتعرض للمعتمد بن عباد ما لم يستول على البلاد ثم يولى تلك البلاد امراء عسكره واكابرهم فابتدأ سير بن أبى بكر بملوك بنى هود من ملوك الاندلس ليستنزلهم من معقلهم وهى روطة (قلت هى بضم الراء وسكون الواو ثم طاء مهملة بعدها هاء) قلعة منيعة من عاصمات الذرى ماؤها ينبع فى اعلاها وكان بها

من الاقوات والذخائر المختلفات مالا تفنيه الازمان فلم يقدر عليها فرحل عنها ثم جند اجنادا على صور الفرنج وأمرهم ان يقصدوا هذه القلعة مغيرين عليها ويكمن هو وأصحابه بالقرب منها ففعلوا ذلك فرآهم صاحب القلعة فاستضعفهم ونزل فى طلبهم فخرج سير بن أبى بكر فقبض عليه وتسلم القلعة ثم نازل بنى طاهر بشرق الاندلس فسلموا اليه ولحقوا بالعدوة ثم نازل بنى صمادح بالمرية وكانت قلعتهم حصينة الا انهم لم يكن عندهم اجناد ولا انجاد من الرجال فزحفوا اليهم فغلبوهم فلما علم المعتصم بن صمادح انه مغلوب دخل قصره فادركه اسف قضى عليه فمات من ليلته فاشتغل أهله به فسلموا المدينة ثم نازلوا المتوكل عمر بن الافطس ببطليوس وكان رجلا شجاعا عظيم القدر كبير البيت كان أبوه المظفر بالله أبو بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة التجيبى من فحول العلماء وكان ملكا له تصانيف أعظمها واشهرها الكتاب المنسوب اليه وهو المظفرى فى التاريخ وكانت مدينته بطليوس من اجل البلاد ولم يذعن ولا اقيل على غير المدافعة والقتال الى ان غار عليه أصحابه فقبض عليه باليد وعلى ولدين له فقتلوا اصبرا وحمل أولاده الاصاغر الى مراكش وسائر ملوك الجزيرة سلموا وتحولوا الى بر العدوة الا ما كان من المعتمد بن عباد فان سير بن أبى بكر لما فرغ من ملوك الجزيرة كتب الى يوسف بن تاشفين انه لم يبق بالجزيرة من ملوكها غير المعتمد بن عباد فارسم فى أمره بما تراه فأمره بقصده وان يعرض عليه التحول الى بر العدوة بأهله وماله فان فعل فيها ونعمت وان أبى فنازله فلما عرض عليه سير بن أبى بكر ذلك لم يعطه جوابا فنازله وحاصره اشهرا ثم دخل عليه البلد قهرا واستخرجه من قصره قسرا فحمل الى العدوة مقيدا فانزل باغمات وأقام بها الى ان مات ولم يعتقل من ملوك الاندلس غيره وتسلم سير بن أبى بكر الجزيرة كلها واستحوذ عليها فمات يوسف بن تاشفين فى التاريخ الآتى ذكره ان شاء الله تعالى وافضى الملك الى ولده أبى الحسن على بن يوسف وكان رجلا حليما وقورا صالحا عادلا منقادا الى الحق والعلماء تجبى اليه الاموال من البلاد ولم يزعزعه عن سريره قط حادث ولا طاف به مكروه (قلت وقد تقدم فى ترجمة أبى نصر الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان القيسى صاحب قلائد العقيان انه جمع الكتاب المذكور باسم ابراهيم بن يوسف ابن تاشفين وان الذى اشار بقتل الفتح المذكور هو على بن يوسف بن تاشفين المذكور ثم ولى بعده ولده تاشفين بن على بن يوسف وعلى يده انقرض ملكهم وسيأتى شرح ذلك متصلا ان شاء الله تعالى وقد تقدم فى أوائل هذه الترجمة ان يوسف بن تاشفين هو الذى اختط مدينة مراكش قال صاحب هذا الكتاب الذى نقلت منه هذه الترجمة فى آخر الكتاب ان مراكش مدينة عظيمة بناها الامير يوسف بن تاشفين بموضع كان اسمه مراكش (معناه امش مسرعا بلغة المصامدة) كان ذلك الموضع ماوى اللصوص وكان المارون فيه يقولون لرفقائهم هذه الكلمة تعرف

الموضع بها. وقال غير مؤلف هذا الكتاب بنى ابن تاشفين مدينة مراكش فى سنة خمس وستين وأربعمائة قاله أبو الخطاب بن دحية فى كتابه الذى سماه النبراس فى خلافة القائم بأمر الله قال وكانت مزرعة لاهل نفيس فاشتراها منهم بماله الذى خرج به من الصحراء ونفيس بفتح النون وتشديد الفاء وسكون الياء المثناة من تحتها جبل مطل على مراكش (قلت) وهى بنواحى اغمات فى المغرب الاقصى وذلك انه لما توطنت نفسه على الملك واطاعته قبائل البربر وذهب من يخالفه من لمتونة سمت همته الى بناء هذه المدينة وكان فى موضعها قرية صغيرة فى غاية من الشجر وبها قوم من البربر فاختطها يوسف وبنى بها القصور والمساكن الانيقة وهى فى مرج فسيح وحولها جبال على فراسخ منها وبالقرب منها جبل لايزال عليه الثلج وهو الذى يعدل مزاجها وحرها وفى سنة أربع وستين وأربعمائة نزل يوسف على مدينة فاس وكانت اذ ذاك من قواعد بلاد المغرب العظام وضيق على أهلها ثم أخذها فأقر العامة بها ونفى البربر والجند بعد ان حبس بعضهم وقتل بعضهم فعند ذلك قوى شأنه وتمكن بالمغرب الاقصى والادنى سلطانه مع ماصار بيده من بلاد جزيرة الاندلس كما شرحناه وكان حازما سائسا للامور ضابطا لمصالح مملكته مؤثرا لاهل العلم والدين كثير المشورة لهم وبلغنى ان الامام حجة الاسلام أبا حامد الغزالى تغمده الله تعالى برحمته لما سمع ماهو عليه من الاوصاف الجيدة وميله الى أهل العلم عزم على التوجه اليه فوصل الى الاسكندرية وشرع فى تجهيز مايحتاج اليه فوصله خبر وفاته فرجع عن ذلك العزم وكنت وقفت على هذا الفصل فى بعض الكتب وقد ذهب عنى فى هذا الوقت من اين وجدته وكان يوسف معتدل القامة اسمر اللون نحيف الجسم خفيف العارضين دقيق الصوت وكان يخطب لبنى العباس وهو أول من تسمى بامير المسلمين ولم يزل على حاله وعزه وسلطانه الى ان توفى يوم الاثنين لثلاث خلون من المحرم سنة خمسمائة وعاش تسعين سنة ملك منها مدة خمسين سنة رحمه الله تعالى وذكر شيخنا عز الدين بن الاثير فى تاريخه الكبير مامثاله سنة خمسمائة فيها توفى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ملك المغرب والاندلس وكان حسن السيرة خيرا عادلا يميل الى أهل العلم والدين يكرمهم ويحكمهم فى بلاده ويصدر عن رأيهم وكان يحب العفو والصفح عن الذنوب العظام فمن ذلك ان ثلاثة نفر اجتمعوا فتمنى أحدهم ألف دينار يتجر بها وتمنى الآخر عملا يعمل فيه لامير المسلمين وتمنى الآخر زوجته وكانت من أحسن النساء ولها الحكم فى بلاده فبلغه الخبر فاحضرهم واعطى متمنى المال ألف دينار واستعمل الآخر وقال للذى تمنى زوجته ياجاهل ماحملك على هذا الذى لاتصل اليه ثم أرسله الى زوجته فتركته فى خيمة ثلاثة أيام تحمل اليه فى كل يوم طعاما واحدا ثم أحضرته وقالت له ما أكلت فى هذه الايام قال طعاما واحدا فقالت له كل النساء شئ واحد وأمرت له بمال وكسوة واطلقته وأما ولده

على المذكور فانه توفي لسبع خلون من رجب سنة سبع وثلاثين وخمسمائة ومولده
في حادي عشر رجب سنة ست وتسعين وأربعمائة وقد سبق ذكر طرف من حديثه
في ترجمة محمد بن تومرت المهدي فيكشف منه ولما خرج عبد المؤمن بن علي المقدم
ذكره قاصدا جهة البلاد المغربية ليأخذها من علي بن يوسف بن تاشفين المذكور
وكان مسيره على طريق الجبال فسير علي بن يوسف ولده تاشفين ليكون
في قبالة عبد المؤمن ومعه جيش فساروا في السهل وأقاموا على هذا مدة فتوفي علي
ابن يوسف في أثنائها في التاريخ المذكور فقدم أصحابه ولده اسحاق بن علي
وجعلوه نائب أخيه تاشفين على مراكش وكان صبيا وظهر أمر عبد المؤمن ودانت
له الجبال وفيها غمارة وتادلة والمصامدة وهم أمم لا تحصى فخاف تاشفين بن علي
واستشعر القهر وتيقن ان دولتهم ستزول فأتى مدينة وهران وهي على البحر وقصد
ان يجعلها مقره فان غلب على الامر ركب منها في البحر وسار الى بر الاندلس يقيم بها كما
اقامت بنو امية بالاندلس عند انقراض دولتهم بالشام وبقية البلاد وفي ظاهر وهران
ربوة على البحر تسمى صلب الكلب وبأعلاها رباط يأوي اليه المتعبدون وفي ليلة السابع
والعشرين من شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة صعد تاشفين الى ذلك الرباط
ليحضر الختم في جماعة يسيرة من خواصه وكان عبد المؤمن بجمعه في تاجرة وهي
وطنه كما ذكرته في ترجمته واتفق انه ارسل منسرا الى وهران فوصلوها في اليوم
السادس والعشرين من شهر رمضان ومقدمهم الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى صاحب
المهدي فكمنوا عشية وعلموا بانفراد تاشفين في ذلك الرباط فقصدوه وأحاطوا به
واحرقوا بابه فأيقن الذين فيه بالهلاك فخرج تاشفين راكبا فرسه وشد الركض عليه
ليثب الفرس النار وينجو فتردى الفرس نازيا لروعته ولم يملكه اللجام حتى تردى من جرف
هنالك الى جهة البحر على حجارة في وعر فتكسر الفرس وهلك تاشفين في الوقت وقتل
الخواص الذين كانوا معه وكان عسكره في ناحية أخرى لا علم لهم بما جرى في الليل
وجاء الخبر بذلك الى عبد المؤمن فوصل الى وهران وسمى ذلك الموضع الذي فيه الرباط
صلب الفتح ومن ذلك الوقت نزل عبد المؤمن من الجبل الى السهل ثم توجه الى تلمسان
وهي مدينتان قديمة ومحدثة بينهما شوط فرس ثم توجه الى فاس فحاصرها وأخذها
في سنة أربعين وخمسمائة ثم قصد مراكش في سنة احدى وأربعين فحاصرها أحد
عشر شهرا وفيها اسحاق بن علي وجماعة من مشايخ دولتهم فقدموه بعد موت أبيه علي
ابن يوسف بن تاشفين نائبا عن أخيه تاشفين فأخذها وقد بلغ القحط من أهلها الجهد
وأخرج اليه اسحاق بن علي ومعه سير بن الحاج وكان من الشجعان وخواص دولتهم
وكانا مكتوفين واسحاق دون البلوغ فعزم عبد المؤمن ان يعفو عن اسحاق لصغر سنه
فلم يوافقه خواصه وكان لا يخالفهم فخلى بينهم وبينهما فقتلوهما ثم نزل عبد المؤمن

في القصر

فى القصر وذلك فى سنة اثنين وأربعين وخمسمائة وانقرضت دولة بنى تاشفين (قلت) وقد ذكرت فى ترجمة المعتمد بن عباد ان يوسف بن تاشفين عاد الى الاندلس فى العام الثانى من وقعة الزلاقة وذكرت ههنا ما يدل على انه ما عاد اليها وانما نوابه هم الذين أخذوا بلاد الاندلس له فقد يعتقد الواقف على هذا الكتاب ان هذا متناقض والعذر فى هذا انى وجدته فى ترجمة ابن عباد على تلك الصورة ووجدته فى هذه الترجمة على هذه الصورة والله أعلم بالصواب ثم رأيت فى كتاب تذكير العاقل تأليف أبى الحجاج يوسف البياسى ان ابن تاشفين لما جاز البحر قصد اشبيلية فخرج ابن عباد الى لقائه ومعه الضيافة والاقامة ثم خرج من اشبيلية بقضه وقضيضه قاصدا بطليوس وجرت الوقعة المذكورة ثم عاد ابن تاشفين الى بلاده وان ابن عباد جاز البحر ومضى اليه فى سنة احدى وثمانين واستنجده على ما يجاوره من بلاد العدو فاكرمه يوسف بن تاشفين واجابه الى انجاده ثم عاد ابن عباد الى بلاده واستعد للعدو ولحقه ابن تاشفين فى رجب من سنة احدى وثمانين ثم خرج الاذفونش فى جيش كثيف وكان ملوك الاندلس قد اجتمعوا عند ابن تاشفين فلما رأى ما فعله من الاستعداد بالجمع الكثير رحل عن مكانه واوهمه خواصه ان ملوك الاندلس يفرون عنه ويخلون بينه وبين الاذفونش فاصغى الى كلامهم وعمل فى نفسه قوالهم فاخذ فى الحركة الى البرية وتحرك الجميع بحركته وجاز البحر عائدا الى بلاده وقد وغر صدره على ملوك الاندلس وتبين لهم تغيره عليهم فخافوه فشرعوا فى تحصين بلادهم وتحصيل الاقوات وارسل بعضهم الى الاذفونش ليكون عونا له خوفا من ابن تاشفين فاجابه الاذفونش بالاعانة والمساعدة وكان قد سير له هدايا وألطافا كثيرة فقبلها منه وحلف له على جميع ما التمسه منه واتصل ذلك بابن تاشفين فاستشاط غيظا ثم ان ابن تاشفين جاز البحر مرة ثالثة وقصد قرطبة وهى لابن عباد فوصلها فى جمادى الاولى سنة ثلاث وثمانين وقد سبقه اليها ابن عباد فخرج اليه بالضيافة وجرى معه على عادته ثم ان ابن تاشفين أخذ غرناطة من صاحبها عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس وحبسه فطمع ابن عباد فى غرناطة وان ابن تاشفين يعطيه اياها فعرض له بذلك فاعرض عنه ابن تاشفين وخاف ابن عباد منه وعمل على الخروج عنه فقال له انه جاءته كتب من اشبيلية وهم خائفون من العدو المجاور لهم واستأذنه فى العود اليها فاذن له فعاد ثم رجع ابن تاشفين الى بلاده وجاز البحر فى شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وأقام ببلاده الى ان دخلت سنة أربع وثمانين ثم عزم على العبور الى الاندلس لمنازلة ابن عباد وبلغ ذلك ابن عباد فاخذ فى التأهب والاستعداد ووصل ابن تاشفين الى سبتة وجمع العساكر الكثيرة وقدم عليهم سير بن ابى بكر فجازوا البحر وضايقوا ابن عباد فاستصرخ بالاذفونش فلم يلتفت اليه وكان ما ذكرته والله أعلم وفى هذه الترجمة ذكر الملثمين فيحتاج الى الكلام عليه والذى

وجدته ان أصل هؤلاء القوم من حمير بن سبا وهم أصحاب خيل وابل وشاء يسكنون الصحارى الجنوبية وينتقلون من ماء الى ماء كالعرب وبيوتهم من الشعر والوبر واول من جمعهم وحرضهم على القتال واطمعهم فى تملك البلاد عبد الله بن تاشفين الفقيه وقتل فى حرب برث مع برغواطة وقام مقامه أبو بكر بن عمر الصنهاجى الصحراوى المقدم ذكره ومات فى حرب السودان وقد ذكرنا حديث يوسف بن تاشفين وسبب تقدمه وهو الذى سمى أصحابه المرابطين وهم قوم يتلثمون ولا يكشفون وجوههم فلذلك سموهم الملثمين وذلك سنة لهم يتوارثونها خلفا عن سلف وسبب ذلك على ما قيل ان حمير كانت تتلثم لشدة الحر والبرد تفعله الخواص منهم فكثر ذلك حتى صار تفعله عامتهم وقيل كان سببه ان قوما من اعدائهم كانوا يقصدون غفلتهم اذا غابوا عن بيوتهم فيطرقون الحى فيأخذون المال والحريم فاشار عليهم بعض مشايخهم ان يبعثوا النساء فى زى الرجال الى ناحية ويقعدوا هم فى البيوت ملثمين فى زى النساء فاذا أتاهم العدو وظنوهم النساء فيخرجون عليهم ففعلوا ذلك وثاروا عليهم بالسيوف فقتلوهم فلزموا اللثام تبركا به بما حصل لهم من الظفر بالعدو وقال شيخنا الحافظ عز الدين بن الاثير فى تاريخه الكبير ما مثاله وقيل ان سبب تلثمهم ان طائفة من لمتونة خرجوا مغيرين على عدو لهم فخالفهم العدو الى بيوتهم ولم يكن بها الا المشايخ والصبيان والنساء فلما تحقق المشايخ انه العدو أمروا النساء ان تلبس ثياب الرجال ويتلثمن ويضيقنه حتى لا يعرفن ويلبسن السلاح ففعلن ذلك وقد تقدم المشايخ والصبيان أمامهن واستدار النساء بالبيوت فلما اشرف العدو رأى جمعا عظيما فظنه رجالا وقالوا هؤلاء عند حريمهم يقاتلون عنهن قتال الموت والراى ان نسوق النعم ونمضى فان اتبعونا قاتلناهم خارجا عن حريمهم فبينما هم فى جمع النعم من المراعى اذ أقبل الرجال الى الحى فبقى العدو بينهم وبين النساء فقتلوا من العدو خلقا كثيرا وكان من قتل النساء أكثر فمن ذلك الوقت جعلوا اللثام سنة يلازمونه فلا يعرف الشيخ من الشاب ولا يزيلونه ليلا ولا نهارا ومما قيل فى اللثام

قوم لهم درك العلا من حمير * وان انتموا صنهاجة فهم هموا

لما حووا احراز كل فضيلة * غلب الحياء عليهم فتلثموا

وكان يوسف بن تاشفين مقدم جيش أبى بكر بن عمر الصنهاجى وخرج من سجلماسة فى سنة أربع وخمسين وأربعمائة وكان أبو بكر بن عمر قد اتى سجلماسة فى سنة ثلاث وخمسين وحاصرها وقاتل أهلها أشد قتال وأخذها ثم وثب عليها يوسف بن تاشفين فكان ما كان والله أعلم

أبو يعقوب يوسف بن أبى محمد عبد المؤمن بن على القيسى الكومى

صاحب المغرب

وقد تقدم ذكر أبيه عبد المؤمن فى حرف العين وذكر ولده يعقوب قبل هذا ولما توفى
والده فى التاريخ المذكور فى ترجمته وخلع محمد بن عبد المؤمن استقل ولده يوسف
بالملك وكان ولى العهد قبله أخوه محمد بن عبد المؤمن ونقش على الدنانير اسمه
وكان ذلك باستخلاف أبيه وتحليفه الجند له فظهر منه اشتغال بالراحة وانهماك
فى البطالة فخلعه يوسف وكان له أخ آخر اسمه أبو حفص عمر ولاه جزيرة الاندلس
وكان يوسف المذكور فقيها حافظا متقنا لان أباه هذبه وقرن به وباخوته أكمل رجال
الحرب والمعارف فنشأ فى ظهور الخيل بين ابطال الفرسان وفى قراءة العلم بين افاضل
العلماء وكان ميله الى الحكمة والفلسفة أكثر من ميله الى الادب وبقية العلوم وكان
جماعا مناعا ضابطا لخراج مملكته عارفا بسياسة رعيته وكان ربما يحضر حتى لا يكاد
يغيب ويغيب حتى لا يكاد يحضر وله فى غيبته نواب وخلفاء وحكام قد فوض الامور اليهم
لما علم من صلاحهم لذلك والدنانير اليوسفية المغربية منسوبة اليه فلما تمهدت له الامور
واستقرت قواعد مملكته رحل الى جزيرة الاندلس لكشف مصالح دولته وتفقد احوالها
وكان ذلك فى سنة ست وستين وخمسمائة وفى صحبته مائة ألف فارس من المغرب
والموحدين فنزل باشبيلية فخافه الامير أبو عبد الله محمد بن سعد المعروف بابن مردنيش
صاحب شرق الاندلس مرسية وما انضاف اليها وحمل على قلبه فمرض مرضا شديدا
ومات وقيل ان أمه سقته السم لانه كان قد أساء العشرة مع أهله وخواصه وكبراء
دولته فنصحته واغلظت عليه فى القول فتهددها وخافت بطشه فعملت عليه فقتلته بالسم
وكان موته فى التاسع والعشرين من رجب سنة سبع وستين وخمسمائة باشبيلية
ومولده فى سنة ثمانى عشرة وخمسمائة فى قلعة من اعمال طرطوشة يقال لها بنشكلة
وهى من الحصون المنيعة ولما مات محمد بن سعد جاء أولاده وقيل اخوته الى الامير
يوسف بن عبد المؤمن وهو باشبيلية فسلموا اليه جميع بلاد شرق الاندلس التى كانت
لابيهم وقيل لاخيهم فاحسن اليهم الامير يوسف وتزوج أختهم واصبحوا عنده فى أعز
مكان ثم ان الامير يوسف شرع فى استرجاع بلاد المسلمين من أيدى الفرنج وكانوا قد
استولوا عليها فاتسعت مملكته بالاندلس وصارت سراياه تصل مغيرة الى باب طليطلة وهى
كرسى بلادهم واعظم قواعدهم ثم انه حاصرها فاجتمع الفرنج كافة عليه واشتد الغلاء
فى عسكره فرجع عنها وعاد الى مراكش وفى سنة خمس وسبعين قصد بلاد افريقية
وفتح مدينة قفصة ثم دخل جزيرة الاندلس فى سنة ثمانين وخمسمائة ومعه جمع كثيف
وقصد غربى بلادها فحاصر مدينة شنترين شهرا فاصابه مرض فمات منه فى شهر
ربيع الاول سنة ثمانين وخمسمائة وحمل فى تابوت الى اشبيلية رحمه الله تعالى وكان
قد استخلف ولده أبا يوسف يعقوب بن يوسف المقدم ذكره وذكر شيخنا ابن الاثير
فى تاريخه ان يوسف مات من غير وصية بالملك لاحد من أولاده فاتفق رأى قواد

الموحدين وأولاد عبد المؤمن على تمليك ولده يعقوب ملكوه في الوقت الذى مات فيه أبوه لئلا يكونوا بغير ملك يجمع كلمتهم لقربهم من بلاد العدو وكان خلع أخيه أبي عبد الله محمد بن عبد المؤمن في شعبان سنة ثمان وخمسين واستبد يوسف حينئذ بالامر واجتمع أكابر أصحابه على خلعه وتولية الامير يوسف وقد روى له شعر لكنه ليس بالجيد فلم اذكر منه شيأ وأما محمد بن سعد بن مردنيش المذكور فيروى له

وسقها انها جفون * تسل من لحظها المنون
لاصبر عنها ولا عليها * الموت من دونها يهون
لاركبن الهوى اليها * يكون في ذاك مايكون

(قلت) ثم وجدت هذه الابيات في كتاب الملح لابن القطاع وقد نسبها الى أبي جعفر أحمد بن صمادح البنى والله أعلم وقال اليسامى في حماسته هو أبو جعفر أحمد بن الحسين ابن خلف بن البنى اليعمرى الابدى والله أعلم الا انه لم يذكر هذه الابيات ثم أورد اليسامى لابى جعفر المذكور

صدنى عن حلاوة التشييع * اجتنابى مرارة التوديع
لم يقم انس ذا بوحشة هذا * فرأيت الصواب ترك الجميع

وله في صفة قنديل

وقنديل كان الضوء فيه * محاسن من احب وقد تجلى
أشار الى الدجى بلسان افعى * فشمر ذيله فرقا وولى

ولما مات أبو يعقوب يوسف المذكور رثاه الاديب أبو بكر يحيى بن مجير الشاعر المقدم ذكره في ترجمة يعقوب بن يوسف هذا بقصيدة طويلة أجاد فيها أولها

جل الاسى فأسل دم الاجفان * ماذى الشؤن لغير هذا الشان

ومردنيش بفتح الميم وسكون الراء وفتح الدال المهملة وكسر النون وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها شين معجمة وهو بلغة الفرنج اسم العذرة وبشكلة بضم الباء الموحدة والنون وسكون الشين المعجمة وضم الكاف وفتح اللام وبعدها هاء والباقى معروف لا حاجة الى ضبطه والبنى في نسب الشاعر المذكور بكسر الباء الموحدة وتشديد النون والابدى بضم الهمزة وتشديد الباء الموحدة وبعدها دال مهملة هذه النسبة الى بلدة بالاندلس من كورة جيان بناها عبد الرحمن بن الحكم وجددها ابنه محمد (قلت) ولما فرغت من ترجمة يوسف بن عبد المؤمن صاحب هذه الترجمة وجدت مجموعا بخط العماد بن جبريل اخى العلم المصرى ناظر بيت المال بالديار المصرية وقد تقدم ذكره في ترجمة أبي اسحاق العراقى الفقيه المذكور في أوائل هذا الكتاب وفيه فوائد من اخبار المغاربة وغيرهم فنقلت منه ما يضاف الى هذه الترجمة وهو ان عبد المؤمن كان في حياته قد عهد الى أكبر أولاده وهو محمد وبايعه الناس وكتب بيعته الى البلاد

فلما مات عبد المؤمن لم يتم له الامر لانه كان على أمور لا يصلح معها المملكة من ادمان شرب الخمر واختلال الرأى وكثرة الطيش وجبن النفس ويقال انه مع هذا كله كان به ضرب من الجذام واضطرب أمره واختلف الناس عليه فخلع وكانت مدة ولايته خمسة وأربعين يوما وذلك فى شعبان من سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وكان الذى سعى فى خلعه اخويه يوسف وعمر ابنى عبد المؤمن ولما تم خلعه دار الامر بين الاخوين المذكورين وهما من نجباء أولاد عبد المؤمن ومن ذوى الرأى فتأخر عنهما أبو حفص عمر وسلم الامر الى أخيه يوسف فبايعه الناس واتفقت عليه الكلمة وكان ابيض تعلوه حمرة شديد سواد الشعر مستدير الوجه افوه اعين الى الطول ماهو فى صوته جهارة رقيق حواشى اللسان حلو الالفاظ حسن الحديث طيب المجالسة اعرف الناس كيف تكلمت العرب واحفظهم لايامها فى الجاهلية والاسلام صرف عنايته الى ذلك واقى فضلاء اشبيلية ايام ولايته ويقال انه كان يحفظ صحيح البخارى وكان شديد الملوكية بعيد الهمة سخيا جوادا استغنى الناس فى ايامه وكان يحفظ القرآن الكريم مع جملة من الفقه ثم طمح الى علم الحكمة وبدأ من ذلك بعلم الطب وجمع من كتب الحكمة شيأ كثيرا وكان ممن صحبه من العلماء بهذا الشان أبو بكر محمد بن الطفيل كان متحققا بجميع اجزاء الحكمة قرأ على جماعة من أهلها منهم أبو بكر بن الصائغ المعروف بابن باجه وغيره ولابن الطفيل هذا تصانيف كثيرة وكان حريصا على الجمع بين علم الشريعة والحكمة وكان مفننا ولم يزل يجمع اليه العلماء من كل فن من جميع الاقطار ومن جملتهم أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الاندلسى ولما استوسق ليوسف الامر وملك بلاد مرد نيش من الاندلس خرج من اشبيلية قاصدا بلاد الاذفونش من الاندلس أيضا فنزل على مدينة له تسمى وبذة فاقام محاصرا لها شهورا الى ان اشتد عليهم الحصار وعطشوا فراسلوه فى تسليم المدينة وان يعطيهم الامان على نفوسهم فامتنع من ذلك فلما اشتد بهم العطش سمع لهم فى بعض الليالى لغط عظيم وأصوات هائلة وذلك انهم اجتمعوا باسرهم ودعوا الله تعالى فجاءهم مطر عظيم ملأ ما كان عندهم من الصهاريج فارتووا وتقووا على المسلمين فانصرف عنهم الى اشبيلية بعد ان هادنهم مدة سبع سنين وكان يرتفع اليه فى كل سنة من خراج اشبيلية وقر مائة وخمسين بغلا خارجا عما يرتفع اليه من خراج بقية البلاد فى بر العدوة وفى بر الاندلس وفى سنة تسع وسبعين تجهز للغزو فى جيش عظيم وعبر الى جزيرة الاندلس ونزل اشبيلية كعادتهم فى اصلاح شأنهم ثم رحل الى شنترين وهى بلدة فى غرب الاندلس وهى فى غاية المنعة والحصانة فحاصرها وضيق عليها فلم يقدر عليها وهجم الشتاء وخاف المسلمون من البرد وزيادة مد النهر فلا يقدرون على العبور وتنقطع عنهم المادة فاشاروا عليه بالرجوع الى اشبيلية فاذا طاب الزمان عاد اليها فقبل ذلك منهم وقال نحن راحلون غدا ان شاء الله تعالى

ولم ينتشر هذا الحديث لانه قال فى مجلس الخاصة فكان أول من قوض ورحل أبو الحسن على بن عبد الله بن عبد الرحمن الخطيب المالقى وكان من أهل العلم والفضل فلما رآه الناس قد قوض خباءه قوضوا أيضا ثقة به لمكانه من الدولة ومعرفته باسرارها فعبر تلك الليلة اكثر العسكر على النهر خشية الزحام وطلبا لجيد المنازل ولم يبق الا من كان بقرب خباء الامير يوسف بن عبد المؤمن ولا علم له بذلك فلما رأى الروم عبور العساكر وبلغهم من جواسيسهم ماعزم عليه الامير يوسف وأصحابه خرجوا منتهزين الفرصة وجاؤا حتى انتهوا الى جهة الامير يوسف فقتل على بابه خلق كثير من أعيان الجند وخلصوا الى الامير يوسف فطعنوه تحت سرته طعنة كانت سبب منيته وتداركهم الناس فانهزم الروم وحمل الامير يوسف فى محفة وعبر به النهر ولم يسر به سوى ليلتين ومات فى الثالثة فلما وصلوا به الى اشبيلية صبروه وصيروه فى تابوت وحملوه الى تينمل ودفن هنالك عند أبيه عبد المؤمن والمهدى محمد بن تومرت وكانت وفاته يوم السبت لسبع خلون من رجب سنة ثمانين وخمسمائة وكان قبل موته بايام ينشد هذا البيت ويردده فى أوقات كثيرة

طوى الجديدان ماقد كنت انشره * وانكرتنى ذوات الاعين النجل

وقام بعده بالامر ولده أبو يوسف يعقوب بويع فى حياة أبيه وقيل ان اشياخ الدولة اتفقوا على تقديمه بعد وفاة أبيه والله أعلم وكان الاديب أبو العباس أحمد بن عبد السلام الكورانى وكوران قبيلة من البربر منازلهم بضواحى مدينة فاس وقيل ان هذه القبيلة انما يقال لها جراوة بفتح الجيم وقد تبدل الجيم كافا فيقال لها كراوة والنسبة اليها جراوى وكراوى وكان هذا الاديب نهاية فى حفظ الاشعار القديمة والحديثة وتقدم فى هذا الشان وجالس به عبد المؤمن ثم ولده يوسف ثم ولده يعقوب وجمع كتابا يحتوى على فنون الشعر على وضع الحماسة لابى تمام الطاءى وسماه صفوة الادب وديوان العرب وهو كثير الوجود بايدى الناس وهو عند أهل المغرب كالحماسة عند أهل المشرق والمقصود من ذكر هذا الاديب انه كانت له نوادر نادرة وملح مستظرفة عند أهل الادب فمن ذلك انه حضر يوما الى باب دار الامير يوسف المذكور وهنالك الطبيب سعيد الغمارى وغمارة بضم الغين المعجمة قبيلة من البربر أيضا فقال الامير يوسف لبعض خدمه انظر من بالباب من الاصحاب فخرج الخادم الى الباب ثم عاد اليه فقال أحمد الكورانى وسعيد الغمارى فقال الامير يوسف من عجائب الدنيا شاعر من كوران وطبيب من غمارة فبلغ ذلك الكورانى فقال وضرب لنا مثلا ونسى خلقه اعجب منهما والله خليفة من كومية فيقال ان الامير يوسف لما بلغه ذلك قال اعاقبه بالحلم عنه والعفو ففيه تكذيبه ومن شعره من جملة قصيدة مدح بها الامير يوسف المذكور وهو بديع غريب

ان الامام هو الطبيب وقد مشى * عال البرايا ظاهرا ودخيلا
حمل البسيطة وهي تحمل شخصه * كالزوج توجد حاملا محمولا

ومن شعره أيضا في ذم أهل فاس وهي مدينة بالمغرب فيما بين سبتة ومراكش

مشى اللؤم في الدنيا طريدا مشردا * يجوب بلاد الله شرقا ومغربا
فلما أتى فاسا تلقاه أهلها * وقالوا له أهلا وسهلا ومرحبا

وله كل شعر مليح وكان شيخا سنا باوز ثمانين سنة وتوفي في آخر أيام الامير يعقوب بن الامير يوسف وقد ذكرت وفاة الامير يعقوب في ترجمته فليكشف منها وله مديح في الامير عبد المؤمن بن علي وأولاده الى آخر زمنه رحمه الله تعالى وأما شنتربن بفتح الشين المعجمة وسكون النون وفتح التاء المثناة من فوقها وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون فهي مدينة في غرب الاندلس وذكر ابن حوقل في كتاب المسالك والممالك ان شنترين على البحر المحيط وبها يقع العنبر ولا يعلم ببلاد الروم والمحيط عنبر يقع في غير هذا الموضع وشيء وقع بالشام ويقع بشنترين في وقت من السنة دابة تحك الحجارة في وسط البحر فيقع بها وبره في لين الخز ولون الذهب فيجمع منه ما يغزل وينسج ثيابا ويتلون الثوب الوانا وتحجر عليه ملوك بني أمية بالاندلس فلا ينقل ولا يشترى فيزيد الثوب على ألف دينار لعزته وحسنه والله أعلم (قلت) وحكى لي بعض الفضلاء من أهل الاندلس انه رأى قطعة من هذه الثياب هنالك وأراد ان يصفها لي فما قدر أن يعبر عنها ثم قال لكنها ارفع وانعم من نسج العنكبوت فتعالى الله ما اجل قدرته والطف حكمته وأحسن صبغته وكيف خص كل صقع بنوع من الغرائب سبحانه وتعالى ولله در أبي نواس حيث قال

وفي كل شيء له آية * تدل على انه واحد

أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شادي الملقب الملك الناصر صلاح الدين
صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية والعراقية واليمنية

قد تقدم في هذا الكتاب ذكر أبيه أيوب وجماعة من أولاده وعمه أسد الدين شيركوه وأخيه الملك العادل ابي بكر محمد وجماعة من أولاده وغيرهم من أهل بيته وصلاح الدين كان واسطة العقد وشهرته أكثر من ان يحتاج الى التنبيه عليه اتفق أهل التاريخ على ان أباه وأهله من دوين بضم الدال المهملة وكسر الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون وهي بلدة في آخر عمل اذربيجان من جهة اران وبلاد الكرج وانهم اكراد روادية بفتح الراء والواو وبعد الالف دال مهملة مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها مشددة وبعدها هاء والروادية بطن من الهذبانية بفتح الهاء والذال المعجمة وبعد الالف نون مكسورة ثم ياء مشددة مثناة من تحتها وبعدها هاء وهي قبيلة كبيرة من الاكراد وقال لي رجل فقيه عارف بما يقول وهو من أهل دوين ان على باب دوين قرية يقال لها

الذي في ا
في اوله ان
ابي العتاه
السلطان صا

أجدانقان بفتح الهمزة وسكون الجيم وفتح الدال المهملة وبعد الالف نون مفتوحة وقاف وبعد الالف الثانية نون أخرى وجميع أهلها اكراد روادية ومولد أيوب والد صلاح الدين بها وشادى أخذ ولديه منها اسد الدين شيركوه ونجم الدين أيوب وخرج بهما الى بغداد ومن هناك نزلوا تكريت ومات شادى بها وعلى قبره قبة داخل البلد ولقد تتبعت نسبهم كثيرا فلم أجد احدا ذكر بعد شادى ابا آخر حتى انى وقفت على كتب كثيرة بأوقاف وأملاك باسم شيركوه وأيوب فلم أر فيها سوى شيركوه بن شادى وأيوب بن شادى لاغير وقال لى بعض كبراء بيتهم هو شادى بن مروان وقد ذكرت ذلك فى ترجمة أيوب وشيركوه ورأيت مدرجا رتبه الحسن بن غريب بن عمران الحرمى يتضمن ان أيوب بن شادى ابن مروان بن أبى على بن عنترة بن الحسن بن على بن أحمد بن على بن عبد العزيز بن هدبة بن الحصين بن الحرث بن سنان بن عمرو بن مرة بن عوف ابن اسامة بن نهش بن حارثة صاحب الحمالة ابن عوف بن أبى حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ثم رفع بعد هذا فى النسب حتى انتهى الى آدم عليه السلام ثم ذكر بعد ذلك ان على بن أحمد بن على بن عبد العزيز يقال انه ممدوح المتنبى ويعرف بالخراسانى وفيه يقول من جملة قصيدته

شرف الله بالغبار اذا ما ... سار على بن أحمد القمقام

وأما حارثة بن عوف بن أبى حارثة صاحب الحمالة فهو الذى حمل الدماء بين عبس وذبيان وشاركه فى الحمالة خارجة بن سنان اخو هرم بن سنان وفيهما قال زهير بن أبى سلمى المزنى قصائد منها قوله

على مكثريهم حق من يعتريهم ... وعند المقلين السماحة والبذل

وهل ينبت الخطى الا وشيجة ... وتغرس الا فى منابتها النخل

هذا آخر ماذكره فى المدرج وكان قد قدمه الى الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل صاحب دمشق وسمعه عليه هو وولده الملك الناصر صلاح الدين أبو المفاخر داود بن الملك المعظم وكتب لهما باسماعهما عليه فى آخر رجب سنة تسع عشرة وستمائة والله أعلم انتهى ما نقلته من المدرج ورأيت فى تاريخ حلب الذى جمعه القاضى كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد المعروف بابن العديم الحلبى بعد ان ذكر الاختلاف فى نسبهم فقال وقد كان المعز اسماعيل بن سيف الاسلام بن أيوب ملك اليمن ادعى نسبا فى بنى أمية وادعى الخلافة وسمعت شيخنا القاضى بهاء الدين عرف بابن شداد يحكى عن السلطان صلاح الدين انه انكر ذلك وقال ليس لهذا أصل أصلا (قلت) ذكر شيخنا الحافظ عز الدين أبو الحسن على بن محمد المعروف بابن الاثير الجزرى صاحب التاريخ الكبير فى تاريخه الصغير الذى صنفه للدولة الاتابكية ملوك الموصل فى فصل

يتعلق باسد الدين شيركوه ومسيره الى الديار المصرية فقال كان اسد الدين شيركوه
ونجم الدين أيوب وهو الاكبر ابنا شاذى من بلد دوين وأصلهما من الاكراد الروادية
قدما العراق وخدما مجاهد الدين بهروز بن عبد الله الغياثى شحنة العراق (قلت)
وهذا مجاهد الدين كان خادما روميا أبيض اللون تولى شحنة بالعراق من جهة
السلطان مسعود بن غياث الدين محمد بن ملكشاه السلجوقى المقدم ذكره وذكر والده
وجماعة من أهل بيته وكان صاحب همة فى عمل المصالح الجليلة وعمارة البلاد واسع
الصدر والصبر فى البذل والانفاقات والمطاولة والمراجعة اذا امتنع عليه الغرض
وكانت تكريت اقطاعا له وكان خادم السلطان محمد والد مسعود المذكور وبنى
فى بغداد رباطا ووقف عليه وقفا جيدا ومات يوم الاربعاء الثالث والعشرين من رجب
سنة أربعين وخمسمائة (وبهروز بكسر الباء الموحدة وسكون الهاء وضم الراء وسكون
الواو وبعدها زاى وهو لفظ عجمى معناه يوم جيد على التقديم والتأخير على عادة كلام
العجم) قال شيخنا ابن الاثير فرأى مجاهد الدين فى نجم الدين أيوب عقلا ورأيا حسنا
وحسن سيرة فجعله دزدار تكريت اذ هى له (قلت) دزدار بضم الدال المهملة وسكون
الزاي وفتح الدال المهملة وبعد الالف راء وهو لفظ عجمى (معناه حافظ القلعة) وهو
الوالى ودز بالعجمى القلعة ودار الحافظ فسار اليها ومعه أخوه أسد الدين شيركوه فلما
انهزم اتابك الشهيد عماد الدين زنكى بالعراق من قراجا (قلت) وهى وقعة مشهورة
وخلاصتها ان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقى المقدم ذكره وعماد الدين زنكى
صاحب الموصل قصدا حصار بغداد فى أيام الامام المسترشد فارسل الى قراجا الساقى
واسمه برس صاحب بلاد فارس وخوزستان يستنجد به فاتاه وكبس عسكرهما وانهزما
بين يديه وانكسروا وذكر فى تاريخ الدولة السلجوقية انها كانت فى شهر ربيع
الآخر يوم الخميس ثانى عشر الشهر المذكور من سنة ست وعشرين وخمسمائة على
تكريت وقال اسامة بن منقذ المقدم ذكره فى كتابه الذى ذكر فيه البلاد وملوكها
الذين كانوا فى زمانه انه حضر هذه الوقعة مع زنكى فى التاريخ المذكور وذكر ذلك
فى موضعين أحدهما فى ترجمة اربل والثانى فى ترجمة تكريت (رجعنا الى ما كنا فيه)
فوصل زنكى الى تكريت فخدمه نجم الدين أيوب وأقام له السفن فعبر دجلة هناك وتبعه
أصحابه فاحسن نجم الدين اليهم وسيرهم وبلغ ذلك بهروز فسير اليه وانكر عليه
وقال له كيف ظفرت بعدونا فاحسنت اليه وأطلقته ثم ان أسد الدين شيركوه قتل انسانا
بتكريت لكلام جرى بينهما فارسل مجاهد الدين اليهما فاخرجهما من تكريت فقصدا
عماد الدين زنكى (قلت) وكان اذ ذاك صاحب الموصل قال فاحسن
عماد الدين اليهما وعرف لهما خدمتهما واقطع لهما اقطاعا حسنا وصارا من جملة جنده
فلما فتح عماد الدين زنكى بعلبك جعل نجم الدين دزدارها فلما قتل زنكى (قلت)

وقد سبق ذكر ذلك في ترجمته قال فحصره عسكر دمشق (قلت) وكان صاحب دمشق يومئذ مجير الدين ارتق بن محمد بن بوري بن الاتابك ظهير الدين طغتكين وهو الذي حاصره نور الدين محمود بن زنكي في دمشق وأخذها منه قال شيخنا ابن الاثير فارسل نجم الدين أيوب الى سيف الدين غازي بن زنكي صاحب الموصل وقد قام بالملك بعد والده ينهي اليه الحال و يطلب منه عسكرا ليرحل صاحب دمشق عنه وكان سيف الدين في ذلك الوقت في أول ملكه وهو مشغول باصلاح ملوك الاطراف المجاورين له فلم يتفرغ له وضاق الامر على من في بعلبك من الحصار فلما رأى نجم الدين أيوب الحال وخاف ان تؤخذ قهرا ارسل في تسليم القلعة وطلب اقطاعا ذكره فاجيب الى ذلك وحلف له صاحب دمشق عليه وسلم له القلعة ووفى له صاحب دمشق بما حلف عليه من الاقطاع والتقدم وصار عنده من أكبر الامراء واتصل أخوه أسد الدين شيركوه بالخدمة النورية بعد قتل أبيه زنكي (قلت) هو نور الدين محمود ابن زنكي صاحب حلب وكان يخدمه في أيام والده فقربه نور الدين واقطعه وكان يرى منه في الحروب آثارا يعجز عنها غيره لشجاعته وجراءته فصارت له حمص والرحبة وغيرهما وجعله مقدم عسكره (قلت) ثم خرج شيخنا ابن الاثير بعد هذا الى حديث سفر أسد الدين الى الديار المصرية وما تجدد لهم هنالك وليس هذا موضع هذا الفصل بل تم حديث صلاح الدين صاحب هذه الترجمة من مبدأ أمره حتى نصير الى آخره ان شاء الله تعالى و يندرج فيه حديث المملكة وما صار حالهم اليه وان كان قد سبق في ترجمة أسد الدين شيركوه طرف من اخبارهم لكن ما استوفيته هنالك اعتمادا على استيفائه ههنا ان شاء الله تعالى (قلت) اتفق أرباب التواريخ ان صلاح الدين مولده سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة بقلعة تكريت لما كان أبوه وعمه بها والظاهر انهم ما اقاموا بها بعد ولادة صلاح الدين الامدة يسيرة لانه قد سبق القول ان نجم الدين واسد الدين لما خرجا من تكريت كما شرحناه وصلا الى عماد الدين زنكي فاكرمهما واقبل عليهما ثم ان عماد الدين زنكي قصد حصار دمشق فلم يحصل له فرجع الى بعلبك فحاصرها اشهرا وملكها في رابع عشر صفر سنة أربع وثلاثين وخمسمائة كما ذكر أسامة بن منقذ المتقدم ذكره في كتابه الذي ذكر فيه البلاد وملوكها وذكرا بو يعلى حمزة ابن اسد المعروف بابن القلانسي الدمشقي في تاريخه الذي جعله ذيلا على تاريخ أبي الحسين هلال بن الصابي ان عماد الدين حاصر بعلبك يوم الخميس العشرين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ثم ذكر في مستهل سنة أربع وثلاثين ومائة ورود الخبر بفراغ عماد الدين من ترتيب بعلبك وقلعتها وترميم ما تشعث منها والله أعلم واذا كان كذلك فيكونوا قد خرجوا من تكريت في بقية سنة اثنتين وثلاثين التي ولد فيها صلاح الدين أوفى سنة ثلاث وثلاثين لانهما اقاما عند عماد الدين بالموصل ثم لما حاصر دمشق

و بعدها بعلبك وأخذها رتب فيها نجم الدين أيوب وذلك فى أوائل سنة أربع وثلاثين كما شرحته فيتعين ان يكون خروجهم من تكريت فى المدة المذكورة تقريبا والله أعلم (قلت) ثم أخبرنى بعض أهل بيتهم وقد سألته هل تعرف متى خرجوا من تكريت فقال سمعت جماعة من أهلنا يقولون انهم خرجوا منها فى الليلة التى ولد فيها صلاح الدين فتشاءموا به وتطيروا منه فقال بعضهم لعل فيه الخيرة وما تعلمون فكان كما قال والله أعلم ولم يزل صلاح الدين تحت كنف أبيه حتى ترعرع ولما ملك نور الدين محمود ابن عماد الدين زنكى دمشق فى التاريخ المذكور فى ترجمته لازم نجم الدين أيوب خدمته وكذلك ولده صلاح الدين وكانت مخايل السعادة عليه لائحة والنجابة تقدمه من حالة الى حالة ونور الدين يرى له ويؤثره ومنه تعلم صلاح الدين طرائق الخير وفعل المعروف والاجتهاد فى أمور الجهاد حتى تجهز للمسير مع عمه شيركوه الى الديار المصرية كما سنشرحه ان شاء الله تعالى ووجدت فى بعض تواريخ المصريين ان شاور المقدم ذكره هرب من الديار المصرية من الملك المنصور أبى الاشبال ضرغام بن عامر بن سوار الملقب فارس المسلمين اللخمى المنذرى لما استولى على الديار المصرية وقهره وأخذ مكانه فى الوزارة لعادتهم فى ذلك وقتل ولده الاكبر طى بن شاور فتوجه شاور الى الشام مستغيثا بالملك العادل نور الدين أبى القاسم محمود بن زنكى وذلك فى شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ودخل دمشق فى الثالث والعشرين من ذى القعدة من السنة فوجه معه نور الدين الامير أسد الدين شيركوه بن شادى فى جماعة من عسكره كان صلاح الدين فى جملتهم فى خدمة عمه وهو كاره للسفر معهم وكان لنور الدين فى ارسال هذا الجيش غرضان أحدهما قضاء حق شاور لكونه قصده ودخل عليه مستصرخا والثانى انه أراد استعلام أحوال مصر فانه كان يبلغه انها ضعيفة فى جهة الجند وأحوالها فى غاية الاختلال فقصد الكشف عن حقيقة ذلك وكان كثير الاعتماد على شيركوه لشجاعته ومعرفته وأمانته فانتدبه لذلك وجعل اسد الدين شيركوه ابن أخيه صلاح الدين مقدم عسكره وشاور معهم فخرجوا من دمشق فى جمادى الاولى سنة تسع وخمسين فدخلوا مصر واستولوا على الامر فى رجب من السنة وقال شيخنا القاضى بهاء الدين أبو المحاسن يوسف المعروف بابن شداد المقدم ذكره فى كتابه الذى وسمه بسيرة صلاح الدين انهم دخلوا مصر فى ثانى جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة والقول الاول أصح لان الحافظ أبا طاهر السلفى ذكر فى معجم السفر ان الضرغام بن سوار قتل فى سنة تسع وخمسين وخمسمائة وزاد غيره فقال يوم الجمعة الثامن والعشرين من جمادى الآخرة من السنة عند مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها فيما بين القاهرة ومصر واحتز رأسه وطيف به على رمح وبقيت جثته هناك ثلاثة أيام تأكل منها الكلاب ثم دفن عند بركة الفيل وعمرت عليه

قبة (قلت) والقبة باقية الى الآن فى موضعها تحت الكبش المستحدث بناؤه ورأيت
فيها جماعة من الفقراء الجوالقية مقيمين بها وقد قيل ان الضرغام قتل فى رجب سنة
تسع وخمسين وقد اتفقوا ان الضرغام انما قتل عند وصول اسد الدين شيركوه وشاور
الى مصر فما يمكن ان يكون دخولهم فى سنة ثمان وخمسين لان الضرغام لا خلاف فى قتله
سنة تسع وخمسين وانه كان فى أول وصولهم والحافظ السلفى أخبر بذلك لانه كان
مقيما بالبلاد أول وصولهم وهو أضبط لهذه الامور من غيره لان هذا فنه وهو من اقعد
الناس به ولما وصل أسد الدين شيركوه وشاور الى الديار المصرية واستولوا عليها وقتلوا
الضرغام وحصل لشاور مقصوده وعاد الى منصبه وتمهدت قواعده واستمرت أموره
غدر بأسد الدين شيركوه واستنجد بالفرنج عليه وحصروه فى بلبيس وكان أسد الدين
قد شاهد البلاد وعرف أحوالها وانها مملكة بغير رجال تمشى الامور فيها بمجرد
الايهام والمحال فطمع فيها وعاد الى الشام فى الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة
تسع وخمسين وقال شيخنا ابن شداد فى السابع والعشرين من ذى الحجة سنة ثمان
وخمسين شاء على ما قرره اولا ان دخولهم البلاد كان فى سنة ثمان وخمسين وأقام
اسد الدين بالشام مدة مفكرا فى تدبير عوده الى مصر محدثا نفسه بالملك لها مقررا
قواعد ذلك مع نور الدين الى سنة اثنتين وستين وخمسمائة وبلغ شاور حديثه وطمعه
فى البلاد فخاف عليها وعلم ان أسد الدين لا بد له من قصدها فكاتب الفرنج وقرر معهم انهم
يجيئون الى البلاد ويمكنهم منها تمكينا كليا ليعينوه على استئصال اعدائه وبلغ نور الدين
واسد الدين مكاتبة شاور للفرنج وما تقرر بينهم فخافا على الديار المصرية ان يملكوها
ويملكوا بطريقها جميع البلاد فتجهز أسد الدين وانفذ نور الدين معه العساكر وصلاح
الدين فى خدمة عمه أسد الدين شيركوه وكان توجههم من الشام فى شهر ربيع الاول سنة
اثنتين وستين وخمسمائة وكان وصول أسد الدين الى البلاد مقارنا لوصول الفرنج اليها
واتفق شاور والمصريون باسرهم والفرنج على أسد الدين وجرت حروب كثيرة ووقعات
شديدة وانفصل الفرنج عن البلاد وانفصل أسد الدين راجعا الى الشام وكان سبب عود
الفرنج ان نور الدين جرد العساكر الى بلادهم وأخذ المنيطرة منهم فى رجب من هذه
السنة وعلم الفرنج ذلك فخافوا على بلادهم فعادوا اليها وكان سبب عود اسد الدين
الى الشام ضعف عسكره بسبب مواقعة الفرنج والمصريين وما عانوه من الشدائد
وعاينوه من الاهوال وما عاد حتى صالح الفرنج على ان ينصرفوا كلهم عن مصر وعاد الى
الشام فى بقية السنة وقد انضاف الى قوة الطمع فى الديار المصرية شدة الخوف عليها
من الفرنج لعلمه بانهم قد كشفوها كما قد كشفها وعرفوها كما عرفها فاقام بالشام على
مضض وقلبه قلق والقضاء يقوده الى شئ قدر لغيره وهو لا يشعر بذلك وكان عوده
فى ذى القعدة من السنة المذكورة الى الشام وقيل انه عاد فى ثامن عشر شوال من

السنة

السنة والله أعلم ورأيت فى بعض المسودات التى بخطى ولا أعلم من أين نقلته ان
اسد الدين لما طمع فى الديار المصرية توجه اليها فى سنة اثنتين وستين وسلك طريق وادى
الغزلان وخرج عند اطفيح فكانت فيها وقعة البابين عند الاشمونين وتوجه
صلاح الدين الى الاسكندرية فاحتمى بها وحاصره شاور فى جمادى الآخرة من السنة
ثم عاد أسد الدين من جهة الصعيد الى بلبيس وتم الصلح بينه وبين المصريين وسيروا له
صلاح الدين فساروا الى الشام ثم ان أسد الدين عاد الى مصر مرة ثالثة قال شيخنا ابن
شداد وكان سبب ذلك ان الفرنج جمعوا فارسهم وراجلهم وخرجوا يريدون الديار
المصرية ناكثين لجميع ما استقر مع المصريين وأسد الدين طمعا فى البلاد فلما بلغ ذلك
أسد الدين ونور الدين لم يسعهما الصبر دون ان سارعا الى قصد البلاد وأما نور الدين
فبالمال والرجال ولم يمكنه المسير بنفسه خوفا على البلاد من الفرنج ولانه كان قد حدث له
نظار الى جانب الموصل بسبب وفاة على بن بكتكين (قلت) هو زين الدين
والد السلطان مظفر الدين كوكبورى صاحب اربل وقد تقدم ذكره فى ترجمة
ولده كوكبورى قال فانه توفى فى ذى الحجة سنة ثلاث وستين وخمسمائة وسلم ما كان
فى يده من الحصون لقطب الدين اتابك ماعدى اربل فانها كانت له من اتابك زنكى
وأما أسد الدين فصار بنفسه وماله واخوته وأهله ورجاله ولقد قال لى السلطان
صلاح الدين قدس الله روحه كنت اكره الناس للخروج فى هذه الوقعة وما خرجت
مع عمى باختيارى وهذا معنى قوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم
وكان شاور لما احس بخروج الفرنج الى مصر على تلك القاعدة سير الى اسد الدين
شيركوه يستصرخه ويستنجده فخرج مسرعا وكان وصوله الى مصر فى شهر ربيع
الاول سنة أربع وستين وخمسمائة ولما علم الفرنج بوصول أسد الدين الى مصر على
اتفاق بينه وبين أهلها رحلوا راجعين على اعقابهم ناكصين وأقام أسد الدين بها
يتردد اليه شاور فى الاحيان وكان وعدهم بمال فى مقابلة ما خسروه من النفقة
فلم يوصل اليهم شيأ وعلقت مخالب اسد الدين فى البلاد وعلم انه متى وجد الفرنج فرصة
أخذوا البلاد وأن شاور يلعب به تارة وبالفرنج اخرى وملاكها فقد كانوا على البدعة
المشهورة وتحقق اسد الدين انه لاسبيل لاستيلائه على البلاد مع بقاء شاور فأجمع رأيه
على القبض عليه اذا خرج اليه وكان الامراء الواصلون مع أسد الدين يترددون
الى خدمة شاور وهو يخرج فى بعض الاحيان الى أسد الدين يجتمع به وكان يركب على
عادة وزرائهم بالطبل والبوق والعلم ولم يتجاسر على قبضه أحد من الجماعة الا السلطان
بنفسه وذلك انه لما سار اليه تلقاه راكبا وسار الى جنبه وأخذ بتلابيبه وأمر العسكر
بان يقصدوا أصحابه ففروا ونهبهم العسكر فانزل شاور الى خيمة مفردة وفى الحال ورد
توقيع على يد خادم خاص من جهة المصريين يقول لابد من رأسه جريا على عادتهم

فى وزرائهم حز رأسه وأرسل اليهم وسيروا الى أسد الدين خلع الوزارة فلبسها وسار ودخل القصر ورتب وزيرا وذلك فى سابع عشر ربيع الاول سنة أربع وستين وخمسمائة ودام آمرا وناهيا والسلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى يباشر الامور مقررا لها لمكان كفايته ودرايته وحسن رأيه وسياسته الى الثانى والعشرين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة فمات اسد الدين (قلت) وقد تقدم حديث اسد الدين وصورة موته فلا حاجة الى شرحها هاهنا وكذلك وفاة شاور وهذا كله نقلته من كلام شيخنا ابن شداد فى سيرة صلاح الدين لكننى اثبت منه بالمقصود وحذفت الباقى ورأيت بخطى فى جملة مسودات ان أسد الدين دخل القاهرة يوم الاربعاء سابع شهر ربيع الآخر من سنة أربع وستين وخمسمائة وخرج اليه العاضد عبدالله العبيدى آخر ملوك مصر المقدم ذكره وتلقاه وحضر يوم الجمعة التاسع من الشهر الى الايوان وجلس الى جانب العاضد وخلع عليه وأظهر له شاور ودا كثيرا وطلب اسد الدين منه مالا ينفقه فى عسكره فدافعه فارسل اليه ان الجند تغيرت قلوبهم عليه بسبب عدم النفقة فاذا خرجت فكن على حذر منهم فلم يكترث شاور بكلامه وعزم على ان يعمل دعوة يستدعى اليها أسد الدين والعساكر الشامية ويقبض عليهم فاحس اسد الدين بذلك فاتفق صلاح الدين وعز الدين جورديك النورى وغيرهما على قتل شاور واعلموا أسد الدين فنهاهم عنه وخرج شاور الى أسد الدين وكانت خيامهم على شاطئ النيل بالمقس فلم يجده فى خيمته وكان قد راح الى زيارة قبر الامام الشافعى رضى الله عنه بالقرافة فقال شاور نمضى اليه فالتقوه فساروا جميعا فاكتنفه صلاح الدين وجورديك فانزلاه عن فرسه وكتفوه فهرب أصحابه فاخذوه اسيرا ولم يمكنهم قتله بغير اذن وجعلوه فى خيمة ورسموا عليه جماعة فارسل العاضد يأمرهم بقتله فقتلوه وسيروا رأسه على رمح الى العاضد وذلك يوم السبت لسبع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة وقيل ان أسد الدين لم يحضر ذلك بل لما قصد شاور جهة أسد الدين لقيه صلاح الدين وجورديك ومعهما بعض العسكر فلم يعضهم على بعض وساروا ثم فعلا به هذه الفعلة والله أعلم ثم ان العاضد استدعى أسد الدين عقيب قتل شاور وكان فى المخيم فدخل القاهرة فرأى جمعا كثيرا من العامة نخافهم فقال لهم ان مولانا العاضد أمركم بنهب دار شاور فتفرقوا ومضوا الى نهبها ودخل على العاضد فتلقاه وافاض عليه خلع الوزارة ولقبه الملك المنصور أمير الجيوش ثم انه مات يوم الاحد لسبع بقين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة بعلة الخوانيق وقيل انه سم فى حنك الوزارة لما خلع عليه وكانت وفاته بالقاهرة ودفن بدار الوزارة ثم نقل الى المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فكانت مدة وزارته شهرين وخمسة أيام وقيل ان أسد الدين دخل على العاضد

يوم الاثنين التاسع عشر من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة والله أعلم (قلت) قد تقدم في ترجمة كل واحد من شاور واسد الدين ذكر شئ من هذه الامور التى ذكرتها ههنا وانما اعدت الكلام فيها لانى استوفيتها ههنا أكثر من هناك وأيضا فان المقصود في هذا كله ذكر سيرة صلاح الدين وتنقلاته وما جرى له من أول أمره الى آخره فاحببت ذكر ذلك على سياقة واحدة كى لا ينقطع الكلام فيبقى ابتر فاقول ذكر المؤرخون ان أسد الدين لما مات استقرت الامور بعده للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بمصر وتمهدت القواعد ومشى الحال على أحسن الاوضاع وبذل الاموال وملك قلوب الرجال وهانت عنده الدنيا فلكها وشكر نعمة الله تعالى عليه فتاب عن الخمر واعرض عن أسباب اللهو وتقمص بقميص الجد والاجتهاد وما زال على قدم الخير وفعل ما يقربه الى الله تعالى الى ان مات قال شيخنا ابن شداد سمعته يقول رحمه الله تعالى لما يسر الله تعالى لى الديار المصرية علمت انه أراد فتح الساحل لانه اوقع ذلك في نفسى ومن حين استتب له الامر ما زال يشن الغارات على الفرنج الى الكرك والشوبك وغيرهما من البلاد وغشى الناس من سحائب الافضال والانعام ما لم يؤرخ من غير تلك الايام وهذا كله وهو وزير متابع القوم لكنه يقول بمذهب أهل السنة غارس في البلاد أهل الفقه والعلم والتصوف والدين والناس يهرعون اليه من كل صوب ويفدون عليه من كل جانب وهو لا يخيب قاصدا ولا يعدم وافدا الى سنة خمس وستين وخمسمائة ولما عرف نور الدين استقرار السلطان صلاح الدين بمصر أخذ حمص من نواب أسد الدين شيركوه وذلك في رجب سنة أربع وستين ولما علم الفرنج ما جرى من المسلمين وعساكرهم وما تم للسلطان من استقامة الامر بالديار المصرية علموا انه يملك بلادهم ويخرب ديارهم ويقلع اثارهم لما حدث له من القوة والملك واجتمع الفرنج والروم جميعا وقصدوا الديار المصرية فقصدوا دمياط ومعهم آلات الحصار وما يحتاجون اليه من العدد ولما سمع فرنج الشام ذلك اشتد أمرهم فسرقوا حصن عكا من المسلمين واسروا صاحبها وكان مملوكا لنور الدين يقال له خطلخ العلم دار وذلك في شهر ربيع الآخر من سنة خمس وستين ولما رأى نور الدين ظهور الفرنج ونزولهم على دمياط قصد شغل قلوبهم فنزل على الكرك محاصرا لها في شعبان من السنة المذكورة فقصده فرنج الساحل فرحل عنها وقصد لقاءهم فلم يقفوا له ثم بلغه وفاة مجد الدين ابن الداية وكانت وفاته بحلب في شهر رمضان سنة خمس وستين فاشتغل قلبه لانه كان صاحب أمره وعاد يطلب الشام فبلغه امر الزلازل بحلب التى اخربت كثيرا من البلاد وكانت في ثانى عشر شوال منها فسار يطلب حلب فبلغه خبر موت أخيه قطب الدين بالموصل (قلت) وقد ذكرت ذلك في ترجمته واسمه مودود قال وبلغه الخبر وهو بتل باشر فسار من ليلته طالبا بلاد الموصل ولما بلغ

صلاح الدين قصد الفرنج دمياط استعدا لهم بتجهيز الرجال وجمع الالات اليها ووعدهم بالامداد بالرجال ان نزلوا عليهم وبالغ فى العطايا والهبات وكان وزيرا متحكما لا يرد أمره فى شئ ثم نزل الفرنج عليها واشتد زحفهم وقتالهم عليها وهو رحمه الله تعالى يشن الغارات عليهم من خارج والعسكر يقاتلهم من داخل ونصر الله تعالى المسلمين به وبحسن تدبيره ورحلوا عنها خائبين فاحرقت مناجيقهم ونهبت آلاتهم وقتل من رجالهم خلق كثير واستقرت قواعد صلاح الدين وسير بطلب والده نجم الدين أيوب ليتم له السرور وتكون قصته مشاكلة لقصة يوسف الصديق عليه السلام فوصل والده اليه فى جمادى الآخرة من سنة خمس وستين (قلت) هكذا ذكر ابن شداد فى تاريخه وصوله الى مصر والصواب فيه هو الذى ذكرته فى ترجمته وسلك معه من الادب ما جرت به عادته وألبسه الامر كله فأبى ان يلبسه وقال يا ولدى ما اختارك الله لهذا الامر الا وانت كفؤ له ولا ينبغى ان تغير موضع السعادة فحكمه فى الخزائن كلها ولم يزل وزيرا حتى مات العاضد فى التاريخ المقدم ذكره (قلت) اكثر ما ذكرته فى هذا الفصل منقول من كلام شيخنا ابن شداد فى سيرة صلاح الدين وفيه زوائد من غيرها والذى ذكره شيخنا الحافظ عز الدين بن الاثير المذكور قبل هذا فى تاريخه الاتابكى ان كيفية ولاية صلاح الدين ان جماعة من الامراء النورية الذى كانوا بمصر طلبوا التقدم على العساكر وولاية الوزارة يعنى بعد موت أسد الدين منهم الامير عين الدولة الياروقى وقطب الدين خسرو بن بلبل وهو ابن أخى أبى الهيجا الهذبانى الذى كان صاحب اربل (قلت) وهو صاحب المدرسة القطبية التى بالقاهرة ومنهم سيف الدين على بن أحمد الهكارى جده كان صاحب القلاع الهكارية (قلت) هو المعروف بالمشطوب والد عماد الدين أحمد بن المشطوب وقد تقدم ذكره فى ترجمة مستقلة قال ومنهم شهاب الدين محمود الحارمى وهو خال صلاح الدين وكل واحد من هؤلاء يخطبها لنفسه وقد جمع ليغالب عليها فارسل العاضد صاحب مصر الى صلاح الدين وأمره بالحضور فى قصره ليخلع عليه خلع الوزارة ويوليه الامر بعد عمه وكان الذى حمل العاضد على ذلك ضعف صلاح الدين فانه ظن انه اذا ولى صلاح الدين وليس له عسكر ولا رجال كان فى ولايته مستضعفا يحكم عليه ولا يجسر على المخالفة وانه يضع على العسكر الشامى من يستميلهم اليه فاذا صار معه البعض اخرج الباقين وتعود البلاد اليه وعنده من العساكر الشامية من يحميها من الفرنج ونور الدين والقصة مشهورة اردت عمرا واراد الله خارجه (قلت) هذا المثل مشهور بين العلماء وسيأتى الكلام عليه بعد الفراغ من هذه الترجمة ان شاء الله تعالى (عدنا الى تمام الكلام الاول) فامتنع صلاح الدين وضعفت نفسه عن هذا المقام فألزمه وأخذه كارها ان الله تعالى يعجب من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل فلما حضر فى القصر خلع عليه خلع الوزارة الجبة والعمامة وغيرهما ولقب

الملك الناصر وعاد الى دار أسد الدين فاقام بها ولم يلتفت اليه أحد من اولئك الامراء الذين يريدون الامر لانفسهم ولا خدموه وكان الفقيه ضياء الدين عيسى الهكارى معه (قلت) وقد سبق ذكره فى ترجمة مفردة وقال ابن الاثير فسعى مع سيف الدين على بن أحمد حتى اماله اليه وقال له ان الامر لا يصل اليك مع وجود عين الدولة والحارمى وابن تليل فمال الى صلاح الدين ثم قصد شهاب الدين الحارمى وقال له ان هذا صلاح الدين هو ابن اختك وملكه لك وقد استقام الامر له فلا تكن اول من يسعى فى اخراجه عنه ولم يصل اليك فلم يزل به حتى احضره أيضا عنده وحلفه ثم عدل الى قطب الدين وقال له ان صلاح الدين قد اطاعه الناس ولم يبق غيرك وغير الياروقى وعلى كل حال فيجمع بينك وبين صلاح الدين ان أصله من الاكراد فلا تخرج الامر عنه الى الاتراك ووعده وزاد فى اقطاعه فاطاع صلاح الدين وعدل أيضا الى عين الدولة الياروقى وكان أكبر الجماعة وأكثرهم جمعا فلم ينفعه رقاه ولا نفذ فيه سحره وقال انا لا اخدم يوسف أبدا وعاد الى نور الدين ومعه غيره فانكر عليهم فراقه وقد فات الامر ليقضى الله أمرا كان مفعولا وثبت قدم صلاح الدين ورسخ ملكه وهو نائب عن الملك العادل نور الدين والخطبة لنور الدين فى البلاد كلها ولا يتصرفون الا عن أمره وكان نور الدين يكاتب صلاح الدين بالامير الاسفهسلار ويكتب علامته فى الكتب تعظيما ان يكتب اسمه وكان لا يفرده بكتاب بل يكتب الامير الاسفهسلار صلاح الدين وكافة الامراء بالديار المصرية يفعلون كذا وكذا واستمال صلاح الدين قلوب الناس و بذل الاموال مما كان أسد الدين قد جمعه وطلب من العاضد شيا يخرجه فلم يمكنه منعه فمال الناس اليه واحبوه وقويت نفسه على القيام بهذا الامر والثبات فيه وضعف أمر العاضد فكان كالباحث عن حتفه بظلفه * قال ابن الاثير فى تاريخه الكبير قد اعتبرت التواريخ ورأيت كثيرا من التواريخ الاسلامية فرأيت كثيرا ممن يبتدى الملك تنتقل الدولة عن صلبه الى بعض أهله واقاربه منهم فى اول الاسلام معاوية بن أبى سفيان اول من ملك من اهل بيته فانتقل الملك عن اعقابه الى بنى مروان من بنى عمه ثم من بعده السفاح اول من ملك من بنى العباس انتقل الملك عن اعقابه الى أخيه المنصور ثم السامانية اول من استبد فيهم نصر بن أحمد فانتقل الملك عنه الى أخيه اسماعيل بن أحمد واعقابه ثم يعقوب الصفار وهو أول من ملك من أهل بيته وانتقل الملك عنه الى أخيه عمرو واعقابه ثم عماد الدولة بن بويه اول من ملك من أهل بيته ثم انتقل الملك عنه الى أخويه معز الدولة وركن الدولة ثم السلجوقية اول من ملك منهم طغرلبك ثم انتقل الملك الى أولاد أخيه داود ثم هذا شيركوه كما ذكرناه انتقل الملك الى ولد أخيه نجم الدين أيوب ولولا خوف الاطالة لذكرنا أكثر من هذا والذى اظنه السبب فى ذلك ان الذى يكون أول دولته يكثر القتل فيأخذ الملك وقلوب

من كان فيه متعلقة به فلهذا يحرم الله اعقابه و يفعل ذلك لاجلهم عقوبة له (نعود الى ذكر صلاح الدين) وارسل صلاح الدين يطلب من نور الدين ان يرسل اليه اخوته فلم يجبه الى ذلك وقال اخاف ان يخالف أحد منهم عليك فتفسد البلاد ثم ان الفرنج اجتمعوا ليسيروا الى مصر فسير نور الدين العساكر وفيهم اخوة صلاح الدين منهم شمس الدولة توران شاه بن أيوب (قلت وقد تقدم ذكره فى ترجمة مستقلة) قال وهو أكبر من صلاح الدين فلما أراد ان يسير قال له نور الدين ان كنت تسير الى مصر وتنظر الى أخيك انه يوسف الذى كان يقوم فى خدمتك وانت قاعد فلا تسر فانك تفسد البلاد واحضرك حينئذ واعاقبك بما تستحقه وان كنت تنظر اليه انه صاحب مصر وقائم مقامى وتخدمه بنفسك كما تخدمنى فسر اليه واشدد ازره وساعده على ما هو بصدده فقال أفعل معه من الخدمة والطاعة ما يتصل بك ان شاء الله تعالى فكان معه كما قال ثم قال شيخنا ابن الاثير بعد هذا بأوراق فى فصل يتعلق بانقراض الدولة المصرية واقامة الدولة العباسية بها فقال فى المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة قطعت خطبة العاضد صاحب مصر وخطب فيها للامام المستضىء بأمر الله أمير المؤمنين وكان السبب فى ذلك ان صلاح الدين يوسف بن أيوب لما ثبت قدمه فى مصر وازال المخالفين له وضعف امر العاضد ولم يبق من العساكر المصرية أحد كتب اليه الملك العادل نور الدين محمود يأمره بقطع الخطبة العاضدية واقامة الخطبة العباسية فاعتذر صلاح الدين بالخوف من وثوب أهل مصر وامتناعهم من الاجابة الى ذلك لميلهم الى دولة المصريين فلم يصغ نور الدين الى قوله وارسل اليه يلزمه بذلك الزاما لا فسحة له فيه واتفق ان العاضد مرض وكان صلاح الدين قد عزم على قطع الخطبة فاستشار امراءه كيف الابتداء بالخطبة العباسية فمنهم من اقدم على المساعدة وأشار بها ومنهم من خاف ذلك الا انه لم يمكنه الا امتثال أمر نور الدين وكان قد دخل الى مصر رجل عجمى يعرف بالامير العالم وقد رأيناه بالموصل كثيرا فلما رأى ماهم فيه من الاحجام قال انا ابتدى بها فلما كان أول جمعة من المحرم صعد المنبر قبل الخطيب ودعا للمستضىء بأمر الله تعالى فلم ينكر أحد ذلك فلما كان الجمعة الثالثة أمر صلاح الدين الخطباء بمصر والقاهرة بقطع خطبة العاضد واقامة الخطبة للمستضىء بأمر الله ففعلوا ذلك ولم ينتطح فيها عنزان وكتب بذلك الى سائر الديار المصرية وكان العاضد قد اشتد مرضه فلم يعلمه أهله وأصحابه بذلك وقالوا ان سلم فهو يعلم وان توفى فلا ينبغى ان تنغص عليه هذه الايام التى بقيت من أجله فتوفى يوم عاشوراء ولم يعلم ولما توفى جلس صلاح الدين للعزاء واستولى على قصره وجميع ما فيه وكان قد رتب فيه قبل وفاة العاضد بهاء الدين قراقوش وهو خصى يحفظه (قلت وقد تقدم ذكره فى ترجمته أيضا) قال وجعله كالاستاذ دار العاضد فحفظ ما فيه حتى تسلمه صلاح الدين ونقل أهل العاضد الى مكان منفرد ووكل بحفظهم

وجعل اولاده وعمومته وابناءهم فى ايوان بالقصر وجعل عندهم من يحفظهم واخرج من كان فيه من العبيد والاماء فاعتق البعض ووهب البعض وباع البعض واخلى القصر من أهله وسكانه فسبحان من لايزول ملكه ولايغيره ممر الايام وتعاقب الدهور ولما اشتد مرض العاضد أرسل يستدعى صلاح الدين فظن ان ذلك خديعة فلم يمض اليه فلما توفى علم صدقه فندم على تخلفه عنه وكان ابتداء الدولة العبيدية بافريقية والمغرب فى ذى الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين واول من ظهر منهم المهدى أبو محمد عبيد الله وبنى المهدية وملك افريقية كلها (قلت هكذا ذكر شيخنا ابن الاثير تاريخ استيلاء المهدى عبيد الله على افريقية والصواب فيه هو الذى ذكرته فى ترجمته فيكشف منه) ثم انه قال ولما مات المهدى عبيد الله قام بالامر بعده ولده القائم أبو القاسم محمد ثم ذكرهم واحدا واحدا حتى انتهى الى العاضد المذكور فقال وانقرضت دولتهم فكانت مدة دولتهم مائتى سنة وستا وستين سنة وكان مقامهم بمصر مائتى سنة وثمانى سنين وملك منهم أربعة عشر وهم المهدى والقائم والمنصور والمعز والعزيز والحاكم والظاهر والمستنصر والمستعلى والآمر والحافظ والظافر والفائز والعاضد آخرهم (قلت) وقد ذكرت كل واحد من هؤلاء فى ترجمة مستقلة فى هذا الكتاب فمن اختار الوقوف على أحوالهم فليطلبه فى اسمه ولاحاجة الى ذكره ههنا قال شيخنا ابن الاثير وقد اتينا على ذكر ما اجملناه مستقصى فى التاريخ الكبير يعنى كتابه الذى سماه الكامل وهو مشهور ومن انفع الكتب فى بابه قال ولما استولى صلاح الدين على القصر وأمواله وذخائره اختار منه ما أراد ووهب أهله ما أراد وباع منه كثيرا وكان فيه من الجواهر والاعلاق النفيسة مالم يكن عند ملك من الملوك قد جمع على طول السنين وممر الدهور فمنه القضيب الزمرد طوله نحو قصبة ونصف والحبل الياقوت وغيرهما ومن الكتب المنتخبة بالخطوط المنسوبة والخطوط الجيدة نحو مائة ألف مجلد ولما خطب للمستضىء بأمر الله بمصر أرسل نور الدين اليه يعرفه ذلك فحل عنده أعظم محل وسير اليه الخلع الكاملة مع عماد الدين صندل المقتفوى اكراما له لان عماد الدين كان كبير المحل فى الدولة العباسية وكذلك أيضا سير خلعا لصلاح الدين الا انها أقل من خلع نور الدين وسيرت الاعلام السود لتنصب على المنابر وكانت هذه أول اهبة عباسية دخلت مصر بعد استيلاء العبيديين عليها انتهى ما قاله شيخنا ابن الاثير (قلت) ولما وصل الخبر الى الامام المستضىء بامر الله أبى محمد الحسن بن الامام المستنجد وهو والد الامام الناصر لدين الله بما تجدد من أمر مصر وعود الخطبة والسكة بها باسمه بعد انقطاعها بمصر هذه المدة الطويلة نظم أبو الفتح محمد سبط ابن التعاويذى المقدم ذكره قصيدة طنانة مدح بها الامام المستضىء وذكر هذا الفتوح المتجدد له وفتوح بلاد اليمن أيضا وهلاك الخارجى بها الذى سمى نفسه

المهدى وذلك فى سنة احدى وسبعين وخمسمائة وكان صلاح الدين قد أرسل له من دخاير مصر واسلاب المصريين شيأ كثيرا واولها

قل للسحاب اذا حدته يد الجنائب فارجحن

ثج باللوى فاسمح بدمعك للمعاهد والدمن

يا منزل الانس الجميع وملعب الحى الاغن

سكنت بك الآرام من * بعد الاحبة والسكن

اين استقلت بالحبيب ركابه ومتى ظعن

شوقى الى زمن الحمى * سقى الغوادى من زمن

شوق المغرب شردته يد البعاد عن الوطن

ولقد عهدتك والزما * ن بشملنا بك مانطن

وثرالك ماغبرت مسا * رحه ومااولك مااجن

وطماولك الاتراب لى * وطر وتربك لى وطن

لام العذول وما درى * وجدى وبلبالى بمن

وجدى بمن فضح القضيب واخجل الرشأ الاغن

ماضر من هو فتنتى * لو كان يرحم مافتن

دمعى طليق فى محبته وقلبى مرتهن

يا محتى اودى الصدو * د لعاشق بك ممتحن

غادرته وقفا على الشعرات بعدك والحزن

كلف الفؤاد معذبا * بين الاقامة والظعن

عطفا على قرح الجفو * ن بعيد عهد بالوسن

لا تبخلى فالبخل يذ * هب بهجة الوجه الحسن

ولرب ليل بت فيه صريع باطية ودن

اختال من مرح واسحب فضل ذيلى والردن

مع مخطف لدن القوا * م اذا انثنى رخص البدن

لكننى كفرت ليلة زرته عنى وعن

عبد الفقير للمستضى * ء أبى محمد الحسن

المستقر من الخلا * فة فى الشواهق والقنن

يا بارئا للعدل من * سنن النبى على سنن

يا جامعا خلق التقى * والخلافة فى قرن

دانت لهيبتك المما * لك والمعاقل والمدن

يا لمشرفيات الصوا * رم والمثقفة اللدن

وأتتك اسلاب الملو * ك من الصعيد الى عدن
سلب الدعى بارض مصـ * ـر والمضلل فى اليمن
مما اقتناه ذورعيـ * ـن فى القديم وذو يزن
وشفيت منهم بالظبى * تلك الضغائن والاحن
لم تغن عنهم حين رعـ * ـتهم الحصون ولا الجنن
امست سباياهم تقا * د أذلة قود البدن
غادرت عرض بلادهم * عرض النوائب والمحن
فى كل يوم من جيو * شك غارة فيها تشن
وأعدت سر الاوليا * ء المؤمنين بها علن
ورحضت ما بقيت اذا * ثار الخوارج من درن
فكانت دعوتهم على * تلك المنابر لم تكن

وهى طويلة فنقتصر منها على هذا القدر ففيه كفاية ومدحه أيضا بقصيدة اخرى أشار فيها الى هذا المعنى وليس على خاطرى من هذه القصيدة سوى غزلها فاحببت ذكره لكونه فى غاية الحسن واللطافة وهو قوله

اهلا بطلعة غادة * فضح الدجى بضيائها
سمح الزمان بوصلها * فدنت على عدوائها
باتت تعاطينى المدا * م وكنت من اكفائها
فسكرت من الحاظها * وغنيت من صهبائها
بيضاء تسلى دأبها * فى نأيها وثوائها
فاذا رنت بجفونها * واذا نأت بجفائها
لا نلتقى ابدا سوا * عدها بيوم وفائها
الشمس من ضراتها * والبدر من رقبائها
والصبح فوق لثامها * والليل تحت ردائها
مضرية تنمى اذا انـ * ـتسبت الى حمرائها
باتت واطراف الرما * ح تجول حول خبائها
فالموت دون فراقها * والموت دون لقائها
ولقد مررت بربعها * بعد النوى وفنائها
والعين فى الاطلال سا * كبة على اطلائها
فوقفت أنشد فى * مطالعها دور سمائها
وبكيت حتى كدت أعـ * ـطف بانتى جرعائها
يا موحش العين التى * انست بطول بكائها

غادرت بين جوانحي * نفسا تموت بدائها
تشتاق عيني ان ترا * ك وانت من سودائها
واذا بخلت بنظرة * سمحت بجمة مائها
فكأنها كف الخليفة اسبلت بعطائها

وبعد هذا شرع فى المديح وابدع فيها جميعها وسأذكر بعد هذا عند أواخر هذه الترجمة شيأ من مدائحه فى صلاح الدين ان شاء الله تعالى فقد كان يسير قصائده اليه من بغداد فتصل اولا الى القاضى الفاضل ومعها مديح للفاضل وهو الذى يعرض قصائده على صلاح الدين رحمه الله تعالى ثم ذكر شيخنا ابن الاثير بعد هذا فصلا يتضمن حصول الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين باطنا فقال وفى سنة سبع وستين أيضا حدث ما اوجب نفرة نور الدين عن صلاح الدين وكان الحادث ان نور الدين أرسل الى صلاح الدين يأمره بجمع العساكر المصرية والمسير بها الى بلاد الفرنج والنزول على الكرك ومحاصرته ليجمع أيضا هو عساكره ويسير اليه ويجتمعان هناك على حرب الفرنج والاستيلاء على بلادهم فبرز صلاح الدين من القاهرة فى العشرين من المحرم وكتب الى نور الدين يعرفه ان رحيله لا يتأخر وكان نور الدين قد جمع عساكره وتجهز وأقام ينتظر ورود الخبر من صلاح الدين برحيله ليرحل هو فلما اتاه الخبر بذلك رحل من دمشق عازما على قصد الكرك فوصل اليه واقام ينتظر وصول صلاح الدين اليه فارسل كتابه يعتذر فيه عن الوصول باختلال البلاد المصرية لامور بلغته عن بعض شيعة العلويين وانهم عازمون على الوثوب بها وانه يخاف عليها مع البعد عنها ان يقوم أهلها على من تخلف بها فلم يقبل نور الدين هذا الاعتذار منه وتغير عليه وكان سبب تقاعده ان أصحابه وخواصه خوفوه من الاجتماع بنور الدين فحيث لم يمتثل أمر نور الدين شق ذلك عليه وعظم عنده وعزم على الدخول الى مصر واخراج صلاح الدين عنها فبلغ الخبر الى صلاح الدين فجمع أهله ومنهم والده نجم الدين وخاله شهاب الدين الحارمى ومعهم سائر الامراء واعلمهم مابلغه من عزم نور الدين على قصده وأخذ مصر منه واستشارهم فلم يجبه أحد منهم بشئ فقام تقى الدين عمر ابن أخى صلاح الدين (قلت وقد تقدم ذكره أيضا فى ترجمة مستقلة) وقال اذا جاء قاتلناه ومنعناه عن البلاد ووافقه غيره من أهله فشتمهم نجم الدين أيوب وانكر ذلك واستعظمه وكان ذا رأى ومكر وعقل وقال لتقى الدين اقعد وسبه وقال لصلاح الدين أنا أبوك وهذا شهاب الدين خالك اتظن ان فى هؤلاء كلهم من يحبك ويريد لك الخير مثلنا فقال لا فقال والله لو رأيت انا وخالك شهاب الدين نور الدين لم يمكنا الا ان نترجل له ونقبل الارض بين يديه ولو أمرنا ان نضرب عنقك بالسيف لفعلنا فاذا كنا نحن هكذا فكيف يكون غيرنا وكل من تراه من الامراء والعساكر لو رأى نور الدين وحده لم يتجاسر من الثبات على سرجه

ولا

ولا وسعه الا النزول وتقبيل الارض بين يديه وهذه البلاد له وقد اقامك فيها وان أراد
عزلك سمعنا واطعنا والرأى ان تكتب اليه كتابا وتقول بلغني انك تريد الحركة لاجل
البلاد فاى حاجة الى هذا يرسل المولى نجابا يضع فى رقبتى منديلا و يأخذنى اليك
فما ههنا من يمتنع عليك وقال لجماعته كلهم قوموا عنا فنحن مماليك نور الدين وعبيده
يفعل بنا ما يريد فتفرقوا على هذا وكتب أكثرهم الى نور الدين بالخبر ولما خلا أيوب
بابنه صلاح الدين قال له أنت جاهل قليل المعرفة تجمع هذا الجمع الكثير وتطلعهم على
سرك وما فى نفسك فاذا سمع نور الدين انك عازم على منعه عن البلاد جعلك اهم الامور
اليه وأولاها بالقصد ولو قصدك لم تر معك أحدا من هذا العسكر وكانوا اسلموك اليه
وأما الآن بعد هذا المجلس فسيكتبون اليه و يعرفونه قولى وتكتب أنت اليه وترسل
اليه فى المعنى وتقول أى حاجة الى قصدى يجى نجاب يأخذنى بحبل يضعه فى عنقى فهو
اذا سمع هذا اعدل عن قصدك واستعمل ما هو أهم عنده والايام تندرج والله كل وقت
فى شان والله لو أراد نور الدين قصبة من قصب سكرنا لقاتلته انا عليها حتى امنعه أو اقتل
ففعل صلاح الدين ما أشار به والده فلما رأى نور الدين الامر هكذا عدل عن قصده وكان
الامر كما قال نجم الدين أيوب وتوفى نور الدين ولم يقصده وملك صلاح الدين البلاد وهذا
كان من أحسن الآراء واجودها انتهى ماذكره ابن الاثير وقال شيخنا ابن شداد
فى السيرة لم يزل صلاح الدين على قدم بسط العدل ونشر الاحسان وافاضة الانعام
على الناس الى سنة ثمان وستين وخمسمائة فعند ذلك خرج بالعسكر يريد بلاد الكرك
والشوبك وانما بدأ بها لانها كانت أقرب اليه وكانت فى الطريق تمنع من يقصد الديار
المصرية وكان لا يمكن ان تعبر قافلة حتى يخرج هو بنفسه يعبرها فاراد توسيع
الطريق وتسهيلها فحاصرها فى هذه السنة وجرى بينه وبين الفرنج وقعات وعاد
ولم يظفر منها بشئ فلما عاد بلغه خبر وفاة والده نجم الدين ايوب قبل وصوله اليه (قلت وقد
ذكرت تاريخ وفاته فى ترجمته) قال ولما كانت سنة تسع وستين رأى قوة عسكره وكثرة
عدده وكان بلغه ان باليمن انسانا استولى عليها وملك حصونها يسمى عبد النبى بن مهدى
فسير أخاه توران شاه اليه فقتله وأخذ البلاد منه وقد بسطت القول فى ذلك فى ترجمته
ثم توفى نور الدين فى سنة تسع وستين حسبما شرحته فى ترجمته فلا حاجة الى اعادته
و بلغ صلاح الدين أن انسانا يقال له الكنز جمع باسوان خلقا كثيرا من السودان
وزعم انه يعيد الدولة المصرية وكان أهل مصر يؤثرون عودهم فانضافوا
الى الكنز المذكور فجهز صلاح الدين اليه جيشا كثيفا وجعل مقدمه أخاه الملك
العادل وساروا فالتقوا وكسروهم وذلك فى السابع من صفر سنة سبعين وخمسمائة
واستقرت له قواعد الملك وكان نور الدين رحمه الله قد خلف ولده الملك الصالح
اسماعيل المذكور فى ترجمة أبيه وكان بدمشق عند وفاة أبيه وكان بقلعة حلب شمس

الدين على ابن الداية وشاذبخت وكان ابن الداية قد حدثت نفسه بأمور فسار الملك الصالح من دمشق الى حلب فوصل الى ظاهرها فى المحرم من سنة سبعين ومعه سابق الدين فخرج بدر الدين حسن ابن الداية فقبض على سابق الدين ولما دخل الملك الصالح القلعة قبض على شمس الدين وأخيه حسن المذكور وأودع الثلاثة فى السجن وفى ذلك اليوم قتل أبو الفضل بن الخشاب لفتنة جرت بحلب وقيل بل قتل قبل قبض أولاد الداية بيوم لانهم تولوا تدبير ذلك ثم ان صلاح الدين بعد وفاة نور الدين علم ان ولده الملك الصالح صبى لا يستقل بالامر ولا ينهض بأعباء الملك واختلفت الاحوال بالشام وكاتب شمس الدين المقدم ذكره صلاح الدين فتجهز من مصر فى جيش كثيف وترك بها من يحفظها وقصد دمشق مظهرا انه يتولى مصالح الملك الصالح فدخلها بالتسليم فى يوم الثلاثاء سلخ ربيع الآخر سنة سبعين وخمسمائة وتسلم قلعتها وكان أول دخوله دار أبيه (ذلك وهى الدار المعروفة بالشريف العقيقى) وهى اليوم فى قبالة المدرسة العادلية مشهورة هناك بالعقيقى قال واجتمع الناس اليه وفرحوا به وأنفق فى ذلك اليوم مالا جزيلا وأظهر السرور بالدمشقيين وصعد القلعة وسار الى حلب فنازل حمص وأخذ مدينتها فى جمادى الاولى من السنة ولم يشتغل بقلعتها وتوجه الى حلب ونازلها فى يوم الجمعة سلخ جمادى الاولى من السنة وهى الوقعة الاولى ثم ان سيف الدين غازى ابن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكى صاحب الموصل لما احس بما جرى علم ان الرجل قد استفحل أمره وعظم شأنه وخاف ان غفل عنه استحوذ على البلاد واستقرت قدمه فى الملك وتعدى الامر اليه فانفذ عسكرا وافرا وجيشا عظيما وقدم عليه أخاه عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود وساروا يريدون لقاءه ليردوه عن البلاد فلما بلغ صلاح الدين ذلك رحل عن حلب فى مستهل رجب من السنة عائدا الى حماة ورجع الى حمص فأخذ قلعتها ووصل عز الدين مسعود الى حلب وأخذ معه عسكر ابن عمه الملك الصالح بن نور الدين صاحب حلب يومئذ وخرجوا فى جمع عظيم فلما عرف صلاح الدين بمسيرهم سار حتى وافاهم على قرون حماة وراسلهم وراسلوه واجتهد أن يصالحوه فما صالحوه ورأوا ان ضرب المصاف معه ربما نالوا به غرضهم والقضاء يجر الى امور وهم بها لا يشعرون فتلاقوا فقضى الله تعالى ان انكسروا بين يديه وأسر جماعة منهم فمن عليهم وذلك فى تاسع شهر رمضان من السنة عند قرون حماة ثم سار عقيب كسرتهم ونزل على حلب وهى الوقعة الثانية فصالحوه على أخذ المعرة وكفرطاب وماردين ولما جرت هذه الوقعة كان سيف الدين غازى يحاصر اخاه عماد الدين زنكى صاحب سنجار وعزم على أخذها منه لانه كان قد انتمى الى صلاح الدين وكان قد قارب أخذها فلما بلغه الخبر أن عسكره انكسر خاف ان يبلغ أخاه عماد الدين الخبر فيشتد أمره ويقوى جأشه فراسله وصالحه ثم سار من وقته الى نصيبين واهتم بجمع

العساكر

العساكر والانفاق فيها وسار الى البيرة وعبر الفرات وخيم على الجانب الشامي وارسل ابن عمه الصالح نور الدين صاحب حلب حتى تستقر له قاعدة يصل عليها ثم انه وصل الى حلب وخرج الملك الصالح الى لقائه وأقام على حلب مدة وصعد قلعتها جريدة ثم نزل وسار الى تل السلطان (قلت وهي منزلة بين حماة وحلب) قال ومعه جمع كبير وراسل صلاح الدين الى مصر يطلب عسكرها فوصل اليه وسار به حتى نزل الى قرون حماة ثم تصافوا بكرة الخميس العاشر من شوال سنة احدى وسبعين وجرى قتال عظيم وانكسرت ميسرة صلاح الدين بمظفر الدين بن زين الدين (قلت هو صاحب اربل المقدم ذكره) قال فانه كان على ميمنة سيف الدين فحمل صلاح الدين بنفسه فانكسر القوم وأسر منهم جمعا من كبار الامراء فمن عليهم واطلقهم وعاد سيف الدين الى حلب فأخذ منها خزائنه وسار حتى عبر الفرات وعاد الى بلاده ومنع صلاح الدين من تتبع القوم ونزل في بقية ذلك اليوم في خيامهم فانهم تركوا اثقالهم وانهزموا ففرق صلاح الدين الاصطبلات ووهب الخزائن واعطى خيمة سيف الدين لابن أخيه عز الدين فرخشاه (قلت هو ابن شاهان شاه بن أيوب وهو أخو تقي الدين عمر صاحب حماة وفرخشاه صاحب بعلبك وهو والد الملك الامجد بهرام شاه صاحب بعلبك) قال وسار الى منبج فتسلمها ثم سار الى قلعة عزاز يحاصرها وذلك في رابع ذي القعدة من سنة احدى وسبعين وفيها وثب جماعة من الاسماعيلية على صلاح الدين فنجاه الله سبحانه منهم وظفره بهم وأقام عليها حتى أخذها في رابع عشر ذي الحجة من السنة ثم سار حتى نزل على حلب في سادس عشر الشهر المذكور وأقام عليها مدة ثم رحل عنها وكانوا قد اخرجوا اليه ابنة صغيرة لنور الدين سألته عزاز فوهبها لها ثم عاد صلاح الدين الى مصر ليتفقد أحوالها وكان مسيره اليها في شهر ربيع الاول من سنة اثنتين وسبعين وكان أخوه شمس الدولة توران شاه قد وصل اليه من اليمن فاستخلفه بدمشق ثم تاهب للغزاة وخرج يطلب الساحل حتى وافى الفرنج على الرملة وذلك في أوائل جمادى الاولى سنة ثلاث وسبعين وكانت الكسرة على المسلمين في ذلك اليوم (قلت وذلك لامر يطول شرحه) قال فلما انهزموا لم يكن لهم حصن قريب يأوون اليه فطلبوا جهة الديار المصرية وضلوا في الطريق وتبددوا واسر منهم جماعة منهم الفقيه عيسى الهكاري وكان ذلك وهنا عظيما جبره الله تعالى بوقعة حطين المشهورة. وأما الملك الصالح صاحب حلب فانه تخبط أمره وقبض على كمشتكين صاحب دولته وطلب منه تسليم حارم اليه فلم يفعل فقتله فلما سمع الفرنج بقتله نزلوا على حارم طمعا فيها وذلك في جمادى الاخرى من السنة فلما رأى أهل قلعتها الخطر من جهة الفرنج سلموها الى الملك الصالح في العشر الاخير من شهر رمضان من السنة فرحل الفرنج عنها وأقام صلاح الدين بمصر حتى لم شعثها وشعث أصحابه من اثر كسرة الرملة ثم بلغه تخبط الشام

فعزم على العود اليه واهتم بالغزاة فوصله رسول قليج ارسلان صاحب الروم يلتمس الصلح ويتضرر من الارمن فعزم على قصد بلاد ابن لاون (قلت وهي بلاد سيس الفاصلة بين حلب والروم من جهة الساحل) قال لينصر قليج ارسلان عليه فتوجه اليه واستدعى عسكر حلب لانه كان فى الصلح انه متى استدعاه حضر اليه ودخل بلاد ابن لاون وأخذ فى طريقه حصنا وأخربه ورغبوا اليه فى الصلح فصالحهم ورجع عنهم ثم سأله قليج ارسلان فى صلح الشرقيين باسرهم فاجاب الى ذلك وحلف صلاح الدين فى عاشر جمادى الاولى سنة ست وسبعين وخمسمائة ودخل فى الصلح قليج ارسلان والمواصلة وعاد بعد تمام الصلح الى دمشق ثم منها الى مصر ثم توفى الملك الصالح بن نور الدين فى التاريخ المذكور فى ترجمة والده وكان قد استحلف أمراء حلب واجنادها لابن عمه عز الدين مسعود صاحب الموصل (قلت وقد تقدم ذكره وهو ابن عم قطب الدين مودود) فلما مات سيف الدين فى التاريخ المذكور فى ترجمته قام مقامه أخوه عز الدين مسعود المذكور قال فلما بلغ عز الدين خبر موت الملك الصالح وانه أوصى له بحلب بادر الى التوجه اليها خوفا ان يسبقه صلاح الدين فيأخذها وكان أول قادم اليها مظفر الدين بن زين الدين (قلت هو صاحب اربل وكان اذ ذاك صاحب حران وهو مضاف الى المواصلة لان تلك البلاد كانت لهم) قال فوصلها مظفر الدين فى ثالث شعبان سنة سبع وسبعين وفى العشرين منه وصلها عز الدين مسعود وصعد الى القلعة فاستولى على ما فيها من الحواصل وتزوج أم الملك الصالح فى خامس شوال من السنة (قلت) ثم ان شيخنا ابن شداد ذكر بعد هذا أمورا ذكرتها فى ترجمة عز الدين مسعود ابن مودود وترجمة أخيه عماد الدين زنكى وترجمة تاج الملوك بورى أخى صلاح الدين فلا حاجة الى اعادتها ههنا فمن أراد الوقوف عليها يكشفها فى هذه التراجم (قلت) وحاصل الامر ان عز الدين مسعود قايض أخاه عماد الدين زنكى صاحب سنجار عن حلب بسنجار وخرج عز الدين عن حلب ودخلها عماد الدين زنكى فجاءه صلاح الدين وحاصره فلم يقدر عماد الدين على حفظ حلب وكان نزول صلاح الدين على حلب فى السادس والعشرين من المحرم سنة سبع وسبعين وخمسمائة وقال ابن شداد نزل عليها فى سادس عشر المحرم والله أعلم فقصدت عماد الدين زنكى مع الامير حسام الدين طمان بن غازى فى السر بما يفعله فاشار عليه بأن يطلب منه بلادا وينزل له عن حلب بشرط ان يكون له جميع ما فى القلعة من الاموال فقال له عماد الدين وهذا كان فى نفسى ثم اجتمع حسام الدين طمان بصلاح الدين فى السر على تقرير القاعدة فى ذلك فاجابه صلاح الدين الى ما طلب ودفع له سنجار والخابور ونصيبين وسروج ودفع لطمان الرقة لسفارته بينهما وحلف صلاح الدين على ذلك فى سابع عشر صفر من السنة وكان صلاح الدين قد نزل على سنجار وأخذها فى ثامن شهر رمضان سنة ثمان وسبعين

وأعطاها الابن أخيه تقي الدين عمر فلما جرى الصلح على هذه الصورة أعطاها عماد الدين
وتسلم صلاح الدين قلعة حلب وصعد اليها يوم الاثنين السابع والعشرين من صفر سنة
تسع وسبعين وخمسمائة وأقام بها حتى رتب أمورها ثم رحل عنها في الثاني والعشرين
من شهر ربيع الآخر من السنة وجعل فيها ولده الملك الظاهر المقدم ذكره في ترجمة
مستقلة وكان صبيا وولي القلعة سيف الدين يازكوج الاسدي وجعله يرتب مصالح ولده
ثم سار صلاح الدين الى دمشق في التاريخ المذكور قال ابن شداد وتوجه من دمشق
لقصد محاصرة الكرك في الثالث من رجب من السنة المذكورة وسير الى أخيه الملك
العادل وهو بمصر يستدعيه ليجتمع به على الكرك فسار اليه بجمع كثير وجيش
عظيم واجتمع به على الكرك في رابع شعبان من السنة فلما بلغ الفرنج الخبر حشدوا
خلقا كثيرا وجاؤا الى الكرك ليكونوا في قبالة عسكر المسلمين فخاف صلاح الدين على
الديار المصرية فسير اليها ابن أخيه تقي الدين عمر ورحل عن الكرك في سادس عشر
شعبان من السنة واستصحب أخاه الملك العادل معه ودخل دمشق في الرابع
والعشرين من شعبان من السنة وأعطاه حلب ودخلها في يوم الجمعة الثاني والعشرين
من شهر رمضان من السنة وخرج الملك الظاهر ويازكوج ودخلا دمشق في يوم الاثنين
الثامن والعشرين من شوال من السنة وكان الملك الظاهر احب اولاده اليه
لما فيه من الخلال الجيدة ولم يأخذ منه حلب الا لمصلحة رآها في ذلك الوقت وقيل
ان العادل اعطاه على أخذ حلب ثلثمائة ألف دينار يستعين بها على الجهاد والله أعلم
ثم ان صلاح الدين راى عود الملك العادل الى مصر وعود الملك الظاهر الى حلب اصلح
قيل كان سبب ذلك ان الامير علم الدين سليمان بن جندر قال لصلاح الدين وكان بينهما
مؤانسة قبل ان يملك البلاد وقد سايره يوما وكان من أمراء حلب والملك العادل
لا ينصفه ويقدم عليه غيره وكان صلاح الدين قد مرض على حصار الموصل وحمل الى
حران وأشفى على الهلاك فلما عوفي رجع الى الشام واجتمعا في المسير قال له وكان
صلاح الدين قد أوصى لكل واحد من أولاده بشيء من البلاد باي رأي كنت تظن
ان وصيتك تمضي كانك كنت خارجا الى الصيد وتعود فلا يخالفونك اما تستحي ان يكون
الطائر اهدى منك الى المصلحة قال وكيف ذلك وهو يضحك قال اذا أراد الطائر
ان يعمل عشا لفراخه قصد أعالي الشجر ليحمي فراخه وأنت سلمت الحصون الى أهلك
وجعلت أولادك على الارض هذه حلب وهي أم البلاد بيد اخيك وحماة بيد ابن
أخيك وحمص بيد ابن أسد الدين وابنك الافضل مع تقي الدين بمصر يخرجه متى شاء
وابنك الآخر مع أخيك في خيمة يفعل به ما أراد فقال له صدقت فاكتم هذا الامر
ثم أخذ حلب من أخيه واعطاها ولده الملك الظاهر واعطى الملك العادل بعد ذلك حران
والرها وميافارقين ليخرجه من الشام ويتوفر الشام على أولاده فكان ما كان (قلت)

وقد تقدم في ترجمة عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود صاحب الموصل فصل يتعلق بنزول صلاح الدين على الموصل وحصارها ثلاث مرات ولم يقدر عليها قال شيخنا ابن الاثير في تاريخه انه نزل عليها في الدفعة الثالثة وكان زمن الشتاء وعزم على المقام واقطاع جميع الموصل وكان نزوله في شعبان من سنة احدى وثمانين وخمسمائة فاقام شعبان وشهر رمضان وترددت الرسل بينه وبين صاحبها فيما ، وكذلك مرض صلاح الدين فعاد الى حران ولحقته الرسل بالاجابة الى ما طلب وتم الصلح على ان يسلم اليه صاحب الموصل شهرزور واعمالها وولاية القرابلي وما وراء الزاب من الاعمال وان يخطب له على المنابر وينقش اسمه على السكة فلما حلف ارسل صلاح الدين نوابه وتسلم البلاد التي استقرت القاعدة على تسليمها وطال المرض على صلاح الدين بحران واشتد به حتى يئسوا منه فحلف الناس لاولاده وكان عنده منهم الملك العزيز عماد الدين ابن عثمان وأخوه العادل جاءه من حلب وهو ملكها يومئذ وجعل لكل واحد شيئا من البلاد وجعل الملك العادل وصيا على الجميع ثم انه عوفي وعاد الى دمشق في المحرم من سنة اثنين وثمانين ولما كان مريضا بحران كان عنده ناصر الدين محمد ابن عمه وله من الاقطاع حمص والرحبة فسار من عنده الى حمص واجتاز بحلب وأحضر جماعة من الاحداث ووعدهم وأعطاهم مالا على تسليم دمشق اليه اذا مات صلاح الدين فعوفي ولم يمض الا قليل حتى مات ناصر الدين ليلة عيد النحر من السنة فانه شرب الخمر فاكثر منه فاصبح ميتا وقيل ان صلاح الدين وضع عليه انسانا فحضر عنده ونادمه وسقاه سما فلما اصبحوا من الغد لم يروا ذلك الشخص وكان يقال له الناصح بن العميد فسألوا عنه فقالوا انه سار من ليلته وكان هذا مما قوى الظن والله أعلم فلما توفي اعطى اقطاعه لولده شيركوه وعمره اثنتا عشرة سنة وخلف من الاموال والدواب والاثاث شيئا كثيرا فحضر صلاح الدين الى حمص واستعرض تركته وأخذ اكثرها ولم يترك الا ما لا خير فيه ثم قال شيخنا بعد هذا كله وبلغني ان شيركوه حضر عند صلاح الدين بعد موت أبيه بسنة فقال له الى أين بلغت في القرآن فقال له الى ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا فعجب الجماعة وصلاح الدين من ذكائه والله أعلم بصحة ذلك قال ابن شداد ولما وصل صلاح الدين الى دمشق عقيب مرضه وابلاله سير طلب أخاه الملك العادل فخرج من حلب جريدة يوم السبت الرابع والعشرين من شهر ربيع الاول من سنة اثنين وثمانين ومضى الى دمشق فاقام في خدمة السلطان صلاح الدين وجرت بينهما احاديث ومراجعات وقواعد تتقرر الى جمادى الاخرى من السنة فاستقر الامر على عود الملك العادل الى مصر وأخذت حلب منه وسار الملك الظاهر اليها ودخل قلعتها يوم السبت سنة اثنين وثمانين وخمسمائة وقد ذكرت في ترجمة الملك الظاهر انه دخل حلب مالكا لها في مثل يوم وفاته وعينت هناك التاريخ واسم

اليوم هكذا وجدته وما أدرى من أين نقلته وسلم السلطان ولده الملك العزيز الى العادل وجعله اتابكه قال ابن شداد قال لى الملك العادل لما استقرت هذه القاعدة اجتمعت بخدمة الملك العزيز والملك الظاهر وجلست بينهما وقلت للملك العزيز اعلم يامولانا ان السلطان أمرنى ان اسير فى خدمتك الى مصر وانا اعلم ان المقدمين كثير ومايخلو أن يقال عنى مالايجوز ويخوفونك منى فان كان لك عزم ان تسمع منهم فقل لى حتى لاأجى فقال كيف يتهيالى ان اسمع منهم أوارجع الى رأيهم ثم التفت الى الملك الظاهر وقلت له انا اعرف ان أخاك ربما سمع فى اقوال المقدمين وانا فمالى الاأنت وقدقنعت منك بمنبج متى ضاق صدرى من جانبه فقال مبارك وذكرلى كل خير وزوج السلطان ولده الملك الظاهر غازية خاتون ابنة أخيه الملك العادل ودخل بها يوم الاربعا السادس والعشرين من رمضان من السنة ثم كانت وقعة حطين المباركة على المسلمين قال وكانت فى يوم السبت رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة فى وسط نهار الجمعة وكان كثيرا مايقصد لقاء العدو فى يوم الجمعة عند الصلاة تبركا بدعاء المسلمين والخطباء على المنابر فسار فى ذلك الوقت بمن اجتمع له من العساكر الاسلامية وكانت عدة تجوز العد والحصر على تعبية حسنة وهيئة جميلة وكان قد بلغه عن العدو انه اجتمع فى عدة كثيرة بمرج صفورية بارض عكا عندما بلغهم اجتماع العساكر الاسلامية فسار ونزل على بحيرة طبرية على سطح الجبل ينتظر قصد الفرنج له اذا بلغهم نزوله بالموضع المذكور فلم يتحركوا ولم يخرجوا من منزلتهم وكان نزولهم بالموضع المذكور يوم الاربعا الحادى والعشرين من شهر ربيع الآخر فلما راهم لايتحركون عن منزلتهم نزل جريدة على طبرية وترك الاطلاب على حالها قبالة العدو ونازل طبرية وهجمها وأخذها فى ساعة واحدة وانتهب الناس مابها واخذوا فى القتل والسبى والحريق وبقيت القلعة محتمية بمن فيها ولما بلغ العدو ماجرى على طبرية قلقوا لذلك ورحلوا نحوها فبلغ السلطان ذلك فترك على طبرية من يحاصرها ولحق بالعسكر فالتقى بالعدو على سطح جبل طبرية الغربى منها وذلك فى يوم الخميس الثانى والعشرين من شهر ربيع الآخر وحال الليل بين العسكرين فباتا على مصاف الى بكرة يوم الجمعة الثالث والعشرين فركب العسكران وتصادما والتحم القتال واشتد الامر وذلك بارض قرية تعرف بلوبيا وضاق الخناق بالعدو وهم سائرون كانهم يساقون الى الموت وهم ينظرون وقد ايقنوا بالويل والثبور وأحست نفوسهم انهم فى غد يومهم ذلك من زوار القبور ولم تزل الحرب تضطرم والفارس مع قرنه يصطدم ولم يبق الاالظفر ووقع الوبال على من كفر فحال بينهم الليل بظلامه وبات كل واحد من الفريقين بمقامه وتحقق المسلمون ان من ورائهم الاردن ومن بين أيديهم بلاد العدو وانهم لاينجيهم الاالاجتهاد فى القتال فحملت اطلاب المسلمين من كل جانب وحمل القلب وصاحوا صيحة رجل واحد الله اكبر فالقى الله

تعالى الرعب فى قلوب الكافرين وكان حقا عليه نصر المؤمنين ولما احس القومس بالخذلان هرب منهم فى أوائل الامر وقصد جهة صور وتبعه جماعة من المسلمين فصانهم وكفى الله شره وأحاط المسلمون بالكافرين من كل جانب واطلقوا عليهم السهام وحكموا فيهم السيوف وسقوهم كاس الحمام وانهزمت طائفة منهم فتبعها ابطال المسلمين فلم ينج منهم احد واعتصمت طائفة منهم بتل يقال له تل حطين وهى قرية عندها قبر النبى شعيب عليه السلام فضايقهم المسلمون واشعلوا حولهم النيران واشتد بهم العطش وضاق بهم الامر حتى كادوا يستسلمون للاسر خوفا من القتل لما مر بهم فاسر مقدمهم وقتل الباقون وكان ممن أسر من مقدميهم الملك جفرى وأخوه والبرنس ارباط صاحب الكرك والشوبك وابن الهنفرى وابن صاحب طبرية ومقدم الديوية وصاحب جبيل ومقدم الاستبنار قال ابن شداد ولقد حكى لى من اثق به انه رأى بحوران شخصا واحدا معه نيف وثلاثون أسيرا قد ربطهم بطنب خيمة لما وقع عليهم من الخذلان ثم ان القومس الذى هرب فى أول الامر وصل الى طرابلس فاصابه ذات الجنب فهلك منها واما مقدما الاستبنارية والديوية فان السلطان قتلهما وقتل من بقى من صنفهما حيا وأما البرنس ارباط فان السلطان كان قد نذر انه ان ظفر به قتله وذلك لانه كان قد عبر به عند الشوبك قوم من الديار المصرية فى حال الصلح فغدر بهم وقتلهم فناشدوه الصلح الذى بينه وبين المسلمين فقال ما يتضمن الاستخفاف بالنبى صلى الله عليه وسلم وبلغ ذلك السلطان فحملته حميته ودينه على ان يهدر دمه ولما فتح الله عليه بنصره جلس فى دهليز الخيمة لانها لم تكن نصبت بعد وعرضت عليه الاسارى وصار الناس يتقربون اليه بمن فى أيديهم منهم وهو فرح بما فتح الله تعالى على يديه للمسلمين ونصبت له الخيمة فجلس فيها شاكرا لله تعالى على ما انعم به عليه واستحضر الملك جفرى وأخاه والبرنس ارباط وناول السلطان جفرى شربة من جلاب وثلج فشرب منها وكان على أشد حال من العطش ثم ناولها البرنس وقال السلطان للترجمان قل للملك انت الذى سقيته والا انا فما سقيته وكان من جميل عادة العرب وكريم اخلاقهم ان الاسير اذا أكل أو شرب من مال من اسره امن فقصد السلطان بقوله ذلك ثم أمر بمسيرهم الى موضع عينه لهم فمضوا بهم اليه فاكلوا شيأ ثم عادوا بهم ولم يبق عنده سوى بعض الخدم فاستحضرهم واقعد الملك فى دهليز الخيمة واستحضر البرنس ارباط واوقفه بين يديه وقال له ها أنا انتصر لمحمد منك ثم عرض عليه الاسلام فلم يفعل فسل النمشا فضربه بها فحل كتفه وتمم قتله من حضر واخرجت جثته ورميت على باب الخيمة فلما رآه الملك جفرى على تلك الحالة لم يشك فى انه يلحقه به فاستحضره وطيب قلبه وقال له لم تجر عادة الملوك ان يقتلوا الملوك وأما هذا فقد تجاوز الحد وتجرأ على الانبياء وبات الناس فى تلك الليلة على اتم سرور ترتفع أصواتهم بحمد الله تعالى وشكره وتهليله وتكبيره حتى طلع الفجر ثم نزل السلطان على طبرية

يوم الاحد الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر وتسلم قلعتها في ذلك النهار وأقام عليها الى يوم الثلاثا ثم رحل طالبا عكا فكان نزوله عليها يوم الاربعا سلخ ربيع الآخر وقاتلها بكرة يوم الخميس مستهل جمادى الاولى سنة ثلاث وثمانين فاخذها واستنقذ من كان فيها من اسارى المسلمين وكانوا اكثر من أربعة آلاف اسير واستولى على ما فيها من الاموال والذخائر والبضائع لانها كانت مظنة التجار وتفرقت العساكر في بلاد الساحل يأخذون الحصون والقلاع والاماكن المنيعة فاخذوا نابلس وحيفا وقيسارية وصفورية والناصره وكان ذلك لخلوها من الرجال لان القتل والاسر أفنى كثيرا منهم ولما استقرت قواعد عكا وقسم أموالها واساراها سار يطلب تبنين فنزل عليها يوم الاحد حادي عشر جمادى الاولى وهي قلعة منيعة فنصب عليها المناجيق وضيق بالزحف خناق من فيها وكان فيها أبطال معدودون وفي دينهم متشددون فقاتلوا قتالا شديدا ونصره الله سبحانه وتعالى عليهم فتسلمها منهم يوم الاحد ثامن عشره عنوة واسر من بقي فيها بعد القتل ثم رحل عنها الى صيدا فنزل عليها وتسلمها غد نزوله عليها وهو يوم الاربعا الحادي والعشرين من جمادى الاولى وأقام عليها ريثما قرر قواعدها وسار حتى أتى بيروت فنزل عليها ليلة الخميس الثاني والعشرين من جمادى الاولى وركب عليها المجانيق وداوم الزحف والقتال حتى أخذها في يوم الخميس التاسع والعشرين من الشهر المذكور وتسلم أصحابه جبيل وهو على بيروت ولما فرغ باله من هذا الجانب رأى قصد عسقلان ولم ير الاشتغال بصور بعد ان نزل عليها ثم رأى ان العسكر تفرق في الساحل وذهب كل واحد يحصل لنفسه وكانوا قد ضرسوا من القتال وملازمة الحرب والنزال وكان قد اجتمع في صور من بقي في الساحل من الفرنج فرأى ان قصده عسقلان اولى لانها ايسر من صور فاتى عسقلان ونزل عليها يوم الاحد السادس عشر من جمادى الاخرة من السنة وتسلم في طريقه اليها مواضع كثيرة كالرملة والدارون وأقام على عسقلان المناجيق وقاتلها قتالا شديدا وتسلمها يوم السبت سلخ جمادى الاخرة من السنة وأقام عليها الى ان تسلم أصحابه غزة وبيت جبريل والنطرون من غير قتال وكان بين فتح عسقلان وأخذ الفرنج لها من المسلمين خمس وثلاثون سنة فانهم كانوا أخذوها من المسلمين في السابع والعشرين من جمادى الاخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة هكذا ذكره شيخنا ابن شداد في السيرة وذكر الشهاب ياقوت الحموي في كتابه الذي سماه المشترك وضعا المختلف صقعا انهم أخذوها من المسلمين في رابع عشر جمادى الاخرة من السنة قال ابن شداد لما تسلم عسقلان والاماكن المحيطة بالقدس شمر عن ساق الجد والاجتهاد في قصد القدس المبارك واجتمعت اليه العساكر التي كانت متفرقة في الساحل فسار نحوه معتمدا على الله تعالى مفوضا أمره اليه منتهزا الفرصة في فتح باب الخير الذي حث على انتهازه بقوله صلى الله عليه وسلم

من فتح له باب خير فلينتهزه فانه لا يعلم متى يغلق دونه وكان نزوله عليه يوم الاحد الخامس عشر من رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وكان نزوله بالجانب الغربي وكان مشحونا بالمقاتلة من الخيالة والرجالة وحزر اهل الخبرة ممن كان معه من كان فيه من المقاتلة فكانوا يزيدون على ستين ألفا خارجا عن النساء والصبيان ثم انتقل لمصلحة رآها الى الجانب الشمالي في يوم الجمعة العشرين من رجب ونصب المناجيق وضيق البلد بالزحف والقتال حتى أخذ النقب في السور مما يلي وادي جهنم ولما رأى اعداء الله ما نزل بهم من الامر الذي لا مدفع له عنهم وظهرت لهم امارات فتح المدينة وظهور المسلمين عليهم وكان قد اشتد روعهم لما جرى على ابطالهم وحماتهم من القتل والاسر وعلى حصونهم من التخريب والهدم وتحققوا انهم صائرون الى ما صار اولئك اليه فاستكانوا وأخذوا في طلب الامان واستقرت القاعدة بالمراسلة من الطائفتين وكان تسليمه يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب وليلته كانت ليلة المعراج المنصوص عليها في القرآن الكريم فانظر الى هذا الاتفاق الغريب العجيب كيف يسر الله تعالى عوده الى المسلمين في مثل زمن الاسراء بنبيهم صلى الله عليه وسلم وهذه علامة قبول هذه الطاعة من الله تعالى وكان فتحه عظيما شهده من أهل العلم خلق ومن ارباب الخرق والزهد عالم وذلك ان الناس لما بلغهم ما يسره الله تعالى على يده من فتح الساحل وقصد القدس قصده العلماء من مصر والشام بحيث لم يتخلف أحد منهم وارتفعت الاصوات بالضجيج بالدعاء والتهليل والتكبير وصليت فيه الجمعة يوم فتحه وخطب الخطيب (قلت) وقد تقدم في ترجمة القاضي محيي الدين محمد بن علي المعروف بابن الزكي ذكر الخطبة التي خطب بها ذلك اليوم فيكشف منه ورأيت في رسالة القاضي الفاضل المعروفة بالقدسية ان الخطبة اقيمت يوم الجمعة رابع شعبان واذ قد ذكرنا فتوح القدس وقد تقدم ذكر الخطبة التي خطب يوم الجمعة بها يليق ان نذكر الرسالة التي كتبها القاضي الفاضل الى الامام الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن الامام المستضيء بامر الله تتضمن الفتوح فانها بديعة بليغة في بابها ولم اذكرها بكمالها بل اخترت منها احسنها وتركت الباقي لانها طويلة وهي أدام الله تعالى أيام الديوان العزيز النبوي ولا زال مظفر الجد بكل جاحد غنيا بالتوفيق عن رأي كل رائد موقوف المساعي على اقتناء مطلقات المحامد مستيقظ النصر والنصل في جفنه راقد وارد الجود والسحاب على الارض غير وارد متعدد مساعي الفضل وان كان لا يلقى الا بشكر واحد ماضي حكم العدل بعزم لا يمضي الا بنيل غوى ورئيس راشد لا زالت غيوث فضله الى الاولياء أنواء الى المرابع وانوارا الى المساجد وبعوث رعبه الى الاعداء خيلا الى المراقب وخيالا الى المراقد كتب الخادم هذه الخدمة تلو ما صدر عنه مما كان يجري مجرى التباشير لصبح هذه العزمه والعنوان لكتاب وصف النعمه فانها بحر للاقلام فيه سبح طويل

ولطف

والطف يحمل الشكر فيه عبء ثقيل وبشرى للخواطر فى شرحها ما آرب ويسرى للاسرار فى اظهارها مشارب ولله تعالى فى اعادة شكره رضى وللنعمة الراهنة به دوام لا يقال معه هذا مضى ولقد صارت أمور الاسلام الى أحسن مصايرها وقد استتبت عقائد أهله على ابين بصائرها وتقلص ظل رجاء الكافر المبسوط وصدق الله أهل دينه فلما وقع الشرط وقع المشروط وكان الدين غريبا فهو الان فى وطنه والفوز معروضا قد بذلت الانفس فى ثمنه وأمر أمر الحق وكان مستضعفا وأهل ربعه وكان قد عيف حين عفا وجاء أمر الله وانوف اهل الشرك راغمه وادلجت السيوف الى الآجال وهى نائمه وصدق وعد الله فى اظهار دينه على كل دين واستطارت له انوار أبانت ان الصباح عند حسان الجبين واسترد المسلمون تراثا كان عنهم آبقا وظفروا يقظة بما لم يصدقوا انهم يظفرون به طيفا على النأى طارقا واستقرت على الاعلى اقدامهم وخفقت على الاقصى اعلامهم وتلاقت على الصخرة قبلهم وشفيت بها وان كانت صخرة قلوبهم كانها تشفى بالماء غللهم ولما قدم الدين عليها عرف منها سويداء قلبه وهنأ كفؤها الحجر الاسود بيت عصمتها من الكافر بحربه وكان الخادم لا يسعى سعيه الا لهذه العظمى ولا يقاسى تلك البؤسى الا رجاء هذه النعمى ولا يناجز من يستمطله فى حربه ولا يعاتب باطراف القنا من يتمادى فى عتبه الا لتكون الكلمة مجموعة فتكون كلمة الله هى العليا وليفوز بجوهر الآخرة لا بالعرض الادنى من الدنيا وكانت الالسن ربما سلقته فانضج قلوبها بالاحتقار وكانت الخواطر ربما غلت عليه مراجلها فاطفاها بالاحتمال والاصطبار ومن طلب خطيرا خاطر ومن رام صفقة رابحة جاسر ومن سما لان يجلى غمرة غامر والا فان العقود تلين تحت نيوب الاعدا المعاجم فيعضها ويضعف فى أيديها مهز القوائم فينفضها هذا الى كون القعود لا يقضى به فرض الجهاد ولا يراعى به حقه فى العباد ولا يوفى به واجب التقليد الذى يطوقه الخادم من ائمة قضوا بالحق وكانوا يعدلون وخلفا كانوا فى مثل هذا اليوم يسألون لا جرم انهم اورثوا سرهم وسريرهم خلفهم الاطهر ونجلهم الاكبر وبقيتهم الشريفة وطليعتهم المنيفة وعنوان صحيفة فضلهم لا عدم سواد القلم وبياض الصحيفة فما غابوا لما حضر ولا غضوا لما نظر بل وصلهم الاجر لما كان به موصولا وشاطروه العمل لما كان عنه منقولا ومنه مقبولا وخلص اليهم الى المضاجع فاطمأنت به جنوبها والى الصحائف ما عبقت به جيوبها وفاز منها بذكر لا يزال الليل به سميرا والنهار به بصيرا والشرق يهتدى بانواره بل ان بدا نور من ذاته هتف به الغرب بأن واره فانه نور لا تكنه اغساق السدف وذكر لا تواريه اوراق الصحف وكتب الخادم هذا وقد اظفر الله بالعدو الذى تشظت قناته وطارت من فرقه فرقا وفل سيفه فصار عصا وصدعت حصاته وكان الاكثر عددا وحصا وكلت حملاته وكان قدرا يضرب

فيه العيان بالعيان وعقوبة من الله ليس لصاحب بدنها بدان وعثرت قدمه وكانت الارض لها حليمه وغضت عينه وكانت عيون السيوف دونها كثيفه ونام جفن سيفه وكانت بقطنته تربق نطق الكرى من الجفون وجدعت انوف رماحه وطالما كانت شامخة بالمنى اوزاعقة بالمنون واصبحت الارض المقدسة الطاهرة وكانت الطامث والرب الفرد الواحد وكان عندهم الثالث وبيوت الكفر مهدومه وبيوت الشرك مهتومه وطوائفه الحامية مجمعة على تسليم القلاع الحاميه وشجعانه المتوافية مذعنة لبذل القطائع الوافيه لايرون فى ماء الحديد لهم عصره ولا فى نار الا اسة لهم نصره قد ضربت عليهم الذلة والمسكنه وبدل الله مكان السيئة الحسنه ونقل بيت عبادته من أيدى اصحاب المشأمة الى ايدى أصحاب الميمنة وقد كان الخادم لقيهم اللقاءة الاولى فأمده الله بداركته واتجده بملائكته فكسرهم كسرة مابعدها جبر وصرعهم صرعة لاينتعش بعدها بمشيئة الله كفر وأسر منهم من اسرت به السلاسل وقتل منهم من قتلت به المناصل واجلت المعركة عن صرعى من الخيل والسلاح والكفار وعن المصاف بخيل فالة قتلهم بالسيوف الافلاق والرماح الاكسار فنيلوا بثار من السلاح ونالوه أيضا بثار فكم اهلة سيوف تقارض الضراب بها حتى عادت كالعراجين وكم انجم قنى تبادلت الطعان حتى صارت كالمطاعين وكم فارسة ركض عليها فارسها السهم الى اجل فاختلسه وفغرت تلك القوس فاها فاذا فوها قد نهش القران على بعد المسافة وافترسه فكان اليوم مشهودا وكانت الملائكة شهودا وكان الضلال صارخا وكان الاسلام مولودا وكانت ضلوع الكفار لنار جهنم وقودا واسر الملك وبيده اوثق وثائقه وآكد وصله بالدين وعلائقه وهو صليب الصلبوت وقائد أهل الجبروت مادهم واقط بامر الاوقام بين دهمائهم يبسط لهم باعه وكان مد اليدين فى هذه الدفعة وداعه لاجرم انهم يتهافت على ناره فراشهم ويجتمع فى ظل ظلاله خشاشهم ويقاتلون تحت ذلك الصليب اصاب قتال واصدقه ويرونه ميثاقا يبنون عليه أشد عهد واوثقه ويعدونه سورا تحفر حوافر الخيل خندقه وفى هذا اليوم اسرت سراتهم وذهبت دعاتهم ولم يفلت منهم معروف الا القومص وكان لعنه الله لما يوم الظفر بالقتال وملياً يوم الخذلان بالاحتيال فنجا ولكن كيف وطار حذرا من ان يلحقه منسر الرمح اوجناح السيف ثم أخذه الله تعالى بعد ايام بيده واهلكه لموعده فكان لعدتهم فذالك وانتقل من ملك الموت الى مالك وبعد الكسرة مر الخادم على البلاد فطواها بما نشر عليها من الراية العباسية السود اصبغا البيضاء صنعا الخافقة هى وقلوب اعدائها الغالبة هى وعزائم اوليائها المستضاء بانوارها اذا فتح عينها النشر واشارت بانامل العذبات الى وجه النصر فافتتح بلاد كذا وكذا وهذه كلها امصار ومدن وقد تسمى البلاد بلادا وهى مزارع وفدن كل هذه

ذوات معاقل ومعاقر وبحار وجزائر وجوامع ومنابر وجموع وعساكر يتجاوزها الخادم بعد أن يحرزها ويتركها وراءه بعد أن ينتزها ويحصد منها كفرا ويزرع ايمانا ويحط من جوامعها صلبانا ويرفع اذانا ويبدل المذابح منابر والكنائس مساجد ويبوئ اهل القرآن بعد أهل الصلبان للقتال عن دين الله مقاعد ويقر عينه وعين أهل الاسلام ان يعلق النصر منه ومن عسكره بجار ومجرور وان يظفر بكل سور ما كان يخاف زلزاله ولا زيالة عمر الى يوم النفخ في الصور ولما لم يبق الا القدس وقد اجتمع اليه كل شريد منهم وطريد واعتصم بمنعته كل قريب منهم وبعيد وظنوا انها من الله مانعتهم وان كنيستها الى الله سبحانه شافعتهم فلما نازلها الخادم رأى بلدا كبلاد وجمعا كيوم التناد وعزائم قد تألبت وتألفت على الموت فنزلت بعرصته وهان عليها مورد السيف وان تموت بغصته فزاول البلد من جانب فاذا اودية عميقه ولجج وعرغريقه وسور قد انعطف عطف السوار وابرجة قد نزلت مكان الواسطة من عقد الدار فعدل الى جهة اخرى كان للمطالع عليها معرج وللخيل فيها مفرج فنزل عليها وأحاط بها وقرب منها وضرب خيمته بحيث يناله السلاح باطرافه ويزاحمه السور باكتافه وقابلها ثم قاتلها ونزلها ثم نازلها وحاجزها ثم ناجزها وضمها ضمة ارتقب بعدها الفتح وصدع جمعها فاذا هم لا يصبرون على عبودية الحد عن عتق الصفح فراسلوه يبذل قطيعة الى مدة وقصد وانظرة من شدة وانتظار النجده فعرفهم الخادم في لحن القول واجابهم بلسان الطول وقدم المنجنيقات التي تتولى عقوبات الحصون عصيها وحبالها وأوتارهم قسيها التي ترمي ولا تفارقها سهامها ولكن تفارق سهامها نصالها فصافحت السور فاذا سهمها في ثناياه شرفاته سوالك وقدم النصر شرا من المنجنيق يخلد اخلاده الى الارض ويعلو علاوه الى السماك فشج مرادع ابراجها واسمع صوت عجيجها صم اعلاجها ورفع منار عجاجها فاخلى السور من السياره والحرب من النظاره وامكن النقاب ان يسفر للحرب النقاب وان يعيد الحجر الى سيرته الاولى من التراب فتقدم الى الصخر فمضغ سرده بانياب معوله وحل عقده بضربه الاخرق الدال على لطافة الانمله واسمع الصخرة الشريفة انينه باستغاثته الى ان كادت ترق لقلبه وتبرأ بعض الحجارة من بعض وأخذ الخراب عليها موثقا فلن يبرح الارض وفتح من السور بابا سد من نجاتهم ابوابا واخذ ينقب في حجره فقال عنده الكافر ياليتني كنت ترابا فحينئذ يئس الكفار من أصحاب الدور كما يئس الكفار من أصحاب القبور وجاء أمر الله وغرهم بالله الغرور وفي الحال خرج طاغية كفرهم وزمام امرهم ابن بازران سائلا ان يؤخذ البلد بالسلام لا بالعنوه وبالامان لا بالسطوه وألقى بيده الى التهلكه وعلاه ذل الهلكة بعد عز المملكه وطرح جنبه على التراب وكان جنبا لا يتعاطاه طارح وبذل مبلغا من القطيعة لا يطمح اليها امل طامح وقال ههنا اسارى مسلمون يتجاوزون الالوف وقد

تماقد الفرنج على انهم ان هجمت عليهم الدار وحلت الحرب على ظهورهم الاوزار بدأتهم بجالوا وثنى بنساء الفرنج واطفالهم فقتلوا ثم استقتلوا فلا يقتل خصم الابعد ان ينتصف ولا يفلت سيف من يد الابعد أن تقطع او ينقصف فاشار الامراء باخذ الميسور من البلد الماسور فانه لو أخذ حربا فلا بد ان يقتحم الرجال الانجاد وتبذل نفوسها فى آخر أمر قد نيل من اوله المراد وكانت الجراح فى العساكر قد تقدم منها ما اعتقل الفلكات وانقل الحركات فقبل منهم المبذول عن يدوهم صاغرون وانصرف أهل الحرب عن قدرة وهم ظاهرون وملك الاسلام خطة كان عهده بها دمنة سكان فخدمها الكفر الى ان صارت روضة جنان لا جرم أن الله تعالى اخرجهم منها واهبطهم وارضى أهل الحق واسخطهم فانهم خذلهم الله حوها بالاسل والصفاح وبنوها بالعمد والصفاح واودعوا الكنائس بها وبيوت الديوية والاستبارية فيها بكل غريبة من الرخام الذى لا يطرد ماؤه ولا يتطرد لالاؤه قد لطف الحديد فى تجزيعه وتفنن فى توشيعه الى ان صار الحديد الذى فيه باس شديد كالذهب الذى فيه نعيم عتيد فما ترى الامقاعد كالرياض لها من بياض الترخيم رقراق وعمدا كالاشجار لها من التنبيت اوراق واوعز الخادم برد الاقصى الى عهده المعهود وأقام له من الائمة من يوفيه ورده المورود واقيمت الخطبة يوم الجمعة رابع شعبان فكادت السموات يتفطرن للسجوم لا للوجوم والكواكب منها تنتثر للطرب لا للرجوم ورفعت الى الله كلمة التوحيد وكانت طريقها مسدوده وظهرت قبور الانبياء وكانت بالنجاسات مكدوده واقيمت الخمس وكان التثليث يقعدها وجهرت الالسنة بالله اكبر وكان سحر الكفر يعقدها وجهر باسم أمير المؤمنين فى وطنه الاشرف من المنبر فرحب به ترحيب من بر بمن بر وخفق علماه فى حفافيه فلو طار سرورا لطار بجناحيه وكتاب الخادم وهو مجد فى استفتاح بقية الثغور واستشراح ماضاق بتمادى الحرب من الصدور فان قوى العساكر قد استنفدت مواردها وأيام الشتاء قد أوردت مواردها والبلاد المأخوذة المشار اليها قد جاست العساكر خلالها ونهبت ذخائرها وأكلت غلالها فهى بلاد ترفد ولا تسترفد وتجم ولا تستنفد ينفق عليها ولا ينفق منها وتجهز الاساطيل لبحرها وتقام المرابط بساحلها ويدأب فى عمارة اسوارها ومرمات معاقلها وكل مشقة بالاضافة الى نعمة الفتح محتمله واطماع الفرنج بعد ذلك غير مرجئة ولا معتزله فان يدعوا دعوة يرجو الخادم من الله انها لا تسمع ولن يفكوا أيديهم من اطراف البلاد حتى تقطع وهذه البشائر لها تفاصيل لا تكاد من غير الالسنة تتشخص ولا بما سوى المشافهة تتخلص فلذلك نفذ الخادم لسانا شارحا ومبشرا صادحا يطالع بالخبر على سياقته ويعرض جيش المسرة من طليعته الى ساقته وهو فلان والله الموفق هذا آخر الرسالة الفاضلية وكان فى عزمى اختصارها

والاقتصار

والاقتصار على محاسنها فلما شرعت فيها قلت فى نفسى عسى ان يقف عليها من يؤثر الوقوف على جميعها فاكملتها ورجعت عن الرأى الاول وهى قليلة الوجود فى أيدى الناس وكانت النسخة التى نقلتها سقيمة ولقد اجتهدت فى تحريرها حتى صحت هذه الصورة حسب الامكان وقد عمل عماد الدين الاصبهانى الكاتب رسالة فى فتح القدس أيضا فلم ارالتطويل بكتابتها فتركتها وجمع كتابا سماه الفتح القسى فى الفتح القدسى وهو فى مجلدين ذكر فيه جميع ماجرى فى هذه الواقعة ورأيت منذ زمان رسالة مليحة أنشأها ضياء الدين أبو الفتح نصر الله المعروف بابن الاثير الجزرى رحمه الله تعالى المقدم ذكره فى حرف النون تتضمن فتح القدس أيضا وكل واحد من أرباب صناعة الانشاء كان يريد أن يمتحن خاطره بما يعمل فى ذلك والقاضى الفاضل رئيس هذا الفن واذا شرع فى شئ من هذا الباب لايستطيع احد أن يجاريه ولايباريه فلهذا اتيت برسالته ورفضت غيرها خوف الاطالة وكان قد حضر الرشيد أبو محمد عبد الرحمن ابن بدر بن الحسن بن مفرج النابلسى الشاعر المشهور هذا الفتح فانشد السلطان صلاح الدين قصيدته المشهورة التى اولها

هذا الذى كانت الايام تنتظر * فليوف لله اقوام بما نذروا

وهى طويلة تزيد على مائة بيت يمدحه ويهنيه بالفتح واذ قد نجز المطلوب من هذا الامر فانرجع الى تتمة ماذكره شيخنا بهاء الدين بن شداد فى السيرة الصلاحية قال ونكس الصليب الذى كان على قبة الصخرة وكان شكلا عظيما ونصر الله الاسلام على يده نصرا عزيزا (قلت وقد تقدم فى ترجمة ارتق طرف من اخبار القدس وان الافضل أمير الجيوش بمصر أخذه من ولديه سقمان وايلغازى ثم ان الفرنج استولوا عليه يوم الجمعة الثالث والعشرين من شعبان سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة وقيل فى ثانى شعبان وقيل يوم الجمعة السادس والعشرين من شهر رمضان من السنة ولم يزل بايديهم حتى استنقذه صلاح الدين فى التاريخ المذكور) (نعود الى كلام ابن شداد) وكانت قاعدة الصلح انهم قطعوا على أنفسهم عن كل رجل عشرين دينارا وعن كل امرأة خمسة دنانير صورية وعن كل ذكر صغير أو انثى دينارا واحدا فمن احضر قطيعته نجا بنفسه والا أخذ أسيرا وافرج عمن كان بالقدس من اسارى المسلمين وكانوا خلقا عظيما وأقام به يجمع الاموال ويفرقها على الامراء والرجال ويحبو بها الفقهاء والعلماء والزهاد والوافدين عليه وتقدم بايصال من أقام بقطيعته الى مأمنه وهى مدينة صور ولم يرحل عنه ومعه من المال الذى جبى له شئ وكان يقارب مائتى ألف دينار وعشرين ألف دينار وكان رحيله عنه يوم الجمعة الخامس والعشرين من شعبان من السنة ولما فتح القدس حسن عنده فتح صور وعلم انه ان أخر أمرها ربما عسر عليه فسار نحوها حتى أتى عكا فنزل عليها ونظر فى أمورها ثم رحل عنها

متوجها الى صور فى يوم الجمعة خامس شهر رمضان من السنة فنزل قريبا منها وأرسل لاحضار آلات القتال ولما تكاملت عنده نزل عليها فى ثانى عشر الشهر المذكور وقاتلها وضايقها قتالا عظيما واستدعى اصطول مصر فكان يقاتلها فى البر والبحر ثم سير من حاصر هونين فسلمت فى الثالث والعشرين من شوال من السنة ثم خرج اصطول صور فى الليل فكبس اصطول المسلمين وأخذوا المقدم والرئيس وخمس قطع للمسلمين وقتلوا خلقا كثيرا من رجال المسلمين وذلك فى السابع والعشرين من الشهر المذكور وعظم ذلك على السلطان وضاق صدره وكان الشتاء قد هجم وتراكمت الامطار واستشارهم فيما يفعلوا فاشاروا عليه بالرحيل لتستريح الرجال ويجمعوا للقتال فرحل عنها وحملوا من آلات الحصار ما امكن وحرقوا الباقى الذى عجزوا عن حمله لكثرة الوحل والمطر وكان رحيله يوم الاحد ثانى ذى القعدة من السنة وتفرقت العساكر واعطى كل طائفة منها دستورا وسار كل قوم الى بلادهم وأقام هو مع جماعة من خواصه بمدينة عكا الى ان دخلت سنة أربع وثمانين وخمسمائة ثم نزلوا على كوكب فى أوائل المحرم من السنة ولم يبق معه من العسكر الا القليل وكان حصنا حصينا وفيه الرجال والاقوات فعلم انه لا يؤخذ الا بقتال شديد فرجع الى دمشق ودخلها فى سادس عشر ربيع الاول من السنة قال ابن شداد ولما كان على كوكب وصلت الى خدمته ثم فارقته ومضيت الى زيارة القدس والخليل عليه السلام ودخلت دمشق يوم دخول السلطان اليها (قلت وقد ذكرت هذا فى ترجمته) وأقام بدمشق خمسة أيام ثم بلغه ان الفرنج قصدوا جبيل واغتالوها فخرج مسرعا وكان قد سير يستدعى العساكر من جميع المواضع وسار يطلب جبيل فلما عرف الفرنج بخروجه كفوا عن ذلك وكان بلغه وصول عماد الدين صاحب سنجار ومظفر الدين بن زين الدين وعسكر الموصل الى حلب قاصدين خدمته والغزاة معه فسار نحو حصن الاكراد قال ابن شداد فى السيرة انه اتصل بخدمة السلطان فى مستهل جمادى الاولى من سنة أربع وثمانين وجميع ما ذكرته بروايتى عن اثق به ومن ههنا ما اسطر الا ما شاهدته أو اخبرنى به من اثق به خبرا يقارب العيان قال لما كان يوم الجمعة رابع جمادى الاولى دخل السلطان بلاد العدو على تعبية حسنة ورتب الاطلاب وسارت الميمنة اولا ومقدمها عماد الدين زنكى والقلب فى الوسط والميسرة فى الاخير ومقدمها مظفر الدين فوصل الى انطرسوس ضاحى نهار الاحد سادس جمادى الاولى فوقف قبالتها ينظر اليها لان قصده كان جبلة فاستهان أمرها فسير من رد الميمنة وأمرها بالنزول على جانب البحر والميسرة على الجانب الآخر ونزل هو موضعه والعساكر محدقة بها من البحر الى البحر وهى مدينة راكبة على البحر ولها برجان كالقلعتين فركبوا وقاربوا البلد وزحفوا واشتد القتال

وباغتوها فما استتم نصب الخيام حتى صعد المسلمون سورها وأخذوها بالسيف وغنم
المسلمون جميع ما فيها وما بها واحرق البلد وأقام عليها الى رابع عشر جمادى الاولى
وسلم أحمد البرجين الى مظفر الدين فمازال يحاربه حتى اخربه واجتمع به ولده الملك
الظاهر لانه كان قد طلبه فجاءه في عسكر عظيم ثم سار يريد جبلة وكان وصوله
اليها في ثاني عشر جمادى الاولى فما استتم نزول العسكر حتى أخذ البلد وكان فيه
مسلمون مقيمون وقاض يحكم بينهم وقوتلت القلعة قتالا شديدا ثم سلمت بالامان في يوم
السبت تاسع عشر جمادى الاولى من السنة وأقام عليها الى الثالث والعشرين منه
ثم سار عنها الى اللاذقية وكان نزوله عليها يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى
الاولى وهو بلد خفيف على القلب غير مسور وله مينا مشهور وله قلعتان متصلتان على
تل يشرف على البلد واشتد القتال الى آخر النهار فاخذ البلد دون القلعتين وغنم الناس
منه غنيمة عظيمة لانه كان بلد التجار وجد وافى أمر القلعتين بالقتال والنقوب حتى بلغ
طول النقب ستين ذراعا وعرضه أربعة أذرع فلما رأى أهل القلعتين الغلبة لاذوا
بطلبوا الامان وذلك في عشية يوم الجمعة الخامس والعشرين من الشهر والتمسوا الصلح
على سلامة نفوسهم وذراريهم ونسائهم وأموالهم ماخلا الغلال والذخائر والسلاح
وآلات الحرب فاجابهم الى ذلك ورفع العلم الاسلامي عليها يوم السبت وأقام عليها الى
يوم الاحد السابع والعشرين من الشهر فرحل عنها الى صهيون فنزل عليها يوم
الثلاثا التاسع والعشرين من الشهر واجتهد في القتال فاخذ البلد يوم الجمعة ثاني
جمادى الاخرى ثم تقدموا الى القلعة وصدقوا القتال فلما عاينوا الهلاك طلبوا
الامان فاجابهم اليه بحيث يؤخذ من الرجل عشرة دنانير ومن المرأة خمسة دنانير ومن
كل صغير ديناران الذكر والانثى سواء وأقام السلطان بهذه الجهة حتى أخذ عدة قلاع
منها بلاطس وغيرها من الحصون المنيعة المتعلقة بصهيون ثم رحل عنها واتى بكاس وهي
قلعة حصينة على العاصي ولها نهر يخرج من تحتها وكان النزول عليها يوم الثلاثا سادس
جمادى الاخرى وقاتلوها قتالا شديدا الى يوم الجمعة تاسع الشهر ثم يسر الله تعالى
فتحها عنوة فقتل اكثر من بها وأسر الباقون وغنم المسلمون جميع ما كان فيها ولها قلعة
تسمى الشقرا وهي في غاية المنعة يعبر اليها منها بجسر وليس عليها طريق فسلطت المناجيق
عليها من جميع الجوانب ورأوا انهم لا ناصر لهم فطلبوا الامان وذلك يوم الثلاثا ثالث
عشر الشهر ثم سألوا المهلة ثلاثة أيام فامهلوا وكان تمام فتحها وصعود العلم السلطاني
على قلعتها يوم الجمعة سادس عشر الشهر ثم سار الى برزية وهي من الحصون المنيعة
في غاية القوة يضرب بها المثل في بلاد الفرنج يحيط بها اودية من جميع جوانبها وعلوها
خمسمائة ونيف وسبعون ذراعا وكان نزوله عليها يوم السبت الرابع والعشرين من
الشهر ثم أخذها عنوة يوم الثلاثا السابع والعشرين منه ثم سار الى دربساك فنزل

عليها يوم الجمعة ثامن رجب وهى قلعة منيعة وقاتلها قتالا شديدا ورفع العلم الاسلامى عليها يوم الجمعة الثانى والعشرين من رجب وأعطاها الامير علم الدين سليمان بن حيدر وسار عنها بكرة السبت الثالث والعشرين من الشهر ونزل على بغراس وهى قلعة حصينة بالقرب من انطاكية وقاتلها مقاتلة شديدة وصعد العلم الاسلامى عليها فى ثانى شعبان وراسله أهل انطاكية فى طلب الصلح فصالحهم لشدة ضجر العسكر من الانكار وكان الصلح معهم لاغير على ان يطلقوا كل اسير عندهم والصلح الى سبعة أشهر فان جاءهم من ينصرهم والاسلموا البلد ثم رحل السلطان فسأله ولده الملك الظاهر صاحب حلب ان يجتاز به فاجابه الى ذلك فوصل حلب فى حادى عشر شعبان وأقام بالقلعة ثلاثة أيام وولده يقوم بالضيافة حق القيام وسار من حلب فاعترضه تقى الدين عمر ابن أخيه واصعده الى قلعة حماة وصنع له طعاما واحضر له سماعا من جنس ماتعمل الصوفية وبات فيها ليلة واحدة وأعطاه جبلة واللاذقية وسار على طريق بعلبك ودخل دمشق قبل شهر رمضان بايام يسيرة ثم سار فى اوائل شهر رمضان يريد صفد فنزل عليها ولم يزل القتال حتى تسلمها بالامان فى رابع عشر شوال وفى شهر رمضان المذكور سلمت الكرك سلمها نواب صاحبها وخلاصه بذلك لانه كان اسيرا من نوبة حطين (قلت هكذا ذكره وهذا لاينتظم مع ماقبله فقد تقدم قبل هذا ان البرنس ارباط صاحب الكرك والشوبك اسر فى وقعة حطين ثم قتله السلطان بيده فيكشف عن هذا فى مكان آخر ليتحقق) قال ثم سار الى كوكب وضايقوها وقاتلوها مقاتلة شديدة والامطار متوالية والوحول والرياح عاصفة والعدو متسلط لعلو مكانه فلما تيقنوا انهم ماخوذون طلبوا الامان فاجابهم اليه وتسلمها منهم فى منتصف ذى القعدة من السنة ثم نزل بالغور وأقام بالمخيم بقية الشهر وأعطى الجماعة دستورا وسار مع أخيه العادل يريد زيارة القدس ووداع أخيه لانه كان متوجها الى مصر ودخل القدس فى ثامن ذى الحجة وصلى بها العيد وتوجه فى حادى عشر ذى الحجة الى عسقلان لينظر الى أمورها وأخذها من أخيه العادل وعوضه عنها الكرك ثم مر على بلاد الساحل يتفقد أحوالها ثم دخل عكا فاقام بها معظم المحرم من سنة خمس وثمانين وأصلح أمورها ورتب بها الامير بهاء الدين قراقوش واليا وأمره بعمارة سورها وسار الى دمشق فدخلها فى مستهل صفر من السنة وأقام بها الى شهر ربيع الاول من السنة ثم خرج الى شقيف ارنون وهو موضع حصين نخيم فى مرج عيون بالقرب من الشقيف فى سابع عشر شهر ربيع الاول وأقام أياما يباشر قتاله كل يوم والعساكر تتواصل اليه فلما تحقق صاحب الشقيف انه لاطاقة له به نزل اليه بنفسه فلم يشعر به الا وهو قائم على باب خيمته فاذن له فى دخوله اليه واكرمه واحترمه وكان من أكابر الفرنج وعقلائهم وكان يعرف بالعربية وعنده اطلاع على شئ من التواريخ والاحاديث وكان حسن التأتى لما حضر بين يدى السلطان

واكل

واكل معه الطعام ثم خلا به وذكر انه مملوكه وتحت طاعته وانه يسلم اليه المكان من غير تعب واشترط ان يعطى موضعا يسكنه بدمشق فانه بعد ذلك لا يقدر على مساكنة الفرنج واقطاعا يقوم به وباهله وشروطا غير ذلك فاجابه الى ذلك وفى اثناء شهر ربيع الاول وصله الخبر بتسليم الشوبك وكان السلطان قد أقام عليها جمعا يحاصرونه مدة سنة كاملة الى ان نفد زاد من كان فيه فسلموه بالامان ثم ظهر للسلطان بعد ذلك ان جميع ماقاله صاحب الشقيف كان خديعة فرسم عليه ثم ظهر له ان الفرنج قصدوا عكا ونزلوا عليها يوم الاثنين ثالث عشر رجب سنة خمس وثمانين وفى ذلك اليوم سير صاحب الشقيف الى دمشق بعد الاهانة الشديدة وأتى عكا ودخلها بغتة ليقوى قلوب من بها وسير استدعى العساكر من كل ناحية فجاءته وكان العدو بمقدار ألفى فارس وثلاثين ألف راجل ثم تكاثر الفرنج واستفحل أمرهم واحاطوا بعكا ومنعوا من يدخل اليها ويخرج وذلك يوم الخميس سلخ رجب فضاق صدر السلطان لذلك ثم اجتهد فى فتح الطريق اليها لتستمر السابلة بالميرة والنجدة وشاور الامراء فاتفقوا على مضايقة العدو لينفتح الطريق ففعلوا ذلك وانفتح الطريق وسلكه المسلمون ودخل السلطان عكا فاشرف على أمورها ثم جرى بين الفريقين مناوشات فى عدة أيام وتاخر الناس الى تل العياضية وهو مشرف على عكا وفى هذه المنزلة توفى الامير حسام الدين طمان المقدم ذكره فى هذه الترجمة وذلك ليلة نصف شعبان سنة خمس وثمانين وخمسمائة وكان من الشجعان ثم ان شيخنا ابن شداد ذكر بعد هذا وقعات ليس لنا غرض فى ذكرها وتطول هذه الترجمة باستيفاء الكلام فيها اذ ليس الغرض سوى المقاصد لا غير وانما ذكرت فتوحات هذه الحصون لان الحاجة قد تدعو الى الوقوف على تواريخها مع انى لم اذكر الا ما يكثر التطلع الى الوقوف عليه واضربت عن الباقى قال ابن شداد سمعت السلطان ينشد وقد قيل له ان الوخم قد عظم بمرج عكا وان الموت قد فشا فى الطائفتين

اقتلانى ومالكا * واقتلا مالكا معى

يريد بذلك انه قد رضى ان يتلف كما اتلف الله أعداءه (قلت) وهذا البيت له سبب يحتاج الى شرح وذلك ان مالك بن الحارث المعروف بالاشتر النخعى كان من الابطال المشهورة وهو من خواص أصحاب على بن أبى طالب رضى الله عنه تماسك فى يوم وقعة الجمل المشهورة هو وعبد الله بن الزبير بن العوام وكان أيضا من الابطال وابن الزبير يومئذ مع خالته عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها وطلحة والزبير رضى الله عنهم وكانوا يحاربون عليا رضى الله عنه فلما تماسكا صار كل واحد منهما اذا قوى على صاحبه يجعله تحته وركب صدره وفعلا ذلك مرارا وابن الزبير ينشد

اقتلانى ومالكا * واقتلا مالكا معى

ريد الاشتر النخعي هذه خلاصة القول في ذلك وان كانت القصة طويلة وهي في التواريخ مبسوطة وقال عبد الله بن الزبير لاقيت الاشتر النخعي يوم الجمل فما ضربته ضربة حتى ضربني ستا أو سبعا ثم أخذ برجلي وألقاني في الخندق وقال والله لولا قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع منك عضو الى عضو ابدا وقال أبو بكر بن أبي شيبة اعطت عائشة رضي الله عنها الذي بشرها بسلامة ابن الزبير لما لاقى الاشتر النخعي عشرة آلاف درهم وقيل أيضا ان الاشتر دخل على عائشة رضي الله عنها بعد وقعة الجمل فقالت له يا أشتر أنت الذي أردت قتل ابن أختي يوم الوقعة فانشدها

اعائش لولا انني كنت طاويا * ثلاثا لالفيت ابن أختك هالكا
غداة ينادي والرماح تنوشه * بآخر صوت اقتلوني ومالكا
فنجاه مني اكله وشبابه * وخلوة جوف لم يكن متماسكا

وقال زهير بن قيس دخلت مع عبد الله بن الزبير الحمام فاذا في رأسه ضربة لو صب فيها قارورة دهن لاستقر فقال لي أتدري من ضربني هذه الضربة قلت لا قال ابن عمك الاشتر النخعي (رجعنا الى ما كنا فيه) قال ابن شداد ثم ان الفرنج جاءهم الامداد من داخل البحر واستظهروا على الجماعة الاسلامية بعكا وكان فيهم الامير سيف الدين علي بن أحمد المعروف بالمشطوب الهكاري والامير بهاء الدين قراقوش الخادم الصلاحي وضايقوهم أشد المضايقة الى ان غلبوا على حفظ البلد فلما كان يوم الجمعة سابع عشر جمادى الاخرى من سنة سبع وثمانين وخمسمائة خرج من عكا رجل عوام ومعه كتب من المسلمين يذكرون حالهم وما هم فيه وانهم قد تيقنوا الهلاك ومتى أخذوا البلد عنوة ضربت رقابهم وانهم صالحوا على ان يسلموا البلد وجميع ما فيه من الآلات والاسلحة والمراكب ومائتي ألف دينار وخمسمائة اسير مجاهيل ومائة أسير معينين من جهتهم وصليب الصلبوت على ان يخرجوا بانفسهم سالمين وما معهم من الاموال والاقمشة المختصة بهم وذراريهم ونسائهم وضمنوا للمركيس لانه كان الواسطة في هذا الامر أربعة آلاف دينار ولما وقف السلطان على الكتب المشار اليها انكر ذلك انكارا عظيما وعظم عليه هذا الامر وجمع أهل الرأي من اكابر دولته وشاورهم فيما يصنع واضطربت اراؤه وتقسم فكره وتشوش حاله وعزم على ان يكتب في تلك الليلة مع العوام وينكر عليهم المصالحة على هذا الوجه وهو يتردد في هذا فلم يشعر الا وقد ارتفعت اعلام العدو وصلبانه وناره وشعاره على اسوار البلد وذلك في ظهيرة يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة من السنة وصاح الفرنج صيحة عظيمة واحدة وعظمت المصيبة على المسلمين واشتد أمرهم وحزنهم ووقع فيهم الصياح والعويل والبكاء والنحيب ثم ذكر ابن شداد بعد هذا ان الفرنج خرجوا من عكا قاصدين عسقلان ليأخذوها وساروا على الساحل والسلطان وعساكره قبالتهم الى ان وصلوا

الى أرسوف وكان بينهما قتال عظيم ونال المسلمين منه وهن شديد ثم ساروا على تلك الهيئة تتمة عشر منازل من مسيرهم من عكا وأتى السلطان الرملة واتاه من اخبره بان القوم على عزم عمارة يافا وتقويتها بالرجال والعدد والالات فاحضر السلطان ارباب مشورته وشاورهم فى أمر عسقلان وهل الصواب خرابها ام ابقاؤها فاتفقت آراؤهم ان يبقى الملك العادل قبالة العدو ويتوجه السلطان بنفسه ويخربها خوفا من ان يصل العدو اليها ويستولى عليها وهى عامرة ويأخذ بها القدس وينقطع بها طريق مصر وامتنع العسكر من الدخول وخافوا مما جرى على المسلمين بعكا ورأوا ان حفظ القدس اولى فتعين خرابها من عدة جهات وكان هذا الاجتماع يوم الثلاثا سابع عشر شعبان سنة سبع وثمانين وخمسمائة فسار اليها سحرة الاربعا ثامن عشر الشهر قال ابن شداد وتحدث معى فى معنى خرابها بعد ان تحدث مع ولده الملك الأفضل فى أمرها أيضا ثم قال لأن افقد ولدى بجميعهم احب الى من ان اهدم منها حجرا ولكن اذا قضى الله تعالى ذلك وكان فيه مصلحة للمسلمين فما الحيلة فى ذلك قال ولما اتفق الرأى على خرابها اوقع الله تعالى فى نفسه ذلك وان المصلحة فيه لعجز المسلمين عن حفظها وشرع فى خرابها سحرة يوم الخميس التاسع عشر من شعبان من السنة وقسم السور على المسلمين وجعل لكل أمير من العسكر بدنة معلومة وبرجا معينا يخربونه ودخل الناس البلد ووقع فيهم الضجيج والبكا وكان بلدا خفيفا على القلب محكم الاسوار عظيم البناء مرغوبا فى سكنه فلحق الناس على خرابه حزن عظيم وعظم عويل أهل البلد عليه لفراقهم اوطانهم وشرعوا فى بيع مالا يقدرون على حمله فباعوا ما يساوى عشرة آلاف بدرهم وباعوا اثنى عشر طير دجاج بدرهم واحد واختلط البلد وخرج الناس باهلهم وأولادهم الى الخيم وتشتتوا فذهب قوم منهم الى مصر وقوم الى الشام وجرت عليهم أمور عظيمة واجتهد السلطان وأولاده فى خرابها كى لا يسمع العدو فيسرع اليه ولا يمكن من خرابها وبات الناس على اصعب حال وأشد تعب مما قاسوه فى خرابها وفى تلك الليلة وصل من جناب الملك العادل من اخبران الفرنج تحدثوا معه فى الصلح وطلبوا جميع البلاد الساحلية فرأى السلطان ان فى ذلك مصلحة لما علم من نفوس الناس من الضجر من القتال وكثرة ما عليهم من الديون وكتب اليه ياذن له فى ذلك وفوض الامر الى رأيه واصبح يوم الجمعة العشرين من شعبان وهو مصر على الخراب واستعمل الناس عليه وحثهم على العجلة فيه واباحهم ما فى القرى الذى كان على الميرة مذخورا خوفا من هجوم الفرنج والعجز عن نقله وأمر باحراق البلد فأضرمت النيران فى بيوته وكان سورها عظيما ولم يزل الخراب يعمل فى البلد الى سلخ شعبان من السنة واصبح يوم الاثنين مستهل شهر رمضان أمر ولده الملك الافضل ان يباشر ذلك بنفسه وخواصه ولقد رأيته يحمل الخشب بنفسه لاجل الاحراق وفى يوم الاربعا ثالث شهر رمضان اتى الرملة

ثم خرج الى اللد وأشرف عليها وأمر باخرابها واخراب قلعة الرملة ففعل ذلك وفي يوم السبت ثالث عشر رمضان تأخر السلطان بالعسكر الى جهة الجبل ليتمكن الناس من تسيير دوابهم لاحضار ما يحتاجون اليه ودار السلطان حول النطرون وهي قلعة منيعة فامر باخرابها وشرع الناس في ذلك ثم ذكر ابن شداد بعد هذا ان الانكتار وهو من أكابر ملوك الافرنج سير رسوله الى الملك العادل يطلب الاجتماع به فاجابه الى ذلك واجتمعا يوم الجمعة ثامن عشر شوال من السنة وتمادثا معظم ذلك النهار وانفصلا عن مودة اكيدة والتمس الانكتار من العادل ان يسال السلطان ان يجتمع به فذكر ذلك العادل للسلطان فاستشار اكابر دولته في ذلك ووقع الاتفاق على انه اذا جرى الصلح بيننا يكون الاجتماع بعد ذلك ثم وصل رسول الانكتار وقال ان الملك يقول الى احب صداقتك ومودتك وأنت تذكر انك اعطيت هذه البلاد الساحلية لاخيك فاريد أن تكون حكما بيني وبينه ولابد ان يكون لنا علقة بالقدس وأطال الحديث في ذلك فاجابه السلطان بوعد جميل واذن له في العود في الحال وتاثر لذلك تأثرا عظيما قال ابن شداد وبعد انفصال الرسول قال لي السلطان متى صالحناهم لم نامن غائلتهم ولو حدث بي حادث الموت ما كانت تجتمع هذه العساكر وتقوى الفرنج والمصلحة ان لا نزول عن الجهاد حتى نخرجهم من الساحل أو يأتينا الموت هذا كان رأيه وانما غلب على الصلح قال ابن شداد ثم ترددت الرسل بينهم في الصلح وأطال القول في ذلك فتركته اذ لا حاجة اليه وجرت بعد ذلك وقعات اضربت عن ذكرها لطول الكلام فيها وحاصل الامر انه تم الصلح بينهم وكان الانجاز يوم الاربعاء الثاني والعشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ونادى المنادى بانتظام الصلح وان البلاد الاسلامية والنصرانية واحدة في الامن والمسالمة فمن شاء من كل طائفة ان يتردد الى بلاد الطائفة الاخرى من غير خوف ولا محذور وكان يوما مشهودا نال الطائفتين فيه من المسرة ما لا يعلمه الا الله تعالى وقد علم الله تعالى ان الصلح لم يكن عن مرضاته وايثاره لكنه راى المصلحة في الصلح لسآمة العسكر ومظاهرتهم بالمخالفة وكان مصلحة في علم الله تعالى فانه اتفقت وفاته بعد الصلح فلو اتفق ذلك في اثناء وقعاته كان الاسلام على خطر ثم اعطى العساكر الواردة عليه من البلاد البعيدة برسم النجدة دستورا فساروا عنه وعزم على الحج لما فرغ باله من هذه الجهة وتردد المسلمون الى بلادهم وجاؤا هم الى بلاد المسلمين وحملت البضائع والمتاجر الى البلاد وحضر منهم خلق كثير لزيارة القدس وتوجه السلطان الى القدس ليتفقد أحوالها وأخوه الملك العادل الى الكرك وابنه الملك الظاهر الى حلب وابنه الافضل الى دمشق وأقام السلطان بالقدس يقطع الناس ويعطيهم دستورا ويتاهب للمسير الى الديار المصرية وانقطع شوقه عن الحج ولم يزل كذلك الى ان صح عنده سير مركب الانكتار متوجها الى بلاده

في مستهل شوال فعند ذلك قوي عزمه على ان يدخل الساحل جريدة يتفقد القلاع البحرية الى بانياس و يدخل دمشق و يقيم بها اياما قلائل و يعود الى القدس ومنه الى الديار المصرية قال شيخنا ابن شداد وأمرني بالمقام في القدس الى حين عوده لعمارة مارستان أنشأه به وتكميل المدرسة التي أنشاها فيه وسار منه ضاحي نهار الخميس السادس من شوال سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ولما فرغ من افتقاد احوال القلاع وازاحة خللها دخل دمشق بكرة الاربعاء سادس عشر شوال وفيها أولاده الملك الافضل والملك الظاهر والملك الظافر مظفر الدين الخضر المعروف بالمشمر وأولاده الصغار وكان يحب البلد ويؤثر الاقامة فيه على سائر البلاد وجلس للناس بكرة يوم الخميس السابع عشر منه وحضروا عنده و بلوا شوقهم منه وانشده الشعراء ولم يتخلف أحد منهم عنه من الخاص والعام وأقام ينشر جناح عدله ويهطل سحاب انعامه وفضله ويكشف مظالم الرعايا فلما كان يوم الاثنين مستهل ذي القعدة عمل الملك الافضل دعوة للملك الظاهر لانه لما وصل الى دمشق و بلغه حركة السلطان أقام بها ليتملى بالنظر اليه ثانيا وكان نفسه كانت قد أحست بدنو أجله فودعه في تلك الدفعة مرارا متعددة ولما عمل الملك الافضل الدعوة أظهر فيها من الهمم العالية ما يليق بهمته وكانه أراد بذلك مجازاته عما خدمه به حين وصل الى بلده وحضر الدعوة المذكورة أرباب الدنيا والآخرة وسال السلطان الحضور فحضر جبرا لقلبه وكان يوما مشهودا على ما بلغني ولما تصفح الملك العادل أحوال الكرك واصلح ما قصد اصلاحه سار قاصدا الى البلاد الفراتية فوصل الى دمشق يوم الاربعاء سابع عشر ذي القعدة وخرج السلطان الى لقائه وأقام يتصيد حوالي غباغب الى الكسوة حتى لقيه وسارا جميعا يتصيدان وكان دخولهما الى دمشق آخر نهار الاحد حادي عشر ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وأقام السلطان بدمشق يتصيد هو واخوه وأولاده ويتفرجون في أراضي دمشق ومواطن الظباء وكانه وجد راحة مما كان به من ملازمة التعب والنصب وسهر الليل وكان ذلك كالوداع لاولاده ونسي عزمه الى مصر وعرضت له امور أخر وعزمات غير ما تقدم قال ابن شداد ووصلني كتابه الى القدس يستدعيني لخدمته وكان شتاء عظيما ووحلا شديدا فخرجت من القدس في يوم الجمعة الثالث والعشرين من المحرم سنة تسع وثمانين وكان الوصول الى دمشق في يوم الثلاثاء ثاني عشر صفر من السنة وركب السلطان لملتقى الحاج يوم الجمعة خامس عشر صفر وكان ذلك آخر ركوبه ولما كان ليلة السبت وجد كسلا عظيما وما انتصف الليل حتى غشيته حمى صفراوية وكانت في باطنه أكثر منها في ظاهره واصبح يوم السبت متكسلا عليه أثر الحمى ولم يظهر ذلك للناس لكن حضرت عنده انا والقاضي الفاضل فدخل ولده الملك الافضل وطال جلوسنا عنده وأخذ يشكو قلقه في الليل وطاب له الحديث الى قريب

الظاهر ثم انصرفنا وتلوبنا عنده فتقدم الينا بالحضور على الطعام فى خدمة ولده الملك الافضل ولم يكن للقاضى الفاضل فى ذلك عادة فانصرف ودخلت الى الايوان القبلى وقد مد السماط وابنه الملك الافضل قد جلس فى موضعه فانصرفت وما كانت لى قوة فى الجلوس استيحاشا له وبكى فى ذلك اليوم جماعة تفاؤلا بجلوس ولده فى موضعه ثم أخذ المرض يتزايد من حينئذ ونحن نلازم التردد طرفى النهار وندخل أنا والقاضى الفاضل فى النهار مرارا وكان مرضه فى رأسه وكان من امارات انتهاء العمر غيبة طبيبه الذى كان قد عرف مزاجه سفرا وحضرا ورأى الاطباء فصده ففصدوه فى الرابع فاشتد مرضه وقلت رطوبات بدنه وكان يغلب عليه اليبس ولم يزل المرض يتزايد حتى انتهى الى غاية الضعف واشتد مرضه فى السادس والسابع والثامن ولم يزل المرض يتزايد ويغيب ذهنه ولما كان التاسع حدثت له غشية وامتنع من تناول المشروب واشتد الخوف فى البلد وخاف الناس ونقلوا اقمشتهم من الاسواق وعلا الناس من الكآبة والحزن مالا يمكن حكايته ولما كان العاشر من مرضه حقن دفعتين وحصل من الحقن بعض الراحة وفرح الناس بذلك ثم اشتد مرضه وايس منه الاطباء ثم شرع الملك الافضل فى تحليف الناس ثم انه توفى بعد صلاة الصبح من يوم الاربعاء السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة وكان يوم موته يوما لم يصب الاسلام والمسلمون بمثله منذ فقد الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم وغشى القلعة والملك والدنيا وحشة لا يعلمها الا الله تعالى وبالله لقد كنت اسمع من الناس انهم يتمنون فداء من يعز عليهم بنفوسهم وكنت اتوهم ان هذا الحديث على ضرب من التجوز والترخص الى ذلك اليوم فانى علمت من نفسى ومن غيرى انه لو قبل الفدى لفدى بالانفس ثم جلس ولده الملك الافضل للعزاء وغسله الدولعى (قلت) الدولعى المذكور هو ضياء الدين أبو القاسم عبد الملك بن زيد بن ياسين بن زيد بن قائد بن جميل التغلبى الارقى الدولعى الشافعى خطيب جامع دمشق توفى فى ثانى عشر شهر ربيع الاول سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وسئل عن مولده فقال فى سنة سبع وخمسمائة ثم ذكر غير هذا والله أعلم ودفن بمقابر الشهداء بباب الصغير قال واخرج بعد صلاة الظهر رحمه الله تعالى على تابوت مسجى بثوب فوطة فارتفعت الاصوات عند مشاهدته وأخذ الناس فى البكاء والعديد وصلوا عليه ارسالا ثم اعيد الى الدار التى فى البستان وهى التى كان متمرضا بها ودفن فى الصفة الغربية منها وكان نزوله فى حفرته قريبا من صلاة العصر ثم اطال ابن شداد القول فى ذلك فخذقته خوفا من الملالة وأنشد فى آخر السيرة بيت ابى تمام الطائى وهو

ثم انقضت تلك السنون وأهلها * فكأنها وكأنهم أحلام

رحمه الله تعالى وقدس روحه فلقد كان من محاسن الدنيا وغرائبها وذكر سبط

ابن الجوزى فى تاريخه فى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ما مثاله وفى خامس المحرم خرج
صلاح الدين من مصر فنزل البركة قاصدا الشام وخرج اعيان الدولة لوداعه وأنشده
الشعراء أبياتا فى الوداع فسمع قائلا يقول فى ظاهر الخيمة

تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار

فطلب القائل فلم يوجد فوجم السلطان وتطير الحاضرون فكان كما قال فانه اشتغل
ببلاد الشرق والفرنج ولم يعد بعدها الى مصر (قلت) وهذا البيت من جملة أبيات
فى الحماسة فى باب النسيب وذكر شيخنا عز الدين بن الاثير فى تاريخه الكبير هذه القضية
على صورة أخرى فقال ومن عجيب ما يحكى من التطير انه لما برز عن القاهرة أقام
بخيمته حتى تجتمع العساكر وعنده أعيان دولته والعلماء وأرباب الاداب فمن بين مودع
له وسائر معه وكل واحد منهم يقول شيأ فى الوداع والفراق وفى الحاضرين معلم لبعض
أولاده فاخرج رأسه من بين الحاضرين وانشد هذا البيت فانقبض صلاح الدين وتطير
بعد انبساطه وتنكر المجلس على الحاضرين فلم يعد اليها الى ان مات مع طول المدة
وذكر ابن شداد أيضا فى أوائل السيرة انه مات ولم يخلف فى خزائنه من الذهب والفضة
الا سبعة وأربعين درهما ناصرية وجرما واحدا ذهبا صوريا ولم يخلف ملكا لا دارا
ولا عقارا ولا بستانا ولا قرية ولا مزرعة وفى ساعة موته كتب القاضى الفاضل الى ولده
الملك الظاهر صاحب حلب بطاقة مضمونها لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة
ان زلزلة الساعة شئ عظيم كتبت الى مولانا السلطان الملك الظاهر أحسن الله عزاءه وجبر
مصابه وجعل فيه الخلف فى الساعة المذكورة وقد زلزل المسلمون زلزالا شديدا وقد
حفرت الدموع المحاجر وبلغت القلوب الحناجر وقد ودعت اباك ومخدومى وداعا لا تلاقى
بعده وقد قبلت وجهه عنى وعنك واسلمته الى الله تعالى مغلوب الحيلة ضعيف القوة
راضيا عن الله عز وجل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وبالباب من الجنود المجندة
والاسلحة المغمدة ما لا يدفع البلا ولا ملك يرد القضا وتدمع العين ويخشع القلب ولا نقول
الا ما يرضى الرب وانا عليك يا يوسف لمحزونون وأما الوصايا فما يحتاج اليها والاراء فقد
شغلنى المصاب عنها واما لائح الامر فانه ان وقع اتفاق فما عدمتم الا شخصه الكريم
وان كان غير ذلك فالمصائب المستقبلة اهونها موته وهو الهول العظيم والسلام (قلت)
لله دره فلقد ابدع فى هذه الرسالة الوجيزة مع ما تضمنته من المقاصد السديدة فى مثل
تلك الحالة التى يذهل فيها الانسان عن نفسه (قلت) وقد ذكرت كل واحد من أولاده
المذكورين وهم الافضل والظاهر والعزيز فى ترجمة مستقلة وعينت تاريخ مولده وموته
سوى الملك الظافر المشهور بالمشمر فانى لم أذكر له ترجمة مستقلة وقد ذكرته ههنا فيحتاج
الى ذكر شئ من أحواله فاقول لقبه مظفر الدين وكنيته أبو الدوام وابو العباس الخضر
وانما قيل له المشمر لان أباه رحمه الله تعالى لما قسم البلاد بين أولاده الكبار قال

وانما شهر بغلب عليه هذا اللقب وكان مولده بالقاهرة فى سنة ثمان وستين وخمسمائة
فى خامس شعبان وهو شقيق الملك الافضل وتوفى فى جمادى الاولى سنة سبع وعشرين
وستمائة بحران عند ابن عمه الملك الاشرف بن الملك العادل ولم يكن الاشرف يومئذ
ملكا وانما كان مجتازا بها عند دخوله بلاد الروم لاجل الخوارزمية قال غيرابن
شداد ثم ان السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى بقى مدفونا بقلعة دمشق الى ان بنيت
له قبة فى شمالى الكلاسة التى هى شمالى جامع دمشق ولها بابان أحدهما الى الكلاسة
والآخر فى زقاق غير نافذ وهو مجاور المدرسة العزيزية (قلت ولقد دخلت هذه القبة من
الباب الذى فى الكلاسة وقرأت عنده وترحمت عليه واحضر لى القيم ومتولى القبة
بقجة فيها ملبوس بدنه وكان فى جملته قباء اصفر قصير وراس كمه باسود فتبركت به) قال
ثم نقل من مدفنه بالقلعة الى هذه القبة فى يوم عاشوراء وكان الخيس من سنة
اثنين وتسعين وخمسمائة ورتب عنده القراء ومن يخدم المكان ثم ان ولده الملك العزيز
عماد الدين عثمان المقدم ذكره لما أخذ دمشق من أخيه الملك الافضل بنى الى جانب
هذه القبة المدرسة العزيزية ووقف عليها وقفا جيدا وللقبة المذكورة شباك الى هذه
المدرسة وهى من أعيان مدارس دمشق وزرت قبره فى اول ساعة من رمضان سنة
ثمانين وستمائة ثم قرأت على صندوق قبره بعد تاريخ وفاته ما مثاله اللهم فارض عن تلك
الروح وافتح له أبواب الجنة فهى آخر ما كان يرجوه من الفتوح وذكر قيم
المكان ان هذا من كلام القاضى الفاضل (قلت) ولما ملك السلطان صلاح الدين
الديار المصرية لم يكن بها شئ من المدارس فان الدولة المصرية كان مذهبها مذهب
الامامية فلم يكونوا يقولون بهذه الاشياء فعمر فى القرافة الصغرى المدرسة المجاورة
لضريح الامام الشافعى رضى الله عنه وقد تقدم ذكرها فى ترجمة نجم الدين الخبوشانى
وبنى مدرسة بالقاهرة فى جوار المشهد المنسوب الى الحسين بن على رضى الله عنهما
وجعل عليها وقفا كبيرا وجعل دار سعيد السعداء خادم المصريين خانقاه ووقف
عليها وقفا طويلا وجعل دار عباس المذكور فى ترجمة الظافر العبدى والعادل
ابن السلار مدرسة للحنفية وعليها وقف جيد كبير أيضا والمدرسة التى بمصر المعروفة
بزين التجار وقفها على الشافعية وقفها جيدا أيضا وبنى بالقاهرة داخل القصر
مارستانا وله وقف جيد وله مدرسة بالقدس أيضا ووقفها كثير وشاقانهما أيضا وله
بمصر مدرسة للمالكية ولقد افكرت فى نفسى من أمور هذا الرجل وقلت انه
سعيد فى الدنيا والآخرة فانه فعل فى الدنيا هذه الافعال المشهورة من الفتوحات
الكثيرة وغيرها ورتب هذه الاوقاف العظيمة وليس فيها شئ منسوبا اليه فى
الظاهر فان المدرسة التى بالقرافة ما تسميها الناس الا بالشافعى والمجاورة للمشهد
لا يقولون أيضا الا المشهد والخانقاه لا يقولون الا خانقاه سعيد السعداء والمدرسة

الحنفية لا يقولون أيضا الا مدرسة السيوفية والتي بمصر لا يقولون الا مدرسة زين التجار والتي بمصر ايضا لا يقولون الا مدرسة المالكية وهذه صدقة السر على الحقيقة والعجب ان لهيدمشق في جوار البيمارستان النوري مدرسة يقال لها أيضا الصلاحية فهي منسوبة اليه وليس لها وقف وله بها مدرسة للمالكية أيضا ولا تعرف به وهذه النعم من الطاف الله تعالى به وكان مع هذه المملكة المتسعة والسلطنة العظيمة كثير التواضع واللطف قريبا من الناس رحيم القلب كثير الاحتمال والمداراة وكان يحب العلماء وأهل الخير ويقربهم ويحسن اليهم وكان يميل الى الفضائل ويستحسن الاشعار الجيدة ويرددها في مجالسه حتى قيل انه كان كثيرا ما ينشد قول أبي منصور محمد بن الحسين بن أحمد بن الحسين بن اسحاق الحميري وقيل انها لابي محمد أحمد بن علي بن خيران العامري كان أميرا بالمرية من بلاد الاندلس وكان جده خيران من سبي المنصور بن أبي عامر فنسبت اليه والله أعلم وهي هذه

وزارني طيف من اهوى على حذر * من الوشاة وداعي الصبح قد هتفا

فكدت اوقظ من حولي به فرحا * وكاد يهتك ستر الحب بي شغفا

ثم انتبهت وآمالي تخيل لي * نيل المنى فاستحالت غبطتي اسفا

وقيل انه كان أيضا يعجبه قول نشو الملك أبي الحسن علي بن مفرج المعروف بابن المنجم المعري الاصل المصري الدار والوفاة وهو في خضاب الشيب ولقد أحسن فيه وهو

وما خضب الناس البياض لقبحه * واقبح منه حين يظهر ناصله

ولكنه مات الشباب فسودت * على الرسم من حزن عليه منازله

قالوا فكان إذا قال مات الشباب يمسك كريمته وينظر اليها ويقول اي والله مات الشباب وذكر العماد الكاتب الاصبهاني في كتاب الخريدة ان السلطان صلاح الدين في اول ملكه كتب الى بعض أصحابه بدمشق هذين البيتين

أيها الغائبون عنا وان * كنتم لقلبي بذكركم جيرانا

انني مذ فقدتكم لا اراكم * بعيون الضمير عندي عيانا

وأما القصيدتان اللتان ذكرت ان سبط ابن التعاويذي انفذهما اليه من بغداد فان احداهما وازن بها قصيدة صر در المقدم ذكره وقد ذكرت منها أبياتا في ترجمة الوزير الكندي وأولها * اكذا يجازي ود كل قرين * وقصيدة سبط ابن التعاويذي اولها

ان كان دينك في الصبابة ديني * فقف المطي برملتي يبرين

والثم ثرى لو شارفت بي هضبه * ايدي المطي لثمته بجفوني

وانشد فؤادي في الظباء معرضا * فبغير غزلان الصريم جنوني

ونشيدتي بين الخيام وانما * غالطت عنها بالظباء العين

لولا العدا لم اكن عن اسخاطها * وقدودها بجوازئ وغصون
لله ما اشتملت عليه قبابهم * يوم النوى من لؤلؤ مكنون
من كل تائهة على اترابها * فى الحسن غانية عن التحسين
خود ترى قمر السماء اذا بدت * ما بين سالفة لها وجبين
عادين مالمعت بروق ثغورهم * الا استهلت بالدموع شؤونى
ان تنكروا نفس الصبا فلانها * مرت بزفرة قلبى المحزون
واذا الركائب فى الجبال تلفتت * فحنينها لتلفتى وحنينى
يا سلم ان ضاعت عهودى عندكم * فانا الذى استودعت غير امين
او عدت مغبونا فما انا فى الهوى * لكم باول عاشق مغبون
وبقا فقد عف العراق بطاق الشعرات فى اسر الغرام رهين
مالى ووصل الغانيات اروم * ولقد بخلن على بالماعون
وعلام اشكر والدماء مطاحة * بلحا ظهن اذا لوين ديونى
هيهات ما للبيض فى ودّ امرئ * ارب وقد أربى على الخمسين
ومن البلية ان تكون مطالبى * جدوى بخيل او وفا مخوون
ليت الضنين على المحب بوصله * لقن السماحة عن صلاح الدين
وأما القصيدة الثانية فهى قوله

حتام ارضى فى هواك وتغضب * والى متى تجنى على وتعتب
ما كان لى لولا ملالك زلة * لما ملكت زعمت انى مذنب
خذ فى افانين الصدود فان لى * قلبا على العلات لا يتقلب
اتظننى أضمرت بعدك سلوة * هيهات عطفك من سلوى اقرب
لى فيك نار جوانح ما تنطفى * حرا وماء مدامع ما تنضب
انسيت اياما لنا ولياليا * للهو فيها والبطالة ملعب
ايام لا الواشى يعد ضلالة * وله ى عليك ولا العذول يؤنب
قد كنت تنصفنى المودة راكبا * فى الحب من اخطاره ما اركب
واليوم اقنع ان يمر بمضجعى * فى النوم طيف خيالك المتأوب
ما خلت أن جديد ايام الصبى * يبلى ولا ثوب الشبيبة يسلب
حتى انجلى ليل الغواية واهتدى * سار الدجى وانجاب ذاك الغيهب
وتنافر البيض الحسان فاعرضت * عنى سعاد وانكرتنى زينب
قالت وريعت من بياض مفارقى * ونحول جسمى بان منك الاطيب
ان تنقمى سقمى فخصرك ناحل * أو تنكرى شيبى فثغرك اشنب
(قلت) لله دره فلقد أجاد فى هذه القصيدة كل الاجادة غير انه قد ظن ان الشنب بياض

الثغر

الثغر وعليه بنى هذا المعنى حتى تم له مقصوده فانها لما عيرته بالسقم قابلها بنحول الخصر فقال لها ان كنت نحيلا فخصرك أيضا نحيل فلما انكرت شيبه قابلها بان ثغرها اشنب فكانه قال لها بياض شيبى فى مقابلة ثغرك الاشنب وليس الامر كما ظن فان الشنب فى اللغة ليس هو البياض وانما هو حدة الاسنان ويقال بردها وعذوبتها والصحيح انه حدتها وهو دليل على الحداثة لان الاسنان فى اول طلوعها تكون حادة فاذا مرت عليها السنون احتكت وذهبت حدتها وهذا المعنى ينظر الى قول النابغة الذبيانى فى جملة قصيدته المشهورة وهو

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

وقد تقدم ذكر هذا البيت فى ترجمة عروة بن الزبير فيكشف هناك ومثله أيضا ما أنشدنى بهاء الدين زهير بن محمد الكاتب المقدم ذكره لنفسه من جملة أبيات وهو قوله

ما فيه من عيب سوى * فتور عينيه فقط

رجع وقوله

يا طالبا بعد المشيب غضارة * من عيشه ذهب الزمان المذهب
اتروم بعد الاربعين وعدها * وصل الدمى هيهات عز المطلب
لولا الهوى العذرى يا دار الهوى * ما هاج لى طربا وميض خلب
كلا ولا استجديت اخلاق الحيا * ونداصلاح الدين هام صيب

وقد مدحه جميع شعراء عصره وانتجعوه من البلاد فنهم العلم الشاتانى واسمه الحسن وقد تقدم ذكر مدحه بقصيدته الرائية التى اولها

ارى النصر مقرونا برايتك الصفرا * فسر واملك الدنيا فانت بها احرى

ومدحه المهذب أبو حفص عمر بن محمد بن على بن أبى نصر المعروف بابن الشحنة الموصلى الشاعر المشهور بقصيدته التى أولها

سلام مشوق قد براه التشوق * على جيرة الحى الذين تفرقوا

وعدة أبياتها مائة وثلاثة عشر بيتا وفيها البيتان السائران أحدهما

وانى امرؤ احببتكم لمكارم * سمعت بها والاذن كالعين تعشق

وقد أخذه من قول بشار بن برد المقدم ذكره وهو

يا قوم اذنى لبعض الحى عاشقة * والاذن تعشق قبل العين احيانا

والبيت الثانى من قصيدة ابن الشحنة قوله

وقالت لى الآمال ان كنت لاحقا * بابناء ايوب فانت الموفق

ومما قيل فيه لبعض أهل المشرق

الله اكبر جاء القوس باريها * ورام اسهم دين الله راميها

فكم اسمر على الامصار من شرف * باليوسفين فهل ارضى تدانيها
فبابن يعقوب هزت جيدها طربا * وبابن ايوب هزت عطفها تيها
قل للملوك تخلى عن ممالكها * فقد اتى آخذ الدنيا ومعطيها

فلما انشدها اياه أعطاه ألف دينار ومدحه ابن قلاقس وابن الدروى وابن المنجم وابن سناء الملك وابن الساعاتى وابن الهرانى الإربلى وابن ذهن الحمى الموصلى ومحمد بن اسماعيل بن حمدان الحرانى وغيرهؤلاء وقد ذكرت أكثرهؤلاء الجماعة فى هذا التاريخ وعذرى فى تطويل هذه الترجمة قول المتنبى

وقد أطال ثناءى طول لابسه * ان الثناء على التنبال تنبال

التنبال الرجل القصير وهو بكسر التاء المثناة من فوقها و بعدها نون ساكنة وباء موحدة و بعد الالف لام (قلت) وقد تقدم فى هذه الترجمة عند ذكر ارسال العاضد الى صلاح الدين وطلبه اياه ليخلع عليه ويوليه الوزارة ذكر المثل المشهور وهو اردت عمرا واراد الله خارجة وقد يخفى عليه من لا يعرف سبب هذا المثل ولا المراد منه فاحببت ان اشرحه كى لا يحتاج من يخفى عليه الى كشف من مكان آخر فأقول عمرا المذكور هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى القرشى السهمى كنيته أبو عبد الله وقيل أبو محمد أحد الصحابة رضى الله عنهم اسلم سنة ثمان من الهجرة قبل فتح مكة وقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان من هذه السنة وقيل بل اسلم بين الحديبية وخيبر والاول أصح وقدم هو وخالد بن الوليد المخزومى وعثمان بن طلحة القرشى العبدرى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة مسلمين فلما دخلوا عليه ونظر اليهم قال للصحابة قد رمتكم مكة بافلاذ كبدها وقال الواقدى قدم عمرو بن العاص مسلما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اسلم عند النجاشى ملك الحبشة وقدم معه عثمان بن طلحة وخالد بن الوليد فقدموا المدينة فى صفر سنة ثمان من الهجرة وقيل انه لم يأت من أرض الحبشة الا معتقد الاسلام وذلك ان النجاشى قال له يا عمرو كيف يعزب عنك أمر ابن عمك فوالله انه لرسول الله حقا قال اصدق ذلك قال اى والله فأطعنى فخرج من عنده مهاجرا الى النبى صلى الله عليه وسلم و بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على سرية الى الشام يدعو أخوال أبيه الى الاسلام فبلغ السلاسل من بلاد قضاعة وهو ماء بأرض جذام وبذلك سميت تلك الغزوة ذات السلاسل وكان معه ثلثمائة رجل فخاف عمرو فكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده فامده بجيش مائتى فارس من المهاجرين والانصار وأهل الشرف منهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهم وأمر عليهم أباعبيدة بن الجراح رضى الله عنه فلما قدموا على عمرو بن العاص قال أنا أميركم وانما أنتم مددى فقال أبو عبيدة بل أنت أمير من معك وانا أمير من معى فابى عمرو فقال

أبو عبيدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى اذا قدمت على عمرو فتطاوعا ولا تختلفا فان خالفتنى أطعتك قال عمرو فانى أخالفك فسلم اليه أبو عبيدة وصلى خلفه فى الجيش كله وكانوا خمسمائة وولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص على عمان و فى سنة اثنى عشر بعث أبو بكر رضى الله عنه عمرو بن العاص و يزيد بن أبى سفيان الاموى وأباعبيدة بن الجراح وشرحبيل ابن حسنة الى الشام وسار اليهم خالد بن الوليد رضى الله عنه من العراق وأول شئ فتحه من الشام بصرى صلحا وتوفى أبو بكر رضى الله عنه واستخلف عمر رضى الله عنه أباعبيدة فولى الجيش وفتح الله تعالى عليه الشام وولى يزيد بن أبى سفيان على فلسطين وهى كورة قصبتها الرملة ولما مات أبو عبيدة استخلف معاذ بن جبل ومات معاذ فاستخلف يزيد بن أبى سفيان ومات يزيد فاستخلف أخاه معاوية بن أبى سفيان وكتب اليه عمر رضى الله عنه بعهده على ما كان عليه أخوه يزيد وكان موت هؤلاء كلهم فى طاعون عمواس فى سنة ثمان عشرة من الهجرة وعمواس بفتح العين المهملة والميم وفى آخرها سين مهملة وهى قرية بالشام بين نابلس والرملة وكان الطاعون بها فى العام المذكور وقيل بل مات يزيد بن أبى سفيان فى ذى الحجة من سنة تسع عشرة بدمشق والله أعلم وذلك بعد فتح قيسارية وكان عمر رضى الله عنه قد ولى عمرو بن العاص بعد موت يزيد بن أبى سفيان فلسطين والاردن وولى معاوية دمشق و بعلبك والبلقا وولى سعيد بن عامر حذيم ثم حمص ثم جمع الشام كلها لمعاوية وكتب الى عمرو فسار الى مصر فافتتحها فى سنة عشرين للهجرة فلم يزل عليها واليا حتى مات عمر رضى الله عنه فاقره عثمان رضى الله عنه أربع سنين اونحوها ثم عزله وولى عبد الله بن سعد بن أبى سرح العامرى وكان أخا عثمان من الرضاعة فاعتزل عمرو بن العاص فى ناحية فلسطين وكان يأتى المدينة احيانا فلما قتل عثمان رضى الله عنه سار الى معاوية باستجلاب معاوية اياه وشهد صفين مع معاوية وكان منه فى صفين وقضية التحكيم ما هو مشهور عند أهل العلم بهذا الفن وكان قد طلب من معاوية انه اذا تم له الامر يوليه مصر وكتب اليه فى بعض الايام يطلبها من معاوية

معاوى لا أعطيك دينى ولم انل * به منك دنيا فانظرن كيف تصنع
فان تعطنى مصرا فاربح بصفقة * أخذت بها شيخا يضر و ينفع

ثم ولاه معاوية مصر ولم يزل بها أميرا الى ان مات يوم عيد الفطر سنة ثلاث وأربعين للهجرة وقيل سنة اثنتين وأربعين وقيل سنة ثمان وأربعين وقيل سنة احدى وخمسين والاول أصح وعمره تسعون سنة ودفن بسفح المقطم وصلى عليه ابنه عبد الله ولما رجع صلى بالناس العيد ثم عزل معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص وولى أخاه عتبة بن أبى سفيان فمات عتبة بعد سنة اونحوها فولى معاوية مسلمة بن مخلد وكان

عمرو بن العاص من فرسان قريش وابطالهم فى الجاهلية وكان من الدهاة فى أمور الدنيا المقدمين فى الرأى وكان عمر رضى الله عنه اذا استضعف رجلا فى رأيه قال اشهد ان خالقك وخالق عمرو واحد يريد الاضداد وذكر أبو العباس المبرد فى كتاب الكامل ان عمرو بن العاص لما حضرته الوفاة دخل عليه ابن عباس رضى الله عنهما فقال له يا أبا عبد الله كنت اسمعك كثيرا تقول وددت لو رأيت رجلا عاقلا حضرته الوفاة حتى أسأله عما يجد فكيف تجد فقال أجد كأن السماء مطبقة على الارض وكأنى بينهما وكأنما أتنفس من خرم ابرة ثم قال اللهم خذ منى حتى ترضى ثم دخل عليه ولده عبد الله فقال له يا ولدى خذ ذلك الصندوق قال لا حاجة لى به فقال انه مملوء مالا فقال لا حاجة لى به فقال ليته مملوء بعرا ثم رفع يديه وقال اللهم انك أمرت فعصينا ونهيت فارتكبنا فلا برىء فأعتذر ولا قوى فانتصر ولكن لا اله الا أنت ثم فاض (قلت) يقال فاض وفاظ بالضاد والظاء اى مات قال الشاعر

* لا يدفنون منهم من فاظا * فأما خارجة المذكور فى هذا المثل فانه خارجة بن حذافة بن غانم بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب القرشى العدوى شهد فتح مصر وكان امير ربع المدد الذين امدّ بهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمرو بن العاص فى فتح مصر واختط بمصر وكان على شرطة مصر فى أمرة عمرو بن العاص لمعاوية بن أبى سفيان الاموى قتله خارجى بمصر سنة أربعين للهجرة وهو يحسب انه عمرو بن العاص هكذا قاله ابن يونس فى تاريخ مصر وذكره فى كتاب الاستيعاب لابن عبد البر وساق نسبه على هذه الصورة ثم قال يقال انه كان يعدّ بألف فارس ثم ذكر بعض أهل النسب والاخبار ان عمرو بن العاص كتب الى عمر رضى الله تعالى عنه يستمده بثلاثة آلاف فارس فأمده بخارجة بن حذافة والزبير بن العوام والمقداد بن الاسود الكندى وشهد خارجة فتح مصر وقيل انه كان قاضيا لعمرو بن العاص بها وقيل انه كان على شرطة عمرو بن العاص ولم يزل بها الى ان قتل قتله أحد الخوارج الثلاثة الذين كانوا انتدبوا لقتل على بن أبى طالب رضى الله عنه ومعاوية بن أبى سفيان وعمرو بن العاص فأراد الخارجى قتل عمرو فقتل خارجة هذا وهو يظنه عمرا وذلك انه كان قد استخلفه عمرو بن العاص على صلاة الصبح ذلك اليوم فلما قتله أخذوا دخل على عمرو بن العاص فقال من هذا الذى ادخلتمونى عليه فقالوا عمرو بن العاص فقال ومن قتلت فقالوا خارجة فقال أردت عمرا وأراد الله خارجة وقيل ان الخارجى الذى قتله لما ادخل على عمرو قال له عمرو أردت عمرا وأراد الله خارجة والله أعلم بمن قال ذلك منهما والذى قتل خارجة هذا هو رجل من بنى العنبر بن عمرو بن تميم يقال له داذويه وقيل انه مولى لبنى العنبر وقد قيل ان خارجة الذى قتله الخارجى بمصر على انه عمرو بن العاص رجل يسمى خارجة من بنى سهم رهط عمرو بن

العاص وليس بشئ انتهى ما قاله صاحب الاستيعاب وقال غيره ان عمرو بن العاص أصابه شئ فى بطنه فتخلف فى منزله تلك الليلة وكان خارجة يعشى الناس فضربه الخارجى فقتله وكان عمرو يقول ما نفعنى بطنى قط الا تلك الليلة (قلت) فهذا أصل المثل فى قولهم اردت عمرا وأراد الله خارجة والى هذا أشار أبو محمد عبد المجيد ابن عبدون الاندلسى فى قصيدته التى رثى بها بنى الافطس ملوك بطليوس التى اولها

* الدهر يفجع بعد العين بالاثر * بقوله

وليتها اذ فدت عمرا بخارجة * فدت عليا بمن شاءت من البشر

وهى من غرر القصائد جمعت تاريخا كبيرا وشرحها الاديب أبو مروان عبد الملك بن عبد الله بن بدرون الحضرمى الشلبى شرحا مستوفيا وهذا البيت يحتاج الى شرح أيضا وهو من تتمة الكلام على المثل المذكور لكنى اذكره مختصرا فانه طويل ذكر أهل التاريخ ان على بن أبى طالب رضى الله عنه لما بويع بالخلافة فى اليوم الذى قتل فيه عثمان بن عفان رضى الله عنه خرج عليه من قاتله فى وقعة الجمل وقد ذكرت طرفا من هذه الوقعة فى ترجمة عوف بن المزدع ساقها الكلام هنالك فذكرت المقصود منه ثم كانت وقعة صفين عند خروج معاوية بن أبى سفيان الاموى وعمرو بن العاص على على بن أبى طالب رضى الله عنهم فتوجه اليهم من العراق وجاؤه من الشام والتقوا على صفين وهو موضع على شاطئ الفرات بالقرب من الرحبة وهى وقعة مشهورة وكانت فى سنة سبع وثلاثين من الهجرة ولما غلب أهل الشام طلبوا من على بن ابى طالب رضى الله عنه التحكيم فاجابهم اليه بعد معاودات كثيرة فخرج على على جماعة من أصحابه وقالوا حكمت فى دين الله ولا حكم الا لله ورحلوا الى النهروان فمضى اليهم وقاتلهم واستأصلهم الا اليسير منهم وهى أيضا وقعة مشهورة بقتال الخوارج ولما طال الامر فى ذلك اجتمعوا وقالوا ان عليا ومعاوية وعمرو بن العاص قد افسدوا أمر هذه الامة فلو قتلناهم لعاد الامر على حدته فقال عبد الرحمن بن ملجم المرادى انا اقتل عليا قالوا فكيف لك بذلك قال أغتاله وقال الحجاج بن عبد الله الصيرمى انا اقتل معاوية ويعرف هذا الصيرمى بالبرك وقال داذويه وقيل زادويه وقد تقدم الكلام عليه فى الكلام على خارجة بن حذافة انا اقتل عمرا واجمعوا امرهم على ان يكون ذلك فى ليلة واحدة فدخل ابن ملجم الكوفة وعلى رضى الله عنه بها واشترى سيفا بالف درهم فسقاه السم حتى لفظه فلما خرج على لصلاة الصبح كان ابن ملجم قد كمن له فضربه به على رأسه وقال الحكم لله يا على لا لك وقيل انه ضربه فى صلاة الصبح وذلك فى صبيحة الجمعة لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان فى سنة أربعين من الهجرة وقيل غير هذا التاريخ وقدم البرك الصيرمى على معاوية بدمشق فضربه بخرج أليته وهو فى الصلاة ويقال انه قطع عرق

النسل فالحبل بعدها وأما عرو فقد سبق الكلام عليه عند قتل خارجة وهذا تفسير المثل والبيت الشعر على سبيل الاختصار والله أعلم

ابن الخلال

يوسف بن محمد المعروف بابن الخلال الملقب بالموفق صاحب ديوان الانشاء بمصر في دولة الحافظ أبي الميمون عبد الحميد العبيدي المتقدم ذكره ومن بعده

قال عماد الدين الكاتب الاصبهاني في كتاب الخريدة في حقه هو ناظر مصر وانسان ناظرها وجامع مفاخرها وكان اليه الانشاء وله قوة على الترسل يكتب كما يشاء عاش كثيرا وعطل في آخر عمره واضر ولزم بيته الى ان تعوض منه القبر وتوفي بعد تملك الملك الناصر مصر بثلاث أو أربع سنين وذكر له عدة مقاطيع من الشعر نورد شيأ منها بعد هذا ان شاء الله تعالى وذكره ضياء الدين أبو الفتح نصر الله المعروف بابن الاثير الجزري الموصلي المتقدم ذكره في الفصل الاول من كتابه الذي سماه الوشي المرقوم في حل المنظوم فقال حدثني القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني رحمه الله تعالى بمدينة دمشق في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وكان اذ ذاك كاتب الدولة الصلاحية فقال كان فن الكتابة بمصر في زمن الدولة العلوية غضا طريا وكان لا يخلو ديوان المكاتبات من راس يراس مكانا وبيانا ويقيم لسلطانه بقلمه سلطانا وكان من العادة ان كلا من أرباب الدواوين اذا نشأ له ولد وشدا شيأ من علم الادب احضره الى ديوان المكاتبات ليتعلم فن الكتابة ويتدرب ويرى ويسمع أشياء من علم الادب قال فارسلني والدي وكان اذ ذاك قاضيا بثغر عسقلان الى الديار المصرية في أيام الحافظ وهو أحد خلفائها وأمرني بالمصير الى ديوان المكاتبات وكان الذي ترأس به في تلك الايام رجل يقال له ابن الخلال فلما حضرت الديوان ومثلت بين يديه وعرفته من انا وما طلبتي رحب بي وسهل ثم قال لي ما الذي اعددت لفن الكتابة من الآلات فقلت ليس عندي شئ سوى اني أحفظ القرآن الكريم وكتاب الحماسة فقال في هذا بلاغ ثم أمرني بملازمته فلما ترددت اليه وتدربت بين يديه أمرني بعد ذلك ان احل شعر الحماسة فحللته من أوله الى آخره ثم أمرني ان احله مرة ثانية فحللته انتهى ما ذكره ابن الاثير (قلت) وبعد ان نقلت ما قاله ضياء الدين بن الاثير على هذه الصورة اجتمع بي من له عناية بالادب خصوصا بهذا الفن وهو من اعرف الناس باحوال القاضي الفاضل وقال لي هذا الذي ذكره ابن الاثير ما يمكن تصحيحه ولعله قد غلط في النقل فان القاضي الفاضل لم يدخل الديار المصرية الا في أيام الظافر ابن الحافظ وكان وصوله اليها مع أبيه في أمر يختص بهم ثم اني وجدت في بعض تعاليق بخطي وما أدري من أين نقلته ان القاضي الاشرف والد القاضي الفاضل كان من أهل عسقلان وكان ينوب في الحكم والنظر بمدينة بيسان فدخل الى مصر في زمان الظافر بن الحافظ لكلام جرى بينه وبين والي الناحية من اجل

كنـد كبير كان عنـده شمله قيمة كثيرة فداجى الوالى فى حقه واطلقه فاستدعى الوالى الى مصر لذلك وطوالب بمال طائل فاحتمى ببعض أمراء الدولة وجعلوا الاقاويل فى حق القاضى الاشرف فاستدعى وصودر الى ان لم يبق له شئ ولم يكن معه من الاولاد سوى القاضى الفاضـل فحمل على قلبه وتوفى بالقاهرة ليلة الاحـد حادى عشر شهر ربيع الاول من سنة ست وأربعين وخمسمائة ودفن بسفح المقطم ثم توجه القاضى الفاضـل الى ثغر الاسكندرية وحضر عند ابن حديد قاضى البلد وناظره فعرّفه بوالده فعرفه بالسمعة واستكتبه وأخذ الشيخ عسقلان فحضر اخوته اليه وكانت مكاتبات ابن حـديد ترد الى مصر بخطه وهى فى غاية البلاغة فحسده كتاب الانشاء عـلى فضله وخافوا من تقدمه عليهم فسعوا الى الظافر به وقالوا انه قصر فى المكاتبة وكان صاحب ديوان الانشاء القاضى ابن الزبير وقال يامولانا هـذا الرجـل ما منه تقصير وانما حسده هؤلاء الكتاب وسعوا به ليؤذيه مولانا الظافر فقال الظافر فتكتب الى ابن حـديد ابرسله الينا ويكتب لنا قال ابن نباتة وكنت بعـد ذلك فى مجلس الظافر فرأيت القاضى الفاضـل قد حضر وهو قائم بين يديه ثم استخدمه والله تعالى أعلم وقال ابن العماد فى الخريدة أنشدنى مرهف بن اسامة بن منقذ قال أنشدنى الموفق بن الخلال لنفسه من قصيدة

عذبت ليال بالعـذيب خوالى * وحلت مواقف بالوصال حوالى
ومضت لذاذات تقضى ذكرها * تصبى الحليم . وتستهيم السالى
وجلت موردة الخدود فاونقت * فى الصبوة الخالى بحسن الخال
قالوا سبراة بنى هـلال اصلها * صدقوا كذاك البدر فرع هلال

قال العماد فى الخريدة أيضا ونقلت من كتاب جنان الجنان ورياض الاذهان (قلت وهو تأليف الرشيد بن الزبير المقدم ذكره) من شعر ابن الخلال قوله

واغن سـيف لحاظه * يفرى الحسام بحده
فضح الصوارم والدا * ن بقـده وبقـده
عجب الورى لما حييت وقد منيت ببعده
وبقاء جسمى ناحـلا * يصلى بوقـدة صده
كبقاء عنبر خاله * فى نار صفحة خده

وقوله

اما اللسان فقد اخفى وقد كتما * لو امكن الجفن كف الدمع حين همى
اصبته بسهام اللحظ مهجته * فهل يلام اذا اجرى الدموع دما
قد صار بالسقم من تعذيبكم علما * ولم يبح بالذى من جوركم علما
فما على صامت ابدى لصدكم * فى كل جارحة منه السقام فما

وأورده في الشمعة

وصحيحة بيضاء تطلع في الدجى * صبحا وتشفي الناظرين بدائها

شابت ذوائبها أوان شبابها * واسود مفرقها أوان فنائها

كالعين في طبقاتها ودموعها * وسوادها وبياضها وضيائها

وذكر أيضا العماد في الخريدة في ترجمة القاضي أبي المعالي عبد العزيز بن الحسين ابن الخشاب أبيات كتبها ابن الخشاب المذكور الى الرشيد بن الزبير في نكبة جرت للموفق بن الخلال المذكور وقال العماد كان خاله ولم يذكر أيهما خال الآخر وكان ابن الخشاب قد حصل له بسبب نكبة ابن الخلال صداع والأبيات المشار إليها هذه

تسمع مقالي يا ابن الزبير * فأنت خليق بأن تسمعه

بلينا بنسب شابك * قليل الجدى في زمان الدعه

إذا ناله الخير لم نرجه * وإن صفعوه صفعنا معه

وهذا من قول حسين بن حفصة السعدي الخارجي يخاطب قطري بن الفجاءة رئيس الخوارج

وأنت الذي لا نستطيع فراقه * حياتك لا نفع وموتك ضائر

ثم إني كشفت عن قول العماد كان خاله ولم يبينه فوجدت ابن الخلال المذكور خال ابن الخشاب المذكور وذكر العماد أيضا في كتاب السيل والذيل الذي جعله ذيلا على كتاب الخريدة ابن الخلال أيضا وأورد له قوله

وغزال نار وجنته * أذكت النيران في كبدي

وله طرف لواحظه * نصرت شوقي على جلدي

قذفت عيني سوالفه * وتوارت منه بالزرد

والبيت الأخير مأخوذ من قول أبي محمد الحسن بن محمد بن حكينا البغدادي الشاعر المشهور

طرفك يرمي قلبي بأسهمه * فما لخديك تلبس الزردا

وقد روي لغيره أيضا والله أعلم ثم وجدت في كتاب خريدة القصر تأليف عماد الدين الكاتب الأصفهاني لعبد السلام بن الحكر المعروف بابن الصراف الواسطي قوله

لو كان أمري الي أو بيدي * أعددت لي قبل بينك العددا

طرفك يرمي قلبي بأسهمه * فما لخديك تلبس الزردا

ريقته الشهد والدليل على * ذلك نمل بخده صعدا

وذكر أبو الحسن علي بن الظافر الأزدي المصري في كتاب بديع البداية أن أبا القاسم ابن هانئ الشاعر المتأخر هجا ابن الخلال المذكور وبلغه هجوه فأضمر له حقدا واتفق في بعض المواسم الذي جرت عادة ملوك مصر بالحضور فيه استماع المدائح لجلوس الحافظ

أبو الميمون عبد المجيد ملك مصر اذ ذاك فانشده الشعراء وانتهت النوبة الى ابن هانى المذكور فانشد وأجاد فيما قاله فقال الحافظ للموفق المذكور كيف تسمع فأثنى عليه واستجاد شعره وبالغ فى وصفه ثم قال له ولو لم يكن له ما يمت به الا انتسابه الى أبى القاسم ابن هانى شاعر هذه الدولة ومظهر مفاخرها وناظم مآثرها ولا بيت اظهر منه الفجر عند دخوله هذه البلاد فقال له الحافظ ما هو فتحرج من انشاده فابى الحافظ الا ان ينشده وفى اثناء ذلك صنع بيتا وهو

تبا لمصر فقد صارت خلافتها * عظما تنقل من كاب الى كاب

فعظم ذلك على الحافظ وقطع صلته وكاد يفرط فى عقوبته والله أعلم ولم يزل ابن الخلال بديوان الانشاء الى ان طعن فى السن وعجز عن الحركة فانقطع فى بيته ويقال ان القاضى الفاضل كان يرعى له حق الصحبة والتعليم فكان يجرى عليه كل ما يحتاج اليه الى ان مات فى الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة ست وستين وخمسمائة رحمه الله تعالى

أبو عمر يوسف بن هارون الكندى المعروف بالرمادى الشاعر المشهور
ذكره الحافظ أبو عبد الله الحميدى فى كتاب جذوة المقتبس فقال اظن احد اجداده كان من أهل الرمادة موضع بالمغرب هو شاعر قرطبى كثير الشعر سريع القول مشهورا عند الخاصة والعامة هنالك لسلوكه فى فنون من المنظوم مسالك تنفق عند الكل حتى كان كثير من شيوخ الادب فى وقته يقولون فتح الشعر بكندة وختم بكندة يعنون امرأ القيس والمتنبى ويوسف بن هارون وكانا متعاصرين واستدللت على ذلك بمدحه ابا على اسماعيل بن القاسم القالى عند دخوله الاندلس بالقصيدة التى اولها

من حاكم بينى وبين عذولى * الشجو شجوى والعويل عويلى

وكان وصول أبى على القالى الى الاندلس فى سنة ثلاثين وثلثمائة (قلت وقد سبق ذلك فى ترجمته) ثم ذكر له الحميدى وقائع وعدة مقاطيع من الشعر وانه الف كتابا فى الطير وبجزء منه (قلت) وقد ذكر أبو منصور الثعالبى فى كتاب يتيمة الدهر الابيات التى مدح بها يوسف بن هارون ابا على القالى وأورد له بعد البيت المذكور قوله

فى اى جارحة اصون معذبى * سلمت من التعذيب والتنكيل
ان قلت فى بصرى فثم مدامعى * او قلت فى كبدى فثم غليلى
وثلاث شيبات نزلن بمفرقى * فعلمت ان نزولهن رحيلى
طلعت ثلاث فى نزول ثلاثة * واش ووجه مراقب وثقيل
فعزلننى عن صبوتى فلئن ذلك * لقد شبعت بذلة المعزول

(قلت) ثم خرج بعد هذا الى المدح وكان قد وصف الصيد والروض فقال

روض تعاهده السحاب كانه * متعاهد من عهد اسماعيل
قسه الى الاعراب تعلم انه * اولى من الاعراب بالتفضيل

حازت قبائلهم لغات فرقت * فيهم وحاز لغات كل قبيل

فالشرق خال بعده فكأنما * نزل الخراب بربعه المأهول

وكأنه شمس بدت في غربنا * وتغيبت عن شرقهم بأفول

ياسيدي هذا ثنائي لم أقل * زورا ولا عرضت بالتطويل

من كان يأمل نائلا فأنا امرؤ * لم أرج غير القرب في تأميلي

وله في غلام ألثغ من جملة أبيات

لا الراء تطمع في الوصال ولا أنا * الهجر يجمعنا فنحن سواء

فإذا خلوت كتبتها في راحتي * وبكيت منتحبا أنا والراء

وله فيه أيضا

أعد لثغة في الراء لو أن واصلا * تسمعها ما أسقط الراء واصل

(قلت) وهذا واصل هو واصل بن عطا المتقدم ذكره في حرف الواو (قلت) وذكره ابن بشكوال في كتاب الصلة فقال يوسف بن هارون الرمادي الشاعر من أهل قرطبة يكنى أبا عمر كان شاعر أهل الأندلس المشهور المقدم ذكره على الشعراء روى عن أبي علي البغدادي يعني القالي كتاب النوادر من تأليفه وقد أخذ عنه أبو عمر بن عبد البر قطعة من شعره رواها عنه وضمنها بعض تآليفه قال ابن حيان وتوفي سنة ثلاث وأربعمائة يوم العنصرة فقيرا معدما ودفن بمقبرة كلع انتهى كلامه (قلت) يوم العنصرة يوم مشهور ببلاد الأندلس والعنصرة بفتح العين المهملة وسكون النون وفتح الصاد المهملة والراء وفي آخرها هاء وهو موسم للنصارى كالميلاد وغيره وهو اليوم الرابع والعشرون من حزيران فيه ولد يحيى بن زكريا عليهما السلام وفي آخر هذا اليوم حبس الله تعالى الشمس على يوشع بن نون عليهما السلام حين بعثه موسى عليه السلام وكان يوشع ابن أخته إلى أريحا لقتال الجبابرة فقتلهم وبقيت منهم بقية فخشي أن يحول الليل بينه وبينهم فسأل الله تعالى أن يحبس عليهم الشمس حتى يفرغ منها بدعائه وقد ذكر الشعراء ذلك في أشعارهم كثيرا فقال أبو تمام الطائي الشاعر المشهور من جملة قصيدة طويلة

فردت علينا الشمس والليل راغم * بشمس لها من جانب الخدر مطلع

نضا ضوءها صبغ الدجنة وانطوى * لبهجتها ثوب السماء المجزع

فوالله ما أدري أأحلام نائم * ألمت بنا أم كان في الركب يوشع

وقال أبو العلاء المعري من جملة قصيدة طويلة أيضا

ويوشع رد بوحا بعض يوم * وأنت متى سفرت رددت بوحا

وبوح بضم الباء الموحدة وسكون الواو وبعدها حاء مهملة اسم من أسماء الشمس وكذلك يوح بالياء المثناة من تحتها وأريحا بفتح الهمزة وكسر الراء ثم ياء ساكنة وبعدها حاء مهملة ثم ألف مقصورة بلدة بين القدس والشريعة من أرض الشام وهي قرية

من

من مدائن لوط عليه السلام والرمادى بفتح الراء والميم وبعد الالف دال مهملة وبعدها ياء النسب هذه النسبة الى الرمادة قال ياقوت الحموى فى كتابه الذى سماه المشترك وضعا المختلف صقعا فى باب الرمادة الرمادة عشرة مواضع وعدّها فقال الثالث رمادة المغرب ينسب اليها يوسف بن هارون الكندى الرمادى الشاعر القرطبي وكلع بفتح الكاف واللام وبعدها عين مهملة وهى مقبرة قرطبه والله أعلم وذكر ابن سعيد فى كتاب المغرب فى اشعار أهل المغرب ان الرمادى المذكور اكتسب صناعة الادب من شيخه أبى بكر يحيى بن هذيل الكفيف أعلم ادباء الاندلس وهو القائل

لا تلمنى على الوقوف بدار * أهلها صيروا السقام ضجيعى

جعلوا لى الى هواهم سبيلا * ثم سدوا علىّ باب الرجوع

ثم قال وتوفى يحيى بن هذيل المذكور فى سنة ست او خمس وثمانين وثلثمائة وهو ابن ست وثمانين سنة رحمه الله تعالى

يوسف بن درّة الشاعر المشهور المعروف بابن الدرّى الموصلى الاصل

كان شابا ذكيا ذكره أبو شجاع محمد بن على بن الدهان فى تاريخه وقال انه هلك مع الحاج سنة خمس وأربعين وخمسمائة لما خرجت عليهم زعب وقد ذكره عماد الدين الكاتب الاصبهانى فى كتاب خريدة القصر وذكره أبو المعالى سعد بن على الحظيرى المقدم ذكره فى كتاب زينة الدهر ومن مشهور شعره قوله فى رجل ارجل وقد احسن فيه

مدور الكعب فاتخذه * لليل عرس وذل عرش

لو نظرت عينه الثريا * اخرجها من بنات نعش

وله غير هذا اشياء حسنة قال شيخنا الحافظ عز الدين أبو الحسن على بن محمد المعروف بابن الاثير الجزرى فى مختصر كتاب الحافظ أبى سعد عبد الكريم بن السمعانى الذى عمله فى الانساب ما مثاله (قلت) الزعبى بكسر الزاى وسكون العين المهملة وآخره باء موحدة نسبة الى زعب بن مالك بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم بطن مشهور من سليم وهذه زعب هى التى اخذت الحاج سنة خمس وأربعين وخمسمائة فهلك منهم خلق كثير عظيم قتلا وجوعا وعطشا ثم ان الله تعالى رمى زعبا بالقلة والذلة بعده الى الان ودرّة بضم الدال المهملة والدرّى بفتحها وتشديد الراء وبعدها ألف مقصورة

أبو المحاسن يوسف بن اسماعيل بن على بن أحمد بن الحسين بن ابراهيم المعروف بالشوّاء الملقب شهاب الدين الكوفى الاصل الحلبى المولد والمنشأ والوفاة

كان أديبا فاضلا متقنا لعلم العروض والقوافى شاعرا يقع له فى النظم معان بديعة فى البيتين والثلاثة وله ديوان شعر كبير يدخل فى أربع مجلدات وكان زيه على زى

الحلبيين الاوائل فى اللباس والعمامة المشقوقة وكان كثير الملازمة لحلقة الشيخ تاج الدين أبى القاسم أحمد بن هبة الله بن سعد بن سعيد بن المقاد المعروف بابن الجبرانى الحلبى النحوى اللغوى الفاضل وأكثر ما أخذ الادب عنه وبصحبته انتفع وعاشر التاج ابا الفتح مسعود بن أبى الفضل النقاش الحلبى الشاعر المشهور زمانا وتخرج عليه فى عمل الشعر وكان بينى وبينى الشهاب الشواء مودة أكيدة ومؤانسة كثيرة ولنا اجتماعات فى مجالس نتذاكر فيها الادب وأنشدنى كثيرا من شعره ومازال صاحبى منذ اواخر سنة ثلاث وثلاثين وستمائة الى حين وفاته وقبل ذلك كنت اراه قاعدا عند ابن الجبرانى المذكور فى موضع تصدره فى جامع حلب وكان يكثر التمشى فى الجامع أيضا على جارى عادتهم فى ذلك كما يعملون فى جامع دمشق ولم يكن بيننا اذ ذاك معرفة وكان حسن المحاورة مليح الايراد مع السكون والتأنى واول شئ أنشدنى من شعره قوله

هاتيك يا صاح ربا لعلع * ناشدتك الله فعرج معى
وانزل بنا بين بيوت النقا * فقد غدت آهلة المربع
حتى نطيل اليوم وقفا على الـ * ـساكن أو عطفا على الموضع

وأنشدنى لنفسه أيضا

ومهفهف عنى الزمان بخده * فكساه ثوبى ليله ونهاره
لامهدت عذرى محاسن وجهه * ان غض عندى منه غض عذاره

وأنشدته يوما فى اثناء مناشدة جرت بيننا قول شرف الدين أبى المحاسن المعروف بابن عنين الدمشقى المقدم ذكره فى صدر برهان المعروف بابن مارة البخارى وقيل السرخسى

مال ابن مارة دونه لعفاته * خرط القتاد اومنال الفرقد
مال لزوم الجمع يمنع صرفه * فى راحة مثل المنادى المفرد

فقال هذا ليس بجيد فقلت له ولم ذاك فقال ليس من شرط المنادى المفرد ان يكون مضموما ولابد قد يكون المنادى مفردا ولا يكون مضموما بان يكون نكرة غير معين كما تقول يا رجلا ولكن انا اعمل فى هذا شيئا ثم اننا اجتمعنا بعد ذلك فى الجامع وقال لى قد عملت فى ذلك المعنى شيأ فاسمعه ثم أنشد

لنا خليل له خلال * تعرب عن أصله الاخس
اضحت له مثل حيث كيف * وددت لو انها كامس

فقلت له هذا أيضا فيه كلام فقال وما هو فقلت حيث فيها لغات فن العرب من يبنيها على الضم ومنهم من يبنيها على الكسر ومنهم من يبنيها على الفتح وفيها لغات أخر غير هذه وأما امس فنهم من يبنيها على الكسر ومنهم من يقول انها اسم معرب لكنه لا ينصرف وأنشدوا على هذه اللغة

لقد رأيت عجبا مذ امسا * عجائزا مثل السعالى خمسا

هذا اذا كانت امس معرفة فاما اذا كانت نكرة فانها معربة قولا واحدا فسكت وكان كثيرا ما يستعمل العربية فى شعره فمن ذلك قوله ولا أدرى هل انشدنيه ام لا فانه أنشدنى شيأ كثيرا من شعره وما ضبطت كل ما أنشدنيه وكذلك كل شئ أذكره بعد هذا لا أتحقق الحال فى سماعى منه فاورده مهملا فمن ذلك قوله

وكنا خمس عشرة فى التئام * على رغم الحسود بغير آفه
فقد اصبحت تنوينا واضحى * حبيبى لا تفارقه الاضافه

وله أيضا فى غلام ارسل احد صدغيه وعقد الآخر

ارسل صدغا ولوى قاتلى * صدغا فاعيا بهما واصفه
فخلت ذا فى خده حية * تسعى وذا عقربا واقفه
ذا الف ليست لوصل وذا * واو ولكن ليست العاطفه

ومن هذا النمط ما أنشدنيه بهاء الدين زهير بن محمد الكاتب المقدم ذكره لنفسه من جملة أبيات وهو

عسى عطفة للوصل يا واو صدغه * على فانى اعرف الواو تعطف

ولابى المحاسن الشوا أيضا قوله

ناديت وهو الشمس فى شهرة * والجسم للخفية كالفئ
يا زاهيا اعرف من مضمر * صل واهيا انكر من لاشى

وله فى المديح

فتى فاق الورى كرما وباسا * عزيز الجار مخضر الجناب
ترى فى السلم منه غيث جود * وفى يوم الكريهة ليث غاب
اذا ما سل صارمه لحرب * اراك البرق فى كف السحاب

وله أيضا فى شخص لا يكتم السر

لى صديق غدا وان كان لا * ينطق الا بغيبة او محال
اشبه الناس بالصدى ان تحد * ثه حديثا أعاده فى الحال

وله أيضا

قالوا حبيبك قد تضوع نشره * حتى غدا منه الفضاء معطرا
فاجبتهم والخال يعلو خده * او ما ترون النار تحرق عنبرا

(قلت) وقد تقدم فى ترجمة يحيى بن نزار المنبجى عدة مقاطيع من شعر العماد الجلى وغيره وفيها الالمام بهذا المعنى ولابى المحاسن أيضا قوله

هواك يا من له اختيال * مالى على مثله احتمال
قسمة افعاله لحينى * ثلاثة ما لها انتقال
وعدك مستقبل وصبرى * ماض وشوقى اليك حال

وله أيضا

ان كان قد حيوه فى غيرة * منهم عليه فقد قنعت بذكره
كالمسك ضاع اما وضاع مكانه * عنا فاغنى نشره عن نشره

وله أيضا

فديت بنفسى رأس عين ومن فيها * وبيض السواقى حول زرق سواقيها
اذا راقنى منها جوارى عيونها * اراق دمى منها عيون جواريها

وله فى غلام قد ختن

هنأت من اهواه عند ختانه * فرحا وقلبى قد عراه وجوم
يفديك من ألم ألم بك امرؤ * يخشى عليك اذا ثناك نسيم
اممذبى كيف استطعت على الاذى * جلدا واجزع مايكون الريم
لولم تكن هذى الطهارة سنة * قد سنها من قبل ابراهيم
لملكت جهدى بالمزين اذ غدا * فى كفه موسى وانت كليم

ومعظم شعره على هذا الاسلوب وقد اوردت منه اغوذجا فيه كفاية وكان من الغالين فى التشيع وأكثر أهل حلب ما كانوا يعرفونه الا بابن الشوا والصواب نسبه هو الذى ذكرته ههنا وان اسمه يوسف وكنيته أبو المحاسن وبعد هذا رأيت فى كتاب عقود الجمان الذى وضعه صاحبنا الكمال ابن الشعار الموصلى وقد بنى ترجمة المذكور على يوسف وكنيته أبو المحاسن وكان صاحبه وأخذ عنه كثيرا من شعره وهو من أخبر الناس بحاله واعلم بذلك فى وقته وكان مولده تقريبا فى سنة اثنين وستين وخمسمائة فانه كان لا يتحقق مولده وتوفى يوم الجمعة تاسع عشر المحرم سنة خمس وثلاثين وستمائة بحلب ودفن بظاهرها بمقبرة باب انطاكية غربى البلد ولم احضر الصلاة عليه لعذر عرض لى فى ذلك الوقت رحمه الله تعالى فلقد كان نعم الصاحب وأما شيخه ابن الجبرانى المذكور فهو طائى بحترى وكان من قرية من اعمال عزاز يقال لها جبرين فورسطايا نسب اليها هكذا اخبر عن نفسه وكان متضلعا من علم الادب خصوصا اللغة فانها كانت غالبة عليه وكان متبحرا فيها وكان له تصدر فى جامع حلب فى المقصورة الشرقية المشرفة على صحن الجامع قبالة المقصورة التى يصلى فيها قضاة حلب يوم الجمعة ولقد كنت يوما قاعدا فى هذه المقصورة عند الدرابزين الذى الى جهة الصحن واذا به قد حضر ومعه جماعة من أصحابه وفيهم الشهاب أبو المحاسن الشوا المذكور وجلس فى المحراب الصغير الذى فى هذه المقصورة وهو موضع تصدره فجعلت بالى من كلامه وانا فى ذلك الوقت مشتغل بالادب فسمعته يتكلم فى قاعدة الافعال الثلاثية التى اولها واو وهى على فعل بكسر العين مثل وجل وغيره وان مضارعه فيه أربع لغات يوجل وييجل وياجل وييجل الا ماشذ من الافعال الثمانية التى هى ورم وورث وورع وورى وومق ووثق ووفق وولى فان

مضارعها أيضا بالكسر كما ضبطها وشذ من ذلك قولهم وسع يسع ووطئ يطا وانما يفتح هذان الفعلان في المضارع لاجل حرف الحلق واطال الكلام في ذلك بما لم اقدر على ضبطه في ذلك الوقت ولم اسمع منه غير هذا الفصل وكان مولده يوم الاربعاء الثاني والعشرين من شوال سنة احدى وستين وخمسمائة وتوفي يوم الاثنين سابع رجب من سنة ثمان وعشرين وستمائة بحلب ودفن في سفح جبل جوشن رحمه الله تعالى

أبو الحجاج يوسف بن محمد بن ابراهيم الانصاري البياسي أحد فضلاء الاندلس وحفاظها المتقنين

كان أديبا بارعا فاضلا مطلعا على اقسام كلام العرب من النظم والنثر وراويا لوقائعها وحروبها وايامها بلغني انه كان يحفظ كلام الحماسة تأليف أبي تمام المذكور وديوان أبي الطيب المتنبي وسقط الزند ديوان أبي العلاء المعري الى غير ذلك من الاشعار من شعر الجاهلية والاسلام وتنقل في بلاد الاندلس وطاف باكثرها ولما قدم من جزيرة الاندلس الى مدينة تونس جمع للامير أبي زكريا يحيى بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص عمر صاحب افريقية رحمهم الله تعالى أجمعين كتابا سماه الاعلام بالحروب الواقعة في صدر الاسلام ابتدأ فيه بمقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وختم بخروج الوليد بن طريف الشاري على هارون الرشيد ببلاد الجزيرة الفراتية وقد ذكرت ترجمة الوليد المذكور وخبره وما جرى له ومقتله على يد يزيد بن زائدة الشيباني وذكرت يزيد المذكور في ترجمة مستقلة أيضا قبل هذا واستوفيت القصة في الترجمتين ورأيت هذا الكتاب فطالعته وهو في مجلدين اجاد في تصنيفه وكلامه فيه كلام عارف بهذا الفن ورأيت له أيضا كتاب الحماسة في مجلدين وقد قرئت النسخة عليه وعليها خطه كتبه في أواخر شهر ربيع الآخر سنة خمسين وستمائة وقال في آخر الكتاب وكان الفراغ من تأليفه وترتيبه بمدينة تونس حرسها الله تعالى في شوال سنة ست وأربعين وستمائة ونقلت من أوله بعد الحمدلة ما مثاله أما بعد فاني قد كنت في أوان حداثتي وزمان شبيبتي ذا ولوع بالادب ومحبة في كلام العرب ولم ازل متتبعا لمعانيه ومفتشا عن قواعده ومبانيه الى ان حصلت لي جملة منه لا يسع الطالب المجتهد جهلها ولا يصلح بالناظر في هذا العلم الان يكون عنده مثلها وحملتني المحبة في ذلك العلم والولوع به على ان جمعت مما اخترته واستحسنته من اشعار العرب جاهليها ومخضرميها واسلاميها ومولدها ومن أشعار المحدثين من أهل المشرق والاندلس وغيرهم ما تحسن به المحاضرة وتجمل عليه المناظرة ثم اني رأيت ان بقاءها دون ان تدخل تحت قانون يجمعها وديوان يؤلفها موذن بذهابها ومؤد الى فسادها فرأيت ان اضم مختارها واجمع مستحسنها تحت أبواب تقيد نادرها وتضم نادرها فنظرت في ذلك فلم أجد اقرب تبويب ولا أحسن ترتيب مما بوبه ورتبه أبو تمام حبيب بن اوس رحمه الله تعالى في كتابه المعروف

بكتاب الحماسة وحسن الاقتداء به والتوخي بمذهبه لتقدمه في هذه الصناعة وانفراده منها بأوفر حظ وانفس بضاعة فانتحيت في ذلك مذهبه ونزعت منزعه وقرنت الشعر بما يجانسه ووصلته بما يناسبه وتممت ذلك واخترته على قدر استطاعتي وبلوغ جهدي وطاقتي (قلت) وأطال القول بعد هذا بما لا حاجة بنا الى ذكره ونقلت منه اشياء من ذلك ما ذكره في باب المراثي قال أبو علي القالي البغدادي أنشدنا أبو بكر ابن دريد قال أنشدنا أبو حاتم السجستاني

ألا في سبيل الله ماذا تضمنت • بطون الثرى واستودع البلد القفر

بدور اذا الدنيا دجت اشرقت بهم • وان اجدبت يوما فايديهم القطر

فيا شامتا بالموت لا تشمتن بهم • حياتهم فخر وموتهم ذكر

حياتهم كانت لاعدائهم عمى • وموتهم للفاخرين بهم فخر

اقاموا بظهر الارض فاخضر عودها • وصاروا ببطن الارض فاستوحش الظهر

ونقلت من باب النسيب قول العباس بن الاحنف

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه • وان كنت مظلوما فقل انا ظالم

فانك ان لم تغفر الذنب في الهوى • يفارقك من تهوى وانفك راغم

وقول الوأواء الدمشقي هكذا قال وظني انها لابي فراس بن حمدان والله أعلم

بالله ربكما عوجا على سكني • وعاتباه لعل العتب يعطفه

وعرضا بي وقولا في حديثكما • ما بال عبدك بالهجران تتلفه

فان تبسم قولا في ملاطفة • ما ضر لو بوصال منك تسعفه

وان بدا لكما من سيدي غضب • فغالطاه وقولا ليس نعرفه

وقول المجنون

تعلقت ليلى وهي غر صغيرة • ولم يبد للاتراب من ثديها حجم

صغيرين نرعى البهم ياليت اننا • الى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

البهم الصغار من أولاد الضان الواحدة بهمة بفتح الباء الموحدة وسكون الهاء وهذان البيتان يستدل بهما النحاة على انتصاب الحال من الفاعل والمفعول به معا بلفظ واحد فان صغيرين انتصب على الحال من التاء في قوله تعلقت وهي فاعلة ومن ليلى وهي مفعولة ومثله قول عنترة العبسي

متى ما تلقني فردين ترجف • روانف اليتيك وتستطارا

نصب فردين على الحال من ضمير الفاعل والمفعول في تلقني ذكره ابن الانباري في كتاب اسرار العربية في باب الحال وقول الوأواء الدمشقي أيضا ذكره في حماسة البياسي المذكور أيضا

وزائر راع كل الناس منظره • احلى من الامن عند الخائف الوجل

القى على الليل ليلا من ذوائبه * فهابه الصبح ان يبدو من الخجل
اراد بالقتل هجرى فاستجرت به * فاستل بالوصل روحى من يدى اجلى
فصرت فيه أمير العاشقين فقد * صارت ولاية أهل العشق من قبلى

وقال على بن عطيه البلنسى بن الزقاق

ومرتجة الاعطاف اماقوامها * فلدن واما ردفها فرداح
المت فزار الليل من قصر به * يطير وما غير السرور جناح
وبت وقد زارت بانعم ليلة * تعانقنى حتى الصباح صباح
على عاتقى من ساعديها حمائل * وفى خصرها من ساعدى وشاح

وقال أحمد بن الحسين بن خلف المعروف بابن البنا اليعمرى (قلت) هو المقدم ذكره فى ترجمة يوسف بن عبد المؤمن صاحب المغرب وكان قد اخرجه صاحب ميورقة وسيره فى البحر فساروا يومهم فهبت عليهم الريح فردتهم فقال

احبتنا الا لى عتبوا علينا * فأقصونا وقد ازف الوداع
لقد كنتم لنا جذلا وانسا * فهل فى العيش بعدكم انتفاع
اقول وقد صدرنا بعد يوم * اشوق بالسفينة ام نزاع
اذا طارت بنا حامت عليكم * كأن قلوبنا فيها شراع

وقال الواثق بالله وليس فيه غنا

ما كنت اعرف ما فى البين من حزن * حتى تنادوا بان قد جىء بالسفن
قامت تودعنى والدمع يغلبها * فجمجمت بعض ما قالت ولم تبن
مالت على تفديني وترشفنى * كما يميل نسيم الريح بالغصن
فاعرضت ثم قالت وهى باكية * ياليت معرفتى اياك لم تكن

وأورد فى باب القرى والاضياف والفخر والمديح قول أبى الحسن بن جعفر بن ابراهيم ابن الحجاج الاورقى

عجبا لمن طلب المحا * مد وهو يمنع ما لديه
ولباسط آماله * للمجد لم يبسط يديه
لم لا احب الضيف او * ارتاح من طرب اليه
والضيف يأكل رزقه * عندى ويحمدنى عليه

ومما ينسب الى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما انه قال حين كف بصره

ان يأخذ الله من عينى نورهما * ففى لسانى وقلبى منهما نور
قلبى ذكى وذهنى غير ذى دخل * وفى فمى صارم كالسيف مأثور

وذكر فى باب الهجاء والعتاب وما يتعلق بهما لابى العيالة أحمد بن مالك الشامى

اذم بغداد والمقام بها * من بعد ما خبرة وتجريب

ماعند ملاكها لمرتقب * رفد ولافرجة لمكروب
شلوا سبيل العلى لغيرهم * ومازعوا فى السوق والحوب
يحتاج راجى النجاح عندهم * الى ثلاث من بعد تقريب
كنوز قارون ان تكون له * وعمر نوح وصبر ايوب

وانشدنى أبو بكر محمد بن يحيى الصوفى لابى المطاف الكوفى صالح بن عبد الرحمن ابن نشيط

يا ابن الوليد أبن لنا * ان البيان له حدود
مالى أراك مسيا * أين السلاسل والقيود
أغلا الحديد بارضكم * ام ليس يضبطك الحديد

(قلت) الى ههنا نقلت من كتاب الحماسة المذكور وفيه كفاية اذ كان الغرض ايراد شئ من اخبار هذا الرجل ليستدل به على معرفته فى الشعر وكان مولده يوم الخميس الرابع عشر من شهر ربيع الاول سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة وتوفى يوم الاحد الرابع من ذى القعدة سنة ثلاث وخمسين وستمائة بمدينة تونس رحمه الله تعالى والبياسى بفتح الباء الموحدة والياء المشددة المثناة من تحتها هذه النسبة الى بياسة وهى مدينة كبيرة بالاندلس معدودة فى كورة جيان هكذا قاله ياقوت الحموى فى كتاب المشترك وضعا

أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب النحوى

قال أبو عبد الله المرزبانى فى كتابه المقتبس فى اخبار النحويين هو مولى ضبة وقيل هو مولى بنى ليث بن بكر بن عبد مناف بن كنانة وقيل مولى بلال بن هرمى من بنى ضبيعة بن بجالة وهو من أهل جبل ومولده سنة تسعين ومات سنة اثنتين وثمانين ومائة وكان يقول أذكر موت الحجاج وقيل مولده سنة ثمانين وقيل انه رأى الحجاج وعاش مائة سنة وسنتين وقيل عاش ثمانيا وتسعين سنة وقال غير المرزبانى أخذ يونس الادب عن أبى عمرو بن العلاء وحماد بن سلمة وكان النحو اغلب عليه وسمع من العرب وروى سيبويه عنه كثيرا وسمع منه الكسائى والفراء وله قياس فى النحو ومذاهب يتفرد بها وكان من الطبقة الخامسة فى الادب وكانت حلقته بالبصرة ينتابها الادباء وفصحاء العرب وأهل البادية قال أبو عبيدة معمر بن المثنى اختلفت الى يونس أربعين سنة أملا كل يوم الواحى من حفظه وقال أبو زيد الانصارى النحوى جلست الى يونس بن حبيب عشر سنين وجلس اليه قبلى خلف الاحمر عشرين سنة وقال يونس قال لى رؤبة بن العجاج حتام تسألنى عن هذه البواطل وازخرفها لك اماترى الشيب قد بلغ فى لحيتك وليونس من الكتب التى صنفها كتاب معانى القرآن الكريم وكتاب اللغات وكتاب الامثال وكتاب النوادر الصغير وقال اسحاق بن ابراهيم الموصلى عاش يونس

ثمانيا وثمانين سنة لم يتزوج ولم يتسر ولم تكن له همة الا طلب العلم ومحادثة الرجال وقال يونس لو تمنيت ان أقول الشعر لما تمنيت ان اقول الامثل قوى عدى ابن زيد العبادى

أيها الشامت المعير بالدهـ * ـر أأنت المبرأ الموفور

(قلت) وهذا البيت من جملة أبيات سائرة بين الادباء فيها مواعظ وعبر وبعد هذا البيت

ام لديك العهد القديم من الايام بل انت جاهل مغرور
من رأيت المنون جازته ام من * ذا عليه من أن يضام خفير
اين كسرى كسرى الملوك انوشر * وان ام اين قبله سابور
وبنوا الاصفر الكرام ملوك الـ * ـروم لم يبق منهمو مذكور
واخو الحضر اذبناه واذ دجـ * ـلة تجبى اليه والخابور
شاده مرمرا وجلله كلـ * ـسا فللطير فى ذراه وكور
لم يهبه صرف الزمان فباد * الملك عنه فبابه مهجور
وتفكر رب الخورنق اذ * اشرف يوما وللهدى تفكير
سره ملكه وكثرة ما يمـ * ـلك والبحر معرضا والسدير
فارعوى قلبه فقال وما غبـ * ـطة حى الى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والا * مة وارتهم هناك القبور
ثم صاروا كأنهم ورق جف * فألوت به الصبا والدبور

قلت وهذه الابيات تحتاج الى تفسير طويل ولو شرعت فيه لطال الكلام وخرجنا عن المقصود فان اكثرها يتعلق بالتاريخ وفيها شئ يتعلق بالادب فاقتصرت على الاتيان بالغرض وتركت الباقى خوفا من الاطالة فلعل الشرح يدخل فى أربع خمس كراريس وليس هذا موضعه وروى محمد بن سلام الجمحى عن يونس انه قال ما بكت العرب على شئ فى اشعارها كبكائها على الشباب وما بلغت كنهه فاتبع هذا الكلام منصور النميرى فقال من جملة قصيدة طويلة يمدح بها هارون بيتا وهو

ما كنت اوفى شبابى كنه عزته * حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع

وقال يونس تقول العرب فرقة الاحباب سقم الالباب وانشد

شيآن لو بكت الدماء عليهما * عيناى حتى يؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما * شرخ الشباب وفرقة الاحباب

وقال يونس لم يقل لبيد فى الاسلام سوى بيت واحد وهو

الحمد لله اذ لم يأتنى اجلى * حتى لبست من الاسلام سربالا

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى قدم جعفر بن سليمان العباسى من عند المهدى الخليفة

فبعث الى يونس بن حبيب فقال انا وامير المؤمنين اختلفنا فى هذا البيت

والشيب ينهض فى السواد كأنه ✽ ليل يصيح بجانبيه نهار

ما الليل والنهار فقال يونس الليل الليل الذى تعرف والنهار النهار الذى تعرف فقال زعم المهدى ان الليل فرخ الكروان والنهار فرخ الحبارى فقال أبو عبيدة القول فى البيت ما قاله يونس والذى قاله المهدى معروف فى الغريب من اللغة وقال يونس كان جبلة بن عبد الرحمن يخرج الى طباخه الرقاع يستدعى بها الطعام وفيها الالفاظ الغريبة الحوشية فلا يدرى الطباخ ما فيها حتى يمضى بها الى ابن أبى اسحاق ويحيى بن يعمر وغيرهما يفسرون ما فيها من الالفاظ فاذا عرف الطباخ ما فيها أتاه بما استدعاه فقال له يوما ويحك انى اصوم معك فقال له الطباخ سهل كلامك حتى يسهل طعامك فيقول يا ابن اللخناء أأدع عربيتى لعيك وكان يونس من أهل جبل وهى بلدة على دجلة بين بغداد وواسط وكان لا يؤثر أن ينسب اليها فلقيه رجل من بنى أبى عمير فقال له يا أبا عبد الرحمن ما تقول فى جبل اتنصرف ام لا فشتمه يونس فالتفت العميرى فلم ير احدا يشهد عليه حتى اذا كان من الغد وجلس للناس أتاه العميرى فقال يا أبا عبد الرحمن ما تقول فى جبل اتنصرف ام لا فقال له يونس الجواب ما قلته لك أمس وجبل بفتح الجيم وضم الباء الموحدة المشددة كذا قاله الحافظ بن السمعانى فى كتاب الانساب وهذه جبل منها أبو الخطاب الجبلى الشاعر المشهور ومن شعره قوله

كم جبت نحولك مهمه الولم يعن ✽ شوقى عليه لما قدرت أجوبه

وركبت اخطارا اليك مخوفة ✽ ولحبذا خطر اليك ركوبه

قال السمعانى وتوفى أبو الخطاب المذكور فى ذى القعدة سنة تسع وثلاثين وأربعمائة وكان بينه وبين أبى العلاء المعرى مشاعرة وكتب اليه أبو العلاء قصيدته التى اولها ✽ غير مجد فى ملتى واعتقادى ✽ (قلت) وهذا غلط منه بل كتبها أبو العلاء المعرى الى أبى حمزة الحسن بن عبد الله الفقيه الحنفى قاضى منبج كان وقد ذكر ذلك الفقيه القاضى كمال الدين عرف بابن العديم الحلبى وحبيب اسم امه ولهذا لا يصرفونه فانه لا يعرف له أب ويقال انه ولد ملاعنة ويقال انه اسم أبيه فينصرف والله أعلم وكذلك محمد بن حبيب النسابة أيضا ودخل يونس المسجد يوما وهو يتهادى بين اثنين من الكبر فقال له رجل كان يتهمه فى مودته بلغت ما أرى يا أبا عبد الرحمن فقال هو الذى ترى لا بلغته فاخذ هذا المعنى جماعة من الشعراء فنظموه وقال أبو الخطاب زياد بن يحيى مثل يونس كمثل كوز ضيق الرأس لا يدخله شئ الا بعسر فاذا دخله لم يخرج منه يعنى انه لا ينسى شيأ وقد ذكرت تاريخ مولده وموته فى أول الترجمة وقيل انه توفى سنة ثلاث وثمانين وقيل خمس وثمانين وقال عبد الباقى بن قانع سنة أربع وثمانين ومائة والله أعلم وقيل انه عاش ثمانيا وتسعين سنة رحمه الله تعالى

ابو

أبو موسى يونس بن عبد الاعلى بن موسى بن ميسرة بن حفص بن حيان الصدفي المصري الفقيه الشافعي

أحد أصحاب الشافعي رضي الله عنه والمكثرين في الرواية عنه والملازمة له وكان كثير الورع متين الدين وكان علامة في علم الاخبار والصحيح والسقيم لم يشاركه في زمانه في هذا أحد وقد سبق في هذا الكتاب ذكر حفيده أبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس وهو المنجم المشهور صاحب الزيج وكل واحد منهما امام في فنه وأخذ يونس القراءة عرضا عن ورش وسقلاب بن شيبة وبعلي بن دحية عن نافع وعن علي بن أبي كبشة عن سليم عن حمزة بن حبيب الزيات وسمع سفيان بن عيينة وعبد الله بن وهب المصري وروى القراءة عنه مواس بن سهل ومحمد بن الربيع واسامة ابن أحمد ومحمد بن اسحاق بن خزيمة ومحمد بن جرير الطبري وغيرهم وكان محدثا جليلا وذكره أبو عبد الله القضاعي في كتاب خطط مصر فقال كان من أفضل أهل زمانه وكان من العقلاء يروى عن الشافعي رضي الله عنه انه قال مارأيت بمصر اعقل من يونس بن عبد الاعلى وصحب الشافعي وأخذ عنه الحديث والفقه وحدث بهما عنه جماعة وله حبس في ديوان الحكم وعقب وله دار مشهورة في خطة الصدف مكتوب عليها اسمه وتاريخها سنة خمس عشرة ومائتين وكان أحد الشهود بمصر أقام شاهدا ستين سنة وذكر غير القضاعي ان يونس بن عبد الاعلى روى عنه الامام مسلم بن الحجاج القشيري وأبو عبد الرحمن النسائي وأبو عبد الله بن ماجه وغيرهم وقال أبو الحسن بن زولاق في كتاب اخبار قضاة مصر ان القاضي بكار بن قتيبة لما تولى قضاء مصر وتوجه اليها من بغداد لقي في طريقه محمد بن الليث قاضي مصر كان قبله بالجفار خارجا من مصر الى العراق مصروفا فقال له بكار أنا رجل غريب وأنت قد عرفت البلد فدلني على من اشاوره واسكن اليه فقال له عليك برجلين أحدهما عاقل وهو يونس بن عبد الاعلى فاني سعيت في دمه فقدر على حقن دمي والآخر أبو هارون موسى بن عبد الرحمن بن القاسم فانه رجل زاهد فقال له بكار صف لي الرجلين فقال له أما يونس فرجل طوال أبيض ووصفه ووصف موسى فلما دخل بكار مصر ودخل الناس اليه دخل شيخ فيه صفة يونس فرفعه بكار وأقبل يحدثه ويقول يا أبا موسى في كل حديثه فبينا بكار كذلك اذ قيل له قد جاء يونس فأقبل على الرجل وقال له يا هذا من أنت وما سكوتك كذا لو انشبت اليك سر الى ثم دخل يونس فاكرمه ورفعه وأتاه موسى بن عبد الرحمن فاختص بهما وأخذ برأيهما وقيل ان موسى المذكور اختص به القاضي بكار وكان يتبرك به لزهده فقال له يوما يا أبا هارون من أين المعيشة قال من وقف وقفه أبي فقال له بكار أيكفيك قال قد تكفيت به وقد سألني القاضي فاريد ان أسأله قال سل قال هل ركب القاضي دين بالبصرة حتى تولى بسببه القضاء قال لا قال فهل رزق ولدا احوجه

الى ذلك قال لا ما تبكيت قط قال فهل لك عيال كثيرة قال لا قال فهل أجبرك السلطان وعرض عليك العذاب وخوفك قال لا قال وضربت آباط الابل من البصرة الى مصر لغير حاجة ولا ضرورة لله على لا دخلت عليك أبدا فقال يا أبا هارون أقلني قال أنت بدأت بالمسألة ولو سكت لسكت ثم انصرف عنه ولم يعد اليه بعدها وقال يونس رأيت فى المنام قائلا يقول لى ان اسم الله الا كبر لا اله الا الله ونقلت من كتاب المتلم فى اخبار من سكن المقطم قال فى ترجمة يونس المذكور ومن حكاياته التى حكاها عن غيره ان رجلا جاء الى غماس فقال أسلفنى ألف دينار الى اجل فقال له الغماس من يضمن المبلغ قال الله تعالى فأعطاه الف دينار فسافر بها الرجل يتجر فلما بلغ الاجل أراد الخروج اليه فحبسه عدم الريح فعمل تابوتا وجعل فيه ألف دينار واغلقه وسمره وألقاه فى البحر وقال اللهم هذا الذى ضمنته لى خرج صاحب المال ينتظر قدوم الذى معه المال فرأى سوادا فى البحر فقال ائتونى بهذا فاتى بالتابوت ففتحه فاذا فيه الف دينار ثم ان الرجل جمع الفا بعد ذلك وطابت الريح فجاء الى الغماس وسلم عليه فقال له الغماس من أنت فقال أنا صاحب الالف هذه الفك فقال الغماس لا اقبلها منك حتى تخبرنى ما صنعت بها فاخبره بالذى صنع وان الريح لم تطب فقال له الغماس قد أدى الله عز وجل عنك الالف ووصلت وله اخبار كثيرة وروايات مأثورة وكان يونس يروى للشافعى رضى الله عنه

ما حك جلدك مثل ظفرك * فتول انت جميع أمرك
واذا قصدت لحاجة * فاقصد لمعترف بقدرك

وقال يونس قال لى الشافعى رضى الله عنه يا يونس دخلت بغداد فقلت لا قال ما رأيت الدنيا ولا رأيت الناس وقال يونس سمعت من الشافعى كلمة لا تسمع الا من مثله وهى رضى الناس غاية لا تدرك فانظر ما فيه صلاح نفسك فى امر دينك ودنياك فالزمه وقال على بن قديد كان يونس بن عبد الاعلى يحفظ الحديث ويقوم به وذكره أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسوى فقال هو ثقة وقال غيره ولد يونس فى ذى الحجة سنة سبعين ومائة وتوفى يوم الثلاثاء اليومين بقيا من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين ومائتين وهى السنة التى مات فيها المزنى رحمه الله تعالى وكانت وفاته بمصر ودفن فى مقابر الصدف وقبره مشهور بالقرافة وأما أبو عبد الاعلى فانه يكنى أبا سلمة وكان رجلا صالحا ومن كلامه من اشترى مالا يحتاج اليه باع ما يحتاج اليه وقال ولده يونس والامر عندى كما قال وتوفى عبد الاعلى المذكور فى المحرم سنة احدى ومائتين ومولده سنة احدى وعشرين ومائة وأما ابنه أبو الحسن أحمد بن يونس والد أبى سعيد عبد الرحمن ابن أحمد صاحب تاريخ مصر فان ابنه ابا سعيد عبد الرحمن بن أحمد ذكر فى تاريخه انه ولد فى ذى القعدة سنة أربعين ومائتين وتوفى يوم

الجمعة أول يوم من رجب سنة اثنتين وثلثمائة وقال هو عديد للصدف وليس من انفس الصدف ولا من مواليهم والصدف بفتح الصاد والدال المهملتين وبعدهما فاء هذه النسبة الى الصدف بكسر الدال وذكر السهيلي انه بكسر الدال وفتحها وانما فتحوا الدال في النسب مع كسرها في غير النسب كي لا يتوالى كسرتين قبل ياءين كما قالوا في النسبة الى النمر نمري وغير ذلك واختلفوا في اسم الصدف فقيل هو مالك ابن سهيل بن عمرو بن قيس هكذا قاله القضاعي في كتاب الخطط وزاد السمعاني في كتاب الانساب على هذا النسب فقال الصدف بن سهيل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن حيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن ايمن بن هميسع بن حمير بن سبا وقال الدارقطني واسم الصدف سهال بن دعمي بن زياد بن حضرموت وقال الحازمي في كتاب العجالة في النسب هو عمرو بن مالك والله أعلم وقال القضاعي دعوتهم مع كندة وانما سمى الصدف لانه صدف بوجهه عن قومه حين أتاهم سيل العرم فاجمعوا على ردمه فصدف عنهم بوجهه تلقاء حضرموت فسمى الصدف وقيل انما سمى الصدف لانه كان رجلا شجاعا لا يذعن لاحد من العرب فبعث اليه بعض ملوك غسان رسولا ليقدم به عليه فعدا على الرسول فقتله وخرج هاربا فبعث الملك اليه رجلا في خيل عظيمة فكان كلما جاء حيا من احياء العرب سال عن الصدف فيقولون صدف عنا وما رأيناه وتجهنا فسمى الصدف من يومئذ ثم لحق بكندة فنزل فيهم قال ارباب علم النسب اكثر الصدف بمصر وبلاد المغرب والله أعلم (قلت) قد خرجنا عن المقصود لكنه ما يخلو من فائدة

رضي الدين

يونس بن محمد بن منعة بن مالك بن محمد بن سعد بن سعيد بن عاصم بن عائذ بن كعب بن قيس الملقب رضي الدين الاربلي والد الشيخين عماد الدين أبي حامد محمد وكمال الدين أبي الفتح موسى وقد تقدم ذكرهما

(قلت) هكذا وجدت نسبه بخط بعض أصحابنا المتأدبين ولم أعلم من أين له هذه الزيادة والذي اعرفه من نسبه هو الذي ذكرته في ترجمة ولديه والله أعلم كان الشيخ يونس المذكور من أهل اربل ومولده بها وقدم الموصل فتفقه بها على تاج الاسلام أبي عبد الله الحسين بن نصر المعروف بابن خميس الكعبي الجهني المقدم ذكره وسمع عليه كثيرا من كتبه ومسموعاته ثم انحدر الى بغداد وتفقه بها على الشيخ أبي منصور سعيد بن محمد بن عمر المعروف بابن الرزاز مدرس النظامية ثم أصعد الى الموصل وتديرها وصادف بها قبولا تاما عند المتولي بها الامير زين الدين أبي الحسن علي بن بكتكين والد الملك المعظم مظفر الدين صاحب اربل المقدم ذكره في حرف الكاف وفوض له تدريس مسجده المعروف به وجعل نظره اليه فكان يدرس ويفتي ويناظر وتقصده الطلبة

للاشتغال عليه والمباحثة مع ولديه المذكورين ولم يزل على قدم الفتوى والتدريس والمناظرة الى ان توفي بالموصل يوم الاثنين سادس المحرم سنة ست وسبعين وخمسمائة وسمعت بعض خواصهم يقول توفي سنة خمس وسبعين واما ولده الشيخ كمال الدين فكان يقول بل توفي سنة ست وسبعين وهو أعلم بذلك ودفن بتربته المجاورة لمسجد زين الدين المذكور رحمه الله تعالى وكان عمره ثمانيا وستين سنة وقد تقدم ذكر حفيده أيضا شرف الدين أحمد بن الشيخ كمال الدين موسى بن يونس المذكور رحمهم الله تعالى وعلى الجملة فانه خرج من بيتهم جماعة من الفضلاء واشتغل عليهم أهل تلك البلاد وغيرهم وكانوا مقصودين من بلاد العراق والعجم وغيرها رحمهم الله تعالى أجمعين وله شعر فمن ذلك قوله

لها زورة في كل عام ونارة ... تمر شهور الحول لا تتجمع

وصال وصد لا لشيء سوى انها ... على خلق الدنيا تجود وتمنع

وله غير ذلك والله أعلم

يونس بن يوسف بن مساعد الشيباني ثم المخارقي شيخ الفقراء اليونسية وهم منسوبون اليه ومعروفون به

كان رجلا صالحا وسألت جماعة من أصحابه عن شيخه من كان فقالوا لم يكن له شيخ بل كان مجذوبا وهم يسمون من لا شيخ له بالمجذوب يريدون بذلك انه جذب الى طريق الخير والصلاح ويذكرون له كرامات أخبرني الشيخ محمد بن أحمد بن عبيد كان قد رآه وهو صغير وذكر أن أباه أحمد كان صاحبه فقال كنا مسافرين والشيخ يونس معنا منزلنا في الطريق على عين بواروهي التي يجلب منها الملح البواري وهي بين سنجار وعانة قال وكانت الطريق مخوفة فلم يقدر أحد منا ان ينام من شدة الخوف ونام الشيخ يونس فلما انتبه قلت له كيف قدرت تنام فقال لي والله ما نمت حتى جاء اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام وتدرك القفل فلما أصبحنا رحلنا سالمين ببركة الشيخ يونس قال وعزمت مرة على دخول نصيبين وكنت عند الشيخ يونس في قريته فقال اذا دخلت البلد فاشتر لام مساعد كفنا قال وكانت في عافية وهي أم ولده فقلت له وما بها حتى نشتري لها كفنا فقال ما يضر فذكر انه لما عاد وجدها قد ماتت وذكر له غير هذا من الاحوال والكرامات وأنشد له مواليا وهو

انا حميت الحمى وانا سكنت فيه ... وانا رميت الخلائق في بحار التيه

من كان يبغي العطا مني أنا أعطيه ... وانا فتى ما أدالي من به تشبيه

وذكر لي الشيخ محمد المذكور ان الشيخ يونس توفي سنة تسع عشرة وستمائة في قريته وهي القنية من اعمال دارا وهي بضم القاف وفتح النون وتشديد الياء المثناة من تحتها تصغير قناة وقبره مشهور بها يزار وكان قد ناهز تسعين سنة من عمره رحمه الله تعالى

(قال المصنف ما مثاله)

نجز الكتاب الذى هيته وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان بحمد الله ومنه وذلك فى اليوم الثانى والعشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وسبعين وستمائة بالقاهرة المحروسة يقول الفقير الى الله تعالى أحمد بن محمد بن ابراهيم بن خلكان مؤلف هذا الكتاب انى كنت شرعت فى هذا الكتاب فى التاريخ المذكور فى اوله على الصورة التى شرحتها هنالك مع استغراق الاوقات فى فصل القضايا الشرعية والاحكام الدينية بالقاهرة المحروسة فلما انتهيت فيه الى ترجمة يحيى بن خالد بن برمك حصلت لى حركة الى الشام المحروس فى خدمة الركاب العالى المولوى السلطانى الملكى الظاهر ركن الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين أبى الفتح بيبرس قسيم أمير المؤمنين خلد الله سلطانه وشيد بدوام دولته قواعد الملك وثبت أركانه وكان الخروج من القاهرة المحروسة يوم الاحد سابع شوال سنة تسع وخمسين وستمائة ودخلنا دمشق يوم الاثنين سابع ذى القعدة من السنة المذكورة وقلدنى الاحكام بالبلاد الشامية يوم الخميس ثامن ذى الحجة من السنة المذكورة فترا كمت الاشغال وكثرت الموانع الصارفة عن اتمام هذا الكتاب فاقتصرت على ما كنت قد اثبته من ذلك وختمت الكتاب واعتذرت فى آخره بهذه الشواغل عن اكماله وقلت ان قدر الله تعالى مهلة فى الاجل وتسهيلا فى العمل أستانف كتابا يكون جامعا لجميع ما تدعو الحاجة اليه فى هذا الباب ثم حصل الانفصال عن الشام والرجوع الى الديار المصرية وكان مدة المقام بدمشق المحروسة مدة عشر سنين كوامل لا تزيد يوما ولا تنقص يوما فانى دخلتها فى التاريخ المذكور وخرجت منها بكرة يوم الخميس ثامن ذى القعدة من سنة تسع وستين وستمائة فلما وصلت الى القاهرة صادفت فيها كتبا كنت اوثر الوقوف عليها وما كنت اتفرغ لها فلما صرت افرغ من حجام ساباط بعد أن كنت أشغل من ذات النحيين كما يقال فى هذين المثلين طالعت تلك الكتب وأخذت منها حاجتى ثم قصدت لاتمام هذا الكتاب حتى كمل على هذه الصورة وانا على عزم الشروع فى الكتاب الذى وعدت به ان قدر الله تعالى ذلك والله يعين عليه ويسهل الطرق المؤدية اليه فمن وقف على هذا الكتاب من أهل العلم ورأى فيه شيأ من الخلل فلا يعجل بالمؤاخذة فيه فانى توخيت فيه الصحة حسبما ظهر لى مع انه كما يقال ابى الله ان يصح الا كتابه لكن هذا جهد المقل و بذل الاستطاعة وما يكلف الانسان الا ما تصل قدرته اليه وفوق كل ذى علم عليم وقد تقدم فى أول هذا الكتاب الاعتذار عن الدخول فى هذا الامر والحامل عليه فأغنى عن الاعادة ههنا والله يستر عيوبنا بكرمه الضافى ولا يكدر علينا ما منحنا من مشرع عطائه النمير الصافى ان شاء الله تعالى بمنه وكرمه

قوله وفى يجوز كـ

•(ترجمة مؤلف هذا الكتاب جمعها الفقير نصر الهوريني من عدة كتب)•

هو من بيت كبير بناحية اربل مدينة بالعراق على الشاطئ الشرقي من نهر دجلة بالقرب من الموصل من جهتها الشرقية وذكره ابن كثير في تاريخه البداية والنهاية فيمن توفي من الاعيان سنة ٦٨١ احدى وثمانين وستمائة فقال

ابن خلكان قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن أبي بكر ابن خلكان الاربلي الشافعي أحد الائمة الفضلاء والسادة العلماء والصدور الرؤساء وهو اول من جدد في ايامه قضاة القضاة من بقية المذاهب فاستقلوا بالاحكام بعد ما كانوا يكونون من نوابه وقد عزل بابن الصائغ ثم اعيد الى الحكم بعد سنين ثم اعيد ابن الصائغ كما تقدم بيانه وولي التدريس بعدة مدارس لم تجتمع لغيره ولم يبق معه في آخر وقته سوى الامينية وبيد ابنه كمال الدين موسى تدريس النجيبية وكانت وفاته بالمدرسة النجيبية المذكورة يوم السبت آخر النهار السادس والعشرين من رجب ودفن من الغد بسفح قاسيون عن ثلاث وسبعين سنة وقد كان له نظم حسن رائق ومحاضرته في غاية الحسن وله التاريخ المفيد الذي رسمه بوفيات الاعيان من أكبر المصنفات اه وقال المؤلف نفسه في ترجمة أم المؤيد النيسابورية ما نصه ولنا منها اجازة كتبتها هي في بعض شهور سنة عشر وستمائة ومولدي يوم الخميس بعد صلاة العصر حادي عشر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستمائة بمدينة اربل بمدرسة سلطانها الملك المعظم مظفر الدين بن زين الدين رحمهما الله وقال أيضا في ترجمة عبد الاول الهروي انه سمع صحيح البخاري سنة احدى وعشرين وستمائة بمدينة اربل على الشيخ الصالح ابن هبة الله الذي ذكر بعد أنه توفي في محرم اول السنة المذكورة وكان والد المؤلف متولي التدريس بمدرسة الملك المعظم المذكورة الى ان توفي سنة عشر وستمائة كما ذكره هو في ترجمة أحمد بن كمال الدين وخرج المؤلف من بلده اربل سنة ٦٢٦ كما ذكره هو في ترجمة عيسى بن سنجر ودخل حلب في أواخر السنة المذكورة وأقام فيها سنين وكان في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة مقيما بدمشق وفي سنة ٦٣٧ كان مقيما بمصر كما ذكره في ترجمة أحمد بن خطاب الاربلي وذكر أيضا بعض أحواله مع السلطان بيبرس في خاتمة هذا التأليف وبالجملة من تتبع كتابه هذا وتصفحه يعلم احواله واطواره وتنقلاته ثم رأيت ابن الكتبي صاحب كتاب فوات الوفيات المتوفى سنة ٧٦٤ ترجمه فقال

مولانا قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان الاربلي الشافعي تولى قضاء الشام ثم عزل عنها بابن الصايغ ثم عزل ابن الصايغ بعد سبع سنين به وكان يوما مشهودا وجلس في منصب حكمه وتكلم الشعراء فقال الشيخ رشيد الدين الفارقي

أنت فى الشام مثل يوسف فى مصـــر وعندى ان الكرام جناس
ولكل سبع شداد وبعد السبع عام فيه يغاث الناس

وقال سعد الدين الفارقى

اذقت الشام سبع سنين جدبا * غداة هجرته هجرا جميلا
فلما زرته من أرض مصر * مددت عليه من كفيك نيلا

وقال نور الدين بن مصعب

رأيت أهل الشام طرا * ما فيهم قط غير راض
نالهم الخير بعد شر * فالوقت بسط بلا انقباض
وعوضوا فرحة بحزن * مذ أنصف الدهر فى التقاضى
وسرهم بعد طول غم * قدوم قاض وعزل قاض
فكلهم شاكر وشاك * بحال مستقبل وماض

وكان له ميل الى بعض أولاد الملوك وله فيه أشعار رائقة يقال انه أول يوم زاره بسط له الطرحة وقال له ما عندى أعز من هذه طأ عليها ولما فشا أمرهما وعلم به أهله منعوه الركوب فقال ابن خلكان

ياسادتى انى قنعت وحقكم * فى حبكم منكم بأيسر مطلب
ان لم تجودوا بالوصال تعطفا * ورأيتم هجرى وفرط تجنبى
لا تمنعوا عينى القريحة ان ترى * يوم الخميس جمالكم فى الموكب
لو كنت تعلم ياحبيبى ما الذى * ألقاه من كمد اذا لم تركب
لرحمتنى ورثيت لى من حالة * لولاك لم يك حملها من مذهبى
ومن البلية والرزية اننى * اقضى وما تدرى الذى قد حل بى
قسما بوجهك وهو بدر طالع * وبليل طرتك التى كالغيهب
وبقامة لك كالقضيب ركبت من * اخطارها فى الحب أعظم مركب
وبطيب مبسمك الشهى البارد العذب النمير اللؤلؤى الاشنب
لولم أكن فى رتبة أرعى لها العهد القديم صيانة للمنصب
لهتكت سرى فى هواك ولذلى * خلع العذار ولو ألح مؤنبى
لكن خشيت بان تقول عواذلى * قد جن هذا الشيخ فى هذا الصبى
فارحم فديتك حرقة قد قاربت * كشف القناع بحق ذيالك النبى
لا تفضحن بحبك الصب الذى * جرعته فى الحب أكدر مشرب

قال القاضى جمال الدين عبد القاهر التبريزى كان الذى يهواه القاضى شمس الدين بن خلكان الملك المسعود بن المظفر صاحب حماة وكان قد تيمه حبه وكنت انا عنده فى العادلية فتحدثنا فى بعض الليالى الى أن راح الناس من عنده فقال نم أنت ههنا والقى على فروة

هذه الواقعة مما هنا فى كتاب تزيين داود الانطاكى

وقام يدور حول البركة في بيت العادلية ويكرر هذين البيتين الى أن أصبح وتوضينا وصلينا والبيتان المذكوران هما

اما والله هالك * آيس من سلامتي
أو أرى القامة التي * قد أقامت قيامتي

ويقال انه سأل بعض أصحابه عما يقوله أهل دمشق فيه فاستعفاه فألح عليه فقال يقولوا انك تكذب في نسبك وتأكل الحشيشة وتحب الصبيان فقال اما النسب والكذب فيه فاذا كان لابد منه كنت انتسب الى العباس أو الى علي بن أبي طالب أو الى واحد من الصحابة واما النسب الى قوم لم يبق لهم بقية وأصلهم قوم مجوس فما فيه فائدة واما الحشيشة فالكل ارتكاب محرم واذا كان ولابد فكنت أشرب الخمر لانه ألذ واما محبة الغلمان فالى غد أجيبك عن هذه المسئلة وذكره الصاحب كمال الدين ابن العديم ونسبه الى البرامكة ومن شعره أيضا

وسرب ظباء في غدير تخالهم * بدورا بأفق الماء تبدو وتغرب
يقول عذولي والغرام مصاحبي * أمالك عن هذي الصبابة مذهب
وفي دمك المطلول خاضوا كما ترى * فقلت لهم دعهم يخوضوا ويلعبوا

وقال أيضا مضمنا

كم قلت لما اطلعت وجناته * حول الشقيق الغض روضة آس
اعذاره الساري العجول بخده * ما في وقوفك ساعة من باس

وقال أيضا

لما بدا العارض في خده * بشرت قلبي بالسلو المقيم
وقلت هذا عارض ممطر * فجاءني فيه العذاب الاليم

وقال أيضا

وما سر قلبي منذ شطت بك النوى * نعيم ولا لهو ولا متصرف
ولا ذقت طعم الماء الا وجدته * سوى ذلك الماء الذي كنت أعرف
ولم أشهد اللذات الا تكلفا * واي سرور يقتضيه التكلف

وقال أيضا

أحبابنا لو لقيتم في اقامتكم * من الصبابة ما لقيت في ظعني
لاصبح البحر من أنفاسكم يبسا * والبر من أدمعي ينشق بالسفن

وقال أيضا

تمثلتم لي والديار بعيدة * فخيل لي ان الفؤاد لكم مغنى
وناجاكم قلبي على البعد والنوى * فأوحشتم لفظا وآنستم معنى

وقال أيضا

انظر الى عارضه فوقه * لحاظه يرسل منها الحتوف
تعاين الجنة في خده * لكنها تحت ظلال السيوف

وقال في ملاح أربعة يلقب أحدهم بالسيف

ملاك بلدتنا بالحسن أربعة * بحسنهم في جميع الخلق قد فتكوا
تملكوا مهج العشاق وافتخروا * بالسيف قلبي ولولا السيف ما ملكوا

وقال أيضا

الا ياساريا في فقد عمرو * يقاسي في السرى حزنا وسهلا
قطعت نقا المشيب وجزت عنه * وما بعد النقا الا المصلى

وقال أيضا

أي ليل على المحب اطاله * سائق الظعن يوم زم جماله
يزجر العيس طاويا يقطع السـ * ـمهمه عسفا سهوله ورماله
ايها السائق المجد ترفق * بالمطايا فقد سئمن الرحاله
وأنخها هنيهة وأرحها * قد براها فرط السرى والكلاله
لاتطل سيرها العنيف فقد * برح بالصب في سراها الاطاله
قد تركتم وراءكم حلف وجد * باديا في محاكم اطلاله
يسال الربع عن ظباء المصلى * ما على الربع لو أجاب سؤاله
ومحال من المحيل جواب * غير ان الوقوف فيها علاله
هذه سنة المحبين يبكو * ن على كل منزل لامحاله
يا ديار الاحباب لازالت الأدمع في ترب ساحتيك منهاله
وتمشى النسيم وهو عليل * في مغانيك ساحبا أذياله
أين عيش مضى لنا فيك ما * أسرع عنا ذهابه وزواله
حيث وجه الشباب طلق نضير * والتصابي غصونه ميالة
ولنا فيك طيب أوقات أنس * ليتنا في المنام نلقى مثاله
وبأرجاء جوك الرحب سرب * كل عين تراه تهوى جماله
من فتاة بديعة الحسن ترنو * من جفون لحاظها مقتاله
ورخيم الدلال حلو المعاني * تتثنى أعطافه مختاله
ذوقوام تود كل غصون الـ * ـبان لو أنها تحاكي اعتداله
وجهه في الظلام بدر تمام * وعذاراه حوله كالهاله
ظبية تبهر العيون جمالا * وغزال تغار منه الغزاله
يا خليلي اذا أتيت ربى الجر * عا وعاينت روضه وظلاله
قف به ناشدا فؤادي فلي ثم * نوار أخشى عليه ضلاله

وبأعلى الكثيب بيت أغض الطرف عنه مهابة وجلاله
كل ما جئته لاسأل عنه * أظهر التيه غيرة وتباله
اما ادري به ولكن صونا * أتعامى عنه وأبدي جهاله
منزل حبه علي قديم * في زمان الصبا وعصر البطاله
يا عريب الحي اعذروني فاني * ما تجنبت أرضكم عن ملاله
حاش لله غير اني أخشى * من عدو يسيء فيما المقاله
فتأخرت عنكم فانعموا * طيفكم في المنام يهدي خياله
اتمنى في النوم زور خيال * والا ماني اطماعها قتاله
يا أهيل النقا وحق ليالي الـ * ـوصل ما صبوتي عليكم ضلاله
لي مذ غبتمو عن العين نار * ليس تخبو وأدمع هطاله
فصلوا ان شئتم أو تصدوا * لا عدمنا كم على كل حاله

وقال أيضا

يا رب ان العبد يخفي عيبه * فاستر بحلمك ما بدا من عيبه
ولقد أتاك وما له من شافع * لذنوبه فاقبل شفاعة شيبه

وقال أيضا

اعد متني بالجور يا فاتر المقل * فصح وجدي على مابي من العلل
وملت عني الى الواشي فلا عجبا * والغصن مازال مطبوعا على الميل
يا واحد الحسن عدني زورة حلما * وهاديى ان نومي قد جفا مقلي
يا جيرة بأعالي الخيف من اضم * خيمتم عندنا كم في الهوى أملي
وملتمو بجميل الصبر عن دنف * أجل ما تم في شرعة الاجل
تجري عليه متى غبتم مدامعه * وما عسى ينفع الباكي على طلل

وقال أيضا

ايا غادرا خانت مواثيق عهده * لقد جرت في حكم الغرام على الصب
وأقصيته من بعد انس وصحبة * وما هكذا فعل الاحبة والصحب
فلله ايا ما تقضت حميدة * بقربك واللذات في المنزل الرحب
واذ أنت في عيني ألذ من الكرى * واشهى الى قلبي من البارد العذب
فلهفي على ذاك الزمان الذي غدت * عليه دموع العين دائمة السكب
ومذ صرت ترميني بقول ملفق * وتظهر لي سلما أشد من الحرب
ثنيت عناني عن هواك زهادة * وان كنت في أعلى المراتب من قلبي
لاني رأيت القلب عندك ضائعا * تعذبه كيف اشتهيت بلا ذنب
ولم تحفظ الود الذي هو بيننا * ولم ترع أسباب المودة والحب

ولا انت فى قيد المحب اذا غدا * يقلبه الاشواق جنبا الى جنب
ولا انت ممن يرعوى لمقالتى * فأشفى قلبى بالشكية والعتب
ولا رمت منك القرب الا جفوتنى * وابعدتنى حتى ايست من القرب
واصغيت للواشى وصدقت قوله * وضيعت ما بينى وبينك بالكذب
فلم يبق لى والله فيك ارادة * كفانى الذى قاسيت فيك من الحب
ولا لى فى حبيك ما عشت رغبة * ابى الله ان تسبى فؤادى او تصبى
ومن ذا الذى يقوى على حمل بعض ما * تجرعته بالذل من خلقك الصعب
فلا ترج منى بعد ذا حسن صحبة * فحسبى سلوا بعض ما قلته حسبى
فلا تعتبنى قد قطعت مطامعى * وخففت حتى فى الرسائل والكتب

وقال فى المعنى

ايا معرضا عنى بغير جناية * اما تستحى من فرط تيهك والعجب
سلوتك فاصنع ما تشاء فانه * محا كثرة التقبيح حبك من قلبى

يقول المتوسل الى ربه بالجاه النبوى محمد ابن المرحوم الشيخ عبد الرحمن قطة العدوى مصحح الكتب والوقائع العربيه بدار الطباعة الميرية المصريه يسر الله تعالى له الامور وضاعف له الاحسان والاجور لاشك أن علم التاريخ من اجل ما فيه رغب واعظم ما يلتمس ويطلب لما تضمنه من الفوائد الجليله واشتمل عليه من العوائد الجميله كيف لا وبه تعرف احوال الاوائل ويمتاز المفضول من الفاضل ويطلع على ما كانوا عليه من الاخلاق والعوائد ويفرق بين الصحيح منها والفاسد ويعرف الغث من السمين والرخيص من الثمين لان هذا الفن قيد منها الاوابد ورد النادّ والشارد فاذا وقف العاقل عليه وأمعن التأمل فيه والنظر اليه تخلق من تلك الاخلاق بما يستحسن ويمدح وتجنب ما كان منها يذم ويستقبح فياله من فن أزهرت افنانه واورقت اغصانه وعذبت مجانيه وعمرت باللطائف مغانيه وعم نفعه وطاب أصله وفرعه وان من اجل ما ألف فيه وألطف ما سلكه مقتفيه كتاب وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان للقاضى شمس الدين بن خلكان فانه مع صغر حجمه ولطف جرمه جمع من تواريخ مشاهير الرجال وفحول الاعصر الاسلامية الطوال وذكر طرف أخبارهم وملح نوادرهم وأشعارهم ما فيه مقنع للراغب وكفاية للطالب فلعمرى ان طبعه فى هذا العصر بمطبعة مصر يعد من ميامن الايام السعيديه ومحاسن مآثر الدولة الداوريه لازال جميل آثارها يتجدد بتجدد الايام وجزيل مكارمها تنفد دونه المحابر والاقلام ونيل نوالها يغمر الحاضر

والبادى ويعم الراجح والغاذى ولا برح انتظام جنودها وانتشار أعلامها وبنودها
يترنم بذكره الملاح والحادى ويخشى سطوته الحساد والاعادى وكان طبع هذا
الكتاب الكثير النفع للطلاب على ذمة الشيخ بكرى الحلبى أحد العلماء والافاضل
النجباء تحت ملاحظة ناظر دار الطباعة المصريه رب الفصاحة والبلاغة والالمعيه
من بلغت بحسن ادارته على محور الاعتدال شأو الفخار وازدادت شهرتها فى سائر
الآفاق والاقطار حضرة على افندى جوده أجزل الله تعالى له عطاءه ورفده
وكان تصحيح الجزء الاول منه ماعدا خمس ملازم بمعرفة الفقير الذى
هو بعونه تعالى مواظب على القيام بواجبات وظيفته وملازم وأما الجزء
الثانى وبه تمام الكتاب هذا التمام فكان تصحيحه بمعرفة الشيخ
الفاضل نصر الهورينى مصحح كتب الالتزام وقد وافق
انتهاء طبعه وحسن تمثيله ووضعه أواخر ذى الحجة
الحرام آخر شهور سنة ١٢٧٥ خمس وسبعين
ومائتين بعد الالف من هجرة سيد الانام
عليه وعلى آله وأصحابه أفضل
الصلاة وأتم السلام
ما أشرقت شمس النهار
وطلع بدر
التمام

تم

